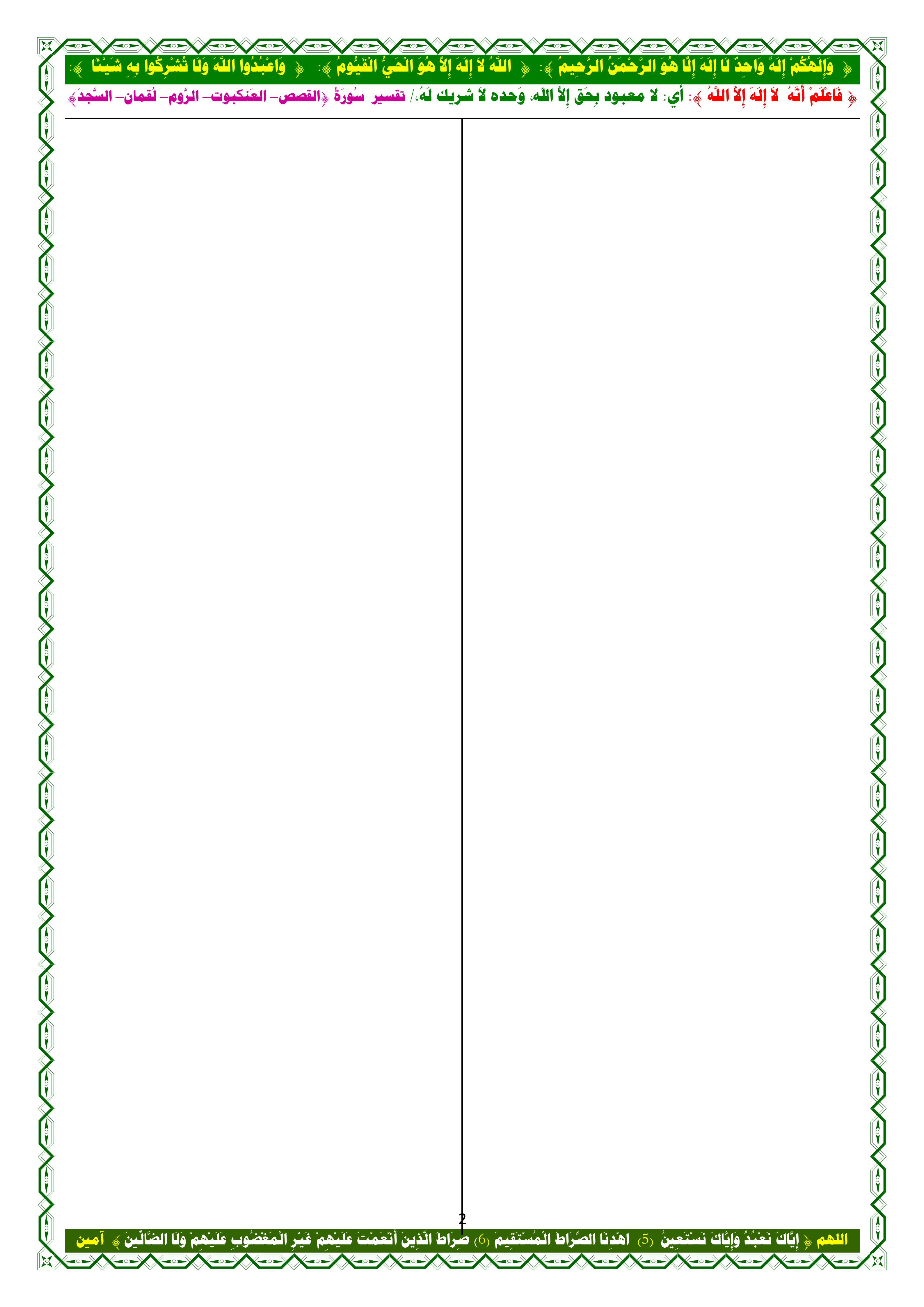
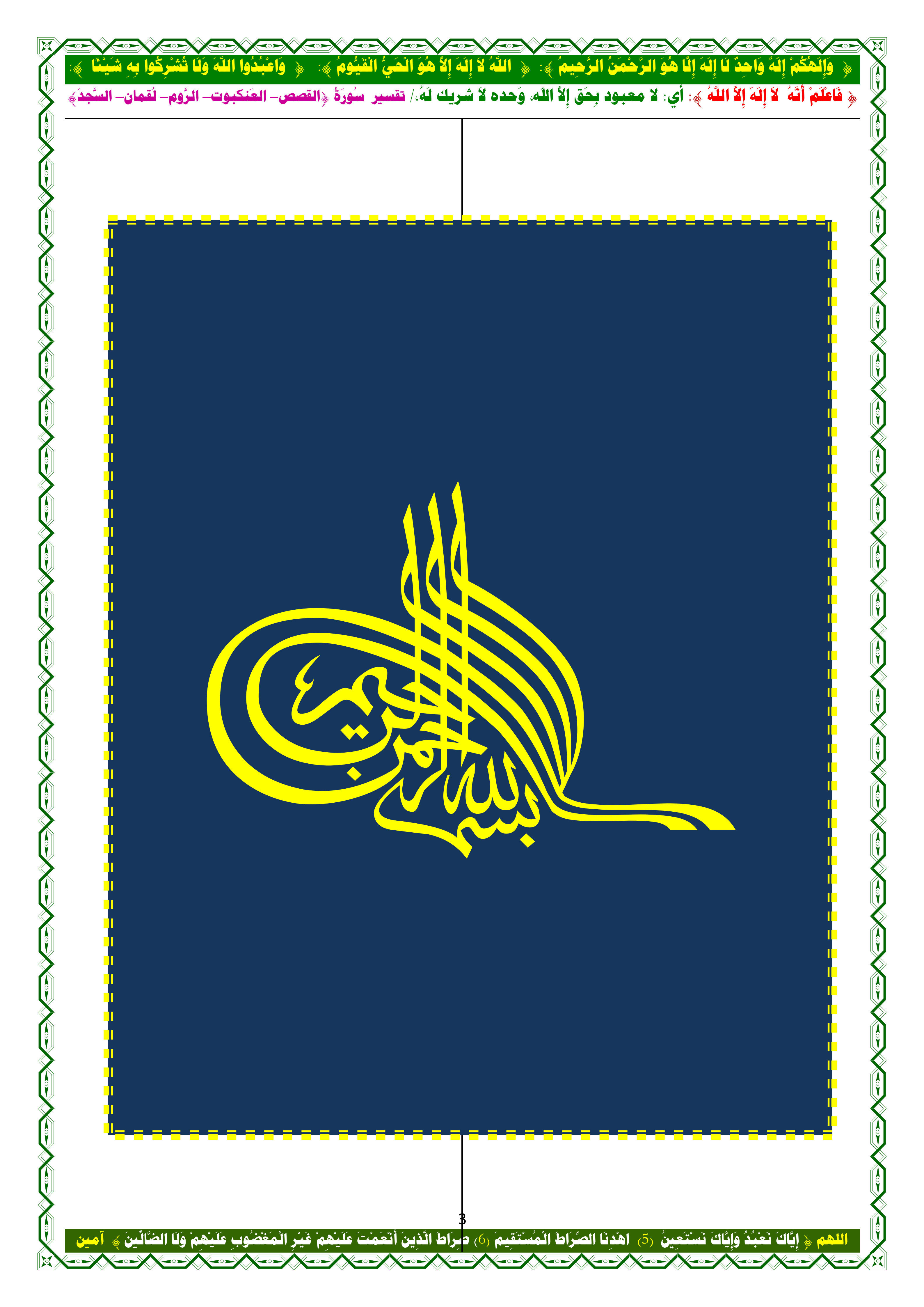
تَفْسِيرُ

سُورَةُ ﴿ الْقَصَصِ ﴾




بسم الله الرحمن الرحيم



سُورَةُ ﴿ القَصَص ﴾

ترتيبها (28) ... **آياتها** (88)...(**مكية**)

وحروفها: خمسة آلاف وثماني مئة حرف،

وكلماتها: ألف وأربع مئة وإحدى وأربعون كلمة (1).

(مكية)، إلا قوله: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ} إلى قوله: {لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ} {الآية: 52 إلى 55}.

وفيها آية نزلت بين (مكة)، و(المدينة)، بالجحفة وقت هجرة النبي - صلى الله عليه وسلم -،

وهي قوله عز وجل: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ} {الآية: 85}.

* * *

﴿ مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَة ﴾

ذكر الموازين الحقيقية للقوى، من خلال إظهار قدرة الله وسُنَّته بنصرة المستضعفين وإهلاك المستكبرين. (2)

* * *

(1) انظر: فتح الرحمن في تفسير القرآن (5/ 170). للإمام (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/ 385). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

سورة القصص

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم (1) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (3) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (4) وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿ طسم ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

{طسم} ..... تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة. (3)

* * *

{طسم} ..... حروف صوتية سيقت لبيان أن القرآن المعجز من هذه الحروف التي يتألف منها حديثكم، ولتنبيه السامعين. (4)

* * *

{طسم} .... الله أعلم بمراده منه، هذه إحدى الحروف المقطعة تكتب طسم وتقرأ: طا، سِين، مِيم. (5)

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/ 385). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/ 575)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) (4/ 51)، للشيخ: (جابر بن أبو بكر الجزائري).

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{طسم} ..... اللَّه أَعْلَم بِمُرَادِهِ بِذَلِكَ.

{طسم} ..... هذه إحدى الحروف المقطعة تكتب طسم وتقرأ: طا، سِينْ، ميمْ.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (عبد الرزاق) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (قتادة): في قوله: (طسم) قال: اسم من أسماء القرآن. (1)

* * *

(تفسير ابن عباس)- قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {1} عَن (ابْن عَبَّاس) فِي قَوْله تَعَالَى: {طسم} .... (ط) طوله وَقدرته و(سين) سناؤه ورفعته وَمِيم ملكه وَيُقَال قسم أقسم بِهِ. (2)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {1} قَوْلُهُ تَعَالَى: {طسم} .... هذا اللفظ الله أعلم بمراده منه،

وقد أفاد فائدتين عظيمتين، الأولى: هي إعجاز القرآن الموجب للإيمان به وبمنزلة من أنزل عليه القرآن وهو محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وذلك أن هذا القرآن الذي أعجز العرب أن يأتوا بسورة مثله قد تألف من مثل هذه الحروف المقطعة فدل ذلك على أنه كلام الله ووحيه.

والثانية: أنه لما خاف المشركون من تأثير القرآن على نفوس السامعين له وأمروا باجتناب سماعه واستعملوا وسائل شتى لمنع الناس في مكة من سماعه كانت هذه الحروف تضطرهم إلى السماع لغرابتها عندهم فإذا قرأ القارئ (طسم) وجد أحدهم نفسه مضطراً إلى السماع، فإذا ألقى سمعه نفذ القرآن إلى قلبه فاهتدى به إن شاء الله تعالى له الهداية كما حصل لكثيرين منهم. (3)

* * *

﴿الْقِرَاءَات﴾

{طسم} قرأ: (حمزة)، و(الكسائي)، و(خلف)، و(أبو بكر) عن (عاصم): بإمالة الطاء هنا، والنمل، والقصص،

وقرأ الباقون: بفتحها، وأظهر (أبو جعفر، وحمزة) نون (سين) عند الميم هنا، وفي القصص" للتبيين والتمكين، وأدغم. (4)

الباقون: النون في الميم لمجاورتها حروف الفم، و(أبو جعفر) يقطع الحروف على أصله. (5)

---

(1) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (3/4) في بداية سورة {الشعراء: 2}، للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (1) يِنسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(3) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (1)، للشيخ: (أبو بكر الجزائري).

(4) انظر: (السبعة) لابن مجاهد (ص: 470)، و(التيسير) للداني (ص: 165)، و(تفسير البغوي) (3/ 351)، و(النشر في القراءات العشر) لابن الجزري (1/ 241 - 242)، و(معجم القراءات القرآنية) (4/ 303 - 304).

(5) انظر: (تفسير البغوي) (3/ 351).

* * *

[٢] ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

هذه آيات القرآن الواضح.(1)

* * *

هذه آيات القرآن الذي أنزلته إليك -أيها الرسول-، مبينًا لكل ما يحتاج إليه العباد في دنياهم وأخراهم.(2)

* * *

هذه الآيات التى نوحيها إليك - أيها الرسول - ﷺ - آيات القرآن المبين الواضح، المظهر للحق من الباطل، وللحلال من الحرام، والوعد بالثواب، والوعيد بالعقاب.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{تِلْكَ} ... أي: هذه

(أي: الآيات المؤلفة من مثل هذه الحروف هي آيات القرآن الكريم).

{آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ} ... يعني: القرآنَ مبينٌ للأحكام.

{الْكِتَابِ الْمُبِينِ} ... الواضح الجلي الكاشف عن حقائق الأمور.

{الْمُبِين} ... الحق من الباطل، والحلال من الحرام.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (قتادة): قوله: (طسم (1) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (2))

يعني: مبين والله بركته ورشده وهداه.(4)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {2} قَوْلُهُ تَعَالَى: {تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ} إن هَذه السُّورَة آيَات الْقُرْآن الْمُبين بالحلال وَالْحَرَام وَالْأَمر وَالنَّهْي.(5)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {2} قَوْلُهُ تَعَالَى: {تِلْكَ} أَيْ: هَذِه {آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ} أَيْ: الْوَاضِح الْجَلِيِّ الْكَاشِف عَنْ حَقَائِق الْأُمُور، وَعِلْم مَا قَدْ كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ.(6)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {2} قوله تعالى: {تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ} ... فإنه يعني: هذه آيات الكتاب الذي أنزلته إليك يا محمد، (المبين) أنه من عند الله، وأنك لم تتقوله: ولم تتخرّصه.

وكان (قَتادة) فيما ذكر عنه يقول في ذلك ما حدثني بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد،

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (385/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (385/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (575/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (513/19).

(5) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (2) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامُ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (2).

قال: ثنا سعيد، عن (قتادة)، قوله: {طسم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ} يعني: مبين والله بركته ورشده وهداه.(1)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {2} قَوْلُهُ تَعَالَى: {تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ}....

{تِلْكَ} فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ بِمَعْنَى هَذِهِ تِلْكَ وَ{آيَاتُ} بَدَلٌ مِنْهَا. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ بِـ{نَتْلُوا} وَ{آيَاتُ} بَدَلٌ مِنْهَا أَيْضًا، وَتَنْصِبُهَا كَمَا تَقُولُ: زَيْدًا ضَرَبْتُ. وَ{الْمُبِينِ} أَيْ: الْمُبِينِ بَرَكَتَهُ وَخَيْرَهُ، وَالْمُبِينُ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَالْحَلَالَ مِنَ الْحَرَامِ.(2)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {2} قَوْلُهُ تَعَالَى: {طسم تِلْكَ آيَاتُ} هَذِهِ آيَاتُ {الْكِتَابِ الْمُبِينِ} الْبَيِّن.(3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {2} قَوْلُهُ تَعَالَى: {تِلْكَ} الآيات المستحقة للتعظيم والتفخيم. {آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ} لكل أمر يحتاج إليه العباد، من معرفة ربهم، ومعرفة حقوقه، ومعرفة أوليائه وأعدائه، ومعرفة وقائعه وأيامه، ومعرفة ثواب الأعمال، وجزاء العمال، فهذا القرآن قد بينها غاية التبيين، وجلاها للعباد، ووضحها.(4)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {2} قَوْلُهُ تَعَالَى: {تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ} أي: هذه آيات الكتاب المبين أي: القرآن المبين للهدى من الضلال والخير من الشر والحق من الباطل،(5)

* * *

[٣] ﴿ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

نقرأ عليك من خبر موسى وفرعون بالحق الَّذي لا مرية فيه لقوم يؤمنون لأنهم هم الذين ينتفعون بما فيه.(6)

* * *

نقصُّ عليك من خبر موسى وفرعون بالصدق لقوم يؤمنون بهذا القرآن، ويصدِّقون بأنه من عند الله، ويعملون بهديه.(7)

* * *

نقُص عليك بعض أخبار موسى وفرعون بالصدق، ليعتبر بما فيه المؤمنون.(1)

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (2)، للإمامَ (الطبري).

(2) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (2)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(3) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (2) للإمام ابن أبي زمنين المالكي).

(4) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (2)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(5) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (2)، للشيخ: (أبو بكر الجزائري).

(6) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (385/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(7) انظر: (التفسير الميسر) برقم (385/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ} ... نقص عليك شيئًا من خبرهما. (أي: نقص عليك شيئًا من خبرهما).

{نتلو عليك} .. أي: نقرأ عليك قاصين شيئاً من نبأ موسى وفرعون أي: من خبرهما.

{نَتْلُو} ... نذكر ونقص.

{نَبَإِ} ... خبر.

{بِالْحَقِّ} ... بالصدق، {أي: بالصدق الذي لا شك فيه}.

{بِالْحَقِّ} ... محققين. أي: بالصدق الذي لا شك فيه.

{لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} .... يصدقون بأن ما تأتيهم به صدق.

(أي: يصدقون بالقرآن ويعلمون أنه من عند الله).

{لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} ... يصدقون بأن ما تأتيهم به صدق.

(أي: لأجل المؤمنين ليزدادوا إيماناً ويوقنوا بالنصر وحسن العاقبة).

{يُؤْمِنُونَ} ... يصدقون بذلك ويقرون به.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) -:- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {3} قَوْلُهُ تَعَالَى: {نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ} بِالْقُرآن {لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} يصدقون بك وَبِالْقُرآن. (2)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {3} قَوْلُهُ تَعَالَى: {نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ} بالصدق، {لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} يُصَدِّقُونَ بِالْقُرْآنِ. (3)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {3} قَوْلُهُ تَعَالَى: {نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} كَمَا قَالَ تَعَالَى: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ} {يُوسُفَ: 3}، أَيْ: نَذْكُرُ لَكَ الْأَمْرَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ، كَأَنَّكَ تُشَاهِدُ وَكَأَنَّكَ حَاضِرٌ. (4)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {3} قوله تعالى: {نَتْلُوا عَلَيْكَ} يقول: نقرأ عليك، ونقصّ في هذا القرآن من خبر {مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ}.

كما حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن (قتادة): قوله: (نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يقول: في هذا القرآن نبأهم.

وقوله: (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يقول: لقوم يصدقون بهذا الكتاب. ليعلموا أن ما نتلو عليك من نبئهم فيه نبؤهم، وتطمئنّ نفوسهم، بأن

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/575)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (3) يُنسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (3).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (3).

سنتنا فيمن خالفك وعاداك من المشركين سنتنا فيمن عادى موسى، ومن آمن به من بني إسرائيل من فرعون وقومه، أن نهلكهم كما أهلكناهم، وننجيهم منهم كما أنجيناهم.(1)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {3} قَوْلُهُ تَعَالَى: {نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} . وَقَصَصَ الْأَنْبِيَاءِ، وَنُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. وَيُقَالُ: بَانَ الشيء وأبان اتضح.

{نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} . ذَكَرَ قِصَّةَ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَفِرْعَوْنَ وَقَارُونَ، وَاحْتَجَّ عَلَى مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، وَبَيَّنَ أَنَّ قَرَابَةَ قَارُونَ مِنْ مُوسَى لَمْ تَنْفَعْهُ مَعَ كُفْرِهِ، وَكَذَلِكَ قَرَابَةُ قُرَيْشٍ لِمُحَمَّدٍ، وَبَيَّنَ أَنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَتَجَبَّرَ، فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ كُفْرِهِ، فَلْيُجْتَنَبِ الْعُلُوُّ فِي الْأَرْضِ، وَكَذَلِكَ التَّعَزُّزُ بِكَثْرَةِ الْمَالِ، وَهُمَا مِنْ سِيرَةِ (فِرْعَوْنَ)، وَ(قَارُونَ): {نَتْلُوا عَلَيْكَ} أَيْ: يَقْرَأُ عَلَيْكَ جِبْرِيلُ بِأَمْرِنَا.

{مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ} أَيْ: مِنْ خَبَرِهِمَا وَ{مِنْ} للتبعيض و{مِنْ نَبَإِ} مفعول {نَتْلُوا} أَيْ: نَتْلُو عَلَيْكَ بَعْضَ خَبَرِهِمَا،

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ} . وَمَعْنَى {بِالْحَقِّ} أَيْ: بِالصِّدْقِ الَّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَا كَذِبَ.

{لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} أَيْ: يُصَدِّقُونَ بِالْقُرْآنِ وَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَأَمَّا مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ فَلَا يَعْتَقِدُ أَنَّهُ حَقٌّ.(2)

* * *

انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - (للإمام الطبراني):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {3} قَوْلُهُ تَعَالَى: {نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ} " أي: نقرأُ عليكَ خَبَرَ موسى وفرعَونَ بالصِّدقِ بينَهما، {لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} .(3)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {3} قَوْلُهُ تَعَالَى: {نتلو عَلَيْك من نبإ مُوسَى} من خبر مُوسَى {وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لقوم يُؤمنُونَ} يصدقون.(4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {3} قَوْلُهُ تَعَالَى: {نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (513/19) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (3).

(2) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (3)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام (الطبراني) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (3)، انظر: (المكتبة الشاملة).

(4) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (3) للإمام ابن أبي زمنين المالكي).

ومن جملة ما أبان، قصة موسى وفرعون، فإنه أبداها، وأعادها في عدة مواضع، وبسطها في هذا الموضع فقال: {نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ} فإن نبأهما غريب، وخبرهما عجيب.

{لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} فإليهم يساق الخطاب، ويوجه الكلام، حيث إن معهم من الإيمان، ما يقبلون به على تدبُّر ذلك، وتلقّيه بالقبول والاهتداء بمواقع العبر، ويزدادون به إيمانا ويقينا، وخيرا إلى خيرهم، وأما من عداهم، فلا يستفيدون منه إلا إقامة الحجة عليهم، وصانه الله عنهم، وجعل بينهم وبينه حجابا أن يفقهوه. (1)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {3} قَوْلُهُ تَعَالَى: {نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ (2) نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ} أي نقرأ قاصين عليك أيها الرسول شيئا من نبأ موسى وفرعون أي من خبر موسى (3) وفرعون،

وقوله: {لِقَوْمٍ (4) يُؤْمِنُونَ} باعتبارهم أنهم هم الذين ينتفعون بما يسمعون في حياتهم ولأنهم في ظرف صعب يحتاجون معه إلى سماع مثل هذا القصص ليثبتوا على إيمانهم حتى ينصرهم الله كما نصر الذين من قبلهم بعد ضعف كان أشد من ضعفهم. (5)

* * *

[٤] ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن فرعون طغى في أرض مصر، وتسلط فيها، وصيّر أهلها طوائف مفرِّقًا بينها، يستضعف طائفة منهم، وهم بنو إسرائيل، بقتل ذكور أولادهم واستبقاء نسائهم للخدمة إمعانًا في إذلالهم، إنه كان من المفسدين في الأرض بالظلم والطغيان والتكبر. (6)

* * *

إن فرعون تكبر وطغى في الأرض، وجعل أهلها طوائف متفرقة، يستضعف طائفة منهم، وهم بنو إسرائيل، يذبِّح أبناءهم، ويستعبد نساءهم، إنه كان من المفسدين في الأرض. (7)

* * *

إن فرعون تعاظم فى نفسه، وجاوز الحد فى ظلمه، واستكبر فى أرض مصر، وصيَّر أهلها فرقا، يصطفى بعضها ويسخِّر بعضها، ويستضعف منهم بنى إسرائيل، فيذبح الذكور من أولادهم، ويستبقى الإناث. إنه

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (3)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).
(2) - مفعول (نتلوا) محذوف تقديره نتلوا عليك كلاما من نبأ موسى.
(3) - وقارون أيضا حيث ذكر خبره في آخر هذه السورة.
(4) - اللام في (القوم) للتعليل أي: نتلو عليك لأجل قوم يؤمنون.

(5) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (3)، للشيخ: (أبو بكر الجزائري).
(6) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (385/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(7) انظر: (التفسير الميسر) برقم (385/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

كان من المسرفين فى الطغيان والإفساد.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الْأَرْضِ} ... في مُلكه وَسُلطَانه وَجُنُوده وَجَبرُوته، فَصَارَ مِنْ أَهْلِ العُلُوِّ فيها، لا منَ الأَعْلِيْن فيهَا.

{إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ} ... استكبر و تجبر

{عَلا فِي الْأَرْض} ... قد طغى فى مملكته وجاوز الحد إسرافا وظلما وعسفا.

(أي: تكبر وظلم فادعى الربوبية وظلم بني إسرائيل ظلماً فظيعاً).

{علا} ... تَكبَّرَ، وَطَغَى، و تجبر .

{في الْأَرْض} ... أرض مصر.

(وجعل أهلها شيعا) يعني بالشيع: الفِرَق، يقول: وجعل أهلها فرقًا متفرّقين.

{وجعل أهلها شيعا} ... فرقًا مختلفة في خدمته .

{شيَعا} ... طَوائف مُتَفرِّقَةً.

وقيل: {شيعًا} ... فرقاً وأصنافاً في استخدامه وطاعتهم له .

(أي: طوائف بعضهم عدوّ لبعض من باب فرّق تسد).

{وجعل أهلها شيعاً} ... فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه.

{يستضعف طائفة منهم} ... هم بنو إسرائيل.

{يَسْتَضْعِفُ} ... يستعبد.

{يُذَبِّحُ أَبْناءهُمْ} ... أي: الذكور.

(لأنه أخبر أن ذهاب ملكه على يد مولود يولد لهم).

{ويستحيي نساءهم}....أي: يبقي على النساء لا يذبح البنات لأنه لا يخاف منهن ويذبح الأولاد لخوفه مستقبلا على ملكه منهم.

(أي: ويستبقيهن).

{وَيَسْتَحْيِي} ... يستبقي.

{نسَاءهُمْ} ... الإناث من أبنائهم.

{الْمُفْسِدِينَ} ...المتمكنين في الإفساد بالمعاصي وقهر العباد.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

وانظر: سورة – (البقرة) - آية (49) ...

كما قال تعالى: {وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ} .

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَة الْقَصَص} الآيَة {4} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ} خَالف و تجبر وَكفر {فِي الأَرْض} أَرض مصر {وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً} فرقا فرقا {يَسْتَضْعِفُ} يقهر {طَآئِفَةً مِّنْهُمْ} من بني إِسْرَائِيل {يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ} صغَارًا {وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ} يستخدمهم كبارًا {إِنَّهُ كَانَ مِنَ المفسدين} فِي كفره بِالْقَتْلِ وَالدُّعَاء إِلَى غير عبَادَة الله.(2)

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/575)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَة (الْقَصَص) الآية (4) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

* * *

قَالَ: الإِمَامْ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {4} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا} اسْتَكْبَرَ وَتَجَبَّرَ وَتَعَظَّمَ، {فِي الْأَرْضِ} أَرْض مصر، {وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا} فِرَقًا وَأَصْنَافًا فِي الْخِدْمَةِ وَالتَّسْخِيرِ، {يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ} أراد الطائفة بَنِي إِسْرَائِيلَ، ثُمَّ فَسَّرَ الِاسْتِضْعَافَ فَقَالَ، {يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ} سَمَّى هَذَا اسْتِضْعَافًا لِأَنَّهُمْ عَجَزُوا أو ضعفوا عَنْ دَفْعِهِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ، {إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ}. (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {4} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأرْضِ} أَيْ: تَكَبَّرَ وَتَجَبَّرَ وَطَغَى. {وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا} أَيْ: أَصْنَافًا، قَدْ صَرَّفَ كُلَّ صِنْفٍ فِيمَا يُرِيدُ مِنْ أُمُورِ دَوْلَتِهِ.

وَقَوْلُهُ: {يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ} يَعْنِي: بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَكَانُوا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ خِيَارَ أَهْلِ زَمَانِهِمْ. هَذَا وَقَدْ سُلِّطَ عَلَيْهِمْ هَذَا الْمَلِكُ الْجَبَّارُ الْعَنِيدُ يَسْتَعْمِلُهُمْ فِي أَخَسِّ الْأَعْمَالِ، وَيَكُدُّهُمْ لَيْلًا وَنَهَارًا فِي أَشْغَالِهِ وَأَشْغَالِ رَعِيَّتِهِ، وَيَقْتُلُ مَعَ هَذَا أَبْنَاءَهُمْ، وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ، إِهَانَةً لَهُمْ وَاحْتِقَارًا، وَخَوْفًا مِنْ أَنْ يُوجَدَ مِنْهُمُ الْغُلَامُ الَّذِي كَانَ قَدْ تَخَوَّفَ هُوَ وَأَهْلُ مَمْلَكَتِهِ مِنْ أَنْ يُوجَدَ مِنْهُمْ غلام، يَكُونُ سَبَبُ هَلَاكِهِ وَذَهَابُ دَوْلَتِهِ عَلَى يَدَيْهِ. وَكَانَتِ الْقِبْطُ قَدْ تَلَقَّوْا هَذَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِيمَا كَانُوا يَدْرُسُونَهُ مِنْ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، حِينَ وَرَدَ الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ، وَجَرَى لَهُ مَعَ جَبَّارِهَا مَا جَرَى، حِينَ أَخَذَ سَارَةَ لِيَتَّخِذَهَا جَارِيَةً، فَصَانَهَا اللَّهُ مِنْهُ، وَمَنَعَهُ مِنْهَا بِقُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ. فَبَشَّرَ إِبْرَاهِيمُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَلَدَهُ أَنَّهُ سَيُولَدُ مِنْ صُلْبِهِ وَذُرِّيَّتِهِ مَنْ يَكُونُ هَلَاكُ مَلِكِ مِصْرَ عَلَى يَدَيْهِ، فَكَانَتِ الْقِبْطُ تَتَحَدَّثُ بِهَذَا عِنْدَ فِرْعَوْنَ، فَاحْتَرَزَ فِرْعَوْنُ مِنْ ذَلِكَ، وَأَمَرَ بِقَتْلِ ذُكُورِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَنْ يَنْفَعَ حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ" لِأَنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ، وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ. (2)

* * *

قَالَ: الإِمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {4} قوله تعالى: {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ}.

يقول تعالى ذكره: إن فرعون تجبر في أرض مصر وتكبر، وعلا أهلها وقهرهم، حتى أقرّوا له بالعُبُودَة.

كما حدثنا محمد بن هارون، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا (أسباط)، عن (السدي): (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأرْضِ) يقول: تجبر في الأرض.

* * *

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (4).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (4).

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا (سعيد)، عن (قَتادة): ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ ﴾ أي: بغى في الأرض.(1)

* * *

وقوله: ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ يعني بالشيع: الفِرَق، يقول: وجعل أهلها فرقًا متفرّقين.

* * *

كماحدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن (قَتادة): ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾: أي فرقًا يذبح طائفة منهم، ويستحيي طائفة، ويعذب طائفة، ويستعبد طائفة، قال الله عز وجل: ﴿ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾.(2)

* * *

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن (السدي)، قال: كان من شأن فرعون أنه رأى رؤيا في منامه، أن نارا أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر، فأحرقت القبط، وتركت بني إسرائيل، وأحرقت بيوت مصر، فدعا السحرة والكهنة والقافة والحازة فسألهم عن رؤياه، فقالوا له: يخرج من هذا البلد الذي جاء بنو إسرائيل منه، يعنون بيت المقدس، رجل يكون على وجهه هلاك مصر، فأمر ببني إسرائيل أن لا يولد لهم غلام إلا ذبحوه، ولا تولد لهم جارية إلا تركت، وقال للقبط: انظروا مملوكيكم الذين يعملون خارجا، فأدخلوهم، واجعلوا بني إسرائيل يلون تلك الأعمال القذرة، فجعل بني إسرائيل في أعمال غلمانهم، وأدخلوا غلمانهم، فذلك حين يقول: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ يعني: بني إسرائيل، حين جعلهم في الأعمال القذرة.

* * *

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى" وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن (ابن أبي نجيح)، عن (مجاهد): ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ قال: فرّق بينهم.(3)

* * *

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن (ابن جُريج)، عن (مجاهد): ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ قال: فرقا.

* * *

حدثني يونس، قال: أخبرنا (ابن وهب)، قال: قال: (ابن زيد)، في قوله: ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ قال: الشيع: الفرَق.(4)

* * *

وقوله: ﴿ يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ ﴾ ذكر أن استضعافه إياها كان استعباده.

* * *

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني أبو سفيان، عن معمر، عن (قَتادة): يستعبد طائفة منهم، ويذبح طائفة، ويقتل طائفة، ويستحي طائفة.

* * *

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (4)، للإِمَامْ (الطبري).
(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (4)، للإِمَامْ (الطبري).
(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (4)، للإِمَامْ (الطبري).
(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (4)، للإِمَامْ (الطبري).

وقوله: (إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) يقول: إنه كان ممن يفسد في الأرض بقتله من لا يستحق منه القتل، واستعباده من ليس له استعباده، وتجبره في الأرض على أهلها، وتكبره على عبادة ربه. (1)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {4} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الْأَرْض} أَيْ: اسْتَكْبَرَ وَتَجَبَّرَ، قَالَهُ (ابْنُ عباس)، و(السدي)،

وقال: (قتادة): علا في نفسه عَنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ بِكُفْرِهِ وادَّعَى الرُّبُوبِيَّةَ،

يَعْنِي:- بِمُلْكِهِ وَسُلْطَانه فَصَارَ عَالِيًا عَلَى مَنْ تَحْتَ يَده. {فِي الْأَرْض} ... أَيْ: أَرْض مِصْر.

{وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً} .... أَيْ: فِرَقًا وَأَصْنَافًا فِي الْخِدْمَة.

قَالَ الْأَعْشَى:

وَبَلْدَةٍ يَرْهَبُ الْجَوَّابُ دَجْلَتَهَا ... حَتَّى تَرَاهُ عَلَيْهَا يَبْتَغِي الشِّيَعَا

* * *

(يَسْتَضْعِفُ طائِفَةً مِنْهُمْ) أَيْ: مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

{يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي هَذَا فِي "الْبَقَرَة" عِنْدَ قَوْله: {يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَاب يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ} الْآيَة، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْكَهَنَة قَالُوا لَهُ: إِنَّ مَوْلُودًا يُولَد فِي بَنِي إِسْرَائِيل يَذْهَبُ مُلْكُكَ عَلَى يَدَيْهِ، أَوْ قَالَ الْمُنَجِّمُونَ لَهُ ذَلِكَ، أَوْ رأى رؤيا فعبرت كذلك.

قال: (الزَّجَّاج): الْعَجَبُ مِنْ حُمْقه لَمْ يَدْرِ أَنَّ الْكَاهِنَ إِنْ صَدَقَ فَالْقَتْلُ لاَ يَنْفَعُ، وَإِنْ كَذَبَ فَلاَ مَعْنَى لِلْقَتْل.

يَعْنِي:- جَعَلَهُمْ شِيَعًا فَاسْتَسْخَرَ كُلَّ قَوْمٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي شغل مقرد.

{إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} .... أَيْ: فِي الْأَرْض بِالْعَمَلِ وَالْمَعَاصِي وَالتَّجَبُّر. (2)

* * *

انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - (للإمام الطبراني):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {4} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ} " أي: تَجبَّرَ وتكَبَّرَ في أرض مِصْرَ.

{وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً} " أي فِرَقاً وأصنَافاً في الخدمة والتَّسخير " يُكْرِم قوماً ويُذِلُّ آخرين.

وقولُه تعالى: {يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ} " يعني بني إسرائيلَ ، ثم فَسَّرَ ذلكَ فقال: {يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ} " يقتلُ الأبناءَ ويترك البنات فلا يقتُلهنَّ.

يَعْنِي:- معناهُ: يذبحُ أبناءَهم صغاراً ويُبقي نساءَهم للخدْمَة.

وسببُ ذلك: أنَّ بعضَ الكَهَنَة قالوا له: إنَّ مولُوداً يولَدُ في بني إسرائيلَ يكون سَبباً لذهاب مُلْكِك.

---

(1) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (4)، للإِمَامْ (الطبري)،

(2) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (4)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

قـال: (الزجّاج): (وَالعَجَبُ مِنْ حُمْقِ فِرْعَوْنَ إِنْ كَانَ ذلِكَ الكَاهِنُ عِنْدَهُ صَادِقاً فَمَا يَنْفَعُ القتلُ؟! وإِنْ كَانَ كَاذِباً فَمَا مَعْنَى الْقَتْلِ؟).

وقولُهُ تعالى: {إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} " يعني: بالقَتْلِ والعمل بالمعاصي.(1)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {4} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ} أَيْ: بَغَى {وجَعَلَ أَهْلَهَا شِيعًا} أَيْ: فِرَقًا {يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يذبح أَبْنَاءَهُم ويستحيي نِسَاءَهُمْ} يَعْنِي: بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَانُوا بِمِصْرَ فِي يَدَيْ فِرْعَوْنَ، وَالطَّائِفَةُ الَّتِي كَانَ يُذَبِّحُ: الْأَبْنَاءَ، وَالطَّائِفَةُ الَّتِي كَانَ يَسْتَحْيِي: النِّسَاءُ، وَقَدْ كَانَ يفعل هَذَا فِرْعَوْن.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {4} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ} في ملكه وسلطانه وجنوده وجبروته، فصار من أهل العلو فيها، لا من الأعلين فيها.

{وجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا} أي: طوائف متفرقة، يتصرف فيهم بشهوته، وينفذ فيهم ما أراد من قهره، وسطوته.

{يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ} وتلك الطائفة، هم بنو إسرائيل، الذين فضلهم الله على العالمين، الذين ينبغي له أن يكرمهم ويجلهم، ولكنه استضعفهم، بحيث إنه رأى أنهم لا منعة لهم تمنعهم مما أراده فيهم، فصار لا يبالي بهم، ولا يهتم بشأنهم، وبلغت به الحال إلى أنه {يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ} خوفا من أن يكثروا، فيغمروه في بلاده، ويصير لهم الملك.

{إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} الذين لا قصد لهم في إصلاح الدين، ولا إصلاح الدنيا، وهذا من إفساده في الأرض.(3)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {4} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ فِرْعَوْنَ..} إلى آخر الآية هذا بيان لما أخبر أنه يقصه للمؤمنين، يخبر تعالى فيقول: {إِنَّ فِرْعَوْنَ..} إلى آخر الآية إن فرعون الحاكم المصري المسمى بالوليد بن الريان الطاغية المدعي الربوبية والألوهية.

{عَلا فِي الْأَرْضِ} أي: أرض البلاد المصرية ومعنى علا طغى وتكبر وتسلط(4).

وقوله: {وَجَعَلَ أَهْلَهَا} أي: أهل تلك البلاد المصرية {شِيَعاً} أي: طوائف فرق بينها إبقاءً على ملكه على قاعدة فرق تَسُدْ المذهب السياسي القائم الآن في بلاد الكفر والظلم.

وقوله: {يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً} من تلك الطوائف وهي طائفة بني إسرائيل وكيفية

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام (الطبراني) في سُورَة (القَصَص) الآية (4)، انظر: (المكتبة الشاملة).

(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سُورَة (القَصَص) الآية (4) للإمام ابن أبي زمنين المالكي).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَة (القَصَص) الآية (4)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) وحسبه أن ادعى الألوهية والربوبية وأنه ابن الشمس.

استضعافهم أنه يذبح أبناءهم ساعة ولادتهم.

{وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ} أي: بناتهم ليكبرن للخدمة وتذبيح الأولاد سببه أن كهانه وسياسييه أعلموه أن ملكه مهدد بوجود بني إسرائيل أقوياء كثر في البلاد فاستعمل طريقة تقليلهم والحد من كثرتهم بذبح الأولاد الذكور منهم وإبقاء الإناث منهم وهي سياسة تشبه تحديد النسل اليوم التي يستعملها الهالكون اليوم وهم لا يشعرون.

وقوله: {إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} هذا تعليل لعلو فرعون وطغيانه فذكر أن سبب ذلك الذي يرتكبه من السياسة العمياء الظالمة أنه.

{مِنَ الْمُفْسِدِينَ} أي: في الأرض بارتكاب الجرائم العظام التي لا توصف.(1)

* * *

قال: الشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {4} قوله تعالى: {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا} استكبر وتجبر {فِي الْأَرْضِ} أرض مصر. {وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا} فرقًا مختلفة في خدمته. {يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ} هم بنو إسرائيل،

ثم فسر الاستضعاف فقال: {يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ} والسبب في ذلك: أن كاهنًا قال له: يولد مولود في بني إسرائيل يذهب ملكك على يده، فطمع بجهله أن يرد القدر، وسُمي: هذا استضعافًا" لأنهم عجزوا وضعفوا عن دفعه عن أنفسهم.

{إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} فكذلك اجترأ على خلق كثير من أولاد الأنبياء.(2)

* * *

أخرج – الإمام (ابن أبي حاتم) – والإمام (الطبري) - في (تفسيره) - (رحمهما الله) - (بسندهما الحسن) – عن (قتادة): (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ) أي: بغى في الأرض.(3)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن)- حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن (قَتَادة): (إنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأرْضِ) أي: بغى في الأرض.(4)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) – عن (قتادة): (وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا) أي فرقاً يذبح طائفة منهم، ويستحيي طائفة ويعذب طائفة، ويستعبد طائفة قال: الله عز وجل: (يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ).(5)

* * *

---

(1) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (4)، للشيخ: (أبو بكر الجزائري).

(2) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سُورَةُ (القَصَص) الآية (4)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(3) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (42/4)، للشيخ: (أ. الدكتور: حكمت بن بشير بن ياسين).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (516/19).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (516/19).

[٥] ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ونريد أن نتفضل على بني إسرائيل الذين استضعفهم فرعون في أرض مصر" بإهلاك عدوهم، وإزالة الاستضعاف عنهم، وجعلهم أئمة يقتدى بهم في الحق، ونجعلهم يرثون أرض الشام المباركة بعد هلاك فرعون، (1)

* * *

ونريد أن نتفضل على الذين استضعفهم فرعون في الأرض، ونجعلهم قادةً في الخير ودعاةً إليه، ونجعلهم يرثون الأرض بعد هلاك فرعون وقومه. (2)

* * *

وأراد الله أن يتفضَّل على الذين استضعفهم فرعون في الأرض، وأن يجعلهم هداة إلى الخير، ويورثهم ملك الأرض والسلطان. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ} ... أي: ننعم على الذين استضعفوا فنجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين.

{وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ} ..... يعني: بني إسرائيل، يستضعفهم فرعون، ونحن نريد أن ننعم ونعظم المن عليهم، ولما كانت إرادة الله تعالى بالمنة عليهم بالنجاة وغيرها كائنة لا محالة،

جعلت الإرادة كأنها مقارنة استضعافهم.

{أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا} ... أن نتفضل عليهم وننعم.

{نَمُنَّ} ... نَتَفَضَّلَ.

يَعْنِي: - {نَّمُنَّ} ... ننعم.

{أَئِمَّةً} ... قدوة في الخير والدين.

(أي: متقدمين فى الدين والدنيا).

{وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ} ... يرثون فرعون وقومه.

(أي: أملاكَ فرعونَ والقبط).

{وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً} .... قادةً يقتدى بهم في الخير.

{الْوَارِثِينَ} ... يخلفون فرعون في ملكه بعد غرقه.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

كما قال تعالى: {وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا}.

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {5} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَنُرِيدُ} بإرسال مُوسَى إِلَيْهِم وهلاكهم {أَن نَّمُنَّ} تنزلهم بالنجاة {عَلَى الَّذين استضعفوا} قهروا وهم بَنو إِسْرَائِيل {فِي الأَرْض} أَرض مصر {وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً} قادة فِي

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (385/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (385/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (575/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

الْخَيْر {وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ} وارثي أَرض مصر.(1)

* * *

قال: الإمامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَة الْقَصَص} الآية {5} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ} يَعْنِي: بَنِي إِسْرَائِيلَ،

{وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً} قَادَةً فِي الْخَيْرِ يُقْتَدَى بِهِمْ.

وَقَالَ: (قَتَادَةُ): وُلَاةً وَمُلُوكًا دَلِيلُهُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا} {الْمَائِدَة: 20}.

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ): دُعَاةً إِلَى الخير.

{وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ} يَعْنِي: أَمْلَاكَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ يَخْلُفُونَهُمْ في مساكنهم.(2)

* * *

قال: الإمامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَة الْقَصَص} الآية {5} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ}.

وَقَدْ فَعَلَ تَعَالَى ذَلِكَ بِهِمْ، كَمَا قَالَ: {وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ} {الْأَعْرَاف: 137}.

وَقَالَ: {كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ} {الشُّعَرَاء: 59}.(3)

* * *

قال: الإمامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَة الْقَصَص} الآية {5} قوله تعالى: {وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ}.

قوله: (وَنُرِيدُ) عطف على قوله: (يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ) ومعنى الكلام: أن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها، من بني إسرائيل، فرقًا يستضعف طائفة منهم (وَ) نَحْنُ (نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ) استضعفهم فرعون من بني إسرائيل (وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً).(4)

* * *

قال: الإمام (الطبري)– (رحمه الله) – في (تفسيره):– (بسنده الحسن) – عن (قتادة): (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأرْضِ) قال: بنو إسرائيل.(5)

* * *

قال: الإمام (الطبري)– (رحمه الله) – في (تفسيره):– (بسنده الحسن) – عن (قتادة): (وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً) أي: ولاة الأمر.(6)

* * *

قال: الإمام (الطبري)– (رحمه الله) – في (تفسيره):– (بسنده الحسن) – عن (قتادة): (وَنَجْعَلَهُمُ

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَة (الْقَصَص) الآية (5) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَام (البغوي) سُورَة (الْقَصَص) الآية (5).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَام (ابن كثير) في سُورَة (الْقَصَص) الآية (5).

(4) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَة (الْقَصَص) الآية (5)، للإِمَام (الطبري).

(5) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمام (الطبري) (517/19).

(6) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمام (الطبري) (518/19).

الــوَارِثِينَ): أي: يرثــون الأرض بعــد فرعــون وقومه.[1]

* * *

أخــرج – الإمــام (عبــد الــرزاق) – (رحمــه الله) – في (تفســيره):– (بســنده الصــحيح) – عــن (قتــادة): قولــه: (وَنَجْعَلَهُــمُ الــوَارِثِينَ) قــال: يرثون الأرض من بعد آل فرعون.[2] [3]

* * *

قــال: الإمــام (القُــرطبي) – (رحمــه الله) – في (تفســيره):– {سُــورَةُ الْقَصَــص} الآيــة {5} قَوْلُــهُ تَعَــالَى: {وَنُرِيــدُ أَنْ نَمُــنَّ عَلَــى الَّــذِينَ اسْتُضْــعِفُوا فِــي الْــأَرْضِ} أَيْ نَتَفَضَّــلَ عَلَــيْهِمْ وَنُنْعِمَ. وَهَذِهِ حِكَايَةٌ مَضَتْ.

{وَنَجْعَلَهُــمْ أَئِمَّــةً} قَــالَ: (ابْــنُ عَبَّــاسٍ): قَــادَةً فِي الْخَيْرِ. (مُجَاهِدٌ): دُعَاةً إِلَى الْخَيْرِ.

(قَتَادَةُ): وُلَاةً وَمُلُوكًا،

دَلِيلُــهُ قَوْلُــهُ تَعَــالَى: {وَجَعَلَكُــمْ مُلُوكــاً} قُلْــتُ: وَهَــذَا أَعَــمُّ فَــإِنَّ الْمَلِــكَ إِمَــامٌ يُــؤْتَمُّ بِــهِ وَمُقْتَــدًى بِهِ.

(وَنَجْعَلَهُــمُ الْــوارِثِينَ) لِمُلْــكِ فِرْعَــوْنَ، يَرِثُــونَ مُلْكَــهُ، وَيَسْــكُنُونَ مَسَــاكِنَ الْقِــبْطِ وَهَــذَا مَعْنَــى قَوْلِــهِ تَعَــالَى: {وَتَمَّــتْ كَلِمَــتُ رَبِّــكَ الْحُسْــنى عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ بِما صَبَرُوا} .[4]

* * *

انظــر: (تفســير القــرآن العظــيم) – المنســوب – للإمــام (الطبرانــي):– {سُــورَةُ الْقَصَــص} الآيــة {5} قَوْلُــهُ تَعَــالَى: {وَنُرِيــدُ أَن نَّمُــنَّ عَلَــى الَّــذِينَ اسْتُضْــعِفُواْ فِــي الأَرْضِ} أي: نريــدُ أن نُــنْعِمَ عَلَــى الَّــذِينَ اسْتُضْــعِفُوا فِــي الأَرْضِ وهــم بنــو إسـرائيلَ،

{وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً} "يُقتَدَى بهم في الخيرِ.

قــال: (قتــادةُ): (وُلاَةً ومُلوكــاً) ودليلــهُ قَوْلُــهُ تعالَى: {وَجَعَلَكُمْ مُّلُوكاً} {المائدة: 20}.

{وَنَجْعَلَهُــمُ الْــوَارِثِينَ} لِمُلْــكِ فرعــونَ، ولِمســاكنِ قومه، يَرِثُونَ ديارَهم وأموالَهم.[5]

* * *

قــال: الإمــام (ابــن أبــي زَمَــنِين المــالكي) – (رحمــه الله) – في (تفســيره):– {سُــورَةُ الْقَصَــص} الآيــة {5} قَوْلُــهُ تَعَــالَى: {وَ} نَحــن {نُرِيــدُ أَنْ نَمُــنَّ عَلَــى الَّــذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ} يَعْنِي: بَنِي إِسْرَائِيلَ.

{وَنَجْعَلَهُــمْ أَئِمَّــةً} قَــالَ: (قَتَــادَةُ): أَيْ: وُلاَةً (فِــي الأَرْضِ) {ونجعلــهم الْــوَارِثِينَ} أَيْ: يَرِثُــونَ الْــأَرْض بَعْــدَ فِرْعَــوْنَ وَقَوْمِــهِ، فَفَعَــلَ اللهُ ذَلِــكَ بِهِم.[6]

* * *

قــال: الإمــام (عبــد الــرحمن بــن ناصــر الســعدي) – (رحمــه الله) – في (تفســيره):– {سُــورَةُ الْقَصَــص} الآيــة {5} قَوْلُــهُ تَعَــالَى: {وَنُرِيــدُ أَنْ نَمُــنَّ عَلَــى الَّــذِينَ اسْتُضْــعِفُوا فِــي الأرْضِ} بــأن نزيــل عــنهم مــواد الاستضــعاف، ونهلــك مــن قــاومهم، ونخــذل مــن نــاوأهم. {وَنَجْعَلَهُــمْ أَئِمَّــةً} في الــدين، وذلــك لا يحصــل مــع

---

(1) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمام (الطبري) (19/518).

(2) انظــر: (موســوعة الصــحيح المســبور مــن التفســير بالمــأثور) بــرقم (4/43) ، للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين).

(3) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمام (الطبري) (19/518).

(4) انظــر: تفســير (القــرطبي) = (الجــامع لأحكــام القــرآن) في سُــورَةُ (الْقَصَــص) الآية (5). للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(5) انظــر: (تفســير القــرآن العظــيم) – المنســوب – للإمــام (الطبرانــي) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (5). انظر: (المكتبة الشاملة).

(6) انظــر: (تفســير القــرآن العزيــز) في سُــورَةُ (الْقَصَــص) الآيــة (5) للإمــام ابن أبي زمنين المالكي).

استضعاف، بل لا بد من تمكين في الأرض، وقدرة تامة،

{وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ} للأرض، الذين لهم العاقبة في الدنيا قبل الآخرة. (1)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {5} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً} أي: {نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ} أي من بعض خبرهما أنا نريد أي أردنا أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض أرض مصر وهم بنو إسرائيل، نمُنُّ عليهم بإيمانهم وتخليصهم من حكم فرعون وتسلطه ونجعلهم قادة في الخير {وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ} لحكم البلاد وسياستها بعد إهلاك فرعون وجنوده. (2)

* * *

قال: الشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {5} قوله تعالى: {وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ} يعني: بني إسرائيل، يستضعفهم فرعون، ونحن نريد أن ننعم ونعظم المن عليهم، ولما كانت إرادة الله تعالى بالمنة عليهم بالنجاة وغيرها كائنة لا محالة، جعلت الإرادة كأنها مقارنة استضعافهم.

{وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً} قادةً يقتدى بهم في الخير.

وتقدم اختلاف القراء في (أَئِمَّةً) في سورة {الأنبياء:73} عند قوله تعالى: {وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً}

{وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ} أملاكَ فرعونَ والقبط. (3)

* * *

قال: الشيخ (محمد الأمين الشنقيطي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {5} قوله تعالى: {وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً}.

لم يبين هنا السبب الذي جعلهم أئمة جمع إمام أي قادة في الخير، دعاة إليه على أظهر القولين. ولم يبين هنا أيضاً الشيء الذي جعلهم وارثيه، ولكنه تعالى بين جميع ذلك في غير هذا الموضع، فبين السبب الذي جعلهم به أئمة في قوله تعالى: {وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون}.

فالصبر واليقين، هما السبب في ذلك،

وبين الشيء الذي جعلهم له وارثين بقوله تعالى: {وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها} الآية،

وقوله تعالى: {كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين}.

وقوله تعالى: {فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بني إسرائيل}. (1)

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَة (القَصَص) الآية (5)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَة (القَصَص) الآية (5)، للشيخ: (أبو بكر الجزائري).

(3) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سُورَة (القَصَص) الآية (5)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

* * *

﴿ من فَوائِدِ الآيَاتِ ﴾
﴿ سُورَةُ الْقَصَص ﴾: 1 -5

- الإيمان والعمل الصالح سببا النجاة من الفزع يوم القيامة.
- الكفر والعصيان سبب في دخول النار.
- تحريم القتل والظلم والصيد في الحرم.
- النصر والتمكين عاقبة المؤمنين. (2)

* * *

[٦] ﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ونريد أن نمكّن لهم في الأرض بجعلهم أصحاب السلطان فيها، ونُرِي فرعون ومساندَه الأكبر في الملك هامان وجنودهما المعاونين لهما في ملكهما، ما كانوا يخافونه من ذهاب ملكهم، وانقضائه على يد مولود ذكر من بني إسرائيل. (3)

* * *

ونمكن لهم في الأرض، ونجعل فرعون وهامان وجنودهما يرون من هذه الطائفة المستضعفة ما كانوا يخافونه من هلاكهم وذهاب ملكهم، وإخراجهم من ديارهم على يد مولود من بني إسرائيل. (4)

* * *

ونُثَبِّتهم في الأرض ويتخذون فيها مكاناً، ونُثبِت لفرعون ووزيره هامان وجندهما ما كانوا يخشونه من ذهاب ملكهم على يد مولود من بنى إسرائيل. (5)

* * *

وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (6) وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (7) فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (8) وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (9) وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (10) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (11) وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (12) فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (13)

شرح و بيان الكلمات:

{وَنُمَكِّنَ}... نُوطئ و نمهد و نجعلهم مقتدرين على الأرض وأهلها.

{وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ} .... نوطّن لهم في أرض مصر والشام، و نجعلها لهم مستقراً.

---

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للإمام (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (القصص) الآية (5).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (386/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (386/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (386/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (576/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ}.... من بني إسرائيل.

{مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ}.... يَتَوَقَّون مما أخبرهم به الكاهن" أي: سيظهر للقبط ما كانوا يخافونه.

(أي: من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود لهم).

{ما كانوا يحذرون}... من المولود الذي يولد في بني إسرائيل ويذهب بملكهم.

{يَحْذَرُونَ}... يخافون من ذهاب ملكه.

* * *

﴿الْقِرَاءَآت﴾

قرأ: (حمزة)، و(الكسائي)، و(خلف):

(وَيَرَى) بالياء وفتحها، وإمالة فتحة الراء بعدها، ورفع الأسماء الثلاثة فاعلين،

وقرأ: (الباقون): بالنون وضمها وكسر الراء، ونصب الأسماء الثلاثة مفعولًا.(1)(2)

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآيَة {6} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَنُمَكِّنَ لَهُمْ} ونملكهم {فِي الْأَرْضِ} أرض مصر {وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا} جموعهما

{مِنْهُمْ} من موسى وبني إسرائيل {مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ} من ذهاب الملك.(3)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآيَة {6} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ} أوطِّن لهم في الأرض مصر وَالشَّام، وَنَجْعَلَهَا لَهُمْ مَكَانًا يستقرون فيه، {وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ} قرأ: (الأعمش)، و(حمزة)، و(الكسائي): (يرى) بِالْيَاء وَفَتْحِهَا، {فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا} مَرْفُوعَاتٌ عَلَى أَنَّ الفعل لَهُمْ،

وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: بِالنُّون وَضَمِّهَا وَكَسْرِ الرَّاء وَنَصْبِ الْيَاء وَنَصْب مَا بعده يوقع الْفِعْل عَلَيْه،

{مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ} وَالْحَذَرُ هُوَ التَّوَقِّي مِنَ الضَّرَر، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ أُخْبِرُوا أَنَّ هَلَاكَهُمْ عَلَى يَدِ رَجُلٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَكَانُوا عَلَى وَجَلٍ مِنْهُ، فَأَرَاهُمُ اللَّهُ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ.(4)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآيَة {6} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ}.

أَرَادَ فِرْعَوْنُ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ أَنْ يَنْجُوَ مِنْ مُوسَى، فَمَا نَفَعَهُ ذَلِكَ مَعَ قَدَرِ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ الَّذِي لَا يُخَالَفُ أَمْرُهُ الْقَدَرِيُّ، بَلْ نَفَذَ حُكْمُهُ وَجَرَى قَلَمُهُ فِي الْقِدَمِ بِأَنْ يَكُونَ إِهْلَاكُ

---

(1) انظر: "السبعة" لابن مجاهد (ص: 492)، و"التيسير" للداني (ص: 170)، و"تفسير البغوي" (3/ 424)، و"معجم القراءات القرآنية" (5/ 6).

(2) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (6)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (6) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (6).

فِرْعَوْنَ عَلَى يَدَيْهِ، بَلْ يَكُونُ هَذَا الْغُلَامُ الَّذِي احْتَرَزْتَ مِنْ وُجُودِهِ، وَقَتَلْتَ بِسَبَبِهِ أُلُوفًا مِنَ الْوِلْدَانِ إِنَّمَا مَنْشَؤُهُ وَمُرَبَّاهُ عَلَى فِرَاشِكَ، وَفِي دَارِكَ، وَغِذَاؤُهُ مِنْ طَعَامِكَ، وَأَنْتَ تُرَبِّيهِ وَتُدَلِّلُهُ وَتَتَفَدَّاهُ، وَحَتْفُكَ، وَهَلَاكُكَ وَهَلَاكُ جُنُودِكَ عَلَى يَدَيْهِ، لِتَعْلَمَ أَنَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ الْعُلَا هُوَ الْقَادِرُ الْغَالِبُ الْعَظِيمُ، الْعَزِيزُ الْقَوِيُّ الشَّدِيدُ الْمِحَالِ، الَّذِي مَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {6} قوله تعالى: {وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ} يقول: ونوطئ لهم في أرض الشام ومصر (وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا}.

كانوا قد أخبروا أن هلاكهم على يد رجل من بني إسرائيل، فكانوا من ذلك على وجل منهم، ولذلك كان فرعون يذبح أبناءهم، ويستحيي نساءهم، فأرى الله فرعونَ وهامان وجنودهما، من بني إسرائيل على يد موسى بن عمران نبيه، ما كانوا يحذرونه منهم من هلاكهم وخراب منازلهم ودورهم.

* * *

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا (سعيد)، عن (قتادة): (وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ) شيئًا ما حذّر القوم.

* * *

قال: وذكر لنا أن حازيا حزا لعدوّ الله فرعون، فقال: يولد في هذا العام غلام من بني إسرائيل يسلبك ملكك، فتتبَّع أبناءهم ذلك العام، يقتل أبناءهم، ويستحيي نساءهم، حذرًا مما قال له الحازي.

* * *

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن (معمر)، عن (قتادة)، قال: كان لفرعون رجل ينظر له ويخبره، يعني أنه كاهن، فقال له: إنه يولد في هذا العام غلام يذهب بملككم، فكان فرعون يذبح أبناءهم، ويستحيي نساءهم حذرا، فذلك قوله: (وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ). (2)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {6} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ} أَيْ: نَجْعَلُهُمْ مُقْتَدِرِينَ عَلَى الْأَرْضِ وَأَهْلِهَا حَتَّى يُسْتَوْلَى عَلَيْهَا، يَعْنِي أَرْضَ الشَّامِ وَمِصْرَ.

(وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا) أَيْ وَنُرِيدُ أَنْ نُرِيَ فِرْعَوْنَ وَقَرَأَ: (الْأَعْمَشُ)، وَ(يَحْيَى)، وَ(حَمْزَةُ)، وَ(الْكِسَائِيُّ)، وَ(خَلَفٌ): "وَيَرَى" بِالْيَاءِ عَلَى أَنَّهُ فِعْلٌ ثُلَاثِيٌّ مِنْ رَأَى" فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا" رَفْعًا لِأَنَّهُ الْفَاعِلُ.

الْبَاقُونَ: " نُرِيَ" بِضَمِّ النُّونِ وَكَسْرِ الرَّاءِ عَلَى أَنَّهُ فِعْلٌ رُبَاعِيٌّ مِنْ أَرَى يُرِي، وَهِيَ عَلَى نَسَقِ الْكَلَامِ، لِأَنَّ قَبْلَهُ" وَنُرِيدُ" وَبَعْدَهُ" وَنُمَكِّنَ". " فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا" نَصْبًا

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص الآية (6).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (6)، للإمام (الطبري).

بِوُقُوعِ الْفِعْلِ وَأَجَازَ "الْفَرَّاءُ" "وَيُرِي فِرْعَوْنَ" بِضَمِّ الْيَاءِ وَكَسْرِ الرَّاءِ وفتح الياء بمعنى وَيُرِي اللَّهُ فِرْعَوْنَ.

(مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ) وَذَلِكَ أَنَّهُمْ أُخْبِرُوا أَنَّ هَلَاكَهُمْ عَلَى يَدَيْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَكَانُوا عَلَى وَجَلٍ.

{مِنْهُمْ} فَأَرَاهُمُ اللَّهُ {مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ} قَالَ (قَتَادُ): كَانَ حَازِيًا لِفِرْعَوْنَ- وَالْحَازِي الْمُنَجِّمُ- قَالَ إِنَّهُ سَيُولَدُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مَوْلُودٌ يَذْهَبُ بِمُلْكِكَ، فَأَمَرَ فِرْعَوْنُ بِقَتْلِ الْوِلْدَانِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ. وقد تقدم.[1]

* * *

انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب – للإمام (الطبراني):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآيَةِ {6} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ} " أي: يُمَكِّنُهم ما كان يَملكُ فرعون.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ} " أي: ما كانوا يَخافُونَهُ من هذا المولود الذي به يذهبُ مُلْكُهم على يديه ، وذلك أنَّهم أخبرُوا أنَّ هلاكَهم على يدَي رَجُلٍ من بني إسرائيل ، فكانوا على وَجَلٍ منهم فأراهُم اللهُ تعالى {مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ} أي: ما كانوا يَخافُونَ من جهَتِهم من ذهاب مُلكِهم على أيديهم.[2]

* * *

قَالَ: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآيَةِ {6} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ} مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

{مَا كَانُوا يحذرون} قَالَ: (قَتَادَةُ): ذكر لنا أَن حازرًا حزر لَهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ يُولَدُ فِي هَذَا الْعَامِ غُلَامٌ يَسْلُبُكَ مُلْكَكَ، فَتَتَبَّعَ أَبْنَاءَهُمْ يَقْتُلُهُمْ حَذَرًا مِمَّا قَالَ لَهُ الْحَازِرُ.[3]

* * *

قَالَ: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآيَةِ {6} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ} فهذه الأمور كلها، قد تعلقت بها إرادة الله، وجرت بها مشيئته، {و} كذلك نريد أن {نُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ} وزيره {وَجُنُودَهُمَا} التي بها صالوا وجالوا، وعلوا وبغوا {مِنْهُمْ} أي: من هذه الطائفة المستضعفة.

{مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ} من إخراجهم من ديارهم، ولذلك كانوا يسعون في قمعهم، وكسر شوكتهم، وتقتيل أبنائهم، الذين هم محل ذلك، فكل هذا قد أراده الله، وإذا أراد أمرا سهل أسبابه، ونهج طرقه، وهذا الأمر كذلك، فإنه قدر وأجرى من الأسباب -التي لم يشعر بها لا أولياؤه ولا أعداؤه- ما هو سبب موصل إلى هذا المقصود.[4]

* * *

قَالَ: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآيَةِ {6} قَوْلُهُ

---

(1) انظُر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (6)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) انظُر: (تفسير القرآن العظيم) – المنسوب – للإمام (الطبراني) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (6)، انظُر: (المكتبة الشاملة)

(3) انظُر: (تفسير القرآن العزيز) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (6) للإمام إبن أبي زمنين المالكي)،

(4) انظُر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (6)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

تَعَالَى: {وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ}[1].

وقوله: {وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ}[2] أي: من جملة ما نتلو عليك أنا أردنا أن {نُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ}[3] أي: من بني إسرائيل ما كانوا يحذرونه من مولود يولد في بني إسرائيل فيذهب بملك فرعون وذلك بما سيذكر تعالى من أسباب وترتيبات هي عجب! تبتدئ من قوله تعالى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى ...}[4].

* * *

[٧] ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وألهمنا أم (موسى)- عليه السلام- أن أرضعيه حتَّى إذا خَشيتِ عليه من فرعون وقومه أن يقتلوه فضعيه في صندوق، وارميه في نهر النيل، ولا تخافي عليه من الغرق ولا من فرعون، ولا تحزني بسبب فراقه، إنا مرجعوه إليك حيًّا، ومصيّروه من رسل الله الذين يبعثهم إلى خلقه.[5]

* * *

وألْهمنا أم موسى حين ولدته وخشيت عليه أن يذبحه فرعون كما يذبح أبناء بني إسرائيل: أن أرضعيه مطمئنة، فإذا خشيت أن يُعرف أمره فضعيه في صندوق وألقيه في النيل، دون خوف من فرعون وقومه أن يقتلوه، ودون حزن على فراقه، إنا رادُّو ولدك إليك وباعثوه رسولا.[6]

* * *

وألهم الله أمَّ موسى - حينما خشيت عليه أن يذبحه فرعون كما يذبح أبناء بنى إسرائيل - أن ترضعه مطمئنة عليه من قتل فرعون، فإذا خشيت أن يعرف أمره وضعته فى صندوق وألقته فى النيل غير خائفة ولا محزونة، فقد تكفل الله لها بحفظه وردِّه إليها، وأن يرسله إلى بنى إسرائيل.[7]

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى} .... يوخابد بنت لاوا، وحيَ إلهام لا نبوة.

(أي: أعلمناها أن ترضع ولدها الرضعات الأولى التي لا بد منها ثم تضعه في تابوت ثم تلقيه في اليم).

{وَأَوْحَيْنَا} ..... وَحي إلْهَام أَوْ مَنَام.

(1) - المراد من الأرض أرض الشام حيث ورّثهم أرض الكنعانيين وهم الذين كانوا يعرفون بالجبابرة. أما أرض مصر فإن بني إسرائيل لم يرجعوا إليها بعد أن خرجوا منها هكذا يرى بعضهم وأكثر المفسرين أن بني إسرائيل عادوا إلى أرض مصر وملكوها وسادوا أهلها، والله أعلم.

(2) - قرأ الجمهور (ونري) بنون العظمة والتكلم، وقرأ بعضٌ (ويرى) بياء الغيبة أي: ويرى فرعون وجنوده.

(3) - الجنود: جمع جند، والجند لفظ دال على جمع ولا واحد له ومعناه: الجماعة من الناس تجتمع على أمر تتبعه.

(4) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (6)، للشيخ: (أبو بكر الجزائري).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (386/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(6) انظر: (التفسير الميسر) برقم (386/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

(7) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (576/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

{إِلَى أُمِّ مُوسَى} ..... وَهُوَ الْمَوْلُود الْمَذْكُور وَلَمْ يَشْعُر بِوِلَادَته غَيْر أُخْته.

{أَنْ أَرْضِعِيه} .... ما أمكنك إخفاؤه، ولما وضعت موسى أمه، وخرجت القابلة من عندها، رآها بعض العيون، فقالت أخته: هذا الحرسي بالباب، فألقته أمه في التنور وهو يُسْجَر، فدخلوا فقالوا: ما شأن هذه القابلة عندك؟ قالت: هي مصافية لي فأرضعته ثمانية أشهر،

وقيل: أربعة،

وقيل: ثلاثة.

{أَنْ أَرْضِعِيه فَإِذَا خِفْت عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمّ}....الْبَحْر أَيْ النِّيل.

{فَإِذَا خِفْت عَلَيْه} .... القتلَ.

{فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ} ..... البحر، والمراد هنا: النيل.

{في اليم} ..... أي: في البحر، النَّهْرِ، وَهُوَ نَهْرُ النِّيلِ. (أي: نيل مصر).

{ولا تخافي ولا تحزني} .... أي: لا تخافي أن يهلك ولا تحزني على فراقه، إنا رادوه إليك.

{وَلاَ تَخَافِي} ..... غَرقه، أي:عليه الغرق ولا الضيعة.

{وَلاَ تَحْزَنِي} .... على فراقه.

{إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْك} .... لتربيه.

{إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} ..... فَأَرْضَعَتْهُ ثَلَاثَة أَشْهُر لَا يَبْكِي وَخَافَتْ عَلَيْهِ فَوَضَعَتْهُ فِي تَابُوت مطلي بالقار من داخل مُمَهَّد لَهُ فِيهِ وَأَغْلَقَتْهُ وَأَلْقَتْهُ فِي بَحْر النيل ليلا.

{وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} .... فجمع في هذه الآية بين أمرين ونهيين، وخبرين وبشارتين، والفرق بين الخوف والحزن: أن الخوف غم يلحق لمتوقع، والحزن خوف يلحق لواقع، فخافت عليه، فوضعته في تابوت مطبق، ثم ألقته في النيل ليلًا.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {7} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى} ألهمنا أم مُوسَى يوحانذ بنت لاوي بن يَعْقُوب {أَنْ أَرْضِعِيه} أَن أرضعي هَذَا الصَّبِي {فَإِذَا خِفْت عَلَيْهِ} أَن يضيع {فَأَلْقِيهِ فِي الْيَم} فاطرحيه فِي التابوت والتابوت فِي الْبَحْر {وَلَا تخافي} من الْغَرق {وَلَا تحزني} من الضَّيْعَة أَن لَا يرد إِلَيْك {إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} إِلَى فِرْعَوْن وَقَومه. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {7} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى} وهو وحي إلهام ولا وَحْيَ نُبُوَّة،

قَالَ: (قَتَادَةُ): قَذَفْنَا في قلبها، وأم موسى يوحانذ بِنْتُ لَاوِي بْنِ يَعْقُوبَ،

{أَنْ أَرْضِعِيه} وَاخْتَلَفُوا فِي مُدَّة الرَّضَاع،

قيل: ثَمَانِيَةَ أَشْهُر.

وقيل: أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ.

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (7) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

وقيل: ثلاثةُ أَشْهرٍ كَانَتْ تُرْضِعُهُ فِي حِجْرِهَا، وَهُوَ لَا يَبْكِي وَلَا يَتَحَرَّكُ،

{فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ} يَعْنِي منَ الذَّبْحِ،

{فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ} وَالْيَمُّ الْبَحْرُ وَأَرَادَ هَاهُنَا النِّيلَ،

{وَلَا تَخَافِي} قِيلَ: لَا تَخَافِي عَلَيْهِ مِنَ الْغَرَقِ، يَعْنِي:- منَ الضَّيْعَةِ،

{وَلَا تَحْزَنِي} عَلَى فِرَاقِهِ،

{إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} رَوَى (عطاءٌ) عَنْ (الضَّحَّاك) عَنْ (ابْنِ عَبَّاس)- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ. إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا كَثُرُوا بِمِصْرَ اسْتَطَالُوا عَلَى النَّاسِ وَعَمِلُوا بِالْمَعَاصِي وَلَمْ يَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَلَمْ يَنْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ فَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْقِبْطَ فَاسْتَضْعَفُوهُمْ إِلَى أن أنجاهم الله على يد نبيه. (1)

* * *

(قصة موسى) في أول حياته، قوله تعالى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (7) فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (8) وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (9) وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (10) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (11) وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (12))

* * *

انظر: سورة {طه}- الآية {37-41}.-

كما قال تعالى: {وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (37) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (38) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (39) إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى (40) وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (41)}.

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {7} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ}.

ذَكَرُوا أَنَّ فِرْعَوْنَ لَمَّا أَكْثَرَ مِنْ قَتْلِ ذُكُورِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، خَافَتِ الْقِبْطُ أَنْ يُفْنِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَيَلُونَ هُمْ مَا كَانُوا يَلُونَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ. فَقَالُوا لِفِرْعَوْنَ: إِنَّهُ يُوشِكُ -إِنِ اسْتَمَرَّ هَذَا الْحَالُ -أَنْ يَمُوتَ شُيُوخُهُمْ، وَغِلْمَانُهُمْ لَا يَعِيشُونَ، وَنِسَاؤُهُمْ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَقُمْنَ بِمَا يَقُومُ بِهِ رِجَالُهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ، فَيَخْلُصَ إِلَيْنَا ذَلِكَ. فَأَمَرَ بِقَتْلِ الْوِلْدَانِ عَامًا

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (7).

وَتَركهم عامًا، فَوُلِدَ هَارُونُ، عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فِي السَّنَةِ الَّتِي يَتْرُكُونَ فيهَا الْوِلْدَانَ، وَوُلِدَ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فِي السَّنَةِ الَّتِي يَقْتُلُونَ فِيهَا الْوِلْدَانَ، وَكَانَ لفِرْعَوْنَ أُنَاسٌ مُوكَّلُونَ بِذَلِكَ، وَقَوَابِلُ يَدُرْنَ عَلَى النِّسَاءِ، فَمَنْ رَأَيْنَهَا قَدْ حَمَلَتْ أَحْصَوُا اسْمَهَا، فَإِذَا كَانَ وَقْتُ وِلادَتِهَا لا يَقْبَلُهَا إلاَ نِسَاءُ الْقِبْطِ، فَإِذَا وَلَدَتِ الْمَرْأَةُ جَارِيَةً تَرَكْنَهَا وَذَهَبْنَ، وَإِنْ وَلَدَتْ غُلاَمًا دَخَلَ أُولَئِكَ الذبَّاحون، بِأَيْدِيهِمُ الشِّفَارُ الْمُرْهَفَةُ، فَقَتَلُوهُ وَمَضَوْا قَبَّحَهُم اللَّهُ.

فَلَمَّا حَمَلَتْ أُمُّ مُوسَى بِهِ، عَلَيْهِ السَّلاَمُ، لَمْ يَظْهَرْ عَلَيْهَا مَخَايِلُ الْحَمْلِ كَغَيْرِهَا، وَلَمْ تَفطنْ لَهَا الدَّايَاتُ، وَلَكِنْ لَمَّا وَضَعَتْهُ ذَكَرًا ضَاقَتْ بِهِ ذرعًا، وَخَافَتْ عَلَيْهِ خَوْفًا شَدِيدًا وَأَحَبَّتْهُ حُبًّا زَائِدًا، وَكَانَ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلاَمُ، لا يَرَاه أَحَدٌ إلا أَحَبَّهُ، فَالسَّعِيدُ مَنْ أَحَبَّهُ طَبْعًا وَشَرْعًا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي} {طَه: 39}.

فَلَمَّا ضَاقَتْ ذرعًا بِهِ أُلْهِمَتْ فِي سِرِّهَا، وَأُلْقِي فِي خَلَدِهَا، وَنُفِثَ في رَوْعِهَا، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ}.

وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَتْ دَارُهَا عَلَى حَافَّةِ النِّيلِ، فَاتَّخَذَتْ تَابُوتًا، ومهدت فِيهِ مَهْدًا، وَجَعَلَتْ تُرْضِعُ وَلَدَهَا، فَإِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا أَحَدٌ مِمَّنْ تَخَافُ جَعَلَتْهُ فِي ذَلِكَ التَّابُوت، وَسَيَّرَتْهُ فِي الْبَحْرِ، وَرَبَطَتْهُ بِحَبْلٍ عِنْدَهَا. فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ دَخَلَ عَلَيْهَا مَنْ تَخَافُهُ، فَذَهَبَتْ فَوَضَعَتْهُ فِي ذَلِكَ التَّابُوت، وَأَرْسَلَتْهُ فِي الْبَحْرِ وَذَهَلَتْ عَنْ أَنْ تَرْبطَهُ، فَذَهَبَ مَعَ الْمَاءِ وَاحْتَمَلَهُ، حَتَّى مَرَّ بِهِ عَلَى دار فِرْعَوْنَ، فَالْتَقَطَهُ الْجَوَارِي فَاحْتَمَلْنَهُ، فَذَهَبْنَ بِهِ إِلَى امْرَأَة فِرْعَوْنَ، وَلاَ يَدْرِينَ مَا فِيهِ، وَخَشِينَ أَنْ يَفْتَتْنَ عَلَيْهَا فِي فَتْحِهِ دُونَهَا. فَلَمَّا كَشَفَتْ عَنْهُ إِذَا هُوَ غُلاَمٌ مِنْ أَحْسَنِ الْخَلْقِ وَأَجْمَلِهِ وَأَحْلاَهُ وَأَبْهَاهُ، فَأَوْقَعَ اللَّهُ مَحَبَّتَهُ فِي قَلْبِهَا حِينَ نَظَرَتْ إِلَيْهِ، وَذَلِكَ لِسَعَادَتِهَا وَمَا أَرَادَ اللَّهُ مِنْ كَرَامَتِهَا وَشَقَاوَةِ بَعْلِهَا" [1]

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآيَةُ {7} قوله تعالى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى} حين ولدت موسى {أَنْ أَرْضِعِيهِ}. وكان (قَتَادة) يقول، في معنى ذلك {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى}: قذفنا في قلبها.

* * *

قال: الإمام (الطبري)– (رحمه الله) – في (تفسيره):–

(بسنده الحسن) – حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا (سعيد)، عن (قَتَادة): (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى) وحيًا جاءها من الله، فقذف في قلبها، وليس بوحي نبوة، أن أرضعي موسى، (فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي) ... الآية.. [2]

* * *

قال: الإمام (الطبري)– (رحمه الله) – في (تفسيره):–

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني أبو سفيان، عن (معمر)، عن (قَتَادة):

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص الآية (7).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (519/19).

قوله : (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى) قال: قذف في نفسها. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري)– (رحمه الله) – في (تفسيره):– حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا (أسباط)، عن (السدي)، قال: أمر فرعون أن يذبح مَن وُلد من بني إسرائيل سنة، ويتركوا سنة" فلما كان في السنة التي يذبحون فيها حملت بموسى" فلما أرادت وضعه، حزنت من شأنه، فأوحى الله إليها (أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ) (2).

* * *

قال: الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):– {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {7} قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَأَوْحَيْنا إلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ) قَدْ تَقَدَّمَ مَعْنَى الْوَحْيِ وَمَحَامِلِهِ. وَاخْتُلِفَ فِي هَذَا الْوَحْيِ إِلَى أُمِّ مُوسَى، فَقَالَتْ فِرْقَةٌ: كَانَ قَوْلًا فِي مَنَامِهَا.

وَقَالَ: (قَتَادَةُ): كَانَ إِلْهَامًا وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: كَانَ بِمَلَكٍ يُمَثَّلُ لَهَا،

قَالَ: (مُقَاتِلٌ): " أَتَاهَا جِبْرِيلُ بِذَلِكَ، فَعَلَى هَذَا هُوَ وَحْيُ إِعْلَامٍ لَا إِلْهَامٍ وَأَجْمَعَ الْكُلُّ عَلَى أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ نَبِيَّةً، وَإِنَّمَا إِرْسَالُ الْمَلَكِ إِلَيْهَا عَلَى نَحْوِ تَكْلِيمِ الْمَلَكِ لِلْأَقْرَعِ وَالْأَبْرَصِ وَالْأَعْمَى. (3)

* * *

انظر: (تفسير القرآن العظيم) – المنسوب – للإمام (الطبراني):– {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {7} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَوْحَيْنَآ إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ} " لَم يُرِدْ بالوحي وحيَ الرِّسالة ، وإنَّما أراد الإلْهَامَ كما في قولهِ تعالى: {وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ} {النحل: 68} .

ويقالُ: أرَاهَا اللهُ في المنامِ فعرفته بتفسير الرُّؤيا. وقال بعضُهم: أتاها ملائكةٌ خاطَبُوها بهذا الكلامِ. واسمُ أُمِّ موسى نُوخَابدُ بنتُ لاوي بن يعقوب.

قال: (وهبُ بن منبه): (لَمَّا حملَتْ أُمُّ موسَى بموسَى كتَمَتْ أمرَها عن جميعِ النَّاس فلم يطَّلِعْ على حَملها أحدٌ من خلق الله تعالى ، فلما كانت السَّنةُ التي ولِدَ فيها موسَى بَعَثَ فرعون القوابلَ يُفَتِّشْنَ النساء ، وحَمَلَتْ أمُّ موسى ولَم يَنْتَأْ بطنُها ، ولَم يتغيَّر لونُها، ولَم يظهر لبَنُها ، وكانت القوابلُ لا تتعرضُ لَها ، فلما كانت الليلةُ التي وُلِدَ فيها ولدَتْهُ أُمُّهُ ولا رقيبَ عليها ولا قابلةَ ، لَم يَطَّلعْ عليه أحدٌ إلاّ أختَهُ).

ثم أوحَى اللهُ إليها: أنْ أرْضِعيْه ، {فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ} " قال: فكتمَتْهُ ثلاثةَ أشهُرٍ ترضعهُ في حجرها لا يبكي ولا يتحرك ، فلما خافَتْ عليه عملَتْ له تَابُوتاً مطبقاً ومهدت له فيه ، ثم ألقتْهُ في البحرِ ليلاً كما أمرَها اللهُ ، فلما أصبحَ فرعونُ جلسَ في مجلسه على شاطئ النِّيل ، فبَصُرَ بالتابوت ، فقالَ لمن حولَهُ: ائْتُوني بهذا التابوت ، فأتوا به ، فلما وُضِعَ بين يديه فتحوهُ ، فوجدوا فيه موسَى ، فلما نَظَرَ

---

(1) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (7)، للإمامْ (الطبري).
(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (7)، للإمامْ (الطبري).
(3) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (7)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

إليه فرعونُ إغتاظَ وقالَ: كيف أخطأ هذا الغلامَ الذبحُ؟!

وكان لفرعونَ امرأةٌ يقال لها آسيةُ من خيار النِّساء من بنات الأنبياء، وكانت أُمّاً للمسلمينَ ترحمُهم وتتصدَّقُ عليهم، فقالت لفرعونَ وهي قاعدةٌ إلى جَنبه: هذا الولدُ أكبرُ من ولد سنة وأنتَ إنَّما أمرتَ أن تذبحَ الوِلْدانَ بهذه السَّنة، فدَعْهُ يكون قُرَّةَ عَيْنٍ لي ولك، لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أنْ يَنْفَعَنَا أوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً، فقال فرعونُ لَها: عسى أن ينفعَك، فأما أنا فلا أريدُ نفعَهُ.

قال وهبُ: (لو قالَ فرعون كما قالت امرأتُهُ: عَسَى أنْ يَنْفَعَنَا " لنفعَهُ اللهُ بِه، ولكنه أبَى أن يقولَ للشَّقاءِ الذي كتبَهُ الله عليه، فتركَهُ فرعونُ ولَمْ يقتُلْهُ)

قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَنْ أَرْضِعِيهِ} أي أرْضِعيه ما لَم تَخافي عليه الطلبَ، فإذا خفتِ عليه الطلبَ {فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ} أي في البحر، فقالت: يَا رب، إنِّي أخافُ عليه حيتانَ البحر، فَأمرَتْ أنْ تجعلَهُ في تابوت مُقيَّر، فذهبت إلى النَّجَّار، فَأَمرَتْهُ أن يصنعَ لَها تابوتاً على قدره، فعرفَ ذلك فذهبَ إلى الْمُوكَّلِيْنَ بذبح بني إسرائيل ليُخبرَهم بذلك، فلما انتهَى إليهم أُعقلَ لسانهُ فلم يُطق الكلامَ، فجعلَ يشيرُ بيده فلم يفهَموا، فقال كبيرُهم: اضْرِبُوهُ " فضربوهُ وأخرَجوهُ، فلما انتهَى النجَّارُ إلى موضعه ردَّ اللهُ عليه لسانَهُ، فرجعَ إليهم ليخبرَهم فاعتقَلَ لسانُهُ، فجعلَ يشيرُ إليهم بيده، فلم يَفْهَموهُ فضربوهُ، ففعلَ ذلك ثلاثَ مرَّات، فعرفَ أنه من عند الله تعالى، فَخَرَّ لله ساجداً وأسلَمَ، ثم صَنَعَ التابوتَ وسَلَّمَهُ إلى أمِّ موسى فوضعتْهُ فيه وألْقَتْهُ في النِّيل.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي} " أي لاَ تَخافي من الغرقِ والْهَلاَك، ولا تَحزَني لفراقه،

{إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} " إلى فرعونَ وقومه.(1)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {7} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وأوحينا إلى أم مُوسَى} أيْ: قَذَفَ فِي قَلْبِهَا، وَلَيْسَ بِوَحْيِ النُّبُوَّة. {أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذا خفت عَلَيْهِ} الطّلب.

{فألقيه فِي اليم} {فِي الْبَحْر} (وَلاَ تخافي} عَلَيْهِ الضَّيْعَة

{وَلاَ تحزني} {أَنْ يُقْتَل} (إِنَّا رادُّوهُ إِلَيْك} قَالَ: (قَتَادَةُ): فَجَعَلَتْهُ فِي تَابُوت، ثمَّ قَذَفته فِي الْبَحْر.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {7} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ}.

فأول ذلك، لما أوجد الله رسوله موسى، الذي جعل استنقاذ هذا الشعب الإسرائيلي على

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام (الطبراني) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (7)، انظر: (المكتبة الشاملة)

(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (7) للإمام ابن أبي زمنين المالكي).

يديه وبسببه، وكان في وقت تلك المخافة العظيمة، التي يذبحون بها الأبناء، أوحى إلى أمه أن ترضعه، ويمكث عندها.

{فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ} بأن أحسست أحدا تخافين عليه منه أن يوصله إليهم،

{فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ} أي نيل مصر، في وسط تابوت مغلق،

{وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} فبشرها بأنه سيرده عليها، وأنه سيكبر ويسلم من كيدهم، ويجعله الله رسولا.

وهذا من أعظم البشائر الجليلة، وتقديم هذه البشارة لأم موسى، ليطمئن قلبها، ويسكن روعها، فإنها خافت عليه، وفعلت ما أمرت به، ألقته في اليم، فساقه الله تعالى. (1)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {7} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ}.

هذه بداية قصة موسى مع فرعون وهو طفل رضيع إلى نهاية هلاك فرعون في ظرف طويل بلغ عشرات السنين. بدأ تعالى بقوله تعالى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى} أي: أعلمناها من طريق الإلقاء في القلب {أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ} آل فرعون الذين يقتلون مواليد بني إسرائيل المذكور في هذه السنة {فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ} أي بعد أن تجعليه في تابوت أي صندوق خشب مطلي بالقار، {وَلا تَخَافِي} عليه الهلاك {وَلا تَحْزَنِي} على فراقك له {إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ} لترضعيه {وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} نرسله إلى عدوكم فرعون وملائه. (2)

* * *

[٨] ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فامتثلت ما ألهمناها من وضعه في صندوق، ورميه في النهر، فعثر عليه آل فرعون فأخذوه، ليتحقق ما أراداه الله من أن موسى سيكون عدواً لفرعون يزيل الله ملكه على يده، جالبًا لحزنهم، إن فرعون ووزيره هامان وأعوانهما كانوا آثمين بسبب كفرهم وطغيانهم، وإفسادهم في الأرض. (3)

* * *

فوضعته في صندوق وألقته في النيل، فعثر عليه أعوان فرعون وأخذوه، فكانت عاقبةُ ذلك ما قدره الله بأن يكون موسى عدوا لهم بمخالفة دينهم، وموقعا لهم في الحزن

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (7)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (7)، للشيخ: (أبو بكر الجزائري).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (386/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

بـإغراقهم وزوال ملكهـم علـى يـده. إن فرعـون وهامان وأعوانهما كانوا آثمين مشركين. (1)

* * *

فأخـذه آل فرعـون ليتحقـق مـا قـدَّره الله بـأن يكـون موسـى رسـولا معاديـا لهـم، ومـثيرا لحـزنهم بنقـد ديـنهم والطعـن علـى ظلمهـم. إن فرعـون وهامـان وأعوانهمـا كـانوا آثمـين مسرفين فى الطغيان والفساد. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فالتقطـه آل فرعـون}.... أي: أعوانـه ورجاله.

أي: أخـذوه، والالتقـاط: هـو وجـود الشـيء مـن غير طلب،

{فَالْتَقَطَهُ}..... بِالتَّابُوتِ صَبِيحَةَ اللَّيْل.

{آل}.... أَعْوَان.

{فِرْعَـوْن}..... فَوَضَـعُوهُ بَـيْنَ يَدَيْـهِ وَفُـتِحَ وَأُخْرِجَ مُوسَى مِنْهُ وَهُوَ يَمص مِنْ إبْهَامه لَبَنًا.

{لِيَكُونَ لَهُمْ}.... فِي عَاقِبَة الْأَمْر.

{عَدُوًّا}.... يَقْتُل رِجَالهمْ.

{وَحَزَنًـا}.... يَسْـتَعْبِد نِسَـاءَهُمْ وَفِـي قِـرَاءَة بِضَـمِّ الْحَـاء وَسُـكُون الـزَّاي لُغَتَـانِ فِـي الْمَصْـدَر وَهُـوَ هُنَـا بِمَعْنَـى اسْـم الْفَاعِـل مِـنْ حَزَّنَـهُ كَأَحْزَنَهُ.

{إنَّ فِرْعَوْن وَهَامَان}..... وَزِيره.

{لِيَكُـونَ لَهُـمْ عَـدُوًّا وَحَزَنًـا}... أي: لتَكُـونَ العاقبـةُ والمـآلُ مـن هـذا الالتقـاط، أن يكـون عَـدُوًّا لهـم وحَزَنًـا يُحْـزِنُهُمْ، بِسَـبَبِ أن الحـذر لا يَنْفَـعُ مـن القَـدَرِ، وأن الَّـذي خَـافُوا منـه مـن بَنـي إسـرائيل، قَـيَّضَ اللهُ أن يكـونَ زَعِـيمَهُمْ، يَتَرَبَّـى تَحْتَ أَيْدِيهِمْ وعلى نَظَرِهِمْ وبِكَفَالَتِهِمْ.

{وَجُنُودهمَـا كَـانُوا خَـاطِئِينَ}.... مِـنْ الْخَطِيئَـة أَيْ: عَاصِـينَ فَعُوقِبُـوا عَلَـى يَدَيْـهِ. (أي: في عاقبة الأمر، فاللام للعاقبة والصيرورة).

{خَـاطِئِينَ}... آثِمِـينَ. عاصـين أو خـاطئين فـى تربية عدوهم.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسـير ابـن عبـاس) - قـال: الإمَـامُ (مجـد الـدين الفـيروز آبـادى) - (رحمـه الله):- {سُـورَةُ الْقَصَـص} الآيـة {8} قَوْلُـهُ تَعَـالَى:

{فالتقطـه} فرفعـه {آل فِرْعَـوْن} جـواري فِرْعَـوْن مـن بَـين المَـاء وَالشَّـجر فَأَخذتـه وذهبـن بِـهِ إِلَـى امْـرَأَة فِرْعَـوْن {لِيَكُونَ لَهُـمْ عَـدُواً} مـن بعـد مَـا يَجِـيء إِلَـيْهِم بالرسـالة {وَحَزَنـاً} بـذهاب ملكهـم {إِنَّ فِرْعَـوْنَ وَهَامَـانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَاطِئِينَ} مُشْرِكين. (3)

* * *

قـال: الإمَـامُ (البغـوي) - (مُحيـي السُـنَّة) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- {سُـورَةُ الْقَصَـص} الآيـة {8} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {فَالْتَقَطَـهُ آلُ فِرْعَـوْنَ} وَالِالْتِقَـاطُ هُـوَ وُجُـودُ الشَّـيْءِ مِـنْ غَيْرِ طَلَب،

{لِيَكُـونَ لَهُـمْ عَـدُوًّا وَحَزَنًـا} وَهَـذِهِ الـلَّامُ تُسَـمَّى لَامَ الْعَاقِبَـةِ وَلَامَ الصَّـيْرُورَةِ لِـأَنَّهُمْ لَـمْ يَلْتَقِطُـوهُ لِيَكُـونَ لَهُـمْ عَـدُوًّا وَحَزَنًـا وَلَكِـنْ صَـارَ عَاقِبَـةُ أَمْرِهِمْ إِلَى ذَلِكَ،

---

(1) انظـر: (التفسـير الميسـر) بـرقم (386/1)، المؤلـف: (نخبـة مـن أسـاتذة التفسير)،

(2) انظـر: (المنتخـب في تفسـير القـرآن الكـريم) بـرقم (576/1)، المؤلـف: (لجنة من علماء الأزهر)،

(3) انظـر: (تنـوير المقبـاس مـن تفسـير ابـن عبـاس) في سُـورَةُ (الْقَصَـص) الآيـة (8) يُنسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

قَرأَ: (حَمْزَةُ)، وَ(الْكِسَائِيُّ) (حُزْنًا) بِضَمِّ الْحَاءِ وَسُكُونِ الزَّايِ،
وَقَرأَ الْآخَرُونَ: بِفَتْحِ الْحَاءِ وَالزَّايِ وَهُمَا لُغَتَانِ،
{إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ} عَاصِينَ آثِمِينَ. (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {8} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا}.

قَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ) وَغَيْرُهُ: "اللَّامُ هُنَا لَامُ الْعَاقِبَةِ لَا لَامُ التَّعْلِيلِ" لِأَنَّهُمْ لَمْ يُرِيدُوا بِالْتِقَاطِهِ ذَلِكَ. وَلَا شَكَّ أَنَّ ظَاهِرَ اللَّفْظِ يَقْتَضِي مَا قَالُوهُ، وَلَكِنْ إِذَا نُظِرَ إِلَى مَعْنَى السِّيَاقِ فَإِنَّهُ تَبْقَى اللَّامُ لِلتَّعْلِيلِ" لِأَنَّ مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى، قَيَّضَهُمْ لِالْتِقَاطِهِ لِيَجْعَلَهُ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا فَيَكُونَ أَبْلَغَ فِي إِبْطَالِ حَذَرِهِمْ مِنْهُ" وَلِهَذَا قَالَ: {إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ}.

وَقَدْ رُوِيَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ) أَنَّهُ كَتَبَ كِتَابًا إِلَى قَوْمٍ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ، فِي تَكْذِيبِهِمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَبِأَقْدَارِهِ النَّافِذَةِ فِي عِلْمِهِ السَّابِقِ: وَمُوسَى فِي عِلْمِ اللَّهِ السَّابِقِ لِفِرْعَوْنَ عَدُوٌّ وَحَزَنٌ،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ}، وَقُلْتُمْ أَنْتُمْ: لَوْ شَاءَ فِرْعَوْنُ أَنْ يَكُونَ لِمُوسَى وَلِيًّا وَنَصِيرًا، وَاللَّهُ يَقُولُ: {لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا}. (2)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {8} قوله تعالى: {فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ}.

يقول تعالى ذكره: فالتقطه آل فرعون فأصابوه وأخذوه" وأصله من اللقطة، وهو ما وُجد ضالا فأخذ، والعرب تقول: لما وردت عليه فجأة، من غير طلب له ولا إرادة، أصبته التقاطا، ولقيت فلانا التقاطا" (3)

* * *

قَالَ: الإمام (الطبري)– (رحمه الله) - في (تفسيره):– (بسنده الحسن) – عن (السدي): (فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ) قال: هو البحر النيل. (4)

* * *

قَالَ: الإمام (الطبري)– (رحمه الله) - في (تفسيره):– (بسنده الحسن) – عن (قتادة): قوله: (فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا) عدواً لهم في دينهم، وحزنا لما يأتيهم. (5)

* * *

انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب – للإمام (الطبراني):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {8} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ} " قَالَ: (ابن

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (8).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَامِ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (8).

(3) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (8)، لِلإِمَامِ (الطبري).

(4) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمام (الطبري) (19/520).

(5) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمام (الطبري) (19/524).

عبَّاس): (لَمَّا أَلْقَتْهُ أُمُّهُ فِي الْبَحْرِ أَقْبَلَ تَهْوِي بِهِ الْأَمْوَاجُ حَتَّى اختار مَنْزِلَ فِرْعَوْنَ، فَخَرَجَتْ جَوَارِي فِرْعَوْنَ تَسْتَقِينَ الْمَاءَ، فَأَبْصَرَتِ التَّابُوتَ بَيْنَ الشَّجَرِ وَالْمَاءِ فَأَخْرَجْتُهُ وَذَهَبَتْ بِهِ إِلَى امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، فَذلك قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ}.

وقولُهُ تعالى: {لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً}" هذه (لام) العاقبة لأنَّ أحداً لا يلتقطُ الولدَ ليكون له عدُوّاً، ونظيرُ هذا قولُهم: لِدُوا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخَرَاب.

وقولُهُ تعالى: {وَحَزَناً}، قرأ: (أهل الكوفة): إلاّ عاصماً بضمِّ الحاءِ وجزم الزَّاي وهما لُغتان، مثل السَّقَم والسُّقْم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ} أي: متعمِّدين في الإقامة على الكُفْرِ والمعصية، يقالُ: خطأَ فُلانٌ يُخْطِئُ خطأً إذا تعمَّدَ الذنبَ وأخطأَ إذا وَقَعَ منهُ على غيرِ الصَّواب،

يَعْنِي:- معناهُ: إنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كانُوا آثمينَ عاصِينَ. (1)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {8} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فالتقطه آل فِرْعَوْن} .... قَالَ: (يَحْيَى): بَلَغَنِي أَنَّ الْغَسَّالاَتِ عَلَى النِّيلِ الْتَقَطْنَهُ.

{لِيَكُونَ لَهُمْ عدوا} {في دينهم} (وحزنا) يُحْزِنُهُمْ بِهِ.

قَالَ: (مُحَمَّدٌ): قَوْلُهُ: {لِيَكُون لَهُم عدوا وحزنا} أَيْ: لِيَصِيرَ الْأَمْرُ إِلَى ذَلِكَ" لَا أَنَّهُمْ طَلَبُوهُ وَأَخَذُوهُ لِذَلِكَ، وَمِثْلُهُ مِنَ الْكَلَامِ قَوْلُهُمْ لِلَّذِي كَسَبَ مَالًا" فَأَدَّاهُ ذَلِكَ إِلَى الْهَلَاكِ: إِنَّمَا كَسَبَ فُلَانٌ لِحَتْفِهِ، وَهُوَ لَمْ يَطْلُبِ الْمَالَ لِحَتْفِهِ، وَلَكِنْ صَارَ الْأَمْرُ إِلَى ذَلِكَ وَهَذِهِ اللَّامُ يُسَمِّيهَا بَعْضُ النَّحْوِيِّينَ لَامَ الصيرورة. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {8} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ} فصار من لقطهم، وهم الذين باشروا وجدانه، {لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا} أي: لتكون العاقبة والمآل من هذا الالتقاط، أن يكون عدوا لهم وحزنا يحزنهم، بسبب أن الحذر لا ينفع من القدر، وأن الذي خافوا منه من بني إسرائيل، قيض الله أن يكون زعيمهم، يتربى تحت أيديهم، وعلى نظرهم، وبكفالتهم.

وعند التدبر والتأمل، تجد في طي ذلك من المصالح لبني إسرائيل، ودفع كثير من الأمور الفادحة بهم، ومنع كثير من التعديات قبل رسالته، بحيث إنه صار من كبار المملكة.

وبالطبع، إنه لا بد أن يحصل منه مدافعة عن حقوق شعبه هذا، وهو ذو الهمة العالية والغيرة المتوقدة، ولهذا وصلت الحال بذلك الشعب المستضعف -الذي بلغ بهم الذل والإهانة إلى ما قص الله علينا بعضه - أن

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام (الطبراني) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (8)، انظر: (المكتبة الشاملة)

(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (8) للإمام ابن أبي زمنين المالكي).

صار بعض أفراده، ينازع ذلك الشعب القاهر العالي في الأرض، كما سيأتي بيانه.
وهذا مقدمة للظهور، فإن الله تعالى من سنته الجارية، أن جعل الأمور تمشي على التدريج شيئا فشيئا، ولا تأتي دفعة واحدة. (1)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسير):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {8} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ} أي: فعلت ما أمرها الله تعالى به بأن جعلته في تابوت وألقته في اليم أي: النيل.
{فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ} حيث وجدوه لقطة فأخذوه وأعطوه لآسية بنت مزاحم عليها السلام امرأة فرعون.
وقوله تعالى: {لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا} هذا باعتبار ما يؤول إليه الأمر فهم ما التقطوه لذلك لكن شاء الله ذلك فكان لهم.
{عدوّاً وَحزَناً} (2) فعاداهم وأحزنهم. (3)

* * *

[٩] ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولما أراد فرعون قتله قالت له امرأته: هذا الولد مصدر سرور لي ولك، لا تقتلوه لعله ينفعنا بالخدمة، أو نتخذه ولداً بالتبني، وهم لا يعلمون ما سيؤول إليه ملكهم على يده. (4)

* * *

ولَّما شاهدته امرأة فرعون ألقى الله محبته في قلبها، وقالت لفرعون: هذا الطفل سيكون مصدر سرور لي ولك، لا تقتلوه" فقد نصيب منه خيراً أو نتخذه ولداً، وفرعون وآله لا يدركون أن هلاكهم على يديه. (5)

* * *

وقالت امرأة فرعون – حين رأته – لزوجها: هذا الطفل مبعث السرور لى ولك. نستبقيه ولا نقتله رجاء أن ننتفع به فى تدبير شأننا أو نتبناه، وهم لا يشعرون بما قدر الله فى شأنه. (6)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ} ...... وَقَدْ هَمَّ مَعَ أَعْوَانِه بقتله هو.
{قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي} ... مَصْدَرُ سُرُورٍ لِي.
{قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ} .... مبعث سرور واطمئنان لى ولك. .
(أي: تقر به عيني وعينك فنفرح به ونسر).

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (8)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).
(2) - الحزن: محرك الوسط كالحزن بإسكانها وضم الحاء مثل الرَشَد والرُشْد والعَدَم والعُدْم والسَقَم والسُقْم لغات.
(3) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (8)، للشيخ: (أبو بكر الجزائري).
(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (386/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (386/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(6) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (576/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ} ..... بِعاقِبَةِ أَمْرِهِمْ مَعَهُ

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {9} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالَتِ امْرَأَة فِرْعَوْنَ} آسية بنت مُزَاحم وَكَانَت عمَّة مُوسَى {قُرَّةُ عَيْنٍ لِّي} هَذَا الْغُلَام {وَلَك} يَا فِرْعَوْن {لاَ تَقْتُلُوهُ عَسى أَن ينفعنا} فِي ضيعتنا {أَو نتخذه ولدا} أَو نتبناه {وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ} بَنو إِسْرَائِيل لاَ يعلمُونَ أَنه لَيْسَ منا وَيُقَال وهم لاَ يَشْعُرُونَ أَن هلاكهم على يَدَيْهِ. (1)

* * *

قال: الإمَام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {9} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ} دعه يكون قُرَّةَ عَيْنٍ لِي وَلَكَ، {لَا تَقْتُلُوهُ} وَرُوِيَ أَنَّهَا قَالَتْ لَهُ إِنَّهُ أَتَانَا مَنْ أَرْضٍ أُخْرَى لَيْسَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، {عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} أَنَّ هَلَاكَهُمْ عَلَى يَدَيْهِ فَاسْتَحْيَاهُ فِرْعَوْنُ وَأَلْقَى اللَّهُ عَلَيْهِ مَحَبَّتَهُ. (2)

* * *

قال: الشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {9} قوله تعالى:

{وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}..

وأحبه فرعون وزوجته آسية بنت مزاحم وابنته حبًّا شديداً، فقال الغواة من قوم فرعون: أيها الملك! إن ذلك المولود الذي تحذر منه من بني إسرائيل هو هذا، رمي به في البحر فرقًا، فاقتله، فهم فرعون بقتله، فثبطته عنه آسية، وكانت من خيار النساء من بنات الأنبياء من بني إسرائيل، وكانت أمًا للمساكين، ترحمهم وتتصدق عليهم.

{وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ} أي: هو قرة.

{عَيْنٍ لِي وَلَكَ} وقف (ابن كثير)، و(أبو عمرو)، و(الكسائي)، و(يعقوب): (امْرَأَهْ) (قُرَّهْ) بالهاء فيهما. (3)

{لَا تَقْتُلُوهُ} قال - صلى الله عليه وسلم -: ((لو قالت يومئذ: قرة عين لي كما هو لك، لهداه الله كما هداها))، (4)

فاستوهبت آسية موسى من فرعون، فوهبها إياه، فتوسمت فيه النجابة.

فقالت: {عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا} في مهامنا.

{أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا} نتبناه.

{وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} أن هلاكهم على يده، وسمته آسية موسى؛ لأن تابوته وجد بين الماء والشجر، والماء في لغتهم (مو)، والشجر (شا).

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (9) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَام (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (9).

(3) انظر: "إتحاف فضلاء البشر" للدمياطي (ص: 341)، و"معجم القراءات القرآنية" (5/ 7).

(4) رواه الإمام (النسائي) في "السنن الكبرى" (11326)، والإمام (ابن أبي حاتم) في "تفسيره" (9/ 2944).

قـال: (ابـن عبـاس): "لـو أن عـدو الله قـال في موسى كما قالت آسية: ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾، لنفعه الله، ولكنه أبي" للشقاء الذي كتبه الله عليه". (1)

* * *

قال: الإمامْ (إبـن كـثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- ﴿سُورَةُ الْقَصَصِ﴾ الآية ﴿9﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ يَعْنِي: أَنَّ فِرْعَوْنَ لَمَّا رَآهُ هَمَّ بِقَتْلِهِ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَجَعَلَتِ امْرَأَتُهُ آسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِم تُحَاجُّ عَنْهُ وتذب دُونَهُ، وَتُحَبِّبُهُ إِلَى فِرْعَوْنَ، فَقَالَتْ: ﴿قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ﴾ فَقَالَ: أَمَّا لَكِ فَنَعَم، وَأَمَّا لِي فَلَا. فَكَانَ كَذَلِكَ، وَهَدَاهَا اللَّهُ بِهِ، وَأَهْلَكَهُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ،

وَقَوْلُهُ": ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾، وَقَدْ حَصَلَ لَهَا ذَلِكَ، وَهَدَاهَا اللَّهُ بِهِ، وَأَسْكَنَهَا الْجَنَّةَ بِسَبَبِهِ. وَقَوْلُهَا: ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ أَيْ: أَرَادَتْ أَنْ تَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَتَتَبَنَّاهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ مِنْهُ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أَيْ: لَا يَدْرُونَ مَا أَرَادَ اللَّهُ مِنْهُ بِالْتِقَاطِهِمْ إِيَّاهُ، مِنَ الْحِكْمَةِ الْعَظِيمَةِ الْبَالِغَةِ، وَالْحُجَّةِ الْقَاطِعَةِ. (2)

* * *

قـال: الإمـامْ (الطـبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- ﴿سُورَةُ الْقَصَصِ﴾ الآية ﴿9﴾ قوله تعالى: (وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ) له هذا (قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ) يا فرعون" فقرة عين مرفوعة بمضمر هو هذا، أو هو.

* * *

قـال: الإمام (الطبري)– (رحمه الله) – في (تفسيره):– (بسنده الحسن) – عن (قتادة): قالت: امرأة فرعون: (قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ) تعني: بذلك موسى. (3)

* * *

وقوله: (لا تَقْتُلُوهُ) مسألة من امرأة فرعون أن لا يقتله. وذكر أن المرأة لما قالت هذا القول لفرعون، قال فرعون: أما لك فنعم، وأما لي فلا فكان كذلك.

* * *

وقوله: (لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) ذكر أن امرأة فرعون قالت هذا القول حين همّ بقتله.

قال بعضهم: حين أتي به يوم التقطه من اليم.

وقال بعضهم: يوم نَتَف من لحيته، أو ضربه بعصا كانت في يده. (4)

* * *

قـال: الإمام (الطبري)– (رحمه الله) – في (تفسيره):– (بسنده الحسن) – عن (قتادة): (وَهُمْ لا

---

(1) رواه الإمام (الحاكم) في "المستدرك" (4097).
انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سُورَةُ (القَصَص) الآية (9)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).
(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (9).
(3) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (9)، للإمَامْ (الطبري).
(4) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (9)، للإمَامْ (الطبري).

يَشْعُرُونَ) قال: وهم لا يشعرون أن هلاكهم على يديه، وفي زمانه.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-
حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني سفيان، عن معمر، عن (قتادة): (أو نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ) قال: إن هلاكهم على يديه.

* * *

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى" وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعًا، عن (ابن أبي نجيح)، عن (مجاهد)، قوله: (وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ) قال: آل فرعون إنه لهم عدوّ.

* * *

وقال آخرون: بل معنى ذلك: (وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ) بما هو كائن من أمرهم وأمره.(2)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {9} قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ) يُرْوَى أَنَّ آسِيَةَ امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ رَأَتِ التَّابُوتَ يَعُومُ فِي الْبَحْرِ، فَأَمَرَتْ بِسَوْقِهِ إِلَيْهَا وَفَتْحِهِ فَرَأَتْ فِيهِ صبيا صغيرا فرحمته وأحبته، فقالت لفرعون: "قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ" أَيْ: هُوَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي ولك ف" قُرَّتُ" خَبَرُ ابْتِدَاءٍ مُضْمَرٍ، قَالَهُ (الْكِسَائِيُّ)، وَقَالَ (النَّحَّاسُ): وَفِيهِ وَجْهٌ آخَرُ بَعِيدٌ ذَكَرَهُ (أَبُو إِسْحَاقَ)، قَالَ: يَكُونُ رَفْعًا بِالِابْتِدَاءِ وَالْخَبَرُ" لَا تَقْتُلُوهُ" وَإِنَّمَا بَعُدَ لِأَنَّهُ يَصِيرُ الْمَعْنَى أَنَّهُ مَعْرُوفٌ بِأَنَّهُ قُرَّةُ عَيْنٍ. وَجَوَازُهُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: إِذَا كَانَ قُرَّةَ عَيْنٍ لِي وَلَكَ فَلَا تَقْتُلُوهُ.

وقيل: تَمَّ الْكَلَامُ عِنْدَ قَوْلِهِ:" وَلَكَ".
(النَّحَّاسُ): وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا أَنَّ فِي قِرَاءَةِ (عبد الله بن مسعود)" وقالت امرأت فرعون لا تقتلوه قرت عَيْنٍ لِي وَلَكَ". وَيَجُوزُ النَّصْبُ بِمَعْنَى لَا تَقْتُلُوا قُرَّةَ عَيْنٍ لِي وَلَكَ.
وَقَالَتْ:" لَا تَقْتُلُوهُ" وَلَمْ تَقُلْ لَا تَقْتُلْهُ فَهِيَ تُخَاطِبُ فِرْعَوْنَ كَمَا يُخَاطَبُ الْجَبَّارُونَ، وَكَمَا يُخْبِرُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ.
وقيل: قَالَتْ" لَا تَقْتُلُوهُ" فَإِنَّ اللَّهَ أَتَى بِهِ مِنْ أَرْضٍ أُخْرَى وَلَيْسَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.
(عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا) فَنُصِيبُ مِنْهُ خَيْرًا (أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) وَكَانَتْ لَا تَلِدُ، فَاسْتَوْهَبَتْ مُوسَى مِنْ فِرْعَوْنَ فَوَهَبَهُ لَهَا، وَكَانَ فِرْعَوْنُ لَمَّا رَأَى الرُّؤْيَا وَقَصَّهَا عَلَى كَهَنَتِهِ وَعُلَمَائِهِ- عَلَى مَا تَقَدَّمَ- قَالُوا لَهُ إِنَّ غُلَامًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يُفْسِدُ مُلْكَكَ، فَأَخَذَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِذَبْحِ الْأَطْفَالِ، فَرَأَى أَنَّهُ يَقْطَعُ نَسْلَهُمْ فَعَادَ يَذْبَحُ عَامًا وَيَسْتَحْيِي عَامًا، فَوُلِدَ هَارُونُ فِي عَامِ الِاسْتِحْيَاءِ، وَوُلِدَ مُوسَى فِي عَامِ الذَّبْحِ.
قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) هَذَا ابْتِدَاءُ كَلَامٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، أَيْ: (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) أَنَّ هَلَاكَهُمْ بِسَبَبِهِ.

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (9)، لِلإِمَامْ (الطبري)،
(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (9)، لِلإِمَامْ (الطبري)،

يَعْنِي:- هُوَ مِنْ كَلامِ الْمَرْأَةِ، أَيْ: وَبَنُو إِسْرَائِيلَ لا يَدْرُونَ أَنَّا الْتَقَطْنَاهُ، وَلاَ يَشْعُرُونَ إِلا أَنَّهُ وَلَدُنَا. (1)

* * *

انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام (الطبراني):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآيَة {9} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ} وذلكَ أنَّ فرعون هَمَّ بقَتْلِه ، فقالت له امرأتهُ: ليس من أولادِ بَنِي إسرائيلَ ، وقد أتانَا اللهُ به من أرض أُخرَى ،

{لاَ تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنْفَعَنَا} ، فلاَ تقتلْهُ أيُّها الملكُ، فهو قُرَّةُ عَينٍ لِي ولكَ ، وعسَى أن ينفعَنا في أمورنا ،

{أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ} " أنَّ هلاكَهم على يديه ،

وقيل: (وهم لا يشعرون) أنِّي أفعلُ ما أريدُ ولا أفعلُ ما يَهْوُونَ ، أنَّ هلاكَهم على يديه ،

وقيل: (وهم لا يشعرون) أنِّي أفعلُ ما أريدُ ولا أفعلُ ما يَهْوُونَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {قُرَّتُ عَيْنٍ} مشتقٌّ من القُرُور " وهو الماءُ البارِدُ ، ومعنى قولِهم: أقَرَّ اللهُ عَيْنَكَ " أي: أبردَهُ معك " لأن دمعةَ السُّرور باردةٌ ، ودمعةَ الحزنِ حارَّةٌ. (2)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآيَة {9} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عينٍ لي وَلَك} تَقُولُهُ لفرعَونَ. قَالَ: (قَتَادَةُ): أُلْقِيَتْ عَلَيْه رَحْمَتُهَا حِينَ أَبْصَرَتْهُ.

{لاَ تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ} أَنَّ هَلاَكَهُمْ عَلَى يَدَيْهِ وَفِي زَمَانه. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآيَة {9} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ} أي: فأردنا أن نعاقبهم على خطئهم ونكيد هم، جزاء على مكرهم وكيدهم.

فلما التقطه آل فرعون، حنَّن الله عليه امرأة فرعون الفاضلة الجليلة المؤمنة " آسية " بنت مزاحم " وَقَالَتِ " هذا الولد.

{قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ} أي: أبقه لنا، لتقرَّ به أعيننا، ونستر به في حياتنا.

{عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا} أي: لا يخلو، إما أن يكون بمنزلة الخدم، الذين يسعون في نفعنا وخدمتنا، أو نرقيه منزلة أعلى من ذلك، نجعله ولدا لنا، ونكرمه، و نجله.

فقدَّر الله تعالى، أنه نفع امرأة فرعون، التي قالت تلك المقالة، فإنه لما صار قرة عين لها، وأحبته حبا شديدا، فلم يزل لها بمنزلة الولد الشفيق حتى كبر ونبأه الله وأرسله، فبادرت إلى الإسلام والإيمان به، - رضي الله عنها- وأرضاها.

---

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سُورَةُ (الْقَصَص الآية (9)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام (الطبراني) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (9)، انظر: (المكتبة الشاملة)

(3) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (9) للإمام ابن أبي زمنين المالكي).

قال الله تعالى هذه المراجعات والمقاولات في شأن موسى: {وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ} ما جرى به القلم، ومضى به القدر، من وصوله إلى ما وصل إليه، وهذا من لطفه تعالى، فإنهم لو شعروا، لكان لهم وله، شأن آخر. (1)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {9} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ} قالت هذا حين همّ فرعون بقتله لما نتف موسى لحيته وهو رضيع تعلق به فأخذ شعرات من لحيته فتشاءم فرعون وأمر بقتله فاعتذرت آسية له فقالت هو .

{قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ} فقال فرعون قرة عين لك أما أنا فلا وقولها.

{عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا} في حياتنا بالخدمة ونحوها {أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً} وذلك بالتبني وهذا الذي حصل، فكان موسى إلى الثلاثين من عمره يعرف بابن فرعون.

وقوله: {وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ} أي: بما سيكون من أمره وأن هلاك فرعون وجنوده سيكون على يده. (2)

* * *

[١٠] ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾:

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (9)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (9)، للشيخ: (أبو بكر الجزائري).

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وأصبح قلب أم موسى -عليه السلام -خاليًا من أي أمر من أمور الدنيا إلا من أمر موسى فلم تعد تصبر، حتَّى قاربت أن تظهر أنَّه ولدها من شدة التعلق به، لولا أن ربطنا على قلبها بتثبيته، وتصبيرها لتكون من المؤمنين المتوكلين على ربهم الصابرين على ما يقض به. (3)

* * *

وأصبح فؤاد أم موسى خاليًا من كل شيء في الدنيا إلا من همِّ موسى وذكره، وقاربت أن تُظهر أنه ابنها لولا أن ثبتناها، فصبرت ولم تُبْدِ به" لتكون من المؤمنين بوعد الله الموقنين به. (4)

* * *

وصار قلب أم موسى خاليا من العقل لما دهمها من الجزع لوقوع ولدها فى يد فرعون. إنها كادت تظهر أمره بأنه ولدها لولا أن ثبَّت الله قلبها بالصبر لأعلنت أنه ولدها شفقة عليه، ولتكون فى ضمن المؤمنين المطمئنين. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا}....أي: من كل شيء إلا منه عليه السلام أي لا تفكر في شيء إلا فيه.

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (386/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (386/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (576/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{إن كـادت لتبـدي بـه} .... أي: قاربت بأن تصرخ بأنه ولدها وتظهر ذلك.

{فارغًا} ... خاليًا من كُلِّ شَيْءٍ إلاَ هَمَّ مُوسَى – عليه السلام –.

{فارغًا} ... صفرا من العقل.

{لَتُبْدِي بِهِ} ... لتجهر به، أي بموسى، وتفصح عن صلتها به.

{لَتُبْدِي بِهِ} ... فَتُصَرِّحُ بِأَنَّهُ ابْنُهَا.

{أَنْ رَبطْنا على قَلْبِها} ... ثبتناها بالصبر.

{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} ... من المصدقين بوعد الله.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) – قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {10} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى} صار قلب أم مُوسَى يوحانذ {فَارِغاً} من كل هم وَذكر إلاَ هم مُوسَى وَذكر مُوسَى {إِن كَادَتْ} قد كادت {لَتُبْدِي بِهِ} لتظهر بِهِ تقول هَذَا ابْني بعد مَا انتسب بِهِ إِلَى فِرْعَوْن {لَوْلاَ أَن رَّبطْنَا} حفظنا {على قَلْبهَا} بالصبر {لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤمنِينَ} من المصدقين بوعد الله أَن يكون من الْمُرْسلين.(1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {10} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا} أَيْ: خَالِيًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَا مِنْ ذِكْرِ مُوسَى وَهَمِّهِ، هَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ.

وَقَالَ: (الْحَسَنُ): فارغًا أَيْ: نَاسِيًا لِلْوَحْيِ الَّذِي أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهَا حِينَ أَمَرَهَا أَنْ تُلْقِيَهُ فِي الْبَحْرِ وَلاَ تَخَافُ وَلاَ تَحْزَنُ، وَالْعَهْدُ الَّذِي عَهِدَ أَنْ يَرُدَّهُ إِلَيْهَا وَيَجْعَلَهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ، فَجَاءَهَا الشَّيْطَانُ فقال: كرهت أن يقتله فرعون ورجاله فَيَكُونَ لَكِ أَجْرُهُ وَثَوَابُهُ وَتَوَلَّيْتِ أنت قتله فألقيتيه في البحر، وأغرقتيه، فلما أَتَاهَا الْخَبَرُ بِأَنَّ فِرْعَوْنَ أَصَابَهُ فِي النِّيلِ قَالَتْ: إِنَّهُ وَقَعَ فِي يَدِ عَدُوِّهِ الَّذِي فَرَّتْ منه، فأنساها عظم الْبَلاَءِ مَا كَانَ مِنْ عَهْدِ اللَّهِ إِلَيْهَا.

وَقَالَ: (أَبُو عُبَيْدَةَ): فارغًا أَيْ فَارِغًا مِنَ الْحُزْنِ لعلمهَا بصدق وعد اللَّه تعالى وَأَنْكَرَ (الْقُتَيْبِيُّ) هَذَا وَقَالَ: كَيْفَ يَكُونُ هَذَا وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: {إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلاَ أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا} والأول أصح قوله عَزَّ وَجَلَّ: {إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ} قِيلَ: الْهَاءُ فِي بِهِ رَاجِعَةٌ إِلَى مُوسَى أَيْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ أَنَّهُ ابْنُهَا مِنْ شِدَّةِ وَجْدِهَا.

وَقَالَ: (عِكْرِمَةُ) عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ): كَادَتْ تَقُولُ وَابْنَاهُ.

وَقَالَ: (مُقَاتِلٌ): لَمَّا رَأَتِ التَّابُوتَ يَرْفَعُهُ مَوْجٌ وَيَضَعُهُ آخَرُ خَشِيَتْ عَلَيْهِ الْغَرَقَ فَكَادَتْ تَصِيحُ مِنْ شَفَقَتِهَا.

وَقَالَ: (الْكَلْبِيُّ): كَادَتْ تُظْهِرُ أَنَّهُ ابْنُهَا وَذَلِكَ حِينَ سَمِعَتِ النَّاسَ يَقُولُونَ لِمُوسَى بَعْدَمَا شَبَّ: مُوسَى بن فرعون، فشق عليها وكادت تقول: بلى هُوَ ابْنِي.

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (10) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما –.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْهَاءُ عَائِدَةٌ إِلَى الْوَحْيِ أَيْ كَادَتْ تُبْدِي بِالْوَحْيِ الَّذِي أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهَا أَنْ يَرُدَّهُ إِلَيْهَا،

{لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا} بِالْعِصْمَةِ وَالصَّبْرِ وَالتَّثْبِيتِ،

{لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} الْمُصَدِّقِينَ لِوَعْدِ اللَّهِ حِينَ قَالَ لها: {إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ}. (1)

* * *

أخرج - الإمام (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله)- (بسنده الصحيح) - عن (ابن عباس): (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا) قال: فارغا من كل شيء غير ذكر موسى. (2)(3)

* * *

أخرج - الإمام (عبد الرزاق) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (قتادة): (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا) قال: فارغا ليس بها همّ غيره. (4) (5)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا): أي: لاغيًا من كلّ شيء، إلا من ذكر موسى. (6)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) -عن (السدي): قال: لما جاءت أمه أخذ منها، يعني الرضاع، فكادت أن تقول: هو ابني، فعصمها الله، فذلك قول الله (إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا). (7)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {10} قوله تعالى: (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا) من كلّ شيء، إلا من همّ موسى.

* * *

(إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا) ولو كان عَنَى بذلك: فراغ قلبها من الوحي، لم يعقب بقوله: (إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ) لأنها إن كانت قاربت أن تبدي الوحي، فلم تكد أن تبديه إلا لكثرة ذكرها إياه، وولوعها به. ومحال أن تكون به ولعة إلا وهي ذاكرة.

وإذا كان ذلك كذلك، بطل القول بأنها كانت فارغة القلب مما أوحي إليها. وأخرى أن الله تعالى ذكره أخبر عنها أنها أصبحت فارغة القلب، ولم يخصص فراغ قلبها من شيء دون شيء، فذلك على العموم إلا ما قامت حجته أن قلبها لم يفرغ منه. وقد ذكر عن فضالة بن عبيد أنه كان يقرؤه: "وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَازِعًا" من الفزع. (8)

* * *

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت (الضحاك)

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (10).
(2) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (44/4)، للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين)،
(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (527/19).
(4) انظر: (تفسير عبد الرزاق) في سورة (القصص) - الآية (10)،
(5) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (44/4)، للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين)،
(6) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (527/19).
(7) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (529/19). في سورة (القصص) - الآية (10)،
(8) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (10)، للإمام (الطبري)،

يقول، في قوله: (إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ): لتشعر به.

* * *

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال (ابن زيد)، في قوله: (إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ) قال: لتعلن بأمره لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين.

* * *

وقوله: (لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا) يقول: لولا أن عصمناها من ذلك بتثبيتناها وتوفيقناها للسكوت عنه.(1)

* * *

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن (قتادة)، قال: قال الله (لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا): أي: بالإيمان (لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ).

* * *

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن (السدي)، قال: كادت تقول: هو ابني، فعصمها الله، فذلك قول الله: (إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا).

* * *

وقوله: (لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) يقول تعالى ذكره: عصمناها من إظهار ذلك وقيله بلسانها، وثبتناها للعهد الذي عهدنا إليها (لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) بوعد الله، الموقنين به.(2)

* * *

أخرج – الإمام (عبد الرزاق) – (رحمه الله)– في (تفسيره):– (بسنده الصحيح) – عن (قتادة): قال الله (لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا) أي: بالإيمان (لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ).(3)(4)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):– {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {10} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا} يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ فُؤَادِ أُمِّ مُوسَى، حِينَ ذَهَبَ وَلَدُهَا فِي الْبَحْرِ، إِنَّهُ أَصْبَحَ فَارِغًا، أَيْ: مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا إِلا مِنْ مُوسَى. قَالَهُ: (ابْنُ عَبَّاسٍ)، وَ(مُجَاهِدٌ)، وَ(عِكْرِمَةُ)، وَ(سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ)، وَ(أَبُو عُبَيْدَةَ)، وَ(الضَّحَّاكُ)، وَ(الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ)، وَ(قَتَادَةُ)، وَغَيْرُهُمْ.

{إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ} أَيْ: إِنْ كَادَتْ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِهَا وَحُزْنِهَا وَأَسَفِهَا لَتُظْهِرُ أَنَّهُ ذَهَبَ لَهَا وَلَدٌ، وَتُخْبِرُ بِحَالِهَا، لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ ثَبَّتَهَا وصبَّرها،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}.(5)

* * *

انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب – للإمام (الطبراني):– {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {10} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً} " أي: أصبح قلبُ أمِّ

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (10)، للإِمَامْ (الطبري).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (10)، للإِمَامْ (الطبري).

(3) انظر: (تفسير عبد الرزاق) في سورة (القصص) – الآية (10).

(4) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (44/4).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (10).

موسى وهي نُوخابِدُ بنتُ لاوي بنِ يعقوبَ فَارِغاً من كلِّ شيءٍ إلاّ عن هَمِّ موسَى وذكره.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا} " أي لولاَ أنْ شَدَدْنَا على قلبها بالصبرِ عن إظهارِ ذلكَ،

{لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} " أي: مِن المصدِّقين بما سبقَ من الوعد،

وهو قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ} ولو أظهرَتْ لكان ذلكَ سَبَباً لقتله.

والرَّبْطُ على القلبِ: هو إلْهَامُ الصَّبرِ وتقويتُهُ.

وقيل: معناهُ: وأصبَحَ فُؤَادُ أمِّ موسَى فَارِغاً من الصَّبرِ على فِراقِ موسَى لولاَ أنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لأَبْدَتْ به.

وقيل: فَارِغاً من الْحُزْنِ لعلْمِها بأنه لَم يعرفْهُ. قرأ فُضَالَةُ (بنُ عبيدٍ) (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَزِعاً) بالزَّاي والعينِ من غير ألفٍ من الفَزَعِ. (1)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {10} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا} تَفْسِيرُ (قَتَادَةَ): أَيْ: فَارِغًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، غَيْرِ ذِكْرِ مُوسَى لاَ تَذْكُرُ غَيْرَهُ.

{إِنْ كَادَتْ لتبدي بِهِ} قَالَ (قَتَادَةُ): لِتُبَيِّنُ أَنَّهُ ابْنُهَا مِنْ شِدَّةِ وَجْدِهَا.

{لَوْلا أَنْ ربطنا على قلبها} بِالْإِيمَانِ.

قَالَ: (مُحَمَّدٌ): الرَّبْطُ عَلَى الْقَلْبِ: إِلْهَامُ الصَّبْرِ وَتَشْدِيدُهُ وَتَقْوِيَتُهُ. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {10} ولما فقدت موسى أمه، حزنت حزنا شديدا، وأصبح فؤادها فارغا من القلق الذي أزعجها، على مقتضى الحالة البشرية، مع أن الله تعالى نهاها عن الحزن والخوف، ووعدها برده.

{إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ} أي: بما في قلبها {لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا} فثبتناها، فصبرت، ولم تبد به. {لِتَكُونَ} بذلك الصبر والثبات {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} فإن العبد إذا أصابته مصيبة فصبر وثبت، ازداد بذلك إيمانه، ودل ذلك، على أن استمرار الجزع مع العبد، دليل على ضعف إيمانه. (3)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {10} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً} أي: من أي: شيء إلا من موسى وذلك بعد أن ألقته في اليم.

وقوله: {إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ} أي: لتصرخ بأنه ولدها وتظهر ذلك من شدة الحزن لكن الله تعالى ربط على قلبها فصبرت لتكون

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) – المنسوب – للإمام (الطبراني) في سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (10)، انظر: (المكتبة الشاملة)

(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (10) للإمام ابن أبي زمنين المالكي).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (10)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

بذلك من المؤمنين بوعد الله تعالى لها بأن يرده إليها ويجعله من المرسلين.(1)

* * *

قال: الشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {10} قوله تعالى:

{وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا} من كل شيء إلا من ذكر موسى وهمه" لأنها دهشت لما علمت أن فرعون قد التقطه، وكانت قد نسيت وعد الله بسلامته.

{إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ} أي: بأمر موسى، وتبوح بسرها.

{لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا} أي: شددنا عليه بالصبر والعصمة.

{لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} المصدقين بوعد الله حين. قال لها: {إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ} {القصص: 7}.(2)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {10} قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسى فارِغاً) قَالَ: (ابْنُ مَسْعُودٍ)، وَ(ابْنُ عَبَّاسٍ)، وَ(الْحَسَنُ)، وَ(مُجَاهِدٌ)، وَ(عِكْرِمَةُ)، وَ(قَتَادَةُ)، وَ(الضَّحَّاكُ)، وَ(أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ)، وَ(أَبُو عُبَيْدَةَ): {فارِغاً} أَيْ: خَالِيًا مِنْ ذِكْرِ كُلِّ شَيٍّ فِي الدُّنْيَا إِلَّا مِنْ ذِكْرِ مُوسَى.

وَقَالَ: (الْحَسَنُ) أَيْضًا وَ(ابْنُ إِسْحَاقَ)، وَ(ابْنُ زَيْدٍ): {فارِغاً} مِنَ الْوَحْيِ إِذْ أَوْحَى إِلَيْهَا حِينَ أُمِرَتْ أن تلقيه في البحر.

{لا تَخافِي وَلا تَحْزَنِي} وَالْعَهْدُ الَّذِي عَهِدَهُ إِلَيْهَا أَنْ يَرُدَّهُ وَيَجْعَلَهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ لَهَا الشَّيْطَانُ: يَا أُمَّ مُوسَى كَرِهْتِ أَنْ يَقْتُلَ فِرْعَوْنُ مُوسَى فَغَرَّقْتِيهِ أَنْتِ! ثُمَّ بَلَّغَهَا أَنَّ وَلَدَهَا وَقَعَ فِي يَدِ فِرْعَوْنَ فَأَنْسَاهَا عِظَمُ الْبَلَاءِ مَا كَانَ مِنْ عَهْدِ اللَّهِ إِلَيْهَا.

وَقَالَ: (أَبُو عُبَيْدَةَ): {فارِغاً} مِنَ الْغَمِّ وَالْحُزْنِ لعلمها أَنَّهُ لَمْ يَغْرَقْ، وَقَالَهُ (الْأَخْفَشُ)، أَيْضًا وَقَالَ الْعَلَاءُ بْنُ زِيَادٍ: {فارِغاً} نَافِرًا {الْكِسَائِيُّ}: نَاسِيًا ذَاهِلًا يَعْنِي:- وَالِهًا،

رَوَاهُ (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ ابْنُ الْقَاسِمِ) عَنْ (مَالِكٍ): هُوَ ذَهَابُ الْعَقْلِ، وَالْمَعْنَى أَنَّهَا حِينَ سَمِعَتْ بِوُقُوعِهِ فِي يَدِ فِرْعَوْنَ طَارَ عَقْلُهَا مِنْ فَرْطِ الْجَزَعِ وَالدَّهَشِ، وَنَحْوَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَفْئِدَتُهُمْ هَواءٌ} أَيْ جَوْفٌ لَا عُقُولَ لَهَا كَمَا تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ" إِبْرَاهِيمَ". وَذَلِكَ أَنَّ الْقُلُوبَ مَرَاكِزُ الْعُقُولِ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِها} وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ:" فَزِعًا". (النَّحَّاسُ): أَصَحُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ الْأَوَّلُ، وَالَّذِينَ قَالُوهُ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا كَانَ فارغا من كل شي إِلَّا مِنْ ذِكْرِ مُوسَى فَهُوَ فَارِغٌ مِنَ الْوَحْيِ.

وَقَوْلُ (أَبِي عُبَيْدَةَ) فَارِغًا مِنَ الْغَمِّ غَلَطٌ قَبِيحٌ، لِأَنَّ بَعْدَهُ" إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا".

رَوَى (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ) عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) قَالَ: كادت تقول وا ابناه! وقرا فضالة (ابن

(1) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (10)، للشيخ: (أبو بكر الجزائري).

(2) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (10)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

عُبَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ)- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وَ(مُحَمَّدُ بْنُ السَّمَيْقَعِ)، وَ(أَبُو الْعَالِيَةِ)، وَ(ابْنُ مُحَيْصِنٍ): "فَزِعًا" بِالْفَاءِ وَالْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ مِنَ الْفَزَعِ، أَيْ خَائِفَةً عَلَيْهِ أَنْ يُقْتَلَ (ابْنُ عَبَّاسٍ): "قَرِعًا" بِالْقَافِ وَالرَّاءِ وَالْعَيْنِ الْمُهْمَلَتَيْنِ، وَهِيَ رَاجِعَةٌ إِلَى قِرَاءَةِ الْجَمَاعَةِ "فَارِغًا" وَلِذَلِكَ قِيلَ: لِلرَّأْسِ الَّذِي لَا شَعْرَ عَلَيْهِ: أَقْرَعُ، لِفَرَاغِهِ مِنَ الشَّعْرِ وَحَكَى قُطْرُبٌ أَنَّ بَعْضَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَرَأَ: "فِرْغًا" بِالْفَاءِ وَالرَّاءِ وَالْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ مِنْ غَيْرِ أَلِفٍ، وَهُوَ كَقَوْلِكَ: هَدَرًا وَبَاطِلًا،

يقال: دِمَاؤُهُمْ بَيْنَهُمْ فِرْغٌ أَيْ هَدَرٌ، وَالْمَعْنَى بَطَلَ قَلْبُهَا وَذَهَبَ وَبَقِيَتْ لَا قَلْبَ لَهَا مِنْ شِدَّةِ مَا وَرَدَ عَلَيْهَا وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: "وَأَصْبَحَ" وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا- أَنَّهَا أَلْقَتْهُ لَيْلًا فَأَصْبَحَ فُؤَادُهَا فِي النَّهَارِ فَارِغًا.

الثَّانِي- أَلْقَتْهُ نَهَارًا وَمَعْنَى: "وَأَصْبَحَ" أَيْ صَارَ،

كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

مَضَى الْخُلَفَاءُ بِالْأَمْرِ الرَّشِيدِ ... وَأَصْبَحَتِ الْمَدِينَةُ لِلْوَلِيدِ

(إِنْ كَادَتْ) أَيْ:إِنَّهَا كَادَتْ، فَلَمَّا حُذِفَتِ الْكِنَايَةُ سُكِّنَتِ النُّونُ فَهِيَ "إِنْ" الْمُخَفَّفَةُ وَلِذَلِكَ دَخَلَتِ اللَّامُ فِي "لَتُبْدِي بِهِ" أَيْ: لَتُظْهِرُ أَمْرَهُ، مِنْ بَدَا يَبْدُو إِذَا ظَهَرَ.

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): أي تصيح عند إلقائه: وا ابناه (السُّدِّيُّ): كَادَتْ تَقُولُ لَمَّا حُمِلَتْ لِإِرْضَاعِه وَحَضَانَتِه هُوَ ابْنِي،

وقيل: إِنَّهُ لَمَّا شَبَّ سَمِعَتَ النَاس يقولون موسى بن فرعَوْنَ، فَشَقَّ عَلَيْهَا وَضَاقَ صَدْرُهَا، وَكَادَتْ تَقُولُ هُوَ ابْنِي،

وقيل: الْهَاءُ فِي "بِهِ" عَائِدَةٌ إلى الوحي تقديره: إن كانت لَتُبْدِي بِالْوَحْيِ الَّذِي أَوْحَيْنَاهُ إِلَيهَا أَنْ نَرُدَّهُ عَلَيْهَا وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ.

قَالَ: (ابْنُ مَسْعُودٍ): كَادَتْ تقول أنا أمه.

وقال: (الفراء): إن كانت لتبدي باسمه لضيق صدرها.

(لَوْلا أَنْ رَبَطْنا عَلى قَلْبِها) قَالَ (قَتَادَةُ): بِالْإِيمَان. (السُّدِّيُّ): بِالعِصْمَةِ.

وقيل: بِالصَّبْرِ. وَالرَّبْطُ عَلَى الْقَلْبِ: إِلْهَامُ الصَّبْرِ. (لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) أَيْ: مِنَ الْمُصَدِّقِينَ بِوَعْدِ اللَّهِ حِينَ قَالَ لَهَا: "إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ".

وَقَالَ: "لَتُبْدِي بِهِ" وَلَمْ يَقُلْ: لَتُبْدِيهِ، لِأَنَّ حُرُوفَ الصِّفَاتِ قَدْ تُزَادُ فِي الْكَلَامِ، تَقُولُ: أَخَذْتُ الحبلَ وَبِالْحَبْلِ.

وقيل: أَيْ: لَتُبْدِي الْقَوْلَ به. (1)

* * *

[١١] ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وقالت: أم (موسى)- عليه السلام -لأخته بعد إلقائها له في النهر: اتبعي أثره لتعرفي ما يفعل به، فأبصرت به عن بُعدٍ حتَّى لا

---

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سُورةُ (الْقَصَص الآية (10)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

يكشف أمرها، وفرعون وقومه لا يشعرون أنها أخته وأنها تتفقد خبره. (1)

* * *

وقالت أم موسى لأخته حين ألقته في اليم: اتَّبِعي أثر موسى كيف يُصْنَع به؟ فتتبعت أثره فأبصرته عن بُعْد، وقوم فرعون لا يعرفون أنها أخته، وأنها تتبع خبره. (2)

* * *

وقالت أمه لأخته: تتبعي أثره لتعرفي خبره، فرأته عن بُعد وهي تتجنب ظهور أمرها وفرعون وآله لا يدرون أنها أخته. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ} .... مَرْيَم.

{قُصِّيهِ} .... تَتَبَّعِي أَثَرَهُ، (أي: اتَّبِعِي أثره حَتَّى تَعْلَمِي خَبَره).

{وقالت لأخته قصيه} ..... أي: اتبعي أثره حتى تعرفي أين هو.

{فبصرت به عن جنب} .... أي: لاحظته وهي مختفية تتبعه من مكان بعيد.

{فَبَصُرَتْ بِهِ} ..... أَبْصَرَتْهُ.

{عَنْ جُنُبٍ} ... عَنْ بُعْدٍ، (أي: مِنْ مَكَان بَعِيد اختلاسًا).

{وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} ..... أَنَّهَا أُخْتُه وَأَنَّهَا تَرْقُبُهُ.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) – قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {11} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالَتْ} يَعْنِي أم مُوسَى {لأُخْتِهِ} لأخت مُوسَى تسمى مَرْيَم {قُصِّيهِ} اتبعي أَثَره {فَبَصُرَتْ بِهِ} بالغلام {عَن جُنُبٍ} عَن بعد {وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ} لاَ يعلمُونَ أَنَّهَا أُخْت مُوسَى. (4)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {11} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ} أَيْ: لِمَرْيَمَ أُخْتِ مُوسَى {قُصِّيهِ} اتْبَعِي أَثَرَهُ حَتَّى تَعْلَمِي خَبَرَهُ، {فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ} أَيْ: عَنْ بُعْدٍ، وَفِي الْقِصَّةِ أَنَّهَا كَانَتْ تَمْشِي جَانِبًا وَتَنْظُرُ اخْتِلَاسًا تُرِي أَنَّهَا لَا تَنْظُرُهُ، {وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} أَنَّهَا أُخْتُهُ وَأَنَّهَا تَرْقُبُهُ، قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): إِنَّ امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ كل هَمُّهَا مِنَ الدُّنْيَا أَنْ تَجِدَ لَهُ مرضعة وكلما أَتَوْا بِمُرْضِعَةٍ لَمْ يَأْخُذْ ثَدْيَهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: (5)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {11} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالَتْ لأخْتِهِ قُصِّيهِ} أَيْ: أَمَرَتِ ابْنَتَهَا -وَكَانَتْ كَبِيرَةً تعي مَا يُقَالُ لَهَا- فَقَالَتْ لَهَا: {قُصِّيهِ} أَيْ: اتْبَعِي أَثَرَهُ،

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (386/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (386/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (576/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (11) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما –.

(5) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامُ (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (11).

وخُذي خبرَهُ، وتَطَلَّبي شَأْنَهُ مِنْ نَوَاحي الْبَلَد. فَخَرَجَتْ لِذَلِك، {فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ}، قَالَ: (ابْنُ عَبَّاس): عَنْ جَانِب.

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ): {فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ}: عَنْ بَعِيد.

وَقَالَ: (قَتَادَةُ): جَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ وَكَأَنَّهَا لَا تُرِيدُهُ.

وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا اسْتَقَرَّ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِدَارِ فِرْعَوْنَ، وَأَحَبَّتْهُ امْرَأَةُ الْمَلِك، وَاسْتَطْلَقَتْهُ مِنْهُ، عَرَضُوا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ الَّتِي فِي دَارِهِمْ، فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهَا ثَدْيًا، وَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ. فَخَرَجُوا بِهِ إِلَى سُوقٍ لَعَلَّهُمْ يَجِدُونَ امْرَأَةً تَصْلُحُ لِرَضَاعَتِه، فَلَمَّا رَأَتْهُ بِأَيْدِيهِمْ عَرَفَتْهُ، وَلَمْ تُظْهِرْ ذَلِكَ وَلَمْ يَشْعُرُوا بِهَا. (1)

* * *

قال: الإمام (القُرطبي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {11} قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ) أَيْ: قَالَتْ أُمُّ مُوسَى لِأُخْتِ مُوسَى: اتَّبِعِي أَثَرَهُ حَتَّى تَعْلَمِي خَبَرَهُ. وَاسْمُهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَافَقَ اسْمُهَا اسْمَ مَرْيَمَ أُمِّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ،

(فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ) أَيْ بُعْدٍ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَمِنْهُ الْأَجْنَبِيُّ.

قَالَ الشَّاعِرُ (2):

فَلَا تَحْرِمَنِّي نَائِلًا عَنْ جَنَابَةٍ ... فَإِنِّي امْرُؤٌ وَسْطَ الْقِبَابِ غَرِيبُ

وَأَصْلُهُ عَنْ مَكَانٍ جُنُبٍ.

وَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): "عَنْ جُنُبٍ" أي: عن جانب وقرا: (النعمان ابن سَالِمٍ): "عَنْ جَانِبٍ" أَيْ: عَنْ نَاحِيَةٍ،

يَعْنِي:- عَنْ شَوْقٍ، وَحَكَى (أَبُو عَمْرِو بْنُ الْعَلَاءِ) أَنَّهَا لُغَةٌ لِجُذَامٍ، يَقُولُونَ: جَنَبْتُ إِلَيْكَ أَيِ اشْتَقْتُ.

يَعْنِي:- أيْ عَنْ مُجَانَبَةٍ لها منه فلم يعرفوا أنها منه بِسَبِيلٍ.

وَقَالَ: (قَتَادَةُ): جَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ بِنَاحِيَةٍ كَأَنَّهَا لَا تُرِيدُهُ، وَكَانَ يَقْرَأُ: "عَنْ جَنْبٍ" بِفَتْحِ الْجِيمِ وَإِسْكَانِ النُّونِ.

(وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) أَنَّهَا أُخْتُهُ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَمْشِي عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ حَتَّى رَأَتْهُمْ قَدْ أَخَذُوهُ. (3)

* * *

انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام (الطبراني):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {11} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالَتْ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ} " أي: قالت أمُّ موسى لأُختهِ - واسْمُها مَريَمُ -: ابْتَغِي أثرَهُ وَانظُري أين وقَعَ " لتَعْلَمِي خبرَهُ وإلى مَن صارَ، فذهبَتْ في إثرِ التَّابوت،

{فَبَصُرَتْ بِهِ} " بموسى،

{عَن جُنُبٍ} " أي عن بُعْدٍ قد أخذوه،

{وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ} " أنَّها قد جاءَتْ لتعرفَ عن خبره.

وقال: (ابنُ عبَّاس): (الْجُنُبُ أنْ يَسْمُوَ بَصَرُ الإنْسَانِ إلَى الشَّيْءِ الْبَعِيدِ وَهُوَ إلَى جَنْبِهِ لاَ

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص الآية (11).

(2) هو علقمة بن عبده، قاله يخاطب به الحرث بن جبلة يمدحه، وكان قد أسر أخاه شاسا- وأراد بالنائل إطلاق أخيه شأس من سجنه- فأطلق له أخاه شأسا ومن أسر معه من بني تميم.

(3) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سُورَةُ (الْقَصَص الآية (11)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

يَشْعُرُ بِهِ) وكانت مُجانبةً لتحديقِ النَّظرِ إليه كَيلاَ يعلم بما قصدَتْ به.

وقال: (قتادةُ): (كَانَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ كَأَنَّهَا لاَ تُرِيْدُهُ) ، وكان يقرأ (عَنْ جَنْبٍ) بفتحِ الجيم وسُكون النُّون.

وقرأ النُّعمان بن سالم: (عَنْ جَانبٍ) أي: عن ناحيةٍ {وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ} أنَّها أُخْتُه.(1)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {11} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَقَالَتْ} أم مُوسَى {لأخته} لأخت مُوسَى {قصيه} أَيْ: اتْبَعِي أَثَرَهُ {فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جنب} أَيْ: مِنْ بَعِيد.

{وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ} أَنَّهَا أُخْتُهُ" جَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْه، وَكَأَنَّهَا لاَ تريده.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {11} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَقَالَتْ} أم موسى {لأخْتِهِ قُصِّيهِ} أي: اذهبي﴿ فقصي الأثر عن أخيك وابحثي عنه من غير أن يحس بك أحد أو يشعروا بمقصودك فذهبت تقصه﴾.

{فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ} أي: أبصرته على وجه، كأنها مارة لا قصد لها فيه.

وهذا من تمام الحزم والحذر، فإنها لو أبصرته، وجاءت إليهم قاصدة، لظنوا بها أنها هي التي ألقته، فربما عزموا على ذبحه، عقوبة لأهله.

ومن لطف الله بموسى وأمه، أن منعه من قبول ثدي امرأة، فأخرجوه إلى السوق رحمة به، ولعل أحدا يطلبه، فجاءت أخته، وهو بتلك الحال.(3)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {11} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ}(4) أي تتبعي أثره وذلك عندما ألقته في اليم.

وقوله: {فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ}(5) أي: رأته من بعد فكانت تمشي على شاطئ النهر وتلاحقه النظر من بعد حتى رأته انتهى إلى فرع الماء الذي دخل إلى قصر فرعون فعلمت أنه قد دخل القصر.

وقوله تعالى: {وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ} أي: لا يشعرون أنها أخته لما كانت تلاحقه النظر وتتعرف إليه من بعد.(6)

* * *

قال: الشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {11} قوله تعالى:

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام (الطبراني) في سُورَة (القَصَص) الآية (11)، انظر: (المكتبة الشاملة).

(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سُورَة (القَصَص) الآية (11) للإمام ابن أبي زمنين المالكي).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَة (القَصَص) الآية (11)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) - اسمها مريم بنت عمران فاتحدت معها مريم أم عيسى في اسمها واسم أبيها عليهم السلام وقيل اسمها كلثم في رواية مرفوعة ضعيفة.

(5) - (عن جنب) أي: من مكان جنب أي: جانب وناحية قال قتادة: تنظر إليه بناحية كأنها لا تريده.

(6) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَة (القَصَص) الآية (11)، للشيخ: (أبو بكر الجزائري).

{وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ} مريم: {قُصِّيهِ} اتبعي أثره، وانظري فيه.

{فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ} أي: بعد. روي أنها كانت تمشي جانبًا، وتنظر إليه مزورة اختلاسًا، تُري أنها لا تنظره.

{وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ} أنها أخته، وأنها ترقبه. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {11} قوله تعالى: {وَقَالَتْ لأخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ}.

يقول تعالى ذكره: (وَقَالَتْ) أم موسى لأخت موسى حين ألقته في اليم (قُصِّيهِ) يقول: قصي أثر موسى، اتبعي أثره، تقول: قصصت آثار القوم: إذا اتبعت آثارهم.

* * *

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى" وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا عن (ابن أبي نجيح)، عن (مجاهد)، قوله: (عَنْ جُنُبٍ) قال: بُعد. (2)

* * *

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن (ابن جُريج)، عن (مجاهد): (عَنْ جُبٍ) قال: عن بُعد.

قال: (ابن جُريج): (عَنْ جُنُبٍ) قال: هي على الحدّ في الأرض، وموسى يجري به النيل وهما متحاذيان كذلك تنظر إليه نظرة، وإلى الناس نظرة، وقد جعل في تابوت مقير ظهره وبطنه، وأقفلته عليه. (3)

* * *

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي سفيان، عن (معمر)، عن (قتادة): (فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ) يقول: بصرت به وهي محاذيته لم تأته.

* * *

وقوله: (وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ) يقول: وقوم فرعون لا يشعرون بأخت موسى أنها أخته.

* * *

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى" وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن (ابن أبي نجيح)، عن (مجاهد): (وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ) قال: آل فرعون. (4)

* * *

{وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ} أنها أخته، قال: جعلت تنظر إليه كأنها لا تريده.

* * *

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن (السدي): (وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ) أنها أخته. (5)

---

(1) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سُورَةُ (القَصَص) الآية (11)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (11)، للإِمَامْ (الطبري).

(3) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (11)، للإِمَامْ (الطبري).

(4) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (11)، للإِمَامْ (الطبري).

(5) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (11)، للإِمَامْ (الطبري).

* * *

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن (ابن إسحاق): (وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ) أي لا يعرفون أنها منه بسبيل.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-
(بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): قوله: (لأخْتِهِ قُصِّيهِ) قال: اتبعي أثره كيف يصنع به.(2)

* * *

أخرج - الإمام (آدم بن أبي إياس) - (رحمه الله)-
(بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): قوله: (عَنْ جُنُبٍ) قال: بُعد.(3)(4)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-
(بسنده الحسن) - عن (قتادة): (فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ) أنها أخته، قال: جعلت تنظر إليه كأنها لا تريده.(5)
(5)

* * *

[١٢] ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وامتنع موسى بتدبير من الله عن الرضاع من النساء، فلما رأت أخته حرصهم على إرضاعه قالت لهم: هل أرشدكم إلى أهل بيت يقومون بإرضاعه ورعايته، وهم له ناصحون؟.(6)

* * *

وحرمنا على موسى المراضع أن يرتضع منهن من قبل أن نردَّه إلى أمه، فقالت أخته: هل أدلكم على أهل بيت يحسنون تربيته وإرضاعه، وهم مشفقون عليه؟ فأجابوها إلى ذلك.(7)

* * *

ومنع الله الطفل - موسى - أن يرضع ثديا لمرضع قبل أن يرشدوا إلى أمه، فاغتم آل فرعون، وأهمهم ذلك، فقالت لهم أخته: ألا أرشدكم إلى أسرة تكفله وتتعهده بالرضاع والتربية وهم له حافظون؟.(8)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ} .... أَيْ: قَبْلَ رَدِّهِ إِلَى أُمِّهِ أَيْ: مَنَعْنَاهُ مِنْ قَبُولِ ثَدْيِ مُرْضِعَةٍ غَيْرِ أُمِّهِ فَلَمْ يَقْبَلْ ثَدْيَ وَاحِدَةٍ مِنَ الْمَرَاضِعِ الْمُحْضَرَةِ لَهُ.

{وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ} ... ومنعناه أن يرضع ثديا، فكان لا يقبل ثدى مرضع قط.

(أي: منعناه من قبول ثدي أية مرضعة).

{مِنْ قَبْلُ} ... قصصها أثره. (أي: من قبل رده إلى أمه).

{فَقَالَتْ} .... أُخْتُه.

---

(1) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (11)، للإمَامْ (الطبري).
(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمام (الطبري) (531/19).
(3) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (45/4)،
(4) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمام (الطبري) (531/19).
(5) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمام (الطبري) (532/19-533).

(6) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (386/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(7) انظر: (التفسير الميسر) برقم (386/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(8) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (577/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{فقالت هل أدلكم على} .... أي: قالت أخت موسى.

{هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ} ..... لَمَّا رَأَتْ حُنُوَّهُمْ عَلَيْه.

{أهل بيت يكفلونه لكم} ...... يضمونه إليهم، يرضعونه ويربونه لكم.

{يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ} .... بِالْإِرْضَاعِ وَغَيْرِه. (أي: يَقُومُونَ بِتَرْبِيَتِه وَإِرْضَاعه).

{وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ} ..... أي: لموسى ناصحون، فلما قالوا لها إذاً كنت أنت تعريفينه، قالت لا، إنما أعني أنهم ناصحون للملك لا للولد.

{وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ} ..... وَفَسَّرَتْ ضَمِير لَهُ بِالْمُلْك جوابًا لَهُمْ فَأُجِيبَتْ فَجَاءَتْ بِأُمِّه فَقَبَّلَ ثَدْيَهَا وَأَجَابَتْهُمْ عَنْ قَبُوله بِأَنَّهَا طَيِّبَة الرِّيح طَيِّبَة اللَّبَن فَأَذِنَ لَهَا فِي إرْضَاعه فِي بَيْتهَا فَرَجَعَتْ بِه.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {12} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وحَرَّمْنَا عَلَيْه} على مُوسَى {المراضع} ألبان النِّسَاء {مِن قَبْلُ} من قبل مَجيء أمه {فَقَالَتْ} أُخْت مُوسَى لآل فِرعَوْن {هَلْ أَدُلُّكُمْ على أَهْلِ بَيْت يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ} يرضعون لكم هَذَا الْغُلاَم {وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ} حافظون بالتربية فدلت على أمه. (1)

* * *

قال: الإمَامْ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {12} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وحَرَّمْنَا عَلَيْه الْمَرَاضِعَ} وَالْمُرَادُ مِنَ التَّحْرِيم الْمَنْعُ وَالْمَرَاضِعُ جمع المرضع،

{مِنْ قَبْلُ} أَيْ مِنْ قَبْلِ مَجِيءِ أُمِّ مُوسَى فَلَمَّا رَأَتْ أُخْتُ مُوسَى الَّتِي أَرْسَلَتْهَا أُمُّهُ فِي طَلَبِه ذَلِكَ قَالَتْ لَهُمْ: هَلْ أَدُلُّكُمْ؟ وَفِي الْقِصَّةِ أَنَّ مُوسَى مَكَثَ ثَمَانَ لَيَالٍ لا يَقْبَلُ ثَدْيًا وَيَصِيحُ وَهُمْ فِي طَلَبِ مُرْضِعَةٍ له،

{فَقَالَتْ} يَعْنِي: أُخْتَ مُوسَى،

{هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ} أَيْ: يضمونه {لَكُمْ} وَيُرْضِعُونَهُ، وَهِيَ امْرَأَةٌ قَدْ قُتِلَ وَلَدُهَا فَأَحَبُّ شَيْءٍ إِلَيْهَا أَنْ تَجِدَ صَغِيرًا تُرْضِعُهُ،

{وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ} وَالنُّصْحُ ضِدُّ الْغِشِّ وَهُوَ تَصْفِيَةُ الْعَمَلِ مِنْ شَوَائِبِ الْفَسَادِ، قَالُوا: نعم فَأْتِينَا بِهَا، فَانْطَلَقَتْ إِلَى أُمِّهَا وَأَخْبَرَتْهَا بِحَالِ ابْنِهَا وَجَاءَتْ بِهَا إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا وَجَدَ الصَّبِيُّ رِيحَ أُمِّهِ قَبِلَ ثَدْيَهَا وَجَعَلَ يَمُصُّهُ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (2)

* * *

قال: الإمَامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {12} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ} أَيْ: تَحْرِيمًا قَدَرِيا، وَذَلِكَ لِكَرَامَةِ اللَّهِ لَهُ صَانَهُ عَنْ أَنْ يَرْتَضِعَ غَيْرَ ثَدْيِ أُمِّهِ" وَلِأَنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ- جَعَلَ ذَلِكَ سَبَبًا إِلَى رُجُوعِهِ إِلَى أُمِّهِ، لِتُرْضِعَهُ وَهِيَ آمِنَةٌ، بَعْدَمَا كَانَتْ

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (12) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (12).

خائفَةً. فَلَمَّا رَأَتْهُمْ أُخْتُهُ حَائرِين فِيمَنْ يُرْضِعُهُ قَالَتْ:

{هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ} لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصحُونَ.

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): لَمَّا قَالَتْ ذَلِكَ أَخَذُوهَا، وَشَكُّوا فِي أَمْرِهَا، وَقَالُوا لَهَا: وَمَا يُدْرِيك نُصْحَهُمْ لَهُ وَشَفَقَتَهُمْ عَلَيْهِ؟ فَقَالَتْ: نُصْحُهُمْ لَهُ وَشَفَقَتُهُمْ عَلَيْهِ رَغْبَتُهُمْ فِي ظُؤُورة الْمَلِك وَرَجَاءُ مَنْفَعَتِه. فَأَرْسَلُوهَا، فَلَمَّا قَالَتْ لَهُمْ ذَلِكَ وخَلَصت مِنْ أَذَاهُمْ، ذَهَبُوا مَعَهَا إِلَى مَنْزِلِهِمْ، فَدَخَلُوا بِهِ عَلَى أُمِّهِ، فَأَعْطَتْهُ ثَدْيَهَا فَالْتَقَمَهُ، فَفَرِحُوا بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا. وَذَهَبَ الْبَشِيرُ إِلَى امْرَأَةِ الْمَلِكِ، فَاسْتَدْعَتْ أُمَّ مُوسَى، وَأَحْسَنَتْ إِلَيْهَا، وَأَعْطَتْهَا عَطَاءً جَزِيلًا وَهِيَ لَا تَعْرِفُ أَنَّهَا أُمُّهُ فِي الْحَقِيقَةِ، وَلَكِنْ لِكَوْنِهِ وَافَقَ ثَدْيَهَا. ثُمَّ سَأَلَتْهَا آسِيَةُ أَنْ تُقِيمَ عِنْدَهَا فَتُرْضِعَهُ، فَأَبَتْ عَلَيْهَا وَقَالَتْ: إِنَّ لِي بَعْلًا وَأَوْلَادًا، وَلَا أَقْدِرُ عَلَى الْمُقَامِ عِنْدَكِ. وَلَكِنْ إِنْ أَحْبَبْتِ أَنْ أُرْضِعَهُ فِي بَيْتِي فَعَلْتُ. فَأَجَابَتْهَا امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ إِلَى ذَلِكَ، وأَجْرَتْ عَلَيْهَا النَّفَقَةَ وَالصِّلَاتِ وَالْكَسَاوِي وَالْإِحْسَانَ الْجَزِيلَ. فَرَجَعَتْ أُمُّ مُوسَى بِوَلَدِهَا رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً، قَدْ أَبْدَلَهَا اللَّهُ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهَا أَمْنًا، فِي عِزٍّ وَجَاهٍ وَرِزْقٍ دَارٍّ. (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {12} قوله تعالى: {وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ}.

يقول تعالى ذكره: ومنعنا موسى المراضع أن يرتضع منهنّ من قبل أمه، ذكر أن أختا لموسى هي التي قالت لآل فرعون: (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ). (2)

* * *

قَال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن (السدي)، قال: أرادوا له المرضعات، فلم يأخذ من أحد من النساء، وجعل النساء يطلبن ذلك لينزلن عند فرعون في الرضاع، فأبى أن يأخذ، فذلك قوله: (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ) أخته (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ) فلما جاءت أمه أخذ منها. (3)

* * *

قَال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى" وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن (ابن أبي نجيح)، عن (مجاهد)، قوله: (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ) قال: لا يقبل ثدي امرأة حتى يرجع إلى أمه. (4)

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (12).

(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (12)، للإِمَامْ (الطبري)،

(3) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (12)، للإِمَامْ (الطبري)،

(4) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (12)،

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-
حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن حسان، عن سعيد بن جُبَيْر، عن (ابن عباس): (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ) قال: كان لا يؤتى بمرضع فيقبلها.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-
حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن (ابن جُريج)، عن (مجاهد)، قوله: (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ) قال: لا يرضع ثدي امرأة حتى يرجع إلى أمه.(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-
حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن (قتادة): (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ) قال: جعل لا يؤتى بامرأة إلا لم يأخذ ثديها، قال: (فَقَالَتْ) أخته (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ).(3)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-
حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن (ابن إسحاق)، قال: جمعوا المراضع حين ألقى الله محبته عليه، فلا يؤتى بامرأة فيقبل ثديها فيرمضهم ذلك، فيؤتى بمرضع بعد مرضع، فلا يقبل شيئا منهن (فَقَالَتْ) لهم أخته حين رأت من وجدهم به، وحرصهم عليه (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ)، ويعني بقوله: (يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ): يضمونه لكم. وقوله: (وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ) ذكر أنها أخذت، فقيل: قد عرفته، فقالت: إنما عنيت أنهم للملك ناصحون.(4)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-
حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: لما قالت أخته (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ) أخذوها، وقالوا: إنك قد عرفت هذا الغلام، فدلينا على أهله، فقالت: ما أعرفه، ولكني إنما قلت: هم للملك ناصحون.(5)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-
حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُريج، قوله: (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ) قال: فعلقوها حين قالت: وهم له ناصحون، قالوا: قد عرفته، قالت: إنما أردت هم للملك ناصحون.(6)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-
حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن (ابن إسحاق): (وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ) أي لمنزلته

---

(1) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (12)،
(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (12)،
(3) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (12)،
(4) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (12)، للإِمَامْ (الطبري)،
(5) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (12)،
(6) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (12)،

عنـدكم، وحرصـكم علـى مسـرّة الملـك، قـالوا: هاتي.(1)

* * *

أخـرج - الإمـام (آدم بـن أبـي إيـاس) - (رحمـه الله) - (بسـنده الصـحيح) - عـن (مجاهـد): قولـه: (وَحرَّمْنَـا عَلَيْـهِ الْمَرَاضِـعَ مِـنْ قَبْـلُ) قـال: لا يقبل ثدي امرأة حتى يرجع إلى أمه.(2)(3)

* * *

قـال: الإمـام (القـرطبي) - (رحمـه الله) - في (تفسيره):- {سُـورَةُ الْقَصَـص} الآيـة {12} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: (وَحرَّمْنَـا عَلَيْـهِ الْمَرَاضِـعَ مِـنْ قَبْـلُ) أَيْ مَنَعْنَـاهُ مِـنَ الارْتِضَـاعِ مِـنْ قَبْـلُ، أَيْ: مِـنْ قَبْـلِ مَجِيءِ أُمِّهِ وَأُخْتِه.

وَ" الْمَرَاضِـعَ" جَمْـعُ مُرْضِـعٍ ومـن قـال مراضيع فهـو جمـع مرضـاع، ومفعـال يَكُـونُ لِلتَّكْـثِيرِ، وَلَا تَـدْخُلُ الْهَـاءُ فيـه فَرْقًـا بَـيْنَ الْمُؤَنَّـثِ وَالْمُـذَكَّرِ لِأَنَّـهُ لَـيْسَ بِجَـارٍ عَلَـى الْفِعْـلِ، وَلَكِـنْ مَـنْ قَـالَ مِرْضَـاعَةٌ جَـاءَ بِالْهَـاءِ لِلْمُبَالَغَـةِ، كَمَـا يُقَـالُ مِطْرَابَةٌ.

قَـالَ: (ابْـنُ عَبَّـاسٍ): لَا يُـؤْتَى بِمُرْضِـعٍ فَيَقْبَلُهَـا وَهَذَا تَحْرِيمُ مَنْعٍ لَا تَحْرِيمُ شَرْعٍ،

قَـالَ امْـرُؤُ الْقَـيْسِ: جَالَـتْ لِتَصْـرَعَنِي فَقُلْـتُ لَهَـا اقْصُرِي ... إِنِّي امْرُؤٌ صَرْعِي عَلَيْكِ حَرَامُ

أَيْ: مُمْتَنِـعٌ. فَلَمَّـا رَأَتْ أُخْتُـهُ ذَلِـكَ قَالَـتْ: (هَـلْ أَدُلُّكُـمْ عَلَـى أَهْـلِ بَيْـتٍ يَكْفُلُونَـهُ لَكُـمْ) الْآيَـةَ.

فَقَـالُوا لَهَـا عِنْـدَ قَوْلِهَـا: " وَهُـمْ لَـهُ نَاصِـحُونَ" وَمَـا يُـدْرِيكِ؟ لَعَلَّـكِ تَعْـرِفِينَ أَهْلَـهُ؟ فَقَالَـتْ: لَا، وَلَكِـنَّهُمْ يَحْرِصُـونَ عَلَـى مَسَـرَّةِ الْمَلِـكِ، وَيَرْغَبُـونَ فِي ظِئْرِه.

وَقَـالَ: (السُّـدِّيّ)، وَ(ابْـنُ جُـرَيْجٍ): قِيـلَ لَهَـا لَمَّـا قَالَـتْ: " وَهُـمْ لَـهُ نَاصِـحُونَ" قَـدْ عَرَفْـتِ أَهْـلَ هَـذَا الصَّـبِيِّ فَـدُلِّينَا عَلَـيْهِمْ، فَقَالَـتْ: أَرَدْتُ وَهُـمْ لِلْمَلِـكِ نَاصِـحُونَ فَـدَلَّتْهُمْ عَلَـى أُمِّ مُوسَـى، فَانْطَلَقَـتْ إِلَيْهَـا بِـأَمْرِهِمْ فَجَـاءَتْ بِهَـا، وَالصَّـبِيُّ عَلَـى يَـدِ فِرْعَـوْنَ يُعَلِّلُـهُ شَـفَقَةً عَلَيْـهِ، وَهُـوَ يَبْكِـي يَطْلُـبُ الرَّضَـاعَ، فَدَفَعَـهُ إِلَيْهَـا، فلمـا وجـد الصبي ريحَ أُمِّهِ قَبِلَ ثَدْيَهَا.

وَقَـالَ: (ابْـنُ زَيْـدٍ): اسْـتَرَابُوهَا حِـينَ قَالَـتْ ذَلِكَ فَقَالَتْ وَهُمْ لِلْمَلِكِ نَاصِحُونَ.

يَعْنِـي:- إِنَّهَـا لَمَّـا قَالَـتْ: " هَـلْ أَدُلُّكُـمْ عَلَـى أَهْـلِ بَيْـتٍ يَكْفُلُونَـهُ لَكُـمْ" وَكَـانُوا يُبَـالِغُونَ فِـي طَلَـبِ مُرْضِـعَةٍ يَقْبَـلُ ثَـدْيَهَا فَقَـالُوا: مَـنْ هِـيَ؟ فَقَالَـتْ: أُمِّـي، فَقِيـلَ: لَهَـا لَـبَنٌ؟ قَالَـتْ: نَعَـمْ! لَـبَنُ هَـرُونَ- وَكَـانَ وُلِـدَ فِـي سَـنَةٍ لَا يُقْتَـلُ فِيهَـا الصِّبْيَانُ- فَقَالُوا صَدَقْتِ وَاللَّه.

" وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ" أَيْ: فِيهِمْ شَفَقَةٌ وَنُصْحٌ،

فَـرُوِيَ أَنَّـهُ قِيـلَ لِـأُمِّ مُوسَـى حِـينَ ارْتَضَـعَ مِنْهَـا: كَيْـفَ ارْتَضَـعَ مِنْـكِ وَلَـمْ يَرْتَضِـعْ مِـنْ غَيْـرِكِ؟ فَقَالَـتْ: إِنِّـي امْـرَأَةٌ طَيِّبَـةُ الـرِّيحِ طَيِّبَـةُ اللَّـبَنِ، لَا أَكَادُ أُوتَى بِصَبِيٍّ إِلَا ارْتَضَعَ مِنِّي.

قَـالَ: (أَبُـو عِمْـرَانَ الْجَـوْنِيُّ): وَكَـانَ فِرْعَـوْنُ يُعْطِي أُمَّ مُوسَى كُلَّ يَوْمٍ دِينَارًا.(4)

* * *

انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) - المنسـوب - للإمـام (الطبرانـي):- {سُـورَةُ الْقَصَـص} الآيـة {12} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {وَحرَّمْنَـا

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (12).

(2) انظـر: (موسـوعة الصـحيح المسـبور مـن التفسـير بالمـأثور) بـرقم (45/4)، للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (533/19).

(4) انظـر: تفسـير (القـرطبي) = (الجـامع لأحكـام القـرآن) في سُـورَةُ (الْقَصَـص) الآية (12)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ} "الْمَرَاضِعُ جمع مُرْضعَة ،

وقولهُ تعالى: {مِنْ قَبْلُ} أي: من قبل مَجيء أُمِّه، ومعنى: {وحرَّمْنَا عَلَيْه} أي مَنَعْنَاهُ ، وقد يذكرُ التحريم بمعنى المنع ،

قال الشاعرُ: جَاءَتْ لِسُرْعَتي فَقُلْتُ لَهَا اصْبِرِي إِنِّي امْرُؤٌ صَرْعِي عَلَيْكِ حَرَامُ أي مُمْتَنِعٌ

وذلك أنَّ اللهَ تعالى أراد أن يَردُّهُ إلى أُمِّه ، فَمَنَعَهُ من قَبولِ ثَدْيِ المراضع ، فلما تَعذَّر عليهم رضَاعهُ " {فَقَالَتْ} " أُخته : {هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ} " أي: يَضْمَنُونَ لكم القيامَ به ورضَاعَهُ ،

{وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ} " أي يُشفقُونَ عليه وينصَحُونه، قالوا لَهَا: مَنْ ؟ قَالَتْ: أُمِّي ، قالوا: ولأُمِّك لبَنٌ ؟ قالت: نَعَمْ " لبنُ أخي هارونَ ، وكان هارونَ وُلِدَ في سنَة لا يُقتَلُ فيها صبيٌّ ، فقالوا: صَدَقْتِ. فدلَّتْهُم على أُمِّ موسى ، فدُفِعَ إليها لتربيَهُ لَهم. (1)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {12} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ} قَالَ: (قَتَادَة): جَعَلَ لاَ يُؤْتَى بِامْرَأَةٍ إلاَ لَمْ يَأْخُذْ ثَدْيَهَا {فَقَالَتْ هَلْ أدلكم} أَلاَ أَدُلُّكُمْ {عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يكفلونه لكم} أي: يضمونه فيرضعونه. (2)

* * *

قال: الشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سُورَةُ الْقَصَص} الآية {12} وكان هَمُّ امرأة فرعون من الدنيا أن تجد له مرضعة، فكلما أتوه بمرضعة، لم يأخذ ثديها، فذلك قوله تعالى: {وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ} جمع مرضعة" أي: منعناه عن شرب لبن غير أمه

{مِنْ قَبْلُ} أي: من قبل قصِّها أثره.

{فَقَالَتْ} أخته حين رأت ذلك:

{هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ} يضمونه {لَكُمْ} ، ويرضعونه، وهي امرأة قد قُتل ولدها، فأحبُّ شيء إليها أن تجد صغيرًا ترضعه.

{وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ} والنصح: ضد الغش، وهو تصفية العمل من شوائب الفساد، فقال لها هامان: قد عرفت أهله؟ قالت: إنما قلت: هم للملك ناصحون، قالوا: نعم. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {12} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ} . ومن لطف الله بموسى وأمه، أن منعه من قبول ثدي امرأة، فأخرجوه إلى السوق رحمة به، ولعل أحدا يطلبه، فجاءت أخته، وهو بتلك الحال.

{فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ} .

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام (الطبراني) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (12)، انظر: (المكتبة الشاملة)

(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (12) للإمام ابن أبي زمنين المالكي).

(3) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سُورَةُ (القَصَص) الآية (12)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

وهذا جُلّ غرضهم، فإنهم أحبوه حبا شديدا، وقد منعه الله من المراضع فخافوا أن يموت، فلما قالت لهم أخته تلك المقالة، المشتملة على الترغيب، في أهل هذا البيت، بتمام حفظه وكفالته والنصح له، بادروا إلى إجابتها، فأعلمتهم ودلتهم على أهل هذا البيت. (1)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {12} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ} هذه أخته وقد أمرتها أمها أن تقص آثار موسى وتتبع أخباره فلما علمت أن أخاها لم يقبل المراضع وأن القصر في قلق من جراء عدم رضاع موسى تقدمت وقالت ما أخبر الله تعالى به عنها في قوله: {فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ} ويرضعونه ويحفظونه حتى تنتهي مدة رضاعته.

{وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ} وهنا ارتابوا في أمرها واستنطقوها واتهموها بأنها تعرفه فقالت: لا أعرفه، إنما عنيت.

{وهم له ناصحون} أن أهل هذا البيت ناصحون للملك وهنا استجابوا لها فأتت به أمه فما إن رآها حتى رمى نفسه عليها وأخذ ثديها يمتصه فقالوا لها: ما سر قبوله هذه المرأة فأجابت: بأنها طيبة الريح طيبة اللبن فأذنوا لها في إرضاعه في بيتها فعادت به. (2)

* * *

[١٣] ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فرجعنا (موسى)-عليه السلام- إلى أمه رجاء أن تقرّ عينها برؤيته عن قرب، ولا تحزن بسبب فراقه، ولتعلم أن وعد الله بإرجاعه إليها حق لا مرية فيه، ولكن أكثرهم لا يعلمون بهذا الوعد، ولا أحد يعلم أنها هي أمه. (3)

* * *

فرددنا موسى إلى أمه "كي تقرَّ عينها به، ووفينا إليها بالوعد" إذ رجع إليها سليمًا من قتل فرعون، ولا تحزنَ على فراقه، ولتعلم أن وعد الله حق فيما وعدها من ردِّه إليها وجعله من المرسلين. إن الله لا يخلف وعده، ولكن أكثر المشركين لا يعلمون أن وعد الله حق. (4)

* * *

فقبلوا إرشادها، وردَّه الله إلى أمه كي تطيب نفسها، وتفرح بعودته إليها، ولا تحزن بفراقه، ولتزداد علما بأن وعد الله بردِّه لها حاصل لا يتخلف، ولكن أكثر الناس لا

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَة (القَصَص) الآية (12)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَة (القَصَص) الآية (12)، للشيخ: (أبو بكر الجزائري).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (386/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (386/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

يعلمون عودة موسى إلى أمه، لخفائه عليهم.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا}.... بلقائه. (أي: برد موسى إليها).

{فرددناه إلى أمه}.... أي: رددنا موسى إلى أمه، أي: قبلوا اقتراح أخته.

{كَيْ تَقَرَّ عَيْنُها}... تتثبت وتستقر.

{وَلاَ تَحْزَنَ}.... بفراقه، (حِينَئِذ).

{وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ}..... بِرَدِّهِ إِلَيْهَا، (أي: إذ أوحى إليها أنه راده إليها وجاعله من المرسلين).

{وَلِتَعْلَمَ}.... علم مشاهدة.

{أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ}..... الذي وعدها به.

{حَقٌّ}..... برده إليها.

{وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ}..... صحة ذلك، فمكث عندها إلى أن فطمته، وردته، فتبناه فرعون وآسية.

{حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهم}.... أَيْ النَّاس.

{ولكن أكثرهم لا يعلمون}....أي: أكثر الناس لا يعلمون وعد الله لأم موسى ولا يعلمون أن الفتاة أخته وأن أمها أمه.

{لاَ يَعْلَمُونَ}..... بِهَذَا الْوَعْدِ وَلاَ بِأَنَّ هَذِهِ أُخْتُهُ وَهَذِهِ أُمُّهُ فَمَكَثَ عِنْدَهَا إِلَى أَنْ فَطَمَتْهُ وَأَجْرَى عَلَيْهَا أُجْرَتَهَا لِكُلِّ يَوْمٍ دِينَار وَأَخَذَتْهَا لِأَنَّهَا مَال حَرْبِيّ فَأَتَتْ بِهِ فِرْعَوْن فَتَرَبَّى عِنْده.

كَمَا قَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْهُ فِي سُورَة (الشُّعَرَاء) {أَلَمْ نُرَبِّك فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْت فِينَا مِنْ عُمُرك سِنِينَ}.

* * *

الدليل و البرهان و الحجّة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {13} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا} تطيب نَفسهَا بمُوسَى {وَلاَ تَحْزَنَ} على مُوسَى {وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ} فِي رده إِلَيْهَا {حَقٌّ} صدق {وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ} يَعْنِي: أهل مصر {لاَ يَعْلَمُونَ} ذَلِك وَلاَ يصدقون.(2)

* * *

قَالَ الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {13} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا} بِرَدِّ مُوسَى إِلَيْهَا، {وَلاَ تَحْزَنَ} أي: لِئَلا تَحْزَنَ، {وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} بِرَدِّهِ إِلَيْهَا، {وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ} أَنَّ اللَّهَ وَعَدَهَا رَدَّهُ إِلَيْهَا.(3)

* * *

قال: الشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {13} قوله تعالى: {فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}.

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/577)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (13) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (13).

فجاءت بأمها وهو يصيح بعد أن مكث ثماني ليال لا يقبل ثديًا، وهم في طلب مرضعة له، فلما شم ريحها، قبل ثديها، فقال فرعون: من أنت حتى قبل ثديك؟ قالت: إني طيبة الريح، طيبة اللبن، لا أوتى بصبي إلا قبل ثديي، فدفعه إليها، وأجرى أجرتها عليها، فكانوا يعطونها كل يوم دينار (1)، وأخذتها لأنها مال حربي، لا أنها أجرة حقيقة على إرضاعها ولدها، فذهبت به إلى بيتها،

فذلك قوله تعالى: {فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا} برد موسى إليها {وَلَا تَحْزَنَ} بفراقه.

{وَلِتَعْلَمَ} علمَ مشاهدة.

{أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ} الذي وعدها به {حَقٌّ} برده إليها.

{وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} صحةَ ذلك، فمكث عندها إلى أن فطمته، وردَّته، فتبناه فرعون وآسية. (2)

* * *

قال: الإمام (ابن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {13} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا} أَيْ: بِهِ، {وَلَا تَحْزَنَ} أَيْ: عَلَيْهِ: {وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} أَيْ: فِيمَا وَعَدَهَا مِنْ رَدِّهِ إِلَيْهَا، وَجَعْلِهِ مِنَ الْمُرْسَلِينَ. فَحِينَئِذٍ تَحَقَّقَتْ بِرَدِّهِ إِلَيْهَا أَنَّهُ كَائِنٌ مِنْهُ رَسُولٌ مِنَ الْمُرْسَلِينَ، فَعَامَلَتْهُ فِي تَرْبِيَتِهِ مَا يَنْبَغِي لَهُ طَبْعًا وَشَرْعًا.

وَقَوْلُهُ: {وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} أَيْ: حُكْمَ اللَّهِ فِي أَفْعَالِهِ وَعَوَاقِبِهَا الْمَحْمُودَةَ، الَّتِي هُوَ الْمَحْمُودُ عَلَيْهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَرُبَّمَا يَقَعُ الْأَمْرُ كَرِيهًا إِلَى النُّفُوسِ، وَعَاقِبَتُهُ مَحْمُودَةٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ} {الْبَقَرَةِ: 216}.

وَقَالَ تَعَالَى: {فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا} {النساء: 19}. (3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {13} قوله تعالى: {فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}.

يقول تعالى ذكره: {فَرَدَدْنَا} موسى {إِلَىٰ أُمِّهِ} بعد أن التقطه آل فرعون، لتقرّ عينها بابنها، إذ رجع إليها سليما من قتل فرعون.

{وَلَا تَحْزَنَ} على فراقه إياها.

{وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ} الذي وعدها إذ قال لها {فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي} ... الآية، {حق}.

وقوله: {وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} يقول تعالى ذكره: ولكن أكثر المشركين لا يعلمون

---

(1) انظر: "تفسير البغوي" (3/ 428)، و"تفسير ابن كثير" (6/ 223).

(2) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (13)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (13).

أن وعد الله حق، لا يصدقون بأن ذلك كذلك.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري)– (رحمه الله) – في (تفسيره):–

(بسنده الحسن): حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، – عن (قتادة): (فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ) فقرأ حتى بلغ (لا يَعْلَمُونَ) ووعدها أنه راده إليها وجاعله من المرسلين، ففعل الله ذلك بها.(2)

* * *

أخرج – الإمام (ابن أبي حاتم) – (رحمه الله) في (تفسير):– (بسنده الصحيح) – عن (قتادة):

قوله: (وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) فوعدها أنه راده إليها و (جاعله) من المرسلين، ففعل الله بها ذلك.(3)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):– {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {13} قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَرَدَدْنَاهُ إلى أُمِّهِ) أَيْ: رَدَدْنَاهُ وَقَدْ عَطَفَ اللَّهُ قَلْبَ الْعَدُوِّ عَلَيْهِ، وَوَفَّيْنَا لَهَا بِالْوَعْدِ. (كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا) أَيْ بِوَلَدِهَا. (وَلا تَحْزَنَ) أَيْ بِفِرَاقِ وَلَدِهَا. (وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) أَيْ: لِتَعْلَمَ وُقُوعَهُ فَإِنَّهَا كَانَتْ عَالِمَةً بِأَنَّ رَدَّهُ إِلَيْهَا سَيَكُونُ. (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ) يَعْنِي: أَكْثَرَ آلِ فِرْعَوْنَ لَا يَعْلَمُونَ، أَيْ كانوا في غفلة عن التقرير وشر القضاء.

يَعْنِي:– أي: أكثر الناس يَعْلَمُونَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَا وَعَدَ حَقٌّ.(4)

* * *

انظر: (تفسير القرآن العظيم) – المنسوب – للإمام (الطبراني):– {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {13} فلما وَجَدَ الصبيُّ ريحَ أُمِّه قَبلَ ثديَيْها وأتمَّها اللهُ ما وعدَها وهو قولُهُ تعالَى: {فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ} " على فِراقه، {وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ} " بردِّ ولدها إليها، {حَقٌّ وَلَاكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ} أنَّ اللهَ وعدَها بردِّ ولدها إليها.(5)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):– {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {13} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} يَعْنِي: الَّذِي قُذِفَ فِي قَلْبِهَا {وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُم لَا يعلمُونَ} يَعْنِي: جَمَاعَتَهم.(6)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):– {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {13} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ} كما وعدناها بذلك {كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ} بحيث إنه تربى عندها على وجه تكون فيه آمنة مطمئنة، تفرح به، وتأخذ الأجرة الكثيرة على ذلك،

---

(1) انظُر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (13)، لِلإِمَامْ (الطبري)،

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) ي سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (13) – (534/19).

(3) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (45/4)،

(4) انظُر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (13)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(5) انظُر: (تفسير القرآن العظيم) – المنسوب – للإمام (الطبراني) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (13)، انظُر: (المكتبة الشاملة)

(6) انظُر: (تفسير القرآن العزيز) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (13) للإمام إبن أبي زمنين المالكي)،

{وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} فأريناها بعض ما وعدناها به عيانا، ليطمئن بذلك قلبها، ويزداد إيمانها، ولتعلم أنه سيحصل وعد الله في حفظه ورسالته،

{وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ} فإذا رأوا السبب متشوشا، شوش ذلك إيمانهم، لعدم علمهم الكامل، أن الله تعالى يجعل المحن الشاقة والعقبات الشاقة، بين يدي الأمور العالية والمطالب الفاضلة، فاستمر موسى عليه الصلاة والسلام عند آل فرعون، يتربى في سلطانهم، ويركب مراكبهم، ويلبس ملابسهم، وأمه بذلك مطمئنة، قد استقر أنها أمه من الرضاع، ولم يستنكر ملازمته إياها وحنوها عليها.

وتأمل هذا اللطف، وصيانة نبيه موسى من الكذب في منطقه، وتيسير الأمر، الذي صار به التعلق بينه وبينها، الذي بان للناس أنه هو الرضاع، الذي بسببه يسميها أُمًّا، فكان الكلام الكثير منه ومن غيره في ذلك كله، صدقا وحقا. (1)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسير):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {13} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ} أي: تفرح وتسر ولا تحزن على فراقه،

{وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ} إذ وعدها بأنه راده إليها.

وقوله تعالى: {وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ} أي لكن أكثر الناس لا يعلمون أنها أمه ولا أن الله وعدها بأن يرده إليها. (2)

* * *

﴿ من فَوائِدِ الآيَاتِ ﴾
﴿ سُورَةُ الْقَصَصِ: 9 - 13 ﴾

• تدبير الله لعباده الصالحين بما يسلمهم من مكر أعدائهم.
• تدبير الظالم يؤول إلى تدميره.
• قوة عاطفة الأمهات تجاه أبنائهن.
• جواز استخدام الحيلة المشروعة للتخلص من ظلم الظالم.
• تحقيق وعد الله واقع لا محالة. (3)

* * *

[١٤] ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولما بلغ سن اشتداد البدن، واستحكم في قوته -أعطيناه فهمًا وعلمًا في دين بني إسرائيل قبل نبوته، وكما جزينا موسى على طاعته نجزي المحسنين في كل زمان ومكان. (4)

* * *

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (13)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (13)، للشيخ: (أبو بكر الجزائري).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (387/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (387/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (14) وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (15) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (16) قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ (17) فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ (18) فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ (19) وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (20) فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (21)

ولما بلغ موسى أشد قوته وتكامل عقله، آتيناه حكمًا وعلمًا يعرف بهما الأحكام الشرعية، وكما جزينا موسى على طاعته وإحسانه نجزي مَن أحسن من عبادنا.(1)

* * *

ولما بلغ موسى رشده واكتمل نضجه أعطاه الله الحكمة والعلم، ومثل ذلك الإحسان الذى أحسنا به إلى موسى وأمه نكافئ المحسنين على إحسانهم.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ} ... من القُوَّة والعَقْل واللُّب، وذلك نحوَ أَرْبَعِينَ سَنَةً في الغَالِب.

{وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى} .... أي: ثلاثين سنة من عمره فانتهى شبابه وكمل عقله.

{وَلَمَّا بَلَغَ} ... أَشُدَّهُ قوى. (أي: قَوِيَ بَدَنُهُ).

{وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ} .... منتهى قوته، وهو ما فوق الثلاثين.

{وَاسْتَوَى} .... اعتدلت قوته، وبلغ أربعين سنة، وهو سن بعث الأنبياء.

{وَاسْتَوى} ... واعتدل وتم استحكامه، وبلغ المبلغ الذي لا يزاد عليه. (أي: تَكَامَلَ عَقْلُه).

(أي: فَكَمَلَتْ فيه تلْكَ الأمُورُ).

{آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا} ... يعني بالحكم: الفهم بالدين والمعرفة.

(أي: وهبناه الحكمة من القول والعمل والعلم بالدين الإسلامي الذي كان عليه بنو إسرائيل وهذا قبل أن ينبأ ويرسل).

{آتَيْنَاهُ} .... قبل نبوته.

{حُكْمًا} .... حكمة وفقهًا. (أي: فقهًا في الدين).

{وَعِلْمًا} ... ونبوة.(أي: بمصالح الدارين، فكان يتكلم بالحق، وينكر عليهم قبل النبوة.

{وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} .... على إحسانهم.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {14} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَمَّا

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (387/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (577/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

بَلَغَ أَشُدَّهُ} ثمان عشرة سنة {واستوى} خلقه أَرْبَعِينَ سنة {آتَيْنَاهُ} أعطيناه {حُكْماً} فهما {وعِلْماً} نبوة {وَكَذَلِكَ} هكذا {نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} النَّبيين بالفهم والنبوة وَيُقَال الصَّالِحين بِالْعلمِ وَالْحِكْمَة. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {14} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ} قَالَ: (الْكَلْبِيُّ): الْأَشُدُّ مَا بَيْنَ ثماني عشر سنة إلى ثلاثين سنة. وقال: (مُجَاهِدٌ) وغَيْرُهُ: ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً،

{وَاسْتَوَى} أي: بلغ أربعين سنة،

وروى (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ) عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ)، يعني:- استوَى انْتَهَى شبابه.

{آتَيْنَاهُ حُكْمًا وعِلْمًا} أي: الْفِقْهَ وَالْعَقْلَ وَالْعِلْمَ فِي الدِّينِ، فَعَلِمَ مُوسَى وَحَكَمَ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ نَبِيًّا، {وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}. (2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {14} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}. لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى مَبْدَأَ أَمْرِ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، ذَكَرَ أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى، آتَاهُ اللَّهُ حُكْمًا وَعِلْمًا -

قَالَ: (مُجَاهِدٌ): يَعْنِي: النُّبُوَّةَ. {وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}. (3)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {14} قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً) قَدْ مَضَى الْكَلَامُ فِي الْأَشُدِّ فِي "الْأَنْعَامِ". وَقَوْلُ: (رَبِيعَةَ)، وَ(مَالِكٍ): أَنَّهُ الْحُلُمُ أَوْلَى مَا قِيلَ فيه،

لقَوْله تعالى: {حَتَّى إذا بَلَغُوا النِّكَاحَ} وذلك أَوَّلُ الْأَشُدِّ، وَأَقْصَاهُ أَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً، وَهُوَ قَوْلُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ.

{وَاسْتَوَى} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): بَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَالْحُكْمُ: الْحِكْمَةُ قَبْلَ النُّبُوَّةِ،

يعني:- الْفِقْهُ فِي الدِّينِ وَقَدْ مَضَى بَيَانُهَا في "البقرة" وغيرها والعلم الفهم قَوْلِ: (السُّدِّيِّ).

يعني:- النُّبُوَّةُ.

وقَالَ: (مُجَاهِدٌ): الْفِقْهُ.

(محمد ابْنِ إِسْحَاقَ): أَيِ الْعِلْمُ بِمَا فِي دِينِهِ وَدِينِ آبَائِهِ، وَكَانَ لَهُ تِسْعَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَسْمَعُونَ مِنْهُ، وَيَقْتَدُونَ بِهِ، وَيَجْتَمِعُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ هذا قبل النبوة.

(وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) أَيْ: كَمَا جَزَيْنَا أُمَّ مُوسَى لَمَّا اسْتَسْلَمَتْ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَأَلْقَتْ وَلَدَهَا فِي الْبَحْرِ، وَصَدَّقَتْ بِوَعْدِ اللَّهِ، فَرَدَدْنَا وَلَدَهَا إِلَيْهَا بِالتُّحَفِ وَالطُّرَفِ وَهِيَ آمِنَةٌ، ثُمَّ

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (14) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (14).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (14).

وَهَبْنَا لَهُ الْعَقْلَ وَالْحِكْمَةَ وَالنُّبُوَّةَ، وَكَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ محسن.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {14} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ} من القوة والعقل واللب، وذلك نحو أربعين سنة في الغالب، {وَاسْتَوَى} كملت فيه تلك الأمور {آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا} أي: حكما يعرف به الأحكام الشرعية، ويحكم به بين الناس، وعلما كثيرا.

{وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} في عبادة الله المحسنين لخلق الله، نعطيهم علما وحكما بحسب إحسانهم، ودل هذا على كمال إحسان موسى عليه السلام.(2)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {14} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَمَّا بَلَغَ} أي موسى {أَشُدَّهُ}(3) أي: اكتمال شبابه وهو ثلاثين سنة.

{آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً} أي حكمة وهي الإصابة في الأمور {وَعِلْماً} فقهاً في الدين الإسلامي الذي كان عليه بنو إسرائيل.

وقوله تعالى: {وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} أي: كما جزينا(4) أم موسى وولدها موسى نجزي المحسنين.(5)

* * *

قوله تعالى: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (14) وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (15) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (16) قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ (17) فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ (18) فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ (19) وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (20) فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (21)}.

---

(1) انظُر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (14)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) انظُر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (14)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) قال: (مالك)، وربيعة شيخه: الأشد: الحلم لقوله تعالى: (حتى إذا بلغوا النكاح) وهو أول الأشد وأقصاه أربع وثلاثون سنة. واستوى: أي: بلغ أربعين سنة.

(4) جزاها على استسلامها لأمر ربها وصبرها على فراق ولدها إذ ألقته في اليم وعلى تصديقها بوعد ربها، ومما جزاها به رده ولدها إليها مصحوبا بالتحف والطرف وهي آمنة ووهب ولدها الحكمة والعلم والنبوة.

(5) انظُر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (14)، للشيخ: (أبو بكر الجزائري).

في هذه الآيات قصة قتله للقبطي والبحث عن (موسى) لقتله،

* * *

وقد ورد ذكر هذه القصة في سورة – (طه) – الآية–(40)، – كما قال تعالى: {إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى} .

* * *

وانظر: سورة (الشعراء) (14) . – كما قال تعالى: {وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ} .

* * *

أخرج – الإمام (عبد الرزاق) – (رحمه الله)– في (تفسيره):– (بسنده الصحيح) – عن (قتادة): في قوله: (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى) قال: استوى: بلغ أربعين سنة.[1]

* * *

أخرج – الإمام (آدم ابن أبي إياس) – (رحمه الله) – في (تفسيره):– (بسنده الصحيح) – عن (مجاهد): قوله: (آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا) قال: الفقه والعقل والعمل قبل النبوة.[2]

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):– {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {14} قوله تعالى: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} .

يقول تعالى ذكره: (وَلَمَّا بَلَغَ مُوسَى أَشُدَّه) ، يعني حان شدة بدنه وقواه، وانتهى ذلك منه، وقد بيَّنا معنى الأشدّ فيما مضى بشواهده، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله: (واستوى) يقول: تناهي شبابه، وتمّ خلقه واستحكم.

وقد اختلف في مبلغ عدد سني الاستواء، فقال بعضهم: يكون ذلك في أربعين سنة.

* ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ليث، عن (مجاهد)، في قوله: (واستوى) قال: أربعين سنة.[3]

* * *

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى" وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن (مجاهد)، قوله: (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ) قال: ثلاثا وثلاثين سنة.

* * *

قوله: (واستوى) قال: بلغ أربعين سنة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن (ابن جُريج)، عن (مجاهد)، مثله.

* * *

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن جُريج، عن

---

(1) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (46/4)، للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين)،
(2) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (46/4)،
(3) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (14)، للإمَامْ (الطبري)،

(مجاهد)، عن (ابن عباس): (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ) قال: بضعا وثلاثين سنة.[1]

* * *

قال: ثنا سفيان، عن (ابن أبي نجيح)، عن (مجاهد): (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ) قال: ثلاثا وثلاثين سنة.

* * *

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر، عن (قتادة): (أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى) قال: أربعين سنة، وأشدّه: ثلاثا وثلاثين سنة.

* * *

حدثني يونس، قال: أخبرنا (ابن وهب)، قال: قال (ابن زيد) في قوله: (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى) قال: كان أبي يقول: الأشدّ: الجلَد، والاستواء: أربعون سنة.[2]

* * *

وقال بعضهم: يكون ذلك في ثلاثين سنة.

وقوله: (آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا) يعني بالحكم: الفهم بالدين والمعرفة.

* * *

كما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى" وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا عن (ابن أبي نجيح)، عن (مجاهد): (آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا) قال: الفقه والعقل والعمل قبل النبوّة.

* * *

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن (ابن جُرَيج)، عن (مجاهد): (آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا) قال: الفقه والعمل قبل النبوة.

* * *

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن (ابن إسحاق): (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى) آتاه الله حكما وعلما: وفقها في دينه ودين آبائه، وعلما بما في دينه وشرائعه وحدوده.

* * *

وقوله: (وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) يقول تعالى ذكره: كما جزينا موسى على طاعته إيانا وإحسانه بصبره على أمرنا، كذلك نجزي كلّ من أحسن من رسلنا وعبادنا، فصبر على أمرنا وأطاعنا، وانتهى عما نهيناه عنه.[3]

* * *

[١٥] ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ودخل (موسى) -عليه السلام- المدينة في وقت راحة الناس في بيوتهم، فوجد فيها رجلين يتخاصمان ويتضاربان، أحدهما من

(1) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (14)، للإِمَامْ (الطبري).

(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (14)، للإِمَامْ (الطبري).

(3) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (14)، للإِمَامْ (الطبري).

بـني إسرائيل قـوم (موسـى)- عليـه السـلام، والآخـر مـن القِبْط قـوم فرعـون أعـداء موسـى، فطلب الَّـذي هـو مـن قومـه أن يعينـه على الَّـذي هـو مـن القِبْط أعدائـه، فضـرب موسى القبطي بقبضـة يـده، فقتلـه بتلـك الضـربة لقوّتهـا، قـال: (موسى)- عليـه السلام: هـذا مـن تـزيين الشـيطان وإغرائـه، إن الشـيطان عـدو مضلّ لـمن اتبعـه، واضـح العـداوة، فمـا حصـل مـني بسـبب عداوتـه، وبسـبب أنَّـه مضـلّ يريـد إضلالي. (1)

* * *

ودخـل موسـى المدينـة مسـتخفيًا وقـت غفلـة أهلـها، فوجـد فيهـا رجلـين يقتـتلان: أحـدهما مـن قـوم موسـى مـن بـني إسـرائيل، والآخـر مـن قـوم فرعـون، فطلـب الـذي مـن قـوم موسـى النصـر علـى الـذي مـن عـدوه، فضـربه موسـى بجُمْـع كفِّـه فمـات، قـال موسـى حـين قتلـه: هـذا مـن نـزغ الشـيطان، بـأن هـيَّج غضـبي، حتـى ضـربت هـذا فهلـك، إن الشـيطان عـدو لابـن آدم، مضـل عـن سـبيل الرشـاد، ظـاهر العـداوة. وهـذا العمـل مـن موسـى -عليـه السـلام- كـان قبل النبوة. (2)

* * *

ودخـل موسـى المدينـة فـى وقـت غفـل فيـه أهلـها، فوجـد فيهـا رجلـين يقتـتلان: أحـدهما مـن بنـى إسـرائيل، والآخـر مـن قـوم فرعـون، فاسـتعان بـه الإسـرائيلى علـى خصـمه فأعانـه موسـى، وضـرب الخصـم بقبضـة يـده فقتلـه مـن غـير قصـد. ثـم أسـف موسـى، وقـال: إنَّ إقـدامى علـى هـذا مـن عمـل الشـيطان. إن الشـيطان لعدو ظاهر العداوة واضح الضلال. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ} ... هى منف.

(أي: مدينـة فرعـون وهـي مُنْـفُ بعـد أن غـاب عنها مدة).

{علـى حـين غفلـة مـن أهلـها} ..... لأن الوقـت كان وقت القيلولة.

{هـذا مـن شـيعته} .... أي: علـى دينـه الإسلامي.

(أي: مـنْ قَـوْمِ مُوسَـى - عليـه السـلام -، وَهُـمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ).

{وهـذا مـن عـدوه} .... علـى ديـن فرعـون والأقباط.

(أي: من القبط من قوم فرعون).

{فَـوَكَزَهُ مُوسَـى فَقَضَـى عَلَيْـهِ} ... فلكـزه ولهـزه في صدره بجمع كفه.

{فَـوَكَزَهُ} ... ضَـرَبَهُ بِجُمْـعِ كَفِّـهِ. (أي: فدفعه).

{عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا} ... فى ساعة قد غفل فيها أهلها.

{فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ} ... هذا من أهل دين موسى من بني إسرائيل.

{فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ} ... فاستغاثه الذي هو من أهل دين موسى على الذي من عدوّه من القبط.

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (387/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (387/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (577/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{فَقَضَى عَلَيْهِ} ... فقتله. أي: ففرغ من قتله. وقد بيَّنت فيما مضى أن معنى القضاء: الفراغ بما أغنى عن إعادته ههنا.

{قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ} ... قال: موسى حين قتل القتيل: هذا القتل من تسبب الشيطان لي بأن هيَّج غضبي حتى ضربت هذا فهلك من ضربتي،

{هذا من عمل الشيطان} ... أي: هذا الفعل من عمل الشيطان لأنه المهيج غضبي.

{عَمَلِ الشَّيْطَانِ} ... من إغوائه.

{إنه عدو مضل مبين} .... أي: الشيطان عدو لابن آدم مضل له عن الهدى، مبين ظاهر الإضلال.

{إِنَّهُ عَدُوٌّ} ... إن الشيطان عدو لابن آدم.

{مُضِلٌّ} ... له عن سبيل الرشاد بتزيينه له القبيح من الأعمال، وتحسينه ذلك له.

{مُبِينٌ} ... يعني: أنه يبين عداوته لهم قديما، وإضلاله إياهم.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {15} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَدخل الْمَدِينَة على حِين غَفلَة} اشتغال اشتغال {مِنْ أَهْلِهَا} عند القيلولة وَيُقَال بعد صَلَاة الْمغرب {فَوَجَدَ فِيهَا} فِي الْمَدِينَة {رجُلَيْنِ} إسرائيليًا وقبطيا {يَقْتَتِلَانِ} يتنازعان ويتحاربان بَينهمَا {هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ} من شيعَة مُوسَى الإسرائيلي {وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ} من عَدو مُوسَى القبطي

{فاستغاثه الَّذِي مِن شِيعَتِه} من شيعَة مُوسَى {عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ} من عَدو مُوسَى {فَوَكَزَهُ مُوسَى} فَجمع مُوسَى أَصَابِعه وَقبض عَلَيْهَا فلكزه لكزة {فَقضى عَلَيْهِ} الْمَوْت فخر مَيتا {قَالَ} مُوسَى {هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ} بِأَمْر الشَّيْطَان {إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ} ظَاهر الْعَدَاوَة وَنَدم على قَتله. (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {15} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ} يَعْنِي: دَخَلَ مُوسَى الْمَدِينَةَ،

قَالَ: (السُّدِّيُّ): هِيَ مَدِينَةُ مَنْفَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ،

وَقَالَ: (مُقَاتِلٌ): كَانَتْ قرية يقال لها حَابِينَ عَلَى رَأْسِ فَرْسَخَيْنِ مِنْ مِصْرَ.

وقيل: مَدِينَةُ عَيْنِ الشَّمْسِ،

{عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا} وهو وَقْتَ الْقَائِلَةِ وَاشْتِغَالِ النَّاسِ بِالْقَيْلُولَةِ.

وَقَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ): دَخَلَهَا فِيمَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ.

وَاخْتَلَفُوا فِي السَّبَبِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ دَخَلَ الْمَدِينَةَ فِي هَذَا الْوَقْتِ.

قَالَ: (السُّدِّيُّ): وَذَلِكَ أَنَّ موسى كَانَ يُسَمَّى ابْنَ فِرْعَوْنَ، فَكَانَ يَرْكَبُ مَرَاكِبَ فِرْعَوْنَ وَيَلْبَسُ مِثْلَ مَلَابِسِه فَرَكِبَ فِرْعَوْنُ يَوْمًا وَلَيْسَ عِنْدَهُ مُوسَى، فَلَمَّا جَاءَ مُوسَى قِيلَ لَهُ: إِنَّ فِرْعَوْنَ قَدْ رَكِبَ فَرَكِبَ فِي أَثَرِهِ فَأَدْرَكَهُ

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (15) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

الْمَقِيلُ بِأَرْضِ مَنْفَ فَدَخَلَهَا نِصْفَ النَّهَارِ وَلَيس فِي طَرَفِهَا أَحَدٌ،

{فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلاَنِ} يَخْتَصِمَانِ وَيَتَنَازَعَانِ،

{هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ} من بَنِي إِسْرَائِيلَ.

{وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ} من القبط يَعْنِي:- هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ أَيْ هَذَا مُؤْمِنٌ وهذا كافر،

{فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ} فَاسْتَغَاثَهُ الْإِسْرَائِيلِيُّ عَلَى الْفِرْعَوْنِيِّ، وَالِاسْتِغَاثَةُ طَلَبُ الْغَوْثِ فَغَضِبَ مُوسَى وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ لِأَنَّهُ تَنَاوَلَهُ وَهُوَ يَعْلَمُ مَنْزِلَةَ مُوسَى مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَحِفْظَهُ لَهُمْ، وَلاَ يَعْلَمُ النَّاسُ إِلاَّ أَنَّهُ مِنْ قِبَلِ الرَّضَاعَةِ من أم موسى.

{فَوَكَزَهُ مُوسَى} وَقَرَأَ (ابْنُ مَسْعُودٍ): (فَلَكَزَهُ مُوسَى) ومعناهما واحد وهو الضرب بجميع الْكَفِّ.

وقيل: الْوَكْزُ الضَّرْبُ فِي الصَّدْرِ وَاللَّكْزُ فِي الظَّهْرِ.

وقَالَ: (الْفَرَّاءُ): مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ وَهُوَ الدَّفْعُ،

وقَالَ: (أَبُو عُبَيْدَةَ): الْوَكْزُ الدَّفْعُ بِأطراف الأصابع؟.

{فَقَضَى عَلَيْهِ} أَيْ: فَقَتَلَهُ وَفَرَغَ مِنْ أَمْرِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ فَرَغْتَ مِنْهُ فَقَدْ قَضَيْتَهُ وَقَضَيْتَ عَلَيْهِ، فَنَدِمَ مُوسَى عليه ولم يكن قصده القتل.

{قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ} أَيْ: بَيِّنُ الضَّلَالَةِ. (1)

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَة (الْقَصَص) الآية (15).

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (قتادة): قوله: (وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا) قال: دخلها بعد ما بلغ أشده عند القائلة نصف النهار. (2)

* * *

أخرج - الإمام (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) -في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (ابن عباس): قوله: (وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلاَنِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ) إسرائيلي (وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ) قبطي. (3)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (قتادة): (فَوَكَزَهُ مُوسَى) نبي الله، ولم يتعمد قتله. (4)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {15} ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى سَبَبَ وُصُوله إِلَى مَا كَانَ تَعَالَى قَدَّرَ لَهُ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالتَّكْلِيمِ: قَضِيَّةَ قَتْلِهِ ذَلِكَ الْقِبْطِيَّ، الَّذِي كَانَ سَبَبَ خُرُوجِهِ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ إِلَى بِلَادِ مَدْيَنَ،

فَقَالَ تَعَالَى: {وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا} قَالَ: (ابْنُ جُرَيْجٍ)، عَنْ (عَطَاءٍ الْخُرَاسَانِيِّ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ): وَذَلِكَ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ.

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (538/19).

(3) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (46/4)، للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين)،

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (540/19).

وَقَالَ: (ابْنُ الْمُنْكَدِرِ)، عَنْ (عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ): كَانَ ذَلِكَ نِصْفَ النَّهَارِ.

وَكَذَلِكَ قَالَ: (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ)، وَ(عِكْرِمَةُ)، وَ(السُّدِّيُّ)، وَ(قَتَادَةُ).

{فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ} أَيْ: يَتَضَارَبَانِ وَيَتَنَازَعَانِ،

{هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ} أَيْ: مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ،

{وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ} أَيْ: قِبْطِيٌّ، قَالَهُ (ابْنُ عَبَّاسٍ)، وَ(قَتَادَةُ)، وَ(السُّدِّيُّ)، وَ(مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ): فَاسْتَغَاثَ الْإِسْرَائِيلِيُّ بِمُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَوَجَدَ مُوسَى فُرْصَةً، وَهِيَ غَفْلَةُ النَّاسِ، فَعَمَدَ إِلَى الْقِبْطِيِّ {فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ}.

قَالَ: (مُجَاهِدٌ): وَكَزَهُ، أَيْ: طَعَنَهُ بِجُمْعِ كَفِّهِ.

وَقَالَ: (قَتَادَةُ): وَكَزَهُ بِعَصًا كَانَتْ مَعَهُ.

{فَقَضَى عَلَيْهِ} أَيْ: كَانَ فِيهَا حَتْفُهُ فَمَاتَ،

قَالَ: (مُوسَى): {هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ}. (1)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {15} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ} أي: موسى دخل مدينة مُنْفُ التي هي مدينة فرعون وكان غائبا فترة. {عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا} لأن الوقت كان وقت القيلولة {فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ} على دين موسى وبني إسرايئل وهو الإسلام {وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ} لأنه على دين فرعون والأقباط وهو الكفر.

{فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ فَقَضَى عَلَيْهِ} أي: طلب غوثه على الذي من عدوه {فَوَكَزَهُ مُوسَى} أي: ضربه بجمع كفه {فَوَكَزَهُ مُوسَى} أي فقتله ودفنه في الرمال.

وقوله تعالى: {قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ} أي: هذا قول موسى عليه السلام اعترف بأن ضربه القبطي كان من تهيج الشيطان لغضبه فقال: {هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ} للإنسان {مُضِلٌّ} له عن طريق الخير والهدى {مُبِينٌ} أي ظاهر العداوة للإنسان والإضلال. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {15} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا} إما وقت القائلة، أو غير ذلك من الأوقات التي بها يغفلون عن الانتشار.

{فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ} أي: يتخاصمان ويتضاربان {هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ} أي: من بني إسرائيل {وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ} القبط.

{فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ} لأنه قد اشتهر، وعلم الناس أنه من بني إسرائيل، واستغاثته لموسى، دليل على أنه بلغ موسى عليه السلام مبلغا يخاف منه، ويرجى من بيت المملكة والسلطان.

{فَوَكَزَهُ مُوسَى} أي: وكز الذي من عدوه، استجابة لاستغاثة الإسرائيلي،

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (15).

(2) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (15)، للشيخ: (أبو بكر الجزائري).

{فَقَضَى عَلَيْهِ} أي: أماته من تلك الوكزة، لشدتها وقوة موسى.

فندم موسى- عليه السلام على ما جرى منه، و{قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ} أي: من تزيينه ووسوسته، {إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ} فلذلك أجريت ما أجريت بسبب عداوته البينة، وحرصه على الإضلال.(1)

* * *

قال: الشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {15} قوله تعالى:

{وَدَخَلَ} موسى {الْمَدِينَةَ} هي مدينة مَنْف من أرض مصر، وتقدم ذكرها في سورة (يوسف)، وهي مدينة فرعون موسى التي كان ينزلها، وفيها كانت الأنهار تجري تحت سريره. روي أن فرعون خاف من موسى، فأخرجه من مدينته، فغاب عنها سنتين، حتى كبر واشتد، فدخلها مستخفيًا.

{عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ} وقت غرة.

{مِنْ أَهْلِهَا} يوم عيد لهم، وهم مشغولون بلهوهم.

{فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ} إسرائيليًّا وقبطيًا.

{يَقْتَتِلَانِ} يختصمان.

{هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ} أتباعه، روي أنه السامري.

{وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ} من القبط الذين هم على دين فرعون.

{فَاسْتَغَاثَهُ} طلب منه الغوث.

{الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ} وهو الإسرائيلي.

{عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ} وهو القبطي، وكان موسى قد أعطي شدة عظيمة.

{فَوَكَزَهُ مُوسَى} بالعصا، ولم يتعمد قتله، بل أراد دفع ظلمه.

{فَقَضَى عَلَيْهِ} فقتله، فندم، فدفنه في الرمل.

و{قَالَ هَذَا} القتل.

{مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ} أي: بسببه" لأنه هيج غضبي.

{إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ} ظاهر العداوة، وهذا كان قبل النبوة، وهو مقتضى التلاوة، والسورة تدل عليه.(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {15} قوله تعالى: (وَدَخَلَ) موسى (الْمَدِينَةَ) مدينة منف من مصر (عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا) وذلك عند القائلة، نصف النهار.

وقوله: (فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ) يقول: هذا من أهل دين موسى من بني إسرائيل (وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ) من القبط من قوم فرعون

(فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ) يقول: فاستغاثه الذي هو من أهل دين موسى على الذي من عدوه من القبط.

(فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ) يقول: فلكزه ولهزه في صدره بجمع كفه.

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةِ (الْقَصَص) الآية (15)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سُورَةِ (الْقَصَص) الآية (15)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

وقوله: (قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ) يقول تعالى ذكره: قال موسى حين قتل القتيل: هذا القتل من تسبب الشيطان لي بأن هيَّج غضبي حتى ضربت هذا فهلك من ضربتي،

(إِنَّهُ عَدُوٌّ) يقول: إن الشيطان عدو لابن آدم.

(مُضِلٌّ) له عن سبيل الرشاد بتزيينه له القبيح من الأعمال، وتحسينه ذلك له.

(مُبِينٌ) يعني: أنه يبين عداوته لهم قديما، وإضلاله إياهم.(1)

* * *

قَالَ: الإمام (القُرطبي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ القَصَصِ} الآيَة {15} قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا) قِيلَ: لَمَّا عَرَفَ مُوسَى-- عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ فِي دِينِهِ، عَابَ مَا عَلَيْهِ قَوْمُ فِرْعَوْنَ، وَفَشَا ذَلِكَ، مِنْهُ فَأَخَافُوهُ فَخَافَهُمْ، فَكَانَ لَا يَدْخُلُ مَدِينَةَ فِرْعَوْنَ إِلَا خَائِفًا مُسْتَخْفِيًا.

وَقَالَ: (السُّدِّيّ): كَانَ مُوسَى فِي وَقْتِ هَذِهِ الْقِصَّةِ عَلَى رَسْمِ التَّعَلُّقِ بِفِرْعَوْنَ، وَكَانَ يَرْكَبُ مَرَاكِبَهُ، حَتَّى كان يدعى موسى بن فرعون، فَرَكِبَ فِرْعَوْنُ يَوْمًا وَسَارَ إِلَى مَدِينَةٍ مِنْ مَدَائِنِ مِصْرَ يُقَالُ لَهَا مَنْفُ- قَالَ مُقَاتِلٌ عَلَى رَأْسِ فَرْسَخَيْنِ مِنْ مِصْرَ- ثُمَّ عَلِمَ مُوسَى بِرُكُوبِ فِرْعَوْنَ، فَرَكِبَ بَعْدَهُ وَلَحِقَ بِتِلْكَ الْقَرْيَةِ فِي وَقْتِ الْقَائِلَةِ، وهو وقت الغفلة،

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ) وَقَالَ أَيْضًا: هُوَ بَيْنَ الْعِشَاءِ وَالْعَتَمَةِ.

وَقَالَ: (ابْنُ إِسْحَاقَ): بَلِ الْمَدِينَةُ مِصْرُ نَفْسُهَا، وَكَانَ مُوسَى فِي هَذَا الْوَقْتِ قَدْ أَظْهَرَ خِلَافَ فِرْعَوْنَ، وَعَابَ عَلَيْهِمْ عِبَادَةَ فِرْعَوْنَ وَالْأَصْنَامِ، فَدَخَلَ مَدِينَةَ فِرْعَوْنَ يَوْمًا عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا.

قَالَ: (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ)، وَ(قَتَادَةُ): وَقْتَ الظَّهِيرَةِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ.

وَقَالَ: (ابْنُ زَيْدٍ): كَانَ فِرْعَوْنُ قَدْ نَابَذَ مُوسَى وَأَخْرَجَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَغَابَ عَنْهَا سِنِينَ، وَجَاءَ وَالنَّاسُ عَلَى غَفْلَةٍ بِنِسْيَانِهِمْ لِأَمْرِهِ، وَبُعْدِ عَهْدِهِمْ بِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ عِيدٍ.

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ): طَلَبَ أَنْ يَدْخُلَ الْمَدِينَةَ وَقْتَ غَفْلَةِ أَهْلِهَا، فَدَخَلَهَا حِينَ عَلِمَ ذَلِكَ مِنْهُمْ، فَكَانَ مِنْهُ مِنْ قَتْلِ الرَّجُلِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْمَرَ بِقَتْلِهِ، فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ فَغَفَرَ لَهُ وَيُقَالُ فِي الْكَلَامِ: دَخَلْتُ الْمَدِينَةَ حِينَ غَفَلَ أَهْلُهَا، وَلَا يُقَالُ: عَلَى حِينِ غَفَلَ أَهْلُهَا، فَدَخَلَتْ"عَلَى" فِي هَذِهِ الْآيَةِ لِأَنَّ الْغَفْلَةَ هِيَ الْمَقْصُودَةُ، فَصَارَ هَذَا كَمَا تَقُولُ: جِئْتُ عَلَى غَفْلَةٍ، وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ: جِئْتُ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ، وَكَذَا الْآيَةُ.

(فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ) وَالْمَعْنَى: إِذَا نَظَرَ إِلَيْهِمَا النَّاظِرُ قَالَ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ، أَيْ: مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

(وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ) أَيْ: مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ.

(فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ) أَيْ: طَلَبَ نَصْرَهُ وَغَوْثَهُ، وَكَذَا قَالَ فِي الْآيَةِ بَعْدَهَا: " فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ" أَيْ: يَسْتَغِيثُ بِهِ عَلَى قِبْطِيٍّ آخَرَ وَإِنَّمَا أَغَاثَهُ لِأَنَّ نَصْرَ الْمَظْلُومِ دِينٌ فِي الْمِلَلِ كُلِّهَا عَلَى الْأُمَمِ، وَفَرْضٌ فِي جَمِيعِ الشَّرَائِعِ.

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (15)، للإمَامْ (الطبري)،

قَالَ: (قَتَادَةُ): أَرَادَ الْقِبْطِيُّ أَنْ يُسَخِّرَ الْإِسْرَائِيلِيَّ لِيَحْمِلَ حَطَبًا لِمَطْبَخِ فِرْعَوْنَ فَأَبَى عَلَيْهِ، فَاسْتَغَاثَ بِمُوسَى.

قَالَ: (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ): وَكَانَ خَبَّازًا لفرعون.

(فَوَكَزَهُ مُوسى) قَالَ: (قَتَادَةُ): بِعَصَاهُ.

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ): بِكَفِّهِ، أَيْ: دَفَعَهُ وَالْوَكْزُ وَاللَّكْزُ وَاللَّهْزُ وَاللَّهْدُ بِمَعْنًى وَاحِدٍ، وَهُوَ الضَّرْبُ بِجُمْعِ الْكَفِّ مَجْمُوعًا كَعَقْدِ ثَلَاثَةٍ وَسَبْعِينَ وَقَرَأَ: (ابْنُ مَسْعُودٍ): " فَلَكَزَهُ".

وقيل: اللَّكْزُ فِي اللَّحْيِ وَالْوَكْزُ عَلَى الْقَلْبِ.

وَحَكَى الثَّعْلَبِيُّ أَنَّ فِي مُصْحَفِ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ): " فَنَكَزَهُ" بِالنُّونِ وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ.

وَقَالَ: (الْجَوْهَرِيُّ) عَنْ (أَبِي عُبَيْدَةَ): اللَّكْزُ الضَّرْبُ بِالْجُمْعِ عَلَى الصَّدْرِ.

وَقَالَ: (أَبُو زَيْدٍ): فِي جَمِيعِ الْجَسَدِ، وَاللَّهْزُ: الضَّرْبُ بِجُمْعِ الْيَدِ فِي الصَّدْرِ مِثْلُ اللَّكْزِ، عَنْ (أَبِي عُبَيْدَةَ) أَيْضًا.

وَقَالَ: (أَبُو زَيْدٍ): هُوَ بِالْجُمْعِ فِي اللَّهَازِمِ وَالرَّقَبَةِ، وَالرَّجُلُ مِلْهَزٌ بكسر الميم.

وَقَالَ: (الْأَصْمَعِيُّ): نَكَزَهُ، أَيْ ضَرَبَهُ وَدَفَعَهُ.

(الْكِسَائِيُّ): نَهَزَهُ مِثْلُ نَكَزَهُ وَوَكَزَهُ، أَيْ ضَرَبَهُ وَدَفَعَهُ. وَلَهَدَهُ لَهْدًا أَيْ دَفَعَهُ لِذُلِّهِ فَهُوَ مَلْهُودٌ،

{قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ} أَيْ: مِنْ إِغْوَائِهِ.

قَالَ: (الْحَسَنُ): لَمْ يَكُنْ يَحِلُّ قَتْلُ الْكَافِرِ يَوْمَئِذٍ فِي تِلْكَ الْحَالِ، لِأَنَّهَا كَانَتْ حَالَ كَفٍّ عَنِ الْقِتَالِ.

{إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ} خَبَرٌ بَعْدَ خَبَرٍ. (1)

* * *

انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب – للإمام (الطبراني):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {15} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ} " أي: دخلَ مُوسَى مدينةَ فرعون وهي مدينةٌ يقالُ لَها منف ، وكانت مِن مِصْرَ على فَرْسَخَيْنِ.

وقولهُ تعالى: {عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا} قال (ابنُ عبَّاس): (فِي وَقْتِ الظَّهِيْرَةِ عِنْدَ الْمَقِيلِ وقَدْ خَلَتِ الطُّرُقُ).

وقيل: ودخلَها بين المغرب والعشَاء ،

وقيل: دخلَها يومَ عيدِهم وكانوا مشغولين عن موضعِ مدينَتِهم باللَّهْوِ واللَّعب ،

{فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَاذَا مِن شِيعَتِهِ} " أي من بَني إسرائيلَ ،

{وَهَاذَا مِنْ عَدُوِّهِ} " أي مِن القِبْطِ ، وكان القبطيُّ يُسَخِّرُ الإسرائيليَّ ليحملَ لَه حَطَباً إلى مَطبَخِ فرعون، والإسرائيليُّ يَأْبَى ذلكَ ،

{فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ} " أي اسْتَنْصَرَهُ الإسرائيليُّ ،

{عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ} ، على القِبْطيِّ ،

{فَوَكَزَهُ مُوسَى} " أي: ضَرَبَهُ بجمعِ كفِّهِ في صدره ،

{فَقَضَى عَلَيْهِ} " أي قَتَلَهُ فوقعَ القبطيُّ مَيِّتاً. وكلُّ شيءٍ فَرَغْتَ منهُ وأتْمَمْتَهُ فقد قَضَيْتَ عليه وقَضَيْتَهُ، والوَكْزُ: الضَّرْبُ بجمعِ الكَفِّ.

---

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سُورَةُ (الْقَصَصِ الآية (15)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

وكان مُوسَى -عليه السلام- قد أُوتِيَ بَسْطَةً في الْخَلْقِ وشِدَّةَ القوة والبطش ، وكان من نيَّة موسى أنه لا يريدُ قَتْلَهُ ولم يتعمَّدْ هَلاكَهُ ، بل قال له أوّلاً: خَلِّ سَبِيْلَهُ ، فقال: إنَّما أريدُه ليحملَ الحطبَ إلى مطبخ فرعون ،

{فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ} أي: قَتَلَهُ وفَرَغَ من أمره ، والوَكْزُ واللَّكْزُ وَالْهَز بمعنى واحد وهو الدَّفْعُ، ويقالُ: وَكَزَهُ بعَصَاهُ.

فَلَمَّا قَتَلَهُ موسَى- عليه السلام -نَدِمَ على قتله وقال: لَمْ أدْرِ بهذا ، ثم دفَعَهُ في الرَّمْلِ،

{قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ} " لأنِّي كنتُ لا أريدُ قَتْلَهُ ، ولكن هَيَّجَ الشيطانُ حَرْبِي حتى ضربتهُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ} " أي عَدُوٌّ لبَنِي آدمَ مُضِلٌّ له مُبِيْنٌ عداوتَهُ لهم.

ثم استغفرَ مُوسَى رَبَّهُ فـ {قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي} " بقَتْلِ القبطيِّ قَبْلَ وُرود الأمرِ والإذنِ لِي فيه ،

{فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ} " أي بما أنعمتَ عليَّ بالمغفرة والحلْم والعلم فلن أكونَ عَوْناً للكافرين ، وهذا يدلُّ على أنَّ الإسرائيليَّ الذي أعانَهُ موسى كان كَافراً. (1)

* * *

[١٦] ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

قال: (موسى)-عليه السلام- داعيًا ربه معترفًا بما حصل منه: رب إني ظلمت نفسي بقتل هذا القِبْطي، فاغفر لي ذنبي، فبيّن الله لنا مغفرته لموسى، إنه هو الغفور لمن تاب من عباده، الرحيم بهم. (2)

* * *

قال موسى: رب إني ظلمت نفسي بقتل النفس التي لم تأمرني بقتلها فاغفر لي ذلك الذنب، فغفر الله له. إن الله غفور لذنوب عباده، رحيم بهم. (3)

* * *

قال موسى متضرعاً إلى الله فى ندم: يا رب إنى أسأت إلى نفسى بما فعلت، فاغفر لى فعلتى. فأجاب الله دعوته وغفر له. إن الله هو العظيم المغفرة الواسع الرحمة. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} .... أي: دعا موسى ربه معترفا بخطئه أوّلاً فقال:

{رَبِّ} أي: يا رب.

{إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي} .... أي: بقتلي القبطي.

(أي: بفعلي هذا قد غدوت ظالما).

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام (الطبراني) في سُورَة (القَصَص) الآية (15)، انظر: (المكتبة الشاملة)

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (387/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (387/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (577/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

{فَـاغْفِرْ لِـي} .... هـذا الخطـأ، فاسـتجاب الله تعـالى وغفـر لـه، إنـه تعـالى هـو الغفـور لـذنوب عبـاده التـائبين لـه الـرحيم بهـم فـلا يعـذبهم بذنب تابوا منه.

{فَغَفَـرَ لَـهُ} ... فعفـا الله لموسـى عـن ذنبـه ولم يعاقبه به،

{إِنَّـهُ هُـوَ الْغَفُـورُ الـرَّحِيمُ} ... إن الله هـو السـاتر علـى المنيـبين إليـه مـن ذنـوبهم علـى ذنـوبهم، المتفضـل علـيهم بـالعفو عنهـا، الـرحيم للنـاس أن يعـاقبهم علـى ذنـوبهم بعـد ما تابوا منها.

وقولـه: {قَـالَ رَبِّ بِمَـا أَنْعَمْـتَ عَلَـيَّ} يقـول تعـالى ذكـره: قـال: موسـى ربّ بإنعامـك علـيّ بعفوك

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسـير ابـن عبـاس) - قـال: الإِمَـامُ (مجـد الـدين الفـيروز آبـادى) - (رحمـه الله):- {سُـورَةُ الْقَصَـص} الآيـة {16} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {قَـالَ رَبِّ إِنِّـي ظَلَمْـتُ نَفْسِـي} بقتـل الـنَّفس {فَـاغْفِرْ لِـي} ذنـبي تجَـاوز عـني {فَغَفَـرَ لَـهُ إِنَّـهُ هُـوَ الغفور} المتجاوز {الرَّحِيم} لمن تَـابَ.[1]

* * *

قـال: الإِمَـامُ (البغـوي) - (مُحيـي السُّـنَّة) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- {سُـورَةُ الْقَصَـص} الآيـة {16} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {قَـالَ رَبِّ إِنِّـي ظَلَمْـتُ نَفْسِـي} بِقَتْـلِ الْقِبْطِـيِّ مِـنْ غَيْـرِ أَمْـرٍ،

{فَـاغْفِرْ لِـي فَغَفَـرَ لَـهُ إِنَّـهُ هُـوَ الْغَفُـورُ الرَّحِيمُ}.[2]

* * *

قـال: الإِمَـامُ (إبـن كـثير) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- {سُـورَةُ الْقَصَـص} الآيـة {16} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {قَـالَ رَبِّ إِنِّـي ظَلَمْـتُ نَفْسِـي فَـاغْفِرْ لِـي فَغَفَـرَ لَـهُ إِنَّـهُ هُـوَ الْغَفُـورُ الـرَّحِيمُ* قَـالَ رَبِّ بِمَـا أَنْعَمْـتَ عَلَـيَّ} أَيْ: بِمَـا جَعَلْـتَ لِـي مِـنَ الْجَـاهِ وَالْعِزَّةِ وَالْمَنَعَةِ.[3]

* * *

قـال: الإمـام (الطـبري)- (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- (بسـنده الحسـن) - عـن (قتـادة): قـال: عـرف المخـرج، فقـال: (ظَلَمْـتُ نَفْسِـي فَـاغْفِرْ لِـي فَغَفَـرَ لَهُ).[4]

* * *

قـال: الإمـام (عبـد الـرحمن بـن ناصـر السـعدي) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- {سُـورَةُ الْقَصَـص} الآيـة {16} ثـم اسـتغفر ربـه {قَـالَ رَبِّ إِنِّـي ظَلَمْـتُ نَفْسِـي فَـاغْفِرْ لِـي فَغَفَـرَ لَـهُ إِنَّـهُ هُـوَ الْغَفُـورُ الـرَّحِيمُ} خصوصـا للمخبـتين، المبـادرين للإنابـة والتوبـة، كمـا جـرى مـن موسى- عليه السلام.[5]

* * *

قـال: الشـيخ (مجـير الـدين بـن محمـد العليمـي المقدسـي الحنبلـي) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- {سُـورَةُ الْقَصَـص} الآيـة {16} قولـه تعـالى:

---

(1) انظـر: (تنـوير المقبـاس مـن تفسـير ابـن عبـاس) في سُـورَةُ (الْقَصَـص) الآيـة (16) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظـر: (مختصـر تفسـير البغـوي = المسـمى بمعـالم التنزيـل) للإِمَـامْ (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (16).

(3) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) للإِمَـامْ (ابـن كـثير) في سُـورَةُ (الْقَصَـص) الآية (16).

(4) انظر: (جامع البيان في تـأويل القرآن) للإمام (الطبري) (541/19).

(5) انظـر: (تيسـير الكـريم الـرحمن في تفسـير كـلام المنـان) في سُـورَةُ (الْقَصَص) الآية (16)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

{قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي} بقتل القبطي من غير أمر.

{فَاغْفِرْ لِي} ذنبي {فَغَفَرَ لَهُ} لاستغفاره.

{إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ} لذنوب عباده.

{الرَّحِيمُ} بهم. (1)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {16} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} أي: دعا موسى ربه معترفاً بخطئه أوّلاً فقال: {رَبِّ} أي يا رب {إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي} أي: بقتلي القبطي {فَاغْفِرْ لِي} هذا الخطأ، فاستجاب الله تعالى وغفر له، إنه تعالى هو الغفور لذنوب عباده التائبين له الرحيم بهم فلا يعذبهم بذنب تابوا منه. (2)

* * *

[١٧] ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ثم واصل الخبر عن دعاء موسى الَّذي قال فيه: رب بسبب ما أنعمت علي به من القوة والحكمة والعلم فلن أكون معينًا للمجرمين على إجرامهم. (3)

* * *

قال موسى: ربِّ بما أنعمت عليَّ بالتوبة والمغفرة والنعم الكثيرة، فلن أكون معيناً لأحد على معصيته وإجرامه. (4)

* * *

قال موسى متضرعاً: يا رب بحق إنعامك عليَّ بالحكمة والعلم وفقني للخير والصواب، فإذا وفقتني فلن أكون عوناً للكافرين. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ} ... بالمغفرة،

{بِما أَنْعَمْتَ عَلَيَّ} ... بإنعامك على بالمغفرة.

(أي: بإنعامك علي بمغفرة ذنبي.)

{فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ} ... أفعل فعلهم.

(أي: معيناً لأهل الإجرام.)

{فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا} ... عونا، أي: مُعِينًا وَمُسَاعِدًا.

{ظَهِيرًا} ... نَصِيراً.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {17} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ} مننت عَلَيّ بالمعرفة والتوحيد وَالْمَغْفِرَة {فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ} فَلَا تجعلني عوناً لِلْمُشْرِكِين لفرعون وَقَومه. (6)

* * *

---

(1) انظُر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (16)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظُر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (16)، للشيخ: (أبو بكر الجزائري).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (387/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (387/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (578/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

(6) انظُر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (17) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

قَالَ: الإِمَامْ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآيَةُ {17} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ} بالمغفرة، {فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا} عونا، {لِلْمُجْرِمِينَ} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): لِلْكَافِرِينَ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِسْرَائِيلِيَّ الَّذِي أَعَانَهُ مُوسَى كَانَ كَافِرًا، وَهُوَ قَوْلُ: (مُقَاتِلٍ)، قَالَ: (قَتَادَةُ): لَنْ أُعِينَ بَعْدَهَا عَلَى خَطِيئَةٍ،

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): لَمْ يَسْتَثْنِ فَابْتُلِيَ بِهِ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي. (1)

* * *

قال: الشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

{سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {17} قوله تعالى: {قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ} أي: بإنعامك بالمغفرة والقوة والحكم، قسم محذوف الجواب، تقديره: أقسم بما أنعمت لأتوبنَّ، وتفسير الجواب.

{فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا} عونًا {لِلْمُجْرِمِينَ} للكافرين , وهذا يدل على أن الإسرائيلي الذي أعانه موسى كان كافرًا،

قال: (ابن عباس): "لم يستثنِ، فابتلي من الغد". (2)

* * *

قَالَ: الإِمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآيَةُ {17} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ} أَيْ: بِمَا جَعَلْتَ لِي مِنَ الْجَاهِ وَالْعِزَّةِ وَالْمَنَعَةِ. {فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا} أَيْ: مُعِينًا. {لِلْمُجْرِمِينَ} أَيِ: الْكَافِرِينَ بِكَ، الْمُخَالِفِينَ لِأَمْرِكَ. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآيَةُ {17} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالَ} موسى {رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ} بالتوبة والمغفرة، والنعم الكثيرة، {فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا} أي: معينا ومساعدا {لِلْمُجْرِمِينَ} أي: لا أعين أحدا على معصية، وهذا وعد من موسى عليه السلام، بسبب منة الله عليه، أن لا يعين مجرما، كما فعل في قتل القبطي. وهذا يفيد أن النعم تقتضي من العبد فعل الخير، وترك الشر. (4)

* * *

أخرج الإمام (عبد الرزاق)، والإمام (الطبري) – (رحمهما الله) – في (تفسيريهما) – (بسندهما الحسن) – عن (قتادة): (فلن أكون ظهيرا للمجرمين) يقول: فلن أعين بعدها ظالما على فجره، وقال: قلما قالها رجل إلا ابتلى، قال: فابتلى كما تسمعون. (5) (6) (7)

(7)

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (17).

(2) انظر: "تفسير البغوي" (3/ 431).

انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (17)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (17).

(4) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (17)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(5) انظر: (تفسير عبد الرزاق) في سورة (القصص) – الآية (17)،

(6) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (القصص) الآية (17). المحقق: الشيخ (أحمد شاكر)، الطبعة: الأولى،

(7) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (4/ 46)، للشيخ: أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين)،

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه اللّه) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {17} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ}.

لقد تقدم في الآية قبل هذه أن موسى -عليه السلام قد قتل قبطيا بطريق الخطأ وأنه اعترف لربه تعالى بخطإه واستغفره، وأن الله تعالى غفر له وأعلمه بذلك بما شاء من وسائط.(1) ولما علم موسى بمغفرة الله تعالى له عاهده بأن لا يكون {ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ} مستقبلاً ومن ذلك أن يعتزل فرعون وملائه لأنهم ظالمون مجرمون فقال:

{رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ} أي: بمغفرتك لي خطإي(2) وذلك بالنظر إلى إنعامك علي بالمغفرة أعاهدك أن لا أكون. {ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ}.(3) (4)

* * *

(1) 1- يرى بعضهم أن موسى لم يعلم بمغفرة الله تعالى له لأنه لم يكن قد نُبِّئ بعد وجعل جملة (فغفر له) معترضة وقوله: (بما أنعمت عليّ) بالهداية والحكمة والعلم لا بالمغفرة لأنه لم يعلم بها. وما في التفسير أظهر وأولى بالسياق.

(2) إن قتل موسى للقبطي كان قطعا خطأ، روى (مسلم) عن سالم بن عبد الله أنه قال: يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة لما سمعت (أبي عبد الله بن عمر) يقول: سمعت رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: (إن الفتنة تجيء من ها هنا وأومأ بيده نحو المشرق - من حيث يطلع قرنا الشيطان وأنتم بعضكم يضرب رقاب بعض، وإنما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ فقال الله عز وجل: (وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا).

(3) قال: (ابن عباس): لم يستثن فابتلي من ثاني يوم. هذا إن قلنا: إن كلامه كان خبراً لا دُعاءً إذ الدعاء لا يجوز الاستثناء فيه لا يقال: ارحمني إن شئت.

(4) انظُر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (17)، للشيخ: (أبو بكر الجزائري).

[١٨] ﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فلما حصل منه ما حصل من قتل القِبْطي أصبح في المدينة خائفًا يترقب ماذا يحدث، فإذا الَّذي طلب منه العون والنصر على عدوه القِبْطي بالأمس يستعين به على قِبْطي آخر، قال له موسى: إنك لذو غواية وضلال واضح.(5)

* * *

فأصبح (موسى)-عليه السلام- في مدينة فرعون خائفًا يترقب الأخبار مما يتحدث به الناس في أمره وأمر قتيله، فرأى صاحبه بالأمس يقاتل قبطيًا آخر، ويطلب منه النصر، قال له موسى: إنك لكثير الغَواية ظاهر الضلال.(6)

* * *

فأصبح موسى فى المدينة - مصر - فزعا، يتوقع أن يصيبه الأذى من القوم بسبب قتله المصرى، فوجد الإسرائيلي الذى طلب منه النصرة بالأمس يستغيث به ثانية على مصرى آخر، فنهره موسى قائلا له: إنك لشديد الغواية ظاهر الضلال، حيث عدت

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (387/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(6) انظر: (التفسير الميسر) برقم (387/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

لمثل ما فعلت بالأمس ودعوتني مرة ثانية لنصرتك.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{يَترقَّبُ} ... يَتوقَّعُ المَكروه.

{فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ} ... أَيْ: فِي الْمَدِينَةِ الَّتِي قَتَلَ فيها القبطي.

{خَائِفًا} ... من قتله القبطي،

{يَترقَّبُ} ... يَنْتَظِرُ سُوءاً، وَالتَّرقُّبُ: انْتِظَارُ الْمَكْرُوه،

{فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ} ... يَسْتَغِيثُهُ وَيَصيحُ به مِنْ بُعْد.

(أي: طلب نصرته فنصره).

{يَسْتَصْرِخُهُ} ... يَطْلُبُ مِنْهُ النَّصْرَ.

(أي يستغيث به على قبطي آخر).

{قَالَ لَهُ مُوسَى} ... للإسرائيلي.

{إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ} ... أي لذو غواية وضلال ظاهر.

{لَغوِيٌّ} ... كَثِيرُ الغَوايَةِ، ضَالٌّ عَنِ الرُّشْد.

{خائفا يترقب} .... ماذا يحدث من خير أو غيره بعد القتل.

{استنصره بالأمس} .... أي: طلب نصرته فنصره.

{يستصرخه} .... أي: يستغيث به على قبطي آخر.

{إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ} ... أي لذو غواية وضلال ظاهر.

(أي: ظاهرُ الْغَوايَةِ قَاتَلْتَ بِالْأَمْسِ رَجُلًا فَقَتَلْتُهُ بِسَبَبِك، وَتُقَاتِلُ الْيَوْمَ آخَرَ وَتَسْتَغِيثُني عَلَيْه.

وقيل: إِنَّمَا قَالَ مُوسَى لِلْفرْعَوْنِيِّ: إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ بِظُلْمِكَ. وَالْأَوَّلُ أَصْوَبُ وَعَلَيْهِ الْأَكْثَرُونَ أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ لِلْإِسْرَائِيلِي.(2)

* * *

الدليل و البرهان و الحجّة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {18} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَأَصْبَحَ} فَصَارَ {فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً} من قتل القبطي {يَتَرَقَّبُ} ينْتَظر مَتى يُؤْخَذ بِهِ {فَإِذَا الَّذِي استنصره} اسْتَعَانَ بِهِ {بِالْأَمْسِ} على القبطي {يَسْتَصْرِخُهُ} يستغيثه على آخر من القبط {قَالَ لَهُ} للإسرائيلي {مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ} مجادل بيّن الْجِدَال وَأَقْبل عَلَيْهِ بالعون.(3)

* * *

قال: الإمَامْ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {18} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ} أَيْ: فِي الْمَدِينَةِ الَّتِي قَتَلَ فيها القبطي.

{خَائِفًا} من قتله القبطي،

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/578)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) برقم (1/707).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (18) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

{يَتَرَقَّبُ} يَنْتَظِرُ سُوءًا، وَالتَّرَقُّبُ: انْتِظَارُ الْمَكْرُوهِ،

قَالَ: (الْكَلْبِيُّ): يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْخَذُ بِهِ،

{فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ} يَسْتَغِيثُهُ وَيَصِيحُ بِهِ مِنْ بُعْدٍ .

{قَالَ لَهُ مُوسَى} للإسرائيلي .

{إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ} ظَاهِرُ الْغَوَايَةِ قَاتَلْتَ بِالْأَمْسِ رَجُلًا فَقَتَلْتُهُ بِسَبَبِكَ، وَتُقَاتِلُ الْيَوْمَ آخَرَ وَتَسْتَغِيثُنِي عَلَيْهِ.

وقيل: إِنَّمَا قَالَ مُوسَى لِلْفِرْعَوْنِيِّ: إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ بِظُلْمِكَ. وَالْأَوَّلُ أَصْوَبُ وَعَلَيْهِ الْأَكْثَرُونَ أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ لِلْإِسْرَائِيلِيِّ.(1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (إِبنُ كَثِير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {18} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ} .

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ مُوسَى- عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لَمَّا قَتَلَ ذَلِكَ الْقِبْطِيَّ: إِنَّهُ أَصْبَحَ .

{فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا} أَيْ: مِنْ مَعَرَّةِ مَا فَعَلَ،

{يَتَرَقَّبُ} أَيْ: يَتَلَفَّتُ وَيَتَوَقَّعُ مَا يَكُونُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ، فَمَرَّ فِي بَعْضِ الطُّرُقِ، فَإِذَا ذَاكَ الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ عَلَى ذَلِكَ الْقِبْطِيِّ يُقَاتِلُ آخَرَ، فَلَمَّا مَرَّ مُوسَى، اسْتَصْرَخَهُ عَلَى الْآخَرِ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى:

{إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ} أَيْ: ظَاهِرُ الْغَوَايَةِ كَثِيرُ الشَّرِّ.(2)

* * *

قَالَ: الإمام (الطبري)– (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (السدي): (فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ) قال: خائفا أن يؤخذ.(3)

* * *

قَالَ: الإمام (الطبري)– (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (قتادة): (فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالأمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ) قال: الاستنصار والاستصراخ واحد.(4)

* * *

قال: الشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {18} قوله تعالى: {فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا} على نفسه، ونصبُه على الحال.

{يَتَرَقَّبُ} ينتظر المكروه بأن يستعاد.

{فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ} يستغيثه، ويصيح به من بعد على قبطي آخر،

قال: (ابن عباس): أُتي فرعون، فقيل له: إن بني إسرائيل قتلوا منا واحدًا، فخذ لنا حقنا، فقال: ابغوا لي قاتله، ومن يشهد عليه، فلا نستقيم أن نقضي بغير بينة، فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة، إذ مر موسى من الغد، فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونيًّا، فاستغاثه على الفرعوني،

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (18).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (18).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (542/19).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (543/19).

فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالأمس من قتل القبطي.(1)

{قَالَ لَهُ مُوسَى} أي: قال للإسرائيلي: {إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ} ظاهر الغواية" لأنك تسببت لقتل رجل، وتقاتل آخر.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {18} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَـ} لما جرى منه قتل الذي هو من عدوه {أَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ} هل يشعر به آل فرعون، أم لا؟ وإنما خاف، لأنه قد علم، أنه لا يتجرأ أحد على مثل هذه الحال سوى موسى من بني إسرائيل.

فبينما هو على تلك الحال {فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالأَمْسِ} على عدوه {يَسْتَصْرِخُهُ} على قبطي آخر. {قَالَ لَهُ مُوسَى} موبخا له على حاله {إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ} أي: بين الغواية، ظاهر الجراءة.(3)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {18} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ} أي فأصبح موسى في مدينة (منف) عاصمة المملكة الفرعونية {خَائفاً} مما قد يترتب على قتله القبطي {يَتَرَقَّبُ} الأحداث ماذا تسفر عنه؟ {فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ} وهو الإسرائيلي الذي طلب نصرته أمس {يَسْتَصْرِخُهُ} أي يستغيثه بأعلى صوته فنظر إليه موسى وأقبل عليه ليخلصه قائلاً: {إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ} أي لذو غواية بينة والغواية الفساد في الخلق والدين لأنك أمس قاتلت واليوم تقاتل أيضا.(4)

* * *

[١٩] ﴿ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فلما أن أراد موسى - عليه السلام - أن يبطش بالقِبْطي الَّذي هو عدو له وللإسرائيلي، ظن الإسرائيلي أن موسى يريد البطش به لما سمعه يقول: {إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ} فقال لموسى: أتريد أن تقتلني مثلما قتلت نفسًا بالأمس، لا تريد إلا أن تكون جبارًا في الأرض تقتل الناس وتظلمهم، وما تريد أن تكون ممن يصلحون بين المتخاصمين.(5)

* * *

(1) رواه الإمام (أبو يعلى) في "مسنده" (2618) في حديث طويل.

(2) انظُر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (18)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(3) انظُر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (18)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظُر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (18)، للشيخ: (أبو بكر الجزائري).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (387/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

فلما أن أراد موسى أن يبطش بالقبطي، قال: يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسًا بالأمس؟ ما تريد إلا أن تكون طاغية في الأرض، وما تريد أن تكون من الذين يصلحون بين الناس.(1)

* * *

فلما هم موسى بالبطش بالمصرى الذى هو عدو لهما، بسبب هذه العداوة، قال - وقد ظن أن موسى سيقتله -: أتريد أن تقتلني كما قتلت شخصاً آخر بالأمس. ما تريد إلا أن تكون طاغية فى الأرض، وما تريد أن تكون من دعاة الإصلاح والخير.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا} ... أي: أن يأخذ الذي هو عدو لموسى والقبطي معاً.

{إِنْ تُرِيدُ إِلا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا} ... أي ما تريد إلا أن تكون جباراً تضرب وتقتل ولا تبالي بالعواقب.

{مِنَ الْمُصْلِحِينَ} ... أي: الذين يصلحون بين الناس إذا اختلفوا أو تخاصموا.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {19} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ} أن يَأْخذ {بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا} القبطي ظن الإسرائيلي أنه يُريده {قَالَ} أى: الإسرائيلى {يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي} الْيَوْم {كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً} قبطياً {بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ} مَا تُرِيدُ {إِلاَّ أَن تَكُونَ جَبَّاراً} قتالاً {فِي الأَرْضِ} فِي أَرض مصر {وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ المصلحين} من المتورعين الآمرين بِالْمَعْرُوفِ والناهين عَن الْمُنكر.(3)

* * *

قَالَ: الإِمَامْ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {19} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا} وَذَلِكَ أَنَّ مُوسَى أَدْرَكَتْهُ الرِّقَّةُ بالإسرائيلي فعد يَدَهُ لِيَبْطِشَ بِالْفِرْعَوْنِيِّ فَظَنَّ الْإِسْرَائِيلِيُّ أنه يريد أن يبطش له لما رأى من غضبه ومع قَوْلَهُ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ، {قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ} مَا تُرِيدُ، {إِلا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ} بِالْقَتْلِ ظُلْمًا، {وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ} فَلَمَّا سَمِعَ الْقِبْطِيُّ مَا قَالَ الْإِسْرَائِيلِيُّ عَلِمَ أَنَّ مُوسَى هُوَ الَّذِي قَتَلَ ذَلِكَ الْفِرْعَوْنِيَّ فَانْطَلَقَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ، وَأَمَرَ فِرْعَوْنُ بِقَتْلِ مُوسَى.

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): فَلَمَّا أَرْسَلَ فِرْعَوْنُ الذَّبَّاحِينَ لِقَتْلِ مُوسَى أَخَذُوا الطَّرِيقَ الْأَعْظَمَ.(4)

* * *

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (387/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (578/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (19) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (19).

قال: الإمام (ابن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {19} ثم عَزَمَ عَلَى الْبَطْشِ بِذَلِكَ الْقِبْطِيِّ، فَاعْتَقَدَ الْإِسْرَائِيلِيُّ لِخَوَرِهِ وَضَعْفِهِ وَذِلَّتِهِ أَنَّ مُوسَى إِنَّمَا يُرِيدُ قَصْدَهُ لَمَّا سَمِعَهُ يَقُولُ ذلك، فَقَالَ يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ: {يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ} وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لم يَعْلَمْ بِهِ إِلا هُوَ وَمُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَمَّا سَمِعَهَا ذَلِكَ الْقِبْطِيُّ لَقَفَهَا مِنْ فَمِهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِهَا إِلَى بَابِ فِرْعَوْنَ فَأَلْقَاهَا عِنْدَهُ، فَعَلِمَ بِذَلِكَ، فَاشْتَدَّ حَنَقُهُ، وَعَزَمَ عَلَى قَتْلِ مُوسَى، فَطَلَبُوهُ فَبَعَثُوا وَرَاءَهُ لِيُحْضِرُوهُ لِذَلِكَ.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): (فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ): خافه الذي من شيعته حين قال له موسى (إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ) .(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (السدي): قال: موسى للإسرائيلي (إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ) ثم أقبل لينصره، فلما نظر إلى موسى قد أقبل نحوه ليبطش بالرجل الذي يقاتل الإسرائيلي، (قَالَ) الإسرائيلي، وفرق من موسى أن يبطش به من أجل أنه أغلظ له الكلام: (يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ) فتركه موسى.(3)

* * *

قال: الشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {19} وكان موسى قد غضب غضبًا شديدًا {فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا} قرأ: (أبو جعفر): (يَبْطُشَ) بضم الطاء،

والباقون: بكسرها(4)، وذلك أن موسى أدركته الرقة على الإسرائيلي، فمد يده ليبطش بالفرعوني، فظن الإسرائيلي أنه يقصد قتله" لمكان غضبه، وسمع قوله: {إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ}. فثم {قَالَ} الإسرائيلي: {يَامُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ} أي: ما تريد {إِلَا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ} بالقتل ظلمًا.

{وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ} فلما قال ذلك، علموا حينئذ من قاتلُ الأول، فوصل ذلك إلى فرعون، فهمُّوا بقتل موسى.(5)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {19} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ} موسى {بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا} أي: له وللمخاصم المستصرخ، أي: لم يزل اللجاج بين القبطي والإسرائيلي، وهو

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (19).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (544/19).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (544/19).

(4) (2) انظر: "النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (2/ 274)، و"معجم القراءات القرآنية" (5/ 12).

(5) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (19)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

يستغيث بموسى، فأخذته الحمية، حتى هم أن يبطش بالقبطي، {قَالَ} له القبطي زاجرا له عن قتله: {أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ} لأن من أعظم آثار الجبار في الأرض، قتل النفس بغير حق.

{وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ} وإلا فلو أردت الإصلاح لحلت بيني وبينه من غير قتل أحد، فانكف موسى عن قتله، وارعوى لوعظه وزجره، وشاع الخبر بما جرى من موسى في هاتين القضيتين، حتى تراود ملأ فرعون، وفرعون على قتله، وتشاوروا على ذلك. (1)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {19} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ} أي موسى {بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا} وهو القبطي قال الإسرائيلي.

{أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلا أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الْأَرْضِ} أي تضرب وتقبل كما تشاء ولا تخاف عقوبة ذلك.

{وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ} الذين يصلحون بين المتخاصمين قال الإسرائيلي هذا لأنه جبان خاف من هجمة موسى ظاناً أنه يريده هو لما قدم له من القول.

{إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ} فلما سمع القبطي ما قال مقاتله الإسرائيلي نقلها إلى القصر وكان من عماله فاجتمع رجال القصر برئاسة فرعون يتداولون القضية وينظرون إلى ظروفها ونتائجها وما يترتب عليها وكان من جملة رجال المؤتمر مؤمن آل فرعون (2) (حزقيل) وكان مؤمنا يكتم إيمانه فأتى موسى سراً ليخبره بما يتم حياله وينصح له بالخروج من البلاد وهو ما جاء في قوله تعالى في الآية (20) من هذا السياق. (3)

* * *

[٢٠] ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولما انتشر الخبر وجاء رجل من أقصى المدينة مسرعًا شفقة على موسى من الملاحقة، فقال: يا موسى، إن الأشراف من قوم فرعون يتشاورون بقتلك فاخرج من البلد، إني لك من الناصحين شفقة عليك من أن يدركوك فيقتلوك. (4)

* * *

وجاء رجل من آخر المدينة يسعى، قال يا موسى: إن أشراف قوم فرعون يتآمرون بقتلك، ويتشاورون، فاخرج من هذه

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (19)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) وقيل: اسمه شمعان، وقال: (الدارقطني): لا يعرف شمعان بالشين إلا مؤمن آل فرعون، قال: (الثعلبي): كان ابن عم فرعون.

(3) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (19)، للشيخ: (أبو بكر الجزائري).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (387/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

المدينة، إني لك من الناصحين المشفقين عليك. (1)

* * *

وجاء رجل مؤمن من آل فرعون - يخفي إيمانه - من أقصى المدينة حينما انتشر نبأ قتل موسى للمصري، يخبر موسى أن قوم فرعون يتشاورون لقتلك، ويقول له: اخرج من المدينة فرارا من القتل، إني لك من الناصحين. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات

{وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ} ... أي: مؤمن آل فرعون أتى من أبعد نواحي المدينة.

{وَجَاءَ رَجُلٌ} ... ذكر أنه مؤمن آل فرعون،

{مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ} من آخر مدينة فرعون.

{يَسْعَى} ... يعجل.

{إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ} ... أي: يتشاورون ويطلب بعضهم أمر بعض ليقتلوك.

{فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ} ... أي: اخرج من هذه البلاد إلى أخرى. (3)

{فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ} ... فاخرج من هذه المدينة، إني لك في إشارتي عليك بالخروج منها من الناصحين.

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) -: {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {20} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَجَاءَ رَجُلٌ} وَهُوَ حزقيل {مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ} من أَسْفَل الْمَدِينَة وَيُقَال من وسط الْمَدِينَة {يَسْعَى} يسْرع ويشتد فِي مَشْيه {قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ} أَوْلِيَاء الْمَقْتُول {يَأْتَمِرُونَ بِكَ} اتَّفقُوا عَلَيْك {لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ} من الْمَدِينَة {إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ} من المشفقين. (4)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {20} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَجَاءَ رَجُلٌ} مِنْ شِيعَةِ مُوسَى، {مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ} أي: من آخرها {يَسْعَى} أَيْ: يُسْرِعُ فِي مَشْيِهِ فَأَخَذَ طَرِيقًا قَرِيبًا حَتَّى سَبَقَ إِلَى مُوسَى فَأَخْبَرَهُ وَأَنْذَرَهُ حَتَّى أَخَذَ طَرِيقًا آخَرَ، {قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ} يَعْنِي: أَشْرَافَ قَوْمِ فِرْعَوْنَ يَتَشَاوَرُونَ فِيكَ، {لِيَقْتُلُوكَ} قَالَ: (الزَّجَّاجُ): يَأْمُرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِقَتْلِكَ، {فَاخْرُجْ} مِنَ الْمَدِينَةِ، {إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ} فِي الْأَمْرِ لَكَ بِالْخُرُوجِ. (5)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {20} وقيض الله ذلك الرجل

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (387/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (578/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) (61/4)، للشيخ: (جابر بن أبو بكر الجزائري).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (20) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(5) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (20).

الناصح، وبادرهم إلى الإخبار لموسى بما اجتمع عليه رأيُ ملئهم. فقال: {وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى} أي: ركضا على قدميه من نصحه لموسى، وخوفه أن يوقعوا به، قبل أن يشعر، فـ {قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ} أي: يتشاورون فيك {لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ} عن المدينة {إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ} فامتثل نصحه. (1)

* * *

قال: الشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سُورَةُ الْقَصَص} الآية {20} قوله تعالى: {وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَامُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ}.

فلما أرسل فرعون الذباحين لقتله، أخذوا الطريق الأعظم.

{وَجَاءَ رَجُلٌ} مؤمن، وكان ابنَ عم فرعون، واسمه خربيل، وقيل غيره، وهو مؤمن آل فرعون.

{مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ} آخرها.

{يَسْعَى} أي: يسرع في مشيه، فأخذ طريقا قريبًا حتى يسبق إلى موسى، فأخبره وأنذره حتى أخذ طريقًا آخر.

{قَالَ يَامُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ} يعني: أشراف قوم فرعون.

{يَأْتَمِرُونَ بِكَ} أي: يتشاورون بسببك.

{لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ} من المدينة.

{إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ} في الأمر بالخروج. (2)

* * *

قال: الإمَامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {20} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَجَاءَ رَجُلٌ} وَصَفَهُ بِالرّجُولِيةِ لِأَنَّهُ خَالَفَ الطَّرِيقَ، فَسَلَكَ طَرِيقًا أَقْرَبَ مِنْ طَرِيقِ الَّذِينَ بُعِثُوا وَرَاءَهُ، فَسَبَقَ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ لَهُ: يَا مُوسَى.

{إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ} أَيْ: يَتَشَاوَرُونَ فِيكَ {لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ} أَيْ: مِنَ الْبَلَدِ {إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ}. (3)

* * *

أخرج - الإمام (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله)- (بسنده الحسن) - عن (ابن عباس): قال (وَجَاءَ رَجُلٌ) من شيعة موسى (مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ). (4)

* * *

[٢١] ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فامتثل موسى أمر الرجل الناصح، فخرج من البلد خائفًا يترقب ماذا يحدث له، قال: داعيًا ربه: رب نجني من القوم الظالمين، فلا يصلوا إليّ بسوء. (5)

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (20)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (20)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (20).

(4) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (47/4)، للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (387/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

* * *

فخرج موسى من مدينة فرعون خائفًا ينتظر الطلب أن يدركه فيأخذه، فدعا الله أن ينقذه من القوم الظالمين.(1)

* * *

فخرج موسى من المدينة خائفاً يتوقع أن يتعرض له أعداؤه بالأذى، ضارعا إلى الله أن يُنجيه من ظلم الكافرين.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ}... خائف من القتل يترقب ما يحدث له.(3)

{فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ}.... لُحُوق طَالِب أَوْ غَوْث اللَّه إيَّاهُ.

{يَتَرَقَّبُ}... أي: حذرا من أن يعرض له أحد أو يلحق به.

{يَتَرَقَّبُ}... أي: يَنْتَظِرُ الطَّلَبَ، هل يَلْحَقُهُ فَيأْخُذُهُ،

وَالتَّرَقُّبُ: انْتِظَارُ الْمَكْرُوه، ثم لَجَأَ مُوسَى إلى رَبِّه تعالى لعلمه أنه لا مَلْجَأَ إلا إليه.

{قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}.... قَوْم فِرْعَوْن.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {21} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{فَخَرَجَ} مُوسَى {مِنْهَا} من الْمَدِينَة {خَآئِفاً يَتَرَقَّبُ} ينْتَظر ويلتفت مَتى يلْحق وَيُؤْخَذ بِهِ {قَالَ} عِنْد ذَلِك {رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} أهل مصر.(4)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله)- في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {21} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَخَرَجَ مِنْهَا} موسى، {خَائِفًا يَتَرَقَّبُ} أَيْ: يَنْتَظِرُ الطَّلَبَ، {قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} الكافرين.(5)

* * *

قال: الإمام (الطبري)– (رحمه الله) - في (تفسيره):– (بسنده (الحسن) - عن (قتادة): (فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ) خائفا من قتله النفس يترقب الطلب (قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ).(6)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {21} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَخَرَجَ مِنْهَا} أي: من بلاد فرعون {خَائِفاً يَتَرَقَّبُ} خائفاً من القتل يترقب الطلب وماذا سيحدث له من نجاة أو خلافه ودعا ربه عز وجل قائلا: {رَبِّ نَجِّنِي مِنَ

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (387/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (578/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) (61/4)، للشيخ: (جابر بن أبو بكر الجزائري).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (21) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(5) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (21).

(6) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (548/19).

{الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} أي من فرعون وملائه أولاً ومن كل ظالم ثانياً.(1)

* * *

قال: الإمامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {21} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}.

لَمَّا أَخْبَرَهُ ذَلِكَ الرَّجُلُ بِمَا تَمَالاَ عَلَيْهِ فِرْعَوْنُ وَدَوْلَتُهُ فِي أَمْرِه، خَرَجَ مِنْ مِصْرَ وَحْدَهُ، وَلَمْ يَأْلَفْ ذَلِكَ قَلْبُهُ، بَلْ كَانَ فِي رَفَاهِيَةٍ وَنِعْمَةٍ وَرِئَاسَةٍ، {فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ} أَيْ: يتلفَّت {قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} أَيْ: مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ. فَذَكَرُوا أَنَّ اللَّهَ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بَعَثَ لَهُ مَلَكًا عَلَى فَرَسٍ، فَأَرْشَدَهُ إِلَى الطَّرِيقِ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {21} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ} أن يوقع به القتل، ودعا الله، و{قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} فإنه قد تاب من ذنبه وفعله غضبا من غير قصد منه للقتل، فَتَوعُّدُهُمْ له ظلم منهم وجراءة.(3)

* * *

قال: الشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {21} قوله تعالى: {فَخَرَجَ} موسى {مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ} التعرُّضَ له في الطريق. {قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} الكافرين، فلما أخبر فرعون بهربه، بعث في طلبه، فقال: اركبوا بنيان الطريق" فإنه لا يعرف الطريق.(4)

* * *

﴿ من فَوائِد الآيات ﴾
﴿ سُورَةُ الْقَصَص: 14- 21 ﴾

- الاعتراف بالذنب من آداب الدعاء.
- الشكر المحمود هو ما يحمل العبد على طاعة ربه، والبعد عن معصيته.
- أهمية المبادرة إلى النصح خاصة إذا ترتب عليه إنقاذ مؤمن من الهلاك.
- وجوب اتخاذ أسباب النجاة، والالتجاء إلى الله بالدعاء.(5)

* * *

[٢٢] ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

---

(1) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (21)، للشيخ: (أبو بكر الجزائري).
(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (21).
(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (21)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).
(4) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (21)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).
(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (387/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

ولما سار مقبلًا بوجهه جهة مَدْين قال: عسى ربي أن يرشدني إلى خير طريق، فلا أضلّ عنها. (1)

* * *

ولما قصد موسى بلاد ‹ مدين › وخرج من سلطان فرعون قال: عسى ربي أن يرشدني خير طريق إلى ‹ مدين ›. (2)

* * *

ولما توجه ناحية مدين - قرية شعيب - لما فيها من الأمن - تضرع إلى الله أن يهديه طريق الخير والنجاة. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ} .... أقبل بوجهه جهة مدين التي هي مدينة شعيب.

{تِلْقَاءَ مَدْيَنَ} ... جِهَتَهَا.

(أي: قَاصِدًا بِوَجْهِهِ مَدْيَنَ، وهو جَنُوبِيُّ فَلَسْطِينَ، حيث لا مُلْكَ فيه لِفِرْعَوْنَ).

{عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ} ... عسى ربي أن يبين لي قصد السبيل إلى مدين، وإنما قال ذلك لأنه لم يكن يعرف الطريق إليها.

(أي: أرجو ربي أن يهديني وسط الطريق حتى لا أضل فأهلك فاستجاب الله له وهداه إلى سواء السبيل ووصل مدين).

{سَوَاءَ السَّبِيلِ} ... الطَّرِيقَ الأَحْسَنَ إِلَى مَدْيَنَ.

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (388/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (388/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (578/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- { سُورَةُ القَصَص } الآية { 22 } قَوْلُهُ تَعَالَى: { وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ } سَار نَحْو مَدين خَاف أَن يخطىء الطَّرِيق { قَالَ عَسى } لَعَلَّ { رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي } أَن يرشدني { سَوَآءَ السَّبِيل } قصد الطَّرِيق نَحْو مَدين. (4)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- { سُورَةُ القَصَص } الآية { 22 } قَوْلُهُ تَعَالَى: { وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ } أي: قصد نحوها ماضيا يُقَالُ: دَارُهُ تِلْقَاءَ دَارِ فُلَانٍ إذا كانت محاذيتها، وَأَصْلُهُ مِنَ اللِّقَاءِ،

قَالَ: (الزَّجَّاجُ): يعني: سلك الطريق التي يلقى مَدْيَنَ فيها، وَمَدْيَنُ هُوَ (مَدْيَنُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ) سُمِّيَتِ الْبَلْدَةُ بِاسْمِه، وَكَانَ مُوسَى قَدْ خَرَجَ خَائِفًا بِلَا ظَهْرٍ وَلَا حِذَاءٍ وَلَا زَادٍ، وَكَانَتْ مَدْيَنُ عَلَى مَسِيرَةِ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ مِنْ مِصْرَ،

{ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ } أَيْ: قَصْدَ الطَّرِيقِ إِلَى مَدْيَنَ، قَالَ ذلك لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يعرف الطريق إليها. (5)

(5)

* * *

(4) انظُر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (22) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(5) انظُر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (22).

قال: الإمام (ابن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {22} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ} أَيْ: أَخَذَ طَرِيقًا سَالِكًا مَهْيَعًا فَرِحَ بِذَلِكَ، {قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ} أَيْ: إِلَى الطَّرِيقِ الْأَقْوَمِ. فَفَعَلَ اللَّهُ بِهِ ذَلِكَ، وَهَدَاهُ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَجُعِلَ هَادِيًا مَهْدِيًّا.(1)

* * *

قوله تعالى: {وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (22) وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (23) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (24) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (25) قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (26) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (27) قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (28)}.

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (22).

وفيها (قصة موسى) في منطقة مدين وزواجه هناك.

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {22} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ} أي: قاصدا بوجهه مدين، وهو جنوبي فلسطين، حيث لا ملك لفرعون، {قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ} أي: وسط الطريق المختصر، الموصل إليها بسهولة ورفق، فهداه الله سواء السبيل، فوصل إلى مدين.(2)

* * *

أخرج - الإمام (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (قتادة): قوله: (وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ) ومدين ماء كان عليه قوم شعيب.(3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا عباد بن راشد، عن (الحسن):- (عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ) قال: الطريق المستقيم.(4)

وسنده حسن.

* * *

أخرج - الإمام (عبد الرزاق) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (22)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (47/4)، للشيخ: (أ. الدكتور: حكمت بن بشير بن ياسين)،

(4) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (48/4)،

(قتادة): في قوله: (سَواءَ السَّبِيلِ) قال: قصد السبيل. (1) (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

(بسنده الصحيح) – عن (مجاهد): (سَواءَ السَّبِيلِ) قال: الطريق إلى مدين. (3)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {22} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ}.

ما زال السياق في شأن موسى – عليه السلام – بعد حادثة القتل والنصح له بمغادرة بلاد مصر إلى بلاد مدين (4) مدينة شعيب – عليه السلام – قال تعالى مخبرا عنه: {وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ} أي ولما توجه موسى عملا بنصيحة مؤمن آل فرعون تلقاء مدين أي نحوها وجهتها ولم يكن له علم بالطريق الصحراوي والمسافة مسيرة ثمانية أيام قال: {عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي (5) سَوَاءَ السَّبِيلِ} أي ترجَّى ربه سبحانه وتعالى أن يهديه الطريق السوي حتى لا يضل فيهلك، واستجاب الله له فهداه الطريق حتى وصل إلى بلاد مدين (6)
(6)

* * *

قال: الشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

{سُورَةُ الْقَصَص} الآية {22} قوله تعالى: {وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ}.

وخرج موسى هاربًا بلا زاد ولا ظهر، ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر والبقل حتى ترى خضرته في بطنه، وما وصل إلى مدين حتى وقع خفُّ قدميه.

{وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ} قصدها ماضيًا إليها، وهي قرية شعيب، سميت بمدين بن إبراهيم، وهي على بحر القلزم، وتقدم ذكرها في سورة (الأعراف) (7) و(طه)، وهي على مسيرة اثني عشر يومًا من مصر، وكان موسى لا يعرف طريقها، فلذلك.

{قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ} قصدَ الطريق ووسطَه إليها، فبُعث إليه ملك، فدله على الطريق.

قرأ: (نافع)، و(أبو جعفر)، و(ابن كثير)، و(أبو عمرو): (رَبِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها (8).(9)

* * *

[٢٣] ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ

---

(1) انظر: (تفسير عبد الرزاق) في سورة (القصص) – الآية (22).
(2) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (48/4).
(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (550/19).
(4) لأن بها العبد الصالح شعيب، وقيل: لأجل النسب الذي بينه وبينهم لأن مدين من ولد – إبراهيم، وموسى – ومن ولد – يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.
(5) روي أن الله تعالى بعث إليه ملكاً راكباً فرسا فقال: اتبعني فاتبعه فهداه إلى الطريق وكان ملك مدين لغير فرعون.
(6) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (22)، للشيخ: (أبو بكر الجزائري).

(7) تفسير الآية (85).
(8) انظر: "السبعة" لابن مجاهد (ص: 496)، و"التيسير" للداني (ص: 172)، و"النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (2/ 342)، و"معجم القراءات القرآنية" (5/ 12).
(9) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (22)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولما وصل ماء مَدْين الَّذي يستقون منه وجد جماعة من الناس يسقون مواشيهم، ووجد من دونهم امرأتين تحبسان أغنامهما عن الماء حتَّى يسقي الناس، قال لهما موسى عليه السلام: ما شأنكما لا تسقيان مع الناس؟ قالتا له: عادتنا أن نتأنى فلا نسقي حتَّى ينصرف الرعاة" حذراً من مخالطتهم، وأبونا شيخ كبير السن، لا يستطيع أن يسقي، فاضطررنا لسقي غنمنا. (1)

* * *

ولما وصل ماء ‹ مدين › وجد عليه جماعة من الناس يسقون مواشيهم، ووجد من دون تلك الجماعة امرأتين منفردتين عن الناس، تحبسان غنمهما عن الماء" لعجزهما وضعفهما عن مزاحمة الرجال، وتنتظران حتى تَصْدُرَ عنه مواشي الناس، ثم تسقيان ماشيتهما، فلما رآهما موسى -عليه السلام- رقَّ لهما، ثم قال: ما شأنكما؟ قالتا: لا نستطيع مزاحمة الرجال، ولا نسقي حتى يسقي الناس، وأبونا شيخ كبير، لا يستطيع أن يسقي ماشيته" لضعفه وكبره. (2)

* * *

ولما وصل ماء آل مدين الذى يسقون منه، وجد على جانب البئر جماعة كثيرة من أناس مختلفين يسقون مواشيهم، ووجد فى مكان أسفل من مكانهم امرأتين تدفعان غنمهما بعيدا عن الماء، فقال لهما موسى: لم تبتعدان عن الماء؟ فأجابتا: لا نستطيع الزحام، ولا نسقى حتى يسقى الرعاة، وأبونا شيخ طاعن لا يستطيع الرعى ولا السقى. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ} .... انتهى إلى بئر يسقى منها أهل مدين.

{وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ} ... أي: وَصَلَ، فَالوُرُودُ هنا معناه الوصولُ والبلوغُ.

{مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ} ... نعمهم ومواشيهم.

{يَسْقُونَ} ... أي: مواشيهم من بقر وإبل وغنم.

{وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ} .... ووجد من دون أمة الناس الذين هم على الماء، امرأتين تذودان،

يعني بقوله: (تَذُودَانِ) تَحبِسان غنمهما" يقال منه: ذاد فلان غنمه وماشيته: إذا أراد شيء من ذلك يَشِذّ ويذهب، فردّه ومنعه يذودها ذوْداً.

{تَذُودَانِ} ... الذَّوْدُ: السَّوْقُ وَالطَّرْدُ وَالدَّفْعُ.

(أي: أغنامهما منعا لهما من الماء حتى تخلو الساحة لهما خوف الاختلاط بالرجال الأجانب لغير ضرورة).

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (388/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (388/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (579/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{تَذُودَانِ} ... تَحْبِسَانِ غَنَمَهُمَا عَنِ المَاءِ.

{قال ما خطبكما} .... قال موسى للمرأتين اللتين تذودان ما خطبكما أي ما شأنكما.

{مَا خَطْبُكُمَا} ... مَا شَأنُكُمَا؟

{حتى يصدر الرعاء} .... لا نسقي ماشيتنا حتى يصدر الرعاء ويبقى لنا الماء وحدنا.

{يُصْدِرَ الرِّعَاءُ} ... يَنْصَرِفَ الرُّعَاةُ بِأَغْنَامِهِمْ عَنِ المَاءِ.

{شَيْخٌ كَبِيرٌ} ... رَجُلٌ مُسِنٌّ وَلَيْسَ هُوَ شُعَيبًا، خِلَافًا لِلْمَشْهُورِ.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {23} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ولَمَّا وردَ} بلغ {مَآءَ مَدْيَنَ} وَهُوَ بِئْر {وَجد عَلَيْه} على المَاء {أُمَّةً} جماعة {مِّنَ النَّاس} أَرْبَعِينَ رجلا {يَسْقُونَ} غنمهم {وَوجد من دُونِهِمُ} من ورائهم {امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ} تحبسان غنمهما عَن المَاء من ضعفهما حَتَّى يفرغ الْقَوْم {قَالَ} لهما مُوسَى {مَا خَطْبُكُمَا} مَا بالكما لَا تسقيان غنمكما {قَالَتَا لَا نَسْقِي} لَا نقدر أَن نسقي غنمنا {حَتَّى يُصْدِرَ الرعَآء} حَتَّى يفرغ الْقَوْم ثمَّ نسقي {وَأَبونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ} لَيْسَ لَهُ أحد يُعينهُ غيرنا.(1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {23} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ} وَهُوَ بِئْرٌ كَانُوا يَسْقُونَ مِنْهَا مواشيهم، {وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً} جماعة، {مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ} مواشيهم، {وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ} يَعْنِي: سِوَى الْجَمَاعَةِ، {امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ} يَعْنِي: تَحْبِسَانِ وَتَمْنَعَانِ أَغْنَامَهُمَا عَنِ الْمَاءِ حَتَّى يَفْرُغَ النَّاسُ وَتَخْلُوَ لهما الْبِئْرُ،

قَالَ: (الْحَسَنُ): تَكُفَّانِ الْغَنَمَ عَنْ أَنْ تَخْتَلِطَ بِأَغْنَامِ النَّاسِ.

وَقَالَ: (قَتَادَةُ): تَكُفَّانِ النَّاسَ عَنْ أَغْنَامِهِمَا.

يَعْنِي:- تَمْنَعَانِ أَغْنَامَهُمَا عَنْ أَنْ تَشِذَّ وَتَذْهَبَ. وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أصوبهما لِمَا بَعْدَهُ وَهُوَ قَوْلُهُ: {قَالَ} يَعْنِي: مُوسَى لِلْمَرْأَتَيْنِ، {مَا خَطْبُكُمَا} مَا شَأْنُكُمَا لَا تَسْقِيَانِ مَوَاشِيَكُمَا مَعَ النَّاسِ، {قَالَتَا لَا نَسْقِي} أغنامنا،

{حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ} قَرَأَ: (أَبُو جَعْفَرٍ)، وَ(أَبُو عَمْرٍو)، وَ(ابْنُ عَامِرٍ): (يَصْدُرَ) بِفَتْحِ الْيَاءِ وَضَمِّ الدَّالِ عَلَى اللُّزُومِ، أَيْ حَتَّى يَرْجِعَ الرِّعَاءُ عَنِ الْمَاءِ،

وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: بِضَمِّ الْيَاءِ وَكَسْرِ الدَّالِ أَيْ حَتَّى يَصْرِفُوا هُمْ مواشيهم عن الماء، والرعاء جَمْعُ رَاعٍ مِثْلَ تَاجِرٍ وَتُجَّارٍ، وَمَعْنَى الْآيَةِ: لَا نَسْقِي مَوَاشِيَنَا حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ لِأَنَّا امْرَأَتَانِ لا نطيق أن نستسقي وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُزَاحِمَ الرِّجَالَ، فَإِذَا صَدَرُوا سَقَيْنَا مَوَاشِيَنَا مَا أَفْضَلَتْ مَوَاشِيهِمْ فِي الْحَوْضِ،

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (23) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

{وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ} لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَسْقِي مَوَاشِيهُ، فَلِذَلِكَ احْتَجْنَا نَحْنُ إِلَى سَقْيِ الْغَنَمِ.

وَاخْتَلَفُوا فِي اسْمِ أَبِيهِمَا، فَقَالَ: (مُجَاهِدٌ)، وَ(الضَّحَّاكُ)، وَ(السُّدِّيُّ)، وَ(الْحَسَنُ): شُعَيْبٌ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَقَالَ: وَ(وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ)، وَ(سَعِيدُ بْنُ جبير): هو (بيرون بن أخي شعيب)، فَلَمَّا سَمِعَ - مُوسَى - قَوْلَهُمَا رَحِمَهُمَا فَاقْتَلَعَ صَخْرَةً مِنْ رَأْسِ بِئْرٍ لاَ يُطِيقُ رَفْعَهَا إِلاَ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ، فسقى غنم المرأتين.(1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (إِبْنُ كَثِيرٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآيَةِ {23} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ} أَيْ: وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى مَدْيَنَ وورد مَاءَهَا، وَكَانَ لَهَا بِئْرٌ تَرِدُهُ رِعَاءُ الشَّاءِ.

{وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ} أَيْ: جَمَاعَةً.

{يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ} أَيْ: تَكُفْكِفَانِ غَنَمَهُمَا أَنْ تَرِدَ مَعَ غَنَمِ أُولَئِكَ الرِّعَاءِ لِئَلاَ يُؤْذِيَا. فَلَمَّا رَآهُمَا مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، رَقَّ لَهُمَا وَرَحِمَهُمَا.

{قَالَ مَا خَطْبُكُمَا} أَيْ: مَا خَبَرُكُمَا لاَ تَرِدَانِ مَعَ هَؤُلاَءِ؟.

{قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ} أَيْ: لاَ يَحْصُلُ لَنَا سَقْيٌ إِلاَ بَعْدَ فَرَاغِ هَؤُلاَءِ.

{وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ} أَيْ: فَهَذَا الْحَالُ الْمُلْجِئُ لَنَا إِلَى مَا تَرَى.(2)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (السدي): (وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ) يقول: كثرة من الناس يسقون.(3)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): قوله: (أُمَّةً مِنَ النَّاسِ) قال: أناسا.(4)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قوله: (تَذُودَانِ) يقول: تحبسان.(5)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (السدي): (وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ) يقول: تحبسان غنمهما.(6)

* * *

أخرج- الإمام (عبد الرزاق) - (رحمه الله) - (بسنده الصحيح) - عن (قتادة): في قوله: (حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ) قال: فتشرب فضالتهم.(7)

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (23).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (23).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (551/19).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (551/19).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (552/19).

(6) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (552/19).

(7) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (48/4)، للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين).

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) – عن (قتادة): (لَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ) قال: أي حابستين شاءهما تذودان الناس عن شائهما.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري)– (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) – عن (قتادة): قال: تصدق عليهم نبي الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، فسقى لهما، فلم يلبث أن أروى غنمهما.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {23} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ} مواشيهم، وكانوا أهل ماشية كثيرة {وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ} أي: دون تلك الأمة {امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ} غنمهما عن حياض الناس، لعجزهما عن مزاحمة الرجال وبخلهم، وعدم مروءتهم عن السقي لهما.

{قَالَ} لهما موسى {مَا خَطْبُكُمَا} أي: ما شأنكما بهذه الحالة، {قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ} أي: قد جرت العادة أنه لا يحصل لنا سقي حتى يصدر الرعاء مواشيهم، فإذا خلا لنا الجو سقينا، {وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ} أي: لا قوة له على السقي، فليس فينا قوة، نقتدر بها، ولا لنا رجال يزاحمون الرعاء.(3)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {23} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ يَسْقُونَ} أي: وحين ورد ماء مدين وهو بئر يسقي منها الناس مواشيهم {وَجَدَ عَلَيْهِ} أي: على الماء {أُمَّةً مِنَ النَّاسِ} أي جماعة كبيرة يسقون أنعامهم ومواشيهم {وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ} وهما بنتا شعيب- عليه السلام {تَذُودَانِ} أي: تمنعان ماشيتهما من الاختلاط بمواشي الناس. فسألهما لا تطفلاً وإنما حالهما دعاه إلى سؤالهما لأنه رأى الناس يسقون مواشيهم ويصدرون فوجاً بعد فوج والمرأتان قائمتان على ماشيتهما تذودانها عن الحوض حتى لا تختلط ولا تشرب فسألهما لذلك قائلاً: {مَا خَطْبُكُمَا} أي: ما شأنكما فأجابتاه قائلتين: {لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ} لضعفنا وعدم رغبتنا في الاختلاط بالرجال {وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ} لا يقوى على سقي هذه الماشية بنفسه فنحن نسقيها ولكن بعد ما يصدر الرعاء ويبقى في الحوض ماء نسقي به.(4)

* * *

قال: الشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (553/19).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (555/19).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (23)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (23)، للشيخ: (أبو بكر الجزائري).

{سُورَةُ الْقَصَص} الآية {23} قوله تعالى:

{وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ} أي: وصل إليه وهو بئر كانوا يسقون منها مواشيهم {وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً} جماعة {مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ} مواشيهم. {وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ} من مكان أسفل منهم {امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ} تكُفَّان غنمهما عن الماء؛ لئلا تختلط بغنم القوم لضعفها عن السقي معهم.

{قَالَ مَا خَطْبُكُمَا} ما شأنكما لا تسقيان غنمكما مع الناس؟،

{قَالَتَا لَا نَسْقِي} غنمنا معهم؛ لعجزنا.

{حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ} حتى يصرفوا مواشيهم عن الماء؛ لأنا لا نستطيع أن نزاحم الرجال.

قرأ: (أبو جعفر)، و(ابن عامر)، و(أبو عمرو): (يَصْدُرَ) بفتح الياء وضم الدال على اللزوم؛ أي: يذهب الرعاء بمواشيهم عن الماء،

والباقون: بضم الياء وكسر الدال[(1)]، فالمفعول محذوف؛ أي: يصدر الرعاء مواشيهم من الماء، وأشمَّ الصاد الزاي (حمزة)، و(الكسائي)، و(خلف)، و(رويس)، والرعاء جمع راع؛ كتاجر وتجار.

{وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ} لا يقدر على رعي الغنم، وهو شعيب، وهو نبي القوم، وكلهم يحسدونه على ما آتاه الله، قال لهما موسى: وهذا الماء لهم خاصة؟ قالتا: لا، بل لجميع الخلق، وكانوا إذا فرغوا، عمدوا إلى حجر عظيم لا يرفعه إلا عشرة نفر يطبقونه على رأس البئر؛ لئلا يقدر على تنحيته.[(2)]

* * *

[٢٤] ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فرحمهما فسقى لهما أغنامهما، ثم انصرف إلى الظل فاستراح فيه، ودعا ربه بالتعريض بحاجته، فقال: رب إني لما أنزلت إليّ من أي خير محتاجٌ.[(3)]

* * *

فسقى موسى للمرأتين ماشيتهما، ثم تولى إلى ظل شجرة فاستظلَّ بها وقال: رب إني مفتقر إلى ما تسوقه إليَّ من أي خير كان، كالطعام. وكان قد اشتد به الجوع.[(4)]

* * *

فتطوع موسى وسقى لهما، ثم ركن إلى ظل شجرة يستريح من الجهد، وهو يقول في ضراعة: يا رب إني فقير لما تسوقه إليَّ من خير ورزق.[(5)]

* * *

شرح و بيان الكلمات:

---

(1) انظر: "السبعة" لابن مجاهد (ص: 492)، و"التيسير" للداني (ص: 171)، و"تفسير البغوي" (3/ 433)، و"النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (2/ 341)، و"معجم القراءات القرآنية" (5/ 13).

(2) انظُر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (23)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (388/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (388/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (579/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

{ثم تولى إلى الظل} ... أي: بعد أن سقى لهما رجع إلى ظل الشجرة التي كان جالساً تحتها.

{لما أنزلت علي من خير فقير} ... أي: من طعام محتاج إليه لشدة جوعه – عليه السلام.

{تمشي على استحياء} .... أي: واضعة كم درعها على وجهها حياء منه.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) – قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {24} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فسقى لهما} فسقى مُوسَى غنمهما وذهبتا إِلَى أبيهما فأخبرتا أباهما عَن خبر مُوسَى {ثمَّ تولى} مُوسَى {إِلَى الظل} ظلّ الشَّجرَة وَيُقَال ظلّ حَائِط وَيُقَال كَانَ {فَقَالَ} مُوسَى {رب إِنِّي لمَا أنزلت إِلَيَّ} مَا قدرت لي {من خير} من طَعَام {فَقير} مُحْتَاج. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {24} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ} ظِلِّ شَجَرَةٍ فَجَلَسَ فِي ظِلِّهَا مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ وَهُوَ جَائِعٌ، {فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ} من طعام، {فَقِيرٌ} قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: اللَّامُ بِمَعْنَى إِلَى يُقَالُ: هُوَ فَقِيرٌ لَهُ وَفَقِيرٌ إِلَيْهِ يَقُولُ: إِنِّي لما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ أَيْ طَعَامٍ فَقِيرٌ مُحْتَاجٌ، كَانَ يَطْلُبُ الطعام لجوعه فَلَمَّا رَجَعَتَا إِلَى أبيهما سَرِيعًا قَبْلَ النَّاسِ وَأَغْنَامُهُمَا حُفَّلٌ بِطَانٌ قَالَ لَهُمَا: مَا أَعْجَلَكُمَا؟ قَالَتَا: وَجَدْنَا رَجُلًا صَالِحًا رَحِمَنَا فَسَقَى لَنَا أَغْنَامَنَا، فَقَالَ لِإِحْدَاهُمَا: اذْهَبِي فَادْعِيهِ لِي. (2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {24} قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَسَقَى لَهُمَا} قَالَ: (أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ): حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ، أَنْبَأَنَا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ الأَوْدِي، عَنْ (عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ، وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ، قَالَ: فَلَمَّا فَرَغُوا أَعَادُوا الصَّخْرَةَ عَلَى الْبِئْرِ، وَلَا يُطِيقُ رَفْعَهَا إِلَّا عَشَرَةُ رِجَالٍ، فَإِذَا هُوَ بِامْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ، قَالَ: مَا خَطْبُكُمَا؟ فَحَدَّثَتَاهُ، فَأَتَى الْحَجَرَ فَرَفَعَهُ، ثُمَّ لَمْ يَسْتَقِ إِلَّا ذَنُوبًا وَاحِدًا حَتَّى رَوِيَتِ الْغَنَمُ. (إِسْنَادٌ صَحِيحٌ). (3)

وَقَوْلُهُ: {ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): سَارَ مُوسَى مِنْ مِصْرَ إِلَى مَدْيَنَ، لَيْسَ لَهُ طَعَامٌ إِلَّا الْبَقْلُ وَوَرَقُ الشَّجَرِ، وَكَانَ حَافِيًا فَمَا وَصَلَ مَدْيَنَ حَتَّى سَقَطَتْ نَعْلُ قَدَمِهِ. وَجَلَسَ فِي الظِّلِّ وَهُوَ صَفْوَةُ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ، وَإِنَّ بَطْنَهُ لَاصِقٌ بِظَهْرِهِ مِنَ الْجُوعِ، وَإِنَّ خُضْرَةَ الْبَقْلِ لَتُرَى مِنْ دَاخِلِ جَوْفِهِ وَإِنَّهُ لَمُحْتَاجٌ إِلَى شِقِّ تَمْرَةٍ.

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (24) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (24).

(3) انظر: المصنف لابن أبي شيبة (برقم (530/11).

وَقَوْلُهُ: {إِلَى الظِّلِّ} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاس)، وَ(ابْنُ مَسْعُود)، وَ(السُّدِّيّ): جَلَسَ تَحْتَ شَجَرَة.

وَقَالَ: (ابْنُ جَرِير): حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ عَمْرو الْعَنْقَزِيّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَمْرو بْن مَيْمُون، عَنْ (عَبْد اللَّه) - هُوَ -(ابْنُ مَسْعُود) -قَالَ: حَثَثْتُ عَلَى جَمَل لَيْلَتَيْن، حَتَّى صَبَّحَتْ مَدْيَن، فَسَأَلْتُ عَنْ الشَّجَرَة الَّتِي أَوَى إِلَيْهَا مُوسَى، فَإِذَا شَجَرَة خَضْرَاءُ تَرِفُّ، فَأَهْوَى إِلَيْهَا جَمَلِي -وَكَانَ جَائِعًا -فَأَخَذَهَا جَمَلِي فَعَالَجَهَا سَاعَةً، ثُمَّ لَفَظَهَا، فَدَعَوْتُ اللَّهَ لِمُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ. (1)

وَفِي رِوَايَة عَنْ (ابْن مَسْعُود): أَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى الشَّجَرَة الَّتِي كَلَّمَ اللَّهُ مِنْهَا لِمُوسَى، كَمَا سَيَأْتِي وَاللَّهُ أَعْلَم.

وَقَالَ: (السُّدِّيُّ): كَانَتْ مِنْ شَجَر السَّمُر.

وَقَالَ: (عَطَاءُ بْنُ السَّائِب): لَمَّا قَالَ مُوسَى: {رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ}، أسمع الْمَرْأَة. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): قوله: (مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) قال: طعام. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {24} فرق لهما موسى- عليه السلام- ورحمهما {فَسَقَى لَهُمَا} غير طالب منهما الأجرة، ولا له قصد غير وجه الله تعالى، فلما سقى لهما، وكان ذلك وقت شدة حر، وسط النهار، بدليل قوله: {ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ} مستريحا لذلك الظلال بعد التعب. {فَقَالَ} في تلك الحالة، مسترزقا ربه.

{رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ} أي: إني مفتقر للخير الذي تسوقه إليَّ وتيسره لي. وهذا سؤال منه بحاله، والسؤال بالحال أبلغ من السؤال بلسان المقال، فلم يزل في هذه الحالة داعيا ربه متملقا. وأما المرأتان، فذهبتا إلى أبهما، وأخبرتاه بما جرى. (4)

* * *

[٢٥] ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فلما ذهبتا أخبرتا أباهما به، فأرسل إحداهما إليه تدعوه، فجاءته تمشي في حياء،

قالت: إن أبي يدعوك أن تأتيه قصد أن يجزيك أجرك على سقيك لنا، فلما جاء

(1) تفسير الطبري (37/20).
(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (24).
(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (558/19).
(4) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (24)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

موسى أباهما، وأخبره بأخباره، قال له مطمئنًا إياه: لا تخف نجوت من القوم الظالمين فرعون وملئه، فإنهم لا سلطان لهم على مَدْين، فلا يستطيعون أن يصلوا إليك بأذى. (1)

* * *

فجاءت إحدى المرأتين اللتين سقى لهما تسير إليه في حياء، قالت: إن أبي يدعوك ليعطيك أجر ما سقيت لنا، فمضى موسى معها إلى أبيها، فلما جاء أباها وقصَّ عليه قصصه مع فرعون وقومه، قال له أبوها: لا تَخَفْ نجوت من القوم الظالمين، وهم فرعون وقومه" إذ لا سلطان لهم بأرضنا. (2)

* * *

فجاءت إحدى الفتاتين - مُرْسَلة من قبل أبيها بعد أن علم بأمر موسى معهما - تسير إلى موسى حياء، قالت: إن أبي يدعوك ليجزيك أجر سقيك لنا. فلما ذهب إليه وقصَّ عليه قصة خروجه من مصر قال والد الفتاتين: لا تخف، نجوت من القوم الظالمين، إذ لا سلطان لفرعون علينا. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وقص عليه القصص} .... أخبره بشأنه كله من قتله القبطي وطلب السلطة له ونصح المؤمن له بمغادرة البلاد ووصوله إلى ماء مدين.

{لا تخف نجوت من القوم الظالمين} .... أي: من فرعون وملئه إذ لا سلطان لهم على بلاد مدين.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {25} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا} وهي الصُّغْرَى وسمها صفورا {تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ} مُعْتَرِضَة رَافِعَة كمها على وَجههَا كمشي العذارى وَاضِعَة يَدهَا على وَجههَا {قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ} ليعطيك {أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا} عوض مَا سقيت لنا غنمنا {فَلَمَّا جَاءَهُ} مُوسَى إِلَى أَبِيهَا يثرون بن أخي شُعَيْب وَقد مَاتَ شُعَيْب قبل ذَلِك {وَقَصَّ عَلَيْهِ} على يثرون {الْقَصَصَ} فراره من فِرْعَوْن وَغير ذَلِك {قَالَ} لَهُ يثرون {لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} أهل مصر. (4)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {25} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ} قَالَ: (عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ)- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَيْسَتْ بِسَلْفَعٍ مِنَ النِّسَاءِ خَرَّاجَةً وَلَّاجَةً، وَلَكِنْ جَاءَتْ مُسْتَتِرَةً قَدْ وَضَعَتْ كُمَّ دِرْعِهَا عَلَى وَجْهِهَا اسْتِحْيَاءً.

{قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا} فَمَشَتِ الْمَرْأَةُ وَمَشَى مُوسَى خَلْفَهَا،

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (388/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (388/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (579/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (25) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

فَكَانَتْ الرِّيحُ تَضْرِبُ ثَوْبَهَا فَتَصِفُ رِدْفَهَا فَكَرِهَ مُوسَى أَنْ يَرَى ذَلِكَ مِنْهَا، فَقَالَ لَهَا امْشِي خَلْفِي وَدُلِّينِي عَلَى الطَّرِيقِ إِنْ أخطأت ففعلت ذلك،

{فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ} يَعْنِي أَمْرَهُ أَجْمَعَ، مِنْ قَتْلِه الْقِبْطِيَّ وَقَصْد فِرْعَوْنَ قَتْلَهُ،

{قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} يَعْنِي: فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ، وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِفِرْعَوْنَ سلطان على أهل مَدْيَنَ. (1)

* * *

قَالَ الإِمَامُ (إِبْنُ كَثِيرٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآيَة {25} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}.

لَمَّا رَجَعَتِ الْمَرْأَتَانِ سِرَاعًا بِالْغَنَمِ إِلَى أَبِهما، أَنْكَرَ حَالَهُمَا ومجيئهما سريعا، فسألهما عَنْ خَبَرِهِمَا، فَقَصَّتَا عَلَيْهِ مَا فَعَلَ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَبَعَثَ إِحْدَاهُمَا إِلَيْهِ لِتَدْعُوَهُ إِلَى أَبِيهَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ} أَيْ: مَشْيَ الْحَرَائِرِ، كَمَا رُوِيَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: كَانَتْ مستترة بِكُمِّ درعها.

وَقَالَ: (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ): حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ (أَبِي إِسْحَاقَ)، عَنْ (عُمَرَ بْنِ مَيْمُونٍ) قَالَ: قَالَ - عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: جَاءَتْ تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ، قَائِلَةً بِثَوْبِهَا عَلَى وَجْهِهَا، لَيْسَتْ بِسَلْفَعٍ خَرَّاجَةٍ وَلَّاجَةٍ. هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ.

قَالَ: (الْجَوْهَرِيُّ): السَّلْفَعُ مِنَ الرِّجَالِ: الْجَسُورُ، وَمِنَ النِّسَاءِ: الْجَرِيئَةُ السَّلِيطَةُ، وَمِنَ النُّوقِ: الشَّدِيدَةُ.

{قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا}، وَهَذَا تَأَدُّبٌ فِي الْعِبَارَةِ، لَمْ تَطْلُبْهُ طَلَبًا مُطْلَقًا لِئَلَّا يُوهِمَ رِيبَةً، بَلْ قَالَتْ: {إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا} يَعْنِي: لِيُثِيبَكَ وَيُكَافِئَكَ عَلَى سَقْيِكَ لِغَنَمِنَا،

{فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ} أَيْ: ذَكَرَ لَهُ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ، وَمَا جَرَى لَهُ مِنَ السَّبَبِ الَّذِي خَرَجَ مِنْ أَجْلِه مِنْ بَلَدِه،

{قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}. يَقُولُ: طِبْ نَفْسًا وَقَرَّ عَيْنًا، فَقَدْ خَرَجْتَ مِنْ مَمْلَكَتِهِمْ فَلَا حُكْمَ لَهُمْ فِي بِلَادِنَا. وَلِهَذَا قَالَ: {نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}. (2)

* * *

قَالَ الإِمَامُ (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآيَة {25} فأرسل أبوهما إحداهما إلى موسى، فجاءته {تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ} وهذا يدل على كرم عنصرها، وخلقها الحسن، فإن الحياء من الأخلاق الفاضلة، وخصوصا في النساء.

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامُ (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (25).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامُ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (25).

ويدل على أن موسى - عليه السلام -، لم يكن فيما فعله من السقي بمنزلة الأجير والخادم الذي لا يستحى منه عادة، وإنما هو عزيز النفس، رأت من حسن خلقه ومكارم أخلاقه، ما أوجب لها الحياء منه، فـ {قَالَتْ} له: {إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا} أي: لا ليمنَّ عليك، بل أنت الذي ابتدأتنا بالإحسان، وإنما قصده أن يكافئك على إحسانك، فأجابها موسى. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-
حدثنا ابن بشار، قال ثنا عبد الرحمن، قال ثنا سفيان، عن (أبي إسحاق) عن (نوف):- (فجاءته إحداهما تمشي على استحياء) قال: قد سترت وجهها بيديها. (2)
وسنده (صحيح).

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-
(بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قوله: لموسى (إن خير من استأجرت القوي الأمين) يقول: أمين فيما ولي، أمين على ما استودع. (3)

* * *

أخرج -الإمام (عبد الرزاق) - (رحمه الله) – في (تفسيره): – (بسنده الصحيح) - عن (قتادة): في قوله: (إن خير من استأجرت القوي الأمين) قال: بلغنا أن قوته كانت سرعة ما أروى غنمهما. قال: بلغنا أنه ملأ الحوض بدلو واحدة. قال: وأما أمانته فإنه أمرها أن تمشي خلفه. (4) (5)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-
(بسنده الحسن) - عن (السدي): قال: (ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت) إما ثمانيا وإما عشرا. (6)

* * *

أخرج - الإمام (البستي) - (رحمه الله) - (بسنده الحسن) - عن (سعيد بن جبير): قال: سألت (ابن عباس): أي الأجلين قضى موسى؟ قال: أخيرهما وأوفاهما. (7)

* * *

[٢٦] ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

قالت: إحدى ابنتيه: يا أبت استأجره ليرعى غنمنا، فهو جدير بأن تستأجره" لجمعه بين القوة والأمانة، فبالقوة يؤدي ما كلف به، وبالأمانة يحفظ ما ائتمن عليه. (8)

* * *

قالت إحدى المرأتين لأبيها: يا أبت استأجره ليرعى لك ماشيتك" إنَّ خير من تستأجره للرعي القوي على حفظ ماشيتك، الأمين

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (25)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).
(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمام (الطبري) (558/19).
(3) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمام (الطبري) (/19).
(4) انظر: (تفسير عبد الرزاق) في سورة (القصص) - الآية (25)،
(5) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (49/4)، للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين)،
(6) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمام (الطبري) (/19).
(7) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (49/4)، للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين)،
(8) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (388/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

الذي لا تخاف خيانته فيما تأمنه عليه.[1]

* * *

قالت أحدى الفتاتين: يا أبت اتخذه أجيرا لرعى الغنم والقيام على شأنها، إنه خير من تستأجره لقوّته وأمانته.[2]

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ}... وَهذانِ الوَصْفانِ يَنْبَغي اعْتِبارُهُما في كُلِّ مَنْ يَتَولّى للإنسانِ عَمَلًا بإجارةٍ أو غيرِها، فإن الخللَ لا يكونُ إلا بفَقْدِهِما، أو فَقْدِ إحْداهُما، وأما باجْتِماعِهِم" افإن العملَ يَتمُّ ويَكْمُلُ.

{يا أبت استأجره}..... أي: اتخذه أجيراً يرعى لنا الغنم بدلنا.

{القوي الأمين}.... ذكرت له كفاءته وهي القوة البدنية والأمانة.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) – قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {26} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالَتْ إِحْدَاهُمَا} وهى الصُّغرَى {يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ} من الأجراء هُوَ {الْقَوِي} على الحمل الثقيل {الْأَمِين} على الْأَمَانَة ثمّ.[3]

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {26} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ} اتَّخِذْهُ أَجِيرًا لِيَرْعَى أَغْنَامَنَا، {إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ} يَعْنِي: خَيْرَ مَنِ اسْتَعْمَلْتَ مَنْ قوي على العمل وأداء الْأَمَانَةِ، فَقَالَ لَهَا أَبُوهَا: وَمَا عِلْمُكِ بِقُوَّتِهِ وَأَمَانَتِهِ؟ قَالَتْ: أَمَّا قُوَّتُهُ فَإِنَّهُ رَفَعَ حَجَرًا مِنْ رأس البر لَا يَرْفَعُهُ إِلَّا عَشَرَةٌ.

يَعْنِي:- إِلا أَرْبَعُونَ رَجُلًا. وَأَمَّا أَمَانَتُهُ فَإِنَّهُ قَالَ لِي: امْشِي خَلْفِي حَتَّى لَا تَصِفَ الرِّيحُ بَدَنَكِ.[4]

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {26} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ} من ابتداء السبب الموجب لهربه، إلى أن وصل إليه {قَالَ} مسكنا روعه، جابرا قلبه: {لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} أي: ليذهب خوفك وروعك، فإن الله نجاك منهم، حيث وصلت إلى هذا المحل، الذي ليس لهم عليه سلطان.

{قَالَتْ إِحْدَاهُمَا} أي: إحدى ابنتيه {يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ} أي: اجعله أجيرا عندك، يرعى الغنم ويسقيها، {إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ} أي: إن موسى أولى من استؤجر، فإنه جمع القوة والأمانة، وخير أجير استؤجر، من جمعهما، أي: القوة والقدرة

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (388/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (579/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

(3) انظُر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (26) يِنسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما –.

(4) انظُر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (26).

على ما استؤجر عليه، والأمانة فيه بعدم الخيانة، وهذان الوصفان، ينبغي اعتبارهما في كل من يتولى للإنسان عملا بإجارة أو غيرها.

فإن الخلل لا يكون إلا بفقدهما أو فقد إحداهما، وأما باجتماعهما، فإن العمل يتم ويكمل، وإنما قالت ذلك، لأنها شاهدت من قوة موسى عند السقي لهما ونشاطه، ما عرفت به قوته، وشاهدت من أمانته وديانته، وأنه رحمهما في حالة لا يرجى نفعهما، وإنما قصده بذلك وجه الله تعالى.(1)

* * *

قال: الإِمَامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {26} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ} أَيْ: قَالَتْ إِحْدَى ابْنَتَيْ هَذَا الرَّجُلِ. قِيلَ: هِيَ الَّتِي ذَهَبَتْ وَرَاءَ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَتْ لِأَبِيهَا: {يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ} أَيْ: لرعية هَذِهِ الْغَنَمِ.

قَالَ: (عُمَرُ)، وَ(ابْنُ عَبَّاسٍ)، و(شُرَيح الْقَاضِي)، وَ(أَبُو مَالِكٍ)، و(قَتَادَةُ)، وَ(مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ)، وَغَيْرُ وَاحِدٍ: لَمَّا قَالَتْ: {إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ} قَالَ لَهَا أَبُوهَا: وَمَا عِلْمُكِ بِذَلِكِ؟ قَالَتْ: إِنَّهُ رَفَعَ الصَّخْرَةَ الَّتِي لَا يُطِيقُ حَمْلَهَا إِلَّا عَشَرَةُ رِجَالٍ، وَإِنَّهُ لَمَّا جِئْتُ مَعَهُ تقدمتُ أمامهُ، فَقَالَ لِي: كُونِي مِنْ وَرَائِي، فَإِذَا اجْتَنَبْتُ الطَّرِيقَ فَاحْذِفِي لِي بِحَصَاةٍ أَعْلَمُ بِهَا كَيْفَ الطَّرِيقُ لِأَتَهَدَّى إِلَيْهِ.

قَالَ: (سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ)، عَنْ (أَبِي إِسْحَاقَ)، عَنْ (أَبِي عُبَيْدَةَ)، عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ -هُوَ- ابْنُ مَسْعُودٍ) -قَالَ: أَفْرَسُ النَّاسِ ثَلَاثَةٌ: (أَبُو بَكْرٍ) حِينَ تَفَرَّسَ فِي (عُمَرَ)، وَصَاحِبُ يُوسُفَ حِينَ قَالَ: {أَكْرِمِي مَثْوَاهُ} {يُوسُفَ: 21}، وَصَاحِبَةُ مُوسَى حِينَ قَالَتْ: {يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ}.(2)

* * *

[٢٧] ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

قال: أبوهما مخاطبًا (موسى) - عليه السلام:- إني أريد أن أزوجك إحدى ابنتي هاتين، على أن يكون مهرها أن ترعى غنمنا ثماني سنين، فإن أكملت المدة عشر سنين فهذا تفضّل منك لا يلزمك" لأن التعاقد إنما هو على ثمان سنين، فما فوقها تطوع، وما أريد أن ألزمك ما فيه مشقة عليك، ستجدني

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (26)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (26).

-إن شاء الله- من الصالحين الذين يوفون بالعقود، ولا ينقضون العهود.[1]

* * *

قال: الشيخ لموسى- عليه السلام -: إني أريد أن أزوِّجك إحدى ابنتيَّ هاتين، على أن تكون أجيرًا لي في رعي ماشيتي ثماني سنين مقابل ذلك، فإن أكملت عشر سنين فإحسان من عندك، وما أريد أن أشق عليك بجعلها عشرا، ستجدني إن شاء الله من الصالحين في حسن الصحبة والوفاء بما قلت.[2]

* * *

قال له شعيب - عليه السلام - إني أريد أن أزوجك واحدة من ابنتى هاتين، على أن يكون مهرها أن تعمل عندنا ثمانى سنوات، فإن أتممت عشرا فمن عندك تطوعا، وما أريد أن ألزمك بأطول الأجلين، وستجدنى إن شاء الله من الصالحين المحسنين للمعاملة الموفين بالعهد.[3]

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{على أن تأجرني ثماني حجج} .... أي: ثماني سنوات إذ الحجة عام والجمع حجج.

{تَأجُرَنِي}... تَكُونَ أَجِيرًا لِي فِي رَعْيِ مَاشِيَتِي.

{حِجَجٍ} ... سِنِينَ.

{فإن أتممت عشراً فمن عندك} .... أي: جعلت الثمانية عشراً فرغبت عشراً فهذا من كرمك.

{قال ستجدني إن شاء الله من الصالحين} .... أي: الذين يوفون ولا ينقضون ولا ينقصون.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {27} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{قَالَ} يثرون لمُوسَى {إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ} أزوجك يَا مُوسَى {إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ على أَن تَأْجُرَنِي} تعْمل لي فِي غنمي {ثَمَانِيَ حِجَجٍ} ثَمَان سِنِين {فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً} عشر سِنِين {فَمِنْ عِندِكَ} الزِّيَادَة {وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ} فِي الزِّيَادَة {سَتَجِدُنِي إِن شَآءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ} بِالْوَفَاء.[4]

* * *

قَالَ: الإِمَامْ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {27} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{قَالَ} شُعَيْبٌ عِنْدَ ذَلِكَ، {إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ} قِيلَ: زَوَّجَهُ الْكُبْرَى وَذَهَبَ أَكْثَرُهُمْ إِلَى أَنَّهُ زَوَّجَهُ الصُّغْرَى مِنْهُمَا وَاسْمُهَا صَفُّورَةُ وَهِيَ الَّتِي ذَهَبَتْ لِطَلَبِ مُوسَى،

{عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ} يَعْنِي: أَنْ تَكُونَ أَجِيرًا لِي ثَمَانِ سِنِينَ،

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (388/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (388/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (579/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (27) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

قَالَ: (الْفَرَّاءُ): يَعْنِي: اجعل ثوابي من تزويجها أن ترعى غنمي، تَقُولُ الْعَرَبُ: آجرك اللَّهُ بأجرك أي أثابك والحجج السنون واحدتها حجة،

{فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ} أَيْ: إن أَتْمَمْتَ عَشْرَ سنينَ فذلك تفضل منك وتبرع، وليس بواجب عَلَيْكَ، {وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ} أن أُلْزِمَكَ تَمَامَ الْعَشْرِ إلا أن تتبرَّع،

{سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ} قَالَ (عُمَرُ): يَعْنِي: فِي حُسْنِ الصُّحْبَةِ وَالْوَفَاءِ بِمَا قُلْتَ.[1]

* * *

قَالَ: الإِمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {27} قَوْلُهُ تَعَالَى: قَالَ: {إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ} أَيْ: طَلَبَ إِلَيْهِ هَذَا الرَّجُلُ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ أَنْ يَرْعَى عَنْهُ وَيُزَوِّجَهُ إِحْدَى ابْنَتَيْهِ هَاتَيْنِ.

قَالَ: (شُعَيْبٌ الْجِبَائِيُّ): وَهُمَا صَفُورا، وَلِيًا.

وَقَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ): صَفُورَا وَشَرْقَا، وَيُقَالُ: لِيَا.

وَقَدِ اسْتَدَلَّ أَصْحَابُ - أَبِي حَنِيفَةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى صِحَّةِ الْبَيْعِ فِيمَا إِذَا قَالَ: "بِعْتُكَ أَحَدَ هَذَيْنِ الْعَبْدَيْنِ بِمِائَةٍ. فقال: اشتريت" أنه يصح، والله أعلم.

وَقَوْلُهُ: {عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ} أَيْ: عَلَى أَنْ تَرْعَى عَلَيَّ ثَمَانِي سِنِينَ، فَإِنْ تَبَرَّعْتَ بِزِيَادَةِ سَنَتَيْنِ فَهُوَ إِلَيْكَ، وَإِلاَّ فَفِي ثَمَانٍ كِفَايَةٌ،

{وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ} أَيْ: لاَ أُشَاقُّكَ، وَلاَ أُؤَاذِيكَ، وَلاَ أُمَارِيكَ.

وَقَدِ اسْتَدَلُّوا بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ -لِمَذْهَبِ الْأَوْزَاعِيِّ-، فِيمَا إِذَا قَالَ: ((بِعْتُكَ هَذَا بِعَشَرَةٍ نَقْدًا، أَوْ بِعِشْرِينَ نَسِيئَةً)) أَنَّهُ يَصِحُّ، وَيَخْتَارُ الْمُشْتَرِي بِأَهما أَخَذَهُ صَحَّ.

وحُمِلَ الْحَدِيثُ الْمَرْوِيُّ فِي سُنَنِ (أَبِي دَاوُدَ): ((مَنْ بَاعَ بَيْعَتَيْنِ فِي بَيْعَةٍ، فَلَهُ أَوْكَسُهُمَا أَوِ الرِّبَا)).[2][3]

* * *

قَالَ: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {27} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{قَالَ} صاحب مدين لموسى {إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي} أي: تصير أجيرا عندي {ثَمَانِيَ حِجَجٍ} أي: ثماني سنين. {فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ} تبرع منك، لا شيء واجب عليك. {وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ} فأحتم عشر السنين، أو ما أريد أن أستأجرك لأكلفك أعمالا شاقة، وإنما استأجرك لعمل سهل يسير لا مشقة فيه {سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ} فرغبه في سهولة العمل، وفي حسن المعاملة، وهذا يدل على أن الرجل

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (27).

(2) (صحيح): أخرجه الإمام (ابو داود) في (السنن) برقم (3461) – (كتاب: البيوع).
و(صححه) الإمَامْ (الألباني) في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) برقم (2326).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (72).

الصالح، ينبغي له أن يحسن خلقه مهما أمكنه، وأن الذي يطلب منه، أبلغ من غيره.(1)

* * *

[٢٨] ﴿ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

قال: (موسى)– عليه السلام –: ذلك الذي بيني وبينك على ما تعاقدنا عليه، فأي الأمدين عملت لك: ثمانيَ سنوات، أو عشر سنوات، أكون قد وفيت بما علي، فلا تطالبني بزيادة، والله وكيل على ما تعاقدنا عليه، رقيب عليه.(2)

* * *

قال موسى – عليه السلام –: ذلك الذي قلته قائم بيني وبينك، أي المدتين أقضها في العمل أكن قد وفيتك، فلا أطالب بزيادة عليها، والله على ما نقول وكيل حافظ يراقبنا، ويعلم ما تعاقدنا عليه.(3)

* * *

قال: موسى – عليه السلام –: ذلك الذى عاهدتنى عليه قائم بينى وبينك، أى مدة من المدتين أقضيها فى العمل أكون وفيتك عهدك فلا أطالب بزيادة عليها، والله شاهد على ما نقول.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{ذلك بيني وبينك} .... أنا أفي بشرطي وأنت تفي بشرطك.

{الْأَجَلَيْنِ} ... الْمُدَّتَيْنِ، الثَّمَانِ أَوِ العَشْرِ.

{أيما الأجلين قضيت} .... أي: الأجلين الثمانية أو العشرة أتممت.

{فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ} ... وذلك بطلب الزيادة فوق الثمانية أو فوق العشرة.

(أي: فَلَا أُطَالَبُ بِزِيَادَةٍ فِي المُدَّةِ).

{والله على ما نقول وكيل} .... أي: وكيل وحفيظ أي أشهد الله على العقد بشطريه أي النكاح ورعي الغنم وبذلك تم العقد.

{وَكِيلٌ} ... حَافِظٌ يُرَاقِبُنَا.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) – قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {28} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالَ} مُوسَى {ذَلِك} الشَّرْط {بَيْنِي وَبَيْنَك أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ} الثمان أَو الْعشْر {فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ} فَلَا سَبِيل لَك وعَلى {وَاللَّهُ على مَا نَقُولُ} من الشَّرْط وَالْوَفَاء {وَكِيل} شَهِيد.(5)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (27)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (388/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (388/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (579/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (28) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

الْقَصَصِ} الآيَةِ {28} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{قَالَ} موسى {ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ} يَعْنِي: هَذَا الشَّرْطُ بَيْنِي وبَيْنَكَ، فَمَا شَرطْتَ عَلَيَّ فَلَكَ وَمَا شرطت أن تزويج إحْداهُمَا فَلِي، وَالْأَمْرُ بَيْنَنَا، تَمَّ الْكَلَامُ ثُمَّ قَالَ: {أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ} يعني: أي الأجلين (وما) صلة نصب بمعنى أتممت أو فرغت من الثَّمان أَوِ الْعَشْرِ، {فَلاَ عُدْوَانَ عَلَيَّ} لا ظلم لي بأن أطالب بأكثر منهم، {وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ)، وَ(مُقَاتِلٌ): شَهِيدٌ فيما بيني وبينك.[1]

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآيَةِ {28} قَوْلُهُ تَعَالَى: إِخْبَارًا عَنْ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ: {قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ}، يَقُولُ: إِنَّ مُوسَى قَالَ لِصِهْرِهِ: الْأَمْرُ عَلَى مَا قُلْتَ مِنْ أَنَّكَ اسْتَأْجَرْتَنِي عَلَى ثَمَانِ سِنِينَ، فَإِنْ أَتْمَمْتُ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِي، فَأَنَا مَتَى فَعَلْتُ أَقَلَّهُمَا فَقَدْ بَرِئْتُ مِنَ الْعَهْدِ، وَخَرَجْتُ مِنَ الشَّرْطِ"

وَلِهَذَا قَالَ: {أَيَّمَا الأجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ} أَيْ: فَلَا حَرَجَ عَلَيَّ مَعَ أَنَّ الْكَامِلَ -وَإِنْ كَانَ مُبَاحًا لَكِنَّهُ فَاضِلٌ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، بِدَلِيلٍ مِنْ خَارِجٍ.

كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ} [الْبَقَرَة: 203].

وَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِحَمْزَةَ بْنِ عَمْرٍو الْأَسْلَمِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ كَثِيرَ الصِّيَامِ، وَسَأَلَهُ عَنِ الصَّوْمِ فِي السَّفَرِ -فَقَالَ: ((إِنْ شِئْتَ فَصُمْ، وَإِنْ شِئْتَ فَأَفْطِرْ))[2] مَعَ أَنَّ فِعْلَ الصِّيَامِ رَاجِحٌ مِنْ دَلِيلٍ آخَرَ.

هَذَا وَقَدْ دَلَّ الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِنَّمَا فَعَلَ أَكْمَلَ الْأَجَلَيْنِ وَأَتَمَّهُمَا"

قَالَ: (الْبُخَارِيُّ): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ شُجَاعٍ، عَنْ سَالِمٍ الْأَفْطَسِ، عَنْ (سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ) قَالَ: سَأَلَنِي يَهُودِيٌّ مِنْ أَهْلِ الْحِيرَةِ: أَيَّ الْأَجَلَيْنِ قَضَى مُوسَى؟ فَقُلْتُ: لَا أَدْرِي حَتَّى أَقْدَمَ عَلَى حَبْرِ الْعَرَبِ فأسأله. فَقَدِمْتُ فَسَأَلْتُ (ابْنَ عَبَّاسٍ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: قَضَى أَكْثَرَهُمَا وَأَطْيَبَهُمَا، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ إِذَا قَالَ فَعَلَ. هَكَذَا رَوَاهُ (الْبُخَارِيُّ).[3][4]

* * *

قَالَ: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآيَةِ {28} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{قَالَ} موسى - عليه السلام - مجيبا له فيما

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (28).

(2) أخرجه الإمام (أحمد) في (مسنده) برقم (493/3)، و أخرجه الإمام (النسائي) في (السنن) برقم (185/4).

(3) (صحيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2684)– (كتاب: الشهادات).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامُ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص الآية (28).

طلبه منه-: ﴿ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ أي: هذا الشرط، الذي أنت ذكرت، رضيت به، وقد تم فيما بيني وبينك. ﴿أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ سواء قضيت الثماني الواجبة، أم تبرعت بالزائد عليها ﴿وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ حافظ يراقبنا، ويعلم ما تعاقدنا عليه.

وهذا الرجل، أبو المرأتين، صاحب مدين، ليس بشعيب النبي المعروف، كما اشتهر عند كثير من الناس، فإن هذا، قول لم يدل عليه دليل، وغاية ما يكون، أن شعيبا عليه السلام، قد كانت بلده مدين، وهذه القضية جرت في مدين، فأين الملازمة بين الأمرين؟

وأيضا، فإنه غير معلوم أن موسى أدرك زمان شعيب، فكيف بشخصه؟ " ولو كان ذلك الرجل شعيبا، لذكره الله تعالى، ولسمته المرأتان، وأيضا فإن شعيبا -عليه الصلاة والسلام، قد أهلك الله قومه بتكذيبهم إياه، ولم يبق إلا من آمن به، وقد أعاذ الله المؤمنين أن يرضوا لبنتي نبيهم، بمنعهما عن الماء، وصد ماشيتهما، حتى يأتيهما رجل غريب، فيحسن إليهما ، ويسقي ماشيتهما، وما كان شعيب، ليرضى أن يرعى موسى عنده ويكون خادما له، وهو أفضل منه وأعلى درجة، والله أعلم،

إلا أن يقال: هذا قبل نبوة موسى فلا منافاة وعلى كل حال لا يعتمد على أنه شعيب النبي بغير نقل صحيح عن النبي- صلى الله عليه وسلم. (1)

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾
﴿ سُورَةُ الْقَصَص:22 – 28 ﴾

- الالتجاء إلى الله طريق النجاة في الدنيا والآخرة.
- حياء المرأة المسلمة سبب كرامتها وعلو شأنها.
- مشاركة المرأة بالرأي، واعتماد رأيها إن كان صوابًا أمر محمود.
- القوة والأمانة صفتا المسؤول الناجح.
- جواز أن يكون المهر منفعة. (2)

* * *

[٢٩] ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فلما أكمل (موسى) أوفى الأجلين عشر سنين، وسار بأهله من مَدْين إلى مصر أبصر من جانب الطور نارًا، قال لأهله: اثبتوا، إني أبصرت نارًا، لعلي آتيكم منها بخبر، أو آتيكم بشعلة من النار توقدون بها نارًا" لعلكم تستدفئون من البرد. (3)

* * *

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (28)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/388). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/389). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

فلمـا وفـى نـبي الله موسـى –عليـه السـلام– صـاحبه المـدة عشـر سـنين، وهـي أكمـل المـدتين، وسـار بأهلـه إلى ‹ مصـر › أبصـر مـن جانـب الطـور نـارًا، قـال موسـى لأهلـه: تمهلـوا وانتظـروا إنـي أبصـرت نـارًا" لعلي آتـيكم منهـا بنبـأ، أو آتـيكم بشـعلة مـن النـار لعلكـم تستدفئون بها. (1)

* * *

فلمـا أتم موسـى المـدة المشـروطة، وأصـبح زوجـاً لبنـت الـذى آواه، وعـاد بهـا إلى مصـر أبصـر فـى طريقـه مـن ناحيـة جبـل الطـور نـارا، فقـال لمـن معـه: امكثـوا هنـا، إنـى رأيـت نـارا استأنسـت بهـا فـى هـذه الظلمـة، سـأذهب إليهـا لآتـيكم مـن عنـدها بخـبر عـن الطريـق أو بجـذوة منهـا لعلكم تستدفئون بها. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{قضـى موسـى الأجـل} .... أتم المـدة المتفـق عليها وهي ثمان أو عشر سنوات.

(أي: قِطعَـةٌ مِـنَ الجَمْـرِ، وَالجَـذْوَةُ: الجَمْـرَةُ المُلْتَهِبَةُ).

{آنس} ... أَبْصَرَ.

{جَـذْوَةٍ مِـنَ النَّـارِ} ... عـود غلـيظ في رأسـه نار.

{جذْوَة} ... شُعْلَة من النَّار.

(لَعَلَّكُمْ تَصْـطَلُونَ} ... لعلكـم تسـخنون بهـا مـن البرد، وكان في شتاء.

{تصطَلُونَ} ... أي: تَسْتَدْفِئُونَ.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسـير ابـن عبـاس) – قـال: الإِمَـامُ (مجـد الـدين الفـيروز آبـادى) – (رحمـه الله):- {سُـورَةُ الْقَصَـصِ} الآيـة {29} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {فَلَمَّـا قضـى مُوسَـى الْأَجَـل} عشـر سـنين {وَسَـارَ بِأَهْلِـه} نَحْـو مصـر {آنَـسَ مِـن جَانِـبِ الطّـور نَـاراً} رأى عَـن يسَـار الطَّرِيـق نَـارا {قَـالَ لأَهلـه امكثـوا} أنزلـوا هَهُنَـا {إِنِّـي آنَسْـتُ} رَأَيْـت {نَـاراً لعَلـي آتِـيكُمْ مِّنْهَـا} مـن عِنْـد النَّـار {بِخَبَـرٍ} عَـن الطَّرِيـق وَقـد كَـانَ تحـير فـي الطَّرِيـق {أَوْ جَـذْوَة} قِطْعَـة {مِـنَ النَّـار لَعَلَّكُـمْ تصـطلون} لكـى تـدنوْا بهَـا وَكَـانُوا فـي شـدَّة مـن الشتَاء. (3)

* * *

قَـال: الإِمَـامُ (البغـوي) – (مُحيـي السُّـنَّة) – (رحمـه الله) – في (تفسـيره):- {سُـورَةُ الْقَصَـصِ} الآيـة {29} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {فَلَمَّـا قَضَـى مُوسَـى الْأَجَـلَ} يَعْنِـي: أَتَمَّـهُ وَفَـرَغَ مِنْـهُ، {وَسَـارَ بِأَهْلِـهِ} فَخَـرَجَ بِأَهْلِـهِ إِلَـى جَانِـبِ مِصْـرَ، {آنَـسَ} يَعْنِـي: أَبْصَـرَ، {مِـنْ جَانِـبِ الطُّـورِ نَـارًا} وَكَـانَ فِـي الْبَرِّيَّـةِ فِـي لَيْلَـةٍ مظلمـة شَـاتِيَةٍ شَدِيدَةِ الْبَرْدِ وَأَخَذَ امْرَأَتَهُ الطَّلْقُ، {قَـالَ لِأَهْلِـهِ امْكُثُـوا إِنِّـي آنَسْـتُ نَـارًا لَعَلِّـي آتِـيكُمْ مِنْهَـا بِخَبَـرٍ} يعـني: عَـنِ الطَّرِيـقِ لِأَنَّـهُ كَانَ قَدْ أَخْطَأَ الطَّرِيقَ، {أَوْ جَـذْوَةٍ مِـنَ النَّـارِ} يَعْنِـي: قِطْعَـةً وَشُـعْلَةً مِـنَ النَّارِ، وَفِيهَا ثَلَاثُ لُغَاتٍ: قَرَأَ (عَاصِمٌ): (جَذْوَةٍ) بِفَتْحِ الْجِيمِ،

(1) انظـر: (التفسـير الميسـر) بـرقم (389/1)، المؤلـف: (نخبـة مـن أسـاتذة التفسير).
(2) انظـر: (المنتخـب في تفسـير القـرآن الكـريم) بـرقم (579/1)، المؤلـف: (لجنة من علماء الأزهر).
(3) انظـر: (تنـوير المقبـاس مـن تفسـير ابـن عبـاس) في سُـورَةُ (الْقَصَـص) الآيـة (29) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

وقرأ (حمزة): بِضمِّها،

وقرأ الآخرون: بِكسْرِهَا،

وقال: (قتادةُ)، و(مُقاتلٌ): هِيَ الْعُودُ الَّذِي قد احترق بعضه وجمعها أجذى،

{لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ} تَسْتَدْفِئُونَ.(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ القَصَص} الآية {29} قَوْلُهُ تَعالَى: {فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ}.

قَدْ تَقَدَّمَ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ قَبْلَهَا أَنَّ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، قَضَى أَتَمَّ الْأَجَلَيْنِ وَأَوْفَاهُمَا وَأَبَرَّهُمَا وَأَكْمَلَهُمَا وَأَنْقَاهُمَا، وَقَدْ يُسْتَفَادُ هَذَا أَيْضًا مِنَ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ مِنْ قَوْلِهِ: {فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ} أَيِ: الْأَكْمَلَ مِنْهُمَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: (ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ)، عَنْ (مُجَاهِدٍ): قَضَى عَشْرَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا عَشْرًا أُخَرَ. وَهَذَا الْقَوْلُ لَمْ أَرَهُ لِغَيْرِهِ، وَقَدْ حَكَاهُ عَنْهُ (ابْنُ جَرِيرٍ)، وَ(ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ)، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَوْلُهُ: {وَسَارَ بِأَهْلِهِ} قَالُوا: كَانَ مُوسَى قَدِ اشْتَاقَ إِلَى بِلَادِهِ وَأَهْلِهِ، فَعَزَمَ عَلَى زِيَارَتِهِمْ فِي خُفْيَةٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، فَتَحَمَّلَ بِأَهْلِهِ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ الْغَنَمِ الَّتِي وَهَبَهَا لَهُ صِهْرُهُ، فَسَلَكَ بِهِمْ فِي لَيْلَةٍ مَطِيرَةٍ مُظْلِمَةٍ بَارِدَةٍ، فَنَزَلَ مَنْزِلًا فَجَعَلَ كُلَّمَا أَوْرَى زَنْدَهُ لَا يُضِيءُ شَيْئًا، فَتَعَجَّبَ مِنْ ذَلِكَ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ {آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا} أَيْ: رَأَى نَارًا تُضِيءُ لَهُ عَلَى بُعْدٍ،

{قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا} أَيْ: حَتَّى أَذْهَبَ إِلَيْهَا،

{لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ}. وَذَلِكَ لِأَنَّهُ قَدْ أَضَلَّ الطَّرِيقَ،

{أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ} أَيْ: قِطْعَةٍ مِنْهَا،

{لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ} أي: تَتَدفؤون بِهَا مِنَ الْبَرْدِ.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ القَصَص} الآية {29} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ} يحتمل أنه قضى الأجل الواجب، أو الزائد عليه، كما هو الظن بموسى ووفائه، اشتاق إلى الوصول إلى أهله ووالدته وعشيرته، ووطنه، وعلم من طول المدة، أنهم قد تناسوا ما صدر منه.

{سَارَ بِأَهْلِهِ} قاصدا مصر، {آنَسَ} أي: أبصر. {مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ} وكان قد أصابهم البرد، وتاهوا الطريق.(3)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): (فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ) قال: حدث (ابن عباس)،

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (القَصَص) الآية (29).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (29).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (29)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

قال: رعى عليه نبيّ الله أكثرها وأطيبها.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-
(بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): قوله: (فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ) قال: عشر سنين، ثم مكث بعد ذلك عشراً أخرى.(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-
(بسنده الحسن) - عن (قتادة): (آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ) أي: أحسست ناراً.(3)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-
(بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قوله: (أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ) يقول: شهاب.(4)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-
(بسنده الحسن) - عن (قتادة): (أَوْ جَذْوَةٍ) والجذوة أصل شجرة فيها نار.(5)

* * *

أخرج - الإمام (عبد الرزاق) - (رحمه الله) -
(بسنده الصحيح) - عن (قتادة): (أو جذوة من النار) قال: شعلة.(6)

* * *

هذه مجمع الآية فيها قصة تكليم الله (موسى) - (عليه السلام)- وتمكينه بمعجزة العصا واليد، كقوله تعالى: {فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (29) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (30) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ (31) اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (32) قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (33) وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (34) قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ (35)}.

* * *

وقد تقدم ذكرها في سورة - (الأعراف)- الآية (143-144). - كما قال تعالى: {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (143) قَالَ يَا

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (569/19).
(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (570/19).
(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (570/19-571).
(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (571/19).
(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (571/19).
(6) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (50/4)، للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين)،

مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (144)}..

* * *

وسورة – (طه) - الآية (9-24)، - كما قال تعالى: {وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (9) إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (10) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (11) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (12) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (13) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (15) فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى (16) وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (17) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (18) قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى (19) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (20) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (21) وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى (22) لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى (23) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (24)}.

* * *

وانظر: سورة (الشعراء) – الآية (10-15). - كما قال تعالى: {وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (10) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ (11) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (12) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ (13) وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (14) قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ (15)}.

* * *

[٣٠] ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فلما جاء (موسى النار التي أبصرها ناداه ربه سبحانه وتعالى: من جانب الوادي الأيمن في الموقع الَّذي باركه الله بتكليمه لموسى من الشجرة أن: يا موسى إني أنا الله رب المخلوقات كلها. (1)

* * *

فلما أتى موسى النار ناداه الله من جانب الوادي الأيمن لموسى في البقعة المباركة من جانب الشجرة: أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين، (2)

* * *

فلما جاء موسى إلى النار التى أبصرها، سمع من ناحية الجانب الأيمن له من الشجرة النابتة فى البقعة المباركة بجانب الجبل نداء علويا يقول له: يا موسى، إنى أنا الله

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/389). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/389)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

الذي لا يستحق العبادة سواه، خالق العالمين وحاميهم وحافظهم ومربيهم.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات

{نودي} .... أي: ناداه الله تعالى بقوله يا موسى إني أنا الله رب العالمين.

{شاطئ} ... جانب.

{في البقعة المباركة} .... قطعة الأرض التي عليها الشجرة الكائنة بشاطئ الوادي.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {30} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ} عَن يَمِين مُوسَى {فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ} بِالْمَاءِ وَالشَّجر {مِنَ الشَّجَرَةِ} من نَحْو الشّجر. {أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالمين} سيد الْجِنّ وَالْإِنْس.(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {30} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ} يعني: مِنْ جَانِبِ الْوَادِي الَّذِي عَنْ يَمِينِ مُوسَى، {فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ} لِمُوسَى جَعَلَهَا اللَّهُ مُبَارَكَةً لِأَنَّ اللَّهَ كَلَّمَ مُوسَى هُنَاكَ وَبَعَثَهُ نَبِيًّا.

وَقَالَ: (عَطَاءٌ): يُرِيدُ الْمُقَدَّسَةَ، {مِنَ الشَّجَرَةِ} من ناحية الشجرة {أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}.(3)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {30} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ} أَيْ: مِنْ جَانِبِ الْوَادِي مِمَّا يَلِي الْجَبَلَ عَنْ يَمِينه مِنْ نَاحِيَةِ الْغَرْبِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأمْرَ}، فَهَذَا مِمَّا يُرْشِدُ إِلَى أَنَّ مُوسَى قَصَدَ النَّارَ إِلَى جِهَةِ الْقِبْلَةِ، وَالْجَبَلُ الْغَرْبِيُّ عَنْ يَمِينِهِ، وَالنَّارُ وَجَدَهَا تَضْطَرِمُ فِي شَجَرَةٍ خَضْرَاءَ فِي لِحْفِ الْجَبَلِ مِمَّا يَلِي الْوَادِيَ، فَوَقَفَ بَاهِتًا فِي أَمْرِهَا، فَنَادَاهُ رَبُّهُ: {مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الأيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ}.

قَالَ: (ابْنُ جَرِيرٍ): حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: رَأَيْتُ الشَّجَرَةَ الَّتِي نُودِيَ مِنْهَا مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، سَمُرَةً خَضْرَاءَ تَرِفُّ. إِسْنَادُهُ مُقَارِبٌ.

وَقَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ): عَنْ بَعْضِ مَنْ لَا يَتَّهِمُ، عَنْ (وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ) قَالَ: شَجَرَةٌ مِنَ الْعُلَّيْقِ، وَبَعْضُ أَهْلِ الْكِتَابِ يَقُولُ: مِنَ الْعَوْسَجِ.

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (580/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (30) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامُ (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (30).

وَقَالَ: (قَتَادَةُ): هِيَ مِنَ الْعَوْسَجِ، وَعَصَاهُ مِنَ الْعَوْسَجِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} أَيِ: الَّذِي يُخَاطِبُكَ وَيُكَلِّمُكَ هُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، الْفَعَّالُ لِمَا يَشَاءُ، لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلاَ رَبَّ سِوَاهُ، تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَتَنَزَّهَ عَنْ مماثلة المخلوقات في ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، وَأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ سُبْحَانَهُ!. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {30} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فلما أتاها نودي {يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} فأخبر بألوهيته وربوبيته، ويلزم من ذلك، أن يأمره بعبادته، وتألهه، كما صرح به في الآية الأخرى {فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي}. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): قوله: (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الأيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ) قال: نودي من عند الشجرة (أَنْ يَامُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ). (3)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): قوله: (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الأيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ) قال: نودي من عند الشجرة (أَنْ يَامُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ). (4)

* * *

[٣١] ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وأن اطرح عصاك، فطرحها موسى امتثالًا لأمر ربه، فلما رآها تتحرك وتضطرب كأنها حية في سرعتها ولَّى هاربًا خوفًا منها، ولم يرجع من هَرَبِه، فناداه ربه: يا موسى أقبل، ولا تخف منها" فإنك من الآمنين منها ومن غيرها مما تخاف. (5)

* * *

وأن ألق عصاك، فألقاها موسى، فصارت حية تسعى، فلما رآها موسى تضطرب كأنها جانٌّ من الحيات ولَّى هاربًا منها، ولم يلتفت من الخوف، فناداه ربه: يا موسى أقبل إليَّ ولا تَخَفْ" إنك من الآمنين من كل مكروه. (6)

* * *

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (30).
(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (30)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).
(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (573/19).
(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (573/19).
(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (389/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(6) انظر: (التفسير الميسر) برقم (389/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

ونودى: أن ألق عصاك. فألقاها فقلبها الله ثعبانا، فلما أبصرها موسى تتحرك كأنها حية فى سعيها خاف وفر فزعا ولم يرجع، فقيل له: يا موسى أقبل على النداء وعُد إلى مكانك ولا تخف، إنك فى عداد الآمنين من كل مكروه. (1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ} ... ونودى أن ألق عصاك.

{وَلَّى} ... ذهب.

{مُدْبِرًا} ... على عقبه.

{وَلَمْ يُعَقِّبْ} ...لم يرجع.

{تهتز كأنها جان} .... تضطرب وتتحرك بسرعة كأنها حية من حيات البيوت.

{تَهْتَزُّ} ... تَتَحرَّكُ، وَتَضْطَرِبُ.

{كَأَنَّهَا جَانٌّ} ... كأنها حية تسعى.

{كَأَنَّهَا جَانٌّ} ... حَيَّةٌ تَتَحَرَّكُ وَتَضْطَرِبُ بِسُرْعَة، والجانُّ: ذَكَرُ الحَيَّات العَظِيم.

{جَانٌّ} ... حَيَّةٌ خَفِيفَةٌ في سُرْعَة حَرَكَتِهَا.

{مُدْبِرًا} ... هَارِبًا جَاعِلًا النَّارَ خَلْفَ ظَهْرِه.

{وَلَمْ يُعَقِّبْ} ... لَمْ يَلْتَفِتْ.

{ولى مدبراً ولم يعقب} .... رجع هارباً ولم يعقب لخوفه وفزعه منها.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) – قَال: الإِمَام (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {31} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ} من يدك {فَلَمَّا رَآهَا} بَعْدمَا أَلْقَاهَا {تَهْتَزُّ} تتحرك رَافِعَة رَأسهَا {كَأَنَّهَا جَانٌّ} حَيَّة لاَ صَغِيرَة وَلاَ كَبِيرَة {ولى مُدْبِراً} هَارِبا مِنْهَا {وَلَمْ يُعَقِّبْ} وَلم يلْتَفت إِلَيْهَا قَالَ الله {يَا مُوسَى أَقْبِلْ} إِلَيْهَا {وَلاَ تَخَفْ} مِنْهَا {إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ} من شَرها فَأَخذهَا مُوسَى فَإِذا هِيَ عَصا كَمَا كَانَت قَالَ الله لَهُ. (2)

* * *

قَال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {31} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ} تتحرك، {كَأَنَّهَا جَانٌّ} وَهِيَ الْحَيَّةُ الصَّغِيرَةُ مِنْ سُرْعَة حركتها، {وَلَّى مُدْبِرًا} هاربا منها، {وَلَمْ يُعَقِّبْ} لَمْ يَرْجِعْ فَنُودِيَ، {يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ}. (3)

* * *

قَال: الإِمَام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {31} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ} فألقاها {فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ} تسعى سعيا شديدا، ولها سورة مُهيلة {كَأَنَّهَا جَانٌّ} ذَكَرُ الحيات العظيم، {وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ} أي: يرجع، لاستيلاء الروع على قلبه، فقال الله له: {يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ} وهذا أبلغ ما يكون في التأمين، وعدم الخوف.

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (580/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (31) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما –.

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (31).

فإن قوله: {أَقْبِلْ} يقتضي الأمر بإقباله، ويجب عليه الامتثال، ولكن قد يكون إقباله، وهو لم يزل في الأمر المخوف، فقال: {وَلا تَخَفْ} أمر له بشيئين، إقباله، وأن لا يكون في قلبه خوف، ولكن يبقى احتمال، وهو أنه قد يقبل وهو غير خائف، ولكن لا تحصل له الوقاية والأمن من المكروه، فقال: {إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ} فحينئذ اندفع المحذور من جميع الوجوه، فأقبل موسى -عليه السلام- غير خائف ولا مرعوب، بل مطمئنا، واثقا بخبر ربه، قد ازداد إيمانه، وتم يقينه، فهذه آية، أراه الله إياها قبل ذهابه إلى فرعون، ليكون على يقين تام، فيكون أجرأ له، وأقوى وأصلب. (1)

* * *

قال: الإمامْ (إبن كثير) -(رحمه الله)- في (تفسيره):- {سُورَةُ القَصَص} الآية {31} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ} أَيْ: الَّتِي فِي يَدِكَ. كَمَا قَرَّرَهُ عَلَى ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: {وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى} {طه: 17، 18}. وَالْمَعْنَى: أَمَّا هَذِهِ عَصَاكَ الَّتِي تَعْرِفُهَا أَلْقِهَا.

{فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى} فَعَرَفَ وَتَحَقَّقَ أَنَّ الَّذِي يُخَاطِبُهُ وَيُكَلِّمُهُ هُوَ الَّذِي يَقُولُ لِلشَّيْءِ: كُنْ، فَيَكُونُ. كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُ ذَلِكَ فِي سُورَةِ "طَه".

وَقَالَ هَاهُنَا: {فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ} أَيْ: تَضْطَرِبُ {كَأَنَّهَا جَانٌّ} أَيْ: فِي حَرَكَتِهَا السَّرِيعَةِ مَعَ عِظَمِ خَلْقِ قَوَائِمِهَا وَاتِّسَاعِ فَمِهَا، وَاصْطِكَاكِ أَنْيَابِهَا وَأَضْرَاسِهَا، بِحَيْثُ لَا تَمُرُّ بِصَخْرَةٍ إِلَّا ابْتَلَعَتْهَا، فَتَنْحَدِرُ فِي فِيهَا تَتَقَعْقَعُ، كَأَنَّهَا حَادِرَةٌ فِي وَادٍ. فَعِنْدَ ذَلِكَ.

{وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ} أَيْ: وَلَمْ يَكُنْ يَلْتَفِتُ؛ لِأَنَّ طَبْعَ الْبَشَرِيَّةِ يَنْفِرُ مِنْ ذَلِكَ.

فَلَمَّا قَالَ اللَّهُ لَهُ: {يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ}، رَجَعَ فَوَقَفَ فِي مَقَامِهِ الْأَوَّلِ. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده (الحسن) - عن (قتادة)): (وَلَّى مُدْبِرًا) فسارا منها (وَلَمْ يُعَقِّبْ) يقول: ولم يرجع على عقبه. (3)

* * *

[٣٢] ﴿ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

أدخل يدك اليمنى في فتحة قميصك مما يلي الرقبة تخرج بيضاء من غير برص. فأدخلها موسى فخرجت بيضاء كالثلج. واضمم إليك يدك ليهدأ خوفك. فضمَّها (موسى)-عليه السلام - إليه فذهب عنه الخوف، فهذان المذكوران -العصا واليد- حجّتان مرسلتان من ربك إلى فرعون والأشراف من قومه، إنهم

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (31)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (31).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (19/574).

كانوا قومًا خارجين عن طاعة الله بالكفر وارتكاب المعاصي. (1)

* * *

أدخل يدك في فتحة قميصك المفتوحة إلى الصدر، وأخرجها تخرج بيضاء كالثلج من غير مرض ولا برص، واضمم إليك يدك لتأمن من الخوف، فهاتان اللتان أريتُكَهما يا موسى: من تحوُّل العصا حية، وجَعْل يدك بيضاء تلمع من غير مرض ولا برص، آيتان من ربك إلى فرعون وأشراف قومه. إن فرعون وملأه كانوا قومًا كافرين. (2)

* * *

وأدخل يدك فى طوق ثوبك تخرج شديدة البياض من غير عيب ولا مرض، واضمم يدك إلى جانبك فى ثبات من الخوف، ولا تفزع من رؤية العصا حية ومن رؤية اليد بيضاء، فهاتان المعجزتان من الله تواجه بهما فرعون وقومه حينما يقابلون رسالتك بالتكذيب خارجين عن طاعة الله. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{اسْلُكْ} ... أَدْخِلْ.

{اسلك يدك في جيبك} ..... أدخلها في جيب قميصك.

{جَيْبِكَ} ... فَتْحَةَ قَمِيصِكَ.

{تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ} ... تخرج بيضاء من غير برص.

{مِنْ غَيْرِ سُوءٍ} ... مِنْ غَيْرِ بَرَصٍ، وَلاَ مَرَضٍ.

{وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ} ... واضمم إليك يدك

(أي: ضُمَّ يَدَكَ إِلَى صَدْرِكَ).

{من غير سوء} ..... أي: عيب كبرص و نحوه.

{واضمم إليك جناحك من الرهب} ..... اضمم يدك بأن تضعها على صدرك ليذهب روعك.

{مِنَ الرَّهْبِ} ... لِتَأمَنَ مِنَ الخَوْفِ.

{فَذَانِكَ} ... هَاتَانِ.

{فذانك برهانان} ..... أي: آيتان من ربك على صدق رسالتك.

{بُرْهَانَانِ} ... آيَتَانِ.

{إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ} ... إلى فرعون وأشراف قومه، حجة عليهم، ودلالة على حقيقة نبوّتك يا موسى،

{إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ} ... إن فرعون وملأه كانوا قوما كافرين.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {32} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{اسلك} أدخل {يَدَكَ فِي جَيْبِكَ} فِي إبطك يَا مُوسَى {تَخْرُجْ بَيْضَآءَ} لَهَا ضوء كضوء الشَّمْس {من غير سوء} من غير برص {واضمم إِلَيْكَ جَنَاحَكَ} أدخل يدك فِي إبطك بعد ذَلِك {مِنَ الرهب} من الْفرق إِذا أرهبت بهَا النَّاس {فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ} فهاتان حجتان {مِن رَّبِّكَ}

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (389/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (389/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (580/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

إلَى فرْعَونَ ومَلَئِه} قومه {**إنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ}** كَافرين مفسدين في شركهم.(1)

* * *

قَال: الإِمَامْ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَة القَصَص} الآيَة {32} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{**اسْلُكْ}** أَدْخل {**يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ}** بَرَصٍ فَخَرَجَتْ وَلَهَا شُعَاعٌ كَضَوْءِ الشَّمْس،

{**وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ}** قَرَأَ: أَهْلُ (الْكُوفَةِ)، وَ(الشَّامِ): بِضَمِّ الْوَاو وسكون الهاء وبفتح الراء حفص،

وقرأ الآخرون: بفتحها وَكُلُّهَا لُغَاتٌ بِمَعْنَى الْخَوْفِ وَمَعْنَى الآيَةِ إذا هَالَكَ أمر يدك مَا تَرَى مِنْ شُعَاعِهَا فَأَدْخِلْهَا فِي جَيْبِكَ تَعُدْ إِلَى حَالَتِهَا الْأُولَى وَالْجَنَاحُ الْيَدُ كُلُّهَا. يعني:- هُوَ الْعَضُدُ.

وَقَالَ: (عَطَاءٌ) عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ)- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: أَمَرَهُ الله بضم يَدَهُ إِلَى صَدْرِهِ فَيَذْهَبُ عَنْهُ مَا نَالَهُ مِنَ الْخَوْفِ عِنْدَ معاينة الحية.

يعني:- الْمُرَادُ مِنْ ضَمِّ الْجَنَاحِ السكون يعني: سكن روعك واخفض عليك جأشك لِأَنَّ مِنْ شَأْنِ الْخَائِفِ أَنْ يَضْطَرِبَ قَلْبُهُ وَيَرْتَعِدَ بَدَنُهُ،

وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ: {**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ}** {الْإِسْرَاءِ: 24} يُرِيدُ الرِّفْقَ،

وَقَوْلُهُ: {**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}** {الشُّعَرَاءِ: 215} أَيْ: ارْفُقْ بِهِم وألن جانبك لهم،

وقَالَ: (الْفَرَّاءُ): أَرَادَ بِالْجَنَاحِ الْعَصَا، مَعْنَاهُ اضْمُمْ إِلَيْكَ عَصَاكَ،

وقيل: الرَّهْبُ الْكُمُّ بِلُغَةِ حِمْيَرَ،

قَالَ: (الْأَصْمَعِيُّ): سَمِعْتُ بَعْضَ الْأَعْرَابِ يَقُولُ: أَعْطِنِي مَا فِي رَهْبِكَ أَيْ فِي كُمِّكَ، مَعْنَاهُ اضْمُمْ إِلَيْكَ يَدَكَ وَأَخْرِجْهَا مِنَ الْكُمِّ، لِأَنَّهُ تَنَاوَلَ الْعَصَا وَيَدُهُ فِي كُمِّهِ،

{**فَذَانِكَ}** يَعْنِي: الْعَصَا وَالْيَدُ الْبَيْضَاءُ، {**بُرْهَانَانِ}** آيَتَانِ، {**مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ}**.(2)

* * *

قَال: الإِمَامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآيَة {32} ثُمَّ قَالَ اللَّهُ لَهُ: {**اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ}** أَيْ: إِذَا أَدْخَلْتَ يَدَكَ فِي جَيْبِ دِرْعِكَ ثُمَّ أَخْرَجْتَهَا فَإِنَّهَا تَخْرُجُ تَتَلَأْلَأُ كَأَنَّهَا قِطْعَةُ قَمَرٍ فِي لَمَعَانِ الْبَرْقِ" وَلِهَذَا قَالَ: {**مِنْ غَيْرِ سُوءٍ}** أَيْ: مِنْ غَيْرِ بَرَصٍ.

وَقَوْلُهُ: {**وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ}**:

قَالَ: (مُجَاهِدٌ): مِنَ الْفَزَعِ.

وَقَالَ: (قَتَادَةُ): مِنَ الرُّعْبِ.

وَقَالَ: (عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ)، وَ(ابْنُ جَرِيرٍ): مِمَّا حَصَلَ لَكَ مِنْ خَوْفِكَ مِنَ الْحَيَّةِ.

وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ أَعَمُّ مِنْ هَذَا، وَهُوَ أَنَّهُ أُمِرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِذَا خَافَ مِنْ شَيْءٍ أَنْ يَضُمَّ إِلَيْهِ جَنَاحَهُ مِنَ الرَّهْبِ، وَهِيَ يَدُهُ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُهُ مِنَ الْخَوْفِ. وَرُبَّمَا إِذَا اسْتَعْمَلَ أَحَدٌ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الِاقْتِدَاءِ فَوَضَعَ

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (32) ينسب: لـ: (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (32).

يَدَيْهِ عَلَى فُؤَاده، فَإِنَّهُ يَزُولُ عَنْهُ مَا يَجِدُ أَوْ يَخف، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَبِه الثِّقَةُ.

قَالَ: (ابْنُ أَبِي حَاتِم): حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ بْنُ ثَعْلَبَ الشَّيْخُ الصَّالِحُ، أَخْبَرَنَا أَبُو إِسْمَاعِيلَ الْمُؤَدِّبُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِم، عَنْ (مُجَاهِد)، قَالَ: كَانَ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَدْ مُلِئَ قَلْبُهُ رُعْبًا مِنْ فِرْعَوْنَ، فَكَانَ إِذَا رَآهُ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَدْرَأُ بِكَ فِي نَحْرِه، وَأُعَوِّذُ بِكَ مِنْ شَرِّه، فَفَرَّغَ اللَّهُ مَا كَانَ فِي قَلْبِ مُوسَى- عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَجَعَلَهُ فِي قَلْبِ فِرْعَوْنَ، فَكَانَ إِذَا رَآهُ بَالَ كَمَا يَبُولُ الْحِمَارُ.

وَقَوْلُهُ: {فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ} يَعْنِي: إِلْقَاءَهُ الْعَصَا وَجَعْلَهَا حَيَّةً تَسْعَى، وَإِدْخَالَهُ يَدَهُ فِي جَيْبِهِ فَتَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ - دَلِيلَانِ قَاطِعَانِ وَاضِحَانِ عَلَى قُدْرَةِ الْفَاعِلِ الْمُخْتَارِ، وَصِحَّةِ نُبُوَّةِ مَنْ جَرَى هَذَا الْخَارِقُ عَلَى يَدَيْهِ"

وَلِهَذَا قَالَ: {إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ} أَيْ: وَقَوْمِهِ مِنَ الرُّؤَسَاءِ وَالْكُبَرَاءِ وَالْأَتْبَاعِ،

{إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ} أَيْ: خَارِجِينَ عَنْ طَاعَةِ الله، مخالفين لدين الله، والله أعلم. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {32} قَوْلُهُ تَعَالَى: {اسْلُكْ يَدَكَ} أي: أدخلها {فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ} فسلكها وأخرجها، كما ذكر الله تعالى.

{وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ} أي ضم جناحك وهو عضدك إلى جنبك يزول عنك الرهب والخوف. {فَذَانِكَ} انقلاب العصا حية، وخروج اليد بيضاء من غير سوء.

{بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ} أي: حجتان قاطعتان من الله،

{إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ} فلا يكفيهم مجرد الإنذار وأمر الرسول إياهم، بل لا بد من الآيات الباهرة، إن نفعت. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): (اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ) أي: في جيب قميصك. (3)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): (وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ) أي: من الرعب. (4)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (السدي): (فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ) العصا واليد آيتان. (5)

* * *

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورةُ (الْقَصَص) الآية (32).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورةُ (الْقَصَص) الآية (32)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (574/19).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (575/19).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (576/19).

[٣٣] ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

قال: (موسى)–عليه السلام– متوسلًا إلى ربه: إني قتلت: منهم نفسًا فأخاف أن يقتلوني به إن جئتهم لأبلغهم ما أرسلت به. (1)

* * *

قال: موسى: ربِّ إني قتلت من قوم فرعون نفسًا فأخاف أن يقتلوني، (2)

* * *

قال: موسى –عليه السلام– متخوفا وطالبا العون – يا رب، إنى قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلونى به قصاصا. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{إني قتلت منهم نفسا} ..... أي: نفس القبطي الذي قتله خطأ قبل هجرته من مصر.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) – قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {33} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالَ} مُوسَى {رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ} بدلها. (4)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {33} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ}.

لَمَّا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالذَّهَابِ إِلَى فِرْعَوْنَ، الَّذِي إِنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ فِرَارًا مِنْهُ وَخَوْفًا مِنْ سَطْوَتِهِ،

{قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا} يَعْنِي: ذَلِكَ الْقِبْطِيَّ، {فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ} أَيْ: إِذَا رَأَوْنِي. (5)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – رحمه الله – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {33} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{قَالَ} موسى – عليه السلام–. معتذرا من ربه، وسائلا له المعونة على ما حمله، وذاكرا له الموانع التي فيه، ليزيل ربه ما يحذره منها. {رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا} أي: {فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ}. (6)

* * *

أخرج – الإمام (آدم بن أبي إياس) –(رحمه الله)– (بسنده الصحيح) – عن (مجاهد): قوله: (فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي) قال: عونا. (7)(8)

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (389/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (389/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (580/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (33) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما –.

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (33).

(6) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (33)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(7) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (51/4)، للشيخ: (أ. الدكتور: حكمت بن بشير بن ياسين).

(8) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (577/19).

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (قتادة): قوله: (رِدْءًا يُصَدِّقُنِي): أي: عونا.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): (رِدْءًا يُصَدِّقُنِي) يقول: كي يصدّقني.(2)

* * *

[٣٤] ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وأخي هارون هو أبين مني كلامًا فابعثه معي معينًا يوافقني في كلامي، إن كذبني فرعون وقومه، إني أخاف أن يكذبوني كما هي عادة الأمم التي بُعِثَتْ إليها الرسل من قبلي فكذبوهم.(3)

* * *

وأخي هارون هو أفصح مني نطقًا، فأرسله معي عونًا يصدقني، ويبين لهم عني ما أخاطبهم به، إني أخاف أن يكذبوني في قولي لهم: إني أُرسلت إليهم.(4)

* * *

وأخي هارون أفصح مني لسانا، فأرسله معي عونا في التبليغ، لأني أخاف أن يكذبون.(5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{أفصح مني لسان} ..... اي: أبين مني قولا.

{رِدْءًا} ... عَوْنًا. (أي: معيناً لي).

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ القَصَص} الآية {34} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا} أبين مني كلاما وَكَانَ على لِسَان مُوسَى رتة {فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدْءًا} معينا {يُصَدِّقُنِي} يعبر عني كلَامي ويصدق قولي {إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ} بالرسالة.(6)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ القَصَص} الآية {34} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا} وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِلْعُقْدَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي لِسَانِهِ مِنْ وَضْعِ الْجَمْرَةِ فِي فِيهِ،

{فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا} عَوْنًا، يُقَالُ: رَدَأْتُهُ أَيْ أَعَنْتُهُ،

{يُصَدِّقُنِي} قرأ: (ابن عمر)، و(عامر)، و(حَمْزَةُ): بِرَفْعِ الْقَافِ عَلَى الْحَالِ، أي: ردًا مُصَدِّقًا،

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (577/19).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (577/19).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (389/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (389/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (580/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(6) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (34) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: بِالْجَزْمِ عَلَى جَوَابِ الدُّعَاءِ وَالتَّصْدِيقِ لِهَارُونَ فِي قَوْلِ الْجَمِيعِ،
قَالَ: (مُقَاتِلٌ): لِكَيْ يُصَدِّقَنِي فِرْعَوْنُ،
{إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ} يَعْنِي: فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {34} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدْءًا} أي: معاونا ومساعدا {يُصَدِّقُنِي} فإنه مع تضافر الأخبار يقوى الحق.(2)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {34} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا}، وَذَلِكَ أَنَّ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ فِي لِسَانه لُثْغَةٌ، بِسَبَبِ مَا كَانَ تَنَاوَلَ تِلْكَ الْجَمْرَةَ، حِينَ خُيِّرَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ التَّمْرَةِ أَوِ الدُّرَّةِ، فَأَخَذَ الْجَمْرَةَ فَوَضَعَهَا عَلَى لِسَانه، فَحَصَلَ فِيهِ شِدَّةٌ فِي التَّعْبِيرِ"
وَلِهَذَا قَالَ: {وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي. يَفْقَهُوا قَوْلِي. وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي. هَارُونَ أَخِي. اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي. وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي} [طه: 27-32] أَيْ: يُؤْنِسُنِي فِيمَا أَمَرْتَنِي بِهِ مِنْ هَذَا الْمَقَامِ الْعَظِيمِ، وَهُوَ الْقِيَامُ بِأَعْبَاءِ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ إِلَى هَذَا الْمَلِكِ الْمُتَكَبِّرِ الْجَبَّارِ الْعَنِيدِ.

وَلِهَذَا قَالَ: {وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدْءًا يُصَدِّقُنِي}، أَيْ: وَزِيرًا وَمُعِينًا وَمُقَوِّيًا لِأَمْرِي، يُصَدِّقُنِي فِيمَا أَقُولُهُ وَأُخْبِرُ بِهِ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ" لِأَنَّ خَبَرَ اثْنَيْنِ أَنْجَعُ فِي النُّفُوسِ مِنْ خَبَرِ وَاحِدٍ"
وَلِهَذَا قَالَ: {إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ}.
وَقَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ): {رِدْءًا يُصَدِّقُنِي} أَيْ: يُبَيِّنُ لَهُمْ عَنِّي مَا أُكَلِّمُهُمْ بِهِ، فَإِنَّهُ يَفْهَمُ عَنِّي.(3)

* * *

[٣٥] ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:
قال: الله مجيبًا دعوة موسى: سنقويك -يا موسى- ببعث أخيك معك رسولًا معينًا، ونجعل لكما حجة وتأييدًا، فلا يصلون إليكما بسوء تكرهانه، بسبب آياتنا التي أرسلناكم بها أنتما ومن اتبعكما من المؤمنين المنتصرون.(4)

* * *

قال الله لموسى: سنقوِّيك بأخيك، ونجعل لكما حجة على فرعون وقومه فلا يصلون إليكما بسوء. أنتما -يا موسى وهارون- ومن

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (34).
(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (34)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).
(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (34).
(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (389/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

آمن بكما المنتصرون على فرعون وقومه" بسبب آياتنا وما دلَّتْ عليه من الحق. (1)

* * *

قال الله – استجابة لدعائه –: سنقويك بهارون، ونجعل لكما سلطانا وتأييدا بالمعجزات فلا يستطيعون الاعتداء عليكما، وأنكما ومن اتبعكما واهتدى بكما الغالبون المنتصرون على هؤلاء الكافرين. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ}... أي: نُعَاوِنُكَ بِهِ وَنُقَوِّيكَ. (أي: نـدعمك بـه ونقويـك بأخيك هارون).

{سَنَشُدُّ عَضُدَكَ}... سَنُقَوِّيكَ، وَنُعِينُكَ.

{ونجعل لكما سلطاناً}..... أي: حجة قوية يكون لكما بها الغلب.

{سُلْطَانًا}... حُجَّةً، أَوْ تَسَلُّطًا، وَغَلَبَةً.

{فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا}... أي: بِسوء، فَلا يُصِيبُكُمَا مِنْهُمْ سُوءٌ.

{بِآيَاتِنَا}... بِسَبَبِ آيَاتِنَا. (أي: اذهبا بآياتنا).

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) – قال: الإِمَام (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {35} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالَ} الله {سَنَشُدُّ عَضُدَكَ} سنقوي ظهرك {بِأَخِيكَ} هرون {وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً} عذرا وحجَّة مقدم ومؤخر {فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا} إِلَى قتلكما {أَنْتُمَا وَمَن اتبعكما} بِالْإِيمَان والآيات {الغالبون} على فِرْعَوْن وَقَومه. (3)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {35} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ} أَيْ: نُقَوِّيكَ بِأَخِيكَ وَكَانَ هَارُونُ يَوْمَئِذٍ بِمِصْرَ، {وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا} حُجَّةً وَبُرْهَانًا، {فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا} أَيْ: لَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِقَتْلٍ وَلَا سُوءٍ لِمَكَانِ آيَاتِنَا، يَعْنِي:- فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، تَقْدِيرُهُ: وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا بِآيَاتِنَا بِمَا نُعْطِيكُمَا مِنَ الْمُعْجِزَاتِ فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا، {أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ} أَيْ: لَكُمَا وَلِأَتْبَاعِكُمَا الْغَلَبَةُ عَلَى فرعون وقومه. (4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي – رحمه الله – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {35} فأجابه الله إلى سؤاله فقال: {سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ} أي: نعاونك به ونقويك.

ثم أزال عنه محذور القتل، فقال: {وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا} أي: تسلطا، وتمكنا من الدعوة، بالحجة، والهيبة الإلهية من عدوهما لهما،

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (389/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (580/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (35) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما –.

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (35).

{فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا} وذلك بسبب آياتنا، وما دلت عليه من الحق، وما أزعجت به من باشرها ونظر إليها، فهي التي بها حصل لكما السلطان، واندفع بها عنكم، كيد عدوكم وصارت لكم أبلغ من الجنود، أولي الْعَدَد والْعُدَد.

{أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ} وهذا وعد لموسى في ذلك الوقت، وهو وحده فريد، وقد رجع إلى بلده، بعد ما كان شريدا، فلم تزل الأحوال تتطور، والأمور تنتقل، حتى أنجز الله له موعوده، ومكنه من العباد والبلاد، وصار له ولأتباعه، الغلبة والظهور.(1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآيَة {35} فَلَمَّا سَأَلَ ذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ} أَيْ: سَنُقَوِّي أَمْرَكَ، وَنُعِزُّ جَانِبَكَ بِأَخِيكَ، الَّذِي سَأَلْتَ لَهُ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا مَعَكَ.

كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: {قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى} {طه: 36}،

وَقَالَ تَعَالَى: {وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا} {مريم: 53}.

وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: لَيْسَ أَحَدٌ أَعْظَمَ مِنَّةً عَلَى أَخِيهِ، مِنْ مُوسَى عَلَى هَارُونَ، عَلَيهما السَّلَامُ، فَإِنَّهُ شَفَعَ فِيهِ حَتَّى جَعَلَهُ اللَّهُ نَبِيًّا وَرَسُولًا مَعَهُ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِه،

وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَقِّ (مُوسَى): {وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا} {الْأَحْزَاب: 69}.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا} أَيْ: حُجَّةً قَاهِرَةً،

{فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا} أَيْ: لَا سَبِيلَ لَهُمْ إِلَى الْوُصُولِ إِلَى أَذَاكُمَا بِسَبَبِ إِبْلَاغِكُمَا آيَاتِ اللَّهِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُوله مُحَمَّد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} {الْمَائِدَة: 67}.

وَقَالَ تَعَالَى: {الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّه حَسِيبًا} {الْأَحْزَاب: 39}،

أَيْ: وَكَفَى بِاللَّهِ نَاصِرًا وَمُعِينًا وَمُؤَيِّدًا. وَلِهَذَا أَخْبَرَهُمَا أَنَّ الْعَاقِبَةَ لَهُمَا وَلِمَنِ اتَّبَعَهُمَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة،

فَقَالَ: {أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ}، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {كَتَبَ اللَّهُ لأغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} {الْمُجَادَلَة: 21}،

وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأشْهَادُ. يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} {غَافِر: 51، 52}.

وَوَجَّهَ (ابْنُ جَرِيرٍ) عَلَى أَنَّ الْمَعْنَى: {وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا}، ثُمَّ يَبْتَدِئُ فَيَقُولُ: {بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ}، تَقْدِيرُهُ: أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ بِآيَاتِنَا (2).

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (35)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) برقم (48/20).

وَلاَ شَكَّ أَنَّ هَذَا الْمَعْنَى صَحِيحٌ، وَهُوَ حَاصِلٌ مِنَ التَّوْجِيهِ الْأَوَّلِ، فَلاَ حَاجَةَ إِلَى هَذَا، وَاللَّهُ أعلم. (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ﴿سُورَةُ الْقَصَص﴾ الآية {35} قال الله لموسى (سَنَشُدُّ عَضُدَكَ) " أي: نقوّيك ونعينك بأخيك. تقول العرب إذا أعزّ رجل رجلا وأعانه ومنعه ممن أراده بظلم: قد شدّ فلان على عضد فلان، وهو من عاضده على أمره: إذا أعانه، ومنه قول ابن مقبل:

عَاضَدْتُهَا بِعَتُودٍ غَيْرِ مُعْتَلِثٍ ... كَأَنَّهُ وَقْفُ عَاجٍ بَاتَ مَكْنُونا

يعني بذلك: قوسا عاضدها بسهم. وفي العضُد لغات أربع: أجودها: العَضُد، ثم العَضْد، ثم العُضُد، والعُضْد. يجمع جميع ذلك على أعضاد.

وقوله: (وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا) يقول: ونجعل لكما حجة.

كما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى" وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعا، عن (ابن أبي نجيح)، عن (مجاهد)، قوله: (لَكُمَا سُلْطَانًا) حجة.

حدثنا القاسم قال: قال: ثنا الحسين قال: ثني حجاج، عن (ابن جُريج)، عن (مجاهد)، مثله.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن (السدي): (وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا) والسلطان: الحجة.

وقوله: (فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا) يقول تعالى ذكره: فلا يصل إليكما فرعون وقومه بسوء.

وقوله: (بِآيَاتِنَا) يقول تعالى ذكره: (فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا فرعَوْنَ وَقَوْمُهُ بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ) فالباء في قوله: بآياتنا من صلة غالبون. ومعنى الكلام: أنتما ومن اتبعكما الغالبون فرعون وملأه بآياتنا" أي بحجتنا وسلطاننا الذي نجعله لكما. (2)

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾
﴿ سُورَةُ الْقَصَص: 29 - 35 ﴾

- الوفاء بالعقود شأن المؤمنين.
- تكليم الله لموسى -عليه السلام- ثابت على الحقيقة.
- حاجة الداعي إلى الله إلى من يؤازره.
- أهمية الفصاحة بالنسبة للدعاة. (3)

* * *

[٣٦] ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلا سِحْرٌ مُفْتَرًى

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (35).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (35)، للإِمَامْ (الطبري).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (389/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾:

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (36) وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (37) وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (38) وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (39) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (40) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ (41) وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ (42) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (43)

* * *

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فلما جاءهم (موسى) - (عليه السلام) - بآياتنا واضحات قالوا: ما هذا إلا كذب مختلق اختلقه موسى، وما سمعنا بهذا في آبائنا الأقدمين.(1)

* * *

فلما جاء موسى فرعون وملأه بأدلتنا وحججنا شاهدة بحقيقة ما جاء به موسى من عند ربه، قالوا لموسى: ما هذا الذي جئتنا به إلا سحر افتريته كذبًا وباطلا وما سمعنا بهذا الذي تدعونا إليه في أسلافنا الذين مضوا قبلنا.(2)

* * *

فلما واجههم موسى بدعوته مؤيدة بالمعجزات الواضحة أنكروا ما شاهدوا، قالوا: ما هذا إلا سحر تفتريه على الله، ولم نسمع بهذا الذى تدَّعيه فيمن سبقنا من آبائنا الأولين.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فلما جاءهم موسى بآياتنا} ..... أي: العصا واليد وغيرهما من الآيات التسع.

{بينات} ..... أي: واضحات.

{سحر مفترى} .... أي: مختلق مكذوب.

{مُفْتَرًى} ... مُخْتَلَقٌ، تَنْسُبُهُ إِلَى اللهِ كَذِبًا.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {36} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا} الْيَد والعصا {بَيِّنَاتٍ} مبينات {قَالُوا} يَا مُوسَى {مَا هَذَا} الَّذِي جئتنا بِهِ {إِلاَّ سِحْرٌ مُفْتَرًى} كذب مختلق من تلقاء نَفسك {وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا} الَّذِي تَقول يَا مُوسَى {فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِين} من آبَائِنَا الماضين.(4)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {36} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ} وَاضِحَاتٍ،

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (390/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (390/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (581/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (36) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

{قَالُوا مَا هَذَا إِلا سِحْرٌ مُفْتَرًى} مختلف {وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا} بالَّذي تدعُونا إليه، {فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ} (1)

* * *

قال: الإمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {36} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأوَّلِينَ}.

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ مَجِيءِ مُوسَى وَأَخِيهِ هَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ، وَعَرْضِهِ مَا آتَاهُمَا اللَّهُ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَةِ وَالدَّلَالَاتِ الْقَاهِرَةِ، عَلَى صِدْقِهِمَا فِيمَا أَخْبَرَ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ تَوْحِيدِهِ وَاتِّبَاعِ أَوَامِرِهِ. فَلَمَّا عَايَنَ فِرْعَوْنُ وَمَلَؤُهُ ذَلِكَ وَشَاهَدُوهُ وَتَحَقَّقُوهُ، وَأَيْقَنُوا أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ، عَدَلُوا بِكُفْرِهِمْ وَبَغْيِهِمْ إِلَى الْعِنَادِ وَالْمُبَاهَتَةِ، وَذَلِكَ لِطُغْيَانِهِمْ وَتَكَبُّرِهِمْ عَنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ،

فَقَالُوا: {مَا هَذَا إِلا سِحْرٌ مُفْتَرًى} أَيْ: مُفْتَعَلٌ مَصْنُوعٌ. وَأَرَادُوا مُعَارَضَتَهُ بِالْحِيلَةِ وَالْجَاهِ، فما صعد معهم ذلك.

وَقَوْلُهُ: {وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأوَّلِينَ} يَعْنُونَ: عِبَادَةَ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، يَقُولُونَ: مَا رَأَيْنَا أَحَدًا مِنْ آبَائِنَا عَلَى هَذَا الدِّينِ، وَلَمْ نَرَ النَّاسَ إِلا يُشْرِكُونَ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {36} فذهب موسى برسالة ربه {فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ} واضحات الدلالة على ما قال لهم، ليس فيها قصور ولا خفاء.

{قَالُوا} على وجه الظلم والعلو والعناد {مَا هَذَا إِلا سِحْرٌ مُفْتَرًى} كما قال فرعون في تلك الحالة التي ظهر فيها الحق، واستعل على الباطل، واضمحل الباطل، وخضع له الرؤساء العارفون حقائق الأمور.

{إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ} هذا، وهو الذكي غير الزكي الذي بلغ من المكر والخداع والكيد ما قصه الله علينا وقد علم.

{مَا أَنزلَ هَؤُلاءِ إِلا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ} ولكن الشقاء غالب.

{وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأوَّلِينَ} وقد كذبوا في ذلك، فإن الله أرسل يوسف – عليه السلام– قبل موسى، كما قال تعالى {وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ}. (3)

* * *

[٣٧] ﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾:

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَام (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (36).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (36).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (36)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وقال: (موسى)- عليه السلام - مخاطبًا فرعون: ربي يعلم المحق الَّذي جاء بالرشاد من عنده سبحانه، ويعلم من تكون له العاقبة المحمودة في الآخرة، إنه لا يفوز الظالمون بمطلوبهم، ولا ينجون من مرهوبهم. (1)

* * *

وقال موسى لفرعون: ربي أعلم بالمحقِّ منَّا الذي جاء بالرشاد من عنده، ومَن الذي له العقبى المحمودة في الدار الآخرة، إنه لا يظفر الظالمون بمطلوبهم. (2)

* * *

وقال: موسى - ردا على فرعون وقومه -: ربي يعلم أني جئت بهذه الآيات الدالة على الحق والهدى من عنده، فهو شاهد لى على ذلك إن كذبتمونى، ويعلم أن العاقبة الحميدة لنا ولأهل الحق، إنه لا يفوز بالخير الكافرون. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{عاقِبَةُ الدَّارِ} ... النِّهايَةُ المَحْمُودَةُ فِي الآخِرَةِ. (أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة).

{إنه لا يفلح الظالمون} ..... أي: المشركون الكافرون.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {37} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِالْهدى} بالرسالة والتوحيد {مِنْ عِنده وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّار} الْجنَّة فِي الْآخِرَة {إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ} لَا يَأْمَن وَلَا ينجو {الظَّالِمُونَ} الْمُشْركُونَ من عَذَاب الله. (4)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {37} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ} بِالْمُحِقِّ مِنَ الْمُبْطِلِ، {وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ} يعني: الْعُقْبَى الْمَحْمُودَةُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، {إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} يعني: الْكَافِرُونَ. (5)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {37} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالَ مُوسَى} فَقَالَ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، مُجِيبًا لَهُمْ: {رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ} يَعْنِي: مِنِّي وَمِنْكُمْ، وَسَيَفْصِلُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ. وَلِهَذَا قَالَ: {وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ} أَيِ: النُّصْرَةُ وَالظَّفَرُ وَالتَّأْيِيدُ،

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (390/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (390/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (581/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).
(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (37) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.
(5) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (37).

{إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} أي: الْمُشْرِكُونَ بِاللَّهِ. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {37} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالَ مُوسَى} حين زعموا أن الذي جاءهم به سحر وضلال، وأن ما هم عليه هو الهدى:

{رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ} أي: إذا لم تفد المقابلة معكم، وتبيين الآيات البينات، وأبيتم إلا التمادي في غيكم واللجاج على كفركم، فالله تعالى العالم بالمهتدي وغيره، ومن تكون له عاقبة الدار، نحن أم أنتم.

{إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} فصار عاقبة الدار لموسى وأتباعه، والفلاح والفوز، وصار لأولئك، الخسار وسوء العاقبة والهلاك. (2)

* * *

[٣٨] ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وقال: فرعون مخاطبًا الأشراف من قومه: يا أيها الملأ ما علمت لكم من معبود غيري، فأشعل لي يا هامان على الطين حتَّى يشتد فابن لي به بناءً عاليًا رجاء أن أنظر إلى معبود موسى وأقف عليه، وإني لأظنّ أن موسى كاذب فيما يدعيه أنَّه مرسل من الله إليّ وإلى قومي. (3)

* * *

وقال: فرعون لأشراف قومه: يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري يستحق العبادة، فأشْعِل لي -يا هامان- على الطين نارًا، حتى يشتد، وابْنِ لي بناء عاليًا" لعلي أنظر إلى معبود موسى الذي يعبده ويدعو إلى عبادته، وإني لأظنه فيما يقول من الكاذبين. (4)

* * *

وقال: فرعون - عندما عجز عن محاجة موسى، تماديا فى طغيانه - يا أيها الملأ، ليس لى علم بوجود إله لكم غيرى. وأمر وزيره هامان أن يصنع له الآجُر ويُشيد له صرحاً شامخاً عالياً ليصعد عليه، وينظر إلى الإله الذى يدعو إليه موسى، ويؤكد فرعون مع ذلك أن موسى من الكاذبين فى ظنه. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{ما علمت لكم من إله غيري} ..... أي: ربا يطاع ويذل له ويعظم غيري لعنة الله عليه ما أكذبه.

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامُ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَصِ الآية (37).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (37)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (390/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (390/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (581/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{يا هامان} ..... أحد وزراء فرعون، لعله وزير الصناعة أو العمل والعمال.

{فأوقد لي يا هامان على الطين} ...... أي: اطبخ لي الآجُرْ وهو اللبن المشوي.

{فاجعل لي صرحا} ..... أي: بناء عاليا، قصراً أو غيره.

{صَرْحًا} ... بِنَاءً عَالِيًا.

{لعلي أطلع إلى إله موسى} ..... أي: أقف عليه وأنظر إليه.

{وإني لأظنه من الكاذبين} ..... أي: موسى في ادعائه أن له إلها غيري.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {38} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيهَا الْمَلأُ} يَا رجال أهل مصر {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ} مَا عرفت لكم {مِّنْ إِلَه} إِلَهًا {غَيْرِي} فَلاَ تطيعوا مُوسَى {فَأَوْقِدْ لِي} أَي: النَّار {يَا هامان عَلَى الطين} فاطبخ لي يَا هامان من الطين آجراً {فَاجْعَل لِّي صَرْحاً} قصراً {لعَلي أَطَّلِعُ} أصعد وَأنْظر {إِلَى إِلَه مُوسَى} الَّذِي يزْعم أَنه فِي السَّمَاء وأرسله إِلَيّ {وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ} لَيْسَ فِي السَّمَاء من إِلَه.(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {38} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ} يعني: فَاطْبُخْ لِي الْآجُرَّ، يَعْنِي:- إِنَّهُ أول من اتخذ الْآجُرَّ وَبَنَى بِهِ، {فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا} قصرا عاليا، يَعْنِي:- منارة، {لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى} أَنْظُرُ إِلَيْهِ وَأَقِفُ عَلَى حَالِهِ، {وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ} يعني موسى، {مِنَ الْكَاذِبِينَ} في زعمه أن للأرض وللخلق إِلَهًا غَيْرِي، وَأَنَّهُ رَسُولُهُ.(2)

* * *

وانظر: سورة -غافر- (36-37) ... كما قال تعالى: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (36) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ (37)}.

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {38} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ} متجرئا على ربه، ومموها على قومه السفهاء، أخفاء العقول: {يَا أَيُّهَا الْمَلأ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي} أي: أنا وحدي، إلهكم ومعبودكم، ولو كان ثَمَّ إله غيري، لعلمته، فانظر إلى هذا الورع التام من فرعون!، حيث لم يقل " ما لكم من إله غيري " بل تورع وقال: {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي} وهذا، لأنه عندهم، العالم الفاضل،

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (38) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (38).

الذي مهما قال فهو الحق، ومهما أمر أطاعوه.

فلما قال هذه المقالة، التي قد تحتمل أن ثمَّ إلها غيره، أراد أن يحقق النفي، الذي جعل فيه ذلك الاحتمال، فقال لـ " هامان " {فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ} ليجعل له لبنا من فخار.

{فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا} أي: بناء {لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ} ولكن سنحقق هذا الظن، ونريكم كذب موسى. فانظر هذه الجراءة العظيمة على الله، التي ما بلغها آدمي، كذب موسى، وادَّعى أنه إله، ونفى أن يكون له علم بالإله الحق، وفعل الأسباب، ليتوصل إلى إله موسى، وكل هذا ترويج، ولكن العجب من هؤلاء الملأ الذين يزعمون أنهم كبار المملكة، المدبرون لشئونها، كيف لعب هذا الرجل بعقولهم، واستخف أحلامهم، وهذا لفسقهم الذي صار صفة راسخة فيهم.

فسد دينهم، ثم تبع ذلك فساد عقولهم، فنسألك اللهم الثبات على الإيمان، وأن لا تزيغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وتهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.[1]

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {38} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ}.

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ كُفْرِ فِرْعَوْنَ وَطُغْيَانِهِ وَافْتِرَائِهِ فِي دَعْوَى الْإِلَهِيَّةِ لِنَفْسِهِ الْقَبِيحَةِ -لَعَنَهُ اللَّهُ -كَمَا قَالَ تَعَالَى: {فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ} {الزُّخْرُف: 54}،

وَذَلِكَ لِأَنَّهُ دَعَاهُمْ إِلَى الِاعْتِرَافِ لَهُ بِالْإِلَهِيَّةِ، فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ بِقِلَّةِ عُقُولِهِمْ وَسَخَافَةِ أَذْهَانِهِمْ" وَلِهَذَا قَالَ: {يَا أَيُّهَا الْمَلأ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي}،

وَقَالَ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْهُ: {فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأعْلَى * فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأولَى * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى} {النَّازِعَات: 23 -26}.

يَعْنِي: أَنَّهُ جَمَعَ قَوْمَهُ وَنَادَى فِيهِمْ بِصَوْتِهِ الْعَالِي مُصَرِّحًا لَهُمْ بِذَلِكَ، فَأَجَابُوهُ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ. وَلِهَذَا انْتَقَمَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ، فَجَعَلَهُ عِبْرَةً لِغَيْرِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَحَتَّى إِنَّهُ وَاجَهَ مُوسَى الْكَلِيمَ بِذَلِكَ فَقَالَ: {لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ} {الشعراء: 29}.

وقوله: {فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى} أَيْ: أَمَرَ وَزِيرَهُ هَامَانَ وَمُدَبِّرَ رَعِيَّتِهِ وَمُشِيرَ دَوْلَتِهِ أَنْ يُوقِدَ لَهُ عَلَى الطِّينِ، لِيَتَّخِذَ لَهُ آجُرًّا لِبِنَاءِ الصَّرْحِ، وَهُوَ الْقَصْرُ الْمُنِيفُ الرَّفِيعُ،

كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأسْبَابَ.

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (38)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلا فِي تَبَابٍ} {غافر: 36، 37}،

وَذَلِكَ لِأَنَّ فِرْعَوْنَ بَنَى هَذَا الصَّرْحَ الَّذِي لَمْ يُرَ فِي الدُّنْيَا بِنَاءٌ أَعْلَى مِنْهُ، إِنَّمَا أَرَادَ بِهَذَا أَنْ يُظْهِرَ لِرَعِيَّتِهِ تَكْذِيبَ مُوسَى فِيمَا زَعَمَهُ مِنْ دَعْوَى إِلَهٍ غَيْرِ فِرْعَوْنَ.

وَلِهَذَا قَالَ: {وَإِنِّي لأظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ} أَيْ: فِي قَوْلِهِ إِنَّ ثَمَّ رَبًّا غَيْرِي، لَا أَنَّهُ كَذَّبَهُ فِي أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ" لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْتَرِفُ بِوُجُودِ الصَّانِعِ، فَإِنَّهُ قَالَ: {وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ} {الشُّعَرَاءِ: 23}.

وَقَالَ: {لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ} {الشُّعَرَاءِ: 29}.

وَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الْمَلأ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي} وَهَذَا قَوْلُ: (ابْنِ جَرِيرٍ). (1)

* * *

[٣٩] ﴿ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

واشتد تكبر فرعون هو وجنوده واستعلوا في أرض مصر بغير موجب من الحق، وأنكروا البعث، وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون يوم القيامة للحساب والعقاب. (2)

* * *

واستعلى فرعون وجنوده في أرض ‹ مصر › بغير الحق عن تصديق موسى واتِّباعه على ما دعاهم إليه، وحسبوا أنهم بعد مماتهم لا يبعثون. (3)

* * *

وظل فرعون وجنوده مستكبرين فى أرض مصر بالباطل، وظنوا أنهم لن يُبعثوا فى الآخرة للحساب والجزاء. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} ..... تعظَّموا عن الإيْمانِ ولَم ينقادُوا للحقِّ.

{وَاسْتَكْبَرَ} .... تعالى وطغى.

{فِي الأَرْضِ} ..... أي: في أرض مِصْرَ.

{بِغَيْرِ الْحَقِّ} ..... أي: بالباطِل والظُّلم ،

{وَظَنُّوا} .... تأكدوا.

{وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ} ..... أي: يُرَدُّونَ إلينا بالبعث للحساب والجزاء.

{أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ} .... بالبعث يوم القيامة.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {39} قَوْلُهُ تَعَالَى: {واستكبر} تعظم عَن الْإِيمَان {هُوَ} فِرْعَوْن {وَجُنُودُهُ} جموعه القبط {فِي الأَرْض} فِي

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (38).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (390/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (390/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (581/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

أرض مصر {بِغَيْرِ الْحَقِّ} بِغَيْرِ أَن كَانَ لَهُم ذَلِك {وظنوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لاَ يُرْجَعُونَ} فِي الْآخِرَة.(1)

* * *

قَال: الإِمَامْ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآيَة {39} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ} قَرَأَ: (نَافِعٌ) وَ(حَمْزَةُ)، وَ(الْكِسَائِيُّ)، وَ(يَعْقُوبُ): (يَرْجِعُونَ) بِفَتْحِ الْيَاءِ وَكَسْرِ الْجِيمِ، وَالْبَاقُونَ: بِضَمِّ الْيَاءِ وَفَتْحِ الْجِيمِ.(2)

* * *

قَال: الإِمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآيَة {39} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ} أَيْ: طَغَوْا وَتَجَبَّرُوا، وَأَكْثَرُوا فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ، وَاعْتَقَدُوا أَنَّهُ لَا مَعَادَ وَلَا قِيَامَةَ، {فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ.إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ} {الفجر: 13، 14}،(3)

* * *

قَال: الإِمَامْ (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآيَة {39} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} استكبروا على عباد الله، وساموهم سوء العذاب، واستكبروا على رسل الله، وما جاءوهم به من الآيات، فكذبوها، وزعموا أن ما هم عليه أعلى منها وأفضل.

{وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ} فلذلك تجرأوا، وإلا فلو علموا، أو ظنوا أنهم يرجعون إلى الله، لما كان منهم ما كان.(4)

* * *

[٤٠] ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فأخذناه وأخذنا جنوده فطرحناهم في البحر غرقى حتَّى هلكوا جميعًا، فتأمّل – أيها الرسول- ﷺ - كيف كان مآل الظالمين ونهايتهم، فقد كان مآلهم ونهايتهم الهلاك.(5)

* * *

فأخذنا فرعون وجنوده، فألقيناهم جميعًا في البحر وأغرقناهم، فانظر -أيها الرسول- ﷺ - كيف كان نهاية هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم، فكفروا بربهم؟.(6)

* * *

فانتزعنا فرعون من سلطانه، واستدرجناه هو وجنوده إلى اليَم، وأغرقناهم فيه

---

(1) انظُر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (39) يِنسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(2) انظُر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (39).

(3) انظُر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (39).

(4) انظُر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (39)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (390/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(6) انظر: (التفسير الميسر) برقم (390/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

نابذين لهم بسبب ظلمهم. فتدبر يا محمد- ﷺ-، وحذر قومك كيف كانت نهاية الظالمين في دنياهم؟ وإنك لمنصور عليهم.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ} ... فَأَلْقَيْنَاهُمْ وَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْبَحْرِ.

(أي: طرحناهم في البحر غرقى هالكين).

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {40} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَأَخَذْنَاهُ} يَعْنِي فِرْعَوْن بكلمته الأولى أنا ربكم الْأَعْلَى وَالْأُخْرَى مَا علمت لكم من إِلَه غَيْرِي {وَجُنُودَهُ} جموعه القبط {فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيم} فألقيناهم فطرحناهم فِي الْبَحْر {فَانْظُر} يَا مُحَمَّد- صلى الله عليه وسلم - {كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ} آخر أَمر الْمُشْركين فِرْعَوْن وَقَومه.(2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {40} ولهذا قال ها هنا: {فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ} أَيْ: أَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْبَحْرِ فِي صَبِيحَةٍ وَاحِدَةٍ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ. {فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ. وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ} أَيْ: لِمَنْ سَلَكَ وَرَاءَهُمْ وَأَخَذَ بِطَرِيقَتِهِمْ، فِي تَكْذِيبِ الرُّسُلِ وَتَعْطِيلِ الصَّانِعِ، {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ} أَيْ: فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ خِزْيُ الدُّنْيَا مَوْصُولًا بِذُلِّ الْآخِرَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {أَهْلَكْنَاهُمْ فَلا نَاصِرَ لَهُمْ} {مُحَمَّدٍ: 13}.(3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {40} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ} عندما استمر عنادهم وبغيهم. {فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ} كانت شر العواقب وأخسرها عاقبة أعقبتها العقوبة الدنيوية المستمرة، المتصلة بالعقوبة الأخروية. {وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ} أي: جعلنا فرعون وملأه من الأئمة الذين يقتدي بهم ويمشي خلفهم إلى دار الخزي والشقاء. {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنْصَرُونَ} من عذاب الله، فهم أضعف شيء، عن دفعه عن أنفسهم، وليس لهم من دون الله، من ولي ولا نصير.(4)

* * *

[٤١] ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/581)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (40) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَام (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (40).

(4) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (40)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

وجعلناهم قدوة للطغاة والضُّلاَل يدعون إلى النار بما يبثونه من كفر وضلال، ويوم القيامة لا ينصرون بإنقاذهم من العذاب، بل يضاعف عليهم العذاب لما سنّوه من سنن سيئة، ودعوا إليه من ضلالة، يكتب عليهم وزر عملهم بها، ووزر عمل من اتبعهم في العمل بها.(1)

* * *

وجعلنا فرعون وقومه قادة إلى النار، يَقتدي بهم أهل الكفر والفسق، ويوم القيامة لا ينصرون" وذلك بسبب كفرهم وتكذيبهم رسول ربهم وإصرارهم على ذلك.(2)

* * *

قال تعالى: وجعلناهم دعاة يدعون إلى الكفر الذى يؤدى إلى النار، ويوم القيامة لا يجدون من ينصرهم ويخرجهم من هذا العذاب.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وجعلناهم أئمة} ..... أي: رؤساء يقتدى بهم في الباطل.

{أَئِمَّةً} ... قَادَةً إِلَى النَّارِ.

{يدعون إلى النار} ..... أي: إلى الكفر والشرك والمعاصي الموجبة للنار.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورة الْقَصَص} الآية {41} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَجَعَلْنَاهُمْ} خذلناهم {أَئِمَّةً} قادة إِلَى الْكفَّار والضلال {يَدْعُونَ إِلَى النَّار} إِلَى الْكفْر والشرك وَعبادَة الْأَوْثَان {وَيَوْمَ الْقِيَامَة لاَ يُنصَرُونَ} لاَ يمْنَعُونَ من عَذَاب الله.(4)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورةُ الْقَصَص} الآية {41} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً} قَادَةً وَرُؤَسَاءَ، {يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يُنْصَرُونَ} لا ينجون مِنَ الْعَذَابِ.(5)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورةُ الْقَصَص} الآية {41} قَوْلُهُ تَعَالَى: . {وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ} أَيْ: لِمَنْ سَلَكَ وَرَاءَهُمْ وَأَخَذَ بِطَرِيقَتِهِمْ، فِي تَكْذِيبِ الرُّسُلِ وَتَعْطِيلِ الصَّانِعِ،

{وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يُنْصَرُونَ} أَيْ: فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ خِزْيُ الدُّنْيَا مَوْصُولًا بِذُلِّ الْآخِرَةِ، كَمَا

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (390/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (390/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (581/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورةُ (الْقَصَص) الآية (41) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(5) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامُ (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (41).

قَالَ تَعَالَى: {أَهْلَكْنَاهُمْ فَلا نَاصِرَ لَهُمْ} {مُحَمَّد: 13}. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي – رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {41} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً} أي: وأتبعناهم، زيادة في عقوبتهم وخزيهم، في الدنيا لعنة، يلعنون، ولهم عند الخلق الثناء القبيح والمقت والذم، وهذا أمر مشاهد، فهم أئمة الملعونين في الدنيا ومقدمتهم،

{وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ} المبعدين، المستقذرة أفعالهم. الذين اجتمع عليهم مقت الله، ومقت خلقه، ومقت أنفسهم. (2)

* * *

[٤٢] ﴿ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وأتبعناهم زيادة على عقوبتهم في هذه الدنيا خزيًا وطردًا، ويوم القيامة هم من المذمومين المُبْعَدين عن رحمة الله. (3)

* * *

وأتبعنا فرعون وقومه في هذه الدنيا خزيًا وغضبًا منا عليهم، ويوم القيامة هم من المستقذرة أفعالهم، المبعدين عن رحمة الله. (4)

* * *

وجعلناهم فى هذه الدنيا مطرودين من رحمتنا، ويوم القيامة هم من المهلكين. وما حكى فى الآيتين بشأنهم دليل على غضب الله. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَأَتْبَعْنَاهُمْ} ... أَلْحَقْنَاهُمْ.

{في هذه الدنيا لعنة} .... أي: خزيا وبعدا عن الخير.

{لَعْنَةً} ... طَرْدًا وَإِبْعَادًا مِنَ الرَّحْمَةِ.

{هم من المقبوحين} ..... أي: المبعدين من كل خير المشوَّهي الخلقة.

{الْمَقْبُوحِينَ} ... الْمُبْعَدِينَ الْمُسْتَقْذَرَةِ أَفْعَالُهُمْ.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) – قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {42} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً} أهلكناهم فِي الدُّنْيَا بِالْغَرَقِ {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِّنَ المقبوحين} سود الْوُجُوه وزرق الْأَعْين. (6)

* * *

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص الآية (41).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (41)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (390/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (390/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (582/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(6) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص الآية (42) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما –.

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {42} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً} خزيًا وعذابًا،

{وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ} من المُبْعَدِينَ الْمَلْعُونِينَ،

وَقَالَ: (أَبُو عُبَيْدَةَ): مِنَ الْمُهْلَكِينَ.

وَعَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ)- رضي الله عنهما -: مِنَ الْمُشَوَّهِينَ بِسَوَادِ الْوُجُوهِ وَزُرْقَةِ الْعُيُونِ، يُقَالُ: قَبَحَهُ اللَّهُ وَقَبَّحَهُ إِذَا جَعَلَهُ قَبِيحًا، وَيُقَالُ: قَبَّحَهُ قبحا وقبوحا إذا أبعده من كل خير. (1)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {42} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً} أَيْ: وَشَرَعَ اللَّهُ لَعْنَتَهُمْ وَلَعْنَةَ مَلِكِهِمْ فِرْعَوْنَ عَلَى أَلْسِنَةِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُتَّبِعِينَ رُسُلَهُ، وَكَمَا أَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا مَلْعُونُونَ عَلَى أَلْسِنَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَتْبَاعِهِمْ كَذَلِكَ،

{وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ}. قَالَ: (قَتَادَةُ): وَهَذِهِ الْآيَةُ- كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ} {هود: 99}. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة):

(وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ) قال: لعنوا في الدنيا والآخرة،

قال: هو كقوله: {وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود}. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {42} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً} أي: وأتبعناهم، زيادة في عقوبتهم وخزيهم، في الدنيا لعنة، يلعنون، ولهم عند الخلق الثناء القبيح والمقت والذم، وهذا أمر مشاهد، فهم أئمة الملعونين في الدنيا ومقدمتهم،

{وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ} المبعدين، المستقذرة أفعالهم. الذين اجتمع عليهم مقت الله، ومقت خلقه، ومقت أنفسهم. (4)

* * *

[٤٣] ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولقد أعطينا موسى التوراة من بعد ما أرسلنا إلى الأمم السابقة رسلنا فكذبوهم، فأهلكناهم بسبب تكذيبهم لهم، فيها ما يُبَصِّر الناس بما ينفعهم فيعملون به، وما يضرهم فيتركونه، وفيها إرشادهم إلى الخير،

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (42).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (42).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (583/19).

(4) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (42)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

ورحمة لما فيها من خيري الدنيا والآخرة لعلهم يتذكرون نعم الله عليهم فيشكرونه ويؤمنون به.(1)

* * *

ولقد آتينا موسى التوراة من بعد ما أهلكنا الأمم التي كانت من قبله -كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب ‹ مدين › - فيها بصائر لبني إسرائيل، يبصرون بها ما ينفعهم وما يضرهم، وفيها رحمة لمن عمل بها منهم" لعلهم يتذكرون نِعَم الله عليهم، فيشكروه عليها، ولا يكفروه.(2)

* * *

ولقد أنزل الله التوراة على موسى بعد أن أهلك المكذبين من الأمم السابقة لتكون نورا للقلوب، لأنها كانت مظلمة لا تعرف حقا وإرشادا، لأنهم كانوا يتخبطون فى الضلال، وطريقاً لنيل الرحمة لمن عمل بها، ليتعظوا بما فيها فيسارعوا إلى امتثال الأوامر واجتناب النواهى.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{الْقُرُونَ الْأُولَى} ... الأُمَمَ المَاضِيَةَ المُكَذِّبَةَ.

(أي: قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وغيرهم).

{بَصَائِرَ لِلنَّاسِ} ... نُوراً لِقُلُوبِهِمْ يُبْصِرُونَ بِهِ الحَقَائِقَ.

(أي: فيه من النور ما يهدي كما تهدي الأبصار).

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {43} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا} أعطينا {مُوسَى الْكِتَابَ} يَعْنِي التَّوْرَاة {مِن بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأولى} من قبل مُوسَى {بَصَآئِرَ} بَيَاناً {لِلنَّاسِ} لبني إِسْرَائِيل {وَهُدًى} من الضَّلَالَة {وَرَحْمَةً} لمن آمن بِهِ {لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} لكَي يتعظوا فيؤمنوا بِهِ.(4)

* * *

قال: الإمَامْ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {43} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى} يَعْنِي: قَوْمَ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَغَيْرَهُمْ كَانُوا قَبْلَ مُوسَى، {بَصَائِرَ لِلنَّاسِ} يعني: لِيُبْصِرُوا بِذَلِكَ الْكِتَابِ وَيَهْتَدُوا بِهِ، {وَهُدًى} من الضلال لمن عمل بِهِ، {وَرَحْمَةً} لِمَنْ آمَنَ بِهِ، {لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} بِمَا فِيهِ مِنَ الْمَوَاعِظِ وَالْبَصَائِرِ.(5)

* * *

قال: الإمَامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {43} قَوْلُهُ

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (390/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (390/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (582/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).
(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (43) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما - .
(5) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (43).

تَعَالَى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}.

يُخْبِرُ تَعَالَى عَمَّا أَنْعَمَ بِهِ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُوسَى الْكَلِيمِ، عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ الصَّلاَةُ وَالتَّسْلِيمُ، مِنْ إِنْزَالِ التَّوْرَاةِ عَلَيْهِ بَعْدَمَا أَهْلَكَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ.

وَقَوْلُهُ: {مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأولَى} يَعْنِي: أَنَّهُ بَعْدَ إِنْزَالِ التَّوْرَاةِ لَمْ يُعَذِّبْ أُمَّةً بِعَامَّةٍ، بَلْ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُقَاتِلُوا أَعْدَاءَ اللَّهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ،

كَمَا قَالَ: {وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ * فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً} {الْحَاقَّة: 9، 10}.

وَقَالَ: (ابْنُ جَرِيرٍ): حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ وَعَبْدُ الْوَهَّابِ قَالاَ حَدَّثَنَا عَوْفٌ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ (أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ) قَالَ: مَا أَهْلَكَ اللَّهُ قَوْمًا بِعَذَابٍ مِنَ السَّمَاءِ وَلاَ مِنَ الأَرْضِ بَعْدَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، غَيْرَ الْقَرْيَةِ الَّتِي مُسِخُوا قِرَدَةً، أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأولَى}[1].

وَرَوَاهُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ)، مِنْ حَدِيثِ – (عَوْفِ بْنِ أَبِي جَمِيلَةَ الأَعْرَابِيِّ)، بِنَحْوِهِ.

وَهَكَذَا رَوَاهُ (أَبُو بَكْرٍ الْبَزَّارُ) فِي (مُسْنَدِهِ):، عَنْ عَمْرِو بْنِ عَلِيٍّ الْفَلاَّسِ، عَنْ يَحْيَى الْقَطَّانِ، عَنْ عَوْفٍ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَوْقُوفًا[2].

ثُمَّ رَوَاهُ – عَنْ نَصْرِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ عَبْدِ الأَعْلَى، عَنْ عَوفٍ، عن أبي نضرة، عن (أبي سعيد) – رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: ((مَا أهلك اللَّهُ قَوْمًا بِعَذَابٍ مِنَ السَّمَاءِ وَلاَ مِنَ الأَرْضِ إِلاَ قَبْلَ مُوسَى))، ثُمَّ قَرَأَ: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأولَى}[3].

وَقَوْلُهُ: {بَصَائِرَ لِلنَّاسِ} أَيْ: مِنَ الْعَمَى وَالْغَيِّ،

{وَهُدًى} إِلَى الْحَقِّ،

{وَرَحْمَةً} أَيْ: إِرْشَادًا إِلَى الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ،

{لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} أَيْ: لَعَلَّ النَّاسَ يَتَذَكَّرُونَ بِهِ، ويهتدون بسببه[4].

* * *

قَالَ: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {43} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ} وهو التوراة {مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأولَى} الذين كان خاتمتهم في الإهلاك العام، فرعون وجنوده. وهذا

---

(1) انظر: تفسير الإِمَامْ (الطبري) برقم (50/20).

(2) انظر: مسند الإِمَامْ (البزار) برقم (2247) "كشف الأستار".

(3) انظر: مسند الإِمَامْ (البزار) برقم (2248)، "كشف الأستار".
والإِمَامْ (الحاكم) برقم (408/2)، وقال: (الهيثمي) في (المجمع) برقم (88/7): "رواه الإمام (البزار) موقوفا ومرفوعا ورجالهما رجال الصحيح"،
و(صححه) الإِمَامْ (الألباني) في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) برقم (2258).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (43).

دليل على أنه بعد نزول التوراة، انقطع الهلاك العام، وشرع جهاد الكفار بالسيف.

{بَصَائِرَ لِلنَّاسِ} أي: كتاب الله، الذي أنزله على موسى، فيه بصائر للناس، أي: أمور يبصرون بها ما ينفعهم، وما يضرهم، فتقوم الحجة على العاصي، وينتفع بها المؤمن، فتكون رحمة في حقه، وهداية له إلى الصراط المستقيم، ولهذا قال: {وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}. (1)

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾
﴿ سُورَةُ الْقَصَص: 36- 43 ﴾

- رَدُّ الحق بالشبه الواهية شأن أهل الطغيان.
- التكبر مانع من اتباع الحق.
- سوء نهاية المتكبرين من سنن رب العالمين.
- للباطل أئمته ودعاته وصوره ومظاهره. (2)

* * *

[٤٤] ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وما كنت -أيها الرسول- ﷺ- حاضرًا بجانب الجبل الغربي بالنسبة لموسى -عليه السلام- حين أنهينا إلى موسى الأمر بإرساله إلى فرعون وملئه، وما كنت من الحاضرين حتَّى تعلم خبر ذلك فتقصّه على الناس، فما تخبرهم به هو من وحي الله إليك. (3)

* * *

وما كنت -أيها الرسول- ﷺ- بجانب الجبل الغربي من موسى إذ كلَّفناه أمرنا ونهينا، وما كنت من الشاهدين لذلك، حتى يقال: إنه وصل إليك من هذا الطريق. (4)

* * *

وما كنت – يا محمد- ﷺ- حاضرا مع موسى فى المكان الغربى من الجبل حين عهد الله إليه بأمر الرسالة، ولم تكن معاصرا لموسى ولا شاهدا تبليغه للرسالة، فكيف يكذب

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ (44) وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (45) وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (46) وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (47) فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ (48) قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (49) فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (50)

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَة (الْقَصَص) الآية (43)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (390/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (391/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (391/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

قومك برسالتك وأنت تتلوا عليهم أنباء السابقين؟.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وما كنت بجانب الغربي} .... أي: لم تكن يا رسولنا حاضراً بالجانب الغربي من موسى.

{بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ} ... بِجَانِبِ الطُّورِ الْغَرْبِيِّ.

{الْغَرْبِيِّ} ... الجَبَلِ الغَرْبِيِّ مِنْ مُوسَى - عليه السلام -.

{إذا قضينا إلى موسى الأمر} ..... أي: بالرسالة إلى فرعون وقومه.

{قَضَيْنَا} ... عَهِدْنَا.

{وما كنت من الشاهدين} ..... حتى تعلمه و تخبر به.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآيَة {44} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا كُنْتَ} يَا مُحَمَّد - ﷺ - {بِجَانِبِ الغربي} الْجَبَلَ {إِذْ قَضَيْنَآ إِلَى مُوسَى الْأَمر} حَيْثُ أمرنَا مُوسَى الْإِتْيَان إِلَى فِرْعَوْن {وَمَا كنت مِنَ الشَّاهِدِين} من الْحَاضِرين هُنَاك.(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ

الْقَصَصِ} الآيَة {44} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا كُنْتَ} يا محمد - ﷺ - {بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ} يَعْنِي: بِجَانِبِ الْجَبَلِ الْغَرْبِيِّ، قَالَهُ (قَتَادَةُ)، وَ(السُّدِّيُّ)،

وَقَالَ (الْكَلْبِيُّ): بِجَانِبِ الْوَادِي الْغَرْبِيِّ.

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ)- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: يُرِيدُ حَيْثُ نَاجى موسى.

{إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ} يَعْنِي: عَهِدْنَا إِلَيْهِ وَأَحْكَمْنَا الْأَمْرَ مَعَهُ بِالرِّسَالَةِ إِلَى فِرْعَوْنَ وقَوْمِه،

{وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ} الحاضرين ذلك المنام فَتَذْكُرُهُ مِنْ ذَاتِ نَفْسِك.(3)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآيَة {44} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ}.

يَقُولُ تَعَالَى مُنَبِّهًا عَلَى بُرْهَانِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، حَيْثُ أَخْبَرَ بِالْغُيُوبِ الْمَاضِيَةِ، خَبَرًا كَأَنَّ سَامِعَهُ شَاهِدٌ وراء لِمَا تَقَدَّمَ، وَهُوَ رَجُلٌ أُمِّيٌّ لَا يَقْرَأُ شَيْئًا مِنَ الْكُتُبِ، نَشَأَ بَيْنَ قَوْمٍ لَا يَعْرِفُونَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، كَمَا أَنَّهُ لَمَّا أَخْبَرَهُ عَنْ مَرْيَمَ وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهَا،

قَالَ تَعَالَى: {وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ} [آلِ عمْرَان: 44]،

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (582/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (44) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (44).

أيْ: مَا كُنْتَ حَاضِرًا لِذَلِكَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَوْحَاهُ إِلَيْكَ. وَهَكَذَا لِمَا أَخْبَرَهُ عَنْ نُوحٍ وَقَوْمِهِ، وَمَا كَانَ مِنْ إِنْجَاءِ اللَّهِ لَهُ وَإِغْرَاقِ قَوْمِهِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ} {هُود: 49}.

وَقَالَ فِي آخِرِ السُّورَةِ {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ} {هُود: 100}،

وَقَالَ بَعْدَ ذِكْرِ قِصَّةِ يُوسُفَ: {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ} {يُوسُف: 102}،

وَقَالَ فِي سُورَةِ (طَه): {كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا} {طَه: 99}.

وقال ها هنا -بَعْدَمَا أَخْبَرَ عَنْ قِصَّةِ مُوسَى مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا، وَكَيْفَ كَانَ ابْتِدَاءُ إِيحَاءِ اللَّهِ إِلَيْهِ وَتَكْلِيمُهُ لَهُ-: {وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ} يَعْنِي: يَا مُحَمَّدُ، مَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْجَبَلِ الْغَرْبِيِّ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي هِيَ شَرْقِيَّةٌ عَلَى شَاطِئِ الْوَادِي،

{وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ} لِذَلِكَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَوْحَى إِلَيْكَ ذَلِكَ، لِيَجْعَلَهُ حُجَّةً وَبُرْهَانًا عَلَى قُرُونٍ قَدْ تَطَاوَلَ عَهْدُهَا، وَنَسُوا حُجَجَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَمَا أَوْحَاهُ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): قوله: (وَمَا كُنْتَ) يا محمد- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - (بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ) يقول: بجانب غربي الجبل (إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأمْرَ).(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {44} ولما قص الله على رسوله ما قص من هذه الأخبار الغيبية، نبه العباد على أن هذا خبر إلهي محض، ليس للرسول، طريق إلى علمه إلا من جهة الوحي،

ولهذا قال: {وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ} . أي: بجانب الطور الغربي وقت قضائنا لموسى الأمر {وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ} على ذلك، حتى يقال: إنه وصل إليك من هذا الطريق.(3)

* * *

[٤٥] ﴿ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولكنا أنشأنا أممًا وخلائق من بعد موسى، فتباعد عليهم الزمن حتَّى نسوا عهود الله، وما كنت مقيمًا في أهل مَدْيَن تقرأ عليهم آياتنا، ولكنا أرسلناك من عندنا، فأوحينا

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (44).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (584/19).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (44)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

إليك خبر موسى وإقامته في مَدْين، فأخبرت الناس بما أوحى الله إليك من ذلك. (1)

* * *

ولكنا خلقنا أممًا من بعد موسى، فمكثوا زمنًا طويلا فنسوا عهد الله، وتركوا أمره، وما كنت مقيمًا في أهل ‹مدين› تقرأ عليهم كتابنا، فتعرف قصتهم وتخبر بها، ولكن ذلك الخبر الذي جئت به عن موسى وحي، وشاهد على رسالتك. (2)

* * *

ولكنا خلقنا أمماً كثيرة فى أجيال طال عليها الزمن فنسوا ما أخذه عليهم من العهود، ولم تكن - أيها الرسول- ﷺ - مقيما فى مدين حتى تخبر أهل مكة بأنبائهم، ولكنا أرسلناك وأخبرناك بها من طريق الوحى. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر}....أي: غير أننا أنشأنا بعد موسى أمما طالت أعمارهم فنسوا العهود وأندرست العلوم وانقطع الوحي فجئنا بك رسولاً وأوحينا إليك خبر موسى وغيره.

{أنشَأنا} ... خَلَقْنَا.

{قُرونًا} ... أُممًا.

{فَتَطَاوَلَ عَلَيهِمُ العُمُرُ} ... فَمَكَثُوا زَمَنًا طَوِيلًا.

{وما كنت ثاويا في أهل مدين} ..... أي: ولم تكن يا رسولنا مقيماً في أهل مدين فتعرف قصتهم.

{ثاوِيًا} ... مُقِيمًا.

{أَهْلِ مَدْيَنَ} ... هُمْ قَوْمُ شُعَيْبٍ - عليه السلام -.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {45} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا} خلقنَا {قُرُوناً} قرنا بعد قرن وبيّنا قصَّة الأول للْآخر كَمَا بيّنا لَك {فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمرُ} الْأَجَل فَلم يُؤمنُوا فأهلكناهم قرنا بعد قرن {وَمَا كُنتَ} يَا مُحَمَّد - ﷺ - {ثاويا} مُقيما {فِي أهل مَدين تتلو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا} تقْرَأ على قَوْمك أياتنا الْقُرْآن تخبرهم {وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ} الرُّسُل إِلَى الْقُرُون الأولى وبيّنا قصَّة الأول للْآخر كَمَا بيّنا لَك قصَّة الْأَوَّلين. (4)

* * *

قَال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {45} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا} خلقنا أمما مِنْ بَعْدِ مُوسَى- عَلَيْهِ السَّلَامُ، {فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ} أَيْ: طَالَتْ عَلَيْهِمُ الْمُهْلَةُ فَنَسُوا عهد الله وميثاقه وَتَرَكُوا أَمْرَهُ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ عَهِدَ إِلَى مُوسَى

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (391/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (391/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (582/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَة (الْقَصَص) الآية (45) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

وقومه عهودا في محمد وَالْإِيمَان بِه، فَلَمَّا طَالَ عَلَيهِمُ الْعُمرُ وَخَلَّفَت الْقُرونَ بَعْدَ الْقُرُونِ نَسُوا تِلْكَ الْعُهُودَ وَتركُوا الْوَفَاءَ بها، {وما كُنْتَ ثاويًا} مقيما، {في أهل مَدْيَنَ} كَمَقَام مُوسَى وَشُعَيْب فيهِمْ، {تَتْلُو عَلَيهِمْ آيَاتنَا} تُذَكِّرُهُمْ بِالْوَعْد وَالْوَعيد، قَالَ: (مُقَاتِلٌ): يَقُولُ لَمْ تَشْهَدْ أَهْلَ مَدْيَنَ فَتَقرأَ عَلَى أَهْل مَكَّةَ خَبَرَهُمْ، {وَلَكنَّا كُنَّا مُرسلينَ} أَيْ: أَرْسَلْنَاكَ رَسُولًا وَأَنْزَلْنَا عَلَيكَ كِتَابًا فيه هَذه الْأَخْبَارُ، فَتَتْلُوهَا عَلَيهِمْ وَلَوْلاَ ذلكَ لَمَا عَلمْتَهَا وَلَمْ تُخْبِرْهُمْ بِهَا (1)

* * *

قال: الإِمَامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {45} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا كُنْتَ ثاويًا في أهْل مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيهِمْ آيَاتنَا} أَيْ: وَمَا كُنْتَ مُقيمًا في أَهْل مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيهِمْ آيَاتنَا، حِينَ أَخْبَرْتَ عَنْ نَبِيِّهَا شُعَيْبٍ، وَمَا قَالَ لِقَوْمِه، وَمَا رَدُّوا عَلَيْه، {وَلَكنَّا كُنَّا مُرسلينَ} أَيْ: وَلَكِنْ نَحْنُ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ذَلكَ، وَأَرْسَلْنَاكَ للنَّاس رَسُولًا. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {45} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَكنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيهِمُ الْعُمُرُ} فاندرس العلم، ونسيت آياته، فبعثناك في وقت اشتدت الحاجة إليك وإلى ما علمناك وأوحينا إليك. {وَمَا كُنْتَ ثاويًا} أي: مقيما {في أَهْل مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيهِمْ آيَاتنَا} أي: تعلمهم وتتعلم منهم، حتى أخبرت بما أخبرت من شأن موسى في مدين، {وَلَكنَّا كُنَّا مُرسلينَ} أي: ولكن ذلك الخبر الذي جئت به عن موسى، أثر من آثار إرسالنا إياك، ووحيٌ لا سبيل لك إلى علمه، بدون إرسالنا. (3)

* * *

[٤٦] ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وما كنت بجانب الطور إذ نادينا موسى وأوحينا إليه ما أوحينا حتَّى تخبر بذلك، ولكن أرسلناك رحمة من ربك للناس، فأوحينا إليك خبر ذلك لتنذر قومًا ما جاء رسول من قبلك ينذرهم لعلهم يتعظون، فيؤمنون بما جئتهم به من عند الله سبحانه. (4)

* * *

وما كنت -أيها الرسول- ﷺ- بجانب جبل الطور حين نادينا موسى، ولم تشهد شيئًا من ذلك فتعلمه، ولكنا أرسلناك رحمة من ربك" لتنذر قومًا لم يأتهم مِن قبلك من نذير"

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (45).
(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص الآية (45).
(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (45)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).
(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (391/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

لعلهم يتذكرون الخير الذي جئتَ به فيفعلوه، والشرَّ الذي نَهيت عنه فيجتنبوه. (1)

* * *

وما كنت - أيها الرسول - ﷺ - حاضرا في جانب الطور حين نادى الله موسى واصطفاه لرسالته، ولكن الله أعلمك بهذا من طريق الوحي رحمة بك وبأمتك، لتبلغه قوما لم يأتهم رسول من قبلك لعلهم يتذكرون. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وما كنت بجانب الطور إذ نادينا} ..... أي: لم تكن بجانب الطور أي جبل الطور إذ نادينا موسى وأوحينا إليه ما أوحينا حتى تخبر بذلك.

{الطُّور} ... جَبَل بِسَيْنَاء كَلَّمَ اللهُ مُوسَى - عليه السلام - بِجَانِبِهِ.

{ما أتاهم من نذير من قبلك} ..... أي: أهل مكة والعرب كافة.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {46} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطَّورِ} جبل زبير {إِذْ نَادَيْنَا} حَيْثُ كلمنا مُوسَى وَيُقَال إِذْ نادينا أمتك {وَلَكِن} علمناك وأرسلناك {رَّحْمَةً} نعْمَة ومنة {مِّن رَّبِّكَ} إِذْ أرسل إِلَيْك جِبْرِيل بِالْقُرْآنِ بأخبار الْأُمَم {لِتُنذِرَ قَوْماً} لكَي تخوف قوما بِالْقُرْآنِ {مَّآ أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ} لم يَأْتهمْ رَسُول مخوف {مِّن قَبْلِكَ} يَعْنِي: قُرَيْشًا {لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} لكَي يتعظوا فيؤمنوا. (3)

* * *

قَال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {46} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ} بِنَاحِيَةِ الْجَبَلِ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ عليه موسى، {إِذْ نَادَيْنَا} قِيلَ: إِذْ نَادَيْنَا مُوسَى خُذ الكتاب بقوة، {وَلَكِن رَحْمَةً مِن رَبِّكَ} أَيْ: وَلَكِنْ رَحِمْنَاكَ رَحْمَةً بِإِرْسَالِكَ وبالوحي إِلَيْكَ وَإِطْلَاعِكَ عَلَى الْأَخْبَارِ الْغَائِبَةِ عَنْكَ، {لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ} يَعْنِي: أَهْلَ مَكَّةَ، {لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}. (4)

* * *

قَال: الإِمَام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {46} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا} موسى، وَأمرناه أن يأتي القوم الظالمين، ويبلغهم رسالتنا، ويريهم من آياتنا وعجائبنا ما قصصنا عليك. والمقصود: أن الماجريات، التي جرت لموسى عليه الصلاة والسلام في هذه الأماكن، فقصصتها كما هي، من غير زيادة ولا نقص، لا يخلو من أحد أمرين.

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (391/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (582/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (56) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (46).

إمـا أن تكـون حضـرتها وشـاهدتها، أو ذهبـت إلى محالِّهـا فتعلمتهـا مـن أهلـها، فحينئـذ قـد لا يـدل ذلـك علـى أنـك رسـول الله، إذ الأمـور الـتي يخـبر بهـا عـن شـهادة ودراسـة، مـن الأمـور المشـتركة غـير المختصـة بالأنبيـاء، ولكـن هـذا قـد عُلِـمَ وتـيقّن أنـه مـا كـان ومـا صـار، فأولياؤك وأعداؤك يعلمون عدم ذلك.

فـتعين الأمـر الثـاني، وهـو: أن هـذا جـاءك مـن قبَـلِ الله ووحيـه وإرسـاله، فثبـت بالـدليل القطعـي، صـحة رسـالتك، ورحمـة الله بـك للعبـاد، ولهـذا قـال: {وَلَكِـنْ رَحْمَـةً مِـنْ رَبِّـكَ لِتُنْـذِرَ قَوْمًـا مَـا أَتَـاهُمْ مِـنْ نَـذِيرٍ مِـنْ قَبْلِـكَ} أي: العـرب، وقـريش، فـإن الرسـالة﴿عنـدهم﴾ لا تعـرف وقـت إرسـال الرسـول وقبلـه بأزمـان متطاولة،

{لَعَلَّهُـمْ يَتَـذَكَّرُونَ} تفصـيل الخـير فيفعلونـه، والشـر فيتركونـه، فـإذا كنـت بهـذه المنزلـة، كـان الواجـب علـيهم، المبـادرة إلى الإيمـان بـك، وشـكر هـذه النعمـة، الـتي لا يقـادر قـدرها، ولا يدرك شكرها.

وإنـذاره للعـرب لا ينفـي أن يكـون مرسـلا لغيرهـم، فإنـه عربـي، والقـرآن الـذي أنـزل عليـه عربـي، وأول مـن باشـر بدعوتـه العـرب، فكانت رسالته إليهم أصلا ولغيرهم تبعا،

كمـا قـال تعـالى: {أَكَـانَ لِلنَّـاسِ عَجَبًـا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ}،

قـال تعـالى: {قُـلْ يَـا أَيُّهَـا النَّـاسُ إِنِّـي رَسُـولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}. (1)

* * *

قـال: الإمـامُ (إبـن كـثير) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- {سُـورَةُ الْقَصَـصِ} الآيَـة {46} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {وَمَـا كُنْـتَ بِجَانِـبِ الطُّـورِ إِذْ نَادَيْنَـا} — قَـالَ: (أَبُـو عبـد الـرحمن النسـائي)، في (التفسـير)- مـن (سـننه):

أَخْبَرَنَـا عَلـيُّ بْـنُ حُجْـر، أَخْبَرَنَـا عِيسَـى -وَهُـوَ ابْـنُ يُـونُس -عَـنْ حَمْـزَةَ الزَّيَّـات، عَـنِ الْـأَعْمَشِ، عَـنْ عَلـيِّ بْـنِ مُـدرِك، عَـنْ أَبِـي زُرْعَـة، عَـنْ (أَبِـي هُرَيْـرَةَ)، رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْـهُ: {وَمَـا كُنْـتَ بِجَانِـبِ الطُّـورِ إِذْ نَادَيْنَـا}، قَـالَ: نُـودُوا: يَـا أُمَّـةَ مُحَمَّـد، أَعْطَيْـتُكُمْ قَبْـلَ أَنْ تَسْـأَلُونِي، وَأَجَبْـتُكُمْ قَبْـلَ أَنْ تَدْعُونِي.

وَهَكَـذَا رَوَاهُ (ابْـنُ جَرِيـر)، وَ(ابْـنُ أَبِـي حَـاتِم)، مِـنْ حَـدِيث جَمَاعَـة، عَـنْ حَمْـزَةَ -وَهُـوَ ابْـنُ حَبِيـبٍ الزَّيَّاتُ -عَنِ الْأَعْمَشِ.

وَرَوَاهُ (ابْـنُ جَرِيـر) مِـنْ حَـدِيث وَكِيـعٍ وَيَحْيَـى بْـنِ عِيسَـى، عَـنِ الْـأَعْمَشِ، عَـنْ عَلـيِّ بْـنِ مُـدْرِك، عَـنْ أَبِـي زُرْعَـةَ -وَهُـوَ (ابْـنُ عَمْـرِو بْـنِ جَرِيـر) - أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَـالَ: (مُقَاتِـلُ بْـنُ حَيَّـان): {وَمَـا كُنْـتَ بِجَانِـبِ الطُّـورِ إِذْ نَادَيْنَـا}: أُمَّتَـكَ في أصـلاب آبـائهم أن يؤمنوا بِكَ إِذَا بُعِثْتَ.

وَقَـالَ: (قَتَـادَةُ): {وَمَـا كُنْـتَ بِجَانِـبِ الطُّـورِ إِذْ نَادَيْنَـا} مُوسَـى. وَهَـذَا -وَاللَّـهُ أَعْلَـمُ -أَشْـبَهُ بِقَوْلِـهِ تَعَـالَى: {وَمَـا كُنْـتَ بِجَانِـبِ الْغَرْبِـيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأمْرَ}.

ثُـمَّ أَخْبَـرَ هَاهُنَـا بِصِـيغَةٍ أُخْـرَى أَخَـصَّ مِـنْ ذَلِـكَ، وَهُوَ النِّدَاءُ،

(1) انظـر: (تيسـير الكـريم الـرَّحمن في تفسـير كـلام المنـان) في سُـورَةُ (الْقَصَص) الآية (46)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى} {الشُّعَرَاء: 10}،

وَقَالَ: {إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى} {النَّازِعَات: 16}،

وَقَالَ: {وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا} {مَرْيَم: 52}.

وَقَوْلُهُ: {وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ} أَيْ: مَا كُنْتَ مُشَاهِدًا لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَوْحَاهُ إِلَيْكَ وَأَخْبَرَكَ بِهِ، رَحْمَةً مِنْهُ لَكَ وَبِالْعِبَادِ بِإِرْسَالِكَ إِلَيْهِمْ،

{لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} أَيْ: لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ بِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. (1)

* * *

قَال: الإمام (النسائي) – (رحمه الله) – في (سننه):-

أنا علي بن حجر، أنا عيسى – وهو: ابن يونس – عن حمزة الزيات، عن الأعمش، عن علي بن مدرك، عن أبي زرعة، عن (أبي هريرة) (وما كنت بجانب الطور إذ نادينا)

قال: نودي أن يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألوني وأجبتكم قبل أنا تدعوني. (2)

قَال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) – عن (قتادة): (وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا) ... الآية. (3)

* * *

[٤٧] ﴿ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولولا أن تنالهم عقوبة إلهية بسبب ما هم عليه من الكفر والمعاصي، فيقولوا محتجين بعدم إرسال رسول إليهم: هلاَّ بعثت إلينا رسولًا فنتبع آياتك ونعمل بها، ونكون من المؤمنين العاملين بأمر ربهم، لولا ذلك لعاجلناهم بالعقاب، لكنا أخرناه عنهم حتَّى نعذر إليهم ببعث رسول إليهم. (4)

* * *

ولولا أن ينزل بهؤلاء الكفار عذاب بسبب كفرهم بربهم، فيقولوا: ربنا هلا أرسلت إلينا رسولا من قبل، فنتبع آياتك المنزلة في كتابك، ونكون من المؤمنين بك. (5)

* * *

ولولا أن الكفار حين تصيبهم عقوبة بسبب كفرهم يعتذرون ويحتجون قائلين: ربنا لم ترسل إلينا رسولا نؤمن ونُذعن لمعجزاته

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (46).

(2) أخرجه الإمام (النسائي) في (التفسير) برقم (143/2)، (ح402).

وأخرجه الإمام (الطبري) في (التفسير) برقم (20/81-82)- من طريق- (سليمان وحجاج).

وأخرجه الإمام (ابن أبي حاتم) في (التفسير) – (سورة القصص) الآية (46)، (ح335).

وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك برقم (408/2) كلاهما -من طريق- أبي قطن عمرو بن الهيثم، كلهم عن حمزة الزيات به، وعند الطبري عمرو بن الهيثم، كلهم عن حمزة الزيات به، وعند الطبري زيادة، وهي قوله: قال: وهو قوله حين قال موسى {واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة...}.

قال: الإمام (الحاكم): حديث (صحيح على شرط مسلم). ولم يخرجاه.

و(صحح إسناده) كل من محقق تفسيري (النسائي) و (ابن أبي حاتم).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (586/19).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (391/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (391/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

ونكون من المؤمنين، ما كانت رسالات الرسل.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{ولولا أن تصيبهم مصيبة} ..... لعاجلناهم بالعقوبة ولما أرسلناك إليهم رسولا.

{تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ} ... يَنْزِلَ بِهِمْ عَذَابٌ.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {47} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَوْلا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ} وَلَوْلاَ أَن يُصِيب قَوْمك قُرَيْشًا عَذَاب يَوْم الْقِيَامَة {بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ} بِمَا اكتسبوا فِي كفرهم {فَيَقُولُواْ} عِنْد نُزُول الْعَذَاب بهم يَوْم الْقِيَامَة {رَبَّنَا} يَا رَبنَا {لَوْلاَ} هلا {أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً} مَعَ الْكتاب قبل الْعَذَاب {فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ} كتابك وَرَسُولك {وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} بِالْكتاب وَالرَّسُول لأهلكناهم قبلك وَلَكِن أَرْسَلْنَاك إِلَيْهِم بِالْقُرْآنِ لكي لاَ يكون لَهُم حجَّة علينا.(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {47} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَوْلا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ} عُقُوبَةٌ وَنِقْمَةٌ، {بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ} مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ، {فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلاَ} هَلاَّ، {أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} وَجَوَابُ لَوْلاَ مَحْذُوفٌ أَيْ لَعَاجَلْنَاهُمْ بِالْعُقُوبَةِ، يَعْنِي: لَوْلاَ أَنَّهُمْ يَحْتَجُّونَ بِتَرْكِ الْإِرْسَالِ إِلَيْهِمْ لَعَاجَلْنَاهُمْ بِالْعُقُوبَةِ بِكُفْرِهِمْ.

يَعْنِي:- مَعْنَاهُ لَمَا بَعَثْنَاكَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا وَلَكِنْ بَعَثْنَاكَ إِلَيْهِمْ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ.(3)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {47} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}.

أَيْ: وَأَرْسَلْنَاكَ إِلَيْهِمْ لِتُقِيمَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةَ وَلِتَقْطَعَ عُذْرَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ عَذَابٌ مِنَ اللَّهِ بِكُفْرِهِمْ، فَيَحْتَجُّوا بِأَنَّهُمْ لَمْ يَأْتِهِمْ رَسُولٌ وَلَا نَذِيرٌ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى بَعْدَ ذِكْرِهِ إِنْزَالَ كِتَابِهِ الْمُبَارَكِ وَهُوَ الْقُرْآنُ: {أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ} {الْأَنْعَام: 156، 157}،

وَقَالَ: {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} {النِّسَاءِ: 165}،

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (582/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

(2) انظُر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (47) يِنسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(3) انظُر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (47).

وَقَالَ تَعَالَى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} {الْمَائِدَة: 19}،

وَالْآيَاتُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ وَاللَّهُ أَعْلَم . (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {47} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ} من الكفر والمعاصي.

{فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} أي: فأرسلناك يا محمد - ﷺ - ، لدفع حجتهم، وقطع مقالتهم. (2)

* * *

[٤٨] ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فلما جاء قريشًا محمد - ﷺ - بالرسالة من ربه سألوا يهود عنه فلقنوهم هذه الحجة فقالوا: هلاَ أعطي محمد- ﷺ- مثل ما أعطي موسى من الآيات الدالة على أنَّه رسول من ربه" كاليد والعصا، قل -أيها الرسول- ﷺ - ردًا عليهم: ألم يكفر اليهود بما أعطي موسى من قبل، وقالوا في التوراة والقرآن: إنهما سحران يعضد أحدهما الآخر، وقالوا: إنا بكلّ من التوراة والقرآن كافرون؟!. (3)

* * *

فلما جاء محمد- ﷺ-هؤلاء القوم نذيرًا لهم، قالوا: هلا أوتي هذا الذي أرسل إلينا مثل ما أوتي موسى من معجزات حسية، وكتاب نزل جملة واحدة؟! قل -أيها الرسول- ﷺ - لهم: أو لم يكفر اليهود بما أوتي موسى من قبل؟ قالوا: في التوراة والقرآن سحران تعاونا في سحرهما، وقالوا: نحن بكل منهما كافرون. (4)

* * *

فلما جاء رسول الله – محمد- ﷺ-بالقرآن من عند الله قال الكفار: ليته أُعْطى مثل ما أُعْطى موسى من معجزات حسية، وكتاب نزل جملة واحدة كالتوراة، وقد كفروا من قبل بموسى وآياته كما كفروا اليوم بمحمد وكتابه، وقالوا: نحن بكل منهما كافرون. فالجحود هو الذى أدى إلى الكفر بالمعجزات. (5)

---

(1) انظُر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (47).

(2) انظُر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (47)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (391/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (391/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (583/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فلما جاء هم الحق من عندنا} .... أي: محمد- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رسولا مبينا.

{قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى} ..... أي: هلا أعطي مثل ما أعطي موسى من الآيات المعجزات من العصا واليد أو كتابا جملة واحدة كالتورة.

{أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل} ..... أي: كيف يطالبونك بأن تؤتى مثل ما أوتي موسى وقد كفروا بما أوتي موسى من قبل لما أخبرهم اليهود أنهم يجدون نعت محمد في التوراة كفروا بهذا الخبر ولم يقبلوه.

{وقالوا سحران تظاهرا} ..... أي: التوراة والقرآن كلاهما سحر ظاهر بعضهما بعضاً أي قواه.

{سِحْرَانِ تَظَاهَرَا} ... تَعَاوَنَا، يَقْصِدُونَ التَّوْرَاةَ وَالقُرْآنَ.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {48} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ} مُحَمَّد - صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- بِالْقُرْآنِ {مِنْ عِندِنَا قَالُواْ} كفار مَكَّة {لَوْلاَ أُوتِيَ} هلا أعطي مُحَمَّد عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام يَعْنِي الْيَد والعصا والمن والسلوى وَالْقُرْآن جملَة {مِثْلَ مَا أُوتِيَ} أعطي {مُوسَى} بزعمه {أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ} كفار مَكَّة {بِمَا أُوتِيَ مُوسَى} أعطي مُوسَى {مِن قَبْلُ} من قبل مُحَمَّد -صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- يَعْنِي: التَّوْرَاة وَالْقُرْآن {قَالُواْ} كفار مَكَّة {سِحْرَانِ} يَعْنِي: التَّوْرَاة وَالْقُرْآن {تَظَاهَرَا} تعاونا {وَقَالُواْ} كفار مَكَّة {إِنَّا بِكُلٍّ} بِالتَّوْرَاةِ وَالْقُرْآن {كَافِرُونَ} جاحدون. (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {48} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا} يَعْنِي: مُحَمَّدًا- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم-، {قَالُوا} يعني: كفار مكة، {لَوْلَا} هلا {أُوتِيَ} مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم-، {مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى} مِنَ الْآيَاتِ كَالْيَدِ الْبَيْضَاءِ وَالْعَصَا، يَعْنِي:- مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى كِتَابًا جُمْلَةً وَاحِدَةً.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ} أَيْ: فَقَدْ كَفَرُوا بِآيَاتِ مُوسَى كَمَا كَفَرُوا بِآيَاتِ مُحَمَّد،

{قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا} قَرَأَ أَهْلُ (الْكُوفَةِ): (سِحْرَانِ) أَيْ: التَّوْرَاةُ وَالْقُرْآنُ تَظَاهَرَا يَعْنِي كُلُّ سِحْرٍ يُقَوِّي الْآخَرَ نَسَبَ التَّظَاهُرَ إِلَى السِّحْرَيْنِ عَلَى الِاتِّسَاعِ،

قَالَ: (الْكَلْبِيُّ): كَانَتْ مَقَالَتُهُمْ تِلْكَ حِينَ بعثوا في أمر رَسُولِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى رُءُوسِ الْيَهُودِ بِالْمَدِينَةِ، فَسَأَلُوهُمْ عَنْ مُحَمَّدٍ فَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّ نَعْتَهُ فِي كِتَابِهِمِ التَّوْرَاة، فَرَجَعُوا فَأَخْبَرُوهُمْ بِقَوْلِ الْيَهُودِ، فَقَالُوا: {سِحْرَانِ تَظَاهَرَا} وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: (سَاحِرَانِ) يَعْنُونَ (مُحَمَّدًا)، و(موسى) - عليهما السَّلَامُ، لِأَنَّ مَعْنَى التَّظَاهُرِ بِالنَّاسِ

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَة (الْقَصَص) الآية (48) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

وَأَفْعَالِهِمْ أَشْبَهُ مِنْهُ بِالْكُتُبِ، {وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ}.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {48} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ} الذي لا شك فيه {مِنْ عِنْدِنَا} وهو القرآن، الذي أوحيناه إليك {قَالُوا} مكذبين له، ومعترضين بما ليس يعترض به:

{لَوْلا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى} أي: أنزل عليه كتاب من السماء جملة واحدة. أي: فأما ما دام ينزل متفرقا، فإنه ليس من عند الله. وأي: دليل في هذا؟ وأي: شبهة أنه ليس من عند الله، حين نزل مفرقا؟

بل من كمال هذا القرآن، واعتناء الله بمن أنزل عليه، أن نزل متفرقا، ليثبت الله به فؤاد رسوله، ويحصل زيادة الإيمان للمؤمنين.

{وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} وأيضا، فإن قياسهم على كتاب موسى، قياس قد نقضوه، فكيف يقيسونه على كتاب كفروا به ولم يؤمنوا؟،

ولهذا قال {أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا} أي: القرآن والتوراة، تعاونا في سحرهما، وإضلال الناس.

{وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ} فثبت بهذا أن القوم يريدون إبطال الحق بما ليس برهان، وينقضونه بما لا ينقض، ويقولون الأقوال المتناقضة المختلفة، وهذا شأن كل كافر. ولهذا صرح أنهم كفروا بالكتابين والرسولين، ولكن هل كفرهم بهما كان طلبا للحق، واتباعا لأمر عندهم خير منهما، أم مجرد هوى؟.(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): في قول الله (سِحْرَانِ تَظَاهَرَا) قال: يهود لموسى وهارون.(3)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قوله: (سِحْرَانِ تَظَاهَرَا) يقول: التوراة والقرآن.(4)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): قوله: (قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا) قالت: ذلك أعداء الله اليهود للإنجيل والفرقان، فمن قال (سِحْرَانِ) فيقول: محمد، وعيسى بن مريم.(5)

* * *

أخرج - الإمام (ابن أبي إياس) - (رحمه الله) - (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): قوله:

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (القَصَص) الآية (48).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (48)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (589/19).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (589/19).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (590/19).

(إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ) قالوا: نكفر أيضاً بما أوتي محمد.(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {48} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ}.

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْقَوْمِ الَّذِينَ لَوْ عَذَّبَهُمْ قَبْلَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، لَاحْتَجُّوا بِأَنَّهُمْ لَمْ يَأْتِهِمْ رَسُولٌ: أَنَّهُمْ لَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِهِ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ، -صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عليه - قَالُوا على وَجْهِ التَّعَنُّتِ وَالْعِنَادِ وَالْكُفْرِ وَالْجَهْلِ وَالْإِلْحَادِ:

{لَوْلا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ}، يَعْنُونَ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ -: مِنَ الْآيَاتِ الْكَثِيرَةِ، مِثْلَ الْعَصَا وَالْيَدِ، وَالطُّوفَانِ وَالْجَرَادِ وَالْقُمَّلِ وَالضَّفَادِعِ وَالدَّمِ، وَتَنَقُّصِ الزُّرُوعِ وَالثِّمَارِ، مِمَّا يَضِيقُ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ، وَكَفَلْقِ الْبَحْرِ، وَتَظْلِيلِ الْغَمَامِ، وَإِنْزَالِ الْمَنِّ وَالسَّلْوَى، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الْبَاهِرَةِ، وَالْحُجَجِ الْقَاهِرَةِ، الَّتِي أَجْرَاهَا اللَّهُ عَلَى يَدَيْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، حُجَّةً وَبَرَاهِينَ لَهُ عَلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ لَمْ يَنْجَعْ فِي فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ، بَلْ كَفَرُوا بِمُوسَى وَأَخِيهِ هَارُونَ، كَمَا قَالُوا لَهُمَا: {أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ} {يُونُس: 78}،

وَقَالَ تَعَالَى: {فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ} {الْمُؤْمِنُون: 48}.

وَلِهَذَا قَالَ هَاهُنَا: {أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ} أَيْ: أَوَلَمْ يَكْفُرِ الْبَشَرُ بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ تِلْكَ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةِ.

{قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا}، أَيْ: تَعَاوَنَا،

{وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ} أَيْ: بِكُلٍّ مِنْهُمَا كَافِرُونَ. وَلِشِدَّةِ التَّلَازُمِ وَالتَّصَاحُبِ وَالْمُقَارَنَةِ بَيْنَ مُوسَى وَهَارُونَ، دلَّ ذِكْرُ أَحدهمَا عَلَى الْآخَرِ،

كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

فَمَا أَدْرِي إِذَا يَمَّمْتُ أَرْضًا ... أُرِيدُ الْخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِينِي ...

أَيْ: فَمَا أَدْرِي أَيَلِينِي الْخَيْرُ أَوِ الشَّرُّ. قَالَ: (مُجَاهِدُ بْنُ جَبْرٍ): أَمَرَتِ الْيَهُودُ قُرَيْشًا أَنْ يَقُولُوا لِمُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذَلِكَ، فَقَالَ اللَّهُ: {أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا} قَالَ: يَعْنِي مُوسَى وَهَارُونَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- {تَظَاهَرَا} أَيْ: تَعَاوَنَا وَتَنَاصَرَا وَصَدَّقَ كُلٌّ مِنْهُمَا الْآخَرَ.

وَبِهَذَا قَالَ: (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ)، وَ(أَبُو رَزِينٍ) فِي قَوْلِهِ: {سَاحِرَانِ} يَعْنُونَ: مُوسَى وَهَارُونَ. وَهَذَا قَوْلٌ جَيِّدٌ قَوِيٌّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَالَ: (مُسْلِمُ بْنُ يَسَارٍ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ): {قَالُوا سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا} يَعْنِي: (مُوسَى)، وَ(مُحَمَّدًا)، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمَا، وَهَذَا رِوَايَةٌ عَنِ (الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ).

---

(1) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (53/4)، للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين).

وَقَالَ: (الْحَسَنُ)، و(قَتَادَةُ): يَعْنِي: عِيسَى وَمُحَمَّدًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهما وَسَلَّمَ-، وَهَذَا فِيهِ بُعْدٌ" لِأَنَّ عِيسَى لَمْ يَجْرِ لَهُ ذِكْرٌ هَاهُنَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَأَمَّا مَنْ قَرَأَ {سِحْرَانِ تَظَاهَرَا}، فَقَالَ: (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ)، و(الْعَوْفِيُّ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ). يَعْنُونَ: التَّوْرَاةَ وَالْقُرْآنَ.

وَكَذَا قَالَ: (عَاصِمٌ الْجَنَدِيُّ)، و(السُّدِّيُّ)، و(عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ)،

قَالَ: (السُّدِّيُّ): يَعْنِي: صَدَّقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الْآخَرَ.

وَقَالَ: (عِكْرِمَةُ): يَعْنُونَ: التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ. وَهُوَ رِوَايَةٌ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، وَاخْتَارَهُ (ابْنُ جَرِيرٍ).(1)

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ)، وَ(قَتَادَةُ): الْإِنْجِيلُ وَالْقُرْآنُ. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ، أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ. وَالظَّاهِرُ عَلَى قِرَاءَةِ: {سِحْرَانِ} أَنَّهُمْ يَعْنُونَ: التَّوْرَاةَ وَالْقُرْآنَ" لِأَنَّهُ قَالَ بَعْدَهُ:(2)

* * *

[٤٩] ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

قل: -أيها الرسول- ﷺ- لهؤلاء: جيئوا بكتاب منزل من عند: سبيلًا من التوراة والقرآن، فإن أتيتم به أتبعه إن كنتم صادقين فيما تدّعونه من أن التوراة والقرآن سحران.(3)

* * *

قل: -أيها الرسول -ﷺ- لهؤلاء: فأتوا بكتاب من عند الله هو أقوم من التوراة والقرآن أتبعه، إن كنتم صادقين في زعمكم.(4)

* * *

قل: لهم - أيها الرسول -ﷺ- إذا لم تؤمنوا بالتوراة والقرآن" فهاتوا كتاباً من عند الله أحسن منهما هداية أو مثلهما أتبعه معكم إن كنتم صادقين فى زعمكم أن ما جئنا به سحر.(5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

قال الله لنَبِيِّه - صلى الله عليه وسلم -:

{قُلْ} .... لكُفَّار مكّة:

{فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا} ..... أي: من التَّوراة والقُرْآن حتى.

{أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} ..... أنَّهما كانا سِحرَانِ،

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قَالَ: الْإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {49} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قُلْ} لَهُم يَا مُحَمَّد - ﷺ - {فَأْتُوا بِكِتَابٍ

---

(1) انظر: تفسير الطبري (20/53).

وانظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامُ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (48).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامُ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (48).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/391). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/391)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/583)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

مِّنْ عِنْدِ اللهِ هُوَ أَهْدَى} أصوب {مِنْهُمَا} من التَّوْرَاة وَالْقُرْآن {أَتَّبِعْهُ} أعمل بِهِ {إِن كُنتُم صَادِقِينَ} أَن التَّوْرَاة وَالْقُرْآن سحران تظاهرا فَلم يقدروا أَن يأْتوا.(1)

* * *

قال: الإمامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {49} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قُلْ} لهم يَا مُحَمَّدُ - ﷺ - {فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا} يَعْنِي: مِنَ التَّوْرَاةِ وَالْقُرْآنِ، {أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}.(2)

* * *

قال: الإمامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {49} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ}، وَكَثِيرًا مَا يَقْرِنُ اللَّهُ بَيْنَ التَّوْرَاةِ وَالْقُرْآنِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {قُلْ مَنْ أَنزلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ} إِلَى أَنْ قَالَ: {وَهَذَا كِتَابٌ أَنزلْنَاهُ مُبَارَكٌ} {الأنعام: 91، 92}، وَقَالَ فِي آخِرِ السُّورَةِ: {ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ}، إِلَى أَنْ قَالَ: {وَهَذَا كِتَابٌ أَنزلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} {الْأَنْعَامِ: 155}.
وَقَالَتِ الْجِنُّ: {إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ} {الْأَحْقَافِ: 30}.

وَقَالَ: (وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ): هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى. وَقَدْ عُلِمَ بِالضَّرُورَةِ لِذَوِي الْأَلْبَابِ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يُنْزِلْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فِيمَا أَنْزَلَ مِنَ الْكُتُبِ الْمُتَعَدِّدَةِ عَلَى أَنْبِيَائِهِ أَكْمَلَ وَلَا أَشْمَلَ وَلَا أَفْصَحَ وَلَا أَعْظَمَ وَلَا أَشْرَفَ مِنَ الْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وَهُوَ الْقُرْآنُ، وَبَعْدَهُ فِي الشَّرَفِ وَالْعَظَمَةِ الْكِتَابُ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى (مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ)- عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ التَّوْرَاةُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا: {إِنَّا أَنزلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ} {الْمَائِدَةِ: 44}.
وَالْإِنْجِيلُ إِنَّمَا نَزَلَ مُتَمِّمًا لِلتَّوْرَاةِ ومُحلا لِبَعْضِ مَا حُرّم عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ.
وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} أَيْ: فِيمَا تُدَافِعُونَ بِهِ الْحَقَّ وَتُعَارِضُونَ بِهِ مِنَ الْبَاطِلِ.(3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {49} قَوْلُهُ تَعَالَى: ملزما لهم بذلك: {فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا} أي: من التوراة والقرآن.
{أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} ولا سبيل لهم ولا لغيرهم أن يأتوا بمثلهما، فإنه ما طرق

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (49) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.
(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (49).
(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (49).

العالم منذ خلقه الله، مثل هذين الكتابين، علما وهدى، وبيانا، ورحمة للخلق، وهذا من كمال الإنصاف من الداعي أن قال: أنا مقصودي الحق والهدى والرشد، وقد جئتكم بهذا الكتاب المشتمل على ذلك، الموافق لكتاب موسى، فيجب علينا جميعا الإذعان لهما واتباعهما، من حيث كونهما هدى وحقا، فإن جئتموني بكتاب من عند الله هو أهدى منهما اتبعته، وإلا فلا أترك هدى وحقا قد علمته لغير هدى وحق.(1)

* * *

[٥٠] ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فإن لم تستجب قريش لما دعوتهم إليه من الإتيان بكتاب أهدى من التوراة والقرآن فأيقن أن تكذيبهم بهما ليس عن دليل، وإنما هو عن اتباع للهوى، ولا أحد أضلّ ممن اتبع هواه بغير هدى من الله سبحانه، إن الله لا يوفِّق للهداية والرشاد القوم الظالمين لأنفسهم بكفرهم بالله.(2)

* * *

فإن لم يستجيبوا لك بالإتيان بالكتاب، ولم تبق لهم حجة، فاعلم أنما يتبعون أهواءهم، ولا أحد أكثر ضلالا ممن اتبع هواه بغير هدى من الله. إن الله لا يوفّق لإصابة الحق القوم الظالمين الذين خالفوا أمر الله، و تجاوزوا حدوده.(3)

* * *

فإن لم يستجيبوا دعاءك إلى الإتيان بالكتاب الأهدى، فاعلم أنهم قد ألزموا الحجة ولم يبق لهم حجة، وأنهم بذلك يتبعون أهواءهم، ولا أحد أكثر ضلالا ممن اتبع هواه فى الدين بغير هدى من الله، إن الله لا يوفق من ظلم نفسه باتباع الباطل دون أن ينشد حقاً.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فإن لم يستجيبوا لك} ..... أي: بالإتيان بالكتاب الذي هو أهدى من التوراة والقرآن.

{فاعلم أنما يتبعون أهواءهم} ..... في كفرهم ليس غير، فلا عقل ولا كتاب منير.

{ومن أضل ممن اتبع هواه} ..... أي: لا أضل منه قط.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {50} قَالَ الله: {فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ} فَإِن لم يجيبوك الظلمَة بِمَا سَأَلتهمْ {فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ} بِالْكفْر والشرك وَعبادَة الْأَوْثَان

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (49)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (391/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (391/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (583/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وَمَنْ أَضَلُّ} أكفر عَن الْحق وَالْهدى {مِمَّن اتبع هَوَاهُ} بِالْكفْر والشرك وَعبادَة الْأَوْثَان {بِغَيْرِ هُدىً مِّنَ الله} بِغَيْر حجَّة وَبَيَان من الله {إِنَّ الله لاَ يَهْدِي} لاَ يرشد إِلَى دينه {الْقَوْم الظَّالمين} الْمُشْركين أَبَا جهل وَأَصْحَابه.(1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {50} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ} أَيْ لَمْ يَأْتُوا بِمَا طَلَبْتَ، {فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}.(2)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {50} قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ} أَيْ: فَإِنْ لَمْ يُجِيبُوكَ عَمَّا قُلْتَ لَهُمْ وَلَمْ يَتَّبِعُوا الْحَقَّ.

{فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ} أَيْ: بِلَا دَلِيلٍ وَلَا حُجَّةٍ.

{وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ} أَيْ: بِغَيْرِ حُجَّةٍ مَأْخُوذَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، {إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِين}.(3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {50} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ} فلم يأتوا بكتاب أهدى منهما.

{فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ} أي: فاعلم أن تركهم اتباعك، ليسوا ذاهبين إلى حق يعرفونه، ولا إلى هدى، وإنما ذلك مجرد اتباع لأهوائهم.

{وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ} فهذا من أضل الناس، حيث عرض عليه الهدى، والصراط المستقيم، الموصل إلى الله وإلى دار كرامته، فلم يلتفت إليه ولم يقبل عليه، ودعاه هواه إلى سلوك الطرق الموصلة إلى الهلاك والشقاء فاتبعه وترك الهدى، فهل أحد أضل ممن هذا وصفه؟ " ولكن ظلمه وعدوانه، وعدم محبته للحق، هو الذي أوجب له: أن يبقى على ضلاله ولا يهديه الله،

فلهذا قال: {إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} أي: الذين صار الظلم لهم وصفا والعناد لهم نعتا، جاءهم الهدى فرفضوه، وعرض لهم الهوى، فتبعوه، سدوا على أنفسهم أبواب الهداية وطرقها، وفتحوا عليهم أبواب الغواية وسبلها، فهم في غيهم وظلمهم يعمهون، وفي شقائهم وهلاكهم يترددون.

وفي قوله: {فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ} دليل على أن كل من لم يستجب للرسول، وذهب إلى قول مخالف

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (50) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.
(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامُ (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (50).
(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامُ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (50).

لقول الرسول، فإنه لم يذهب إلى هدى، وإنما ذهب إلى هوى.(1)

* * *

﴿ من فَوائِدِ الآيَاتِ ﴾
﴿ سُورَةُ الْقَصَص: 44 - 50 ﴾

- نفي علم الغيب عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلاَ ما أطلعه الله عليه.
- اندراس العلم بتطاول الزمن.
- تحدّي الكفار بالإتيان بما هو أهدى من وحي الله إلى رسله.
- ضلال الكفار بسبب اتباع الهوى، لا بسبب اتباع الدليل.(2)

* * *

[٥١] ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولقد وصَّلنا للمشركين واليهود من بني إسرائيل القول بقصص الأمم السابقة، وما أحللنا عليهم من العذاب لما كذبوا رسلنا، رجاء أن يتعظوا بذلك فيؤمنوا حتَّى لا يصيبهم ما أصابهم.(3)

* * *

ولقد فصَّلنا وبيَّنا القرآن رحمة بقومك أيها الرسول " لعلهم يتذكرون، فيتعظوا به.(4)

* * *

ولقد أنزل الله القرآن عليهم متواصلا بعضه إثر بعض حسبما تقتضيه الحكمة، ومتتابعا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا، ليتدبروا ويؤمنوا بما فيها.(5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون} ..... أي: بأخبار الأولين وما أحللنا بهم من نقمتنا لما كذبوا رسلنا وأنكروا توحيدنا.

{وَصَّلْنَا} ... فَصَّلْنَا وَبَيَّنَّا.

{وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ} ... تَابَعْنَاهُ وَوَاصَلْنَاهُ وَأَنْزَلْنَاهُ لِأَهْلِ مكة شيئًا فشيئًا رَحْمَةً بِهِمْ وَلُطْفًا.

{لعلهم يتذكرون} .... أي: يتعظون فيؤمنون ويوحدون.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {51} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَد وصلنا لَهُم القَوْل} بَينا لَهُم الْقُرْآن بِالتَّوْحِيدِ {لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} لكَي يتعظوا بِالْقُرْآنِ فيؤمنوا.(6)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {51} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَة (الْقَصَص) الآية (50)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (391/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (392/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (392/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (583/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(6) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَة (الْقَصَص) الآية (51) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ)- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: بَيَّنَّا،

قَالَ: (الْفَرَّاءُ): أَنْزَلْنَا آيَاتِ الْقُرْآنِ يَتْبَعُ بَعْضُهَا بَعْضًا

قَالَ: (قَتَادَةُ): وَصَّلَ لَهُمُ الْقَوْلَ فِي هَذَا الْقُرْآنِ يَعْنِي كَيْفَ صَنَعَ بِمَنْ مَضَى.

قَالَ: (مُقَاتِلٌ): بَيَّنَّا لِكُفَّارِ مَكَّةَ بِمَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ أَخْبَارِ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ كَيْفَ عُذِّبُوا بِتَكْذِيبِهِمْ،

وَقَالَ: (ابْنُ زَيْدٍ): وَصَّلْنَا لَهُمْ خَبَرَ الدُّنْيَا بِخَبَرِ الْآخِرَةِ حَتَّى كَأَنَّهُمْ عَايَنُوا الْآخِرَةَ فِي الدُّنْيَا، {لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}. (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (إِبنِ كَثيرٍ) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآيَةِ {51} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ} قَالَ: (مُجَاهِدٌ): فَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ.

وَقَالَ: (السُّدِّيُّ): بَيَّنَّا لَهُمُ الْقَوْلَ.

وَقَالَ: (قَتَادَةُ): يَقُولُ تَعَالَى: أخبرهم كَيْفَ صُنِعَ بِمَنْ مَضَى وَكَيْفَ هُوَ صَانِعٌ، {لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}.

قَالَ: (مُجَاهِدٌ) وَغَيْرُهُ: {وَصَّلْنَا لَهُمُ} يَعْنِي: قُرَيْشًا. وَهَذَا هُوَ الظَّاهِرُ، لَكِنْ قَالَ: حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ جَعْدَةَ، عَنْ رِفَاعَةَ -رِفَاعَةُ هَذَا هُوَ ابْنُ قَرَظَةَ الْقُرَظِيِّ، وَجَعَلَهُ ابْنُ مَنْدَهْ: رِفَاعَةَ بْنَ سَمَوْأَلٍ، خَالَ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ، وَهُوَ الَّذِي طَلَّقَ تَمِيمَةَ بِنْتَ وَهْبٍ الَّتِي تَزَوَّجَهَا بَعْدَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الزُّبَيْرِ بْنِ بَاطَا، كَذَا ذَكَرَهُ (ابْنُ الْأَثِيرِ) (2) -قَالَ: نَزَلَتْ {وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ} فِي عَشَرَةٍ أَنَا أَحَدُهُمْ. رَوَاهُ (ابْنُ جَرِيرٍ)، وَ(ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) مِنْ حَدِيثِهِ. (3) (4)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (قتادة): (وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ) قال: وصل الله لهم القول في هذا القرآن يخبرهم كيف صنع بمن مضى، وكيف هو صانع (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ). (5)

* * *

أخرج - الإمام (آدم بن أبي إياس) - (رحمه الله)- (بسنده الصحيح) – عن (مجاهد): قوله: (ولقد وصلنا لهم القول) قال: قريش. (6)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي حاتم) – (رحمه الله):- حدثنا (أحمد بن سنان)، ثنا (يزيد بن هارون)، ثنا (حماد)، عن (عمرو بن دينار)،- عن (يحيى بن جعدة)، عن (رفاعة القرظي)،

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (51).

(2) انظر: (أسد الغابة) لابن الأثير (228/2).

(3) انظر: تفسير (الطبري) برقم (56/20)، ورواه الطبراني في (المعجم الكبير) برقم (53/5) – من طريق- (حماد بن سلمة) به.

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (51).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (593/19).

(6) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (53/4)، للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين).

قال: نزلت (ولقد وصلنا لهم القول) في عشرة، أنا أحدهم.[(1)]

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {51} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ} أي: تابعناه وواصلناه، وأنزلناه شيئا فشيئا، رحمة بهم ولطفا.

{لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} حين تتكرر عليهم آياته، وتنزل عليهم بيناته وقت الحاجة إليها. فصار نزوله متفرقا رحمة بهم، فلم اعترضوا على ما هو من مصالحهم؟.

* * *

فصل في ذكر بعض الفوائد والعبر في هذه القصة العجيبة.

فمنها: أن آيات الله تعالى وعبره، وأيامه في الأمم السابقة، إنما يستفيد بها ويستنير المؤمنون، فعلى حسب إيمان العبد تكون عبرته، وإن الله تعالى إنما يسوق القصص، لأجلهم، وأما غيرهم، فلا يعبأ الله بهم، وليس لهم منها نور وهدى.

ومنها: أن الله تعالى إذا أراد أمرا هيأ أسبابه، وأتى بها شيئا فشيئا بالتدريج، لا دفعة واحدة.

ومنها: أن الأمة المستضعفة، ولو بلغت في الضعف ما بلغت، لا ينبغي لها أن يستولي عليها الكسل عن طلب حقها، ولا الإياس من ارتقائها إلى أعلى الأمور، خصوصا إذا كانوا مظلومين، كما استنقذ الله أمة بني إسرائيل، الأمة الضعيفة، من أسر فرعون وملئه، ومكنهم في الأرض، وملكهم بلادهم.

ومنها: أن الأمة ما دامت ذليلة مقهورة لا تأخذ حقها ولا تتكلم به، لا يقوم لها أمر دينها ولا دنياها ولا يكون لها إمامة فيه.

ومنها: لطف الله بأم موسى، وتهوينه عليها المصيبة بالبشارة، بأن الله سيرد إليها ابنها، ويجعله من المرسلين.

ومنها: أن الله يقدر على عبده بعض المشاق، لينيله سرورا أعظم من ذلك، أو يدفع عنه شرا أكثر منه، كما قدر على أم موسى ذلك الحزن الشديد، والهم البليغ، الذي هو وسيلة إلى أن يصل إليها ابنها، على وجه تطمئن به نفسها، وتقر به عينها، وتزداد به غبطة وسرورا.

ومنها: أن الخوف الطبيعي من الخلق، لا ينافي الإيمان ولا يزيله، كما جرى لأم موسى ولموسى من تلك المخاوف.

ومنها: أن الإيمان يزيد وينقص. وأن من أعظم ما يزيد به الإيمان، ويتم به اليقين، الصبر عند المزعجات، والتثبيت من الله، عند المقلقات، كما قال تعالى. {لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} أي: ليزداد إيمانها بذلك ويطمئن قلبها.

---

(1) (التفسير - سورة القصص/51 ح370).
وأخرجه الإمام (الطبراني) (التفسير 56/20) -من طريق- (عثمان بن مسلم عن حماد بن سلمة) به.
وأخرجه الإمام (الطبراني) في (المعجم الكبير 47/5) بإسنادين إلى رفاعة،
قال: الإمام (الهيثمي) عن أحدهما: متصل ورجاله ثقات (مجمع الزوائد 88/7) و(صحح إسناده) محقق: (ابن أبي حاتم).

ومنها: أن من أعظم نعم الله على عبده، و أعظم معونة للعبد على أموره، تثبيت الله إياه، وربط جأشه وقلبه عند المخاوف، وعند الأمور المذهلة، فإنه بذلك يتمكن من القول الصواب، والفعل الصواب، بخلاف من استمر قلقه وروعه، وانزعاجه، فإنه يضيع فكره، ويذهل عقله، فلا ينتفع بنفسه في تلك الحال.

ومنها: أن العبد -ولو عرف أن القضاء والقدر ووعد الله نافذ لا بد منه- فإنه لا يهمل فعل الأسباب التي أمر بها، ولا يكون ذلك منافيا لإيمانه بخبر الله، فإن الله قد وعد أم موسى أن يرده عليها، ومع ذلك، اجتهدت على رده، وأرسلت أخته لتقصه وتطلبه.

ومنها: جواز خروج المرأة في حوائجها، وتكليمها للرجال، من غير محذور، كما جرى لأخت موسى وابنتي صاحب مدين.

ومنها: جواز أخذ الأجرة على الكفالة والرضاع، والدلالة على من يفعل ذلك.

ومنها: أن الله من رحمته بعبده الضعيف الذي يريد إكرامه، أن يريه من آياته، ويشهده من بيناته، ما يزيد به إيمانه، كما رد الله موسى على أمه، لتعلم أن وعد الله حق.

ومنها: أن قتل الكافر الذي له عهد بعقد أو عرف، لا يجوز، فإن موسى عليه السلام عدَّ قتله القبطي الكافر ذنبا، واستغفر الله منه.

ومنها: أن الذي يقتل النفوس بغير حق يعد من الجبارين الذين يفسدون في الأرض.

ومنها: أن من قتل النفوس بغير حق، وزعم أنه يريد الإصلاح في الأرض، وتهييب أهل المعاصي، فإنه كاذب في ذلك، وهو مفسد، كما حكى الله قول القبطي {إِنْ تُرِيدُ إِلا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ} على وجه التقرير له، لا الإنكار.

ومنها: أن إخبار الرجل غيره بما قيل فيه، على وجه التحذير له من شر يقع فيه، لا يكون ذلك نميمة -بل قد يكون واجبا- كما أخبر ذلك الرجل لموسى، ناصحا له ومحذرا.

ومنها: أنه إذا خاف القتل والتلف في الإقامة، فإنه لا يلقي بيده إلى التهلكة، ولا يستسلم لذلك، بل يذهب عنه، كما فعل موسى.

ومنها: أنه عند تزاحم المفسدتين، إذا كان لا بد من ارتكاب إحداهما أنه يرتكب الأخف منهما والأسلم، كما أن موسى، لما دار الأمر بين بقائه في مصر ولكنه يقتل، أو يذهب إلى بعض البلدان البعيدة، التي لا يعرف الطريق إليها، وليس معه دليل يدله غير ربه، ولكن هذه الحالة أقرب للسلامة من الأولى، فتبعها موسى.

ومنها: أن الناظر في العلم عند الحاجة إلى التكلم فيه، إذا لم يترجح عنده أحد القولين، فإنه يستهدي ربه، ويسأله أن يهديه الصواب من القولين، بعد أن يقصد

بقلبه الحق ويبحث عنه، فإن الله لا يخيب مَنْ هذه حاله. كما خرج موسى تلقاء مدين فقال: {عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ}.

ومنها: أن الرحمة بالخلق، والإحسان على من يعرف ومن لا يعرف، من أخلاق: الأنبياء، وأن من الإحسان سقي الماشية الماء، وإعانة العاجز.

ومنها: استحباب الدعاء بتبيين الحال وشرحها، ولو كان الله عالما لها، لأنه تعالى، يحب تضرع عبده وإظهار ذله ومسكنته، كما قال موسى: {رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ}.

ومنها: أن الحياء -خصوصا من الكرام- من الأخلاق الممدوحة.

ومنها: المكافأة على الإحسان لم يزل دأب الأمم السابقين.

ومنها: أن العبد إذا فعل العمل لله تعالى، ثم حصل له مكافأة عليه من غير قصد بالقصد الأول، أنه لا يلام على ذلك، كما قبل موسى مجازاة صاحب مدين عن معروفه الذي لم يبتغ له، ولم يستشرف بقلبه على عوض.

ومنها: مشروعية الإجارة، وأنها تجوز على رعاية الغنم ونحوها، مما لا يقدر العمل، وإنما مرده، العرف.

ومنها: أنه تجوز الإجارة بالمنفعة، ولو كانت المنفعة بضعا.

ومنها: أن خطبة الرجل لابنته الرجل الذي يتخيره، لا يلام عليه.

ومنها: أن خير أجير وعامل يعمل للإنسان، أن يكون قويا أمينا.

ومنها: أن من مكارم الأخلاق، أن يُحَسِّن خلقه لأجيره، وخادمه، ولا يشق عليه بالعمل، لقوله: {وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ}.

ومنها: جواز عقد الإجارة وغيرها من العقود من دون إشهاد لقوله: {وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ}.

ومنها: ما أجرى الله على يد موسى من الآيات البينات، والمعجزات الظاهرة، من الحية، وانقلاب يده بيضاء من غير سوء، ومن عصمة الله لموسى وهارون، من فرعون، ومن الغرق.

ومنها: أن من أعظم العقوبات أن يكون الإنسان إماما في الشر، وذلك بحسب معارضته لآيات الله وبيناته، كما أن من أعظم نعمة أنعم الله بها على عبده، أن يجعله إماما في الخير هاديا مهديا.

ومنها: ما فيها من الدلالة على رسالة محمد -صلى الله عليه وسلم-، حيث أخبر بذلك تفصيلا مطابقا، وتأصيلا موافقا، قصه قصا، صدق به المرسلين، وأيد به الحق المبين، من غير حضور شيء من تلك الوقائع، ولا مشاهدة لموضع واحد من تلك المواضع، ولا تلاوة درس فيها شيئا من هذه الأمور، ولا مجالسة أحد من أهل العلم، إن هو إلا رسالة

الرحمن الرحيم، ووحي أنزله عليه الكريم المنان، لينذر به قوما جاهلين، وعن النذر والرسل غافلين.

فصلوات الله وسلامه، على من مجرد خبره ينبئ أنه رسول الله، ومجرد أمره ونهيه ينبه العقول النيرة، أنه من عند الله، كيف وقد تطابق على صحة ما جاء به، وصدقه خبر الأولين والآخرين، والشرع الذي جاء به من رب العالمين، وما جبل عليه من الأخلاق الفاضلة، التي لا تناسب، ولا تصلح إلا لأعلى الخلق درجة، والنصر المبين لدينه وأمته، حتى بلغ دينه مبلغ الليل والنهار، وفتحت أمته معظم بلدان الأمصار، بالسيف والسنان، وقلوبهم بالعلم والإيمان.

ولم تزل الأمم المعاندة، والملوك الكفرة المتعاضدة، ترميه بقوس واحدة، وتكيد له المكايد، وتمكر لإطفائه وإخفائه، وإخماده من الأرض، وهو قد بهرها وعلاها، لا يزداد إلا نموا، ولا آياته وبراهينه إلا ظهورا، وكل وقت من الأوقات، يظهر من آياته ما هو عبرة لِلعَالَمِينَ، وهداية لِلعَالَمِينَ، ونور وبصيرة للمتوسمين. والحمد لله وحده. (1)

* * *

[٥٢] ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

الذين ثبتوا على الإيمان بالتوراة من قبل نزول القرآن هم بالقرآن يؤمنون لما يجدونه في كتبهم من الإخبار به ومن نعته. (2)

* * *

الذين آتيناهم الكتاب من قبل القرآن -وهم اليهود والنصارى الذين لم يبدِّلوا- يؤمنون بالقرآن وبمحمد - ﷺ -. (3)

* * *

الذين أنزلنا لهم التوراة والإنجيل من قبل نزول القرآن وآمنوا بهما وصدقوا بما فهما عن محمد وكتابه، هم بمحمد وكتابه يؤمنون. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ} .... أي: التوراة والإنجيل من قبل القرآن الكريم.

{وإذا يتلى عليهم} ..... أي: القرآن.

{هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ} ..... أي: بِمُحَمَّدٍ -صلى الله عليه وسلم-.

قال: (السُّدِّيُّ): (يَعْنِي: مُسْلِمِي الْيَهُودِ - عَبْدُاللهِ بْنُ سَلَامٍ- وَأَصْحَابُهُ).

وقال: (مقاتِلُ): (يَعْنِي: مُسْلِمِي أَهْلِ الْإِنْجِيلِ، وَهُمُ الَّذِينَ قَدِمُوا مَعَ- جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - مِنَ الْحَبَشَةِ).

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَة (القَصَص) الآية (51)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (392/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (392/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (583/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {52} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الَّذِين آتَيْنَاهُمُ الْكتاب} أعطيناهم علم التَّوْرَاة. {من قبله} من قبل مجيء مُحَمَّد - عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام- وَالْقُرْآن يَعْنِي: (عبد الله بن سَلام) وَأَصْحَابه نَحْو أَرْبَعِين رجلا مِنْهُم من جَاءَ من الشَّام وَمِنْهُم من جَاءَ من الْيمن. {هُم بِهِ} بِمُحَمد - صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- وَالْقُرْآن. {يُؤْمِنُون} يوقنون. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {52} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ} مِنْ قَبْلِ مُحَمَّدٍ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،

يَعْنِي:- مِنْ قَبْلِ القرآن،

{هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ} نَزَلَتْ فِي مُؤْمِنِي أَهْلِ الْكِتَابِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ وَأَصْحَابَهُ،

وَقَالَ: (مُقَاتِلٌ): بَلْ هُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ الَّذِي قَدِمُوا مِنَ الْحَبَشَةِ وَآمَنُوا بِالنَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،

وَقَالَ: (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ): هُمْ أَرْبَعُونَ رَجُلًا قَدِمُوا مَعَ جَعْفَرٍ مِنَ الْحَبَشَةِ عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَلَمَّا رَأَوْا مَا بِالْمُسْلِمِينَ مِنَ الْخَصَاصَةِ قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! إِنَّ لَنَا أَمْوَالًا فَإِنْ أَذِنْتَ لَنَا انْصَرَفْنَا وَجِئْنَا بِأَمْوَالِنَا فَوَاسَيْنَا الْمُسْلِمِينَ بِهَا فَأَذِنَ لَهُمْ فَانْصَرَفُوا فَأَتَوْا بِأَمْوَالِهِمْ فَوَاسَوْا بِهَا الْمُسْلِمِينَ، فَنَزَلَ فِيهِمْ.

{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ} إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} وَعَنِ - (ابْنِ عَبَّاسٍ) - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا قَالَ: نَزَلَتْ فِي ثَمَانِينَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَرْبَعُونَ مِنْ نَجْرَانَ وَاثْنَانِ وَثَلَاثُونَ مِنَ الْحَبَشَةِ وَثَمَانِيَةٌ مِنَ الشَّامِ، (2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {52} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ}.

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنِ الْعُلَمَاءِ الْأَوْلِيَاءِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِالْقُرْآنِ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ} {الْبَقَرَة: 121}،

وَقَالَ: {وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ} {آلِ عِمْرَانَ: 199}،

وَقَالَ: {إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا} {الْإِسْرَاءِ: 107، 108}،

وَقَالَ: {وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (52) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (52).

قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ. وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ} {الْمَائِدَةُ: 82، 83}.

قَالَ: (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ): نَزَلَتْ فِي سَبْعِينَ مِنَ الْقِسِّيسِينَ بَعَثَهُمُ النَّجَاشِيُّ، فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَرَأَ عَلَيْهِمْ: {يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ} حَتَّى خَتَمَهَا، فَجَعَلُوا يَبْكُونَ وَأَسْلَمُوا، وَنَزَلَتْ فِيهِمْ هَذِهِ الْآيَةُ الْأُخْرَى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ* وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ} يَعْنِي: مِنْ قَبْلِ هَذَا الْقُرْآنِ كُنَّا مُسْلِمِينَ، أَيْ: مُوَحِّدِينَ مُخْلِصِينَ لِلَّهِ مُسْتَجِيبِينَ لَهُ. (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (الطَّبَرِيُّ)– (رحمه الله) – في (تفسيره):–
(بسنده الصحيح) – عَنْ (مجاهد): ((الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (52) وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (53) أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (54) وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ (55)) في مسلمة أهل الكتاب. (2)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {52} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ}.

يذكر تعالى عظمة القرآن وصدقه وحقه، وأن أهل العلم بالحقيقة يعرفونه ويؤمنون به ويقرون بأنه الحق،

{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ} وهم أهل التوراة، والإنجيل، الذين لم يغيروا ولم يبدلوا {هُمْ بِهِ} أي: بهذا القرآن ومن جاء به {يُؤْمِنُونَ}. (3)

* * *

[٥٣] ﴿ وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وإذا يقرأ عليهم قالوا آمنا به إنه الحق الذي لا مرية فيه، المنزل من ربنا، إنا كنا من قبل هذا القرآن مسلمين لإيماننا بما جاء به الرسل من قبله. (4)

* * *

وإذا يتلى هذا القرآن على الذين آتيناهم الكتاب، قالوا: صدَّقنا به، وعملنا بما

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (52).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (52)،

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (52)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (392/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

فيه، إنه الحق من عند ربنا، إنا كنا من قبل نزوله مسلمين موحدين، فدين الله واحد، وهو الإسلام.(1)

* * *

وإذا يُقرأ القرآن على هؤلاء قالوا - مسارعين إلى إعلان الإيمان -: آمنا به لأنه الحق من ربنا، ونحن عرفنا محمدا وكتابه قبل نزوله، فإسلامنا سابق على تلاوته.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

ثم نَعَتهم اللهُ تعالى فقال: {وإذا يُتْلَى عَلَيهِمْ}... يعني: القرْآنَ،

{قَالُوا آمَنَّا بِهِ} ...... أي: صدَّقنَا بالقرْآن،

{إنَّهُ الحَقُّ مِن رَّبِّنَآ} .... لا ذكْرَ النبيِّ - صلى الله عليه وسلم -، وكان مكْتُوباً عندَهم في التَّوراة والإنجيل فلَمْ يعانِدوا، وقالوا للقرْآن: إنَّهُ الْحَقُّ منْ ربنَا،

{إنَّا كُنَّا من قبْله} ..... قبل القرْآن،

{إنا كنا من قبله مسلمين} .... أي: منقادين لله مطيعين لأمره ونهيه.

{مُسْلِمِينَ} ..... مُخلصين لله بالتوحيد، مؤمنين بمُحمَّدٍ - صلى الله عليه وسلم - أنَّهُ نَبيٌّ.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (قتادة): قوله: (وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ) قال الله (أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا) وأحسن الله عليهم الثناء كما تسمعون، فقال: (وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ).(3)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {سُورَة القَصَص} الآية {53} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذا يُتْلَى عَلَيْهِم} يقْرَأ عَلَيْهِم الْقُرْآن بنعت مُحَمَّد - صلى الله عَلَيْهِ وَسلم - وَصفته

{قَالُوا آمنا بِهِ} بِمُحَمد - صلى الله عَلَيْهِ وَسلم - وَالْقُرْآن.

{إِنَّهُ الْحق من رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا من قَبْلِهِ} من قبل قِرَاءَة الْقُرْآن علينا.

{مُسلمين} مقرين بِمُحَمد - صلى الله عَلَيْهِ وَسلم - وَالْقُرْآن.(4)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَة القَصَص} الآية {53} ثُمَّ وَصَفَهُمُ اللَّهُ فَقَالَ: {وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ} يَعْنِي: الْقُرْآنَ، {قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا} وَذَلِكَ أَنَّ ذِكْرَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، {إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ} أَيْ: مِنْ قَبْلِ الْقُرْآنِ مُسْلِمِينَ مُخْلِصِينَ لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ مُؤْمِنِينَ

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (392/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (583/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) (للإمام (الطبري)) (597/19).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَة (القَصَص) الآية (53) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

بِمُحَمَّدٍ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ نَبِيٌّ حَقٌّ.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {53} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ} استمعوا له وأذعنوا و {قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا} لموافقته ما جاءت به الرسل، ومطابقته لما ذكر في الكتب، واشتماله على الأخبار الصادقة، والأوامر والنواهي الموافقة، لغاية الحكمة.

وهؤلاء الذين تفيد شهادتهم، وينفع قولهم، لأنهم لا يقولون ما يقولون إلا عن علم وبصيرة، لأنهم أهل الصنف وأهل الكتب، وغيرهم لا يدل ردهم ومعارضتهم للحق على شبهة، فضلا عن الحجة، لأنهم ما بين جاهل فيه أو متجاهل معاند للحق.

قال تعالى: {قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا} الآيات.

وقوله: {إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ} فلذلك ثبتنا على ما مَنَّ الله به علينا من الإيمان، فصدقنا بهذا القرآن، آمنا بالكتاب الأول والكتاب الآخر، وغيرنا ينقض تكذيبه بهذا الكتاب، إيمانه بالكتاب الأول.(2)

* * *

[٥٤] ﴿ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

أولئك الموصوفون بما ذكِر يعطيهم الله ثواب عملهم مرتين بسبب صبرهم على الإيمان بكتابهم، وبإيمانهم بمحمد - صلى الله عليه وسلم - حين بُعث، ويدفعون بحسنات أعمالهم الصالحة ما اكتسبوه من الآثام، ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير.(3)

* * *

هؤلاء الذين تقدَّمَتْ صفتهم يُؤتَوْن ثواب عملهم مرتين: على الإيمان بكتابهم، وعلى إيمانهم بالقرآن بما صبروا، ومن أوصافهم أنهم يدفعون السيئة بالحسنة، ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير والبر.(4)

* * *

أولئك الذين آمنوا بالقرآن وبما أنزل من قبله من كتب يعطون ثوابهم مضاعفا، بصبرهم على ما يلحقهم من الأذى فى سبيل الإيمان، ويؤثرون العمل الصالح، ويقابلون بالعفو والإحسان، وينفقون فى سبيل الخير مما منحهم الله من مال.(5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (53).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (53)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (392/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (392/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (583/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

ثــم أثنَــى اللهُ علــيهم خــيراً ، فقــالَ: {أُوْلَئِـك يُؤْتَـونَ أَجْـرَهُم مَّـرَّتَيْنِ بِمَـا صَـبَرُواْ} ..... مـرَّةً بتمسُّـكِهم بـدِينهم حتـى أدركُـوا مُحَمَّـداً -صـلى الله عليـه وسـلم- فـآمَنُوا بـه ، ومـرَّةً بإيْمـانهم بـه.

وقــال: (قتــادةُ): (كَمَـا صَـبَرُواْ عَلَـى الْكِتَـاب الأوَّلِ وَالْكِتَاب الثَّاني) ،

وقيــل: مــرَّةً لإيْمــانهم بموسَــى ومــرَّةً لإيْمَـانهم بمُحَمَّد- صلى الله عليه وسلم-.

{أجــرهم مــرتين} ..... أي: يضــاعف لهــم الثــواب لأنهــم آمنــوا بموســى وعيســى وآمنــوا بمحمد- صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.

{مَرَّتَيْنِ} ... لِإِيمَانِهِمْ بِكِتَابِهِمْ وَبِالْقُرْآنِ.

{وَيدْرَؤُونَ} ... يَدْفَعُونَ.

{وَيَــــدْرَؤُنَ بِالْحَسَــــنَةِ السَّــــيِّئَةَ} ..... أي: يــدفعون بالحســنة مــن القــول أو الفعــل الســيئة منهما.

(أي: يـــــدفَعُونَ بشـــــهادَةِ أنْ لا إلَـــــهَ إلاَّ اللهُ الشِّرْك) ،

كــذا قــال (ابــنُ عبَّــاس) ، وقــال: (مقاتــلُ): (يَـــدْفَعُونَ مَـــا يَلْحَقُهُــمْ مِــنْ أذيَـــةِ الْكَـــافِرِيْنَ وَشَتْمِهِمْ لَهُمْ بِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ وَالاحْتِمَالِ).

{وممَّـــا رَزَقْنَـــاهُمْ يُنفِقُـــونَ} .... مِـــنَ الأمــوالِ في طاعة الله.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفســير ابــن عبــاس) - قــال: الإِمَــام (مجــد الــدين الفــيروز آبــادى) - (رحمــه الله):- {سُــورَةُ الْقَصَــص} الآيــة {54} قَوْلُــهُ تَعَــالَى:

{أُولَئِك} أهــل هَــذِه الصّــفة. {يُؤْتَــونَ أَجْــرَهُم مَّرَّتَيْنِ} يُعْطون ثوابهم ضعفين.

{بِمَــا صَــبَرُواْ} علــى أذى الْكفَّــار وطعــنهم مَتــى بينــوا صــفة مُحَمَّــد- صــلى اللهُ عَلَيْــه وَسَــلم- ونعتــه فــي كتَــابهمْ ودخلــوا فــي ديــن مُحَمَّــد- عَلَيْه الصَّلَاة وَالسَّلَام.

{ويــدرؤون بِالْحَسَــنَةِ السَّــيِّئَةَ} يــدْفَعُونَ بــالْكَلَام الْحسَــن بِــ (لَا إِلَــه إِلَا الله) الْكَــلَام الْقَبِــيح الشّرك من غَيرهم.

{ومِمَّـــا رَزَقْنَـــاهُمْ} أعطينــــاهم مـــن الـــأَمْوَال {يُنفِقُونَ} يتصدقون. (1)

* * *

قــال: الإِمَــامُ (البغــوي) – (مُحيــي السُــنَّة) - (رحمــه الله) - في (تفســـــــيره):- {سُــــــورَةُ الْقَصَــص} الآيــة {54} قَوْلُــهُ تَعَــالَى: {أُولَئِــك يُؤْتَــوْنَ أَجْــرَهُمْ مَــرَّتَيْنِ} لِإِيمَــانِهِمْ بِالْكِتَــابِ الْأَوَّلِ وَبِالْكِتَابِ الْآخِرِ،

{بِمَا صَبَرُوا} عَلَى دِينِهِمْ،

قَــالَ: (مُجَاهِــدٌ): نَزَلَــتْ فِــي قَــوْمٍ مِــنْ أَهْــلِ الْكِتَابِ أسلموا فأوذوا،

قَــالَ: (ابْــنُ عَبَّــاس) -رَضِــيَ اللَّــهُ عَنْهُمَــا: يَدْفَعُونَ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الشِّرْكَ،

قَــالَ: (مُقَاتِــلٌ): يَــدْفَعُونَ مَــا سَــمِعُوا مِــنَ الْــأَذَى وَالشَّــتْمِ مِــنَ الْمُشْــرِكِينَ بِالصَّــفْحِ والعفــو والمغفرة،

{وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} فِي الطَّاعَةِ. (2)

* * *

قــال: الإمــام (عبــد الــرحمن بــن ناصــر الســعدي) - رحمـــه الله - في (تفســـيره):- {سُــورَةُ

---

(1) انظــر: (تنــوير المقبــاس مــن تفســير ابــن عبــاس) في سُــورَةُ (الْقَصَــص) الآية (54) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما - .

(2) انظــر: (مختصــر تفســير البغــوي = المســمى بمعــالم التنزيــل) لِلْإِمَــامْ (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (54).

القَصَص} الآية {54} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{أُولَئِكَ} الذين آمنوا بالكتابين {يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ} أجرا على الإيمان الأول، وأجرا على الإيمان الثاني،

{بِمَا صَبَرُوا} على الإيمان، وثبتوا على العمل، فلم تزعزعهم عن ذلك شبهة، ولا ثناهم عن الإيمان رياسة ولا شهوة.

ومن خصالهم الفاضلة، التي من آثار إيمانهم الصحيح، أنهم {وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ} أي: دأبهم وطريقتهم الإحسان لكل أحد، حتى للمسيء إليهم بالقول والفعل، يقابلونه بالقول الحميد والفعل الجميل، لعلمهم بفضيلة هذا الخلق العظيم، وأنه لا يوفق له إلا ذو حظ عظيم.[1]

* * *

قال: الإِمَامْ (ابن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ القَصَص} الآية {54} قَالَ اللَّهُ: {أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا} أَيْ: هَؤُلَاءِ الْمُتَّصِفُونَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ الْأَوَّلِ ثُمَّ بِالثَّانِي يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِإِيمَانِهِمْ بِالرَّسُولِ الْأَوَّلِ ثُمَّ بِالثَّانِي " وَلِهَذَا قَالَ: {بِمَا صَبَرُوا} أَيْ: عَلَى اتِّبَاعِ الْحَقِّ" فَإِنَّ تَجَشُّمَ مِثْلِ هَذَا شَدِيدٌ عَلَى النُّفُوسِ.

وَقَدْ وَرَدَ فِي الصَّحِيحَيْنِ -مِنْ حَدِيثِ- (عَامِرٍ الشَّعْبِيِّ)، عَنْ (أَبِي بُرْدَةَ)، عَنْ (أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ)- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَرَّتَيْنِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ ثُمَّ آمَنَ بِي، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَدَّى حَقَّ اللَّهِ وَحَقَّ مَوَالِيهِ، ورجل كَانَتْ لَهُ أمة فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا ثُمَّ أَعْتَقَهَا فتزوَّجها)).[2]

وقوله: {وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ} أَيْ: لَا يُقَابِلُونَ السَّيِّئَ بِمِثْلِهِ، وَلَكِنْ يَعْفُونَ وَيَصْفَحُونَ.

{وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} أَيْ: وَمِنَ الَّذِي رَزَقَهُمْ مِنَ الْحَلَالِ يُنْفِقُونَ عَلَى خَلْقِ اللَّهِ فِي النَّفَقَاتِ الْوَاجِبَةِ لِأَهْلِهِمْ وَأَقَارِبِهِمْ، وَالزَّكَاةِ الْمَفْرُوضَةِ وَالْمُسْتَحَبَّةِ مِنَ التَّطَوُّعَاتِ، وَصَدَقَاتِ النَّفْلِ والقربات.[3]

* * *

قوله تعالى: {أولئك يؤتون أجرهم مرتين}.

قَال: الإمام (مسلم) – (رحمه الله) - في (صحيحه) – (بسنده):- حدثنا يحيى بن يحيى، أخبرنا هشيم، عن صالح بن صالح الهَمْداني، عن الشعبي، قال: رأيت رجلا من أهل خراسان سأل الشعبي فقال: يا أبا عمرو! إن مَنْ قبلنا من أهل خراسان يقولون، في الرجل، إذا أعتق أمته ثم تزوجها: فهو كالراكب بدنته. فقال: (الشعبي): حدثني (أبو برده بن أبي موسى))، عن أبيه، أن رسول الله –

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَة (القَصَص) الآية (54)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (97) – (كتاب: العلم).
وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (154) – (كتاب: الإيمان).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَة (القَصَص) الآية (54).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((ثلاثة يُؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فآمن به واتّبعه وصدّقه، فله أجران. وعبدٌ مملوك أدّى حق الله تعالى وحق سيده، فله أجران. ورجل كانت له أمة فغذاها فأحسن غذاءها. ثم أدّبها فأحسن أدبها. ثم أعتقها وتزوجها، فله أجران)).

ثم قال: (الشعبي للخراساني): خذ هذا الحديث بغير شيء، فقد كان الرجل يرحل فيما دون هذا إلى المدينة. (1)

* * *

قال: الإمام (أحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - (رحمه الله) - في (المُسنَد) – (بِسنده):- ثنا يحيى بن إسحاق السيلحيني، ثنا ابن لهيعة، عن سليمان بن عبد الرحمن، عن القاسم، عن (أبي أمامة)، قال: إني لتحت راحلة رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يوم الفتح، فقال: قولا حسناً جميلاً، وكان فيما قال: ((من أسلم من أهل الكتابين فله أجره مرتين وله ما لنا وعليه ما علينا، ومن أسلم من المشركين فله أجره وله ما لنا وعليه وما علينا)). (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري)– (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (قتادة): (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ) لا يجارون أهل الجهل والباطل في باطلهم، أتاهم من أمر الله ما وقذهم عن ذلك. (3)

* * *

[٥٥] ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وإذا سمع هؤلاء المؤمنون من أهل الكتاب الباطل من القول أعرضوا عنه غير ملتفتين إليه، وقالوا مخاطبين أصحابه: لنا جزاء أعمالنا، ولكم جزاء أعمالكم، سلمتم منا من الشتم والأذى، لا نبتغي مصاحبة أصحاب الجهل لما فيها من الضرر والأذى على الدين والدنيا. (4)

* * *

وإذا سمع هؤلاء القوم الباطل من القول لم يُصْغوا إليه، وقالوا: لنا أعمالنا لا نحيد عنها، ولكم أعمالكم ووزرها عليكم، فنحن لا نشغل أنفسنا بالرد عليكم، ولا تسمعون منَّا إلا الخير، ولا نخاطبهم بمقتضى جهلكم" لأننا لا نريد طريق الجاهلين ولا نحبها. وهذا من خير ما يقوله الدعاة إلى الله. (5)

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (134/1-135)،(ح154) .- (كتاب: الإيمان)،/ باب: (وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

(2) أخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (259/5) .
وأخرجه الإِمَامْ (الطبراني) في (المعجم الكبير) رقم (224/8)، (ح7786) -من طريق-: (عبد الله بن صالح عن الليث عن سليمان بن عبد الرحمن) به، فهذه متابعة من (الليث بن سعد لابن لهيعة) يتقوى بها حديثه. فيكون حسناً إن شاء الله) .

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (597/19).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (392/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (392/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

* * *

وإذا سمعوا الباطل من الجاهلين انصرفوا عنه تنزها وترفعا، وقالوا: لنا أعمالنا الحقة لا نحيد عنها، ولكم أعمالكم الباطلة ووزرها عليكم، ونحن نترككم وشأنكم لأننا لا نريد صحبة الجاهلين.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ} .... وإذا سمع هؤلاء القوم الباطل.

{وإذا سمعوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ} ..... أي: الكلام اللاغي الذي لا يقبل ولا يقر عليه لأنه لا يحقق درهماً للمعاش ولا حسنة للمعاد.

{اللَّغْوَ} ... البَاطِل من القول.

{أَعْرَضُوا عَنْهُ} ... لَمْ يُصْغُوا إِلَيْهِ،

(أي: انصرفوا عنه).

{سَلَامٌ عَلَيْكُمْ} ... ونحن نترككم وشأنكم،

(أي: لاَ تَسْمَعُونَ منَّا إلاَ الخَيْر" قَدْ سَلِمْتُمْ منَّا).

{سلام عليكم} .... هذا سلام المتاركة، أي: قالوا قولا يسلمون به.

{لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ} ... لا نريد صحبة الجاهلين، (أي: لاَ نُرِيدُ طَرِيقَةَ الغَافِلِينَ عَنِ الحَلَمَةِ وَالحِلْمِ).

(أي: لا نطلب صحبة أهل الجهل لما فيها من الأذى).

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ القَصَص} الآية {55} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ} الْبَاطِل يَعْنِي: طعنة الْكفَّار عَلَيْهِم {أَعْرَضُوا عَنْهُ} كراماً {وَقَالُوا} مَعْرُوفا {لَنَا أَعْمَالُنَا} عبَادَة الله وَدين الْإِسْلَام {وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ} عَلَيْكُم أعمالكم عبَادَة الْأَوْثَان وَدين الشَّيْطَان الشّرك بِاللَّه {سَلَامٌ عَلَيْكُمْ} هداكُمْ الله {لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ} لَا نطلب دين الْمُشْركين بِاللَّه.(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ القَصَص} الآية {55} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ} الْقَبِيحَ مِنَ الْقَوْلِ، {أَعْرَضُوا عَنْهُ} وَذَلِكَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَسُبُّونَ مُؤْمِني أَهْلِ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ: تَبًّا لَكُمْ تَرَكْتُمْ دِينَكُمْ فَيُعْرِضُونَ عَنْهُمْ وَلَا يَرُدُّونَ عَلَيْهِمْ،

{وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ} لَنَا دِينُنَا وَلَكُمْ دِينُكُمْ،

{سَلَامٌ عَلَيْكُمْ} لَيْسَ الْمُرَادُ مِنْهُ سَلَامَ التَّحِيَّةِ وَلَكِنَّهُ سَلَامُ الْمُتَارَكَةِ، مَعْنَاهُ سَلِمْتُمْ منا لا نعاوضكم بالشتم والقبح مِنَ الْقَوْلِ،

{لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ} أَيْ: دِينَ الْجَاهِلِينَ، يَعْنِي لَا نُحِبُّ دِينَكُمُ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ.

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (584/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (55) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما - .

يعنْــي:- لاَ نُريــدُ أَنْ نَكُــونَ مِــنْ أهــلِ الجهــلِ والسـعة، وَهَـذَا قَبْـلَ أَنْ يُـؤْمَرَ الْمُسْـلِمُونَ بالقتال. (1)

* * *

قَــال: الإِمَــامُ (إبــن كــثير) – (رحمــه اللهُ) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآيَة {55} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ} أَيْ: لاَ يُخَالِطُونَ أَهْلَهُ وَلاَ يُعَاشِرُونَهُمْ، بَلْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا} {الْفُرْقَانِ: 72}.

{وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لاَ نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ} أَيْ: إِذَا سَفِهَ عَلَيْهِمْ سَفِيه، وَكَلَّمَهُمْ بِمَا لاَ يَلِيقُ بِهِمُ الْجَوابُ عَنْهُ، أَعْرَضُوا عَنْهُ وَلَمْ يُقَابِلُوهُ بِمِثْلِهِ مِنَ الْكَلاَمِ الْقَبِيحِ، وَلاَ يَصْدُرُ عَنْهُمْ إِلاَ كَلاَمٌ طَيِّبٌ. وَلِهَذَا قَالَ عَنْهُمْ: إِنَّهُمْ قَالُوا: {لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لاَ نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ} أَيْ: لاَ نُرِيدُ طَرِيقَ الْجَاهِلِينَ وَلاَ نُحبها.

قَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ) فِي (السِّيرَةِ): ثُمَّ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ بِمَكَّةَ عِشْرُونَ رَجُلًا أَوْ قَرِيبٌ مِنْ ذَلِكَ، مِنَ النَّصَارَى، حِينَ بَلَغَهُمْ خَبَرُهُ مِنَ الْحَبَشَةِ. فَوَجَدُوهُ فِي الْمَسْجِدِ، فَجَلَسُوا إِلَيْهِ وَكَلَّمُوهُ وَسَاءَلُوهُ -وَرِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ فِي أَنْدِيَتِهِمْ حَوْلَ الْكَعْبَةِ -فَلَمَّا فَرَغُوا مِنْ مُسَاءَلَةِ رَسُولِ اللَّهِ عَمَّا أَرَادُوا، دَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ وَتَلاَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ فَاضَتْ أَعْيُنُهُمْ مِنَ الدَّمْعِ، ثُمَّ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَآمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، وَعَرَفُوا مِنْهُ مَا كَانَ يُوصَفُ لَهُمْ فِي كِتَابِهِمْ مِنْ أَمْرِهِ. فَلَمَّا قَامُوا عَنْهُ اعْتَرَضَهُمْ أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالُوا لَهُمْ: خَيَّبَكُمُ اللَّهُ مِنْ رَكْبٍ. بَعَثَكُمْ مَنْ وَرَاءَكُمْ مِنْ أَهْلِ دِينِكُمْ تَرْتَادُونَ لَهُمْ لِتَأْتُوهُمْ بِخَبَرِ الرَّجُلِ، فَلَمْ تَطْمَئِنَّ مَجَالِسُكُمْ عِنْدَهُ حَتَّى فَارَقْتُمْ دِينَكُمْ وَصَدَّقْتُمُوهُ فِيمَا قَالَ" مَا نَعْلَمُ رَكْبًا أَحْمَقَ مِنْكُمْ. أَوْ كَمَا قَالُوا لَهُمْ. فَقَالُوا لَهُمْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ، لاَ نُجَاهِلُكُمْ، لَنَا مَا نَحْنُ عَلَيْهِ، وَلَكُمْ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ، لَمْ نَأْلُ أنفسَنا خَيْرا.

قَالَ: وَيُقَالُ: إِنَّ النَّفَرَ النَّصَارَى مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ أَيُّ ذَلِكَ كَانَ.

قَالَ: وَيُقَالُ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ- إِنَّ فِيهِمْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ} إِلَى قَوْلِهِ: {لاَ نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ}.

قَالَ: وَقَدْ سَأَلْتُ الزُّهْرِيَّ عَنْ هَذِهِ الْآيَاتِ فِيمَنْ أنزلن، قَالَ: مَا زِلْتُ أسمع من علمائنا أنهن أنزلن فِي النَّجَاشِيِّ وَأَصْحَابِهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَالْآيَاتُ الَّتِي فِي سُورَةِ {الْمَائِدَةِ}: {ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا} إِلَى قَوْلِهِ: {فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ} {الْمَائِدَة: 82، 83}. (2)

* * *

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَام (البغوي) سُورَةُ (القَصَص) الآية (55).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (55).

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {55} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ} من جاهل خاطبهم به، {قَالُوا} مقالة عباد الرحمن أولي الألباب: {لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ} أي: كُلٌّ سَيُجازَى بعمله الذي عمله وحده، ليس عليه من وزر غيره شيء. ولزم من ذلك، أنهم يتبرءون مما عليه الجاهلون، من اللغو والباطل، والكلام الذي لا فائدة فيه.

{سَلَامٌ عَلَيْكُمْ} أي لا تسمعون منا إلا الخير، ولا نخاطبكم بمقتضى جهلكم، فإنكم وإن رضيتم لأنفسكم هذا المرتع اللئيم، فإننا ننزه أنفسنا عنه، ونصونها عن الخوض فيه،

{لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ} من كل وجه. (1)

* * *

[٥٦] ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إنك –أيها الرسول – ﷺ – لا تهدي من أحببت مثل – أبي طالب– وغيره بتوفيقه للإيمان، ولكن الله وحده هو الَّذي يوفق من يشاء للهداية، وهو أعلم بمن سبق في علمه أنَّه من المهتدين إلى الصراط المستقيم. (2)

* * *

إنك –أيها الرسول – ﷺ –لا تهدي هداية توفيق مَن أحببت هدايته، ولكن ذلك بيد الله يهدي مَن يشاء أن يهديه للإيمان، ويوفقه إليه، وهو أعلم بمن يصلح للهداية فيهديه. (3)

* * *

إنك – أيها الرسول– ﷺ – شديد الحرص على هداية قومك، ولكنك لا تستطيع أن تدْخل فى الإسلام كل من تحب، ولكن الله يهدى للإيمان من علم فيهم قبول الهداية واختيارها، وهو الذى يعلم علما ليس فوقه علم من سيدخل فى صفوف المهتدين. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

وَنَزَلَ فِي حِرْصِهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– على إيمان عمه –أبي طالب.

{إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} .... أي: هدايته كأبي طالب بأن يسلم و يحسن إسلامه.

{مَنْ أَحْبَبْتَ} .... من تحرص على هدايته.

{وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} ...... من ستنفعه هدايتك.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) – قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {56} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّكَ} يا مُحَمَّد–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، {لَا تَهْدِي} لا تعرف {مَنْ أَحْبَبْتَ} إيمَانه يَعْنِي: أَبَا طَالب

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (55)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (392/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (392/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (584/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي} يوفق ويرشد ويعرف {مَن يَشَآءُ} لدينه أَبَا بكر وعمر وأصحابهما {وَهُوَ أَعْلَمُ بِالمهتدين} لدينه.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ القَصَص} الآية {56} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}.

يخبر تعالى أنك يا محمد -وغيرك من باب أولى- لا تقدر على هداية أحد، ولو كان من أحب الناس إليك، فإن هذا أمر غير مقدور للخلق هداية للتوفيق، وخلق الإيمان في القلب، وإنما ذلك بيد الله سبحانه تعالى، يهدي من يشاء، وهو أعلم بمن يصلح للهداية فيهديه، ممن لا يصلح لها فيبقيه على ضلاله.

وأما إثبات الهداية للرسول في قوله تعالى: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} فتلك هداية البيان والإرشاد، فالرسول يبين الصراط المستقيم، ويرغب فيه، ويبذل جهده في سلوك الخلق له، وأما كونه يخلق في قلوبهم الإيمان، ويوفقهم بالفعل، فحاشا وكلا.

ولهذا، لو كان قادرا عليها، لهدى من وصل إليه إحسانه، ونصره ومنعه من قومه، عمه أبا طالب، ولكنه أوصل إليه من الإحسان بالدعوة للدين والنصح التام، ما هو أعظم مما فعله معه عمه، ولكن الهداية بيد الله تعالى.(2)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ القَصَص} الآية {56} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} أي: أَحْبَبْتَ هِدَايَتَهُ. يَعْنِي:- أَحْبَبْتَهُ لِقَرَابَتِه،

{وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} قال: (مجاهد)، و(مقاتل): بمن قُدِّرَ لَهُ الْهُدَى،

نَزَلَتْ فِي (أَبِي طَالِبٍ) قَالَ لَهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((قُلْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ أَشْهَدْ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ: لَوْلاَ أَنْ تُعَيِّرَنِي قُرَيْشٌ يَقُولُونَ: إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ الْجَزَعُ لأَقْرَرْتُ بِهَا عَيْنَكَ))، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ.(3) (4)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ القَصَص} الآية {56} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}.

يَقُولُ تَعَالَى لِرَسُوله، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ: إِنَّكَ يَا مُحَمَّدُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (56) يُنسب: لـ(عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (56)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (24) - (1 / 55)، - (كتاب: الإيمان).

والإمام (البخاري) مطولا بلفظ آخر في التفسير برقم (8 / 605).

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (القَصَص) الآية (56).

{إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} أَيْ: لَيْسَ إِلَيْكَ ذَلِكَ، إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ، وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَلَهُ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ وَالْحُجَّةُ الدَّامِغَةُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} {الْبَقَرَة: 272}، وَقَالَ: {وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ} {يُوسُف: 103}.

وَهَذِهِ الْآيَةُ أَخَصُّ مِنْ هَذَا كُلِّهِ" فَإِنَّهُ قَالَ: {إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} أَيْ: هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الهداية بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الغواية،

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ: أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي (أَبِي طَالِبٍ) عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَقَدْ كَانَ يَحوطُه وَيَنْصُرُهُ، وَيَقُومُ فِي صَفِّه وَيُحِبُّهُ حُبًّا شَدِيدًا طَبْعِيًّا لاَ شَرْعِيًّا، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ وَحَانَ أَجَلُهُ، دَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى الْإِيمَانِ وَالدُّخول فِي الْإِسْلاَمِ، فَسَبَقَ الْقَدَرُ فِيهِ، وَاخْتُطِفَ مِنْ يَدِه، فَاسْتَمَرَّ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ، وَلِلَّه الْحِكْمَةُ التَّامَّةُ.

قَالَ: (الزُّهْرِيّ): حَدَّثَنِي (سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ)، عَنْ أَبِيهِ -وَهُوَ (الْمُسَيَّبُ بْنُ حَزْنٍ الْمَخْزُومِيُّ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، وَ(عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ). فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "يَا عَمِّ، قُلْ: لاَ إِلَهَ إلاَ اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ". فَقَالَ: أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيَعُودَانِ لَهُ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ، حَتَّى قَالَ آخِرَ مَا قَالَ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لاَ إِلَهَ إلاَ اللَّهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "أَمَا لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ".

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى} {التوبة: 113}،

وأنزل فِي (أَبِي طَالِبٍ): {إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ}. (1)

أَخْرَجَاهُ مِنْ حَدِيث (الزُّهْرِيِّ).

وَهَكَذَا رَوَاهُ (مُسْلِمٌ) فِي (صَحِيحه)، وَ(التِّرْمِذِيّ)، مِنْ حَدِيث يَزِيدُ بْنُ كَيْسَانَ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ وفاةُ (أَبِي طَالِبٍ) أَتَاهُ رسولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: "يَا عَمَّاهُ، قُلْ: لاَ إِلَهَ إلاَ اللَّهُ، أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ". فَقَالَ: لَوْلاَ أَنْ تُعَيِّرَنِي بِهَا قُرَيْشٌ، يَقُولُونَ: مَا حَمَلَهُ عَلَيْهِ إِلاَ جَزَعُ الْمَوْتِ، لأَقْرَرْتُ بِهَا عينَك، لاَ أَقُولُهَا إِلاَ لأُقِرَّ بِهَا عَيْنَكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}.

---

(1) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامُ (الْبُخَارِي) في (صحيحه) برقم (1360) – (كتاب: الجنائز).
وأخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (24) – (كتاب: الإيمان).
وانظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامُ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (56).

وَقَالَ (التِّرْمِذِيُّ): (حَسَنٌ غَرِيبٌ)[1]، لا نَعْرِفُهُ إلا من حديث يَزِيدَ بْنِ كَيْسَانَ.

ورَوَاه الْإِمَامُ (أَحْمَدُ): عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيد الْقَطَّانِ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ كَيْسَانَ، حَدَّثَنِي أَبُو حَازِمٍ، عَنْ (أَبِي هريرة)، فذكره بنحوه.

وَهَكَذَا قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ)، وَ(ابْنُ عُمَرَ)، وَ(مُجَاهِدٌ)، وَ(الشَّعْبِيُّ)، وَ(قَتَادَةُ): إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَبِي طَالِبٍ حِينَ عَرَضَ عَلَيْهِ رسول اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يَقُولَ: "لَا إِلَهَ إِلَا اللَّهُ" فَأَبَى عَلَيْهِ ذَلِكَ، وَقَالَ: أَيِ ابْنَ أَخِي، مِلَّةَ الْأَشْيَاخِ. وَكَانَ آخِرَ مَا قَالَ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.[2]

* * *

قوله تعالى: {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين}.

قال الإمام (البخاري) – (رحمه الله) - في (صحيحه) – (بسنده):- حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري قال: أخبرني (سعيد بن المسيب) عن (أبيه) قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءهُ رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فوجد عنده (أبا جهل) و(عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة) فقال: أي عمّ، قل: لا إله إلا الله كلمةً أحاجّ لك بها عند الله. فقال: (أبو جهل)، و(عبد الله بن أبي أمية): أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يعرضها عليه ويُعيدانه بتلك المقالة حتى قال: (أبو طالب) آخر ما كلمهم: على ملة (عبد المطلب)، وأبى أن يقول: (لا الله إلا الله).

قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: لأستغفرن لك ما لم أُنه عنك. فأنزل الله {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ} (التوبة: 113).

وأنزل الله في (أبي طالب) فقال: لرسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – {إنك لا تهدي من أحببت، ولكن الله يهدي من يشاء}.[3][4]

* * *

أخرج - الإمام (آدم بن أبي إياس) - (رحمه الله):- (بسنده الصحيح) – عن (مجاهد): قوله: (وهو أعلم بالمهتدين) قال: بمن قدر له الهدى والضلالة.[5][6]

* * *

قال: الشيخ (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن نبيه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لا يهدي من أحب هدايته، ولكنه جل وعلا هو الذي يهدي من يشاء هداه، وهو أعلم بالمهتدين. وهذا المعنى الذي دلت عليه الآية موضحا في آيات كثيرة كقوله: {إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل} الآية،[7]

---

(1) رواه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (3/441)- من طريق- (حماد بن سلمة) بنحوه.

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (56).

(3) (صحيح): أخرجه الإمام (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (8/365)، (ح4772)– (كتاب: تفسير القرآن) – (سورة القصص).

(4) (صحيح): أخرجه الإمام (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (1/54) – (ح24) – (كتاب: الإيمان)، / باب: (الدليل على صحة إسلام من حضره الموت).

(5) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (4/55)، للشيخ: (أ. الدكتور: حكمت بن بشير بن ياسين).

(6) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (19/600).

(7) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للإمام (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (القصص) الآية (56).

وقوله: {وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ}. (1)

* * *

[٥٧] ﴿ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وقال: المشركون من أهل مكة معتذرين عن اتباع الإسلام والإيمان به: إن نتبع هذا الإسلام الَّذي جئت به ينتزعنا أعداؤنا من أرضنا بسرعة، أَوَلَم نمكّن لهؤلاء المشركين حرمًا يحرم فيه سفك الدماء والظلم، يأمنون فيه من إغارة غيرهم عليهم، تجلب إليه ثمار كل شيء رزقًا من لدنا سقناه إليهم؟! ولكن معظمهم لا يعلمون ما أنعم الله به عليهم فيشكروه له. (2)

* * *

وقال كفار ‹مكة›: إن نتبع الحق الذي جئتنا به، ونتبرأ من الأولياء والآلهة، نُتَخَطَّفْ من أرضنا بالقتل والأسر ونهب الأموال، أو لم نجعلهم متمكنين في بلد آمن، حرَّمنا على الناس سفك الدماء فيه، يُجلب إليه ثمرات كل شيء رزقًا من لدنا؟ ولكن أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون قَدْر هذه النعم عليهم، فيشكروا مَن أنعم عليهم بها ويطيعوه. (3)

* * *

وقال: مشركوا مكة للرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - معتذرين عن بقائهم على دينهم: إن اتبعناك على دينك أخرجَنَا العرب من بلدنا وغلبونا على سلطاننا. وهم كاذبون فيما يعتذرون به، فقد ثبَّتَ الله أقدامهم ببلدهم، وجعله حرما يأمنون فيه - وهم كفرة - من الإغارة والقتل، وتحمل إليه الثمرات والخيرات المتنوعة الكثيرة رزقاً يسوقه الله إليهم من كل جهة، فكيف يستقيم أن يسلبهم الأمن ويعرضهم للتخطف إذا ضموا إلى حرمة البيت الإيمان بمحمد؟ ولكن أكثرهم لا يعلمون الحق، ولو علموا لما خافوا التَّخطف. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَقَالُوا} .... قَوْمه، أي: مشركوا قريش.

{إن نتبع الهدى معك} .... أي: إن نتبعك على ما جئت به وندعوا إليه وهو الإسلام.

{مَعَكَ} .... يَا مُحَمَّد – صلى الله عليه وسلم –.

{نُتَخَطَّفْ} ... نُنْتَزَعْ بِسُرْعَةٍ بِالقَتْلِ، وَالأَسْرِ.

{نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا} ... أي: تتجرأ علينا قبائل العرب ويأخذوننا.

---

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للإمام (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (القصص) الآية (56).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/392). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/392)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/584)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(أي: بالقتلِ والأَسْرِ، وَنَهْبِ الأموال" فإن الناسَ قد عادوكَ وَخالفوك، فلو تَابَعْنَاك لتَعَرَّضْنَا لمُعَاداة الناسِ كُلِّهِمْ، ولم يكن لنا بِهِمْ طَاقَةٌ، وهذا الكلامُ منهم يَدُلُّ عَلَى سُوءِ الظَّنِّ بالله تعالى، وأنه لا يَنْصُرُ دِينَهُ، ولا يُعْلِي كَلِمَتَهُ).

{أو لم نُمَكِّن لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا} .... يأْمَنُونَ فيه مِنَ الإغارة والقتل الواقِين مِنْ بَعْض الْعَرب عَلَى بَعْض

{يُجْبَى} ... يُجْلَبُ إِلَيْهِ.

(أي: بِالْفَوْقَانِيَّة والتحتانية).

{يجبى إليه ثمرات كل شيء} ..... أي: يحمل ويساق إليه ثمارت كل شيء من كل ناحية.

{إليه ثمرات كل شيء} .... مِنْ كُلِّ أَوْب.

{رِزْقًا} .... لَهُمْ.

{رزقا من لدنا} ...... أي: رزقاً لكم من عندنا يا أهل الحرم بمكة.

{مِنْ لَدُنَّا} .... عِنْدِنَا.

{وَلَكِنَّ أَكْثَرهمْ لا يَعْلَمُونَ} .... أَنَّ مَا نقوله حق.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {57} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وقالوا} حارث بن عَمْرو النوفلي وأَصْحابه {إن نَتَّبِعِ الْهدى} التَّوْحيد {مَعَك} يَا مُحَمَّد – صلى الله عليه وسلم – {نتخطف} نطرد {مِن أَرْضنَا} مَكَّة {أو لم نُمَكِّن لَّهُمْ} ننزلهم ونجعل لَهُم {حَرَماً آمناً} من أن يهاج فيه

{يجبى إِلَيْه ثمرَاتُ كل شَيْء} يحمل إِلَيْه أَلوان كل شيء ممَّن الثمرات {رِزْقاً مِّن لَّدُنَّا} طَعَاما لَهُم من عندنَا فَكيف أسلط عَلَيْهِم الْكفَّار إِن آمنُوا {وَلَكِن أَكْثَرهمْ لَا يعلمُونَ} ذَلِك وَلَا يصدقون.(1)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {57} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وقالوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا} أرض مكة،

نزلت في (الحارث بْنِ عُثْمَانَ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ) وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي تَقُولُ حَقٌّ وَلَكِنَّا إِنِ اتَّبَعْنَاكَ عَلَى دِينِكَ خِفْنَا أَنْ تُخْرِجَنَا الْعَرَبُ مِنْ أَرْضِنَا مَكَّةَ، وَهُوَ مَعْنَى قوله: {نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا} وَالِاخْتِطَافُ الِانْتِزَاعُ بِسُرْعَةٍ،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا} وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَتْ تُغِيرُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَيَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَأَهْلُ مَكَّةَ آمِنُونَ حَيْثُ كَانُوا، لِحُرْمَةِ الْحَرَمِ، وَمِنَ الْمَعْرُوفِ أَنَّهُ كَانَ يَأْمَنُ فِيهِ الظِّبَاءُ مِنَ الذِّئَابِ وَالْحَمَامُ من الحداة،

{يُجْبَى} قَرَأَ أَهْلُ (الْمَدِينَةِ)، وَ(يَعْقُوبُ): (تُجْبَى) بِالتَّاءِ لِأَجْلِ الثَّمَرَاتِ، وَالْآخَرُونَ: بِالْيَاءِ لِلْحَائِلِ بَيْنَ الِاسْمِ الْمُؤَنَّثِ وَالْفِعْلِ، أي: يجلب ويجمع،

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (57) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما -.

{إِلَيْهِ} يقال: جبيت العامة في الحوض أي: جمعته، قَالَ: (مُقَاتِلٌ): يُحمَلُ إِلَى الْحَرَمِ، {ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} أن ما يقوله حق. (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (إِبْنُ كَثِيرٍ) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآيَةِ {57} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا}: يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ اعْتِذَارِ بَعْضِ الْكُفَّارِ فِي عَدَمِ اتِّبَاعِ الْهُدَى حَيْثُ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: {إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا} أَيْ: نَخْشَى إِنِ اتَّبَعْنَا مَا جِئْتَ بِهِ مِنَ الْهُدَى، وَخَالَفْنَا مَنْ حَوْلَنَا مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ الْمُشْرِكِينَ، أَنْ يَقْصِدُونَا بِالْأَذَى وَالْمُحَارَبَةِ، وَيَتَخَطَّفُونَا أَيْنَمَا كُنَّا،

فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُجِيبًا لَهُمْ: {أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا} يَعْنِي: هَذَا الَّذِي اعْتَذَرُوا بِهِ كَذِبٌ وَبَاطِلٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ جَعَلَهُمْ فِي بَلَدٍ أَمِينٍ، وَحَرَمٍ مُعَظَّمٍ آمِنٍ مُنْذُ وُضِعَ، فَكَيْفَ يَكُونُ هَذَا الْحَرَمُ آمِنًا فِي حَالِ كُفْرِهِمْ وَشِرْكِهِمْ، وَلَا يَكُونُ آمِنًا لَهُمْ وَقَدْ أَسْلَمُوا وَتَابَعُوا الْحَقَّ؟.

وَقَوْلُهُ: {يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ} أَيْ: مِنْ سَائِرِ الثِّمَارِ مِمَّا حَوْلَهُ مِنَ الطَّائِفِ وَغَيْرِهِ، وَكَذَلِكَ الْمَتَاجِرُ وَالْأَمْتِعَةُ.

{رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا} أَيْ: مِنْ عِنْدِنَا.

{وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} فَلِهَذَا قَالُوا مَا قَالُوا.

وَقَدْ قَالَ: (النَّسَائِيُّ): أَنْبَأَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا الْحَجَّاجُ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: قَالَ عَمْرُو بْنُ شُعَيْبٍ، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) -وَلَمْ يَسْمَعْهُ مِنْهُ-: أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلٍ الَّذِي قَالَ: {إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا}. (2) (3)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): قوله: (قَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا) قال الله (أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ) يقول: أو لم يكونوا آمنين في حرمهم لا يغزون فيه ولا يخافون، يجبى إليه ثمرات كل شيء. (4)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآيَةِ {57} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}.

يخبر تعالى أن المكذبين من قريش وأهل مكة، يقولون للرسول -صلى الله عليه وسلم-: {إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا} بالقتل والأسر ونهب الأموال، فإن الناس قد عادوك

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (57).

(2) أخرجه الإِمَامُ (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (11385).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامُ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (57).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (601/19).

وخالفوك، فلو تابعناك لتعرضنا لمعاداة الناس كلهم، ولم يكن لنا بهم طاقة.

وهذا الكلام منهم، يدل على سوء الظن بالله تعالى، وأنه لا ينصر دينه، ولا يعلي كلمته، بل يمكن الناس من أهل دينه، فيسومونهم سوء العذاب، وظنوا أن الباطل سيعلو على الحق.

قال الله مبينا لهم حالة هم بها دون الناس وأن الله اختصهم بها،

فقال: {أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا} أي: أولم نجعلهم متمكنين ممكنين في حرم يكثره المنتابون ويقصده الزائرون، قد احترمه البعيد والقريب، فلا يهاج أهله، ولا ينتقصون بقليل ولا كثير.

والحال أن كل ما حولهم من الأماكن، قد حف بها الخوف من كل جانب، وأهلها غير آمنين ولا مطمئنين، فَلْيَحْمَدُوا ربهم على هذا الأمن التام، الذي ليس فيه غيرهم، وعلى الرزق الكثير، الذي يجيء إليهم من كل مكان، من الثمرات والأطعمة والبضائع، ما به يرتزقون ويتوسعون. وليَتَّبِعُوا هذا الرسول الكريم، ليتم لهم الأمن والرغد.

وإياهم وتكذيبه، والبطر بنعمة الله، فيبدلوا من بعد أمنهم خوفا، وبعد عزهم ذلا وبعد غناهم فقرا، ولهذا توعدهم بما فعل بالأمم قبلهم، (1)

* * *

[٥٨] ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وما أكثر القرى التي كفرت نعمة الله عليها فأسرفت في الذنوب والمعاصي، فأرسلنا عليها عذابًا فأهلكناها به، فتلك مساكنهم مندثرة يمرّ الناس عليها لم تسكن من بعد أهلها إلا قليلًا من بعض العابرين، وكنا نحن الوارثين الذين نرث السماوات والأرض ومن فيهما. (2)

* * *

وكثير من أهل القرى أهلكناهم حين ألْهَتهم معيشتهم عن الإيمان بالرسل، فكفروا وطغَوْا، فتلك مساكنهم لم تُسكن من بعدهم إلا قليلا منها، وكنا نحن الوارثين للعباد نميتهم، ثم يرجعون إلينا، فنجازيهم بأعمالهم. (3)

* * *

لم يعتبر هؤلاء بمصاير الأمم السابقة، فقد أهلك الله قرى الذين اغتروا بنعمة الله ثم كفروا بها وبالله، وهذه ديارهم خاوية لا تصلح للسكن بعدهم إلا فترات عابرة للمارين بها، ولم يبق لها مالك بعدهم إلا الله ذو الجلال والإكرام. (4)

* * *

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَة (القَصَص) الآية (57)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (392/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (392/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (584/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

شرح و بيان الكلمات:

{وكَمْ} ... كَثِيرًا!

{بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا} ... طَغَتْ وتَمَرَّدَتْ في حَيَاتِهَا. (أي: اغتروا بنعمة الله ثم كفروا بها).

(أي: كفرت نعمة الله عليها فأسرفت في الذنوب وطغت في المعاصي).

{فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً} .... أي: منازلُهم التي كانوا يسكنُونها لَم يَسْكُنُهَا أحدٌ إلاّ المسافرون ومَارُّوا الطريقِ ينْزِلون ببعضِها يوماً أو ساعةً ثم يرحَلُون. والمعنى لَمْ تُسْكَنْ من بعدِهم إلاّ سُكوناً قليلاً،

{إلاَ قَلِيلًا} .... الا فترات عابرة.

{وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ} ..... أي: لَم نجعَلْ لَهم أحداً بعدَ هلاكِهم في منازِلهم، فبقِيَتْ خَراباً غيرَ مسكُونة،

كقوله: {إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا} {مريم: 40}.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

انظر: سورة - (الإسراء)- آية (15-16-17)....كما قال تعالى: {مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (15) وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا (16) وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (17)}.

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (قتادة): (حتَّى يَبْعَث فِي أُمِّهَا رَسُولا) وأم القرى مكة، وبعث الله إليهم رسولا محمدا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (1).

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {58} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا من قَرْيَة} من أهل قَرْيَة {بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا} كفرت بمعيشتها {فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ} مَنَازِلهم {لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ} من بعد هلاكهم {إِلاَّ قَلِيلاً} مِنْهَا يسكنهَا المسافرون وسائرها خراب {وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ} المالكين على مَا ملكوا وتركوا بعد هلاكهم. (2)

* * *

قال: الإمَامْ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {58} قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ} أَيْ: مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ، {بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا} أَيْ: فِي مَعِيشَتِهَا، أَيْ: أَشِرَتْ وَطَغَتْ،

قَالَ: (عَطَاءٌ): عَاشُوا فِي الْبَطَرِ فَأَكَلُوا رِزْقَ اللَّهِ وَعَبَدُوا الْأَصْنَامَ،

{فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ)- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لَمْ يَسْكُنْهَا إِلَّا الْمُسَافِرُونَ ومن رأوا

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (603/19).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (58) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

الطَّرِيقِ يَوْمًا أَوْ سَاعَةً، مَعْنَاهُ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلاَ سُكُونًا قَلِيلًا.

يعني:- مَعْنَاهُ لَمْ يُعَمَّرْ مِنْهَا إِلاَ أَقَلُّهَا وَأَكْثَرُهَا خراب،

{وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ} كقوله: {إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا} {مريم: 40}. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {58} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا} أي: فخرت بها، وألهتها، واشتغلت بها عن الإيمان بالرسل، فأهلكهم الله، وأزال عنهم النعمة، وأحل بهم النقمة.

{فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلا قَلِيلا} لتوالي الهلاك والتلف عليهم، وإيحاشها من بعدهم.

{وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ} للعباد، نميتهم، ثم يرجع إلينا جميع ما متعناهم به من النعم، ثم نعيدهم إلينا، فنجازيهم بأعمالهم.

ومن حكمته ورحمته أن لا يعذب الأمم بمجرد كفرهم قبل إقامة الحجة عليهم، بإرسال الرسل إليهم. (2)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {58} يَقُولُ تَعَالَى مُعَرِّضًا بِأَهْلِ مَكَّةَ فِي قَوْلِهِ: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا} أَيْ: طَغَتْ وأشرت وكفرت نعمة الله، فيما أنعم به عليهم من الأرزاق،

كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ. وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ} {النَّحْل 112، 113}،

وَلِهَذَا قَالَ: {فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلا قَلِيلا} أَيْ: دَثرت دِيَارُهُمْ فَلَا تَرَى إِلاَ مَسَاكِنَهُمْ.

وَقَوْلُهُ: {وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ} أَيْ: رَجَعَتْ خَرَابًا لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ.

وَقَدْ ذَكَرَ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ): هَاهُنَا عَنِ (ابْنِ مَسْعُودٍ) أَنَّهُ سَمِعَ كَعْبًا يَقُولُ لِعُمَرَ: إِنَّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِلْهَامَّةِ -يَعْنِي الْبُومَةَ- مَا لَكِ لَا تَأْكُلِينَ الزَّرْعَ؟ قَالَتْ: لِأَنَّهُ أُخْرِجَ آدَمُ بِسَبَبِهِ مِنَ الْجَنَّةِ. قَالَ: فَمَا لَكِ لَا تَشْرَبِينَ الْمَاءَ؟ قَالَتْ: لِأَنَّ اللَّهَ أَغْرَقَ قَوْمَ نُوحٍ بِهِ. قَالَ: فَمَا لَكِ لَا تَأْوِينَ إِلا إِلَى الْخَرَابِ؟ قَالَتْ: لِأَنَّهُ مِيرَاثُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ تَلَا {وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ}. (3)

* * *

[٥٩] ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾:

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (القَصَص) الآية (58).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (58)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (58).

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولم يكن ربك -أيها الرسول- ﷺ- مهلك القرى حتَّى يعذر إلى أهلها ببعث رسول في القرية الكبرى منها كما بعثك أنت في أم القرى، وهي مكة، وما كنا لنهلك أهل القرى وهم مستقيمون على الحق، إنما نهلكهم إن كانوا ظالمين بالكفر وارتكاب المعاصي.(1)

* * *

وما كان ربك -أيها الرسول- ﷺ -: مهلك القرى التي حول ‹مكة› في زمانك حتى يبعث في أمها -وهي ‹مكة› - رسولا يتلو عليهم آياتنا، وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون لأنفسهم بكفرهم بالله ومعصيته، فهم بذلك مستحقون للعقوبة والنكال.(2)

* * *

وما كان من حكمة الله تعالى - وهو ربك الذى خلقك واصطفاك - أن يهلك المدن العظيمة إلا بعد أن يُرسل إلى أهلها رسولا بالمعجزات الباهرة يتلو عليهم الكتاب المنزل، ويبين لهم شرائعه، ثم لم يؤمنوا، وما كنا مُهلكى المدن العظيمة إلا وأهلها مستمرون على الظلم والاعتداء.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى} .... وما كان ربك -أيها الرسول- ﷺ -: أي: القرى الكافر أَهْلُهَا،

{مُهْلِكَ الْقُرى} .... الكافر أهلها.

{أُمِّهَا} ... أَعْظَمِهَا، وَهِيَ مَكَّةَ.

{فِي أُمِّهَا} ..... أي: في القرية التي هي أمها، أي أصلها وقصبتها.

{يبعث في أمها رسولا} ..... أي: في أعظم مدنها. وهي العاصمة.

{رَسُولًا}.... لإلزام الحجة وقطع المعذرة.

{وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ} .... يقول: ولم نكن لنهلك قرية وهي بالله مؤمنة إنما نهلكها بظلمها أنفسها بكفرها بالله، وإنما أهلكنا أهل مكة بكفرهم بربهم وظلم أنفسهم.(4)

{إلا وأهلها ظالمون} ..... بالتكذيب للرسول والإصرار على الشرك والمعاصي.

{وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا} .... معناهُ: وما كان ربُّكَ يَا مُحَمَّدُ مُعَذِّبَ القُرَى الكافرة أهلُها حتى يبعثَ في أعظَمِها قريةً رَسُولاً يُنذرُهم ويقرأ عليهم آياتنا، وخصَّ الأعْظَمَ من القُرى ببعثة الرَّسُولِ فيها " لأن الرَّسُولَ إنَّما يُبعَثُ إلى الأشراف، وأشرافُ القوم وملوكُهم يسكنونَ المدائنَ والمواضع التي هي أمُّ ما حولها.

وقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ} ...... أي: ما نُهلكُهم إلاَّ بظُلْمِهم وشركهم،

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (392/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (392/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (584/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (603/19).

وقيل: المرادُ بالقُرَى القرى التي حَولَ مكَّة، والمرادُ بأُمِّها مكَّة سُميت أمُّ القُرى " لأن الأرض دُحِيَتْ من تحتها.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {59} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرى} أهل الْقرى {حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا} فِي أعظمها مَكَّة وَيُقَال إِلَى عظمائها وكبرائها {رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا} بِالْأَمر وَالنَّهْي {وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرى} أهل الْقُرى {إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ} مشركون.(1)

* * *

قال: الإمامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {59} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى} أي: القرى الكافر أَهْلُهَا، {حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا} يَعْنِي: فِي أَكْبَرِهَا وَأَعْظَمِهَا رَسُولًا يُنْذِرُهُمْ وَخَصَّ الْأَعْظَمَ بِبَعْثَةِ الرَّسُولِ فِيهَا لِأَنَّ الرَّسُولَ يُبْعَثُ إِلَى الْأَشْرَافِ وَالْأَشْرَافُ يَسْكُنُونَ الْمَدَائِنَ، وَالْمَوَاضِعَ الَّتِي هِيَ أُمُّ مَا حَوْلَهَا، {يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا} قَالَ: (مُقَاتِلٌ): يُخْبِرُهُمُ الرَّسُولُ أَنَّ الْعَذَابَ نَازِلٌ بِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا،

{وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ} مشركون، يريد أهلكهم بظلمهم.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {59} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى} أي: بكفرهم وظلمهم.

{حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا} أي: في القرية والمدينة التي إليها يرجعون، ونحوها يترددون، وكل ما حولها ينتجعها، ولا تخفى عليه أخبارها.

{رَسُولا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا} الدالة على صحة ما جاء به، وصدق ما دعاهم إليه، فيبلغ قوله قاصيهم ودانيهم، بخلاف بعث الرسل في القرى البعيدة، والأطراف النائية، فإن ذلك مظنة الخفاء والجفاء، والمدن الأمهات مظنة الظهور والانتشار، وفي الغالب أنهم أقل جفاء من غيرهم.

{وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ} بالكفر والمعاصي، مستحقون للعقوبة. والحاصل: أن الله لا يعذب أحدا إلا بظلمه، وإقامة الحجة عليه.(3)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {59} ثُمَّ قَالَ اللَّهُ مُخْبِرًا عَنْ عَدْلِهِ، وَأَنَّهُ لَا يُهْلِكُ

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (59) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (59).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (59)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

أَحَدًا ظَالِمًا لَهُ، وَإِنَّمَا يُهْلِكُ مَنْ أَهْلَكَ بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، وَلِهَذَا قَالَ: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا} وَهِيَ مَكَّةُ.

{رَسُولا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا} . فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، الْمَبْعُوثَ مِنْ أُمِّ الْقُرَى، رَسُولٌ إِلَى جَمِيعِ الْقُرَى، مِنْ عَرَبٍ وَأَعْجَامٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا} {الشُّورَى: 7}،

وَقَالَ تَعَالَى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} {الْأَعْرَافِ: 158}،

وَقَالَ: {لأنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ} {الْأَنْعَامِ: 19}،

وَقَالَ: {وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ} {هُودٍ: 17}.

وَتَمَامُ الدَّلِيلِ قَوْلُهُ: {وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا} {الْإِسْرَاءِ: 58}.

فَأَخْبَرَ أَنَّهُ سَيُهْلِكُ كُلَّ قَرْيَةٍ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَقَدْ قَالَ: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا} {الْإِسْرَاءِ: 15}.

فَجَعَلَ تَعَالَى بِعْثَةَ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ شَامِلَةً لِجَمِيعِ الْقُرَى" لِأَنَّهُ مَبْعُوثٌ إِلَى أُمِّهَا وَأَصْلِهَا الَّتِي تَرْجِعُ إِلَيْهَا.

وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْهُ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - ، أَنَّهُ قَالَ: ((بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ)). (1) وَلِهَذَا خَتَمَ بِهِ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ، فَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ وَلَا رَسُولَ، بَلْ شَرْعُهُ بَاقٍ بِقَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

يعني:- الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: {حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا} أَيْ: أَصْلِهَا وَعَظِيمَتِهَا، كَأُمَّهَاتِ الرَّسَاتِيقِ وَالْأَقَالِيمِ. حَكَاهُ (الزَّمَخْشَرِيُّ)، وَ(ابْنُ الجوزي)، وغيرهما، وليس ببعيد. (2)

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾
﴿ سُورَةُ الْقَصَص: 50 - 59 ﴾

- فضل من آمن من أهل الكتاب بالنبي محمد - صلى الله عليه وسلم -، وأن له أجرين.
- هداية التوفيق بيد الله لا بيد غيره من الرسل وغيرهم.
- اتباع الحق وسيلة للأمن لا مَبْعث على الخوف كما يدعي المشركون.
- خطر الترف على الفرد والمجتمع.
- من رحمة الله أنه لا يهلك الناس إلا بعد الإعذار إليهم بارسال الرسل. (3)

* * *

(1) (صحيح) وقد تقدم.
(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (59).
(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (392/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

[٦٠] ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وما أعطاكم ربكم من شيء فهو مما تتمتعون به وتتزينون في الحياة الدنيا ثم يفنى، وما عند الله من الثواب العظيم في الآخرة خير وأبقى مما في الدنيا من متاع وزينة، أفلا تعقلون ذلك، فتؤثروا ما هو باق على ما هو فان؟!. (1)

* * *

وما أعطيتم -أيها الناس- من شيء من الأموال والأولاد، فإنما هو متاع تتمتعون به في هذه الحياة الدنيا، وزينة يُتزيَّن بها، وما عند الله لأهل طاعته وولايته خير وأبقى" لأنه دائم لا نفاد له، أفلا تكون لكم عقول -أيها القوم- تتدبرون بها، فتعرفون الخير من الشر؟. (2)

* * *

وكل شئ رُزقْتُموه من أعراض الدنيا وزينتها متاع محدود إلى أمد قريب، فلا يصرفنَّكم عن الإيمان والعمل الصالح، فإن ما عند الله فى الآخرة من الثواب والنعيم الخالد أنفع وأدوم من ذلك كله، فلماذا لا تُعمِلون عقولكم بدل أهوائكم؟ . (3)

* * *

وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (60) أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (61) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (62) قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ (63) وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ (64) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ (65) فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ (66) فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ (67) وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (68) وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (69) وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ

شرح و بيان الكلمات:

{وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا} .... تتمتَّعون بها أيَّامَ حياتِكم ثم تنقطعُ وتفنى وتنقضِي ،

{وما أوتيتم من شيء} ..... أي: وما أعطاكم الله من مال أو متاع.

{فمتاع الحياة الدنيا وزينتها} ..... فهو ما تتمتعون به وتتزينون ثم يزول ويفنى.

{وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ} .... من الثَّواب والجنة ،

{وَأَبْقَىٰ} ..... وأدومَ لأهلهِ وأفضلَ مما أُعطيتمْ في الدُّنيا.

{وما عند الله خير وأبقى} ..... أي: وما عند الله من ثواب وهو الجنة خير وأبقى.

{أفلا تعقلون} ..... لأن من يؤثر القليل الفاني على الكثير الباقي لا عقل له.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (393/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (393/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (585/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} ..... أنَّ الباقي أفضل من الفاني الذاهب.

وقيل: {أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} خيرَ الأمرين فتطلبوهُ وشرَّ الأمرين فتتركوهُ.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) – قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {60} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ} مَا أعطيتم من المَال والخدم يَا معشر قُرَيْش {فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} كمتاع الْحَيَاة الدُّنْيَا الخزف والزجاج {وَزِينَتُهَا} زهرتها لاَ تبقى هَذِه الزهرة {وَمَا عِندَ الله} لمُحَمد وَأَصْحَابه فِي الْجنَّة {خَيْرٌ} أفضل {وَأبقى} أدوم لكم فِي الدُّنْيَا {أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} أفليس لكم ذهن الإنسانية إن الدُّنْيَا فانية وَالْآخِرَة بَاقِيَة. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {60} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا} تَتَمَتَّعُونَ بِهَا أَيَّامَ حَيَاتِكُمْ ثُمَّ هِيَ إِلَى فَنَاءٍ وَانْقِضَاءٍ، {وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ} أَنَّ الْبَاقِيَ خَيْرٌ مِنَ الْفَانِي،

قَرَأَ عَامَّةُ الْقُرَّاءِ: (تَعْقِلُونَ) بِالتَّاءِ، وَ(أَبُو عَمْرٍو): بِالْخِيَارِ بَيْنَ التَّاءِ وَالْيَاءِ. (2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {60} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ}.

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ حَقَارَةِ الدُّنْيَا، وَمَا فِيهَا مِنَ الزِّينَةِ الدَّنِيئَةِ وَالزَّهْرَةِ الْفَانِيَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا أَعَدَّهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ مِنَ النَّعِيمِ الْعَظِيمِ الْمُقِيمِ، كَمَا قَالَ: {مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ} {النَّحْل: 96}،

وَقَالَ: {وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلأَبْرَارِ} {آل عِمْرَان: 198}،

وَقَالَ: {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلا مَتَاعٌ} {الرَّعْد: 26}،

وَقَالَ: {بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى} {الْأَعْلَى: 16، 17}،

وَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((وَاللَّهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ، إِلَّا كَمَا يَغْمِسُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ)).

وَقَوْلُهُ: {أَفَلا يَعْقِلُونَ} أَيْ: أَفَلَا يَعْقِلُ مَنْ يُقَدِّمُ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ؟. (3)

* * *

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (60) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما –.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (60).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (60).

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {61} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ}.

هذا حض من الله لعباده على الزهد في الدنيا وعدم الاغترار بها، وعلى الرغبة في الأخرى، وجعلها مقصود العبد ومطلوبه، ويخبرهم أن جميع ما أوتيه الخلق، من الذهب، والفضة، والحيوانات والأمتعة، والنساء، والبنين، والمآكل، والمشارب، واللذات، كلها متاع الحياة الدنيا وزينتها، أي: يتمتع به وقتا قصيرا، متاعا قاصرا، محشوا بالمنغصات، ممزوجا بالغصص.

ويزين به زمانا يسيرا، للفخر والرياء، ثم يزول ذلك سريعا، وينقضي جميعا، ولم يستفد صاحبه منه إلا الحسرة والندم، والخيبة والحرمان.

{وَمَا عِنْدَ اللَّهِ} من النعيم المقيم، والعيش السليم.

{خَيْرٌ وَأَبْقَى} أي: أفضل في وصفه وكميته، وهو دائم أبدا، ومستمر سرمدا.

{أَفَلَا تَعْقِلُونَ} أي: أفلا يكون لكم عقول، بها تزنون أي: الأمور أولى بالإيثار، وأي: الدارين أحق للعمل لها فدل ذلك أنه بحسب عقل العبد، يؤثر الأخرى على الدنيا، وأنه ما آثر أحد الدنيا إلا لنقص في عقله، ولهذا نبه العقول على الموازنة بين عاقبة مؤثر الدنيا ومؤثر الآخرة. (1)

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةِ (الْقَصَص) الآية (60)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

* * *

[٦١] ﴿ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

أفمن وعدناه في الآخرة الجنة وما فيها من نعيم مقيم كمن أعطيناه ما يتمتع به من مال وزينة في الحياة الدنيا، ثم يكون يوم القيامة من المُحْضَرين إلى نار جهنم؟!. (2)

* * *

أفمَن وعدناه مِن خَلْقنا على طاعته إيانا الجنة، فهو ملاقٍ ما وُعِدَ، وصائر إليه، كمن متعناه في الحياة الدنيا متاعها، فتمتع به، وآثر لذة عاجلة على آجلة، ثم هو يوم القيامة من المحضرين للحساب والجزاء؟ لا يستوي الفريقان، فليختر العاقل لنفسه ما هو أولى بالاختيار، وهو طاعة الله وابتغاء مرضاته. (3)

* * *

لا يستوى من آمن وعمل صالحا فاستحق وعد الله - الوعد الحسن بالثواب والجنة - فهو مُدْركه كما وعده الله، ومن كفر وعمل سيئا وفتنه متاع الحياة وزخرفها، ثم هو يوم القيامة من المُحضرين للحساب، الهالكين فى العذاب. (4)

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (393/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (393/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (585/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وعداً حسناً} ..... أي: الجنة.

{فَهُوَ لاقِيه} ..... فهو مدركه كما وعده الله.

(أي: مصيبه وحاصل عليه وظافر به لا محالة).

{الْمُحْضَرِينَ} ... ممَّنْ أُحْضِرُوا لِلنَّارِ،

(أي: للحساب). (أي: في نار جهنم).

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةِ الْقَصَصِ} الآية {61} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً} يَعْنِي: الْجنَّة وَهُوَ مُحَمَّد- عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام- وَأَصْحَابه، وَيُقَال هُوَ (عُثْمَان بن عَفَّان) {فَهُوَ لاَقِيه} معاينه فِي الْآخِرَة {كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} أعطيناه المَال والخدم فِي الدُّنْيَا يَعْنِي: (أَبَا جهل بن هِشَام).

{ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ المحضرين} من الْمُعَذَّبين فِي النَّار. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةِ الْقَصَصِ} الآية {61} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا} أي: الجنة، {فَهُوَ لَاقِيهِ} مُصِيبُهُ وَمُدْرِكُهُ وَصَائِرٌ إِلَيْهِ، {كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} وَيَزُولُ عَنْ قَرِيبٍ {ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ} النَّارَ،

قَالَ: (قَتَادَةُ): يَعْنِي: الْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ،

قَالَ: (مُجَاهِدٌ): نَزَلَتْ فِي النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَبِي جهل،

وَقَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ): نَزَلَتْ فِي (حَمْزَةَ)، وَ(عَلِيٍّ)، وَ(أَبِي جَهْلٍ)،

وَقَالَ: (السُّدِّيُّ): نَزَلَتْ فِي عَمَّارٍ وَالْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ. (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {61} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ}.

يَقُولُ: أَفَمَنْ هُوَ مُؤْمِنٌ مُصَدِّقٌ بِمَا وَعَدَهُ اللَّهُ عَلَى صَالِحِ أَعْمَالِهِ مِنَ الثَّوَابِ الَّذِي هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ لَا مَحَالَةَ، كَمَنْ هُوَ كَافِرٌ مُكَذِّبٌ بِلِقَاءِ اللَّهِ وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، فَهُوَ مُمَتَّعٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أَيَّامًا قَلَائِلَ،

{ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ} قَالَ: (مُجَاهِدٌ)، وَ(قَتَادَةُ): مِنَ الْمُعَذَّبِينَ.

ثُمَّ قَدْ قِيلَ: إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَفِي (أَبِي جَهْلٍ).

وَقِيلَ: فِي حَمْزَةَ وَعَلِيٍّ وَأَبِي جَهْلٍ، وَكِلَاهُمَا عَنْ مُجَاهِدٍ. وَالظَّاهِرُ أَنَّهَا عَامَّةٌ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ ذَلِكَ الْمُؤْمِنِ حِينَ أَشْرَفَ عَلَى صَاحِبِهِ، وَهُوَ فِي الدَّرَجَاتِ وَذَاكَ فِي الدَّرَكَاتِ: {وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ} {الصَّافَّات: 57}،

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (61) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامُ (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (61).

وَقَالَ تَعَالَى: {وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ} [الصَّافَّات: 158]. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (قتادة): قوله (أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لاقِيهِ) قال: هو المؤمن سمع كتاب الله فصدق به وآمن مما وعد الله فيه (كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) هو هذا الكافر ليس والله كالمؤمن (ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) أي: في عذاب الله. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَة الْقَصَص} الآية {61} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لاقِيهِ}. أي: هل يستوي مؤمن ساع للآخرة سعيها، قد عمل على وعد ربه له، بالثواب الحسن، الذي هو الجنة، وما فيها من النعيم العظيم، فهو لاقيه من غير شك ولا ارتياب، لأنه وعد من كريم صادق الوعد، لا يخلف الميعاد، لعبد قام بمرضاته وجانب سخطه،

{كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} فهو يأخذ فيها ويعطي، ويأكل ويشرب، ويتمتع كما تتمتع البهائم، قد اشتغل بدنياه عن آخرته، ولم يرفع بهدى الله رأسا، ولم ينقد للمرسلين، فهو لا يزال كذلك، لا يتزود من دنياه إلا الخسار والهلاك.

{ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ} للحساب، وقد علم أنه لم يقدم خيرا لنفسه، وإنما قدم جميع ما يضره، وانتقل إلى دار الجزاء بالأعمال، فما ظنكم إلى ما يصير إليه؟ وما تحسبون ما يصنع به؟ فليختر العاقل لنفسه، ما هو أولى بالاختيار، وأحق الأمرين بالإيثار. (3)

* * *

[٦٢] ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ويوم يناديهم ربهم سبحانه وتعالى قائلًا: أين شركائي الذين كنتم تعبدونهم من دوني وتزعمون أنهم شركائي؟. (4)

* * *

ويوم ينادي الله عز وجل الذين أشركوا به الأولياء والأوثان في الدنيا، فيقول لهم: أين شركائي الذين كنتم تزعمون أنهم لي شركاء؟. (5)

* * *

واذكر - أيها الرسول- ﷺ - يوم يقف هؤلاء بين يدى الله للحساب فيناديهم سبحانه نداء توبيخ: أين الآلهة الذين زعمتموهم شركاء ليدافعوا عنكم أو ليشفعوا فيكم؟!. (6)

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (61).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (19/ 604- 605).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةِ (الْقَصَص) الآية (61)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/ 393). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/ 393)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(6) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/ 585)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{ويــوم ينــاديهم} .... أي: الــرب ســبحانه وتعالى.

{كنــتم تزعمــون} ..... أي: أنهــم شــركاء لــي فعبد تموهم معي.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَام (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {62} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَوْمَ} وهُوَ يَوْمَ الْقِيَامَة {يُنَادِيهِمْ} الله يَعْنِي: أَبَا جهل وأَصحابه {فَيَقُول} الله عز وَجل {أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذين كُنتُم تَزْعُمُونَ} تَعْبدُونَ وتقولون إِنَّهُم شركائى. (1)

* * *

قال: الإمَام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {62} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ} فِي الدُّنْيَا أَنَّهُمْ شُرَكَائِي. (2)

* * *

وانظر: سورة – (الكهف)- آية (52) ... كما قال تعالى: {وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا}.

* * *

قال: الإمَام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {62} يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَمَّا يُوَبِّخُ بِهِ الْكُفَّارَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَيْثُ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ:

{أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ}، يَعْنِي: أَيْنَ الْآلِهَةُ الَّتِي كُنْتُمْ تَعْبُدُونَهَا فِي الدَّارِ الدُّنْيَا، مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ، هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ؟ وَهَذَا عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيعِ وَالتَّهْدِيدِ،

كَمَا قَالَ: {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ} {الْأَنْعَام: 94}. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {62} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ}.

هذا إخبار من الله تعالى، عما يسأل عنه الخلائق يوم القيامة، وأنه يسألهم عن أصول الأشياء، وعن عبادة الله وإجابة رسله،

فقال: {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ} أي: ينادي من أشركوا به شركاء يعبدونهم، ويرجون نفعهم، ودفع الضرر عنهم، فيناديهم، ليبين لهم عجزها وضلالهم،

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (62) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَام (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (62).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَام (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (62).

{فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِي} وليس لله شريك، ولكن ذلك بحسب زعمهم وافترائهم، ولهذا قال: {الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ} فأين هم، بذواتهم، وأين نفعهم وأين دفعهم؟ ومن المعلوم أنه يتبين لهم في تلك الحال، أن الذي عبدوه، ورجوه باطل، مضمحل في ذاته، وما رجوا منه، فيقرون على أنفسهم بالضلالة والغواية. (1)

* * *

[٦٣] ﴿ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

قال: الذين وجب عليهم العذاب من الدعاة إلى الكفر: ربنا هؤلاء الذين أضللناهم كما ضللنا، نتبرأ إليك منهم، ما كانوا يعبدوننا وإنما كانوا يعبدون الشياطين. (2)

* * *

قال: الذين حقَّ عليهم العذاب، وهم دعاة الكفر: ربنا هؤلاء الذين أضللنا، أضللناهم كما ضللنا، تبرأنا إليك مِن ولايتهم ونصرتهم، ما كانوا إيانا يعبدون، وإنما كانوا يعبدون الشياطين. (3)

* * *

قال: قادة الكفر من الذين حق عليهم غضب الله ووعيده: يا ربنا، هؤلاء الذين دعوناهم إلى الشرك وزيَّنا لهم الضلال أغْويناهم لأنهم اختاروا الكفر وتقبَّلوه كما اخترناه نحن وتقبَّلناه. تبرأنا إليك منهم اليوم ومما اختاروه فى الدنيا من الكفر، لم يعبدونا نحن، بل عبدوا أهواءهم وأطاعوا شهواتهم. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{حق عليهم القول} ..... أي: بالعذاب في النار وهم أئمة الضلال.

{أَغْوَيْنَا} ... دَعوْنَاهُمْ لِلْغَوَايَةِ فَاتَّبَعُونَا.

{أغويناهم} ..... أي: فغووا ولم نكرههم على الغي.

{تبرأنا إليك} ..... أي: منهم ما كانوا يعبدوننا بل كانوا يعبدون أهواءهم.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

انظر: سورة – (البقرة) – آية (166)

....كما قال تعالى: {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ}.

* * *

قال: الإمام (عبد الرزاق) – (رحمه الله) – في (تفسيره):– (بسنده الصحيح) – عن (قتادة): في قوله تعالى: (هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا) قال: هم الشياطين. (1) (5)

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَة (الْقَصَص) الآية (62)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (393/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (393/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (585/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) انظر: (تفسير عبد الرزاق) في سورة (القصص) – الآية (63).

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {63} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ} وجب عليهم {الْقَوْلُ} بالسخط وَالْعَذَاب وهم الرؤساء {رَبَّنَا} يا ربنا {هَٰؤُلَاءِ} السفلة {الَّذِينَ أَغْوَيْنَآ} أضللنا {أَغْوَيْنَاهُمْ} أضللناهم عن الْحق وَالْهدى {كَمَا غَوَيْنَا} ضللنا عن الْحق وَالْهدى {تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ} منْهُم {مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ} بأمرنا.(2)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {63} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ} أوجب عليهم الْعَذَابُ وَهُمْ رُءُوسُ الضَّلَالَةِ،

{رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا} أي: دعونا إِلَى الْغَيِّ وَهُمُ الْأَتْبَاعُ،

{أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا} أَضْلَلْنَاهُمْ كَمَا ضَلَلْنَا، {تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ} منهم،

{مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ} بَرِئَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ وَصَارُوا أَعْدَاءً-

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ} {الزُّخْرُف: 67}.(3)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {63} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ} يَعْنِي: مِنَ الشَّيَاطِينِ والمَرَدَة وَالدُّعَاة إِلَى الْكُفْرِ،

{رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ}، فَشَهِدُوا عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ أَغْوَوْهُمْ فَاتَّبَعُوهُمْ، ثم تبرؤوا مِنْ عِبَادَتِهِمْ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا. كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا} {مَرْيَم: 81، 82}،

وَقَالَ: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ. وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ} {الْأَحْقَاف: 5، 6}،

وَقَالَ الْخَلِيلُ لِقَوْمِهِ: {إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} {الْعَنْكَبُوت: 25}،

وَقَالَ اللَّهُ: {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ

---

(1) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (57/4)، للشيخ: (أ. الدكتور: حكمت بن بشير بن ياسين).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (63) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (63).

أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ} {الْبَقَرَة: 166، 167}،(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):– {سُورَة الْقَصَص} الآية {63} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ} الرؤساء والقادة، في الكفر والشر، مقرين بغوايتهم وإغوائهم: {رَبَّنَا هَؤُلاءِ} التابعون {الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا} أي: كلنا قد اشترك في الغواية، وحق عليه كلمة العذاب.

{تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ} من عبادتهم، أي: نحن براء منهم ومن عملهم.

{مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ} وإنما كانوا يعبدون الشياطين.(2)

* * *

[٦٤] ﴿ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وقيل لهم: نادوا شركاءكم لينقذوكم مما أنتم فيه من الخزي، فنادوا شركاءهم فلم يستجيبوا لندائهم، وشاهدوا العذاب المعد لهم، فودّوا لو أنهم كانوا في الدنيا مهتدين للحق.(3)

* * *

وقيل للمشركين بالله يوم القيامة: ادعوا شركاءكم الذين كنتم تعبدونهم من دون الله، فدعوهم فلم يستجيبوا لهم، وعاينوا العذاب، لو أنهم كانوا في الدنيا مهتدين للحق لما عُذِّبوا.(4)

* * *

وأمر المشركين من جانب الله أمر توبيخ بدعوة الآلهة التى أشركوها مع الله لتخلصهم من عذابه كما زعموا، فخضعوا فى ذلة ودعوهم فى حيرة، فلم يظفروا منهم بجواب، وشاهدوا العذاب المعد لهم حاضرا، وتمنوا لو أنهم كانوا فى دنياهم مؤمنين مهتدين لما حاق بهم ذلك العذاب.(5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وقيل ادعوا شركاءكم} ..... ناداوهم ليخلصوكم مما أنتم فيه.

{لو أنهم كانوا يهتدون} ..... أي: لما رأوا العذاب ودّوا لو أنهم كانوا في الدنيا من المهتدين.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) – قال: الإِمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):– {سُورَة الْقَصَص} الآية {64} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقِيلَ ادعوا شُرَكَاءَكُمْ} آلهتكم حَتَّى يمنعوكم من عَذَاب الله {فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ} فَلم يجيبوهم بِرَفْع عَذَاب الله عَنْهُم {وَرَأَوُاْ

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَة (الْقَصَص الآية (63).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَة (الْقَصَص) الآية (63)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (393/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (393/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (585/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{الْعَذَابَ} القادة والسفلة {لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ} تمنوا لو أنهم كانوا في الدُّنْيَا على الحق وَالْهدى.(1)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):– {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {64} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَقِيلَ} للكفار، {ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ} أَيْ: الْأَصْنَامَ لِتُخَلِّصَكُمْ مِنَ الْعَذَابِ، {فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ} لم يُجِيبُوهُمْ، {وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ} وَجَوَابُ لَوْ مَحْذُوفٌ عَلَى تَقْدِيرِ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ فِي الدُّنْيَا مَا رَأَوُا الْعَذَابَ.(2)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):– {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {64} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ} أَيْ: لِيُخَلِّصُوكُمْ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ، كَمَا كُنْتُمْ تَرْجُونَ مِنْهُمْ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا،

{فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ} أَيْ: وَتَيَقَّنُوا أَنَّهُمْ صَائِرُونَ إِلَى النَّارِ لَا مَحَالَةَ.

وَقَوْلُهُ: {لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ} أَيْ: فَوَدُّوا حِينَ عَايَنُوا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا.

وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا. وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا} [الْكَهْف: 52، 53].(3)

* * *

قال: الإمَامُ (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):– {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {64} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَقِيلَ} لهم: {ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ} على ما أملتم فيهم من النفع فأمروا بدعائهم في ذلك الوقت الحرج، الذي يضطر فيه العابد إلى من عبده.

{فَدَعَوْهُمْ} لينفعوهم، أو يدفعوا عنهم من عذاب الله من شيء.

{فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ} فعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين مستحقين للعقوبة،

{وَرَأَوُا الْعَذَابَ} الذي سيحل بهم عيانا، بأبصارهم بعد ما كانوا مكذبين به، منكرين له.

{لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ} أي: لما حصل عليهم ما حصل، ولهدوا إلى صراط الجنة، كما اهتدوا في الدنيا، ولكن لم يهتدوا، فلم يهتدوا.(4)

* * *

[٦٥] ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (64) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما –.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامُ (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (64).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامُ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (64).

(4) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (64)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

ويوم يناديهم ربهم قائلًا: ماذا أجبتم به رسلي الذين بعثتهم إليكم؟.[1]

* * *

ويوم ينادي الله هؤلاء المشركين، فيقول: بأيِّ شيء أجبتم المرسلين فيما أرسلناهم به إليكم؟.[2]

* * *

واذكر – أيها الرسول – ﷺ –: كذلك يوم ينادى المشركون من جانب الله تعالى نداء توبيخ، فقال لهم: بأى شئ أجبتم رسلى الذين أرسلتهم لدعوتكم إلى الإيمان فبلغوكم الرسالة؟.[3]

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{ويوم يناديهم} ..... أي: الله تبارك وتعالى.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) – قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَة الْقَصَص} الآية {65} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَوْمَ} وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَة {يُنَادِيهِمْ} الْكفَّار {فَيَقُولُ} الله لَهُم {مَاذَا أَجَبْتُم الْمُرْسلين} بِمَا دعوكم.[4]

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَة الْقَصَص} الآية {65} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ} أَيْ: يَسْأَلُ اللَّهُ الْكُفَّارَ، {فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ}[5]

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {65} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ}: النِّدَاءُ الْأَوَّلُ عَنْ سُؤَالِ التَّوْحِيدِ، وَهَذَا فِيهِ إِثْبَاتُ النُّبُوَّاتِ: مَاذَا كَانَ جَوَابُكُمْ لِلْمُرْسَلِينَ إِلَيْكُمْ؟ وَكَيْفَ كَانَ حَالُكُمْ مَعَهُمْ؟ وَهَذَا كَمَا يُسْأَلُ الْعَبْدُ فِي قَبْرِهِ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَشْهَدُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ. وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَقُولُ: هَاهْ.. هَاهْ. لَا أَدْرِي" وَلِهَذَا لَا جَوَابَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غَيْرَ السُّكُوتِ" لِأَنَّ مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا .[6]

* * *

قال: الإمام (الطبري)– (رحمه الله) – في (تفسيره):– (بسنده الصحيح) – عن (مجاهد): (فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الأنْبَاءُ) قال: الحجج، يعني الحجة.[7]

* * *

قال: الإمام (الطبري)– (رحمه الله) – في (تفسيره):– (بسنده الصحيح) – عن (مجاهد): (فَهُمْ لا

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (393/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (393/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (585/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (65) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(5) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (65).

(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (65).

(7) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمام (الطبري) (607/19).

يَتَسَاءَلُونَ) قال: لا يتساءلون بالأنساب ولا يتماتون بالقربات، إنهم كانوا في الدنيا إذا التقوا تساءلوا و تماتوا.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {65} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ} هل صدقتموهم، واتبعتموهم أم كذبتموهم وخالفتموهم؟.(2)

* * *

[٦٦] ﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فخفي عليهم ما يحتجون به فلم يذكروا شيئا، ولا يسأل بعضهم بعضًا؛ لما هم فيه من هول الصدمة بسبب ما أيقنوا أنهم صائرون إليه من العذاب.(3)

* * *

فخفيت عليهم الحجج، فلم يَدروا ما يحتجون به، فهم لا يسأل بعضهم بعضًا عما يحتجون به سؤال انتفاع.(4)

* * *

فصارت الأخبار غائبة عنهم لا يهتدون إليها، كأنهم فى عَمى، ولم يرجع بعضهم إلى بعض فى ذلك لتساويهم فى العجز عن الإجابة.(5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فعميت عليهم الأنباء} ..... أي: فخفيت عليهم الأنباء التي يمكنهم أن يحتجوا بها.

{فَعَمِيَتْ} ... فَخَفِيَتْ.

{الْأَنبَاءُ} ... الحُجَجُ.

{فهم لا يتساءلون} ..... أي: انقطعوا عن الكلام.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {66} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَعَمِيَتْ} فالتبست {عَلَيْهِمُ الأنبآء} الْأَخْبَار والإجابة {يَوْمَئِذٍ} يَوْم الْقِيَامَة {فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ} لَا يجيبون.(6)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {66} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَعَمِيَتْ} خفيت واشتبهت، {عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ} أَيْ: الْأَخْبَارُ وَالْأَعْذَارُ، وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ): الحجج، {يَوْمَئِذٍ} فَلَا يَكُونُ لَهُمْ عُذْرٌ وَلَا حجة، {فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ} لَا يُجِيبُونَ، وَقَالَ: (قَتَادَةُ): لَا يَحْتَجُّونَ،

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (607/19).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (65)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (393/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (393/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (586/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(6) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (66) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

يعني :- يَسْكُتُونَ لاَ يَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. (1)

* * *

قال: الإمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {66} قَوْلُهُ تعَالَى: {فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ}. وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ): فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَجُ، فَهُمْ لاَ يَتَسَاءَلُونَ بِالْأَنْسَابِ. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {66} قَوْلُهُ تعَالَى: {فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ} أي: لم يحيروا عن هذا السؤال جوابا، ولم يهتدوا إلى الصواب.

ومن المعلوم أنه لا ينجي في هذا الموضع إلا التصريح بالجواب الصحيح، المطابق لأحوالهم، من أننا أجبناهم بالإيمان والانقياد، ولكن لما علموا تكذيبهم لهم وعنادهم لأمرهم، لم ينطقوا بشيء، ولا يمكن أن يتساءلوا ويتراجعوا بينهم في ماذا يجيبون به، ولو كان كذبا. (3)

* * *

[٦٧] ﴿ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فأما من تاب من هؤلاء المشركين من كفره وآمن بالله ورسله، وعمل عملًا صالحًا" فعسى أن يكون من الفائزين بما يطلبونه، الناجين مما يرهبونه. (4)

* * *

فأما من تاب من المشركين، وأخلص لله العبادة، وعمل بما أمره الله به ورسوله، فهو من الفائزين في الدارين. (5)

* * *

هذا شأن المشركين، فأمَّا من تاب من الشرك، وآمن إيماناً صادقاً وعمل الصالحات، فهو يرجو أن يكون عند الله من الفائزين برضوان الله وبالنعيم الدائم المستمر. (6)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فأما من تاب وآمن} ..... أي: آمن بالله ورسوله وتاب من الشرك.

{وعمل صالحا} ...... أدى الفرائض والواجبات.

{فعسى أن يكون من المفلحين} ..... أي: الفائزين بالنجاة من النار ودخول الجنة، وعسى من الله تعالى لا تفيد مجرد الرجاء بل هي لتحقق الموعود به.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (66).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (66).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (66)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (393/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (393/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(6) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (586/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{الْقَصَص} الآيَة {67} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَأَمَّا مَن تَابَ} من الْكفْر {وَآمَنَ} بِاللَّه {وَعمل صَالحا} خَالِصا فِيمَا بَينه وَبَين ربه {فَعَسَى} وَعَسَى من الله وَاجِب {أَن يَكُونَ مِنَ المفلحين} من النَّاجين من السخط وَالْعَذَاب.(1)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآيَة {67} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ} من السُّعَدَاءِ النَّاجِينَ.(2)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآيَة {67} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا} أَيْ: فِي الدُّنْيَا، {فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ} أَيْ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ، و"عَسَى" مِنَ اللَّهِ مُوجِبَةٌ، فَإِنَّ هَذَا وَاقِعٌ بِفَضْلِ اللَّهِ ومَنِّه لَا مَحَالَةَ.(3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآيَة {67} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ}.

لما ذكر تعالى سؤال الخلق عن معبودهم وعن رسلهم، ذكر الطريق الذي ينجو به العبد من عقاب الله تعالى، وأنه لا نجاة إلا لمن اتصف بالتوبة من الشرك والمعاصي، وآمن بالله فعبده، وآمن برسله فصدقهم، وعمل صالحا متبعا فيه للرسل،

{فَعَسَى أَنْ يَكُونَ} من جمع هذه الخصال.

{مِنَ الْمُفْلِحِينَ} الناجحين بالمطلوب، الناجين من المرهوب، فلا سبيل إلى الفلاح بدون هذه الأمور.(4)

* * *

[٦٨] ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وربك -أيها الرسول- ﷺ - يخلق ما يشاء أن يخلقه، ويصطفي من يشاء لطاعته ونبوته، ليس للمشركين الاختيار حتى يعترضوا على الله، تنزه سبحانه وتقدس عما يعبدون معه من الشركاء.(5)

* * *

وربك يخلق ما يشاء أن يخلقه، ويصطفي لولايته مَن يشاء من خلقه، وليس لأحد من الأمر والاختيار شيء، وإنما ذلك لله وحده سبحانه، تعالى وتنزَّه عن شركهم.(6)

* * *

(1) انظُر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (67) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(2) انظُر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (67).

(3) انظُر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (67).

(4) انظُر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (67)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (393/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(6) انظر: (التفسير الميسر) برقم (393/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

وربك يخلق ما يشاء بقدرته، ويختار بحكمته من يشاء للرسالة والطاعة على مقتضى علمه باستعدادهم لذلك، ولم يكن في مقدور الخلق ولا من حقهم أن يختاروا على الله ما يشاءون من أديان باطلة وآلهة زائفة، تنزه الله – تعالى شأنه – عن الشركاء.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{يخلق ما يشاء} ..... أي: من خلقه.

{وَيَخْتَارُ} ... يَصْطَفِي. (أي: من يشاء لنبوته وطاعته).

{ما كان لهم} ..... أي: للمشركين.

{الْخِيَرَةُ} ... الاخْتِيَارُ. (أي: الاختيار في شيء).

{سبحان الله} ..... أي: تنزيها لله عن الشرك.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {68} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ} كَمَا يَشَاء {وَيَخْتَارُ} من خلقه بِالنُّبُوَّةِ من يَشَاء يَعْنِي مُحَمَّدًا – صلى الله عَلَيْهِ وَسلم-. {مَا كَانَ لَهُمُ} لأهل مَكَّة {الْخِيَرَةُ} الاخْتِيَار {سُبْحَانَ الله} نزه نَفسه {وَتَعَالَى} تَبرأ {عَمَّا يُشْرِكُونَ} بِهِ من الْأَوْثَان.(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {68} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ} نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ جَوَابًا لِلْمُشْرِكِينَ حِينَ قَالُوا: لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ يَعْنِي: (الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ) أَوْ (عُرْوَةَ بْنَ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيَّ)، أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يَبْعَثُ الرُّسُلَ بِاخْتِيَارِهِمْ. قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ} قِيلَ: (مَا) لِلْإِثْبَاتِ، مَعْنَاهُ: وَيَخْتَارُ اللَّهُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ، أَيْ يَخْتَارُ مَا هُوَ الْأَصْلَحُ وَالْخَيْرُ.

يَعْنِي:- هُوَ لِلنَّفْيِ أَيْ ليس إليهم الاختيار أو ليس لَهُمْ أَنْ يَخْتَارُوا عَلَى اللَّهِ

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ} {الْأَحْزَابِ: 36}.

وَالْخِيَرَةُ اسْمٌ مِنَ الِاخْتِيَارِ يُقَامُ مَقَامَ الْمَصْدَرِ، وَهِيَ اسْمٌ لِلْمُخْتَارِ أَيْضًا كَمَا يُقَالُ: مُحَمَّدٌ خِيَرَةُ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ، ثُمَّ نَزَّهَ نَفْسَهُ فَقَالَ: {سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}(3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {68} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}.

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (586/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (68) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (68).

هذه الآيات، فيها عموم خلقه لسائر المخلوقات، ونفوذ مشيئته بجميع البريات، وانفراده باختيار من يختاره ويختصه، من الأشخاص، والأوامر والأزمان والأماكن، وأن أحدا ليس له من الأمر والاختيار شيء، وأنه تعالى منزه عن كل ما يشركون به، من الشريك، والظهير، والعوين، والولد، والصاحبة، ونحو ذلك، مما أشرك به المشركون، (1)

* * *

قال: الإِمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {68} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} .

يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ الْمُنْفَرِدُ بِالْخَلْقِ وَالِاخْتِيَارِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ فِي ذَلِكَ مُنَازِعٌ وَلَا مُعَقِّبٌ فَقَالَ: {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ} أَيْ: مَا يَشَاءُ، فَمَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، فَالْأُمُورُ كُلُّهَا خَيْرُهَا وَشَرُّهَا بِيَدِهِ، وَمَرْجِعُهَا إِلَيْهِ.

وَقَوْلُهُ: {مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ} نَفْيٌ عَلَى أَصَحِّ الْقَوْلَيْنِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ} {الْأَحْزَابِ: 36}.

وَقَدِ اخْتَارَ (ابْنُ جَرِيرٍ) أَنَّ {مَا} هَاهُنَا بِمَعْنَى "الَّذِي"، تَقْدِيرُهُ: وَيَخْتَارُ الَّذِي لَهُمْ فِيهِ خِيَرَةٌ. وَقَدِ احْتَجَّ بِهَذَا الْمَسْلَكِ طَائِفَةُ الْمُعْتَزِلَةِ عَلَى وُجُوبِ مُرَاعَاةِ الْأَصْلَحِ. وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا نَافِيَةٌ، كَمَا نَقَلَهُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) وَغَيْرُهُ أَيْضًا:، فَإِنَّ الْمَقَامَ فِي بَيَانِ انْفِرَادِهِ تَعَالَى بِالْخَلْقِ وَالتَّقْدِيرِ وَالِاخْتِيَارِ، وَأَنَّهُ لَا نَظِيرَ لَهُ فِي ذَلِكَ"

وَلِهَذَا قَالَ: {سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} أَيْ: مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ، الَّتِي لَا تَخْلُقُ وَلَا تَخْتَارُ شَيْئًا. (2)

* * *

[٦٩] ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وربك يعلم ما تخفي صدورهم وما يعلنونه، يخفى عليه شيء من ذلك، وسيجازيهم عليه. (3)

* * *

وربك يعلم ما تُخفي صدور خلقه وما يظهرونه. (4)

* * *

وربك – أيها الرسول – ﷺ – محيط علمه بما تخفيه صدور المشركين من عداوتهم لك، وما يعلنون بألسنتهم من المطاعن فيك والاعتراض على اختيارك للرسالة. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (68)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (68).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (393/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (393/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (586/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{يعلم ما تكن صدورهم} ...... أي: ما تسر وتخفي من الكفر وغيره.

{تكِنُّ} ... تخْفِي.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَة الْقَصَص} الآية {69} قوْلُهُ تَعَالَى: {وربُّك يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ} مَا تضمر قُلُوبهم من البغض والعداوة {وَمَا يُعْلِنُونَ} مَا يظهرون من الْمعاصِي. (1)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَة الْقَصَص} الآية {69} قوْلُهُ تَعَالَى: {وربُّك يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ} يُظْهِرُونَ. (2)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {69} قوْلُهُ تَعَالَى: ثُمَّ قَالَ: {وربُّك يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ} أَيْ: يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ الضَّمَائِرُ، وَمَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ السَّرَائِرُ، كَمَا يَعْلَمُ مَا تُبْدِيهِ الظَّوَاهِرُ مِنْ سَائِرِ الْخَلَائِقِ، {سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ} {الرَّعْد: 10}. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَة الْقَصَص} الآية {69} قوْلُهُ تَعَالَى: {وربُّك يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ}. وأنه العالم بما أكنته الصدور وما أعلنوه، (4)

* * *

[٧٠] ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وهو الله سبحانه لا معبود بحق غير وحده الحمد في الدنيا، وله الحمد في الآخرة، وله القضاء النافذ الذي لا مردّ له، وإليه وحده ترجعون يوم القيامة للحساب والجزاء. (5)

* * *

وهو الله الذي لا معبود بحق سواه، له الثناء الجميل والشكر في الدنيا والآخرة، وله الحكم بين خلقه، وإليه تُردُّون بعد مماتكم للحساب والجزاء. (6)

* * *

وربك - أيها الرسول - ﷺ -: هو الله الحق المختص بالألوهية، المستحق - وحده - للحمد من عباده في الدنيا على إنعامه

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَة (الْقَصَص) الآية (69) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سُورَة (الْقَصَص) الآية (69).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامْ (ابن كثير) في سُورَة (الْقَصَص) الآية (69).

(4) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَة (الْقَصَص) الآية (69)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (393/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(6) انظر: (التفسير الميسر) برقم (393/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

وهدايته، وفى الآخرة على عدله ومثوبته.

وهو - وحده - صاحب الحكم والفصل بين عباده، وإليه المرجع والمصير. (1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{لـه الحمد في الأولى} ..... أي: في الدنيا لأنه مولى كل نعمة.

{وفي الآخرة} ..... أي: في الجنة.

{وله الحكم} ...... أي: القضاء النافذ.

{وإليه ترجعون} ..... بعد النشور وذلك يوم القيامة.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {70} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَهُوَ الله لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ} لاَ ولد لَهُ وَلاَ شريك لَهُ {لَهُ الْحَمدُ} لَهُ الشُّكر {فِي الأولى وَالْآخِرَة} على أهل الأَرْض وَالسَّمَاء وَيُقَال لَهُ الْحَمد والمنَّة وَالْفضل وَالْإِحْسَان فِي الأولى وَالْآخِرَة على أهل الدُّنْيَا وَالْآخِرَة {وَلَهُ الحكم} الْقَضَاء بَينهم {وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} بعد الْمَوْت. (2)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {70} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَهُوَ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ} يَحْمَدُهُ أَوْلِيَاؤُهُ فِي الدُّنْيَا وَيَحْمَدُونَهُ فِي الْآخِرَةِ فِي الْجَنَّةِ، {وَلَهُ الْحُكْمُ} فَصْلُ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْخَلْقِ.

قَالَ: (ابْنِ عَبَّاس)- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: حَكَمَ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ بِالْمَغْفِرَةِ وَلِأَهْلِ معصيته بالشقاء، {وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}. (3)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {70} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَهُوَ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلا هُوَ} أَيْ: هُوَ الْمُنْفَرِدُ بِالْإِلَهِيَّةِ، فَلَا مَعْبُودَ سِوَاهُ، كَمَا لَا رَبَّ يَخْلُقُ وَيَخْتَارُ سِوَاهُ.

{لَهُ الْحَمْدُ فِي الأولَى وَالآخِرَةِ} أَيْ: فِي جَمِيعِ مَا يَفْعَلُهُ هُوَ الْمَحْمُودُ عَلَيْهِ، لِعَدْلِهِ وَحِكْمَتِهِ.

{وَلَهُ الْحُكْمُ} أَيِ: الَّذِي لَا مُعَقِّبَ لَهُ، لِقَهْرِهِ وَغَلَبَتِهِ وَحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ،

{وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} أَيْ: جَمِيعُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُجَازِي كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ، مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ خَافِيَةٌ فِي سَائِرِ الأعمال. (4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {70} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَهُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}.

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (586/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (70) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سُورَةُ (القَصَص) الآية (70).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (70).

وأنه وحده المعبود المحمود في الدنيا والآخرة، على ماله من صفات الجلال والجمال، وعلى ما أسداه إلى خلقه من الإحسان والإفضال.

وأنه هو الحاكم في الدارين، في الدنيا، بالحكم القدري، الذي أثره جميع ما خلق وذرأ، والحكم الديني، الذي أثره جميع الشرائع، والأوامر والنواهي.

وفي الآخرة يحكم بحكمه القدري والجزائي، ولهذا قال: {وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} . فيجازي كلا منكم بعمله، من خير وشر. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {71-73} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} .

هذا امتنان من الله على عباده، يدعوهم به إلى شكره، والقيام بعبوديته وحقه، أنه جعل لهم من رحمته النهار ليبتغوا من فضل الله، وينتشروا لطلب أرزاقهم ومعايشهم في ضيائه، والليل ليهدأوا فيه ويسكنوا، وتستريح أبدانهم وأنفسهم من تعب التصرف في النهار، فهذا من فضله ورحمته بعباده.

فهل أحد يقدر على شيء من ذلك؟ فلو جعل {عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ} مواعظ الله وآياته سماع فهم وقبول وانقياد، ولو جعل {عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} مواقع العبر، ومواضع الآيات، فتستنير بصائركم، وتسلكوا الطريق المستقيم.

وقال في الليل {أَفَلَا تَسْمَعُونَ} وفي النهار {أَفَلَا تُبْصِرُونَ} لأن سلطان السمع أبلغ في الليل من سلطان البصر، وعكسه النهار. وفي هذه الآيات، تنبيه إلى أن العبد ينبغي له أن يتدبر نعم الله عليه، ويستبصر فيها، ويقيسها بحال عدمها، فإنه إذا وازن بين حالة وجودها، وبين حالة عدمها، تنبه عقله لموضع المنة، بخلاف من جرى مع العوائد، ورأى أن هذا أمر لم يزل مستمرا، ولا يزال. وعمي قلبه عن الثناء على الله، بنعمه، ورؤية افتقاره إليها في كل وقت، فإن هذا لا يحدث له فكرة شكر ولا ذكر. (2)

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (70)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (71-73)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

* * *

﴿ من فَوائِدِ الآيات ﴾
﴿ سُورَةُ الْقَصَص: 60- 70 ﴾

- العاقل من يؤثر الباقي على الفاني
- التوبة تَجُبُّ ما قبلها
- الاختيار لله لا لعباده" فليس لعباده أن يعترضوا عليه.
- إحاطة علم الله بما ظهر وما خفي من أعمال عباده.(1)

* * *

[٧١] ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

قل: أيها الرسول- ﷺ- لهؤلاء المشركين: أخبروني إن صيّر الله عليكم الليل دائمًا مستمرًا، لا انقطاع له إلى يوم القيامة، من معبود غير الله يأتيكم بضياء مثل ضياء النهار؟! أفلا تسمعون هذه الحجج، وتعلمون أن لا إله إلا الله يأتيكم بذلك؟!.(2)

* * *

قل: أيها الرسول- ﷺ-: أخبروني -أيها الناس- إن جعل الله عليكم الليل دائمًا إلى يوم القيامة، مَن إله غير الله يأتيكم بضياء

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (71) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (72) وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (73) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (74) وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (75) إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (76) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (77)

تستضيئون به؟ أفلا تسمعون سماع فهم وقبول؟.(3)

* * *

قل: أيها الرسول- ﷺ-: أخبروني أيها الناس، إن جعل الله عليكم الليل متتابعاً دون نهار إلى يوم القيامة، فهل لكم إله سوى الله يأتيكم بنهار مضئ تقومون فيه بمعاشكم وشئون دنياكم؟.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{أَرَأَيْتُمْ} ... أي: أَخْبِرُونِي.

{سَرْمَدًا} ... دَائِمًا لا يَنْقَطِعُ. (أي: دَائِمًا بَاقِيًا).

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (393/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (394/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (394/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (586/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(أي: دائماً، ليلاً واحداً متصلاً لا يعقبه نهار).

{بضياء} ..... أي: ضوء كضوء النهار.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {71} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{قُلْ} لَهُم يَا مُحَمَّد – ﷺ – لأهل مَكَّة {أَرَأَيْتُمْ} مَا تَقولُونَ يَا معشر الْكفَّار {إِن جَعَلَ الله عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ} إِن ترك الله عَلَيْكُم اللَّيْل مظلماً {سَرْمَداً} دَائِما {إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَة} لَا نَهَار فِيهِ {مَنْ إِلَه غَيْرُ الله} سوى الله {يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ} بنهار {أَفَلاَ تَسْمَعُونَ} أَفلا تطيعون من جعل لكم اللَّيْل وَالنَّهَار. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {71} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ} أَخْبِرُونِي يَا أَهْلَ مَكَّةَ {إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا} دائما، {إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} لَا نَهَارَ مَعَهُ، {مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ} بِنَهَارٍ تَطْلُبُونَ فِيهِ الْمَعِيشَةَ، {أَفَلَا تَسْمَعُونَ} سَمَاعَ فَهْمٍ وَقَبُولٍ. (2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {71} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ}.

يَقُولُ تَعَالَى مُمْتَنًّا عَلَى عِبَادِهِ بِمَا سَخَّرَ لَهُمْ مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، اللَّذَيْنِ لَا قِوَامَ لَهُمْ بِدُونِهِمَا. وَبَيَّنَ أَنَّهُ لَوْ جعلَ الليلَ دَائِمًا عَلَيْهِمْ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَأَضَرَّ ذَلِكَ بِهِمْ، وَلَسَئِمَتْهُ النُّفُوسُ وَانْحَصَرَتْ مِنْهُ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ} أَيْ: تُبْصِرُونَ بِهِ وَتَسْتَأْنِسُونَ بِسَبَبِهِ، {أَفَلَا تَسْمَعُونَ}. (3)

* * *

قال: الإمام (الطبري)– (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قوله: (إن جعل الله عليكم الليل سرمدا) يقول: دائما. (4)

* * *

قال: الإمام (الطبري)– (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) – عن (مجاهد): قوله: (سَرْمَدًا): دائما لا ينقطع. (5)

* * *

[٧٢] ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (71) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (71).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (71).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) ((19/).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) ((612/19).

قــل: لهــم -أيهــا الرســول - ﷺ -: أخبرونــي إن صــيّر الله علــيكم النهــار دائمًــا مســتمراً إلى يــوم القيامــة، مــن معبــود غــير الله يــأتيكم بليــل تســكنون فيــه لتســتريحوا مــن عنــاء العمــل في النهــار؟! أفــلا تبصــرون هــذه الآيــات، وتعلمــون أن لا إله إلا الله يأتيكم بذلك كله؟!. (1)

* * *

قــل لهــم: أخبرونــي إن جعــل الله علــيكم النهــار دائمًــا إلى يــوم القيامــة، مَــن إلــه غــير الله يــأتيكم بليــل تســتقرون وتهــدؤون فيــه؟ أفــلا ترون بأبصاركم اختلاف الليل والنهار؟. (2)

* * *

قــل: - أيهــا الرســول- ﷺ -: للنــاس: إن جعــل الله علــيكم النهــار متتابعــاً دون ليــل إلى يــوم القيامــة، فهــل لكــم إلــه ســوى الله يــأتيكم بليــل تســتريحون فيــه مــن عمــل النهــار؟ لــيس لكــم ذلــك، فلمــاذا لا تبصــرون آيــات الله فتؤمنــوا وتهتدوا؟. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{بليــل تســكنون فيــه} ..... أي: تنــامون فتسكن جوارحكم فتستريح من تعب الحياة.

{لتسكنوا فيه} ..... أي: في الليل.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفســير ابــن عبــاس) - قــال: الإمَــام (مجــد الــدين الفــيروز آبــادى) - (رحمــه الله):- {سُــورَة

الْقَصَــص} الآيــة {72} قَوْلُــهُ تَعَــالَى: {قُــلْ} لَهُــم يَــا مُحَمَّــد أيْضــا {أَرَأَيْــتُمْ} مَــا تَقولُــون {إِن جَعَــلَ الله عَلَــيْكُمْ} إِن تــرك الله عَلَــيْكُم {النَّهَــارَ سَــرْمَداً} دَائِمــا {إِلَــى يَــوْمِ الْقِيَامَــة} لَا لَيــل فِيــهِ {مَــنْ إِلَــه غَيْــرُ الله} ســوى الله {يَــأْتِيكُم بِلَيْــلٍ تَسْــكُنُونَ فِيــهِ} تســتقرون فِيــهِ {أَفَــلاَ تُبْصِــرُونَ} أَفــلا تصــدقُون مــن جعــل لكم خلق اللَّيْل وَالنَّهَار. (4)

* * *

قــال: الإمَــامُ (البغــوي) - (مُحيــي السُّــنَّة) - (رحمــه الله) - في (تفســيره):- {سُــورَة الْقَصَــص} الآيــة {72} قَوْلُــهُ تَعَــالَى: {قُــلْ أَرَأَيْــتُمْ} أَخْبِرُونِــي يَــا أَهْــلَ مَكَّــةَ {إِنْ جَعَــلَ اللَّــهُ عَلَــيْكُمُ النَّهَــارَ سَــرْمَدًا إِلَــى يَــوْمِ الْقِيَامَــةِ} لَا لَيْلَ فِيهِ،

{مَنْ إِلَــهٌ غَيْــرُ اللَّــهِ يَــأْتِيكُمْ بِلَيْــلٍ تَسْــكُنُونَ فِيــهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْخَطَأِ. (5)

(5)

* * *

قــال: الإمَــامُ (إبــن كــثير) - (رحمــه الله) - في (تفســيره):- {سُــورَةُ الْقَصَــص} الآيــة {72} قَوْلُــهُ تَعَــالَى: {قُــلْ أَرَأَيْــتُمْ إِنْ جَعَــلَ اللَّــهُ عَلَــيْكُمُ النَّهَــارَ سَــرْمَدًا إِلَــى يَــوْمِ الْقِيَامَــةِ مَــنْ إِلَــهٌ غَيْــرُ اللَّــهِ يَــأْتِيكُمْ بِلَيْــلٍ تَسْــكُنُونَ فِيــهِ أَفَــلَا تُبْصِرُونَ}.

ثُــمَّ أَخْبَــرَ أَنَّــهُ لَــوْ جَعَــلَ النَّهَــارَ سَــرْمَدًا دَائِمًــا مُسْــتَمِرًا إِلَــى يَــوْمِ الْقِيَامَــةِ، لَأَضَــرَّ ذَلِــكَ بِهِــمْ،

---

(1) انظــر: (المختصــر في تفســير القــرآن الكــريم) (394/1). تصــنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظــر: (التفســير الميســر) بــرقم (394/1)، المؤلــف: (نخبــة مــن أســاتذة التفسير).

(3) انظــر: (المنتخــب في تفســير القــرآن الكــريم) بــرقم (586/1)، المؤلــف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظــر: (تنــوير المقبــاس مــن تفســير ابــن عبــاس) في سُــورَة (الْقَصَــص) الآيــة (72) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(5) انظــر: (مختصــر تفســير البغــوي = المســمى بمعــالم التنزيــل) للإمَــامْ (البغوي) سُورَة (الْقَصَص) الآية (72).

وَلَتعبت الْأَبْدَانُ وكلَّت مِنْ كَثْرَةِ الْحَرَكَاتِ وَالْأَشْغَالِ"

وَلِهَذَا قَالَ: {مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ} أَيْ: تَسْتَرِيحُونَ مِنْ حَرَكَاتِكُمْ وَأَشْغَالِكُمْ. {أَفَلا تُبْصِرُونَ}. (1)

* * *

[٧٣] ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ومن رحمته سبحانه أن جعل لكم -أيها الناس- الليل مظلمًا" لتسكنوا فيه بعدما عانيتم من عمل في النهار، وجعل لكم النهار مضيئًا" لتسعوا إلى طلب الرزق فيه، ولعلكم تشكرون نعم الله عليكم ولا تكفرونها. (2)

* * *

ومن رحمته بكم -أيها الناس- أن جعل لكم الليل والنهار فخالف بينهما، فجعل هذا الليل ظلامًا" لتستقروا فيه وترتاح أبدانكم، وجعل لكم النهار ضياءً" لتطلبوا فيه معايشكم، ولتشكروا له على إنعامه عليكم بذلك. (3)

* * *

ومن رحمة الله بخلقه أن خلق لهم الليل والنهار وجعلهما متعاقبين، ليستريحوا في الليل، وليسعوا على رزقهم ومنافعهم في النهار، وليُدركوا فضل الله عليهم فيشكروه. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{ولتبتغوا من فضله} ..... أي: تطلبوا الرزق من فضل الله في النهار.

{ولعلكم تشكرون} ..... أي: كي تشكروا ربكم بطاعته كالصلاة والصيام والصدقة.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

انظر: سورة – (الإسراء) - آية (12) ...

كما قال تعالى: {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا}.

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {73} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِن رَّحْمَتِهِ} نعْمَته {جَعَلَ لَكُمُ} خلق لكم {اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ} لتستقروا فِي اللَّيْل {وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ} لكَي تطْلبُوا بالنَّهَار فَضله بِالْعلمِ وَالْعِبَادَة {وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} لكَي تشكروا نعْمَته عَلَيْكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَار. (5)

* * *

قال الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (72).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (394/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (394/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (586/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (73) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

الْقَصَص} الآية {73} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ} أَيْ: فِي اللَّيْلِ، {وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} نِعَمَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.(1)

* * *

قَالَ الإِمَامْ (ابن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {73} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْ رَحْمَتِهِ} أَيْ: بِكُمْ {جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ} أَيْ: خَلَقَ هَذَا وَهَذَا {لِتَسْكُنُوا فِيهِ} أَيْ: فِي اللَّيْلِ، {وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ} أَيْ: فِي النَّهَارِ بِالْأَسْفَارِ وَالتَّرْحَالِ، وَالْحَرَكَاتِ وَالْأَشْغَالِ، وَهَذَا مِنْ بَابِ اللَّفِّ وَالنَّشْرِ.

وَقَوْلُهُ: {وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} أَيْ: تَشْكُرُونَ اللَّهَ بِأَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمَنْ فَاتَهُ شَيْءٌ بِاللَّيْلِ اسْتَدْرَكَهُ بِالنَّهَارِ، أَوْ بِالنَّهَارِ اسْتَدْرَكَهُ بِاللَّيْلِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا} [الْفُرْقَانِ: 62]. وَالْآيَاتُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ .(2)

* * *

[٧٤] ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ويوم يناديهم ربهم سبحانه وتعالى قائلًا: أين شركائي الذين كنتم تعبدونهم من دوني، وتزعمون أنهم شركائي؟.(3)

* * *

ويوم ينادي الله هؤلاء المشركين، فيقول لهم: أين شركائي الذين كنتم تزعمون في الدنيا أنهم شركائي؟.(4)

* * *

واذكر كذلك - أيها الرسول - ﷺ - يوم ينادَى المشركون من جانب الله تعالى نداء توبيخ، فيقال لهم: أين الشركاء الذين زعمتموهم آلهة ينصرونكم أو شفعاء يشفعون لكم؟!.(5)

* * *

{وَيَوْمَ} ..... واذكر يوم.

{يُنَادِيهِمْ} ..... ينادى المشركون من جانب الله.

{أَيْنَ شُرَكَائِيَ} ..... من زعمتم أنهم شركاء لي.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

انظر: سورة – (الكهف) – آية (52)- كما قال تعالى: {وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا}.

* * *

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (73).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (73).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (394/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (394/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (587/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

فيها تفصيل عن (الشيخ الشنقيطي)، وانظر: الآية (62) من هذه السورة. ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- ﴿سُورَةُ الْقَصَصِ﴾ الآية ﴿74﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ﴾ وهو يوم الْقِيَامَة ﴿يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ تقولون إنَّهم شركائي.(1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ﴿سُورَةُ الْقَصَصِ﴾ الآية ﴿74﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ كَرَّرَ ذِكْرَ النِّدَاءِ لِلْمُشْرِكِينَ لِزِيَادَةِ التقريع والتوبيخ.(2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ﴿سُورَةُ الْقَصَصِ﴾ الآية ﴿74﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

وَهَذَا أَيْضًا نِدَاءٌ ثَانٍ عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ لِمَنْ عَبَدَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، يُنَادِيهِمُ الرب -تبارك وتعالى- على رؤوس الْأَشْهَادِ فَيَقُولُ: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أَيْ: فِي الدَّارِ الدُّنْيَا.(3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ﴿سُورَةُ الْقَصَصِ﴾ الآية ﴿74﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

أي: ويوم ينادي الله المشركين به، العادلين به غيره، الذين يزعمون أن له شركاء، يستحقون أن يعبدوا، وينفعون ويضرون، فإذا كان يوم القيامة، أراد الله أن يظهر جراءتهم وكذبهم في زعمهم وتكذيبهم لأنفسهم.

فـ ﴿يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أي: بزعمهم، لا بنفس الأمر، كما قال: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلا يَخْرُصُونَ﴾.(4)

* * *

[٧٥] ﴿ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وأحضرنا من كل أمة نبيّها يشهد عليها بما كانت عليه من الكفر والتكذيب، فقلنا للمكذبين من تلك الأمم: أعطوا حججكم

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (74) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (74).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (74).

(4) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (74)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

وأدلتكم على ما كنتم عليه من الكفر والتكذيب، فانقطعت حججهم وأيقنوا أن الحق الذي لا مِرْية فيه لله، وغاب عنهم ما كانوا يختلقونه من الشركاء له سبحانه. (1)

* * *

ونزعنا من كل أمة من الأمم المكذبة شهيدا -وهو نبيُّهم-، يشهد على ما جرى في الدنيا من شركهم وتكذيبهم لرسلهم، فقلنا لتلك الأمم التي كذبت رسلها وما جاءت به من عند الله: هاتوا حجتكم على ما أشركتم مع الله، فعلموا حينئذ أن الحجة البالغة لله عليهم، وأن الحق لله، وذهب عنهم ما كانوا يفترون على ربهم، فلم ينفعهم ذلك، بل ضرَّهم وأوردهم نار جهنم. (2)

* * *

وأخرجنا يوم القيامة من كل أمة شهيداً هو نبيُّها. يشهد عليها بما كان منها فى الدنيا فنقول حينئذ للمخالفين منهم: ما هى حجتكم فيما كنتم عليه من الشرك والمعصية؟ فيعجزون عن الجواب، ويعلمون حينئذ أن الحق لله بداية ونهاية، وغاب عنهم غيبة الشئ الضائع ما كانوا يفترون على الله. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{ونزعنا من كل أمة شهيداً} ..... أي: أحضرنا من كل أمة من يشهد عليها وهو نبيها -عليه السلام.

{شَهِيدًا} ... رَسُولًا شَاهِدًا يَشْهَدُ عَلَى قَوْمِهِ بِشِرْكِهِمْ.

{فقلنا هاتوا برهانكم} ..... أي: حججكم على صحة الشرك الذي أنذرتكم رسلنا عواقبه فما قبلتم النذارة ولا البشارة.

{فعلموا أن الحق لله} ..... أي: تبين أن العبادة والدين الحق لله لا لسواه.

{وضل عنهم ما كانوا يفترون} ..... أي: وغاب عنهم ما كانوا يكذبونه من الأقوال الباطلة التي كانوا يردون بها على الرسل عليهم السلام.

{وَضَلَّ} ... ذَهَبَ.

{يَفْتَرُونَ} ... يَخْتَلِقُونَهُ مِنَ الكَذِبِ.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): قوله: (وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا) وشهيدها: نبيها، يشهد عليها أنه قد بلغ رسالة ربه. (4)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): (فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) أي بيّنتكم. (5)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): قوله:

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (394/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (394/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (587/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (614/19).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (614/19).

(فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) قال: حجتكم لما كنتم تعبدون وتقولون. (1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {75} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَنَزَعْنَا} أخرجنا {مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً} نَبيا يشْهد عَلَيْهِم بالبلاغ وَهُوَ نَبِيهم الَّذِي كَانَ فيهم فِي الدُّنْيَا {فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ} حجتكم لماذا رددتم على الرُّسُل {فَعَلِمُوا} علم كل أمة {أَنَّ الْحَق لِلَّهِ} أَن عبَادَة الله وَدين الله الْحق وَأَن الْقَضَاء فِيهِم لله {وَضَلَّ عَنْهُمْ} اشْتغل عَنْهُم بِأَنْفسِهِم {مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ} يعْبدُونَ بِالْكَذِبِ. (2)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {75} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَنَزَعْنَا} أَخْرَجْنَا،

{مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا} يَعْنِي: رَسُولَهُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ كَمَا قَالَ. فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كل أمة بشهيد،

{فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ} حُجَّتَكُمْ بِأَنَّ مَعِي شَرِيكًا. {فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ} التَّوْحِيدَ،

{لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} فِي الدُّنْيَا. (3)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {75} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا} قَالَ: (مُجَاهِدٌ): يَعْنِي رَسُولًا.

{فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ} أَيْ: عَلَى صِحَّةِ مَا ادَّعَيْتُمُوهُ مِنْ أَنَّ لِلَّهِ شُرَكَاءَ،

{فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ} أَيْ: لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، أَيْ: فَلَمْ يَنْطِقُوا وَلَمْ يُحِيرُوا جَوَابًا،

{وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} أَيْ: ذَهَبُوا فَلَمْ يَنْفَعُوهُمْ. (4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {75} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ}.

فإذا حضروا وإياهم، نزع {مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ} من الأمم المكذبة {شَهِيدًا} يشهد على ما جرى في الدنيا، من شركهم واعتقادهم، وهؤلاء بمنزلة المنتخبين.

أي: انتخبنا من رؤساء المكذبين من يتصدى للخصومة عنهم، والمجادلة عن إخوانهم، ومن هم وإياهم على طريق واحد، فإذا برزوا للمحاكمة.

{فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ} حجتكم ودليلكم على صحة شرككم، هل أمرناكم بذلك؟ هل أمرتكم رسلي؟ هل وجدتم ذلك في شيء من

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (614/19).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (75) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامُ (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (75).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامُ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (75).

كتبي؟ هل فيهم أحد يستحق شيئا من الإلهية؟ هل ينفعونكم، أو يدفعون عنكم من عذاب الله أو يغنون عنكم؟ فليفعلوا إذا إن كان فيهم أهلية وليروكم إن كان لهم قدرة،

{فَعَلِمُوا} حينئذ بطلان قولهم وفساده، و {أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ} تعالى، قد توجهت عليهم الخصومة، وانقطعت حجتهم، وأفلجت حجة الله،

{وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} من الكذب والإفك، واضمحل وتلاشى وعدم، وعلموا أن الله قد عدل فيهم، حيث لم يضع العقوبة إلا بمن استحقها واستأهلها.(1)

* * *

[٧٦] ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن قارون كان من قوم موسى -عليه السلام- فتكبر عليهم، وأعطيناه من كنوز الأموال ما إن مفاتح خزائنه ليثقل حملها على الجماعة القوية، إذ قال له قومه: لا تفرح فرح البَطَر، إن الله لا يحب الفرحين فرح البَطَر، بل يبغضهم ويعذبهم على ذلك.(2)

* * *

إن قارون كان من قوم موسى -عليه الصلاة والسلام- فتجاوز حدَّه في الكِبْر والتجبر عليهم، وآتينا قارون من كنوز الأموال شيئًا عظيمًا، حتى إنَّ مفاتحه لَيثقل حملها على العدد الكثير من الأقوياء، إذ قال له قومه: لا تبطر فرحًا بما أنت فيه من المال، إن الله لا يحب مِن خلقه البَطِرين الذين لا يشكرون لله تعالى ما أعطاهم.(3)

* * *

ذكرت السورة قصة قارون، وأنه كان من قوم موسى، فتكبر عليهم غروراً بنفسه وماله، وقد أعطاه الله كنوزاً زاخرة بالأموال، بلغت مفاتيحها من الكثرة بحيث يثقل حملها على الجماعة الأقوياء من الرجال، وحين اغتر بنعمة الله عليه وكفر بما نصحه قومه قائلين له: لا تغتر بمالك، ولا يفتنك الفرح به عن شكر الله، إن الله لا يرضى عن المغرورين المفتونين، والعبرة في هذه القصة أن الكافرين بمحمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قد اغتروا بأموالهم، فبين القرآن أن أموالهم بجانب مال قارون ليست شيئاً مذكوراً.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{إن قارون كان من قوم موسى} ..... أي: ابن عم موسى - عليه السلام.

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (75)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (394/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (394/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (587/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{فَبَغَى عَلَيْهِمْ} ... (أي: ظلمهم واستطال عليهم).

(أي: تجاوز حدَّهُ في الكِبرِ والتَّجبُّر عليهِم.

{وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ} ... وآتينا قارون من كنوز الأموال ما إن مفاتحه، وهي جمع مفتح، وهو الذي يفتح به الأبواب.

{الْكُنُوزِ} ... خَزَائِنِ الأَمْوَالِ.

{مَفَاتِحَهُ} ... مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ مَالِهِ وَصَنَادِيقِهُ الْمُقْفَلَة.

{لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ} ... لَيَثْقُلُ حَمْلُهَا عَلَى الجَمَاعَةِ الكَثِيرَةِ.

{لَتَنُوأُ} ... أي: مَفَاتِحُ خَزَائِن كُنُوزِه لَتُثقِلُ الجماعةَ القويَّةَ، وتَميلُ بهِم لثقلِهَا، يُقَالُ: نَاءَ بِالحِمْلِ: نَهَضَ بِهِ مُثْقَلًا وَنَاءَ بِهِ الحِمْلُ: أَثقَلَهُ، والعصبة من الرجال: ما بَيْنَ العَشَرَةِ إلى الأَرْبَعِينَ.

{ما إن مفاتيحه لتنوء بالعصبة} ..... أي: أعطاه الله من المال ما يثقل عن الجماعة حمل مفاتح خزائنه.

{لَا تَفْرَحْ} ... لا تَبْطَرْ.

{لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين} ..... أي: لا تفرح فرح البطر والأشر.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {76} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى} ابْنُ عَم موسى {فبغى عَلَيْهِمْ} فتطاول على مُوسَى وَهَارُون وقومهما فَقَالَ لمُوسَى الرسَالَة ولهارون الحبورة وَلست فِي شَيْء لَا أرْضى بِهَذَا ورد على مُوسَى نبوته {وَآتَيْنَاهُ} أعطيناه {مِنَ الْكُنُوزِ} يَعْنِي: الْأَمْوَال {مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُ} مَفَاتِيح خزائنه {لَتَنُوءُ بِالعصبة} لتثقل بِالْجَمَاعَة {أُولِي الْقُوَّةِ} ذوي الْقُوَّة وهم أَرْبَعُونَ رجلا يحملون مَفَاتِيح خزانته {إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ} قوم مُوسَى {لَا تَفْرَحْ} لَا تبطر بِالْمَالِ وتشرك {إِنَّ الله لَا يُحِبُّ الفرحين} البطرين فِي الْمَال. (1)

* * *

قَال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {76} قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى} كَانَ ابْنَ عَمِّهِ لِأَنَّهُ قَارُونُ بْنُ يَصْهَرَ بْنِ قَاهِثَ بْنِ لَاوِي بْنِ يَعْقُوبَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمُوسَى بْنُ عِمْرَانَ بْنِ قَاهِثَ،

وَقَالَ: (ابْنُ إِسْحَاقَ): كَانَ قَارُونُ عَمَّ مُوسَى كَانَ أَخَا عِمْرَانَ، وَهُمَا ابْنَا يَصْهَرَ، وَلَمْ يَكُنْ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَقْرَأَ لِلتَّوْرَاةِ مِنْ قَارُونَ، وَلَكِنَّهُ نَافَقَ كَمَا نافق السامري،

{فَبَغَى عَلَيْهِمْ} قِيلَ: كَانَ عَامِلًا لِفِرْعَوْنَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَكَانَ يَبْغِي عَلَيْهِمْ وَيَظْلِمُهُمْ،

وَقَالَ: (قَتَادَةُ): بَغَى عَلَيْهِمْ بِكَثْرَةِ الْمَالِ،

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ): بَغَى عليهم بالشرك،

وقيل: بَغَى عَلَيْهِمْ بِالْكِبْرِ وَالْعُلُوِّ.

{وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ} هِيَ جَمْعُ مفتاح وَهُوَ الَّذِي يُفْتَحُ بِهِ الْبَابُ، هَذَا قَوْلُ (قَتَادَةَ)، وَ(مُجَاهِدٍ)، وجماعة ,

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (76) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

وقيل: مفاتح خزائنه، كما قال: {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ} {الْأَنْعَام: 59} أي: خزائنه.

{لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ} لتثقلهم أي: وتميل بهم إذا حملوها لثقلها،

قال: (أبو عُبَيْدَةَ): هذا من المقلوب تقديره: ما إن العصبة لتنوء بها، يقال: ناء فلانٌ بكذا إذا نهض به مثقلًا،

واختلفوا في عدد العصبة.

قال: (مُجَاهِدٌ): ما بين العشرة إلى خمسة عشر،

وقال: (الضَّحَّاكُ):- عن (ابن عباس- رضي الله عنهما): ما بين الثلاثة إلى العشرة.

وقال: (قَتَادَةُ): ما بين العشرة إلى الأربعين.

وقيل: أربعون رجلًا. وقيل: سبعون.

{إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ} قال: لقارون قومه من بني إسرائيل.

{لَا تَفْرَحْ} لا تبطر ولا تأشر ولا تمرح،

{إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ} الأشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {76} قوله تعالى: {إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ} . إلى آخر القصة يخبر تعالى عن حالة قارون وما فعل وفُعِلَ به ونُصِحَ ووُعِظَ، فقال: {إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى} أي: من بني إسرائيل، الذين فُضِّلوا على العالمين، وفاقوهم في زمانهم، وامتن الله عليهم بما امتن به، فكانت حالهم مناسبة للاستقامة، ولكن قارون هذا، بغى على قومه وطغى، بما أوتيه من الأموال العظيمة المطغية.

{وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ} أي: كنوز الأموال شيئا كثيرا،

{مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ} والعصبة ، من العشرة إلى التسعة إلى السبعة، ونحو ذلك. أي: حتى أن مفاتح خزائن أمواله لتثقل الجماعة القوية عن حملها، هذه المفاتيح، فما ظنك بالخزائن؟.

{إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ} ناصحين له محذرين له عن الطغيان: {لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ} أي: لا تفرح بهذه الدنيا العظيمة، وتفتخر بها، وتلهيك عن الآخرة، فإن الله لا يحب الفرحين بها، المنكبين على محبتها.(2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {76} قوله تعالى: {إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ} .

قال: (الأعمش)، عن (المنهال بن عمرو)، عن (سعيد بن جبير)، عن (ابن عباس) قال: {إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى} ، قال: كان ابن عمه.

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (76).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (76)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

وَهكَـذَا قَـالَ: (إِبْـرَاهِيمُ النَّخعـي)، وَ(عَبْـدُ اللَّـه بْـنُ الْحَـارِث بْـن نَوْفَـل)، وَ(سِـمَاكُ بْـنُ حَـرْب)، وَ(قَتَـادَةُ)، وَ(مَالِـكُ بْـنُ دِينَـار)، وَ(ابْـنُ جُـرَيْج)، وَغَيْـرُهُمْ: أَنَّـهُ كَـانَ ابْـنَ عَـمِّ – مُوسَـى– عَلَيْه السَّلَامُ .

قَـالَ: (ابْـنُ جُـرَيْج): هُـوَ قَـارُونُ بْـنُ يَصْـهَرَ بْـنِ قَاهِثَ، وَمُوسَى بْنُ عِمْرَانَ بْنِ قَاهِثُ.

وَزَعَـمَ (مُحَمَّـدُ بْـنُ إِسْـحَاقَ بْـنِ يَسَـار): أَنَّ قَـارُونَ كَانَ عمَّ – مُوسَى – عَلَيْه السَّلَامُ.

قَـالَ: (ابْـنُ جَرِيـر): وَأَكْثَـرُ أَهْـلِ الْعِلْـمِ عَلَـى أَنَّـهُ كَانَ ابْنَ عَمِّه، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَـالَ: (قَتَـادَةُ بْـنُ دعامـة): كُنَّـا نُحَـدّث أَنَّـهُ كَـانَ ابْـنَ عَـمِّ مُوسَـى، وَكَـانَ يُسَـمَّى الْمُنَـوَّرَ لِحُسْـنِ صَـوْته بِـالتَّوْرَاة، وَلَكِـنَّ عَـدُوَّ اللَّـه نَـافَقَ كَمَـا نَـافَقَ السَّـامِرِيُّ، فَأَهْلَكَهُ الْبَغْيُ لِكَثْرَة مَاله.

وَقَـالَ: (شَـهْرُ بْـنُ حَوْشَـب): زَادَ فِـي ثِيَابِـه شِـبْرًا طُولًا تَرَفُّعًا عَلَى قَوْمه.

وَقَوْلُـهُ: ﴿وَآتَيْنَـاهُ مِـنَ الْكُنُـوزِ﴾ أَيْ: مِـنَ الْأَمْوَال.

﴿مَـا إِنَّ مَفَاتِحَـهُ لَتَنُـوءُ بِالْعُصْـبَةِ أُولِـي الْقُـوَّةِ﴾ أَيْ: لَيُثْقِـلُ حملُهـا الفِئَـامَ مِـنَ النَّـاس لِكَثْرَتِهَا.

قَـالَ: (الْـأَعْمَشُ)، عَـنْ (خَيْثَمَـةَ): كَانَـتْ مَفَـاتِيحُ كُنُـوز قَـارُونَ مِـنْ جُلُـود، كُـلُّ مِفْتَـاحٍ مِثْـلُ الْأُصْـبُع، كُـلُّ مِفْتَـاحٍ عَلَـى خِزَانَـةٍ عَلَـى حِدَتِّـه، فَـإِذَا رَكِـبَ حُمِلَـتْ عَلَـى سِـتِّينَ بَغْلًـا أَغَـرَّ مُحَجَّلًـا. يَعْنِي:– غَيْرُ ذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَوْلُـهُ: ﴿إِذْ قَـالَ لَـهُ قَوْمُـهُ لا تَفْـرَحْ إِنَّ اللَّـهَ لا يُحِـبُّ الْفَـرِحِينَ﴾ أَيْ: وَعَظَـهُ فِيمَـا هُـوَ فِيـه صَـالِحُ قَوْمِـه، فَقَـالُوا عَلَـى سَـبِيلِ النُّصْـحِ وَالْإِرْشَـاد: لَا تَفْـرَحْ بِمَـا أَنْـتَ فِيـه، يَعْنُـونَ: لَا تَبْطَـرْ بِمَـا أَنْـتَ فِيه مِنَ الْأَمْوَال.

﴿إِنَّ اللَّـهَ لا يُحِـبُّ الْفَـرِحِينَ﴾ قَـالَ: (ابْـنُ عَبَّاس): يَعْنِي: الْمَرِحِينَ.

وَقَـالَ: (مُجَاهِـدٌ): يَعْنِـي: الْأَشِـرِينَ الْبَطِـرِينَ، الَّذِينَ لَا يَشْكُرُونَ اللَّهَ عَلَى مَا أَعْطَاهُمْ. (1)

* * *

قولـه تعـالى: ﴿إِنَّ قَـارُونَ كَـانَ مِـنْ قَـوْمِ مُوسَـى فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ .

قَـال: الإمَـام (الطَـبري)– (رحمـه الله) – في (تفسـيره):–

(بسـنده الحسـن) – عـن (قتـادة): قـال: إنمـا بغى عليهم بكثرة ماله. (2)

* * *

قَـال: الإمـام (عبـد الـرزاق) – (رحمـه الله) – في (تفسـيره):– (بسـنده الصـحيح) – عـن (قتـادة): في قولـه: (مَفَاتِحَـهُ لَتَنُـوءُ بِالْعُصْـبَةِ) قـال: كانت من جلود الإبل. (3)

* * *

قَـال: الإمَـام (الطَـبري)– (رحمـه الله) – في (تفسـيره):– (بسـنده الحسـن) – عـن (علـي بـن أبـي طلحة) – عـن (ابـن عبـاس): قولـه: (لَتَنُـوءُ بِالْعُصْـبَةِ) يقـول: تثقـل. وأمـا العصـبة فإنهـا الجماعة. (4)

(1) انظُـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) لِلإِمَـامْ (ابـن كـثير) في سُـورَةُ (الْقَصَـص) الآية (76).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (19/616).

(3) انظـر: (موسـوعة الصـحيح المسـبور مـن التفسـير بالمـأثور) بـرقم (4/59) ، للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (19/618).

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (قتادة): (لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ) قال: ذكر لنا أن العصبة ما بين العشرة إلى الأربعين.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قوله: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) يقول: المرحين.(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن): حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن (قتاده)، إذ قال له قومه (لَا تَفْرَحْ): أي لا تمرح (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ): أي إن الله لا يحب المرحين.(3)

* * *

[٧٧] ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

واطلب فيما أعطاك الله من الأموال الثواب في الدار الآخرة، بأن تنفقه في وجوه الخير، ولا تنس نصيبك من الأكل والشرب واللباس وغير ذلك من النعم، في غير إسراف ولا مخيلة، وأحسن التعامل مع ربك ومع عباده كما أحسن سبحانه إليك، ولا تطلب الفساد في الأرض بارتكاب المعاصي وترك الطاعات، إن الله لا يحب المفسدين في الأرض بذلك، بل يبغضهم.(4)

* * *

والتمس فيما آتاك الله من الأموال ثواب الدار الآخرة، بالعمل فيها بطاعة الله في الدنيا، ولا تترك حظك من الدنيا، بأن تتمتع فيها بالحلال دون إسراف، وأحسن إلى الناس بالصدقة، كما أحسن الله إليك بهذه الأموال الكثيرة، ولا تلتمس ما حرَّم الله عليك من البغي على قومك، إن الله لا يحب المفسدين، وسيجازيهم على سوء صنيعهم.(5)

* * *

واجعل نصيباً مما أعطى لك الله من الغنى والخير في سبيل الله والعمل للدار الآخرة، ولا تمنع نفسك نصيبها من التمتع بالحلال في الدنيا، وأحسن إلى عباد الله مثلما أحسن الله إليك بنعمته، ولا تفسد في الأرض متجاوزاً حدود الله، إن الله سبحانه لا يرضى عن المفسدين لسوء أعمالهم.(6)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَابْتَغِ} ... الْتَمِسْ وَاطْلُبْ.

---

(1) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمام (الطبري) (19/ 618).

(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمام (الطبري) (19/ 622).

(3) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمام (الطبري) (19/ 623).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (394/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (394/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(6) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (587/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة}.....
أي: اطلب في المال الذي أوتيته الدار الآخرة بفعل الخيرات.
{وَلاَ تَنس نَصِيبَكَ} ... لاَ تَتْرُكْ حَظَّكَ.
{وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا} ... أي: لا نَأمُرك أن تتصدقَ بجميع مَالِك، وَتَبْقَى ضَائعًا، بل أَنْفِقْ لآخرتك، وَاسْتَمْتِعْ بالدُّنْيَا اسْتِمْتَاعًا لا يَثْلُمُ دِينَك، وَلا يَضُرُّ بآخرَتِك.
{ولا تبغ الفساد في الأرض}...ولا تلتمس ما حرّم الله عليك من البغي على قومك.
{إن الله لا يحب المفسدين} ... الله لا يحب بغاة البغي والمعاصي.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-
(بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قوله: (وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ) يقول: لا تترك أن تعمل لله في الدنيا. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-
(بسنده الحسن) - عن (قتادة): (وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) قال (الحسن): ما أحل الله لك منها، فإن لك فيها غنى وكفاية. (2)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {77} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وابتغ} اطلب {فيمَا آتَاك الله} بِمَا أَعْطَاك الله بِالْمَال {الدَّار الْآخرَة} يَعْنِي: الْجنَّة {وَلاَ تَنس نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا} لاَ تتْرك نصيبك من الْآخرَة بنصيبك من الدُّنْيَا وَيُقَال لاَ تنقص نصيبك من الدُّنْيَا بِمَا أنفقت وَأعْطيت للآخرة {وَأَحْسِن} إِلَى الْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِين {كَمَا أَحْسَنَ الله إِلَيْك} بِالْمَال {وَلاَ تَبْغِ الْفساد فِي الأَرْض} لاَ تعْمل بِالْمَعَاصِي وَخلاف أَمر الرَّسُول مُوسَى -عَلَيْهِ الصَّلاَة وَالسَّلاَم {إِنَّ الله لاَ يُحِبُّ المفسدين} بِالْمَعَاصِي. (3)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {77} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ} اطْلُبْ فِيمَا أَعْطَاكَ اللَّهُ مِنَ الأموال والنعمة الجنة وَهُوَ أَنْ تَقُومَ بِشُكْرِ اللَّهِ فِيمَا أَنْعَمَ عَلَيْكَ وَتُنْفِقَهُ في رضا الله،
{وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا} قَالَ: (مُجَاهِدٌ)، وَ(ابْنُ زَيْدٍ): لاَ تَتْرُكُ أَنْ تَعْمَلَ فِي الدُّنْيَا والآخرة حَتَّى تَنْجُوَ مِنَ الْعَذَابِ لِأَنَّ حَقِيقَةَ نَصِيبِ الْإِنْسَانِ مِنَ الدُّنْيَا أَنْ يَعْمَلَ لِلْآخِرَةِ.
وَقَالَ: (السُّدِّيُّ): بِالصَّدَقَةِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ،
وَقَالَ: (عَلِيٌّ): لا تنس صحتك وَشَبَابَكَ وَغِنَاكَ أَنْ تَطْلُبَ بِهَا الآخرة،

---

(1) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمام (الطبري) (19/524).
(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمام (الطبري) (19/625).
(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (77) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

قَالَ: (الحسن): أمر أنْ يُقَدِّمَ الْفَضْلَ وَيُمْسِكَ مَا يُغْنِيه،

قَالَ: (مَنْصُورُ بْنُ زَاذَانَ): فِي قَوْلِهِ: {وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا} قَالَ: قُوتَكَ وَقُوتَ أَهْلِكَ،

{وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ} أَيْ أَحْسِنْ بِطَاعَةِ اللَّه كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ بِنِعْمَتِه،

يَعْنِي:- أَحْسِنْ إِلَى النَّاسِ كَمَا أَحْسَنَ الله إليك،

{وَلَا تَبْغِ} لا تطلب،

{الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ} وكل مَنْ عَصَى اللَّهَ فَقَدْ طَلَبَ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ، {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}. (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {77} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا} أَيْ: اسْتَعْمِلْ مَا وَهَبَكَ اللَّهُ مِنْ هَذَا الْمَالِ الْجَزِيلِ وَالنِّعْمَةِ الطَّائِلَةِ، فِي طَاعَةِ رَبِّكَ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِأَنْوَاعِ الْقُرُبَاتِ، الَّتِي يَحْصُلُ لَكَ بِهَا الثَّوَابُ فِي الدار الآخرة.

{وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا} أَيْ: مِمَّا أَبَاحَ اللَّهُ فِيهَا مِنَ الْمَآكِلِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَسَاكِنِ وَالْمَنَاكِحِ، فَإِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، ولنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حَقًّا، وَلِزَوْرِك عَلَيْكَ حَقًّا، فَآتِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ.

{وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ} أَيْ: أَحْسِنْ إِلَى خَلْقِهِ كَمَا أَحْسَنَ هُوَ إِلَيْكَ.

{وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأرْضِ} أَيْ: لَا تَكُنْ هِمَّتُكَ بِمَا أَنْتَ فِيهِ أَنْ تُفْسِدَ بِهِ الْأَرْضَ، وَتُسِيءَ إِلَى خَلْقِ اللَّهِ {إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}. (2)

* * *

قَالَ: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {77} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ} أي: قد حصل عندك من وسائل الآخرة ما ليس عند غيرك من الأموال، فابتغ بها ما عند الله، وتصدق ولا تقتصر على مجرد نيل الشهوات، وتحصيل اللذات،

{وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا} أي: لا نأمرك أن تتصدق بجميع مالك وتبقى ضائعا، بل أنفق لآخرتك، واستمتع بدنياك استمتاعا لا يثلم دينك، ولا يضر بآخرتك،

{وَأَحْسِنْ} إلى عباد الله {كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ} بهذه الأموال،

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (77).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (77).

{وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ} بالتكبر والعمل بمعاصي الله والاشتغال بالنعم عن المنعم، {إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} بل يعاقبهم على ذلك، أشد العقوبة. (1)

* * *

﴿ من فَوَائِدِ الآيَات ﴾
﴿ سُورَةُ الْقَصَص: 71- 77 ﴾

- تعاقب الليل والنهار نعمة من نعم الله يجب شكرها له.
- الطغيان كما يكون بالرئاسة والملك يكون بالمال.
- الفرح بَطَرًا معصية يمقتها الله.
- ضرورة النصح لمن يُخاف عليه من الفتنة.
- بغض الله للمفسدين في الأرض. (2)

* * *

[٧٨] ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

قال قارون: إنما أُعْطِيت هذه الأموال لعلم عندي وقدرة، فأنا أستحقها لذلك. أَوَلَم يعلم قارون أن الله قد أهلك من قبله من الأمم من هم أشد قوة وأكثر جمعًا لأموالهم؟! فما نفعتهم قوتهم ولا أموالهم، ولا يسأل يوم القيامة المجرمون عن ذنوبهم لعلم الله بها، فسؤالهم سؤال تبكيت وتوبيخ. (3)

* * *

قال: قارون لقومه الذين وعظوه: إنما أعطيتُ هذه الكنوز بما عندي من العلم والقدرة، أو لم يعلم قارون أن الله قد أهلك من قبله من الأمم مَن هو أشد منه بطشًا، وأكثر جمعًا للأموال؟ ولا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون" لعلم الله تعالى بها، إنما يُسْألون سؤال توبيخ وتقرير، ويعاقبهم الله على ما علمه منهم. (4)

* * *

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (78) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (79) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (80) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (81) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (82) تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (83) مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(84)

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَة (الْقَصَص) الآية (77)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (394/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (395/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (395/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

فلم يستجب قارون لنصح قومه، ونسى فضل الله عليه، وتجاهل أن الله قد أهلك قبله كثيرين كانوا أكثر منه قدرة على كسب المال وخبرة بوجوه استثماره، والمجرمون لا يُسألون عن ذنوبهم لعلمه تعالى بها، فيدخلون النار بغير حساب، وإنما يُسألون سؤال توبيخ.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي} ... يعني علم التوراة.

{مِنَ الْقُرُونِ} ... الأمم الخالية الكافرة.

{الْقُرُونِ} ... الأُمَم.

{وَأَكْثَرُ} ... جَمْعاً للمال.

{وَلا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ} ... أي لا يسألون سؤال استعتاب، وانما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ.

{وَلا يُسْأَلُ} ... أَيْ: لا يُسْأَلُونَ سُؤَالَ اسْتِعْلَام" بَلْ سُؤَالَ تَوْبِيخٍ وَتَقْرِيرٍ.

{على علم عندي} .... أي: لعلم الله تعالى بأني أهل لذلك.

{وأكثر جمعا} .... أي: للمال.

{ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون} ..... أي: لعلم الله تعالى بهم فيدخلون النار بدون حساب.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) – قال: الإِمَام (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {78} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{قَالَ} قارون {إِنَّمَا أُوتِيتُهُ} أعطيت هذا المَال الذى أعطيْت {على علم عِنْدِي} على مَا علم الله أَنِّي أهل لذَلِك وَيُقَال يصنع الذَّهَب بالكيمياء {أَو لم يعْلم} قَارون {أَنَّ الله قَدْ أَهْلَكَ من قَبْله من الْقُرُون} الْمَاضِيَة {مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً} بِالْبدنِ {وَأَكْثَرُ جَمْعاً} مَالا ورجالاً {وَلَا يسْأَل عَن ذنُوبِهِمُ المجرمون} الْمُشْركُونَ يَوْم الْقِيَامَة كل يعرف بسيماه.(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآيَة {78} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{قَالَ} يَعْنِي: قَارُونَ، {إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي} أَيْ: عَلَى فَضْلٍ وَخَيْرٍ عَلِمَهُ اللَّهُ عِنْدِي فَرَآنِي أَهْلًا لِذَلِكَ فَفَضَّلَنِي بِهَذَا الْمَالِ عَلَيْكُمْ كَمَا فَضَّلَنِي بِغَيْرِهِ ،

قِيلَ: هُوَ عِلْمُ الْكِيمْيَاءِ.

قَالَ: (سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ): كَانَ مُوسَى يَعْلَمُ الْكِيمْيَاءَ فَعَلَّمَ يُوشَعَ بْنَ نُونٍ ثُلُثَ ذَلِكَ الْعِلْمِ وَعَلَّمَ كَالِبَ بْنَ يُوقَنَّا ثُلُثَهُ وَعَلَّمَ قَارُونَ ثُلُثَهُ، فَخَدَعَهُمَا قارون حتى أضاف علمهما إِلَى علمه وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبُ أَمْوَالِه.

يَعْنِي:- {عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي} بِالتَّصَرُّفِ فِي التِّجَارَاتِ وَالزِّرَاعَاتِ وَأَنْوَاعِ الْمَكَاسِبِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ} الْكَافِرَةِ،

{مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا} لِلْأَمْوَالِ،

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (587/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (78) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

{وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ} قَالَ: (قَتَادَةُ): يَدْخُلُونَ النَّارَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا سُؤَالٍ،

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ): يَعْنِي: لَا يَسْأَلُ الْمَلَائِكَةُ عَنْهُمْ لِأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ.

قَالَ: (الْحَسَنُ): لَا يُسْأَلُونَ سُؤَالَ اسْتِعْلَامٍ وَإِنَّمَا يُسْأَلُونَ سُؤَالَ تَقْرِيعٍ وَتَوْبِيخٍ. (1)

* * *

قال: الإِمَامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {78} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ}.

يقول تعالى: مخبرا عن جواب قارون لقومه، حين نصحوه وأرشدوه إلى الخير.

{قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي} أي: أنا لا أفتقر إلى ما تقولون، فإن الله تعالى إنما أعطاني هذا المال لعلمه بأني أستحقه، ولمحبته لي فتقديره: إنما أعطيته لعلم الله فيّ أني أهل له،

وهذا كقوله تعالى: {فإذا مس الإنسان ضر دعانا ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم} {الزمر: 49} أي: على علم من الله بي. (2)

* * *

أخرج - الإمام (آدم بن أبي إياس) - (رحمه الله) - (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): (وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ) كقوله: (يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ) زرقا سود الوجوه، والملائكة لا تسأل عنهم قد عرفتهم. (3) (4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرزاق) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (قتادة): في قوله تعالى: (وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ) قال: يُدْخَلون النار بغير حساب. (5)(6)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {78} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالَ} قارون -رادا لنصيحتهم، كافرا بنعمة ربه-: {إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي}. أي: إنما أدركت هذه الأموال بكسبي ومعرفتي بوجوه المكاسب، وحذقي، أو على علم من الله بحالي، يعلم أني أهل لذلك، فلم تنصحوني على ما أعطاني الله تعالى؟ قال تعالى مبينا أن عطاءه، ليس دليلا على حسن حالة المعطى: {أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا} فما المانع من إهلاك قارون، مع مُضيٍّ عادتنا وسنتنا بإهلاك من هو مثله وأعظم، إذ فعل ما يوجب الهلاك؟.

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (78).
(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (78).
(3) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (60/4)، للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين)،
(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (627/19).
(5) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (60/4)،
(6) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (627/19).

{وَلا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ} بل يعاقبهم الله، ويعذبهم على ما يعلمه منهم، فهم، وإن أثبتوا لأنفسهم حالة حسنة، وشهدوا لها بالنجاة، فليس قولهم مقبولا وليس ذلك دافعا عنهم من العذاب شيئا، لأن ذنوبهم غير خفية، فإنكارهم لا محل له، فلم يزل قارون مستمرا على عناده وبغيه، وعدم قبول نصيحة قومه، فرحا بطرا قد أعجبته نفسه، وغره ما أوتيه من الأموال.(1)

* * *

[٧٩] ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فخرج قارون في زينته مظهراً أُبَّهَتَه، قال الذين يطمعون في زينة الحياة الدنيا من أصحاب قارون: يا ليتنا أُعْطِينا من زينة الدنيا مثل ما أُعْطِي قارون، إن قارون لذو نصيب وافٍ كبير.(2)

* * *

فخرج قارون على قومه في زينته، مريداً بذلك إظهار عظمته وكثرة أمواله، وحين رآه الذين يريدون زينة الحياة الدنيا قالوا: يا ليت لنا مثل ما أعطي قارون من المال والزينة والجاه، إن قارون لذو نصيب عظيم من الدنيا.(3)

* * *

لم يعبأ قارون بنصح قومه، وخرج عليهم في زينته، فاغتر به الذين يحبون متاع الحياة الدنيا، وتمنوا أن يكون لهم مثل ما أعطى قارون من المال والحظ العظيم في الحياة.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{في زينتـه} ..... أي: لباس الأعياد والحفلات الرسمية.

{يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} ... متاعها.

{يـا ليـت لنـا مثـل مـا أوتـي قـارون} ..... أي: تمنوا لو أعطوا من المال والزينة ما أعطي قارون.

{إنـه لـذو حـظ عظيم} .... أي: إنه لذو بخت ونصيب وهبه الله إياه في كتاب المقادير.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {79} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{فَخَرَجَ} قارون {على قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ} الَّتِي كَانَت لَهُ من الْخَيل وَالْبِغَال والغلمان والجواري وحلي الذَّهَب وَالْفِضَّة وألوان السِّلَاح وَالثِّيَاب.

{قَالَ الَّذين يُرِيدُونَ الْحَيَاة الدُّنْيَا} وهم الراغبون

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (78)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (395/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (395/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (588/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ} أعطي.
{قَارُونُ} من المَال.
{إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} نصيب كثير.(1)

* * *

قال: الإِمَامْ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {79} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} مِنَ الْمَالِ.(2)

* * *

قال: الإِمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {79} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}.

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ قَارُونَ: إِنَّهُ خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَةٍ عَظِيمَةٍ، وَتَجَمُّلٍ بَاهِرٍ، مِنْ مَرَاكِبَ وَمَلَابِسَ عَلَيْهِ وَعَلَى خَدَمِهِ وَحَشَمِهِ، فَلَمَّا رَآهُ مَنْ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَمِيلُ إِلَى زُخْرُفِهَا وَزِينَتِهَا، تَمَنَّوْا أَنْ لَوْ كَانَ لَهُمْ مِثْلُ الَّذِي أُعْطِيَ، قَالُوا: {يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} أَيْ: ذُو حَظٍّ وَافِرٍ مِنَ الدُّنْيَا.(3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {79} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}.

{فَخَرَجَ} ذات يوم {فِي زِينَتِهِ} أي: بحالة أرفع ما يكون من أحوال دنياه، قد كان له من الأموال ما كان، وقد استعد وتجمل بأعظم ما يمكنه، وتلك الزينة في العادة من مثله تكون هائلة، جمعت زينة الدنيا وزهرتها وبهجتها وغضارتها وفخرها، فرمقته في تلك الحالة العيون، وملأت بِزَّتُهُ القلوب، واختلبت زينته النفوس، فانقسم فيه الناظرون قسمين، كل تكلم بحسب ما عنده من الهمة والرغبة.(4)

* * *

[٨٠] ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وقال: الذين أعطوا العلم حين رأوا قارون في زينته وسمعوا ما تمناه أصحابه: ويلكم! ثواب الله في الآخرة، وما أعده من النعيم لمن آمن به وعمل عملًا صالحًا، خيرٌ مما أُعطي قارون من زهرة الدنيا، ولا يوفق لقول هذه الكلمة والعمل بما تقتضيه إلا الصابرون

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (79) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما –.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (79).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (79).

(4) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (79)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

الذين يصبرون على إيثار ما عند الله من ثواب على ما في الدنيا من متاع زائل. (1)

* * *

وقال: الذين أوتوا العلم بالله وشرعه وعرفوا حقائق الأمور للذين قالوا: يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون: ويلكم اتقوا الله وأطيعوه، ثوابُ الله لمن آمن به وبرسله، وعمل الأعمال الصالحة، خيرٌ مما أوتي قارون، ولا يَتَقبَّل هذه النصيحة ويوفَّق إليها ويعمل بها إلا مَن يجاهد نفسه، ويصبر على طاعة ربه، ويجتنب معاصيه. (2)

* * *

أما الذين رزقهم الله العلم النافع فلم يفتنهم ذلك، وتوجهوا بالنصح للمفتونين قائلين لهم: لا تتمنوا هذا ولا تنصرفوا عن الدين، فإن ما عند الله من ثواب ونعيم أزكى لمن آمن به وعمل صالحاً، وتلك نصيحة حقة لا يتقبلها إلا من يجاهدون أنفسهم ويصبرون على الطاعة. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} ... الَّذِينَ عَرَفُوا حقائقَ الأشياء، وَنَظَرُوا إلى بَاطِنِ الدنيا، حِينَ نَظَرَ غيرُهم إلى ظَاهِرِهَا.

{وَيْلَكُمْ} ... مُتَوجِّعِينَ مما تمنَّوا لِأَنْفُسِهِمْ، رائِينَ لحالِهِمْ، مُنْكِرِينَ لِمَقالِهِمْ.

{وَلا يُلَقَّاهَا} ... ولا يتقبل تلك النصيحة.

{وقال الذين أوتوا العلم} ..... أي: أعطوا العلم الديني بمعرفة الله والدار الآخرة وموجبات السعادة والشقاء.

{ويلكم} ..... أي: حضر ويلكم وهلاككم بتمنيكم المال وزخرف الدنيا.

{ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا} .... أي: ما عند الله من جزاء للمؤمنين العاملين الصالحات وهو الجنة خير من حطام الدنيا الفاني.

{ولا يلقاها إلا الصابرون} ..... أي: ولا يوفق لقول هذه الكلمة وهي ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً إلا الصابرون على الإيمان والتقوى.

{يُلَقَّاهَا} ... يَتَقَبَّلُ النَّصِيحَةَ، وَيُوَفَّقُ لِلْعَمَلِ بِهَا.

{إِلَّا الصَّابِرُونَ} ... من يجاهدون أنفسهم ويصبرون على الطاعة.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الْإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {80} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالَ الَّذين أُوتُوا الْعلم} أعْطوا علم الزّهْد والتوكل وهم الزاهدون قَالُوا للراغبين {وَيْلَكُمْ} ضيق الله عَلَيْكُم الدُّنْيَا {ثَوَابُ الله خَيْرٌ} فِي الْجنَّة أفضل {لِّمَنْ آمَنَ} بِاللَّه وبموسى {وَعَمِلَ صَالِحاً} خَالِصا فِيمَا بَينه وَبَين ربه {وَلاَ يُلَقَّاهَآ} لَا يعْطى الْجنَّة {إِلاَّ الصَّابِرُونَ} على أَمر الله والمرازي وَيُقَال لَا يوفق للكلمة الطّيبَة الْأَمر بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْي

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (395/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (395/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (588/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

عَنِ الْمُنْكَرِ إِلاَّ الصَّابِرُونَ عَلَى أَمْرِ اللهِ والمرازي.(1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآيَةِ {80} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ)- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: يَعْنِي: الْأَحْبَارَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

وَقَالَ: (مُقَاتِلٌ): أُوتُوا الْعِلْمَ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ فِي الْآخِرَةِ قَالُوا لِلَّذِينَ تَمَنَّوْا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ فِي الدُّنْيَا.

{وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ} يَعْنِي: مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الثَّوَابِ وَالْجَزَاءِ خَيْرٌ.

{لِمَنْ آمَنَ} وَصَدَّقَ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ،

{وَعَمِلَ صَالِحًا} مِمَّا أُوتِيَ قَارُونُ فِي الدُّنْيَا،

{وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ} قَالَ: (مُقَاتِلٌ): لَا يُؤْتَاهَا يَعْنِي الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ.

وَقَالَ: (الْكَلْبِيُّ): لَا يُعْطَاهَا فِي الْآخِرَةِ.

يَعْنِي:- لَا يُؤْتَى هَذِهِ الْكَلِمَةَ وَهِيَ قَوْلُهُ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ إِلَّا الصَّابِرُونَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَعَنْ زِينَةِ الدُّنْيَا.(2)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (إِبْنُ كَثِيرٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآيَةِ {80} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} فَلَمَّا سَمِعَ مَقَالَتَهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ النَّافِعِ قَالُوا لَهُمْ:

{وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا} أَيْ: جَزَاءُ اللَّهِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِمَّا تَرَوْنَ.

كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، وَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} {السَّجْدَة: 17}.(3)

وَقَوْلُهُ: {وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ}: قَالَ: (السُّدِّيُّ): وَمَا يُلَقَّى الْجَنَّةَ إِلَّا الصَّابِرُونَ. كَأَنَّهُ جَعَلَ ذَلِكَ مِنْ تَمَامِ كَلَامِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ.

قَالَ: (ابْنُ جَرِيرٍ): وَمَا يُلَقَّى هَذِهِ الْكَلِمَةَ إِلَّا الصَّابِرُونَ عَنْ مَحَبَّةِ الدُّنْيَا، الرَّاغِبُونَ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ. وَكَأَنَّهُ جَعَلَ ذَلِكَ مَقْطُوعًا مِنْ كَلَامِ أُولَئِكَ، وَجَعَلَهُ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِخْبَارِهِ بِذَلِكَ.(4)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآيَةِ {80} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} الذين عرفوا حقائق الأشياء، ونظروا إلى باطن الدنيا، حين نظر أولئك إلى ظاهرها: {وَيْلَكُمْ} متوجعين مما

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (80) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامِ (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (80).

(3) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3244) - (كتاب: بدء الخلق).
وأخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (2824) - (كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامِ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (80).

تمنــوا لأنفســهم، راثــين لحــالهم، منكــرين لمقــالهم: {ثَــوَابُ اللَّــهِ} العاجــل، مــن لــذة العبــادة ومحبتــه، والإنابــة إليــه، والإقبــال عليــه. والآجــل مــن الجنــة ومــا فيهــا، ممــا تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين.

{خَيْــرٌ} مــن هــذا الــذي تمنيــتم ورغبــتم فيــه، فهــذه حقيقــة الأمــر، ولكــن مــا كــل مــن يعلــم ذلــك يــؤثر الأعلــى علــى الأدنــى، فمــا يُلَقَّــى ذلــك ويوفق له.

{إلا الصَّــابِرُونَ} الــذين حبســوا أنفســهم علــى طاعــة الله، وعــن معصــيته، وعلــى أقــداره المؤلمــة، وصــبروا علــى جــواذب الــدنيا وشــهواتها، أن تشــغلهم عــن ربهــم، وأن تحــول بيــنهم وبــين مــا خلقــوا لــه، فهــؤلاء الــذين يؤثرون ثواب الله على الدنيا الفانية. (1)

* * *

[٨١] ﴿ فَخَسَــفْنَا بِــهِ وَبِــدَارِهِ الْــأَرْضَ فَمَــا كَــانَ لَــهُ مِــنْ فِئَــةٍ يَنْصُــرُونَهُ مِــنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فخســفنا الأرض بــه وبــداره ومــن فيهــا انتقامًــا منــه علــى بغيــه، فمــا كــان لــه مــن جماعــة ينصــرونه مــن دون الله، ومــا كــان مــن المنتصــرين بنفسه. (2)

* * *

فخســـفنا بقـــارون وبـــداره الأرض، فمـــا كـــان لـــه مـــن جنـــد ينصـــرونه مـــن دون الله، ومـــا كـــان ممتنعًا من الله إذا أحلَّ به نقمته. (3)

* * *

فخســف الله بــه الأرض فابتلعتــه هــو وداره بمــا فيهــا مــن أمــوال وزينــة، فلــم يكــن لــه أنصــار يمنعونــه مــن عــذاب الله، ولم يكــن يســتطيع أن ينتصر لنفسه. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فخســفنا بــه وبــداره الأرض} ..... أي: أســخنا الأرض مــن تحتــه فســاخت بــه وبــداره وكــل مــن كان معه فيها من أهل البغي والإجرام.

{فِئَةٍ} ... جُنْد، وَجَمَاعَة.

{يَنْصُرُونَهُ} ... يمنعون عنه عذاب الله.

{وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ} ... ولم يكن يستطيع أن ينتصر لنفسه.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح ذه الآية:

قــال: الإمــام (الطــبري)– (رحمــه الله) – في (تفســيره):– (بســنده الحســن) – عــن (قتــادة): (فَمَــا كَــانَ لَــهُ مِــنْ فِئَــةٍ يَنْصُــرُونَهُ) أي: جنــد ينصــرونه، وما عنده منعة، يمتنع بها من الله. (5)

* * *

قــال: الإمــام (البخــاري)– (رحمــه الله) – في (صــحيحه) – (بســنده):– ((بينــا رجــل يمشــي فــيمن كــان قــبلكم وعليــه بــردان يتــبختر فهمــا إذ خســف

(1) انظُــر: (تيســير الكــريم الــرَّحمن في تفســير كــلام المنــان) في سُــورَةُ (الْقَصَص) الآية (80)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظــر: (المختصــر في تفســير القــرآن الكــريم) (395/1). تصــنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(3) انظــر: (التفســير الميســر) بــرقم (395/1)، المؤلــف: (نخبــة مــن أســاتذة التفسير)،

(4) انظــر: (المنتخــب في تفســير القــرآن الكــريم) بــرقم (588/1)، المؤلــف: (لجنة من علماء الأزهر)،

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (632/19).

به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة)).(1)(2)

* * *

(تفسير ابن عباس) – قال: الإمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {81} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَخَسَفْنَا بِهِ} بقارون {وَبِدَارِهِ} بمنزله {الْأَرْضَ} غارت به الأرْض {فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ} من جماعة وجند {يَنصُرُونَهُ} يمنعونه {مِن دُونِ اللَّهِ} من عذاب الله حين نزل به {وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ} المتنعين بِنفسه من عذاب الله.(3)

* * *

قال: الإمَامْ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {81} قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ} من جَمَاعَةٍ، {يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ} يَمْنَعُونَهُ مِنَ اللَّهِ، {وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ} الْمُمْتَنِعِينَ مِمَّا نَزَلَ بِهِ مِنَ الْخَسْفِ.(4)

* * *

قال: الإمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {81} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ}.

لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى اخْتِيَالَ قَارُونَ فِي زِينَتِهِ، وَفَخْرَهُ عَلَى قَوْمِهِ وَبَغْيَهُ عَلَيْهِمْ، عَقَّبَ ذَلِكَ بِأَنَّهُ خَسَفَ بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ،

كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ -عِنْدَ الْبُخَارِيِّ -مِنْ حَدِيثِ- الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَالِمٍ -أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: ((بَيْنَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ إِذْ خُسِفَ بِهِ ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)).(5)

(5)

ثُمَّ رَوَاهُ -مِنْ حَدِيثِ – (جَرِيرِ بْنِ زَيْدٍ)، عَنْ (سَالِمٍ) عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ)، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، نَحْوَهُ.(6) (7)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {81} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ}.

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (258/10)،ح (5789) – (كتاب: اللباس)، / باب: (من جر ثوبه من الخيلاء).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2088)، (كتاب: اللباس)، / باب: (تحريم التبختر في المشي وما بعده) . – من حديث- (أبي هريرة) – رضي الله عنها-.

(3) انظُر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (81) يِنسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(4) انظُر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (81).

(5) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (258/10)،ح (5789) – (كتاب: اللباس)، / باب: (من جر ثوبه من الخيلاء).

(6) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (5790) – (كتاب: اللباس)،

(7) انظُر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (81).

فلما انتهت بقارون حالة البغي والفخر، وازَّيَّنَت الدنيا عنده، وكثر بها إعجابه، بغتة العذاب {فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ} جزاء من جنس عمله، فكما رفع نفسه على عباد الله، أنزله الله أسفل سافلين، هو وما اغتر به، من داره وأثاثه، ومتاعه.

{فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ} أي: جماعة، وعصبة، وخدم، وجنود.

{يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ} أي: جاءه العذاب، فما نصر ولا انتصر.(1)

* * *

[٨٢] ﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وأصبح الذين تمنوا ما كان فيه من المال والزينة قبل الخسف به يقولون متحسرين معتبرين: ألم نعلم أن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده، ويضيقه على من يشاء منهم؟! لولا أن منّ الله علينا فلم يعاقبنا بما قلنا " لخسف بنا مثل ما خسف بقارون، إنه لا يفوز الكافرون، لا في الدنيا ولا في الآخرة، بل إن مصيرهم ومآلهم الخسران فهما .(2)

* * *

وصار الذين تمنوا حاله بالأمس يقولون متوجعين ومعتبرين وخائفين من وقوع العذاب بهم: إن الله يوسِّع الرزق لمن يشاء من عباده، ويضيِّق على مَن يشاء منهم، لولا أن الله منَّ علينا فلم يعاقبنا على ما قلنا لَخسف بنا كما فعل بقارون، ألم تعلم أنه لا يفلح الكافرون، لا في الدنيا ولا في الآخرة؟.(3)

الآخرة؟.(3)

* * *

وصار الذين تمنوا منذ وقت قريب منزلته من الدنيا يرددون عبارات التحسّر والندم بعد أن فكروا فيما أصابه! ويقولون: إن الله يوسِّع الرزق على من يشاء من عباده المؤمنين وغير المؤمنين، ويضيِّق على من يشاء منهم، ويقولون شاكرين: لولا أن الله أحسن إلينا بالهداية إلى الإيمان والعصمة من الزلل لامتحننا بإجابة ما تمنيناه، ولفعل بنا مثل ما فعل بقارون. إن الكافرين بنعمة الله لا يفلحون بالنجاة من عذابه.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{تمنوا مكانه بالأمس} ..... أي: الذين قالوا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون فالمراد من المكان المكانة وما عليه قارون من الإمارة والزينة والمال والجاه.

{وَيْكَأَنَّ} ... كَلِمَةُ تَوَجُّعٍ، وَتَأَسُّفٍ، وَتَعَجُّبٍ.

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَة (القَصَص) الآية (81)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (395/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (395/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (588/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{ويكـأن الله يبسـط} ..... أي: أعجبُ عالماً أن الله يبسط الرزق لمن يشاء.

{ويقدر} ... أي: يُضيِّق.

{ويْكَأَنَّهُ} ... أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ؟

(أي: {وَيْكَأَنَّـهُ} ... وَيْـ: كَلِمَـةُ تَعَجُّـبٍ، أي: عَجَبًا).

{ويكأنـه لا يفلـح الكـافرون} ..... أي: أعجـب عالمـاً أنـه لا يفلـح الكـافرون أي أنهـم لا يفـوزون بالنجـاة مـن النـار ودخـول الجنـان كمـا يفـوز المؤمنون.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسـير ابـن عبـاس) - قـال: الإِمَـامُ (مجـد الـدين الفـيروز آبـادى) - (رحمـه اللّه):- {سُـورَةُ الْقَصَـص} الآيـة {82} قَوْلُـهُ تَعَـالَى:

{وَأَصْبَحَ} صَار {الَّذِين تَمَنَّوْا مَكَانَـهُ} قـدره ومنزلتـه وَمَالـه {بالأَمْس يَقُولُـون} بَعضهم لـبَعض {وَيكَأَنَّ الله} لَـيْس كَمَـا قَـالَ قَـارون إِن هَـذَا الْمَـال بصـنعي وَلَكـن الله {يَبْسُـطُ} يُوسع {الـرزق} الْمَـال {لمـن يشَـآء} على من يَشَـاء {من عبـاده} وَهُـوَ مكـر منْـهُ كَمَـا كَـانَ لقـارون {وَيَقْـدِرُ} يقـتر علـى مـن يَشَـاء وَهُـوَ نظـر منْـهُ {لَـوْلَا أَن مَـنَّ الله عَلَيْنَـا} فَمنـع عنَّـا مَـا أعطَـاهُ {لَخَسَـفَ بِنَـا} غـارت بِنَـا الأَرْض كَمَـا خسـف بقـارون {وَيْكَأَنَّـهُ} وَأَنـه وَالْيَـاء وَالْكَـاف صـلَة فِـي الْكَـلَام {لَا يُفْلِـحُ} لَا ينجـو وَلَا يَـأْمَن {الْكَافِرُونَ} من عَذَاب الله.(1)

* * *

قـال: الإِمَـامُ (البغـوي) – (مُحيـي السُّـنَّة) – (رحمـه اللّه) – في (تفسـيره):- {سُـورَةُ الْقَصَـص} الآيـة {82} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {وَأَصْبَحَ الَّـذِينَ تَمَنَّـوْا مَكَانَـهُ بِالْـأَمْسِ} صَـارَ أُولَئِـكَ الَّـذِينَ تَمَنَّـوْا مَـا رَزَقَـهُ اللَّـهُ مِـنَ الْمَـالِ وَالزِّينَـةِ يتندمون على ذلك التمني.

{يَقُولُـونَ وَيْكَـأَنَّ اللَّـهَ} اخْتَلَفُـوا فِـي مَعْنَـى هَـذِهِ اللَّفْظَةِ،

قَالَ: (مُجَاهِدٌ): أَلَمْ تَعْلَمْ،

وَقَالَ: (قَتَادَةُ): أَلَمْ تَرَ.

وقَـالَ: (الْفَـرَّاءُ): هِـيَ كَلِمَـةُ تَقْرِيـرٍ كَقَـوْلِ الرَّجُلِ أَمَا تَرَى إِلَى صُنْعِ اللَّهِ وإحسانه.

وَعَـنِ (الْحَسَـنِ): أَنَّـهُ كَلِمَـةُ ابْتِـدَاءٍ تَقْـدِيرُهُ أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ.

يَعْنِي:- هُوَ تَنْبِيهٌ بِمَنْزِلَةِ أَلَا،

وَقَـالَ: (قُطْـرُبٌ): وَيْـكَ بِمَعْنَـى وَيْلَـكَ حـذفت اللام منه.

وَقَـالَ: (الْخَلِيـلُ): وَيْ مَفْصُـولَةٌ مِـنْ كـأن ومعناهـا التعجـب كمـا يقـول: وَيْ لِـمَ فَعَلْـتَ ذَلِـكَ، وَذَلِـكَ أَنَّ الْقَـوْمَ تَنَـدَّمُوا فَقَـالُوا: وَيْ مُتَنَـدِّمِينَ عَلَـى مَـا سَـلَفَ مِـنْهُمْ وَكَـأَنَّ مَعْنَـاهُ أَظُـنُّ ذَلِـكَ وَأُقَـدِّرُهُ، كمـا تقـول: كـأن الفـرح قَـدْ أَتَاكَ أَيْ: أَظُنُّ ذَلِكَ وَأُقَدِّرُهُ،

{يَبْسُـطُ الـرِّزْقَ لِمَـنْ يَشَـاءُ مِـنْ عِبَـادِهِ وَيَقْدِرُ} أَيْ: يُوَسِّعُ وَيُضَيِّقُ،

{لَـوْلا أَنْ مَـنَّ اللَّـهُ عَلَيْنَـا لَخَسَـفَ بِنَـا} قَـرَأَ (حَفْصٌ وَيَعْقُوبُ): بِفَتْحِ الْخَاءِ وَالسِّينِ،

وَقَـرَأَ الْعَامَّـةُ: بِضَـمِّ الْخَـاءِ وَكَسْـرِ السِّـينِ،

{وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ}.(2)

---

(1) انظـر: (تنـوير المقبـاس مـن تفسـير ابـن عبـاس) في سُـورَةُ (الْقَصَـص) الآيـة (82) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما –.

(2) انظـر: (مختصـر تفسـير البغـوي = المسـمى بمعـالم التنزيـل) للإِمَـامُ (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (82).

* * *

قَـال: الإِمَـامْ (إبـن كـثير) – (رحمـه الله) – في (تفسـيره):- {سُـورَةُ الْقَصَـص} الآيـة {82} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {وَأَصْـبَحَ الَّـذِينَ تَمَنَّـوْا مَكَانَـهُ بِـالأمْسِ} أَيِ: الَّـذِينَ لَمَّـا رَأَوْهُ فِـي زِينَتِـهِ قَـالُوا .

{يَـا لَيْـتَ لَنَـا مِثْـلَ مَـا أُوتِـيَ قَـارُونُ إِنَّـهُ لَـذُو حَـظٍّ عَظِيمٍ} ، فَلَمَّا خُسِفَ بِهِ أَصْبَحُوا يَقُولُونَ:

{وَيْكَـأَنَّ اللَّـهَ يَبْسُـطُ الـرِّزْقَ لِمَـنْ يَشَـاءُ مِـنْ عِبَـاده وَيَقْـدِرُ} أَيْ: لَـيْسَ الْمَـالُ بِـدَالٍّ – عَلَـى – رِضَـا اللَّـه عَـنْ صَاحِبه وَعَـنْ عِبَـاده " فَـإِنَّ اللَّـهَ يُعْطِـي وَيَمْنَـعُ، وَيُضَـيِّقُ وَيُوَسِّـعُ، وَيَخْفِـضُ وَيَرْفَعُ، وَلَهُ الْحِكْمَةُ التَّامَّةُ وَالْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ.

وَهَـذَا كَمَـا فِـي الْحَـدِيثِ الْمَرْفُـوعِ عَـنِ (ابْـنِ مَسْـعُودٍ): ((إِنَّ اللَّـهَ قَسَـمَ بَيْـنَكُمْ أَخْلَاقَكُـمْ، كَمَـا قَسَـمَ أَرْزَاقَكُـمْ وَإِنَّ اللَّـهَ يُعْطِـي الْمَـالَ مَـنْ يُحِـبُّ، وَمَـنْ لَا يُحِـبُّ، وَلَا يُعْطِـي الْإِيمَـانَ إِلَّا مَـنْ يُحِبُّ)) (1) .

{لَـوْلَا أَنْ مَـنَّ اللَّـهُ عَلَيْنَـا لَخَسَـفَ بِنَـا} أَيْ: لَـوْلَا لُطْـفُ اللَّـه بِنَـا وإحسَـانه إلينَـا لخسـف بنَـا، كما خسف به، لِأَنَّا وَدِدْنَا أَنْ نَكُونَ مِثْلَهُ.

{وَيْكَأَنَّـهُ لَا يُفْلِـحُ الْكَـافِرُونَ} يَعْنُـونَ: أَنَّـهُ كَـانَ كَـافِرًا، وَلَا يُفْلِـحُ الْكَـافِرُ عِنْـدَ اللَّـهِ، لَا فِـي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ.

وَقَـدِ اخْتَلَـفَ النُّحَـاةُ في معنـى قولـه تعـالى هـا هنـا: {وَيْكَـأَنَّ} ، فَقَـالَ بَعْضُـهُمْ: مَعْنَاهَـا: "وَيْلَـكَ اعْلَـمْ أَنَّ"، وَلَكِـنْ خُفِّفَـتْ فَقِيـلَ: "وَيْـكَ"، ودلَّ فَـتْحُ "أَنَّ" عَلَـى حَـذْفِ "اعْلَـمْ".

وَهَذَا الْقَوْلُ ضعفَّه (ابْنُ جَرِيرٍ)، (2)

وَالظَّـاهِرُ أَنَّـهُ قَـوِيٌّ، وَلَا يُشْـكِلُ عَلَـى ذَلِـكَ إِلَّا كِتَابَتُهَـا فِـي الْمَصَـاحِفِ مُتَّصِـلَةً "وَيْكَـأَنَّ". وَالْكِتَابَـةُ أَمْـرٌ وَضْـعِيٌّ اصْـطِلَاحِيٌّ، وَالْمَرْجِـعُ إِلَـى اللَّفْظِ الْعَرَبِيِّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

يَعْنِـي:- مَعْنَاهَـا: وَيْكَـأَنَّ، أَيْ: أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ. قَالَهُ (قَتَادَةُ).

يَعْنِـي:- مَعْنَاهَـا "وَيْ كَـأَنَّ"، فَفَصَـلَهَا وَجَعَـلَ حَـرْفَ "وَيْ" لِلتَّعَجُّـبِ أَوْ لِلتَّنْبِيـهِ، وَ"كَـأَنَّ" بِمَعْنَى "أَظُنُّ وَأَحْسَبُ".

قَـالَ: (ابْـنُ جَرِيـرٍ): وَأَقْـوَى الْـأَقْوَالِ فِـي هَـذَا قَـوْلُ (قَتَـادَةَ): إِنَّهَـا بِمَعْنَـى: أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ، وَاسْتَشْهَدَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ: (3)

سَـأَلَتَانِي الطَّـلَاقَ أَنْ رَأَتَـانِي ... قَـلَّ مَـالِي، وقَدْ جِئْتُمَانِي بِنُكرِ ...
وَيْكَـأنْ مَـنْ يكُـن لَـهُ نَشَـبٌ يُـحْ ... بَـبْ وَمَـنْ يَفْتَقِر يَعِش عَيْشَ ضُرِّ ... (4)

* * *

قَـال: الإمَـام (الطَّـبري)– (رحمـه الله) – في (تفسـيره):– (بسـنده الحسـن) – عـن (قتـادة): (وَيْكَأَنَّـهُ): أولا ترى أنه. (5)

---

(1) (صَـحيح): أخرجـه الإمَـامُ (أحمـد بـن حنبـل) في (المسـند) بـرقم (387/1).

(2) انظر: تفسير الطبري (77/20).

(3) هو زيد بن عمرو بن نفيل، والبيت في تفسير الطبري (77/20).

(4) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) للإِمَـامْ (ابـن كـثير) في سُـورةُ (الْقَصَـص الآية (82).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (634/19).

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {82} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ} أي: الذين يريدون الحياة الدنيا، الذين قالوا: {يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ} {يَقُولُونَ} متوجعين ومعتبرين، وخائفين من وقوع العذاب بهم: {وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ} أي: يضيق الرزق على من يشاء، فعلمنا حينئذ أن بسطه لقارون، ليس دليلا على خير فيه، وأننا غالطون في قولنا: {إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} و {لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا} فلم يعاقبنا على ما قلنا، فلولا فضله ومنته {لَخَسَفَ بِنَا} فصار هلاك قارون عقوبة له، وعبرة وموعظة لغيره، حتى إن الذين غبطوه، سمعت كيف ندموا، وتغير فكرهم الأول.

{وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} أي: لا في الدنيا ولا في الآخرة.(1)

* * *

[٨٣] ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

تلك الدار الآخرة نجعلها دار نعيم وتكريم للذين لا يريدون تكبراً في الأرض عن الإيمان بالحق واتباعه، ولا يريدون فساداً فيها، والعاقبة المحمودة هي بما في الجنة من نعيم، وما يحلّ فيها من رضا الله للمتقين لربهم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.(2)

* * *

تلك الدار الآخرة نجعل نعيمها للذين لا يريدون تكبراً عن الحق في الأرض ولا فساداً فيها. والعاقبة المحمودة -وهي الجنة- لمن اتقى عذاب الله وعمل الطاعات، وترك المحرمات.(3)

* * *

تلك الدار التى سمعت خبرها - أيها الرسول ﷺ - وبلغك وصفها - وهى الجنة - نخص بها المؤمنين الطائعين الذين لا يطلبون الغلبة والتسلط فى الدنيا، ولا ينحرفون إلى الفساد بالمعاصى، والعاقبة الحميدة إنما هى للذين تمتلئ قلوبهم خشية من الله فيعملون ما يرضيه.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ} .... أي: الجنة، دار الأبرار.

{تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا} ... تلك الدار الآخرة نجعل نعيمها للذين لا يريدون تكبرا عن الحقّ في الأرض وتجبرا عنه ولا فسادا. يقول: ولا ظلم الناس بغير حقّ، وعملا بمعاصي الله فيها.

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (82)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (395/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (395/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (588/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{لا يريدون علواً في الأرض} .... أي: بغيا ولا استطالة على الناس.

{عُلُوًّا} ... تَكَبُّرًا.

{ولا فساداً} ..... أي: ولا يريدون فساداً بعمل المعاصي.

{والعاقبة} ..... أي: المحمودة في الدنيا والآخرة.

{للمتقين} .... الذين يتقون مساخط الله فلا يعتقدون ولا يقولون ولا يعملون ما لا يرضى به الله تعالى.

{وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} ... والجنة للمتقين، وهم الذين اتقوا معاصي الله، وأدّوا فرائضه.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن (منصور)، عن (مسلم البطين): (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا) قال: العلو: التكبر في الحق، والفساد: الأخذ بغير الحق.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (قتادة): (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) أي: الجنة للمتقين.(2)

* * *

قوله تعالى: (خير منها).

انظر: سورة - (الأنعام)- آية (160). -

كما قال تعالى: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ} {الأنعام: 160}.

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {سُورَة الْقَصَص} الآية {83} قَوْلُهُ تَعَالَى: {تِلْكَ الدَّار الْآخِرَة} الْجنَّة {نَجْعَلُهَا} نعطيها {لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً} عتواً وتكبراً {فِي الأَرْض} بِالْمَال {وَلاَ فَسَاداً} بالنقش والتصاوير والمعاصي {وَالْعَاقِبَة} الْجنَّة {لِلْمُتَّقِينَ} الْكفْر والشرك والعلو وَالْفساد فِي الأَرْض.(3)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه اللَّه) - في (تفسيره):- {سُورَة الْقَصَص} الآية {83} قَوْلُهُ تَعَالَى: {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ} قَالَ: (الْكَلْبِيُّ)، وَ(مُقَاتِلٌ): اسْتِكْبَارًا عَنِ الْإِيمَانِ،

وَقَالَ: (عَطَاءٌ): عُلُوًّا وَاسْتِطَالَةً عَلَى النَّاسِ وَتَهَاوُنًا بِهِمْ.

وَقَالَ: (الْحَسَنُ): لَمْ تَطْلُبُوا الشَّرَفَ وَالْعِزَّ عند ذي سلطانها.

وَعَنْ - عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَهْلِ التَّوَاضُعِ مِنَ الْوُلَاةِ وَأَهْلِ الْقُدْرَةِ،

{وَلَا فَسَادًا} قَالَ: (الْكَلْبِيُّ): هُوَ الدُّعَاءُ إِلَى عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ.

وَقَالَ: (عِكْرِمَةُ): أَخْذُ أَمْوَالِ النَّاسِ بِغَيْرِ حَقٍّ.

---

(1) ورجاله ثقات وسنده صحيح. و(منصور هو ابن المعتمر)، و(سفيان - هو - الثوري)، و(عبد الرحمن - هو - ابن مهدي).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (638/19).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَة (الْقَصَص) الآية (83) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

وقال: (ابْنُ جُرَيْجٍ)، و(مُقَاتِلٌ): الْعَمَلُ بِالْمَعَاصِي،

{وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} أي: الْعَاقِبَةُ الْمَحْمُودَةُ لِمَنِ اتَّقَى عقاب الله بأداء أمره واجتناب معاصيه.

قال: (قَتَادَةُ): الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآيَةُ {83} قَوْلُهُ تَعَالَى: {تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} .

يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَنَعِيمَهَا الْمُقِيمَ الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ، جَعَلَهَا لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَاضِعِينَ، الَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ، أَيْ: تَرَفُّعًا عَلَى خَلْقِ اللَّهِ وَتَعَاظُمًا عَلَيْهِمْ وَتَجَبُّرًا بِهِمْ، وَلَا فَسَادًا فِيهِمْ. كَمَا

قَالَ: (عِكْرِمَةُ): الْعُلُوُّ: التَّجَبُّرُ.

وَقَالَ: (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ): الْعُلُوُّ: الْبَغْيُ.

وَقَالَ: (سُفْيَانُ بْنُ سَعِيدٍ الثَّوْرِيُّ)، عَنْ (مَنْصُورٍ)، عَنْ (مُسْلِمٍ الْبَطِينِ): الْعُلُوُّ فِي الْأَرْضِ: التَّكَبُّرُ بِغَيْرِ حَقٍّ. وَالْفَسَادُ: أَخْذُ الْمَالِ بِغَيْرِ حَقٍّ.

وَقَالَ (ابْنُ جُرَيْجٍ): {لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ} تَعَظُّمًا وَتَجَبُّرًا، {وَلا فَسَادًا}: عَمَلًا بِالْمَعَاصِي.

وَقَالَ: (ابْنُ جَرِيرٍ): حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ أَشْعَثَ السَّمَّانِ، عَنْ أَبِي سَلَّامٍ الْأَعْرَجِ، عَنْ (عَلِيٍّ) قَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيُعْجِبُهُ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ أَنْ يَكُونَ أَجْوَدَ مِنْ شِرَاكِ صَاحِبِهِ، فَيَدْخُلُ فِي قَوْلِهِ: {تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} .

وَهَذَا مَحْمُولٌ عَلَى مَا إِذَا أَرَادَ بِذَلِكَ الْفَخْرَ وَالتَّطَاوُلَ عَلَى غَيْرِهِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مَذْمُومٌ،

كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: ((إِنَّهُ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ)) (2)،

وَأَمَّا إِذَا أَحَبَّ ذَلِكَ لِمُجَرَّدِ التَّجَمُّلِ فَهَذَا لَا بَأْسَ بِهِ، فَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَكُونَ رِدَائِي حَسَنًا وَنَعْلِي حَسَنَةً، أَفَمِنَ الْكِبْرِ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: ((لَا إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ)) (3) (4).

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآيَةُ {83} قَوْلُهُ تَعَالَى: {تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} .

لما ذكر تعالى، قارون وما أوتيه من الدنيا، وما صار إليه عاقبة أمره، وأن أهل العلم

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (83).

(2) (صحيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2865) – (كتاب: الجنة وصفه نعيمها وأهلها)، - من حديث- (عياض بن حمار)- رضي الله عنه.

(3) (صحيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (91) – (كتاب: الإيمان)،

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص الآية (83).

قالوا: {ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا} رغب تعالى في الدار الآخرة، وأخبر بالسبب الموصل إليها فقال: {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ} التي أخبر الله بها في كتبه وأخبرت﴿بها﴾ رسله، التي﴿قد﴾ جمعت كل نعيم، واندفع عنها كل مكدر ومنغص، {نَجْعَلُهَا} دارا وقرارا {لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَادًا} أي: ليس لهم إرادة، فكيف العمل للعلو في الأرض على عباد الله، والتكبر عليهم وعلى الحق {وَلا فَسَادًا} وهذا شامل لجميع المعاصي، فإذا كانوا لا إرادة لهم في العلو في الأرض والإفساد، لزم من ذلك، أن تكون إرادتهم مصروفة إلى الله، وقصدهم الدار الآخرة، وحالهم التواضع لعباد الله، والانقياد للحق والعمل الصالح.

وهؤلاء هم المتقون الذين لهم العاقبة، ولهذا قال: {وَالْعَاقِبَةُ} أي: حالة الفلاح والنجاح، التي تستقر وتستمر، لمن اتقى الله تعالى، وغيرهم -وإن حصل لهم بعض الظهور والراحة- فإنه لا يطول وقته، ويزول عن قريب. وعلم من هذا الحصر في الآية الكريمة، أن الذين يريدون العلو في الأرض، أو الفساد، ليس لهم في الدار الآخرة، نصيب، ولا لهم منها نصيب. (1)

* * *

[٨٤] ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

من جاء بالحسنة يوم القيامة -من صلاة وزكاة وصيام وغيره- فله جزاء خير من تلك الحسنة حيث تضاعف له الحسنة إلى عشر أمثالها، ومن جاء يوم القيامة بالسيئة -من كفر وأكل ربا وزِنًى وغير ذلك- فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا مثل ما عملوا دون زيادة. (2)

* * *

من جاء يوم القيامة بإخلاص التوحيد لله وبالأعمال الصالحة وَفْق ما شرع الله، فله أجر عظيم خير من ذلك، وذلك الخير هو الجنة والنعيم الدائم، ومن جاء بالأعمال السيئة، فلا يُجْزى الذين عملوا السيئات على أعمالهم إلا بما كانوا يعملون. (3)

* * *

الذى يأتى بالحسنة - وهى الإيمان والعمل الصالح - له ثواب مضاعف بسببها، والذى يأتى بالسيئة - وهى الكفر والمعصية - فلا يجزى إلا بمثل ما عمل من سوء. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ}..... أي: يوم القيامة والحسنة: أثر طاعة الله تعالى يجزى به المؤمن.

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (83)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (395/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (395/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (588/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{فله خير منها} ..... أي: تضاعف له عشرة أضعاف.

{ومن جاء بالسيئة} ..... السيئة أثر معصية الله تعالى يعاقب به العبد إذا لم يعف الله تعالى عنه.

{فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ}...فلا يثاب الذين عملوا السيئات على أعمالهم السيئة.

{إِلا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}... إلا جزاء ما كانوا يعملون.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (قتادة): قوله: (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا) أي: له منها حظ خير، والحسنة: الإخلاص، والسيئة: الشوك. (1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {84} قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ} بِلاَ إِلَه إِلاَ الله مخلصاً بهَا {فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا} فَلهُ منْهَا خير {وَمَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ} بالشرك بِاللَّه {فَلاَ يُجْزَى الَّذين عَمِلُواْ السَّيِّئَاتِ} فِي الشّرك بِاللَّه {إِلاَّ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} النَّار. (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {84} قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ} أَيْ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

{فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا} أَيْ: ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ حَسَنَةِ الْعَبْدِ، فَكَيْفَ وَاللَّهُ يُضَاعِفُهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً فَهَذَا مَقَامُ الْفَضْلِ.

ثُمَّ قَالَ: {وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}، كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: {وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} {النَّمْل: 90} وَهَذَا مَقَامُ الفَصْلِ وَالْعَدْلِ. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {84} قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.

يخبر تعالى عن مضاعفة فضله، وتمام عدله فقال: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ} شرط فيها أن يأتي بها العامل، لأنه قد يعملها، ولكن يقترن بها ما لا تقبل منه أو يبطلها، فهذا لم يجيء بالحسنة، والحسنة: اسم جنس يشمل جميع ما أمر الله به ورسوله، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحق الله تعالى وحق عباده،

{فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا} أي: أعظم وأجل، وفي الآية الأخرى {فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا} هذا التضعيف

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (638/19).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (84) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (84).

للحسنة، لا بد منه، وقد يقترن بذلك من الأسباب ما تزيد به المضاعفة، كما قال تعالى: {وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} بحسب حال العامل وعمله، ونفعه ومحله ومكانه،

{وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ} وهي كل ما نهى الشارع عنه، نَهْيَ تحريم.

{فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} . كقوله تعالى: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ} . (1)

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾
﴿ سُورَةُ الْقَصَص: 78- 84 ﴾

- كل ما في الإنسان من خير ونِعَم، فهو من الله خلقًا وتقديرًا.
- أهل العلم هم أهل الحكمة والنجاة من الفتن" لأن العلم يوجه صاحبه إلى الصواب.
- العلو والكبر في الأرض ونشر الفساد عاقبته الهلاك والخسران.
- سعة رحمة الله وعدله بمضاعفة الحسنات للمؤمن وعدم مضاعفة السيئات للكافر. (2)

* * *

[٨٥] ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن الذي أنزل عليك القرآن وفرض عليك تبليغه والعمل بما فيه لمرجعك إلى مكة فاتحًا،

قل: -أيها الرسول- ﷺ -للمشركين: ربي أعلم بمن جاء بالهدى، ومن هو في ضلال واضح عن الهدى والحق. (3)

* * *

إن الذي أنزل عليك -أيها الرسول- ﷺ - القرآن، وفرض عليك تبليغه والتمسُّك به، لمرجعك إلى الموضع الذي خرجت منه، وهو ‹ مكة › ،

قل:- أيها الرسول -ﷺ- لهؤلاء المشركين: ربي أعلم مَن جاء بالهدى، ومن هو في ذهاب واضحٍ عن الحق. (4)

* * *

إن الله الذى أنزل القرآن، وفرض عليك تبليغه والتمسك به لرادك إلى موعد - لا محالة منه - وهو يوم القيامة ليفصل بينك وبين مكذبيك، قل - أيها الرسول -ﷺ- للكافرين: ربى هو الذى يعلم علماً ليس فوقه علم بمن منحه الهداية والرشاد، وبمن هو واقع فى الضلال الذى يدركه كل عاقل سليم الإدراك. (5)

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (84)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (395/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (396/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (396/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (589/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

* * *

شرح و بيان الكلمات

{إن الـذي فـرض عليـك القـرآن}..... أي: الله الـذي أنـزل عليـك القـرآن وفـرض عليـك قراءته والعمل بما فيه وتبليغه.

{فَرَضَ}... أَنْزَلَ.

{فَـرَضَ عَلَيْـكَ الْقُـرْآنَ}... أَنْـزَلَ عليـكَ القـرآنَ وأَوْجَبَ عليكَ العملَ به.

{لَـرَادُّكَ إِلَـى مَعَـادٍ}... لَمُرْجِعُـكَ إِلَـى الْمَوْضِـعِ الَّذِي خَرَجْتَ مِنْهُ، وَهُوَ مَكَّةُ.

(أي: لمرجعــك إلى مكــة فا تحــاً إذ معــاد الرجــل بلده الذي يعود إليه).

{إِلَـى مَعَـادٍ}... إلى مكـانٍ تَعُـودُ إليـه، وَاخْتَلَـفَ المفسـرونَ فيـه عَلَـى أقـوالٍ منهـا: أنـه المقـامُ المحمودُ، يَعنِي:- بَلَدَكَ مكةُ،

وقيل: الجنةُ،

وقيل: البعثُ،

وقيل: الموتُ.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

أخـرج - الإمـام (آدم بـن أبـي إيـاس) - (رحمـه الله)- (بسـنده الصـحيح) - عـن (مجاهـد): في قـول الله (إنَّ الَّـذي فَـرضَ عَلَيْـكَ الْقُـرْآنَ) قـال: الـذي أعطاكه.(1)(2)

* * *

قـال: الإمـام (الطـبري)- (رحمـه الله) - في (تفسـيره):-

(بسـنده الصـحيح) - عـن (مجاهـد): قولـه: (لَـرادُّكَ إِلَـى مَعَـادٍ) قـال: يجـيء بـك يـوم القيامة.(3)

* * *

قـال: الإمـام (الطـبري)- (رحمـه الله) - في (تفسـيره):-

(بسـنده الحسـن) - عـن (قتـادة): في قولـه: (لَـرادُّكَ إِلَـى مَعَـادٍ) قـال: كـان (الحسـن) يقـول: إي والله، إن لـه لمعـادا يبعثـه الله يـوم القيامة، ويدخله الجنة.(4)

* * *

(تفسـير ابـن عبـاس) - قـال: الإمَـامُ (مجـد الـدين الفـيروز آبـادى) - (رحمـه الله):- {سُـورَةُ الْقَصَـص} الآيــة {85} قَوْلُــهُ تَعَــالَى: {إِنَّ الَّـذِي فَـرَضَ عَلَيْـكَ الْقُرْآنَ} نـزل عَلَيْـك جِبْرِيـل بِـالْقُرْآنِ {لَـرَآدُّكَ إِلَـى مَعَـادٍ} إِلَـى مَكَّـة وَيُقَـال الْجنَّـة {قُـل} يَـا مُحَمَّـد- ﷺ - {رَبِّـي أَعْلَـمُ مَـن جَـآءَ بِالْهـدى} بِالتَّوْحِيـدِ وَالْقُـرْآن {وَمَـنْ هُـوَ فِي ضلال مُبين} فِي كفر بَين وَخطأ بَين.(5)

(5)

* * *

قـال: الإمَـامُ (البغـوي) - (مُحيـي السُـنَّة) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- {سُـورَةُ الْقَصَـص} الآيــة {85} قَوْلُــهُ تَعَــالَى: {إِنَّ الَّـذِي فَـرَضَ عَلَيْـكَ الْقُـرْآنَ} أَيْ: أَنْـزَلَ عَلَيْـكَ الْقُرْآنَ - عَلَى قَوْلِ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ -

وَقَـالَ: (عَطَـاءٌ): أَوْجَـبَ عَلَيْـكَ الْعَمَـلَ بِالْقُرْآنِ،

{لَـرَادُّكَ إِلَـى مَعَـادٍ} إلى مكـة، وَذَلِـكَ أَنَّ النَّبِـيَّ - صَـلَّى اللَّـهُ عليـه وسلم- ((لمـا خـرج مُهَـاجِرًا إِلَـى الْمَدِينَـةِ سَـارَ فِـي غَيْـرِ الطَّرِيـقِ مَخَافَـةَ الطَّلَـبِ فَلَمَّـا أَمِـنَ وَرَجَـعَ إِلَـى الطَّرِيـقِ نَـزَلَ الْجُحْفَـةَ بَـيْنَ مَكَّـةَ وَالْمَدِينَـةِ، وَعَـرَفَ الطَّرِيـقَ

---

(1) انظـر: (موسـوعة الصـحيح المسـبور مـن التفسـير بالمـأثور) بـرقم (62/4)، للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين).
(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (639/19).
(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (640/19).
(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (640/19).
(5) انظـر: (تنـوير المقبـاس مـن تفسـير ابـن عبـاس) في سُـورَةُ (الْقَصَـص) الآيـة (85) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

إِلَى مَكَّةَ اشْتَاقَ إِلَيْهَا، فأتاه جبريل وَقَالَ: أَتَشْتَاقُ إِلَى بَلَدِكَ وَمَوْلِدِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ} {القصص: 85}).

وَهَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ بِالْجُحْفَةِ لَيْسَتْ بِمَكِّيَّةٍ وَلَا مَدَنِيَّةٍ. وروى (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ) عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ)- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: {لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ} إِلَى الْمَوْتِ.

وَقَالَ: (الزُّهْرِيُّ)، وَ(عِكْرِمَةُ): إِلَى الْقِيَامَةِ.

وقيل: إِلَى الْجَنَّةِ.

* * *

{قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى} أَيْ: يَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَهَذَا جَوَابٌ لِكُفَّارِ مَكَّةَ لَمَّا قَالُوا لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: قُلْ لَهُمْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى أَيْ: يَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى يَعْنِي نَفْسَهُ،

{وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} يَعْنِي: الْمُشْرِكِينَ وَمَعْنَاهُ أَعْلَمُ بِالْفَرِيقَيْنِ. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) -(رحمه الله)- في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {85} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}.

يقول تعالى: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ} أي: أنزله، وفرض فيه الأحكام، وبين فيه الحلال والحرام، وأمرك بتبليغه للعالمين، والدعوة لأحكام جميع المكلفين، لا يليق بحكمته أن تكون الحياة هي الحياة الدنيا فقط، من غير أن يثاب العباد ويعاقبوا، بل لا بد أن يردك إلى معاد، يجازي فيه المحسنون بإحسانهم، والمسيئون بمعصيتهم.

وقد بينت لهم الهدى، وأوضحت لهم المنهج، فإن تبعوك، فذلك حظهم وسعادتهم، وإن أبوا إلا عصيانك والقدح بما جئت به من الهدى، وتفضيل ما معهم من الباطل على الحق، فلم يبق للمجادلة محل، ولم يبق إلا المجازاة على الأعمال من العالم بالغيب والشهادة، والمحق والمبطل. ولهذا قال: {قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} وقد علم أن رسوله هو المهتدي الهادي، وأن أعداءه هم الضالون المضلون. (2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {85} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}.

يَقُولُ تَعَالَى آمِرًا رسوله، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، بِبَلَاغِ الرِّسَالَةِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ عَلَى النَّاسِ، وَمُخْبِرًا لَهُ بِأَنَّهُ سَيَرُدُّهُ إِلَى مَعَادٍ،

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (85).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (85)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، فَيَسْأَلُهُ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ مِنْ أَعْبَاءِ النُّبُوَّةِ" وَلِهَذَا قَالَ: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ} أَيِ: افْتَرَضَ عَلَيْكَ أَدَاءَهُ إِلَى النَّاسِ،

{لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ} أَيْ: إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَيَسْأَلُكَ عَنْ ذَلِكَ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ} {الْأَعْرَاف: 6}،

وَقَالَ {يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ} {الْمَائِدَة: 109}.

وَقَالَ: {وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ} {الزُّمَر: 69}.

وَقَالَ: (السُّدِّيُّ): عَنْ (أَبِي صَالِحٍ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ): {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ}، يَقُولُ: لَرَادُّكَ إِلَى الْجَنَّةِ، ثُمَّ سَائِلُكَ عَنِ الْقُرْآنِ.

قَالَ: (السُّدِّيُّ): وَقَالَ (أَبُو سَعِيدٍ): مِثْلَهَا.

* * *

وَقَالَ: (الْحَكَمُ بْنُ أَبَانٍ)، عَنْ (عِكْرِمَةَ)، وَ عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ)- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[1]: {لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ} قَالَ: إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَرَوَاهُ (مَالِكٌ)، عَنِ (الزُّهْرِيِّ).

* * *

وَقَالَ: (الثَّوْرِيُّ)، عَنِ (الْأَعْمَشِ)، عَنْ (سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ): {لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ}: إِلَى الْمَوْتِ.

* * *

وَلِهَذَا طُرُقٌ - عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ)- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَفِي بَعْضِهَا: لَرَادُّكَ إِلَى مَعْدِنِكَ مِنَ الْجَنَّةِ.

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ): يُحْيِيكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَكَذَا رُوِيَ عَنْ (عِكْرِمَةَ)، وَ(عَطَاءٍ)، وَ(سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ)، وَ(أَبِي قَزَعَةَ)، وَ(أَبِي مَالِكٍ)، وَ(أَبِي صَالِحٍ).

* * *

وَقَالَ: (الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ): أَيْ: وَاللَّهِ، إِنَّ لَهُ لَمَعَادًا، يَبْعَثُهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ.

وَقَدْ رُوِيَ عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) غَيْرُ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي التَّفْسِيرِ مِنْ (صَحِيحِهِ):

* * *

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ، أَنْبَأَنَا يَعْلَى، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ الْعُصْفُرِيُّ، عَنْ (عِكْرِمَةَ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ): {لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ} قَالَ: إِلَى مَكَّةَ.[2]

* * *

وَهَكَذَا رَوَاهُ (النَّسَائِيُّ) فِي تَفْسِيرِ سُنَنِهِ، وَ(ابْنُ جَرِيرٍ) -مِنْ حَدِيثِ - يَعْلَى - وَهُوَ - ابْنُ عُبَيْدٍ الطَّنَافِسِيُّ) -بِهِ[3].

* * *

وَهَكَذَا رَوَى (الْعَوْفِيُّ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ): {لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ} أَيْ: لَرَادُّكَ إِلَى مَكَّةَ كَمَا أَخْرَجَكَ مِنْهَا.

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (85).

(2) (صحيح): أخرجه الإمامُ (البُخاري) في (صحيحه) برقم (4773)- (كتاب: تفسير القرآن).

(3) اخرجه الإمام (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (11386)، وأخرجه الإمام (الطبري) في (تفسيره) برقم (80/20).

* * *

وَقَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ)، عَنْ (مُجَاهِدٍ) فِي قَوْلِهِ: {لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ}: إِلَى مَوْلِدِكَ بِمَكَّةَ.

* * *

قَالَ: (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ): وَقَدْ رُوِيَ عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ)، وَ(يَحْيَى بْنِ الْجَزَّارِ)، وَ(سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ)، وَ(عَطِيَّةَ)، وَالضَّحَّاكِ، نَحْوُ ذَلِكَ.

* * *

وَحَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ قَالَ: قَالَ (سُفْيَانُ): فَسَمِعْنَاهُ مِنْ مُقَاتِلٍ مُنْذُ سَبْعِينَ سَنَةً، عَنِ (الضَّحَّاكِ) قَالَ: لَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ مَكَّةَ، فَبَلَغَ الْجُحْفَةَ، اشْتَاقَ إِلَى مَكَّةَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ} إِلَى مَكَّةَ.

وَهَذَا مِنْ كَلَامِ (الضَّحَّاكِ) يَقْتَضِي أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَدَنِيَّةٌ، وَإِنْ كَانَ مَجْمُوعُ السُّورَةِ مَكِّيًّا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

* * *

وَقَدْ قَالَ (عَبْدُ الرَّزَّاقِ): حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ (قَتَادَةَ) فِي قَوْلِهِ: {لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ} قَالَ: هَذِهِ مِمَّا كَانَ (ابْنُ عَبَّاسٍ) يَكْتُمُهَا،

* * *

وَقَدْ رَوَى (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (بِسَنَدِهِ) عَنْ (نُعَيْمٍ الْقَارِئِ) أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ: {لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ} قَالَ: إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ.

وَهَذَا -وَاللَّهُ أَعْلَمُ- يَرْجِعُ إِلَى قَوْلِ مَنْ فَسَّرَ ذَلِكَ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ" لِأَنَّ بَيْتَ الْمَقْدِسِ هُوَ أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَالْمَنْشَرِ، وَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ لِلصَّوَابِ.

وَوَجْهُ الْجَمْعِ بَيْنَ هَذِهِ الْأَقْوَالِ أَنَّ (ابْنَ عَبَّاسٍ) فَسَّرَ ذَلِكَ تَارَةً بِرُجُوعِهِ إِلَى مَكَّةَ، وَهُوَ الْفَتْحُ الَّذِي هُوَ عِنْدَ (ابْنِ عَبَّاسٍ) أَمَارَةٌ عَلَى اقْتِرَابِ أَجَلِهِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ
،

كما فسره (ابن عباس) بِسُورَةِ {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا* فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}،

أَنَّهُ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نُعِيَ إِلَيْهِ، وَكَانَ ذَلِكَ بِحَضْرَةِ (عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ)، وَوَافَقَهُ عُمَرُ عَلَى ذَلِكَ، وَقَالَ: لَا أَعْلَمُ مِنْهَا غَيْرَ الَّذِي تَعْلَمُ.

وَلِهَذَا فَسَّرَ (ابْنُ عَبَّاسٍ) تَارَةً أُخْرَى قَوْلَهُ: {لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ} بِالْمَوْتِ، وَتَارَةً بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي هُوَ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَتَارَةً بِالْجَنَّةِ الَّتِي هِيَ جَزَاؤُهُ وَمَصِيرُهُ عَلَى أَدَاءِ رِسَالَةِ اللَّهِ وَإِبْلَاغِهَا إِلَى الثَّقَلَيْنِ: الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَلِأَنَّهُ أَكْمَلُ خَلْقِ اللَّهِ، وَأَفْصَحُ خَلْقِ اللَّهِ، وَأَشْرَفُ خَلْقِ اللَّهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ.

* * *

وَقَوْلُهُ: {قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} أَيْ: قُلْ -لِمَنْ خَالَفَكَ وَكَذَّبَكَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ قَوْمِكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ -قُلْ: رَبِّي أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِي مِنْكُمْ وَمِنِّي، وَسَتَعْلَمُونَ لِمَنْ تَكُونُ عَاقِبَةُ الدَّارِ، وَلِمَنْ تَكُونُ الْعَاقِبَةُ وَالنُّصْرَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. (1)

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَامْ (ابن كثير) في سُورةُ (القَصَص الآية (85).

* * *

[٨٦] ﴿ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وما كنت -أيها الرسول ﷺ- تأمل -قبل البعثة- أن يُلْقَى إليك القرآن وحيًا من الله، لكن رحمة منه سبحانه اقتضت إنزاله عليك، فلا تكوننّ معينًا للكافرين على ما هم فيه من الضلال. (1)

* * *

وما كنت -أيها الرسول ﷺ- تؤمِّل نزول القرآن عليك، لكن الله سبحانه وتعالى رحمك فأنزله عليك، فاشكر لله تعالى على نِعَمه، ولا تكوننَّ عونًا لأهل الشرك والضلال. (2)

* * *

وما كنت - أيها الرسول ﷺ- تأمل وتنتظر أن ينزل عليك القرآن، ولكن الله أنزله عليك من عنده رحمة بك وبأمتك، فاذكر هذه النعمة، وثابر على تبليغها، ولا تكن أنت ولا من اتبعك عونا للكافرين على ما يريدون. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وما كنت ترجو} ..... أي: تأمل أن ينزل عليك القرآن ويوحى به إليك.

{تَرْجُو} ... تُؤَمِّل.

{يُلْقَى} ... يُنَزَّل.

{إلا رحمة من ربك} .... لكن رحمة من الله وفضل أنزله عليك.

{فلا تكونن ظهيراً} ...... أي: فمن شكر هذه النعمة ألا تكون معينا للكافرين.

{ظَهِيرًا} ... عَوْنًا.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {86} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا كنت} يَا مُحَمَّد -ﷺ- {ترجو أن يلقى إِلَيْك الْكتاب} أَن ينزل عَلَيْك جِبْرِيل بِالْقُرْآنِ وَتَكون نَبيا {إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ} وَلَكِن منَّة وكرامة من رَبك إِذْ أرسل عَلَيْك جِبْرِيل بِالْقُرْآنِ وجعلك نَبيا {فَلاَ تَكُونَنَّ ظَهِيراً} عوناً {لِّلْكَافِرِينَ} بالْكفْر. (4)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {86} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ} أَيْ: يُوحَى إِلَيْكَ الْقُرْآنُ،

{إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ} قَالَ: (الْفَرَّاءُ): هَذَا مِنَ الِاسْتِثْنَاءِ الْمُنْقَطِعِ مَعْنَاهُ لَكِنْ رَبَّكَ رَحِمَكَ فَأَعْطَاكَ الْقُرْآنَ،

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (396/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (396/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (589/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (86) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

{فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ} أَيْ مُعِينًا لَهُمْ عَلَى دِينِهِمْ.

وقال: (مُقَاتِلٌ): وَذَلِكَ حِينَ دُعِيَ إِلَى دِينِ آبَائِهِ فَذَكَّرَ اللَّهُ نِعَمَهُ وَنَهَاهُ عَنْ مُظَاهَرَتِهِمْ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ.(1)

* * *

قال: الإِمَامْ (إِبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {86} ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُذَكِّرًا لِنَبِيِّهِ نِعْمَتَهُ الْعَظِيمَةَ عَلَيْهِ وَعَلَى الْعِبَادِ إِذْ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِمْ: {وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ} أَيْ: مَا كُنْتَ تَظُنُّ قَبْلَ إِنْزَالِ الْوَحْيِ إِلَيْكَ أَنَّ الْوَحْيَ يَنْزِلُ عَلَيْكَ،

{إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ} أَيْ: إِنَّمَا نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ رَحْمَتِهِ بِكَ وَبِالْعِبَادِ بِسَبَبِكَ، فَإِذَا مَنَحَكَ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ.

{فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا} أَيْ: مُعِينًا {لِلْكَافِرِينَ} أَيْ: وَلَكِنْ فَارِقْهُمْ وَنَابِذْهُمْ وَخَالِفْهُمْ.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {86} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ} أي: لم تكن متحريا لنزول هذا الكتاب عليك، ولا مستعدا له، ولا متصديا.

{إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ} بك وبالعباد، فأرسلك بهذا الكتاب، الذي رحم به العالمين، وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون، وزكاهم وعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين، فإذا علمت أنه أنزل إليك رحمة منه، علمت أن جميع ما أمر به ونهى عنه، فإنه رحمة وفضل من الله، فلا يكن في صدرك حرج من شيء منه، وتظن أن مخالفه أصلح وأنفع.

{فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ} أي: معينا لهم على ما هو من شعب كفرهم، ومن جملة مظاهرتهم، أن يقال في شيء منه، إنه خلاف الحكمة والمصلحة والمنفعة.(3)

* * *

[٨٧] ﴿ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولا يصرفنك هؤلاء المشركون عن آيات الله بعد إنزالها عليك فتترك تلاوتها وتبليغها، وادع الناس إلى الإيمان بالله وتوحيده والعمل بشرعه، ولا تكوننّ من المشركين الذين يعبدون مع الله غيره، بل كن من الموحدين الذين لا يعبدون إلا الله وحده.(4)

* * *

ولا يصرفَنَّك هؤلاء المشركون عن تبليغ آيات ربك وحججه، بعد أن أنزلها إليك، وبلِّغ

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سُورَةُ (القَصَص) الآية (86).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (86).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (القَصَص) الآية (86)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (396/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

رسالة ربك، ولا تكونن من المشركين في شيء.(1)

* * *

ولا يصرفك الكافرون عن تبليغ آيات الله والعمل بها، بعد أن نزل بها الوحي عليك من الله وأصبحت رسالتك، وثابر على الدعوة إلى دين الله، ولا تكن أنت ولا من اتبعك من أنصار المشركين بإعانتهم على ما يريدون.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ}... يَعْنِي الْقُرْآنَ،

{ولا يصدنك}..... أي: لا يصرفنك عن العمل بآيات الله بعد أن شرفك الله بإنزالها عليك.

{وَلَا يَصُدُّنَّكَ}... لا يَصْرِفَنَّكَ عن العمل بآيات الله بَعْدَ أن أَنْزَلَهَا اللهُ عَلَيْكَ، فَأَبْلِغِ الآيَاتِ وَلَا تُبَالِ بِمَكْرِهِمْ، وَلَا يَخْدَعُنَّكَ عَنْهَا، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ.

{بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ}... إِلَى مَعْرِفَتِه وَتَوْحِيدِه،

{وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}... قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ)- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: الْخِطَابُ فِي الظَّاهِرِ لِلنَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَالْمُرَادُ بِهِ أَهْلُ دِينِهِ أَيْ لَا تظاهروا الكفار ولا توافقهم.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {87} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَا يَصُدُّنَّكَ} لَا يصرفنك {عَنْ آيَاتِ الله} الْقُرْآن {بَعْدَ إِذْ أُنزلَتْ إِلَيْكَ} جبْرِيل بهَا {وادع إِلَى رَبِّكَ} إِلَى تَوْحِيد رَبك وَكتاب رَبك {وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِين} مَعَ الْمُشْرِكين على دينهم مِنْهُم.(3)

* * *

قال: الإِمَامْ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {87} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ} يَعْنِي: الْقُرْآنَ،

{بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ} إِلَى مَعْرِفَتِه وَتَوْحِيدِه،

{وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} قَالَ: ابْنُ عَبَّاسٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: الْخِطَابُ فِي الظَّاهِرِ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وَالْمُرَادُ بِهِ أَهْلُ دِينِهِ أَيْ لَا تظاهروا الكفار ولا توافقهم.(4)

* * *

قال: الإِمَامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {87} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزلَتْ إِلَيْكَ} أَيْ: لَا تَتَأَثَّرْ لِمُخَالَفَتِهِمْ لَكَ وَصَدِّهِمُ النَّاسَ عَنْ طَرِيقِكَ لَا تَلْوِي عَلَى

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (396/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (589/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (87) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (87).

ذَٰلِكَ وَلَا تُبَالِهِ" فَإِنَّ اللَّهَ مُعْلٍ كَلِمَتَكَ، وَمُؤَيِّدٌ دِينَكَ، وَمُظْهِرٌ مَا أُرْسِلْتَ بِهِ عَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانِ" وَلِهَذَا قَالَ: {وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ} أَيْ: إِلَى عِبَادَةِ رَبِّكَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، {وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {87} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ} بل أبلغها وأنفذها، ولا تبال بمكرهم ولا يخدعنك عنها، ولا تتبع أهواءهم.

{وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ} أي: اجعل الدعوة إلى ربك منتهى قصدك وغاية عملك، فكل ما خالف ذلك فارفضه، من رياء، أو سمعة، أو موافقة أغراض أهل الباطل، فإن ذلك داع إلى الكون معهم، ومساعدتهم على أمرهم،

ولهذا قال: {وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} لا في شركهم، ولا في فروعه وشعبه، التي هي جميع المعاصي. (2)

* * *

[٨٨] ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولا تعبد مع الله معبوداً غيره، لا معبود بحق غيره، كل شيء هالك إلا وجهه سبحانه، له وحده الحكم يحكم بما يشاء وإليه وحده ترجعون يوم القيامة للحساب والجزاء. (3)

* * *

ولا تعبد مع الله معبوداً آخر" فلا معبود بحق إلا الله، كل شيء هالك وفان إلا وجهه، له الحكم، وإليه ترجعون من بعد موتكم للحساب والجزاء. وفي هذه الآية إثبات صفة الوجه لله تعالى كما يليق بكماله وعظمة جلاله. (4)

* * *

ولا تعبد من دون الله إلهاً سواه، إذ ليس هناك إله يعبد بحق غيره، كل ما عدا الله هالك وفان، والخالد إنما هو الله الذى له القضاء النافذ فى الدنيا والآخرة، وإليه - لا محالة - مصير الخلق أجمعين. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وادع إلى ربك} ..... أي: ادع الناس إلى الإيمان بالله وعبادته وترك الشرك به.

{ولا تدع مع الله إلهاً آخر} ..... أي: لا تعبد مع الله إلهاً آخر بدعائه والذبح والنذر له.

{كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ} ..... أي: فان.

{إِلَّا وَجْهَهُ} ...... أي: إلا الله سبحانه وتعالى فلا يهلك كما يهلك ما عداه.

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (87).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَصِ) الآية (87)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (396/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (396/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (589/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} ... تُرَدُّونَ فِي الْآخِرَةِ فَيَجْزِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {88} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلا تَدْعُ مَعَ الله إِلَهًا آخَرَ} لا تعبد من دون الله أحدا ولاَ تدع الخلق إلَى أحد دون الله {لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ} وَحده لاَ شريك لَهُ {كُلُّ شَيْءٍ} كل عمل لغير وجه الله {هَالِكٌ} مَرْدُود {إِلاَّ وَجْهَهُ} إلا مَا ابْتغى بِهِ وَجهه وَيُقَال كل وَجه متغير إلاَّ وَجهه وكل ملك زائل إلاَّ ملكه {لَهُ الحكم} الْقَضَاء بَين خلقه {وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} بعد الْمَوْت فيجازيكم بأعمالكم. (1)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {88} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا إِلَهَ إِلا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ} أَيْ: فَصْلُ القضاء، {وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} تُرَدُّونَ فِي الْآخِرَةِ فَيَجْزِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ. (2)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَص} الآية {88} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا إِلَهَ إِلا هُوَ} أَيْ: لاَ تَلِيقُ الْعِبَادَةُ إِلاَ لَهُ وَلاَ تَنْبَغِي الْإِلَهِيَّةُ إِلاَ لِعَظَمَتِه.

وَقَوْلُهُ: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ}: إِخْبَارٌ بِأَنَّهُ الدَّائِمُ الْبَاقِي الْحَيُّ الْقَيُّومُ، الَّذِي تَمُوتُ الْخَلَائِقُ وَلاَ يَمُوتُ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإكْرَامِ} {الرَّحْمَن: 26، 27}،

فعبر بالوجه عن الذات، وهكذا قوله ها هنا: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ} أَيْ: إِلاَ إِيَّاهُ.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ، - مِنْ طَرِيقِ - (أَبِي سَلَمَةَ)، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا شَاعِرٌ كَلِمَةُ لَبِيدٍ: أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلُ)). (3)

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ)، وَ(الثَّوْرِيّ): فِي قَوْلِهِ: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ} أَيْ: إِلاَ مَا أُرِيدَ بِهِ وَجْهُهُ،

وَحَكَاهُ (الْبُخَارِيُّ) فِي (صَحِيحِهِ) كَالْمُقَرِّرِ لَهُ.

قَالَ: (ابْنُ جَرِيرٍ): وَيَسْتَشْهِدُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

أَسْتَغْفِرُ اللهَ ذنبًا لَسْتُ مُحْصِيَهُ ... رَبّ العبادِ، إليه الوَجْهُ والعَمَلُ ...

وَهَذَا الْقَوْلُ لاَ يُنَافِي الْقَوْلَ الْأَوَّلَ، فَإِنَّ هَذَا إِخْبَارٌ عَنْ كُلِّ الْأَعْمَالِ بِأَنَّهَا بَاطِلَةٌ إِلاَ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْأَعْمَالِ

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (88) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَام (البغوي) سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (88).

(3) (متفق عليه): أخرجه الإمَام (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (3841) - (كتاب: المناقب).

وأخرجه الإمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (2256) - (كتاب: الشعر).

الصَّالحَةَ الْمُطابِقَةَ للشَّرِيعَةِ. وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ مُقْتَضَاهُ أَنَّ كُلَّ الذَّوَاتِ فَانِيَةٌ وَهَالِكَةٌ وَزَائِلَةٌ إِلاَّ ذَاتَهُ تَعَالَى، فَإِنَّهُ الْأَوَّلُ الْآخِرُ الَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ وَبَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ.

قَالَ: أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الدُّنْيَا)- فِي - كِتَابِ- "التَّفَكُّرِ وَالِاعْتِبَارِ": حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سُلَيْمٍ الْبَاهِلِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ قَالَ: كَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَعَاهَدَ قَلْبَهُ، يَأْتِي الْخَرِبَةَ فَيَقِفُ عَلَى بَابِهَا، فَيُنَادِي بِصَوْتٍ حَزِينٍ فَيَقُولُ: أَيْنَ أَهْلُكِ؟ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى نَفْسِهِ فَيَقُولُ: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ}.

وَقَوْلُهُ: {لَهُ الْحُكْمُ} أَيِ: الْمُلْكُ وَالتَّصَرُّفُ، وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ،

{وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} أَيْ: يَوْمَ مَعَادِكُمْ، فَيَجْزِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، إِنْ كَانَ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ. (1)

* * *

انظر: سورة - (الرحمن) - آية (26-27).

- كما قال تعالى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ}.

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - رحمه الله - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْقَصَصِ} الآية {88} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} بل أخلص لله عبادتك، فإنه {لا إِلَهَ إِلا هُوَ} فلا أحد يستحق أن يؤله ويحب ويعبد، إلا الله الكامل الباقي الذي {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ} وإذا كان كل شيء هالكا مضمحلا سواه فعبادة الهالك الباطل باطلة ببطلان غايتها، وفساد نهايتها. {لَهُ الْحُكْمُ} في الدنيا والآخرة {وَإِلَيْهِ} لا إلى غيره {تُرْجَعُونَ} فإذا كان ما سوى الله باطلا هالكا، والله هو الباقي، الذي لا إله إلا هو، وله الحكم في الدنيا والآخرة، وإليه مرجع الخلائق كلهم، ليجازيهم بأعمالهم، تعيَّن على من له عقل، أن يعبد الله وحده لا شريك له، ويعمل لما يقربه ويدنيه، ويحذر من سخطه وعقابه، وأن يقدم على ربه غير تائب، ولا مقلع عن خطئه وذنوبه. (2)

* * *

والله سبحانه و تعالى أعلم بالصواب

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةُ ﴿ الْقَصَص ﴾

تم بفضل الله وإعانته وتيسيره.

وَلِلَّه الْحَمْدُ وَالثَّنَاء وَالفَضْل وَالْمِنَّة وَالْمَجد دَائِماً أَبداً وَإِسْتِمْرَاراً

كما ينبغي لجلاله، وعظمته، وكماله وسعة إحسانه.

((الحمْدُ للهِ الذي بِنِعْمَتِه تتمُ الصالحاتُ))

والحمدلله رب العالمين، أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً،

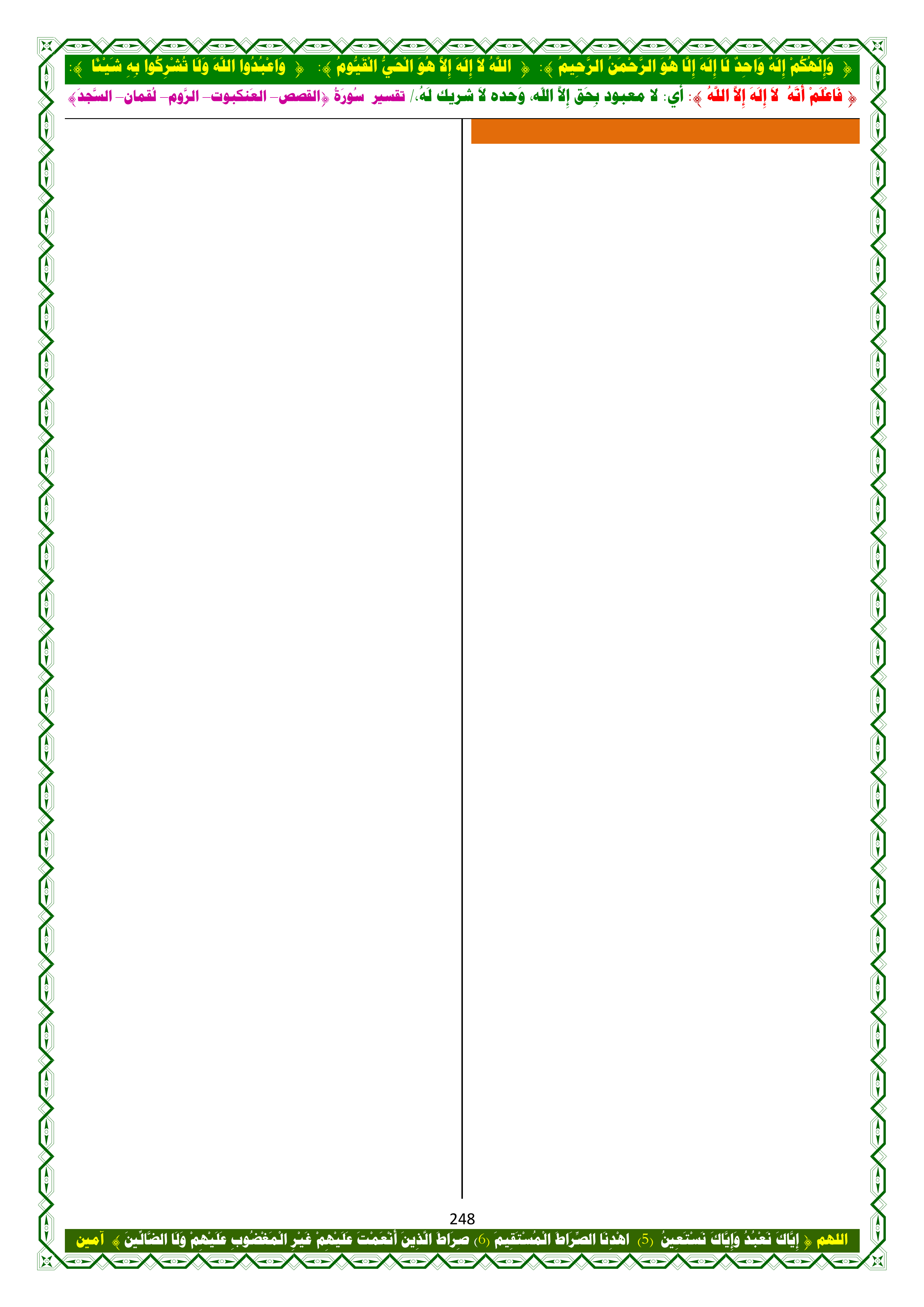
حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه. مِلءَ السَّمَوات، وَمِلءَ الأرض، وَمِلءَ ما بَينهُما. وَمِلءَ ما فهيما.

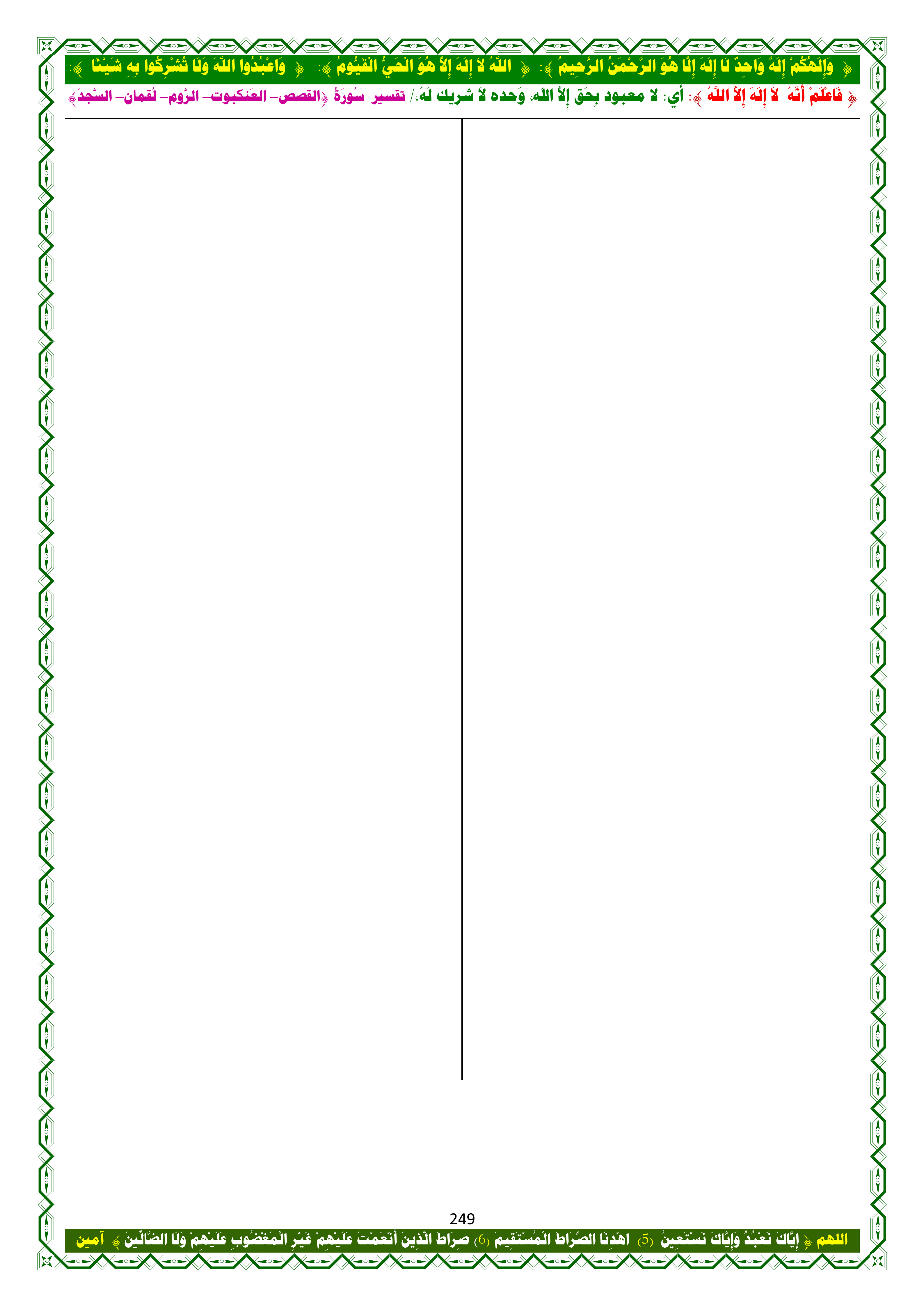
سُبحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمدِكَ أَشهَدُ أن لا إله إلاَّ أنتَ أَستَغفِرُكَ وأتُوبُ إليك.

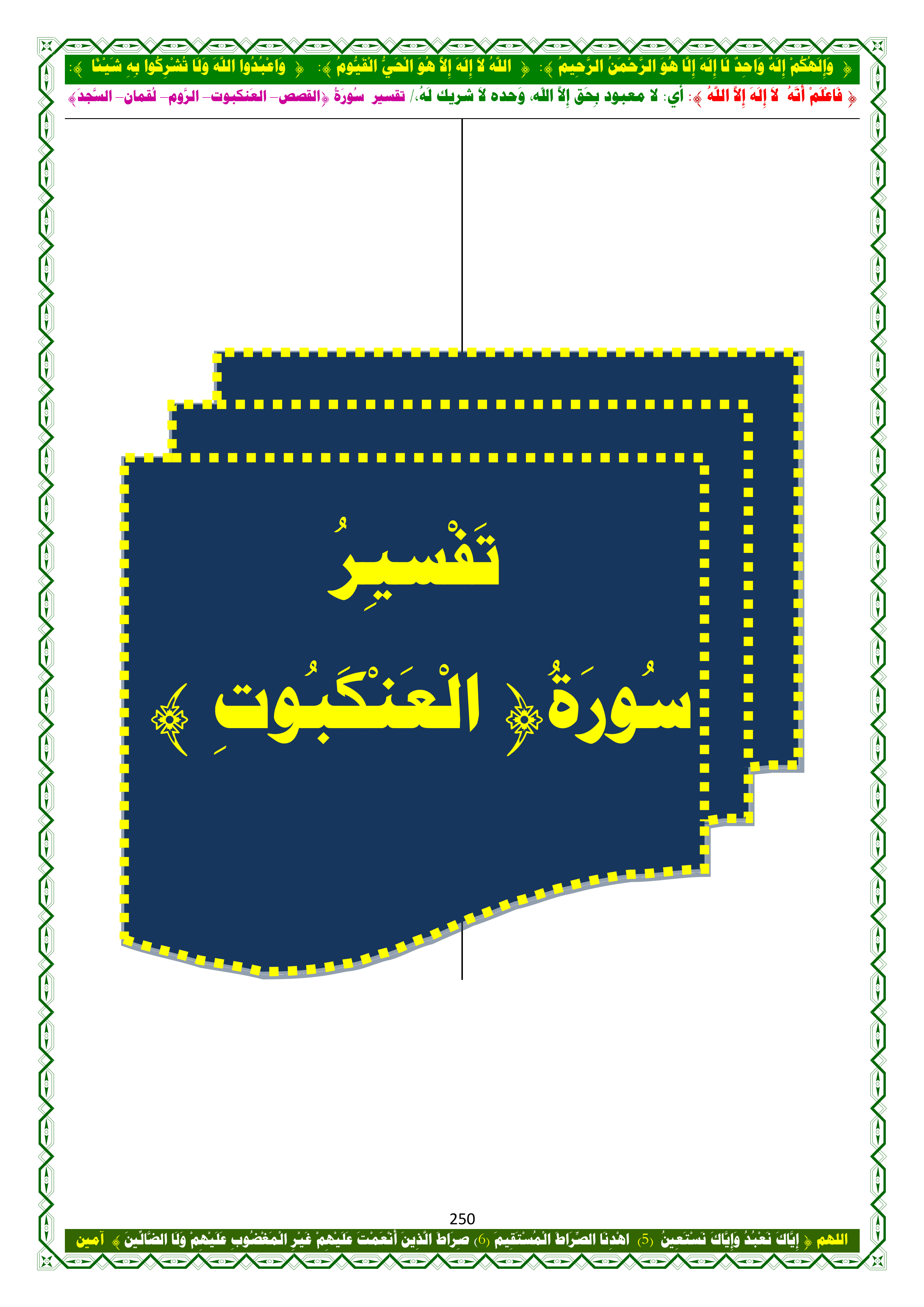
وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِينا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجمعين تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَام (ابن كثير) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (88).

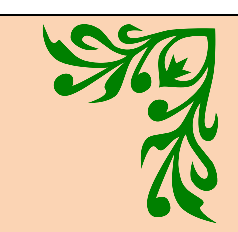
(2) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْقَصَص) الآية (88)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).






تَفْسِيرُ
سُورَةُ ﴿ الْعَنْكَبُوتِ ﴾


بسم الله الرحمن الرحيم




سُورَةُ ﴿ العَنْكَبُوت ﴾

ترتيبها (29) .. آياتها (69)...(مكية)

وحروفها: أربعة آلاف ومئة وخمسة وتسعون حرفًا،

وكلماتها: تسع مئة وثمانون كلمة. (1)

(مكية)، إلا الصدر منها العشر الآيات، فإنها مدنية، نزلت في شأن من كان من المسلمين بمكة،

* * *

قال: الإمام (القرطبي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(مَكِّيَّةٌ) كُلُّهَا فِي قَوْلِ: (الْحَسَنِ)، وَ(عِكْرِمَةَ)، وَ(عَطَاءٍ)، وَ(جَابِرٍ).

وَ(مَدَنِيَّةٌ) كُلُّهَا فِي أَحَدِ قَوْلَيْ: (ابْنِ عَبَّاسٍ) وَ(قَتَادَةَ).

وَفِي الْقَوْلِ الْآخَرِ لَهُمَا وَهُوَ قَوْلُ: (يَحْيَى بْنِ سَلَامٍ) أَنَّهَا (مَكِّيَّةٌ) إِلَّا عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِهَا، فَإِنَّهَا نَزَلَتْ بِالْمَدِينَةِ فِي شَأْنِ مَنْ كَانَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِمَكَّةَ.

وَقَالَ: (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ)- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نَزَلَتْ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ. وَهِيَ تِسْعٌ وستون آية. (2)

سورة العنكبوت

بسم الله الرحمن الرحيم

الم (1) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (3) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (4) مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (5) وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (6)

* * *

﴿ مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَة ﴾

تركز على قضية الثبات والصبر حال الابتلاء والفتن وعاقبته. (3)

* * *

(1) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن) (5/ 228). للإمام (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (1)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/369). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿ الم ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

{الم} .... سبق الكلام عن نظائرها في بداية سورة (البقرة).(1)

* * *

(ا. ل. م).... حروف صوتية سيقت لبيان أن القرآن المعجز مؤلف من هذه الحروف التى يحسنون نطقها، ولتنبيه السامعين ولفت أنظارهم إلى الحق.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{الم} ... الله أعلم بمراده به.

* * *

{الم} ... هذه أحد الحروف المقطعة تكتب (الم) وتقرأ (ألف، لام، ميم).(3)

* * *

{الم} ... تقدم الكلام عليه أول سورة (البقرة)، وملخصه: أن معناه: أنا الله أعلم، وتقدم الخلاف في الحروف التي في أوائل السور أول سورة (مريم).

قرأ (أبو جعفر): بتقطيع الحروف، يسكت على كل حرف سكتة يسيرة كما تقدم التنبيه عليه غير مرة.(4)

* * *

{الم} ... حروف صوتية سيقت لبيان أن هذا القرآن المعجز من هذه الحروف التي يحسنون نطقها.(5)

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَة العَنْكَبُوت} الآية {1} وبإسناده عَن (ابْن عَبَّاس) فِي قَوْله تَعَالَى {الم} يَقُول أَنا الله أعلم وَيُقَال قسم أقسم بِهِ بقوله وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِين من قبلهم.(6)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَة العَنْكَبُوت} الآية {1} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الم} ..... أَمَّا الْكَلَامُ عَلَى الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ فَقَدْ تَقَدَّمَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ "الْبَقَرَةِ".(7)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَة العَنْكَبُوت} الآية {1} قوله تعالى: {الم} ..... قال: (أبو جعفر): وقد

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (369/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (590/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَة . (العَنْكَبُوت) الآية (1)، المؤلف: الشيخ (جابربن أبو بكر الجزائري).

(4) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سُورَة . (العَنْكَبُوت) الآية (1)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(5) انظر: (الموسوعة القرآنية) في سُورَة (العَنْكَبُوت) الآية (1)، المؤلف: الشيخ: (إبراهيم بن إسماعيل الأبياري).

(6) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَة (العَنْكَبُوت) الآية (1) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما - .

(7) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَام (ابن كثير) في سُورَة (العَنْكَبُوت) الآية (1).

بيَّنا معنى قول الله تعالى ذكره: (الم) وذكرنا أقوال أهل التأويل في تأويله، والذي هو أولى بالصواب من أقوالهم عندنا بشواهده فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.(1)

* * *

انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب – للإمام (الطبراني):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {1} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُواْ أَن يَقُولُواْ آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ} " قد تقدَّمَ تفسيرُ (ألم). فمَن جعلَ هذه الحروفَ التي في أوائلِ السُّورة قَسَماً، احتملَ أن يكون جوابُ القَسَمِ في قوله: {وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ} {العنكبوت: 3}" واحتملَ أن يكون {فَلَيَعْلَمَنَّ} {العنكبوت: 3}.(2)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {1} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الم} .... الله أعلم بمراده به وهذا هو مذهب السلف في هذه الحروف وهو تفويض علمها إلى منزلها عز وجل.(3)

* * *

[٢] ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

أظَنَّ الناسُ أنهم بقولهم: آمنا بالله، يُتْركون دون اختبار يبين حقيقة ما قالوا: هل هم مؤمنون حقًّا؟! ليس الأمر كما ظنوا.(4)

* * *

أظَنَّ الناس إذ قالوا: آمنا، أن الله يتركهم بلا ابتلاء ولا اختبار؟.(5)

* * *

أظن الناس أنهم يُتركون وشأنهم لنطقهم بالشهادتين دون أن يختبروا بما يبين به حقيقة إيمانهم من المحن والتكاليف؟ لا. بل لا بد من امتحانهم بذلك.(6)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{أَحَسِبَ} ..... أظن.

{أَنْ يُتْرَكُوا} .... أنهم يتركون وشأنهم.

{أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا} .... أي: بِقَوْلِهِمْ.

{أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا} .... أي: ينطقون بالشهادتين.

{آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ} .... يُخْتَبَرُونَ بِمَا يتبين به حقيقية إيمانهمْ نَزَلَ فِي جَمَاعَةٍ آمَنُوا فَآذَاهُمْ الْمُشْرِكُونَ

{وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ} ..... أي: أحسب الذين أجروا كلمة الشهادة على ألسنتهم وأظهروا القول بالإيمان أنهم يتركون بذلك غير ممتحنين.

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ(العَنْكَبُوت) الآية (1)، للإِمَامْ (الطبري).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام (الطبراني) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (1)، انظر: (المكتبة الشاملة).

(3) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ . (العَنْكَبُوت) الآية (1). للشيخ: (أبو بكر الجزائري).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (369/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (369/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(6) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (590/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(أي لا يختبرون بما يتبين به حقيقة إيمانهم من التكاليف ومنها الصبر على الأذى).

{لاَ يُفْتَنُونَ} ... لاَ يُخْتَبَرُونَ بِالشَّدَائِدِ لِيَتَبَيَّنَ المُؤْمِنُ مِنَ المُنَافِقِ.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

أخرج – الإمام (الطبري)، والإمام (آدم بن أبي إياس) – (رحمهما الله):- (بسنده الصحيح)- عن (مجاهد): في قول الله: (آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ) قال: لا يبتلون في أنفسهم وأموالهم.(1)(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري)– (رحمه الله) – في (تفسيره):

– (بسنده الحسن)– عن (قتادة): (وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ) أي: لا يبتلون.(3)

* * *

قال: الشيخ (محمد الأمين الشنقيطي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- والمعنى: أن الناس لا يتركون دون فتنة: أي ابتلاء واختبار، لأجل قولهم: آمنا، بل إذا قالوا آمنا فتنوا: أي امتحنوا واختبروا بأنواع الابتلاء، حتى يتبين بذلك الابتلاء الصادق في قوله آمنا من غير الصادق.

وهذا المعنى الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة جاء مبينا في آيات أخر من كتاب الله، كقوله تعالى: {أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلو من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب} .

وقوله: {أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين} .

وقوله تعالى: {ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم} .(4)

* * *

(تفسير ابن عباس) – قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {2} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أحسب النَّاس} أيظن أَصْحَاب مُحَمَّد – صلى الله عَلَيْهِ وَسلم– {أَن يتركُوا} يمهلوا بعد مُحَمَّد – صلى الله عَلَيْهِ وَسلم-. {أَن يَقُولُوا} بِأَن يَقُولُوا آمنا بِمُحَمد– صلى الله عَلَيْهِ وَسلم– وَالْقُرْآن. {وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ} لاَ يبتلون بالهوى والبدعة وانتهاك الْمَحَارِم.(5)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البَغَوِي) – (مُحيِي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {2} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَحَسِبَ النَّاسُ} أظن الناس، {أَنْ يُتْرَكُوا} بِغَيْرِ اخْتِبَارٍ وَلاَ ابْتِلاَءٍ، {أَنْ يَقُولُوا} أَيْ: بِأَنْ

(1) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (63/4)، للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين).
(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (7/19). المحقق: (الشيخ (أحمد شاكر).
(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (7/19). المحقق: (الشيخ (أحمد شاكر).
(4) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للإمام (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (العنكبُوت) الآية (2).
(5) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (2) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

يقُولُوا، {آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ} لا يُبْتَلَونَ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ كلا لنختبرنهم ليبين الْمُخلص مِنَ الْمُنَافِق وَالصَّادِقَ مِنَ الكاذب.

يعْنِي:- (وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ) بِالْأَوَامِر وَالنَّوَاهِي، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَهُمْ فِي الِابْتِدَاءِ بِمُجَرَّدِ الْإِيمَانِ ثُمَّ فَرَضَ عَلَيْهِمْ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَسَائِرَ الشَّرَائِعِ فَشَقَّ عَلَى بَعْضِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ، (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامْ (إِبْنِ كَثِير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {2} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ} اسْتِفْهَامُ إِنْكَار، وَمَعْنَاهُ: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا بُدَّ أَنْ يَبْتَلِيَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِحَسَبِ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ،

كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيث الصَّحِيح: ((أَشَدُّ النَّاس بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينه صَلَابَةٌ زِيدَ فِي الْبَلَاءِ)) (2).

وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ} {آل عِمْرَانَ: 142}،

وَمِثْلُهَا فِي سُورَةِ "بَرَاءَة" وَقَالَ فِي الْبَقَرَة: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ} {الْبَقَرَة: 214}. (3)

* * *

قَالَ: الإِمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {2} قوله تعالى: {أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ} فإن معناه: أظنَّ الذين خرجوا يا محمد من أصحابك من أذى المشركين إياهم أن نتركهم بغير اختبار ولا ابتلاء امتحان، بأن قالوا: آمنا بك يا محمد فصدّقناك فيما جئتنا به من عند الله، كلا لنختبرهم، ليتبين الصادق منهم من الكاذب.

* * *

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن (ابن أبي نجيح)، عن (مجاهد)، في قول الله: {آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ} قال: يُبْتَلُونَ في أنفسهم وأموالهم.

* * *

(1) انظُر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (العَنْكَبُوتِ) الآية (2).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (2398) – (كتاب: الزهد). - من طريق – (مصعب بن سعد- عن أبيه سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ)- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، وقال: الإِمَامْ (الترمذي): (حديث حسن صحيح)،
وأخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (4023) – (كتاب: الفتن)،
وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (172/1)،
و(صححه) الإِمَامْ (الألباني) في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) برقم (143)،
و(حسنه) الشيخ (مقبل بن هادي الوادعي): في (الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحن)،
و(صححه) الشيخ (أحمد شاكر): في تحقبق (المسند).

(3) انظُر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوتِ) الآية (2).

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن (ابن جريج)، عن (مجاهد)، مثله.

* * *

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن (قتادة): (وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ) أي: لا يُبْتَلونَ.

* * *

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن (أبي هاشم)، عن (مجاهد)، في قوله: (وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ) قال: لا يُبْتَلونَ.[1]

* * *

قال: الإمام (القرطبي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْعَنْكَبُوت} الآية {2} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ} تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي أَوَائِلِ السُّوَر.

وَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): الْمَعْنَى أَنَا اللَّهُ أَعْلَمُ.

يعني:- هُوَ اسْمٌ للسورة وقل اسم للقرآن.

{حَسِبَ} اسْتِفْهَامٌ أُرِيدَ بِهِ التَّقْرِيرُ وَالتَّوْبِيخُ وَمَعْنَاهُ الظَّنُّ.

" أَنْ يُتْرَكُوا" فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ بِـ {حَسِبَ} وَهِيَ وَصِلَتُهَا مَقَامُ الْمَفْعُولَيْنِ عَلَى قَوْلِ: (سِيبَوَيْه).

وَ" أَنْ" الثَّانِيَةَ مِنْ" أَنْ يَقُولُوا" فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ عَلَى إِحْدَى جِهَتَيْنِ، بِمَعْنَى لِأَنْ يَقُولُوا أَوْ بِأَنْ يَقُولُوا أَوْ عَلَى أَنْ يَقُولُوا. وَالْجِهَةُ الْأُخْرَى أَنْ يَكُونَ عَلَى التَّكْرِيرِ، التقدير {الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا} " أَحَسِبُوا" أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ".

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ) وَغَيْرُهُ: يُرِيدُ بِالنَّاسِ قَوْمًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ كَانُوا بِمَكَّةَ، وَكَانَ الْكُفَّارُ مِنْ قُرَيْشٍ يُؤْذُونَهُمْ وَيُعَذِّبُونَهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ، كَـ (سَلَمَةَ بْنِ هِشَامٍ)، وَ(عَيَّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ)، وَ(الْوَلِيدِ بْنِ الْوَلِيدِ)، وَ(عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ)، وَ(يَاسِرٌ أَبُوهُ)، وَ(سُمَيَّةُ أُمُّهُ) وَعِدَّةٍ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ وَغَيْرِهِمْ. فَكَانَتْ صُدُورُهُمْ تَضِيقُ لِذَلِكَ، وَرُبَّمَا اسْتُنْكِرَ أَنْ يُمَكِّنَ اللَّهُ الْكُفَّارَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ،

قَالَ: (مُجَاهِدٌ) وَغَيْرُهُ: فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ مُسَلِّيَةً وَمُعْلِمَةً أَنَّ هَذِهِ هِيَ سِيرَةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ اخْتِبَارًا لِلْمُؤْمِنِينَ وَفِتْنَةً.

قَالَ: (ابْنُ عَطِيَّةَ): وَهَذِهِ الْآيَةُ وَإِنْ كَانَتْ نَزَلَتْ بِهَذَا السَّبَبِ أَوْ مَا فِي مَعْنَاهُ مِنَ الْأَقْوَالِ فَهِيَ بَاقِيَةٌ فِي أُمَّةِ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، مَوْجُودٌ حُكْمُهَا بَقِيَّةَ الدَّهْرِ. وَذَلِكَ أَنَّ الْفِتْنَةَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بَاقِيَةٌ فِي ثُغُورِ الْمُسْلِمِينَ بِالْأَسْرِ وَنِكَايَةِ الْعَدُوِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَإِذَا اعْتُبِرَ أَيْضًا كُلُّ مَوْضِعٍ فَفِيهِ ذَلِكَ بِالْأَمْرَاضِ وَأَنْوَاعِ الْمِحَنِ. وَلَكِنَّ الَّتِي تُشْبِهُ نَازِلَةَ الْمُسْلِمِينَ مَعَ قُرَيْشٍ هِيَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ أَمْرِ الْعَدُوِّ فِي كُلِّ ثَغْرٍ. قُلْتُ: مَا أَحْسَنَ مَا قَالَهُ، وَلَقَدْ صَدَقَ فِيمَا قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَالَ: (مُقَاتِلٌ): نَزَلَتْ فِي مِهْجَعٍ مَوْلَى (عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ) كَانَ أَوَّلَ قَتِيلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ بَدْرٍ، رَمَاهُ عَامِرُ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ. فَقَالَ: النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَئِذٍ: " سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ مِهْجَعٌ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ

---

[1] انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ الْعَنْكَبُوت) الآية (2)، للإمام (الطبري).

يُدْعَى إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ مِنْ هَذه الْأُمَّة". فَجَزِعَ عَلَيْهِ أَبَوَاهُ وَامْرَأَتُهُ فَنَزَلَتْ" الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا".

وَقَالَ: (الشَّعْبِيُّ): نَزَلَ مُفْتَتَحُ هَذه السُّورَة فِي أُنَاس كَانُوا بِمَكَّةَ مِنَ الْمُسْلمِينَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ أَصْحَابُ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- مِنَ الْحُدَيْبِيَة أَنَّهُ لَا يُقْبَلُ مِنْكُمْ إِقْرَارُ الْإِسْلَامِ حَتَّى تُهَاجِرُوا، فَخَرَجُوا فَأَتْبَعَهُمُ الْمُشْرِكُونَ فَآذَوْهُمْ. فَنَزَلَتْ فِيهِمْ هَذه الْآيَةُ: {الم* أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا} فَكَتَبُوا إِلَيْهِمْ: نَزَلَتْ فِيكُمْ آيَةُ كَذَا، فَقَالُوا: نَخْرُجُ وَإِنِ اتَّبَعَنَا أَحَدٌ قَاتَلْنَاهُ، فَاتَّبَعَهُمُ الْمُشْرِكُونَ فَقَاتَلُوهُمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ قُتِلَ وَمِنْهُمْ مَنْ نَجَا فَنَزَلَ فِيهِمْ: "ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا" "وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ" يُمْتَحَنُونَ، أَيْ أَظَنَّ الَّذِينَ جَزِعُوا مِنْ أَذَى الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُقْنَعَ مِنْهُمْ أَنْ يَقُولُوا إِنَّا مُؤْمِنُونَ وَلَا يُمْتَحَنُونَ فِي إِيمَانِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ بِمَا يَتَبَيَّنُ بِهِ حَقِيقَةُ إِيمَانِهِمْ. (1)

* * *

انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام (الطبراني):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {2} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَحَسِبَ النَّاسُ} لفظةُ استخبار، ومعناهُ التوبيخ والتقرير، كأنه قالَ: أظَنُّوا أن نقنَعَ منهم بأنْ يقولُوا آمَنَّا فقط ولا يُمتَحَنُونَ بالأوامر والنَّواهي والتَّكليف، ولا يُختَبَرُونَ بما يعلم أنه صِدقُ إيْمانهم.

قَالَ: (الحسنُ)- رضي الله عنه: (سَبَبُ نُزُولِ هَذه الآيَة أنَّهُ لَمَّا أُصيبَ الْمُسْلمُونَ يَوْمَ أُحُد وَكَانَت الْكَرَّةُ عَلَيْهِمْ، عَيَّرَهُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى بِذَلِكَ، فَشَقَّ ذَلكَ عَلَى الْمُسْلِمِيْنَ، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذه الآيَةَ).

قَالَ: (السديُّ)، و(قتادة)، و(مجاهدُ): (مَعْنَاهُ: أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ بِالْقَتْلِ وَالتَّعْذِيْبِ).

وقَالَ: (مقاتلُ): (" نَزَلَتْ هَذه الآيَةُ فِي مَهْجَعِ بْنِ عَبْدالله مَوْلَى (عُمَرَ بْنِ الْخَطَّاب)- رضي الله عنه وَكَانَ أَوَّلَ قَتِيْلٍ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ يَوْمَ بَدْرٍ، رَمَاهُ عَامرُ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ: " سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ مَهْجَعُ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ يُدْعَى إلى بَابِ الْجَنَّة مِنْ هَذه الأُمَّة " فَجَزِعَ عَلَيْهِ أَبَوَاهُ وَامْرَأَتُهُ "، فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِمْ هَذه الآيَةَ وَأَخْبَرَ أَنَّهُ لاَ بُدَّ لَهُمْ مِنَ الْبَلاَءِ وَالْمَشَقَّة في ذات الله). (2)

* * *

قَالَ: الشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآيَة {2} قوله تعالى: {أَحَسِبَ النَّاسُ} قرأ (ورش): (الم* احَسِبَ النَّاسُ) بفتح الميم وحذف الهمزة، وإلقاء حركتها على الميم تخفيفًا، ويجوز بالمد والقصر في (ميم) كما تقدم عن الجمهور حالة الوصل في أول سورة (آل عمران)، لكن

---

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (2)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام (الطبراني) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (2)، انظر: (المكتبة الشاملة).

الوصل هنا مختص بمذهب (ورش)، وقرأ الباقون: بإسكان الميم وفتح الهمزة[1].

{أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ} استفهام تقريع وتوبيخ، والمعنى: أظنوا تركهم غير مفتونين" لقولهم: آمنا؟! والفتنة: الامتحان بالشدائد، تلخيصه: لا بد من امتحانهم، وإذا أحب الله عبداً، جعله للبلاء غرضًا.

نزلت في قوم من المؤمنين كانوا بمكة، وكان الكفار من قريش يؤذونهم ويعذبونهم على الإسلام، فكانت صدورهم تضيق لذلك[2]، فنزلت الآية تسلية ومعلمة أن هذه سيرة الله في عباده اختبارًا للمؤمنين" ليعلم الصادق، ويرى ثواب الله له، ويعلم الكاذب، ويرى عقاب الله إياه.

قال: (ابن عطية): وهذه الآية وإن كانت نزلت بهذا السبب في هذه الجماعة، فهي في معناها باقية في أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - موجود حكمها بقية الدهر[3] [4].

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {2} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ} يَعْنِي: يُبْتَلَوْنَ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّه" هُمْ قَوْمٌ كَانُوا بِمَكَّةَ مِمَّنْ أَسْلَمَ كَانَ قَدْ وُضِعَ عَنْهُمُ الْجِهَادُ وَالنَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامِ بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ مَا افْتُرِضَ الْجِهَادُ، وَقُبِلَ: مِنْهُمْ أَنْ يُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَلاَ يُجَاهِدُوا، ثُمَّ أَذِنَ لَهُمْ فِي الْقِتَالِ حِينَ أَخْرَجَهُمْ أَهْلُ مَكَّةَ" فَلَمَّا أُمِرُوا بِالْجِهَادِ كَرِهُوا الْقِتَالَ.[5]

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {1- 3} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ}.

يخبر تعالى عن تمام حكمته وأن حكمته لا تقتضي أن كل من قال " إنه مؤمن " وادعى لنفسه الإيمان، أن يبقوا في حالة يسلمون فيها من الفتن والمحن، ولا يعرض لهم ما يشوش عليهم إيمانهم وفروعه، فإنهم لو كان الأمر كذلك، لم يتميز الصادق من الكاذب، والمحق من المبطل، ولكن سنته وعادته في الأولين وفي هذه الأمة، أن يبتليهم بالسراء والضراء، والعسر واليسر، والمنشط والمكره، والغنى والفقر، وإدالة الأعداء عليهم في بعض الأحيان، ومجاهدة الأعداء بالقول والعمل ونحو ذلك من الفتن، التي ترجع كلها إلى فتنة الشبهات المعارضة

---

(1) انظر: "المحتسب" لابن جني (2/ 158)، و"إتحاف فضلاء البشر" للدمياطي (ص: 344)، و"معجم القراءات القرآنية" (5/ 39).

(2) انظر: "أسباب النزول" للواحدي (ص: 195 - 196).

(3) "المحرر الوجيز" لابن عطية (4/ 305).

(4) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سُورَةُ . (العَنْكَبُوت) الآية (2)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(5) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سُورَةُ . (العَنْكَبُوت) الآية (2) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

للعقيدة، والشهوات المعارضة للإرادة، فمن كان عند ورود الشبهات يثبت إيمانه ولا يتزلزل، ويدفعها بما معه من الحق وعند ورود الشهوات الموجبة والداعية إلى المعاصي والذنوب، أو الصارفة عن ما أمر الله به ورسوله، يعمل بمقتضى الإيمان، ويجاهد شهوته، دل ذلك على صدق إيمانه وصحته.

ومن كان عند ورود الشبهات تؤثر في قلبه شكا وريبا، وعند اعتراض الشهوات تصرفه إلى المعاصي أو تصدفه عن الواجبات، دلَّ ذلك على عدم صحة إيمانه وصدقه.

والناس في هذا المقام درجات لا يحصيها إلا الله، فمستقل ومستكثر، فنسأل الله تعالى أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأن يثبت قلوبنا على دينه، فالابتلاء والامتحان للنفوس بمنزلة الكير، يخرج خبثها وطيبها.(1)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {2} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَحَسِبَ (2) النَّاسُ} أي: أظن الناس {أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا} فيكتفى منهم بذلك {وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ} أي: لا يختبرون بل لا بد من اختبار بالتكاليف الشاقة كالهجرة والجهاد والصلاة والصيام والزكاة وترك الشهوات والصبر على الأذى.

والآية نزلت في مثل (عمار بن ياسر)، و(بلال)، و(عياش) فإنها عامة إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، واللفظ عام هنا، لأن اسم الجنس إذا دخلت عليه "أل" أفادت استغراق جميع أفراده.(3)

* * *

[٣] ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولقد اختبرنا الذين كانوا قبلهم، فليعلمن الله علم ظهورٍ ويكشف لكم صدقَ الصادقين في إيمانهم وكذب الكاذبين فيه.(4)

* * *

ولقد فتنَّا الذين من قبلهم من الأمم واختبرناهم، ممن أرسلنا إليهم رسلنا، فليعلمنَّ الله علماً ظاهراً للخلق صدق الصادقين في إيمانهم، وكذب الكاذبين" ليميز كلَّ فريق من الآخر.(5)

* * *

ولقد اختبر الله الأمم السابقة بالتكاليف وألوان النعم والمحن، ليظهر ما سبق فى علمه القديم، ويتميَّز الصادقون فى إيمانهم من الكاذبين.(6)

---

(1) انظُر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوتِ) الآية (2)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) قال: (مجاهد) وغيره: نزلت هذه الآية مسلية للمعذبين بمكة المتخلفين عن الهجرة وهم: سلمة بن هشام، وعياش بن ربيعة، والوليد بن الوليد، وعمار بن ياسر، وياسر أبوه وسمية أمه إذ كانت صدورهم تضيق بالعذاب وربما استنكر أن يمكن الله الكفار من المؤمنين.

(3) انظُر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ. (العَنْكَبُوتِ) الآية (1-3)، للشيخ: (أبو بكر الجزائري).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (369/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (369/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

(6) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (591/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} .... أي: اختبرنا الأمم السابقة بالتكاليف وألوان النعم والمحن.

(أي: اختبرنا من قبلهم إذ هي سنة جارية في الناس).

{وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} ..... كالأنبياء والأولياء، فمنهم من نُشر بالمنشار، وعذب بأنواع العذاب، فلم ينصرف عن دينه.

{فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا} .... أي: في إيمانهم، وليعلمن الذين كذبوا فيه بما يظهر من أعمالهم

{فليعلمنّ اللّه} .... بالامتحان

{الَّذِينَ صَدَقُوا} .... في الإيمان.

{وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} ..... أي: فليظهرن الصادق من الكاذب.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {3} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِين من قبلهم} ابتلينا الَّذين من قبل أَصْحَاب مُحَمَّد- صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- بعد النَّبِيين بالهوى والبدعة وانتهاك الْمَحَارِم {فَلَيَعْلَمَنَّ الله} لكي يرى الله ويميز {الَّذين صدقُوا} في إيمانهم باجتناب الْهوى والبدعة وَترك الْمَحَارِم {وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبين} يَعْنِي: المكذبين في إيمانهم بالهوى والبدعة وانتهاك الْمَحَارِم.(1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {3} ثُمَّ عَزَّاهُمْ فَقَالَ: {وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} يَعْنِي الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُؤْمِنِينَ فَمِنْهُمْ مَنْ نُشِرَ بِالْمِنْشَارِ وَمِنْهُمْ مَنْ قُتِلَ، وَابْتُلِيَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِفِرْعَوْنَ فَكَانَ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ، {فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا} فِي قَوْلِهِمْ آمَنَّا، {وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِهِمْ قَبْلَ الِاخْتِبَارِ، ومعنى الآية: وليظهرن اللَّهُ الصَّادِقِينَ مِنَ الْكَاذِبِينَ حَتَّى يُوجَدَ مَعْلُومُهُ، وَقَالَ: (مُقَاتِلٌ): فَلَيَرَيَنَّ اللهُ. يَعْنِي:- لِيُمَيِّزَ اللَّهُ كَقَوْلِهِ: {لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ} {الْأَنْفَال: 37}.(2)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {3} وَلِهَذَا قَالَ هَاهُنَا: {وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} أَيِ: الَّذِينَ صَدَقُوا فِي دَعْوَاهُمُ الْإِيمَانَ مِمَّنْ هُوَ كَاذِبٌ فِي قَوْلِهِ وَدَعْوَاهُ. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ . وَهَذَا مُجْمَعٌ عَلَيْهِ عِنْدَ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ"

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (3) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ . (العَنْكَبُوت) الآية (3).

وَلِهَذَا يَقُولُ: (ابْنُ عَبَّاسٍ) وَغَيْرُهُ فِي مِثْلِ: {إِلا لِنَعْلَمَ} {الْبَقَرَة: 143}: إِلاَ لِنَرَى" وَذَلِكَ أَنَّ الرُّؤْيَةَ إِنَّمَا تَتَعَلَّقُ بِالْمَوْجُود، وَالْعِلْمُ أَعَمُّ مِنَ الرُّؤْيَةِ، فَإِنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِالْمَعْدُومِ وَالْمَوْجُودِ. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {3} قوله تعالى: {وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ}.

يقول تعالى ذكره: ولقد اختبرنا الذين من قبلهم من الأمم، ممن أرسلنا إليهم رسلنا، فقالوا مثل ما قالته أمتك يا محمد بأعدائهم، وتمكيننا إياهم من أذاهم، كموسى إذا أرسلناه إلى بني إسرائيل، فابتليناهم بفرعون وملئهم، وكعيسى إذ أرسلناه إلى بني إسرائيل، فابتلينا من اتبعه بمن تولى عنه، فكذلك ابتلينا أتباعك بمخالفيك من أعدائك (فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا) منهم في قيلهم آمنا (وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) منهم في قيلهم ذلك، والله عالم بذلك منهم قبل الاختبار، وفي حال الاختبار، وبعد الاختبار، ولكن معنى ذلك: وليُظْهِرَنّ الله صدق الصادق منهم في قيله آمنا بالله من كذب الكاذب منهم بابتلائه إياه بعدوّه، ليعلم صدقه من كذبه أولياؤه، على نحو ما قد بيَّناه فيما مضى قبلُ.

وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من المسلمين عذّبهم المشركون، ففتن بعضهم، وصبر بعضهم على أذاهم حتى أتاهم الله بفرج من عنده. (2)

* * *

أخرج - الإمام (الطبري)، والإمام (آدم بن أبي إياس) - (رحمهما الله):- (بسنده الصحيح)- عن (مجاهد): قوله: (وَلَقَدْ فَتَنَّا) قال: ابتلينا. (3)(4)

* * *

انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام (الطبراني):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {3} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ} " فيه تَسْلِيَةٌ للمؤمنين، معناهُ: ولقد امْتَحَنَّا الذين من قبْلِهم، {فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ}، فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الصادقَ بوقوع صدْقه منه بالصَّبرِ على ما يُؤْمَرُ به، والكاذبَ بوقوع كَذب منهُ وَالْجَزَعِ والمخالفة في القتَالِ الذي يُؤمَرُ به، فالله تعالى قد علِمَ الصادقَ من الكاذب قَبْلَ أنْ يخلُقَهم، ولكن القصدَ من الآية قصدُ وُقُوعِ العلم بما يُجازَى عليه " لأنَّ علْمَ الشَّهادة هو الذي يجبُ به الجزاء، فأما علْمُ الغيب قَبْلَ وقُوعه فلا يحلُّ به الجزاءُ.

وقال: (ابنُ عبَّاس)- رضي الله عنه: (وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) مِنْهُمْ إبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ- عليه السلام ابْتُلِيَ بِالنَّمْرُود،

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (3).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (3)، للإِمَامْ (الطبري).

(3) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (64/4)، للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (9/19). المحقق: الشيخ (أحمد شاكر).

وَمِنْهُمْ قَوْمٌ بَعْدَهُ نُشِرُواْ بِالْمَنَاشِيرِ عَلَى دِيْنِ اللهِ فَلَمْ يَرْجِعُواْ عَنْهُ.

وقال بعضهم: يعني: بَنِي إسرائيل ابْتُلُوا بفرعونَ فكانَ يسُومُهم سوءَ العذاب.[1]

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {3} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَد فتنا} اخْتَبَرْنَا {الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِين صدقُوا} بِمَا أَظْهَرُوا مِنَ الْإِيمَانِ {وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِين} يَعْنِي: الَّذِينَ يُظْهِرُونَ الْإِيمَانَ وَقُلُوبُهُمْ عَلَى الْكُفْرِ وَهُمُ الْمُنَافِقُونَ، وَهَذَا عِلْم الفعَال.

قَالَ: (مُحَمَّدٌ): مَعْنَى عِلْمُ الْفِعَالِ: الْعِلْمُ الَّذِي تَقُومُ بِهِ الْحُجَّةُ وَعَلَيْهِ يَكُونُ الْجَزَاءُ، وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ الصَّادِقَ وَالْكَاذِبَ قبل خلقهما.[2]

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {3} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِين[3] مِنْ قَبْلِهِمْ} من الأمم السابقة فهي إذاً سنة ماضية في الناس لا تتخلف. وقوله تعالى: {فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا} في إيمانهم أي يظهر ذلك[4] ويعلمه مشاهدة بعد أن علمه قبل إخراجه إلى الوجود حيث قدر ذلك وكتبه في كتاب المقادير وذلك بتكليفهم وقيامهم بما كلفوا به من شاق الأفعال وشاق التروك، إذ الهجرة والجهاد والزكاة أفعال، وترك الربا والزنا والخمر تروك.

{وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} حيث ادعوا الإيمان ولما ابتلوا بالتكاليف لم يقوموا بها، فبان بذلك عدم صدقهم وإنهم كاذبون في دعواهم أنهم مؤمنون.[5]

* * *

قال: الإمام (القُرطبي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {3} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} أي: ابْتَلَيْنَا الْمَاضِينَ كَالْخَلِيلِ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَكَقَوْمٍ نُشِرُوا بِالْمَنَاشِيرِ فِي دِينِ اللَّهِ فَلَمْ يَرْجِعُوا عَنْهُ.

وروى الْبُخَارِيُّ عَنْ (خَبَّابِ بْنِ الأرت): قالوا شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، فَقُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو لَنَا فَقَالَ: ((قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ

---

(1) انظُر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام (الطبراني) في سُورَةُ (العَنْكَبُوتِ) الآية (3)، انظُر: (المكتبة الشاملة).

(2) انظُر: (تفسير القرآن العزيز) في سُورَةُ . (العَنْكَبُوتِ) الآية (3) للإمام (إبن أبي زمنين المالكي)،

(3) (صَحِيح): روى الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه):- عن (خباب بن الأرت) قال: (شكونا إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا له: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد لحمه وعظمه فما يصرفه ذلك عن دينه، والله ليتمنّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون".

وروى الإمام (ابن ماجة)- عن (سعد بن أبي وقاص) قال: قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال: "الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلباً اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلى على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة!!".

(4) وفي الحديث: "من أسر سريرة ألبسه الله رداءها" أي أظهرها عليه.

(5) انظُر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوتِ) الآية (3)، للشيخ: (أبو بكر الجزائري).

وَيُمَشِّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ لَحْمَهُ وَعَظْمَهُ فَمَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ)).

وَخَرَّجَ (ابْنُ مَاجَهْ)- عَنْ (أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ) قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ يُوعَكُ، فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَيْهِ، فَوَجَدْتُ حَرَّهُ بَيْنَ يَدَيَّ فَوْقَ اللِّحَافِ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَشَدَّهَا عَلَيْكَ. قَالَ:" إِنَّا كَذَلِكَ يُضَعَّفُ لَنَا الْبَلَاءُ وَيُضَعَّفُ لَنَا الْأَجْرُ" قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ:" الْأَنْبِيَاءُ"، وقُلْتُ: ثُمَّ مَنْ.قَالَ" ثُمَّ الصَّالِحُونَ إِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيُبْتَلَى بِالْفَقْرِ حَتَّى مَا يَجِدُ إِلَّا الْعَبَاءَةَ يَحُوبُهَا [1] وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيَفْرَحُ بِالْبَلَاءِ كَمَا يَفْرَحُ أَحَدُكُمْ بِالرَّخَاءِ".

وروى (سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ) قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: ((الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ)).

وروى (عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ) أَنَّ عِيسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- كَانَ لَهُ وَزِيرٌ، فَرَكِبَ يَوْمًا فَأَخَذَهُ السَّبُعُ فَأَكَلَهُ، فَقَالَ عِيسَى: يَا رَبِّ وَزِيرِي فِي دِينِكَ، وَعَوْنِي عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَخَلِيفَتِي فِيهِمْ، سَلَّطْتَ عَلَيْهِ كَلْبًا فَأَكَلَهُ. قَالَ:" نَعَمْ كَانَتْ لَهُ عِنْدِي مَنْزِلَةٌ رَفِيعَةٌ لم أجد عمله يبلغها فابتليته بذلك لا بلغه تِلْكَ الْمَنْزِلَةَ".

وَقَالَ وَهْبٌ: قَرَأْتُ فِي كِتَابِ رجل من الحواريين: إذ سُلِكَ بِكَ سَبِيلُ الْبَلَاءِ فَقَرَّ عَيْنًا، فَإِنَّهُ سُلِكَ بِكَ سَبِيلُ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَإِذَا سُلِكَ بِكَ سَبِيلُ الرَّخَاءِ فَابْكِ عَلَى نَفْسِكَ، فَقَدْ خولف بك عن سبيلهم.

قوله تَعَالَى: {فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا} أَيْ: فَلَيَرَيَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا فِي إِيمَانِهِمْ. وَقَدْ مَضَى هَذَا الْمَعْنَى فِي" الْبَقَرَة" وَغَيْرِهَا.

قَالَ: (الزَّجَّاجُ): لِيَعْلَمَ صِدْقَ الصَّادِقِ بِوُقُوعِ صِدْقِهِ مِنْهُ، وَقَدْ عَلِمَ الصَّادِقَ مِنَ الْكَاذِبِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمَا، وَلَكِنَّ الْقَصْدَ قَصْدُ وُقُوعِ الْعِلْمِ بِمَا يُجَازِي عَلَيْهِ. وَإِنَّمَا يَعْلَمُ صِدْقَ الصَّادِقِ وَاقِعًا كَائِنًا وُقُوعُهُ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ سَيَقَعُ.

وَقَالَ: (النَّحَّاسُ): فِيهِ قَوْلَانِ أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ" صَدَقُوا" مُشْتَقًّا مِنَ الصِّدْقِ وَ" الْكَاذِبِينَ" مُشْتَقًّا مِنَ الْكَذِبِ الَّذِي هُوَ ضِدُّ الصِّدْقِ، وَيَكُونُ الْمَعْنَى، فَلَيُبَيِّنَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا فَقَالُوا نَحْنُ مُؤْمِنُونَ وَاعْتَقَدُوا مِثْلَ ذَلِكَ، وَالَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ اعْتَقَدُوا غَيْرَ ذَلِكَ. (2)

* * *

(1) وردت هذه الكلمة في (سنن ابن ماجة) بالهاء المهملة، وقال هامشه:" يحوبها" من حبى بحاء مهملة وباء موحدة أي يجعل لها جيبا. ووردة في الجامع الصغير للسيوطي بالجيم وقال شارحه: هي بجيم وواو و. وحده أي يخرقها ويقطعها، وكل شي قطع وسطه فهو مجوب. ورواية الجامع الصغير هي المتبادرة.

(2) انظُر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سُورَةُ (العَنْكَبُوتِ) الآية (3)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

[٤] ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

بل أَظَنَّ الذين يعملون المعاصي من الشرك وغيره أن يعجزونا، وينجوا من عقابنا؟ قَبُحَ حكمهم الذي يحكمون به، فهم لا يعجزون الله، ولا ينجون من عقابه إن ماتوا على كفرهم. (1)

* * *

بل أظنَّ الذين يعملون المعاصي مِن شرك وغيره أن يعجزونا، فيفوتونا بأنفسهم فلا نقدر عليهم؟. بئس حكمهم الذي يحكمون به. (2)

* * *

أظن الذين يشركون بالله ويعصونه أن يسبقونا فى فرارهم من عذاب الله وعقابه؟! بئس حكمهم هذا. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{أَمْ حَسِبَ} .... أيظن.

{أم} .... معادلة للألف في قوله:

{أَحَسِبَ}، المعنى: أظن المسيئون، وهم الكفار.

{أَنْ يَسْبِقُونَا} أي: يفوتونا، فلا نقدر على الانتقام منهم؟!

{أَن يَسْبِقُونَا} ... أن يَفُوتونَا ويَفلِتُوا مِنَّا فَلاَ نَقدرُ عَلَى الانْتِقَامِ مِنْهُمْ.

(أي: يفوتونا فلا ننتقم منهم).

{يَسْبِقُونَا} ... يُعْجِزُونَا، وَيَفُوتُونَا بِأَنْفُسِهِم.

{أَنْ يَسْبِقُونَا} .... فى فرارهم من عذاب الله وعقابه.

{سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} .... بئس حكمهم هذا.

(أي: بئس حكمًا يحكمون لأنفسهم بهذا الظن).

(أي: بئس الحكم هذا الذي يحكمون به، وهو حسبانهم أنهم يفوتون الله تعالى ولم يقدر على الانتقام منهم).

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن)- عن (قتادة): قوله: (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ) أي الشرك أن يسبقونا. (4)

* * *

أخرج - الإمام (الطبري) في (تفسيره)-، والإمام (آدم بن أبي إياس) - (رحمهما الله):- (بسنده الصحيح)- عن (مجاهد): (أَنْ يَسْبِقُونَا) أن يعجزونا. (5)(6)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {4} ثمَّ نزل في -(أبي جهل

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (369/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (369/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (591/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمام (الطبري) (10/19). المحقق: الشيخ (أحمد شاكر).

(5) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (64/4)، للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين).

(6) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمام (الطبري) (10/19). المحقق: الشيخ (أحمد شاكر).

بن هشام)، و(الوليد بن الْمُغيرَة)، وَ(عتبة وشَيْبَة ابْني ربيعَة) الَّذين بارزوا (على بن أبي طَالب)- رضى الله عَنهُ،- وَ(حَمْزَة بن عبد الْمطلب) عَم النبي -صلى الله عَلَيْه وَسلم-، وَ(عبيدَة بن عبد الْمطلب)، يَوْم بدر وتفاخر بَعضهم على بعض فَقَالَ: {أَمْ حَسِبَ} أيظن {الَّذين يَعْمَلُونَ السَّيِّئَات} في الشّرك بِاللَّه {أَن يَسْبِقُونَا} أَن يفوتوا من عذابنا {سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} بئس مَا يقضون ويظنون لأَنْفُسهمْ ذَلِك. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآيَة {4} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ} يَعْنِي: الشِّرْكَ، {أَنْ يَسْبِقُونَا} يُعْجِزُونَا وَيَفُوتُونَا فَلَا نَقْدِرُ عَلَى الِانْتِقَامِ مِنْهُمْ، {سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} أي: بِئْسَ مَا حَكَمُوا حِينَ ظَنُّوا ذَلِكَ. (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآيَة {4} قَوْلُهُ تَعَالَى: وَقَوْلُهُ: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} أَيْ: لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ لَمْ يَدْخُلُوا فِي الْإِيمَانِ أَنَّهُمْ يَتَخَلَّصُونَ مِنْ هَذِهِ الْفِتْنَةِ وَالِامْتِحَانِ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ وَالنَّكَالِ مَا هُوَ أَغْلَظُ مِنْ هَذَا وَأَطَمُّ"

وَلِهَذَا قَالَ: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا} أَيْ: يَفُوتُونَا، {سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} أَيْ: بِئْسَ مَا يَظُنُّونَ. (3)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآيَة {4} قوله تعالى: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ}.

يقول تعالى ذكره: أم حَسِبَ الذين يشركون بالله فيعبدون معه غيره، وهم المعنيون بقوله: (الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا) يقول: أن يعجزونا فيفوتونا بأنفسهم، فلا نقدر عليهم فننتقم منهم لشركهم بالله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن (قتادة)، قوله: (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ) أي: الشرك أن يسبقونا.

* * *

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن (ابن أبي نجيح)، عن (مجاهد): (أَنْ يَسْبِقُونَا) أن يعجزونا.

* * *

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (4) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامُ (البغوي) سُورَةُ . (العَنْكَبُوت) الآية (4).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامُ (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (4).

وقوله: (سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) يقول تعالى ذكره: ساء حكمهم الذي يحكمون بأن هؤلاء الذين يعملون السيئات يسبقوننا بأنفسهم.(1)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {4} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ} أي: الشرك.

قال: {أَنْ يَسْبِقُونا} أي: يفوتنا ويُعْجِزُونَا قَبْلَ أَنْ نُؤَاخِذَهُمْ بِمَا يَفْعَلُونَ.

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): يُرِيدُ (الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ، وَأَبَا جَهْلٍ، وَالْأَسْوَدَ، وَالْعَاصَ بْنَ هِشَامٍ، وَشَيْبَةَ، وَعُتْبَةَ، وَالْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ، وَعُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ، وحنظلة بن أبي سُفْيَانَ، وَالْعَاصَ بْنَ وَائِلٍ).

(سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) أَيْ: بِئْسَ الْحُكْمُ مَا حَكَمُوا فِي صِفَاتِ رَبِّهِمْ أَنَّهُ مَسْبُوقٌ وَاللَّهُ الْقَادِرُ عَلَى كل شيء.(2)

* * *

انظر: (تفسير القرآن العظيم) – المنسوب – للإمام (الطبراني):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {4} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ} معناهُ: أظَنُّوا.

{الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ} يعني الشِّرْكَ،

قَالَ: (ابْنُ عبَّاس): (يَعْنِي: الْوَلِيْدَ بْنَ الْمُغِيْرَةِ، وَأبَا جَهْلٍ، وَالأَسْوَدَ، وَالْعَاصَ بْنَ هِشَامٍ، وَغَيْرَهُمْ).

{أَن يَسْبِقُونَا} أي أن يَفُوتُونَا ويُعجِزُونا.

{سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ} أي: بِئْسَ ما حَكَمُوا لأنفُسِهم حين ظَنُّوا ذلك

يَعْنِي:- إنَّ هذه الآية نزلت في (عُتْبَةَ بن رَبِيْعَةَ، وأخيه، شَيْبَةَ) ، وفي (الوليد بن عُتبةَ) وغير الذين بَارَزُوا (عَلِيّاً ، وحمزةَ، وعُبيدةَ بن الحارث) يومَ بَدْرٍ ، فقُتِلُوا على أيديهم يومئذٍ.(3)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {4} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ} يَعْنِي: الشّرك.

{أَن يسبقونا} حَتَّى لاَ نَقْدرَ عَلَيْهِمْ فَنُعَذِّبَهُمْ أَيْ: قَدْ حَسِبُوا ذَلِك وَلَيْسَ كَمَا ظنُّوا.

{سَاءَ مَا} أَي: بئس مَا .

{يحكمون} أَنْ يَظُنُّوا أَنَّ اللَّهَ خَلَقَهُمْ، ثُمَّ لاَ يَبْعَثُهُمْ فَيَجْزِيَهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ،(4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {4} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ}. أي: أحسب الذين همهم فعل السيئات وارتكاب الجنايات، أن أعمالهم ستهمل، وأن الله سيغفل عنهم، أو

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (4)، للإمامْ (الطبري).

(2) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (4)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) – المنسوب – للإمام (الطبراني) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (4)، انظر: (المكتبة الشاملة).

(4) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سُورَةُ . (العَنْكَبُوت) الآية (4) للإمام ابن أبي زمنين المالكي).

يفوتونه، فلذلك أقدموا عليها، وسهل عليهم عملها؟.

{سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} أي: ساء حكمهم، فإنه حكم جائر، لتضمنه إنكار قدرة الله وحكمته، وأن لديهم قدرة يمتنعون بها من عقاب الله، وهم أضعف شيء وأعجزه.(1)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {4} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا}(2) أي: أظن. {يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ} من الشرك والمعاصي. {أَنْ يَسْبِقُونَا} أي: يفوتونا فلم نأخذهم بالعذاب. {سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} به لأنفسهم أي: قبح حكمهم هذا من حكم لفساده، إذ أقاموه على ظن منهم أن الله تعالى لا يقدر عليهم وهو على كل شيء قدير وأنه لا يعلمهم وهو بكل شيء عليم.(3)

* * *

[٥] ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

من كان يأمل لقاء الله يوم القيامة ليثيبه فليعلم أن الأجل الذي ضربه الله لذلك لآت قريبًا، وهو السميع لأقوال عباده، العليم بأفعالهم، لا يفوته منها شيء، وسيجازيهم عليها.(4)

* * *

من كان يرجو لقاء الله، ويطمع في ثوابه، فإن أجل الله الذي أجَّله لبعث خلقه للجزاء والعقاب لآت قريبًا، وهو السميع للأقوال، العليم بالأفعال.(5)

* * *

من كان يؤمن بالبعث ويرجو ثواب الله ويخاف عقابه فإيمانه حق، وليبادر إلى العمل الصالح، فإن اليوم الموعود آت لا محالة، والله سميع لأقوال العباد عليم بأفعالهم، وسيجزى كلا بما يستحق.(6)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ} ..... يأمل ثوابه، ويخشى البعث والحساب. أي: يؤمن بالبعث ويرجو ثواب الله.

(أي: من كان يؤمن بلقاء الله وينتظر وقوعه فليعلم أن أجله لآت فليستعد له بالإيمان وصالح الأعمال).

{فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ} .... هو الأمد المضروب للثواب والعقاب.

{أَجَلَ اللَّهِ} ... الوَقْتَ الَّذِي حَدَّدَهُ اللهُ لِلْبَعْثِ.

{لَآتٍ} .... لكائن.

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَة (العَنْكَبُوت) الآية (4)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) قال: (ابن عباس): المراد بهم: (الوليد بن المغيرة، وأبو جهل والأسود بن العاص بن هشام وشيبة وعتبة والوليد بن عتبة وعقبة بن أبي معيط وحنظلة بن أبي سفيان والعاص بن وائل).

(3) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَة. (العَنْكَبُوت) الآية (4)، للشيخ: (أبو بكر الجزائري).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (369/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (369/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(6) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (591/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

روي عن (يعقوب)، و(قنبل): الوقف بالياء على (لآتي).(1)

{وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} .... فلا يفوته شيء.

{السَّمِيعُ} .... لأقوال العباد.

{الْعَلِيمُ} .... بأفعالهم.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

انظر: سورة – (الكهف) – آية (110). –

كما قال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}.

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةَ العَنْكَبُوت} الآية {5} قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَن كَانَ يَرْجُو} يخاف {لِقَاءَ الله} الْبَعْث بعد المَوْت {فَإِنَّ أَجَلَ الله} الْبَعْث بعد الْمَوْت {لآتٍ} لكائن {وَهُوَ السَّمِيع} لمقالة كلا الْفَرِيقَيْنِ يَوْم بدر {الْعَلِيم} بِمَا يصيبهم.(2)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةَ العَنْكَبُوت} الآية {5} قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ) - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا -، وَ(مُقَاتِلٌ): مَنْ كَانَ يَخْشَى الْبَعْثَ وَالْحِسَابَ، وَالرَّجَاءُ بِمَعْنَى الْخَوْفِ،

وَقَالَ: (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ كَانَ يَطْمَعُ فِي ثَوَابِ اللَّهِ،

{فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ} يَعْنِي: مَا وَعَدَ اللَّهُ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ.

وَقَالَ: (مُقَاتِلٌ): يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَكَائِنٌ، وَمَعْنَى الْآيَةِ أَنَّ مَنْ يَخْشَى اللَّهَ أَوْ يَأْمُلُهُ فَلْيَسْتَعِدَّ لَهُ وَلْيَعْمَلْ لِذَلِكَ الْيَوْمِ،

كَمَا قَالَ: {فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا} {الكهف: 110} الآية، {وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}.(3)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةَ العَنْكَبُوت} الآية {5} قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ} أَيْ: فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَعَمِلَ الصَّالِحَاتِ رَجَاءَ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيُحَقِّقُ لَهُ رَجَاءَهُ وَيُوَفِّيهِ عَمَلَهُ كَامِلًا مَوْفُورًا، فَإِنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ" لِأَنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاءِ، بَصِيرٌ بِكُلِّ الْكَائِنَاتِ، وَلِهَذَا قَالَ: {مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}.(4)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةَ العَنْكَبُوت} الآية {5} قوله تعالى: {مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}.

---

(1) انظُر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (5)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظُر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (5) يُنسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(3) انظُر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ . (العَنْكَبُوت) الآية (5).

(4) انظُر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (5).

يقول تعالى ذكره: من كان يرجو الله يوم لقائه، ويطمع في ثوابه، فإن أجل الله الذي أجله لبعث خلقه للجزاء والعقاب لآت قريبا،

(وهو السميع) يقول: والله الذي يرجو هذا الراجي بلقائه ثوابه، السميع لقوله: آمنا بالله،

(العليم) بصدق قيله، إنه قد آمن من كذبه فيه، (1)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {5} قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}.

وَأَجْمَعَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ عَلَى أَنَّ الْمَعْنَى: مَنْ كَانَ يَخَافُ الْمَوْتَ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا فَإِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَهُ، ذَكَرَهُ (النَّحَّاسُ).

قَالَ: (الزَّجَّاجُ): معنى" يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ" ثَوَابَ اللَّهِ وَ" مَنْ" فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ بِالِابْتِدَاءِ، وَ" كَانَ" فِي مَوْضِعِ الْخَبَرِ، وَهِيَ فِي مَوْضِعِ جَزْمٍ بِالشَّرْطِ،

وَ" يَرْجُوا" فِي مَوْضِعِ خَبَرِ كَانَ، وَالْمُجَازَاةُ. (فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ). (2)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {5} قَوْلُهُ تَعَالَى: ثُمَّ قَالَ: {مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللهِ} يَقُولُ: مَنْ كَانَ يَخْشَى الْبَعْثَ، وَهَذَا الْمُؤْمِنُ {فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لآتٍ} يَعْنِي: الْبَعْثَ. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {5} قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}.

يعني: يا أيها المحب لربه، المشتاق لقربه ولقائه، المسارع في مرضاته، أبشر بقرب لقاء الحبيب، فإنه آت، وكل آت إنما هو قريب، فتزود للقائه، وسر نحوه، مستصحبا الرجاء، مؤملا الوصول إليه، ولكن، ما كل من يدَّعي يُعطَى بدعواه، ولا كل من تمنى يعطى ما تمناه، فإن الله سميع للأصوات، عليم بالنيات، فمن كان صادقا في ذلك أناله ما يرجو، ومن كان كاذبا لم تنفعه دعواه، وهو العليم بمن يصلح لحبه ومن لا يصلح. (4)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {5} قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ (5) الله فَإِنَّ أَجَلَ الله لآتٍ} أي: {مَنْ كَانَ} يؤمن ويؤمل لقاء الله وذلك يوم القيامة فليعلم أن أجل الله المضروب لذلك لآت قطعة وعليه

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (5)، لِلإمَامُ (الطبري)،

(2) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (5)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(3) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سُورَةُ . (العَنْكَبُوت) الآية (5) للإمام ابن أبي زمنين المالكي)،

(4) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (5)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(5) قال: الإمام (القرطبي): أجمع أهل التفسير على أن المعنى من كان يخاف الموت فليعمل عملاً صالحاً فإنه لا بد أن يأتيه.

فليستعد للقائه بما يناسبه وهو الإيمان والعمل الصالح بعد التخلي عن الشرك والعمل الفاسد، ومن هنا دعوى المرء أنه يرجو لقاء ربه ولم يعمل صالحاً يثاب عليه، دعوى لا تصح قال تعالى في سورة {الكهف: 110} {.. فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً}.

وقوله: {وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} أي هو تعالى السميع لأقوال عباده العليم بنياتهم وأعمالهم، فدعوى الإيمان ظاهرة من العبد أو باطنة لا قيمة لها ما لم يقم صاحبها الدليل عليها وذلك بالإيمان الجهاد للعدو الظاهر والباطن[1].[2]

* * *

[٦] ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ومن جاهد نفسه بحملها على الطاعة والبعد عن المعصية، وجاهد في سبيل الله فإنما يجاهد لنفسه" لأن نفع ذلك عائد إليها، والله غني عن المخلوقات كلها، فلا تزيده طاعتهم، ولا تنقصه معصيتهم.[3]

* * *

ومن جاهد في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى، وجاهد نفسه بحملها على الطاعة، فإنما يجاهد لنفسه" لأنه يفعل ذلك ابتغاء الثواب على جهاده. إن الله لغني عن أعمال جميع خلقه، له الملك والخلق والأمر.[4]

* * *

ومن جاهد فى سبيل إعلاء كلمة الله، وجاهد نفسه بالصبر على الطاعة فإن ثواب جهاده لنفسه، وإن الله - سبحانه - لغنى عن طاعة العالمين.[5]

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَمَنْ جَاهَدَ} .... جهاد حرب، أو جهاد نفس، بالصبر على مضض الطاعة.

(أي: بذل الجهد في حرب الكفار أو النفس).

(أي: نفسه فى منعها ما تأمر به وحملها على ما تأباه).

يَعنْي:- من جاهد فى الدين.

{فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ} .... لأن ثوابه لها.

(أي: منفعة الجهاد من الأجر عائدة على نفسه).

(أي: لأن منفعة ذلك راجعة إليها).

{إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} .... فلا حاجة به إلى جهادهم.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {6} ثمَّ نزل فِي عَليّ وصاحبيه بِمَا افتخروا فَقَالَ: {وَمَن جَاهَدَ} فِي سَبِيل الله يَوْم بدر {فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ

---

(1) المراد بجهاد العدو الظاهر الكفار والباطن النفسي.

(2) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ. (العَنْكَبُوت) الآية (5). للشيخ: (أبو بكر الجزائري).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (369/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (369/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (591/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

لِنَفْسِهِ} فَلَهُ بذلك الثَّواب {إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} عَن جِهَاد الْعَالَمين.(1)

* * *

قال: الإِمَام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {6} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ} لَهُ ثَوَابُهُ، وَالْجِهَادُ هُوَ الصَّبْرُ عَلَى الشِّدَّة وَيَكُونُ ذَلِكَ فِي الْحَرْبِ وَقَدْ يَكُونُ عَلَى مُخَالَفَةِ النَّفْسِ.

{إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} عن أعمالهم وعباداتهم.(2)

* * *

قال: الإِمَام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {6} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ}، كَقَوْلِهِ: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ} {فُصِّلَتْ: 46}،

أَيْ: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّمَا يَعُودُ نَفْعُ عَمَلِهِ عَلَى نَفْسِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ أَفْعَالِ الْعِبَادِ، وَلَوْ كَانُوا كُلُّهُمْ عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِهِ شَيْئًا، وَلِهَذَا قَالَ: {وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}.

قَالَ: (الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ): إِنَّ الرَّجُلَ لَيُجَاهِدُ، وَمَا ضَرَبَ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ بِسَيْفٍ.(3)

* * *

قال: الإِمَام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {6} قوله تعالى: {وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ} يقول: ومن يجاهد عدوّه من المشركين فإنما يجاهد لنفسه" لأنه يفعل ذلك ابتغاء الثواب من الله على جهاده، والهرب من العقاب، فليس بالله إلى فعله ذلك حاجة، وذلك أن الله غنيّ عن جميع خلقه، له الملك والخلق والأمر.(4)

* * *

قال: الإِمَام (القرطبي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {6} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ} أَيْ: وَمَنْ جَاهَدَ فِي الدِّين، وَصَبَرَ عَلَى قِتَالِ الْكُفَّارِ وَأَعْمَالِ الطَّاعَاتِ، فَإِنَّمَا يَسْعَى لِنَفْسِهِ، أَيْ: ثَوَابُ ذَلِكَ كُلِّهِ لَهُ، وَلَا يَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ نَفْعٌ مِنْ ذَلِكَ.

{إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} أَيْ: عَنْ أَعْمَالِهِمْ يَعْنِي:- الْمَعْنَى، مَنْ جَاهَدَ عَدُوَّهُ لِنَفْسِهِ لَا يُرِيدُ وَجْهَ اللَّهِ فليس لله حاجة بجهاده.(5)

* * *

قال: الإِمَام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {6} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ} يَقُولُ: يُعْطِيهِ

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَة (العَنْكَبُوت) الآية (6) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما –.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَة . (العَنْكَبُوت) الآية (6).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَة (العَنْكَبُوت) الآية (6).

(4) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَة (العَنْكَبُوت) الآية (6)، للإِمَامْ (الطبري).

(5) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سُورَة (العَنْكَبُوت) الآية (6)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

اللَّـهُ ثـواب ذلـك. {إِنَّ اللَّـهَ لَغَنِـيٌّ عَـنِ الْعَالَمِينَ} أي: عَن عِبَادَتهم.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {6} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَنْ جَاهَدَ} نفسه وشيطانه، وعدوه الكافر، {فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ} لأن نفعه راجع إليه، وثمرته عائدة إليه، والله غني عن العالمين، لم يأمرهم بما أمرهم به لينتفع به، ولا نهاهم عما نهاهم عنه بُخْلا عليهم.

وقد علم أن الأوامر والنواهي يحتاج المكلف فيها إلى جهاد، لأن نفسه تتثاقل بطبعها عن الخير، وشيطانه ينهاه عنه، وعدوه الكافر يمنعه من إقامة دينه، كما ينبغي، وكل هذا معارضات تحتاج إلى مجاهدات وسعي شديد.(2)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {6} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ} أي: منفعة هذه العبادة عائدة على العبد نفسه أما الله عز وجل فهو في غنى عن عمل عباده غنىً مطلقاً وهذا ما دل عليه.

قوله: {إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} الملائكة والإنس والجن وسائر المخلوقات إذ كل ما سوى الله تعالى عالم ويجمع على عوالم وعالمين.(3) (4)

* * *

﴿ من فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾
﴿ سُورَةُ العَنْكَبُوتِ:1 - 6 ﴾

- النهي عن إعانة أهل الضلال.
- الأمر بالتمسك بتوحيد الله والبعد عن الشرك به.
- ابتلاء المؤمنين واختبارهم سُنَّة إلهية.
- غنى الله عن طاعة عبيده.(5)

* * *

[٧] ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

والذين آمنوا وصبروا على امتحاننا لهم، وعملوا الأعمال الصالحات لنمحونّ ذنوبهم بما عملوه من الأعمال الصالحة، ولنثيبنّهم في الآخرة أحسن الذي كانوا يعملون في الدنيا.(6)

* * *

والذين صدَّقوا الله ورسوله، وعملوا الصالحات لنمحونَّ عنهم خطيئاتهم،

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سُورَةُ. (العَنْكَبُوت) الآية (6) للإمام ابن أبي زمنين المالكي).
(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (6)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).
(3) جمع ملحق بمذكر سالم نحو: الحمد لله رب العالمين.
(4) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ. (العَنْكَبُوت) الآية (6)، للشيخ: (أبو بكر الجزائري).
(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (397/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(6) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (397/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

ولنثبتنَّهم على أعمالهم الصالحة أحسن ما كانوا يعملون.(1)

* * *

والذين اتصفوا بالإيمان وعملوا الصالحات لنُذهبن عنهم سيئاتهم ونغفر لهم، ونجزيهم أوفى جزاء على أعمالهم الصالحة.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ} .... لنبطلنها بسترها وترك العقوبة عليها.

{وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ} .... أي: نضاعف لهم الحسنات.

{أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ} .... أحسن جزاء لأعمالهم.

{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} .... أي: أساءوا في بعض أعمالهم، وسيئاتهم مغمورة بحسناتهم.

{لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ} .... أي: يسقط عقابها بثواب الحسنات.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {7} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا} علي وصاحباه {وَعَمِلُوا الصَّالِحَات} الطَّاعَات فيما بينهم وبين ربهم {لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ} لنمحصن عنهم

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (7) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (8) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ (9) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ (10) وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ (11) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (12) وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (13) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (14)

ذنوبهم دون الكبائر {وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُواْ يَعْمَلُونَ} في جهادهم.(3)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {7} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ} لَنُبْطِلَنَّهَا يَعْنِي حَتَّى تَصِيرَ بِمَنْزِلَةِ مَا لم يعمل، فالتكفير إِذْهَابُ السَّيِّئَةِ بِالْحَسَنَةِ.

{وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ} أَيْ: بِأَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ وَهُوَ الطَّاعَةُ،

يعني:- نُعْطِيهِمْ أَكْثَرَ مِمَّا عَمِلُوا وَأَحْسَنَ، كَمَا قَالَ: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا} {الْأَنْعَام: 160}.(1)

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (397/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (591/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (7) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

* * *

قَالَ: الإِمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {7} {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ}.

ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُ مَعَ غِنَاهُ عَنِ الْخَلَائِقِ جَمِيعِهِمْ مِنْ إِحْسَانِهِ وَبِرِّهِ بِهِمْ يُجَازِي الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَحْسَنَ الْجَزَاءِ، وَهُوَ أَنَّهُ يُكَفِّرُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا، وَيَجْزِيهِمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، فَيَقْبَلُ الْقَلِيلَ مِنَ الْحَسَنَاتِ، وَيُثِيبُ عَلَيْهَا الْوَاحِدَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، وَيَجْزِي عَلَى السَّيِّئَةِ بِمِثْلِهَا أَوْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا} {النِّسَاء: 40}،

وَقَالَ هَاهُنَا: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ}. (2)

* * *

قَالَ: الإِمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {7} قوله تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ}.

يقول تعالى ذكره: والذين آمنوا بالله ورسوله، فصحّ إيمانهم عند ابتلاء الله إياهم وفتنته لهم، ولم يرتدّوا عن أديانهم بأذى المشركين إياهم.

{وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ}. التي سلفت منهم في شركهم.

{وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ} يقول: ولنثيبنهم على صالحات أعمالهم في إسلامهم، أحسن ما كانوا يعملون في حال شركهم مع تكفيرنا سيئات أعمالهم. (3)

* * *

قَالَ: الإِمَامْ (القرطبي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {7} قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا) أَيْ: صَدَّقُوا (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ) أَيْ: لَنُغَطِّيَنَّهَا عَنْهُمْ بِالْمَغْفِرَةِ لَهُمْ. (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) أَيْ: بِأَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ وَهُوَ الطَّاعَاتُ. ثُمَّ قِيلَ: يَحْتَمِلُ أَنْ تُكَفَّرَ عَنْهُمْ كُلُّ مَعْصِيَةٍ عَمِلُوهَا فِي الشِّرْكِ وَيُثَابُوا عَلَى مَا عَمِلُوا مِنْ حَسَنَةٍ فِي الْإِسْلَامِ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ تُكَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتُهُمْ فِي الْكُفْرِ وَالْإِسْلَامِ. وَيُثَابُوا عَلَى حَسَنَاتِهِمْ في الكفر والإسلام. (4)

* * *

قَالَ: الإِمَامْ (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {7} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ

(1) انظُر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ . (العَنْكَبُوت) الآية (7).

(2) انظُر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (7).

(3) انظُر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (العَنْكَبُوتِ) الآية (7)، لِلإِمَامْ (الطبري)،

(4) انظُر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سُورَةُ (العَنْكَبُوتِ) الآية (7)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ}.

يعني: أن الذين منَّ الله عليهم بالإيمان والعمل الصالح، سيكفر الله عنهم سيئاتهم، لأن الحسنات يذهبن السيئات،

{وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ} وهي أعمال الخير، من واجبات ومستحبات، فهي أحسن ما يعمل العبد، لأنه يعمل المباحات أيضا، وغيرها.[1]

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {7} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ} هذا وعد من الله تعالى لمن آمن من عباده وذلك على إيمانه وصالح عمله فعلاً وتركاً بأنه يكفر عنه سيئاته التي عملها قبل الإسلام وبعده. ومعنى يكفّرها عنهم يغطيها ويسترها ولم يطالبهم بها كأنهم لم يفعلوها.

وقوله: {وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ} أي: على أعمالهم الصالحة {أَحْسَنَ} أي: بأحسن عمل عملوه فتكون أعظم ما تكون مضاعفة. وهذا من تكرمه على عباده الصالحين ليجزي بالحسنة أضعافها مئات المرات.

هذه الآيات نزلت في شأن[2] (سعد بن أبي وقاص) لما أسلم قالت له أمه حمنة بنت أبي سفيان ما هذا الدين الذي أحدثت والله لا آكل ولا أشرب حتى ترجع إلى ما كنت عليه أو أموت فتعيّر بذلك أبد الدهر يقال يا قاتل أمه، ثم إنها مكثت يوماً وليلة لم تأكل ولم تشرب ولم تستظل فأصبحت وقد جهدت ثم مكثت يوماً آخر وليلة لم تأكل ولم تشرب فجاء سعد إليها وقال: يا أماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفساً ما تركت ديني فكلي إن شئت وإن شئت فلا تأكلي، فلما أيست منه أسلمت وأكلت وشربت فأنزل الله هذه الآية.[3]

* * *

[٨] ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ووصينا الإنسان بوالديه أن يبرهما ويحسن إليهما، وإن جاهدك والداك -أيها الإنسان- لتشرك بي ما ليس لك بإشراكه علم - كما وقع لسعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - من أمه - فلا تطعهما في ذلك لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، إليّ وحدي

---

(1) انظُر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوتِ) الآية (7)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) (صَحِيح): روى الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه):- عن (سعد بن أبي وقاص) أنه قال: نزلت في أربع آيات فذكر قصته قال: قالت أم سعد: أليس الله قد أمرك بالبر؟ والله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أموت أو تكفر، قال: فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاها فنزلت هذه الآية.

(3) انظُر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ. (العَنْكَبُوتِ) الآية (7)، للشيخ: (أبو بكر الجزائري).

رجوعكم يوم القيامة، فأخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا، وأجازيكم عليه. (1)

* * *

ووصينا الإنسان بوالديه أن يبرهما، ويحسن إليهما بالقول والعمل، وإن جاهداك -أيها الإنسان- على أن تشرك معي في عبادتي، فلا تمتثل أمرهما. ويلحق بطلب الإشراك بالله، سائر المعاصي، فلا طاعة لمخلوق كائنًا من كان في معصية الله سبحانه، كما ثبت ذلك عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. إليَّ مصيركم يوم القيامة، فأخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا من صالح الأعمال وسيئها، وأجازيكم عليها. (2)

* * *

وأمر الله الإنسان أن يبالغ فى الإحسان إلى والديه وطاعتهما. وإن حملاك على الشرك بالله - وهو ما لا يقره علم ولا عقل - فلا تطعهما، وإلى الله مرجع الخلق كافة فينبئهم بما عملوا فى الدنيا ويجزيهم به. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{ووصنا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَسَنًا} .... أَيْ: إيصَاء ذَا حُسْن بِأَنْ يَبَرّهمَا.

{ووصينا الإنسان} .... أي: عهدنا إليه بطريق الوحي.

{بوالديه حسنا} ..... أي: إيصاءً ذا حسن، وذلك ببرهما وعدم عقوقهما.

{حُسْناً} .... وصيناه بإيتاء والديه حسنا، أي فعلا ذا حسن.

{وإن جاهداك} ..... أي: بذلا الجهد في حملك على أن تشرك.

{وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ} .... بِإِشْرَاكِهِ.

{ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} ..... أي: لا علم لك بإلهيته. والمراد بنفي العلم نفى المعلوم.

{عِلْم} .... مُوَافَقَة لِلْوَاقِعِ فَلَا مَفْهُوم لَهُ.

{فَلاَ تُطِعْهُمَا} .... فِي الْإِشْرَاك، (أي: في الشرك إذا حملاك عليه).

{إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} ....فَأُجَازِيكُمْ بِهِ

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن)- عن (قتادة): {وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ....}. إلى قوله: {فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} قال: نزلت في (سعد بن أبي، وقاص) لما هاجر قالت أمه: والله لا يظلني بيت حتى يرجع، فأنزل الله أن يحسن إليهما، ولا يطيعهما في الشرك. (4)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {8} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ} أمرنَا الْإِنْسَان (سعد بن أبي، وَقاص) {بِوَالِدَيْهِ} بِمَالك وَ(حمْنَة بنت أبي سُفْيَان) {حُسْناً} برا بهما {وَإِن

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (397/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (397/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (591/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمام (الطبري) (12/20). المحقق: الشيخ (أحمد شاكر).

{جَاهَدَاكَ} أمراك وأراداك {لِتُشْرِكَ} لتعدل {بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} أنه شريكي ولك علم أنه ليس لي شريك {فَلَا تُطِعْهُمَا} في الشّرك وكان أبواه مُشركين {إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ} مرجعك ومرجع أبويك {فَأُنَبِّئُكُمْ} فأخبركم {بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} من الْخَيْر وَالشَّر فِي الْكفْر وَالْإِيمَان.(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَة العَنْكَبُوت} الآية {8} قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا} أي: برا بهما عطفا علَهما، مَعْنَاهُ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ أَنْ يَفْعَلَ بِوَالِدَيْهِ مَا يَحْسُنُ، نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَالَّتِي فِي سُورَة (لقمان) و(الأحزاب) فِي (سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاص) – رضي الله عنه – وَأُمُّهُ: (حَمْنَةُ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ) لَمَّا أَسْلَمَ وَكَانَ مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ وَكَانَ بَارًّا بِأُمِّهِ قَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي أَحْدَثْتَ؟! وَاللَّهِ لَا آكُلُ وَلَا أَشْرَبُ حَتَّى تَرْجِعَ إِلَى مَا كُنْتَ عَلَيْهِ أَوْ أَمُوتَ فتعير بذلك أبد الدهر، فَجَاءَ سَعْدٌ إِلَيْهَا وَقَالَ: يَا أُمَّاهُ لَوْ كَانَتْ لَكِ مِائَةُ نَفْسٍ فَخَرَجَتْ نَفْسًا نَفْسًا مَا تَرَكْتُ دِينِي فَكُلِي وَإِنْ شِئْتِ فلا تأكلي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ، وأمر بِالْبِرِّ بِوَالِدَيْهِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيهما وَأَنَّ لا يطعهما فِي الشِّرْكِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا}.

جاء فِي الْحَدِيثِ: ((لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ في معصية الخالق)).(2)

ثُمَّ أَوْعَدَ بِالْمَصِيرِ إِلَيْهِ فَقَالَ: {إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} أخبركم بصالح أعمالكم وسيئها فأجزيكم عَلَيْهَا.(3)

* * *

﴿ سَبَبُ النُّزول ﴾

ونزل في (سعد بن أبي وقاص)، وهو من السابقين الأولين لما أسلم، فحلفت أمه ألا تأكل ولا تشرب حتى يكفر بمحمد، فقال: والله! لو كان لك مئة نفس، فخرجت نفسًا نفسًا، ما كفرت: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا}(4) نصب بـ (وصينا)" أي: وصيناه أن يفعل بهما ما يحسن.

{وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} أنه لي شريك. {فَلَا تُطِعْهُمَا} في ذلك،

جاء فِي الْحَدِيثِ: ((لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ في معصية الخالق)).(5)(6)

* * *

---

(1) انظُر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوتِ) الآية (8) يِنسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(2) رواه الإمام (أحمد) برقم (5 / 66)، وصححه الحاكم) برقم (3 / 443). وأخرجه (المصنف) في شرح (السنة) برقم (1 / 44).

(3) انظُر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ . (العَنْكَبُوتِ) الآية (8).

(4) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (4/ 1877)،

و انظُر: "أسباب نزول" للإمام (الواحدي) برقم (ص: 196)، و"الدر المنثور" للإمام (السيوطي) برقم (6/ 521).

(5) رواه الإمام (أحمد) في "المسند" (5/ 66)، و (الحارث بن أبي أسامة) في "مسنده" (602)، والقضاعي في "مسند الشهاب" (873)، وغيرهم – عن (عمران بن حصين) –رضي الله عنه–.

(6) انظُر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سُورَةُ (العَنْكَبُوتِ) الآية (8)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

قَــال: الإِمَــامُ (ابــن كــثير) – (رحمــه الله) – في (تفسـيره):- {سُـورَةُ العَنْكَبُـوت} الآيــة {8} قَوْلُــهُ تَعَــالَى: {وَوَصَّــيْنَا الإِنْسَــانَ بِوَالِدَيْــهِ حُسْــنًا وَإِنْ جَاهَــدَاكَ لِتُشْــرِكَ بِــي مَــا لَــيْسَ لَــكَ بِــهِ عِلْــمٌ فَــلا تُطِعْهُمَــا إِلَــيَّ مَــرْجِعُكُمْ فَــأُنَبِّئُكُمْ بِمَــا كُنْــتُمْ تَعْمَلُونَ}.

يَقُــولُ تَعَــالَى آمِــرًا عِبَــادَهُ بِالْإِحْسَــانِ إِلَــى الْوَالِــدَيْنِ بَعْــدَ الْحَــثِّ عَلَــى التَّمَسُّــكِ بِتَوْحِيــدِهِ، فَــإِنَّ الْوَالِــدَيْنِ هُمَّــا سَــبَبُ وُجُــودِ الْإِنْسَــانِ، وَلَهُمَــا عَلَيْــهِ غَايَــةُ الْإِحْسَــانِ، فَالْوَالِــدُ بِالْإِنْفَــاقِ وَالْوَالِــدَةُ بِالْإِشْــفَاقِ؛ وَلِهَــذَا قَــالَ تَعَــالَى: {وَقَضَــى رَبُّــكَ أَلا تَعْبُــدُوا إِلا إِيَّــاهُ وَبِالْوَالِــدَيْنِ إِحْسَــانًا إِمَّــا يَــبْلُغَنَّ عِنْــدَكَ الْكِبَــرَ أَحَــدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَــا فَــلا تَقُــلْ لَهُمَــا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَــا وَقُــلْ لَهُمَــا قَــوْلا كَرِيمًــا، وَاخْفِــضْ لَهُمَــا جَنَــاحَ الــذُّلِّ مِــنَ الرَّحْمَــةِ وَقُــلْ رَبِّــي ارْحَمْهُمَــا كَمَــا رَبَّيَــانِي صَــغِيرًا} [الإســراء: 23، 24].

وَمَــعَ هَــذِهِ الْوَصِــيَّةِ بِالرَّأْفَــةِ وَالرَّحْمَــةِ وَالْإِحْسَــانِ إِلَهما ، فِي مُقَابَلَةِ إِحْسَانِهِمَا الْمُتَقَدِّمِ، قَــالَ: {وَإِنْ جَاهَــدَاكَ لِتُشْــرِكَ بِــي مَــا لَــيْسَ لَــكَ بِــهِ عِلْــمٌ فَــلا تُطِعْهُمَــا} أَيْ: وَإِنْ حَرِصَــا عَلَيْــكَ أَنْ تُتَابِعَهُمَــا عَلَــى دِينِهِمَــا إِذَا كَانَــا مُشْــرِكَيْنِ، فَإِيَّــاكَ وَإِيَّاهُمَــا، لَا تُطِعْهُمَــا فِــي ذَلِــكَ، فَــإِنَّ مَــرْجِعَكُمْ إِلَــيَّ يَــوْمَ الْقِيَامَــةِ، فَأَجْزِيــكَ بِإِحْسَــانِكَ إِلَهما ، وَصَــبْرِكَ عَلَــى دِينِــكَ، وَأَحْشُــرُكَ مَــعَ الصَّــالِحِينَ لَا فِــي زُمْــرَةِ وَالِــدَيْكَ، وَإِنْ كُنْــتَ أَقْــرَبَ النَّــاسِ إِلَهما فِــي الــدُّنْيَا، فَــإِنَّ الْمَــرْءَ إِنَّمَــا يُحْشَــرُ يَــوْمَ الْقِيَامَــةِ مَــعَ مَــنْ أَحَــبَّ، أَيْ: حُبًّا دِينِيًا" (1)

* * *

قَــال: الإِمَــامُ (الطــبري) – (رحمــه الله) – في (تفسـيره):- {سُـورَةُ العَنْكَبُـوت} الآيــة {8} قولــه تعــالى: {وَوَصَّــيْنَا الإِنْسَــانَ بِوَالِدَيْــهِ حُسْــنًا وَإِنْ جَاهَــدَاكَ لِتُشْــرِكَ بِــي مَــا لَــيْسَ لَــكَ بِــهِ عِلْــمٌ فَــلا تُطِعْهُمَــا إِلَــيَّ مَــرْجِعُكُمْ فَــأُنَبِّئُكُمْ بِمَــا كُنْــتُمْ تَعْمَلُونَ}.

يقــول تعــالى ذكــره: (وَوَصَّــيْنَا الإِنْسَــانَ) فيمــا أنزلنــا إلى رســولنا (بِوَالِدَيْــهِ) أن يفعــل بهمــا (حُسْنًا).

واختلــف أهــل العربيــة في وجــه نصــب الحســن، فقــال بعــض نحــويي البصــرة: نُصــب ذلــك علــى نيــة تكريــر وصــينا. وكــأن معنــى الكــلام عنــده: ووصــينا الإنســان بوالديــه، ووصــيناه حســنا. وقــال: قــد يقــول الرجــل وصــيته خــيرا: أي: بخير.

وقــال بعــض نحــويي الكوفــة: معنــى ذلــك: ووصــينا الإنســان أن يفعــل حُســنا، ولكــن العــرب تســقط مــن الكــلام بعضــه إذا كــان فيمــا بقــي الدلالــة علــى مــا ســقط، وتعمــل مــا بقــي فيمــا كــان يعمــل فيــه المحــذوف، فنصــب قولــه: (حُسْــنا) وإن كــان المعنــى مــا وصــفت وصــينا" لأنه قد ناب عن الساقط،

وأنشد في ذلك:

عَجِبْــتُ مِــنْ دَهْمَــاءَ إِذْ تَشْــكُونا ... وَمِــنْ أَبِــي دَهْمَــاءَ إِذْ يُوصِــينا ..... خَيْــرًا بِهــا كَأَنَّنــا جافُونا ( )

---

(1) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) لِلإِمَـامُ (ابـن كـثير) في سُـورَةُ (العَنْكَبُـوت الآية (8).

وقال: معنى قوله: يوصينا خيرا: أن نفعل بها خيرا، فاكتفى بيوصينا منه، وقال: ذلك نحو قوله: (فطَفِقَ مَسْحا) أي يمسح مسحا.

وقوله: (وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا) يقول: (ووصينا الإنسان)، فقلنا له: إن جاهداك والداك لتشرك بي ما ليس لك به علم أنه ليس لي شريك، فلا تطعهما فتشرك بي ما ليس لك به علم ابتغاء مرضاتهما، ولكن خالفهما في ذلك (إليّ مرجعكم) يقول تعالى ذكره: إليّ معادكم ومصيركم يوم القيامة.

(فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول: فأخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا من صالح الأعمال وسيئاتها، ثم أجازيكم عليها المحسن بالإحسان، والمسيء بما هو أهله.

وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بسبب (سعد بن أبي وقاص).

* * *

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن (قتادة): (وَوَصَّيْنَا الإنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ...) إلى قوله: (فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) قال: نزلت في (سعد بن أبي وَقَّاص) لما هاجر، قالت أمه: والله لا يُظِلّني بيت حتى يرجع، فأنزل الله في ذلك أن يحسن إليهما، ولا يطيعهما في الشرك.(2)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {8} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ} وَعِيدٌ فِي طَاعَةِ الْوَالِدَيْنِ فِي مَعْنَى الْكُفْرِ. {فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}.(3)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {8} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَوَصينَا الْإِنْسَان بِوَالِديهِ} يَعْنِي: جَمِيعَ النَّاس بِوَالِدِيه {حُسْنًا} أَيْ: بِرًّا {وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي} أَيْ: أَرَادَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي {مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلم} أَيْ: أَنَّكَ لَا تَعْلَمُ أَنَّ مَعِي شَرِيكًا" يَعْنِي: الْمُؤْمنِينَ {فَلا تطعهما}.(4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {8} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا} أي: وأمرنا الإنسان، ووصيناه بوالديه حسنا، أي: برهما والإحسان إليهما، بالقول والعمل، وأن يحافظ على ذلك، ولا يعقهما ويسيء إليهما في قوله وعمله.

{وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} وليس لأحد علم بصحة الشرك بالله، وهذا تعظيم لأمر الشرك،

---

(1) هذه أبيات ثلاثة من مشطور السريع، وهي من شواهد الفراء في معاني القرآن (ص 178) قال: والعرب تقول: أوصيك به خيراً، وآمرك به خيراً، وكان معناه: آمرك أن تفعل به، ثم تحذف أن، فتوصل الخير بالوصية، وبالأمر، قال الشاعر: " عجبت ... " الأبيات.

(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورةُ (العَنْكَبُوت) الآية (8)، للإِمَامْ (الطبري).

(3) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (8)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(4) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (8) للإمام ابن أبي زمنين المالكي).

{فَلا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} فأجازيكم بأعمالكم، فبروا والديكم وقدموا طاعتهما، إلا على طاعة الله ورسوله، فإنها مقدمة على كل شيء.(1)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {8} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً} أي عهدنا إليه بواسطة الرسل إيصاء ذا حسن وهو برهما بطاعتهما في المعروف وترك أذاهما ولو قل، وإيصال الخير بهما من كل ما هو خير قولاً كان أو فعلاً.

وقوله تعالى: {وَإِنْ جَاهَدَاكَ} أي: بذلا جهدهما في حملك على أن تشرك بي شيئاً من الشرك أو الشركاء فلا تطعهما كما فعل سعد بن أبي وقاص مع والدته في عدم إطاعتها.

وقوله: {إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ} أولاداً ووالدين {فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} وأجزيكم به فلذا قدموا طاعتي على طاعة الوالدين، فإني أنا الذي أحاسبكم وأجزيكم بعملكم أنتم وإياهم على حد سواء.(2)

* * *

قال: الإمام (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة قال: الوليد بن عيزار أخبرني قال سمعت (أبا عمرو الشيباني) يقول: أخبرنا صاحب هذه الدار –وأومأ بيده إلى دار– عبد الله – قال: سألتُ النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: أيُّ العمل أحب إلى الله عز وجل؟ قال: ((الصلاة على وقتها، قال: ثم أيُّ؟ قال: ثم بر الوالدين. قال: ثم أيُّ؟. قال: الجهاد في سبيل الله –قال حدثني بهن، ولو استزدته لزادني)).(3)

* * *

وانظر: سورة – (الإسراء) – آية (23). –

كما قال تعالى: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا}.

* * *

كما قال: الإمام (مُسْلِم) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب، قالا: حدثنا الحسن بن موسى، حدثنا زهير، حدثنا سماك بن حرب. حدثني (مصعب بن سعد) عن (أبيه)، أنه نزلت فيه آيات من القرآن قال: حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب. قالت: زعمت أن الله وصّاك بوالديك، وأنا أمك، وأنا آمرك بهذا. قال: مكثت ثلاثاً حتى غشي عليها من الجهد. فقام ابن لها يقال له عُمارة، فسقاها، فجعلت تدعو على سعد.

فأنزل الله عز وجل في القرآن هذه الآية: {ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير} [لقمان: 15]،

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَة (العَنْكَبُوت) الآية (8)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَة. (العَنْكَبُوت) الآية (8)، للشيخ: (أبو بكر الجزائري).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (5970)، (414/10) – (كتاب: الأدب)، / باب: (البر والصلة).

وفيها {وصاحبهما في الدنيا معروفاً} قال: وأصاب رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - غنيمة عظيمة، فإذا فيها سيف فأخذته، فأتيت به الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقلتُ: نفّلني هذا السيف، فأنا من قد علمت حاله. فقال: ((رُدّه من حيث أخذته)) فانطلقت حتى إذا أردت أن ألقيه في القبض لامتني نفسي، فرجعت إليه فقلتُ: أعطنيه. قال: فشد لي صوته: ((ردّه من حيث أخذته)).

قال: فأنزل الله عز وجل: {يسألونك عن الأنفال} {الأنفال: 1}.

قال: ومرضت فأرسلت إلى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فأتاني، فقلتُ: دعني أقسم مالي حيث شئت. قال: فأبى. قلت: فالنصف. قال: فأبى. قلت: فالثلث. قال: فسكت. فكان بعد الثلث جائزاً. قال: وأتيت على نفر من الأنصار والمهاجرين فقالوا: تعال نطعمك ونسقيك خمراً -وذلك قبل، أن تحرّم الخمر- قال: فأتيتهم في حش -والحش البستان- فإذا رأس جزور مشوي عندهم، وزق من خمر، قال: فأكلت وشربت معهم، قال: فذكرت الأنصار والمهاجرون عندهم، فقلت: المهاجرون خير من الأنصار، قال: فأخذ رجل أحد لحيي الرأس فضربني به فجرح بأنفي، فأتيت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فأخبرته، فأنزل الله عز وجل فيّ -يعني نفسه- شأن الخمر {إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان}. (1)

* * *

[٩] ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

والذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات لندخلنهم يوم القيامة في الصالحين، فنحشرهم معهم، ونثيبهم ثوابهم. (2)

* * *

والذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا الصالحات من الأعمال، لندخلنهم الجنة في جملة عباد الله الصالحين. (3)

* * *

والذين صدَّقوا بالله ورسالاته، وعملوا الصالحات ليُدخلنهم الله في الصالحين، ينالون جزاءهم ويأنسون بهم. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ}.... الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ بِأَنْ نَحْشُرَهُمْ مَعَهُمْ، (أي: زمرة).

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1877/14)،(ح 1748)-(كتاب: فضائل الصحابة)،/ باب: (في فضل سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه -).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (397/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (397/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (592/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ} .... أي: لندخلنهم مدخلهم في الجنة.

{فِي الصَّالِحِينَ} .... في جملتهم.

{الصَّالِحِينَ} .... وهم الأنبياء والأولياء، وهي الجنة.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {9} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِين آمَنُوا} بِمُحَمَّد - صلى الله عَلَيْه وَسلم- وَالْقُرْآن {وَعمِلُوا الصَّالِحَات} الطَّاعَات فِيمَا بَينهم وَبَين رَبهم فِي كل زمَان {لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِين} مَعَ الصَّالِحين وَفِي الْجنَّة (أبي بكر الصّديق)، و(عمر الْفَارُوق)، و(عُثْمَان ذِي النورين)، و(عَليّ الْأمين)- رضى الله عَنْهُم.(1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {9} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ} فِي زُمْرَةِ الصَّالِحِينَ وَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْأَوْلِيَاءُ،

يَعْنِي:- فِي مَدْخَلِ الصَّالِحِينَ، وَهُوَ الْجَنَّةُ.(2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {9} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ}.

وَقَالَ: (التِّرْمِذِيُّ) عِنْدَ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ (مُصْعَبَ بْنَ سَعْدٍ) يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ (سَعْدٍ)، قَالَ: نَزَلَتْ فِيَّ أَرْبَعُ آيَاتٍ. فَذَكَرَ قِصَّةً، وَقَالَتْ أُمُّ سَعْدٍ: أَلَيْسَ قَدْ أَمَرَكَ اللَّهُ بِالْبِرِّ؟ وَاللَّهِ لَا أَطْعَمُ طَعَامًا وَلَا أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّى أَمُوتَ أَوْ تَكْفُرَ. قَالَ: فَكَانُوا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يُطْعِمُوهَا شَجَرُوا فَاهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ} (3) الْآيَةَ.

وَهَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ الْإِمَامُ (أَحْمَدُ)، وَ(مُسْلِمٌ)، وَ(أَبُو دَاوُدَ)، وَ(النَّسَائِيُّ) أَيْضًا (4)،

وَقَالَ: (التِّرْمِذِيُّ): (حَسَنٌ صَحِيحٌ). (5)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {9} يقول تعالى ذكره: {وَالَّذِينَ آمَنُوا} بالله ورسوله {وَعَمِلُوا الصَّالِحَات} من الأعمال، وذلك أن يُؤَدُّوا فرائض الله، ويجتنبوا محارمه.

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (9) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَام (البغوي) سُورَةُ. (العَنْكَبُوت) الآية (9).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (3079)،

(4) (صَحِيح): أخرجه الإمَامُ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1748)- (كتاب: فضائل الصحابة).

وأخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (1/181)،

وأخرجه الإمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (2740).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامُ (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (9).

{لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ} في مدخل الصالحين، وذلك الجنة. (1)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {9} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ} كَرَّرَ تَعَالَى التَّمْثِيلَ بِحَالَةِ الْمُؤمنين الْعَامِلِينَ لِتَحَرُّك النُّفُوسَ إِلَى نَيْلِ مَرَاتِبِهِمْ.

وَقَوْلُهُ:" {لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ} مُبَالَغَةٌ عَلَى مَعْنَى، فَالَّذِينَ هُمْ فِي نِهَايَةِ الصَّلَاحِ وَأَبْعَدُ غَايَاتِهِ. وَإِذَا تَحَصَّلَ لِلْمُؤْمِنِ هَذَا الْحُكْمُ تَحْصُلُ ثَمَرَتُهُ وَجَزَاؤُهُ وَهُوَ الْجَنَّةُ. (2)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {9} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ} (يَعْنِي: مَعَ الصَّالِحِينَ) وَهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {9} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ}. أي: من آمن بالله وعمل صالحا، فإن الله وعده أن يدخله الجنة في جملة عباده الصالحين، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، كل على حسب درجته ومرتبته عند الله، فالإيمان الصحيح والعمل الصالح عنوان على سعادة صاحبه، وأنه من أهل الرحمن، والصالحين من عباد الله تعالى. (4)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {9} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا} أي: بالله ورسوله {وَعَمِلُوا الصَّالِحَات} التي هي العبادات التي تعبّد الله تعالى بها عباده المؤمنين، فشرعها لهم وبينها رسوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كالذكر وقراءة القرآن والصلاة والصيام والصدقات والجهاد والحج وما إلى ذلك. هؤلاء الذين جمعوا بين الإيمان الحق والعمل الصالح الخالي من الشرك والرياء. يقسم الله تعالى أنه يدخلهم في مدخل الصالحين وهم الأنبياء والأولياء في الجنة دار السلام. (5)

* * *

[١٠] ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت)، الآية (9)، للإمامَ (الطبري).

(2) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (9)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(3) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سُورَةُ. (العَنْكَبُوت) الآية (9) للإمام ابن أبي زمنين المالكي).

(4) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (9)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(5) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ. (العَنْكَبُوت) الآية (9)، للشيخ: (أبو بكر الجزائري).

اللَّـهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ومن الناس من يقول: آمنّا بالله، فإذا آذاه الكفار على إيمانه جعل عذابهم له كعذاب الله فارتدّ عن الإيمان موافقة للكفار، ولئن حصل نصر من ربك لك -أيها الرسول -ﷺ- ليقولنّ: إنا كنا معكم -أيها المؤمنون- على الإيمان، أو ليس الله بأعلم بما صدور الناس؟! لا يخفى عليه ما فيها من الكفر والإيمان، فكيف ينبئون الله بما في قلوبهم وهو أعلم بما فيها منهم؟!. (1)

* * *

ومن الناس من يقول: آمنا بالله، فإذا آذاه المشركون جزع من عذابهم وأذاهم، كما يجزع من عذاب الله ولا يصبر على الأذيَّة منه، فارتدَّ عن إيمانه، ولئن جاء نصر من ربك -أيها الرسول- ﷺ -لأهل الإيمان به ليقولَنَّ هؤلاء المرتدون عن إيمانهم: إنَّا كنا معكم -أيها المؤمنون- ننصركم على أعدائكم، أو ليس الله بأعلم من كل أحد بما في صدور جميع خلقه؟. (2)

* * *

ومن الناس من يقول بلسانه: آمنا، فإذا أصابه أذى فى سبيل الله جزع وفُتن عن دينه، ولم يفكر فى عذاب الله يوم القيامة، فكأنه جعل إيذاء الناس كعذاب الله فى الآخرة. إذا نصر الله المؤمنين على عدوهم فغنموا منهم جاء هؤلاء المتظاهرون بالإيمان، وقالوا للمسلمين: إنا كنا معكم فى الإيمان، فأعطونا نصيباً من الغنيمة. لا ينبغى أن يظن هؤلاء أن أمرهم خافٍ على الله، فالله أعلم بما فى صدور الناس من نفاق وإيمان. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ} .... أي: طاعته والإسلام.

{آمَنَّا بِاللَّه} .... بألسنتهم.

{أُوذِيَ فِي اللَّـهِ} .... مسه أذى في سبيل الدعوة.

{جَعَلَ فِتْنَةَ} .... أي: عذاب.

{النَّاسِ} .... إياه هنا.

{فِتْنَةَ النَّاسِ} .... أي: أذاهم له، يعني: الكفار، (أي:عَذَابَ النَّاسِ لَهُ، وَأَذَاهُمْ).

{كَعَذَابِ اللَّـهِ} .... فساوى بين العذابين، فخاف العاجل، وأهمل الآجل، وهم ناس كانوا يؤمنون بألسنتهم، فإذا مسهم أذى من الكفار، صرفهم عن الإيمان.

{كَعَذَابِ اللَّـهِ} .... في الآخرة فارتد عن إيمانه، يَعْنِي:- جزع من ذلك كما يجزع من عذاب الله، ولا يصبر على الأذية فى الله.

(أي: في الخوف منه فيطيعهم فينافق).

{لَيَقُولُنَّ} .... هؤلاء المرتدون،

{وَلَئِنْ جاءَ} .... المؤمنين.

{وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ} .... دولة للمؤمنين.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (397/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (397/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (592/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ} .... على دينكم، ولكننا أكرهنا على الكفر، فقال تعالى: تكذيبًا لهم:

(أي: في الإيمان وإنما أكرهنا على ما قلنا بألسنتنا).

{أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ} .... من الإيمان والكفر؟!.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {10} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنَ النَّاسِ} وَهُوَ (عَيَّاش بن أبي ربيعة المَخْزومي). {مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ} صدقنا بتوحيد الله {فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ} عذب في دين الله {جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ} عَذَاب النَّاس بالسياط {كَعَذَابِ اللهِ} فِي النَّار دَائِما حَتَّى كفر وَرجع عَن دينه {وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ} فتح مَكَّة {لَيَقُولُنَّ} (عَيَّاش) وَأَصْحَابه {إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ} على دينكُم {أَوَ لَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ} قُلُوب الْعَالمين من الْخَير وَالشَّر ثمَّ (أسلم عَيَّاش) وَأَصْحَابه بعد ذَلِك وَحسن إِسْلَامهم. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {10} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ} أَصَابَهُ بَلَاءٌ مِنَ النَّاسِ افْتَتَنَ، {جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ} أَيْ جَعَلَ أَذَى النَّاسِ وَعَذَابَهُمْ كَعَذَابِ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ، أَيْ: جَزِعَ مِنْ عَذَابِ النَّاسِ وَلَمْ يَصْبِرْ عَلَيْهِ، فَأَطَاعَ النَّاسَ كَمَا يُطِيعُ اللَّهَ مَنْ يَخَافُ عَذَابَهُ، هَذَا قَوْلُ: (السُّدِّيِّ)، وَ(ابْنِ زَيْدٍ)، قَالَا: هُوَ الْمُنَافِقُ إِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ رَجَعَ عَنِ الدِّينِ وَكَفَرَ،

{وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ} أَيْ: فَتْحٌ وَدَوْلَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، {لَيَقُولُنَّ} يَعْنِي: هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ لِلْمُؤْمِنِينَ،

{إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ} عَلَى عَدُوِّكُمْ وَكُنَّا مُسْلِمِينَ وَإِنَّمَا أكرهنا حتى قُلْنَا فَكَذَّبَهُمُ اللَّهُ.

وَقَالَ: {أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ} مِنَ الْإِيمَانِ وَالنِّفَاقِ. (2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {10} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ}.

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ صِفَاتِ قَوْمٍ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ يَدَّعُونَ الْإِيمَانَ بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَلَمْ يَثْبُتِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ، بِأَنَّهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ فِتْنَةٌ وَمِحْنَةٌ فِي الدُّنْيَا، اعْتَقَدُوا أَنَّ هَذَا مِنْ نِقْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِهِمْ، فَارْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ"

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (10) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ . (العَنْكَبُوت) الآية (10).

وَلِهَذَا قَالَ: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ}.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَعْنِي: فِتْنَتَهُ أَنْ يَرْتَدَّ عَنْ دِينِهِ إِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ. وَكَذَا قَالَ غَيْرُهُ مِنْ عُلَمَاءِ السَّلَفِ. وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ} {الْحَجِّ: 11}.

ثُمَّ قَالَ: {وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ} أَيْ: وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ قَرِيبٌ مِنْ رَبِّكَ -يَا مُحَمَّدُ -وَفَتْحٌ وَمَغَانِمُ، لَيَقُولَنَّ هَؤُلَاءِ لَكُمْ: إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ، أَيْ كُنَّا إخوانكم في الدين،

كما قَالَ تَعَالَى: {الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} {النِّسَاءِ: 141}،

وَقَالَ تَعَالَى: {فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ} {الْمَائِدَةِ: 52}.

وَقَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْهُمْ هَاهُنَا: {وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ}، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ} أَيْ: أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ، وَمَا تُكِنُّهُ ضَمَائِرُهُمْ، وَإِنْ أَظْهَرُوا لَكُمُ الْمُوَافَقَةَ؟ (1)

* * *

قَال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {10} قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ}.

يقول تعالى ذكره: ومن الناس من يقول: أقررنا بالله فوحَّدناه، فإذا آذاه المشركون في إقراره بالله، جعل فتنة الناس إياه في الدنيا، كعذاب الله في الآخرة، فارتدّ عن إيمانه بالله، راجعا على الكفر به. (وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ) يا محمد أهل الإيمان به (لَيَقُولُنَّ) هؤلاء المرتدّون عن إيمانهم، الجاعلون فتنة الناس كعذاب الله (إِنَّا كُنَّا) أيها المؤمنون (مَعَكُمْ) ننصركم على أعدائكم، كذبا وإفكا، يقول الله: (أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ) أيها القوم من كلّ أحد (بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ) جميع خلقه، القائلين آمنا بالله وغيرهم، فإذا أُوذي في الله ارتد عن دين الله فكيف يخادع من كان لا يخفى عليه خافية، ولا يستتر عنه سرا ولا علانية.

* * *

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن (ابن عباس)، قوله: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (10).

يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ) قال: فتنته أن يرتدّ عن دين الله إذا أوذي في الله.

* * *

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن (ابن أبي نجيح)، عن (مجاهد)، قوله: (فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ ...) إلى قوله: (وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ) قال: أناس يؤمنون بألسنتهم، فإذا أصابهم بلاء من الله أو مصيبة في أنفسهم افتتنوا، فجعلوا ذلك في الدنيا كعذاب الله في الآخرة. (1)

* * *

حُدِّثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت (الضحاك) يقول: قوله: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ ...) الآية، نزلت في ناس من المنافقين بمكة كانوا يؤمنون، فإذا أوذوا وأصابهم بلاء من المشركين، رجعوا إلى الكفر مخافة من يؤذيهم، وجعلوا أذى الناس في الدنيا كعذاب الله.

* * *

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال (ابن زيد)، في قول الله: (فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ) قال: هو المنافق إذا أوذي في الله رجع عن الدين وكفر، وجعل فتنة الناس كعذاب الله.

وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من أهل الإيمان كانوا بمكة، فخرجوا مهاجرين، فأدركوا وأُخذوا فأعطوا المشركين لما نالهم أذاهم ما أرادوا منهم. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):
حدثنا أحمد بن منصور الرمادي قال: حدثنا أبو أحمد الزبيري، قال: حدثنا محمد بن شريك، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن (ابن عباس)، قال: كان قوم من أهل مكة أسلموا، وكانوا يستخفون بالإسلام، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم، فأصيب بعضهم، فقال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين، وأكرهوا! فاستغفروا لهم،

فنزلت {إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم} الآية، قال: فكتب إلى من بقي بمكة من المسلمين بهذه الآية، لا عذر لهم. قال: فخرجنا فلحقهم المشركون فأعطوهم الفتنة،

فنزلت فيهم: {ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذى في الله} {سورة العنكبوت: 10} إلى آخر الآية،

فكتب المسلمون إليهم بذلك، فحزنوا وأيسوا من كل خير ثم نزلت فيهم: {إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم} {سورة النحل:110}.

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (10)، للإِمَامْ (الطبري)،

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (10)، للإِمَامْ (الطبري)،

فكتبوا إليهم بذلك: إن الله قد جعل لكم مخرجاً، فخرجوا فأدركهم المشركون، فقاتلوهم حتى نجا من نجا، وقتل من قتل. (1)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {10} قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ) الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي الْمُنَافِقِينَ كانوا يقولون آمنا بالله (فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ) أي أذاهم (كَعَذَابِ اللَّهِ) في الآخره فارتد عن إيمانه. يعني:- جزع من ذلك كما يجزع من عذاب الله ولا يصبر غلى الأذية في الله.

(وَلَئِنْ جَاءَ) المؤمنين (نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ) هؤلاء المرتدون (إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ) وهم كاذبون، فقال الله لهم (أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ) يعني: الله أعلم بما في صدورهم منهم بأنفسهم.

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ): نَزَلَتْ فِي نَاسٍ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ، فَإِذَا أَصَابَهُمْ بَلَاءٌ مِنَ اللَّهِ أَوْ مُصِيبَةٌ فِي أَنْفُسِهِمُ افْتُتِنُوا.

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ): نَزَلَتْ فِي نَاسٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ بِمَكَّةَ كَانُوا يُؤْمِنُونَ، فَإِذَا أُوذُوا رَجَعُوا إِلَى الشِّرْكِ.

وَقَالَ: (عِكْرِمَةُ): كَانَ قَوْمٌ قَدْ أَسْلَمُوا فَأَكْرَهَهُمُ الْمُشْرِكُونَ عَلَى الْخُرُوجِ مَعَهُمْ إِلَى بَدْرٍ فَقُتِلَ بَعْضُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ " إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ" فَكَتَبَ بِهَا الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ بِمَكَّةَ، فَخَرَجُوا فَلَحِقَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، فَافْتُتِنَ بَعْضُهُمْ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِيهِم.

يعني:- نَزَلَتْ فِي (عَيَّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ)، أَسْلَمَ وَهَاجَرَ، ثُمَّ أُوذِيَ وضرب فارتد. وإنما عذبه أبو جهل والحرث وَكَانَا أَخَوَيْهِ لِأُمِّهِ.

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): ثُمَّ عَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ بِدَهْرٍ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ. (2)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {10} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ} رَجَعَت الْقِصَّةُ إِلَى الْكَلَامِ الْأَوَّلِ {الم أَحَسِبَ النَّاسُ} إِلَى قَوْلِهِ: {وليعلمن الْكَاذِبين} فَوَصَفَ الْمُنَافِقَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْآخِرَة، فَقَالَ: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كعذاب الله} أَيْ: إِذَا أُمِرَ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَدَخَلَ عَلَيْهِ فِيهِ أَذًى، رَفَضَ مَا أُمِرَ بِهِ. وَأَقَامَ عَنِ الْجِهَادِ، وَجَعَلَ مَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنَ الْبَلِيَّةِ فِي الْقِتَالِ إِذَا كَانَتْ بَلِيَّةً كَعَذَابِ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ" لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ خَوَّفَهُ عَذَابَ الْآخِرَةِ وَهُوَ لَا يُقِرُّ بِهِ. {وَلَئِنْ جَاءَ نصر من ربك} يَعْنِي: نصرا على الْمُشْركين {ليقولون} يَعْنِي: جَمَاعَتَهُمْ {إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ} يطْلُبُونَ الْغَنِيمَةَ، قَالَ الله: {أَوَ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالمين} أَيْ: أَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ فِي صُدُورِهِمْ

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (10)، للإِمَامْ (الطبري).

(2) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (10)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

التَّكْذِيبُ بِاللَّهِ وبرسوله وهم يظهرون الْإِيمَان. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {10} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ}.

لما ذكر تعالى أنه لا بد أن يمتحن من ادَّعى الإيمان، ليظهر الصادق من الكاذب، بيَّن تعالى أن من الناس فريقا لا صبر لهم على المحن، ولا ثبات لهم على بعض الزلازل فقال: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ} بضرب، أو أخذ مال، أو تعيير، ليرتد عن دينه، وليراجع الباطل، {جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ} أي: يجعلها صادَّة له عن الإيمان والثبات عليه، كما أن العذاب صادٌّ عما هو سببه.

{وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ} لأنه موافق للهوى، فهذا الصنف من الناس من الذين قال الله فيهم: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ}.

{أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ} حيث أخبركم بهذا الفريق، الذي حاله كما وصف لكم، فتعرفون بذلك كمال علمه وسعة حكمته. (2)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {10} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنَ النَّاسِ (3) مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ} الآية هذه نزلت في أناس كانوا بمكة وآمنوا وأعلنوا عن إيمانهم فاضطهدهم المشركون فكانوا ينافقون فأخبر تعالى عنهم بقوله: {مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ} أي: آذاه المشركون نافق وارتد {جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ} أي أذاهم له وتعذيبهم إياه {كَعَذَابِ اللهِ} يوم القيامة فوافق المشركين على الكفر.

وقوله تعالى: {وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ} أي: على الإيمان وإنما كنا مكرهين وهذه نزلت فيمن خرجوا من مكة إلى بدر مع المشركين لما انهزم المشركون وانتصر المسلمون وأسروا قالوا {إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ} أي: على الإيمان فرد الله تعالى دعواهم بقوله: {أَوَلَيْسَ (4) اللهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ} أي: الناس. (5)

* * *

قال: الشيخ (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) -في (تفسيره): يعني: أن من الناس من

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (10) للإمام ابن أبي زمنين المالكي)،

(2) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (10)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) قال: (الضحاك): هذه الآية نزلت في ناس من المنافقين في مكة كانوا يؤمنون فإذا أوذوا رجعوا إلى الشرك.

(4) الاستفهام للتقرير فلذا يجاب ببلى.

(5) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (10)، للشيخ: (أبو بكر الجزائري).

يقول: آمنا بالله بلسانه، فإذا أوذي في الله: أي أذاه الكفار إيذاءهم للمسلمين جعل فتنة الناس، صارفة له عن الدين إلى الردة، والعياذ بالله، كعذاب الله فإنه صارف رادع عن الكفر والمعاصي. ومعنى فتنة الناس: الأذى الذي يصيبه من الكفار؟ وإيذاء الكفار للمؤمنين من أنواع الابتلاء الذي هو الفتنة، وهذا قال به غير واحد. وعليه فمعنى الآية الكريمة،

كقوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ} {الحج: 11}. (1)

* * *

[١١] ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وليعلمنّ الله الذين آمنوا به حقًّا، وليعلمنّ المنافقين الذين يظهرون الإيمان، ويضمرون الكفر. (2)

* * *

وليعلمنَّ الله علمًا ظاهرًا للخلق الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، وليعلمنَّ المنافقين" ليميز كل فريق من الآخر. (3)

* * *

وليظهرنَّ الله للناس سابق علمه، فيُمَيِّزُ بين المؤمنين والمنافقين، ويجازى كلا بما عمل. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ} ..... هذا إخبارٌ عن الله تعالى أنَّه يعلم إيمان المؤمن وكفر المنافق.

{وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا} .... بِقُلُوبِهِمْ.

{وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ} .... الذين أظهروا الايمان وأبطنوا الكفر.

(أي: فَيُجَازِي الْفَرِيقَيْنِ وَاللَّامِ فِي الْفِعْلَيْنِ لَامُ قَسَمٍ).

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآيَة {11} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَيَعْلَمَنَّ} يرى ويميز {اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا} فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ {وَلَيَعْلَمَنَّ} يرى ويميز {الْمُنَافِقِينَ} يَوْم بدر. (5)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآيَة {11} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا} صَدَقُوا فَثَبَتُوا عَلَى الْإِسْلَامِ عِنْدَ الْبلاء، {وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ} بِتَرْكِ الْإِسْلَامِ عِنْدَ نُزُولِ الْبَلَاءِ.

---

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للإمام (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (العنكبُوت) الآية (10).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (397/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (397/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (592/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

(5) انظُر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوتِ) الآية (11) يِنسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

قَالَ: (الشَّعْبِيُّ): هَذِهِ الْآيَاتُ الْعَشْرُ مِنْ أَوَّلِ السُّورَةِ إِلَى هَاهُنَا (مَدَنِيَّةٌ) وَبَاقِي السُّورَةِ (مَكِّيَّةٌ). (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآيَة {11} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ} أَيْ: وليختبرنّ اللَّهُ النَّاسَ بِالضَّرَّاءِ وَالسَّرَّاءِ، لِيَتَمَيَّزَ هَؤُلَاءِ مِنْ هَؤُلَاءِ، وَمَنْ يُطِيعُ اللَّهَ فِي الضَّرَّاءِ وَالسَّرَّاءِ، إِنَّمَا يُطِيعُهُ فِي حَظِّ نَفْسِهِ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ} {مُحَمَّدٍ: 31}،

وَقَالَ تَعَالَى بَعْدَ وَقْعَةِ أُحُد، الَّتِي كَانَ فِيهَا مَا كَانَ مِنَ الِاخْتِبَارِ وَالِامْتِحَانِ: {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ} الْآيَةَ {آلِ عِمْرَانَ: 179}،

وَاللَّهُ أَعْلَمُ (2)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآيَة {11} قوله تعالى: {وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ}. يقول تعالى ذكره: وليعلمنّ الله أولياء الله، وحزبه أهل الإيمان بالله منكم أيها القوم، وليعلمنّ المنافقين منكم حتى يميزوا كلّ فريق منكم من الفريق الآخر، بإظهار الله ذلك منكم بالمحن والابتلاء والاختبار وبمسارعة المسارع منكم إلى الهجرة من دار الشرك إلى دار الإسلام، وتثاقل المتثاقل منكم عنها. (3)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (القرطبي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآيَة {11} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ} قَالَ: (قَتَادَةُ): نَزَلَتْ فِي الْقَوْمِ الَّذِينَ رَدَّهُمُ الْمُشْرِكُونَ إِلَى مكة. (4)

* * *

انظر: (تفسير القرآن العظيم) – المنسوب – للإمام (الطبراني):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآيَة {11} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ} أي: لِيَجْزِيَ اللهُ المؤمنين، {وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ} "وليُمَيِّزَنَّ المنافقين. (5)

* * *

قَالَ: الشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآيَة {11} قوله تعالى:

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ. (العَنْكَبُوت) الآية (11).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوتِ) الآية (11).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ(العَنْكَبُوتِ) الآية (11)، للإِمَامْ (الطبري)،

(4) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (11)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) – المنسوب – للإمام (الطبراني) في سُورَةُ (العَنْكَبُوتِ) الآية (11)، انظر: (المكتبة الشاملة).

{وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا} حقيقةً، فثبتوا على الإيمان عند البلاء. {وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ} في إيمانهم" بترك الإسلام عند البلاء. وهذه الآيات العشر من أول السورة إلى هنا مدنية، وباقي السورة مكية. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {11} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ} أي: فلذلك قَدَّرَ محنًا وابتلاء، ليظهر علمه فيهم، فيجازيهم بما ظهر منهم، لا بما يعلمه بمجرده، لأنهم قد يحتجون على الله، أنهم لو ابتُلُوا لَثَبَتُوا. (2)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {11} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ} تقرير لما سبق في الآية قبل وليترتب عليه الجزاء على الإيمان وعلى النفاق. فعلمه تعالى يستلزم الجزاء العادل فأهل الإيمان يجزيهم بالنعيم المقيم وأهل النفاق يجزيهم بالعذاب المهين. أولئك في دار السلام وهؤلاء في دار البوار. (3)

* * *

[١٢] ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وقال: الذين كفروا للذين آمنوا بالله وحده: اتبعوا ديننا وما نحن عليه، ونحمل نحن عنكم ذنوبكم، فنجازى عليها دونكم، وليسوا بحاملين شيئًا من ذنوبهم، وإنهم لكاذبون في قولهم هذا. (4)

* * *

وقال: الذين جحدوا وحدانية الله من قريش، ولم يؤمنوا بوعيد الله ووعده، للذين صدَّقوا الله منهم وعملوا بشرعه: اتركوا دين محمد، واتبعوا ديننا، فإنا نتحمل آثام خطاياكم، وليسوا بحاملين من آثامهم من شيء، إنهم لكاذبون فيما قالوا. (5)

* * *

وكان زعماء الشرك يقولون للذين دخلوا فى الإسلام مخلصين: كونوا كما كنتم على ديننا، واتبعوا ما نحن عليه، وإذا كان هناك بعث وحساب تخشونه فنحن نحمل عنكم آثامكم.

---

(1) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سُورَةُ. (العَنْكَبُوت) الآية (11)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (11)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ. (العَنْكَبُوت) الآية (11)، للشيخ: (أبو بكر الجزائري).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (397/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (397/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

لـن تحمـل نفـس وزر نفـس أخـرى، إن الكـافرين لكاذبون فى وعدهم.[1]

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا} ..... معناهُ: قال كفار مكَّة أبو جهل وغيره، لِمَنْ آمَنَ من قريش، واتَّبع مُحَمَّداً –صلى الله عليه وسلم-: إتَّبِعُوا دِينَنَا ومِلَّة آبَائِنَا،

{سَبِيلَنَا} ... دِينَنَا.

{اتبعوا سبيلنا} .... أي: ديننا وما نحن عليه.

{وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ} .... أي: ليكن منكم اتباع لسبيلنا وليكن منا حمل لخطاياكم، فالكلام خبر وليس إنشاء.

(أي: ان تتبعوا سبيلنا نحمل خطاياكم).

{وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ} .... ونحنُ الكفلاء بكُلِّ تبعَةٍ تصيبُكم من الله في ذلك، ونحملُ عنكم خطاياكم، إنْ كان عليكم فيه إثمٌ ووزرٌ، فنحنُ نحملهُ عنكم.

قال: (الفرَّاء): {وَلْنَحْمِلْ} .... لَفظُهُ لَفظ الأَمْرِ، وَمَعْنَاهُ: الْجَزَاءُ " أيْ: إن اتَّبَعْتُم سَبِيْلَنَا حَمَلْنَا خَطَايَاكُمْ).

{وليحملن أثقالهم} .... أي: أوزارهم، والأوزار الذنوب.

{وأثقالاً مع أثقالهم} .... أي: من أجل قولهم للمؤمنين اتبعوا سبيلنا.

{وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} .... فيما ضَمِنوا من حَمل خطاياهم، ولا يحفظُون العذابَ عنهم.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في تفسيره:- {سُورة العَنْكَبُوت} الآية {12} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}.

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ: أَنَّهُمْ قَالُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الْهُدَى: ارْجِعُوا عَنْ دِينِكُمْ إِلَى دِينِنَا، وَاتَّبِعُوا سَبِيلَنَا، {وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ} أَيْ: وَآثَامَكُمْ -إِنْ كَانَتْ لَكُمْ آثَامٌ فِي ذَلِكَ -عَلَيْنَا وَفِي رِقَابِنَا، كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ: "افْعَلْ هَذَا وَخَطِيئَتُكَ فِي رَقَبَتِي". قَالَ اللَّهُ تَكْذِيبًا لَهُمْ: {وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} أَيْ: فِيمَا قَالُوهُ: إِنَّهُمْ يَحْمِلُونَ عَنْ أُولَئِكَ خَطَايَاهُمْ، فَإِنَّهُ لَا يَحْمِلُ أَحَدٌ وِزْرَ أَحَدٍ،

{وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى} {فَاطِر: 18}،

وَقَالَ تَعَالَى: {وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا. يُبَصَّرُونَهُمْ} {الْمَعَارِج: 10، 11}.[2]

* * *

(تفسير ابن عباس) – قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورة

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (592/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورة (العَنْكَبُوت) الآية (12).

العَنْكَبُوت} الآيـة {12} قَوْلُـهُ تَعَالَى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا} كفار مَكَّة أَبُو جهل وَأَصْحَابه {لِلَّذِينَ آمَنُوا} عَلّي وسلمان وأصحابهما {اتبعُوا سَبِيلَنَا} ديننَا فِي عبَادَة الْأَوْثَان {وَلْنحْمِلْ خَطَايَاكُمْ} ذنوبكم عَنْكُم يَوْم الْقِيَامَة {وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ} ذنوبهم {مِّن شَيْءٍ} يَوْم الْقِيَامَة {إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} فِي مقالتهم. (1)

* * *

قال: الإِمَام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآيـة {12} قَوْلُـهُ تَعَالَى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا} قَالَ: (مُجَاهِد): هَذَا مِنْ قَوْلِ كُفَّار مَكَّةَ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ،

وَقَالَ: (الْكَلْبِيُّ)، وَ(مُقَاتِلٌ): قَالَهُ (أَبُو سُفْيَانَ) لِمَنْ آمَنَ مِنْ قُرَيْشٍ: اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا دِينَنَا وَمِلَّةَ آبَائِنَا وَنَحْنُ الْكُفَلَاءُ بِكُلِّ تَبِعَةٍ مِنَ اللَّهِ تُصِيبُكُمْ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: {وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ} أَوْزَارَكُمْ،

قَالَ: (الْفَرَّاءُ): لَفْظُهُ أَمْرٌ معناه خبر، مَجَازُهُ: إِنِ اتَّبَعْتُمْ سَبِيلَنَا حَمَلْنَا خَطَايَاكُمْ كَقَوْلِهِ: {فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ} [طه: 39].

يَعْنِي:- هُوَ جَزْمٌ عَلَى الْأَمْرِ كَأَنَّهُمْ أَمَرُوا أَنْفُسَهُمْ بِذَلِكَ فَأَكْذَبَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: {وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} أي: فِيمَا قَالُوا مِنْ حَمْلِ خَطَايَاهُمْ. (2)

* * *

: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآيـة {12} قَوْلُـهُ تَعَالَى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}.

يخبر تعالى عن افتراء الكفار ودعوتهم للمؤمنين إلى دينهم، وفي ضمن ذلك، تحذير المؤمنين من الاغترار بهم والوقوع في مكرهم،

فقال: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا} فاتركوا دينكم أو بعضه واتبعونا في ديننا، فإننا نضمن لكم الأمر.

{وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ} وهذا الأمر ليس بأيديهم، فلهذا قال: {وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ} لا قليل ولا كثير. فهذا التحمل، ولو رضي به صاحبه، فإنه لا يفيد شيئا، فإن الحق لله، والله تعالى لم يمكن العبد من التصرف في حقه إلا بأمره وحكمه، وحكمه {أن لا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}.

ولما كان قوله: {وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ} قد يتوهم منه أيضا، أن الكفار الداعين إلى كفرهم -ونحوهم ممن دعا إلى باطله- ليس عليهم إلا ذنبهم الذي ارتكبوه، دون الذنب الذي فعله غيرهم، ولو

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (12) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ. (العَنْكَبُوت) الآية (12).

كانوا متسببين فيه، قال: مخبرا عن هذا الوهم.(1)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {12} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتبعُوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم} أَيْ: مَا كَانَ فِيهِ مِنْ إِثْم فَهُوَ عَلَيْنَا وَهَذَا مِنْهُمْ إِنْكَارٌ لِلْبَعْثِ وَالْحِسَاب.

قَالَ: (مُحَمَّدٌ): (ولنحمل) هُوَ أَمْرٌ فِي تَأْوِيل الشَّرط وَالْجَزَاء، الْمَعْنَى: إِنْ تَتَّبِعُوا سَبِيلَنَا حملنَا خطاياكم أَيْ إِنْ كَانَ فِيهِ إِثْمٌ فَنحْن نحمله وَإِلَى هَذَا ذهب يحيى. {وَمَا هم} يَعْنِي: الْكَافِرِينَ {بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ} يَعْنِي: خَطَايَا الْمُؤْمِنِينَ {مِنْ شَيْء} لَو أتبعوهم {وَإِنَّهُم لَكَاذِبُونَ}.(2)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {12} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا} أي: ديننا وما نحن عليه.

{وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ} قال: رؤساء قريش لبعض المؤمنين اتركوا سبيل محمد ودينه واتبعوا سبيلنا وديننا، وإن كان هناك بعث وجزاء كما يقول محمد- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نحن مستعدون أن نتحمل خطاياكم ونجازى بها دونكم فأكذبهم الله تعالى بقوله: {وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ} و {إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} في قولهم ولنحمل خطاياكم.(3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {12} قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}

يقول تعالى ذكره: وقال الذين كفروا بالله من قريش للذين آمنوا بالله منهم (اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا) يقول: قالوا: كونوا على مثل ما نحن عليه من التكذيب بالبعث بعد الممات وجحود الثواب والعقاب على الأعمال (وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ) يقول: قالوا فإنكم إن اتبعتم سبيلنا في ذلك، فبعثتم من بعد الممات، وجوزيتم على الأعمال، فإنا نتحمل آثام خطاياكم حينئذ.(4)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح)- عن (مجاهد): قوله: (اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ) قال: قول كفار قريش بمكة لمن آمن منهم، يقول:

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (12)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (12) للإمام (إبن أبي زمنين المالكي).

(3) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (12)، للشيخ: (أبو بكر الجزائري).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (12)، للإمَام (الطبري).

قالوا: لا نبعث نحن ولا أنتم، فاتبعونا إن كان عليكم شيء فهو علينا.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت (الضحاك) يقول في قوله: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا} هم القادة من الكفار، قالوا لمن آمن من الأتباع: اتركوا دين محمد واتبعوا ديننا، وهذا أعني قوله: {اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ} وإن كان خرج مخرج الأمر، فإن فيه تأويل الجزاء، ومعناه ما قلت: إن اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم.(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

وقوله: {وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} وهذا تكذيب من الله للمشركين القائلين للذين آمنوا.

{اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ} يقول جلّ ثناؤه: وكذبوا في قيلهم ذلك لهم، ما هم بحاملين من آثام خطاياهم من شيء، إنهم لكاذبون فيما قالوا لهم ووعدوهم، من حمل خطاياهم إن هم اتبعوهم.(3)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {12} قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا) أَيْ: دِينَنَا. (وَلْنَحْمِلْ خطاياكُمْ) جُزِمَ عَلَى الْأَمْرِ.

قَالَ: (الْفَرَّاءُ)، وَ(الزَّجَّاجُ): هُوَ أَمْرٌ فِي تَأْوِيلِ الشَّرْطِ وَالْجَزَاءِ، أَيْ: إِنْ تَتَّبِعُوا سَبِيلَنَا نَحمل خَطَايَاكُمْ.

كَمَا قَالَ(4): فَقُلْتُ ادْعِي وَأَدْعُ فَإِنَّ أندى ... لصوت أن ينادى داعيان.

أَيْ: إِنْ دَعوْتِ دَعوْتُ.

قَالَ: (الْمَهْدَوِيُّ): وَجَاءَ وُقُوعُ {إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} بَعْدَهُ عَلَى الْحَمْلِ عَلَى الْمَعْنَى، لِأَنَّ الْمَعْنَى إِنِ اتَّبَعْتُمْ سَبِيلَنَا حَمَلْنَا خَطَايَاكُمْ. فَلَمَّا كَانَ الْأَمْرُ يَرْجِعُ فِي الْمَعْنَى إِلَى الْخَبَرِ وَقَعَ عَلَيْهِ التَّكْذِيبُ كَمَا يُوقَعُ عَلَيْهِ الْخَبَرَ.

قَالَ: (مُجَاهِدٌ): قَالَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ نَحْنُ وَأَنْتُمْ لَا نُبْعَثُ، فَإِنْ كَانَ عَلَيْكُمْ وِزْرٌ فَعَلَيْنَا، أَيْ: نَحْنُ نَحْمِلُ عَنْكُمْ ما يلزمكم. والحمل هاهنا بمعنى الحمالة لَا الْحَمْلُ عَلَى الظَّهْرِ. وَرُوِيَ أَنَّ قَائِلَ ذَلِكَ (الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ).(5)

* * *

[١٣] ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وليحملنّ هؤلاء المشركون الداعون إلى باطلهم ذنوبهم التي اقترفوها، وليحملنّ ذنوب من اتبع دعوتهم دون أن ينقص من

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (15/20). المحقق: (الشيخ/ أحمد شاكر).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (12)، للإمام (الطبري).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (12)، للإمام (الطبري).

(4) البيت لدثار بن شيبان النمري وقبله: تقول خليلتي لما اشتكينا سيدركنا بنو القرم الهجان.

(5) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (12)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

ذنوب التابعين لهم شيء، وليسألن يوم القيامة عما كانوا يختلقونه في الدنيا من الأباطيل.(1)

* * *

وليحملَنَّ هؤلاء المشركون أوزار أنفسهم وآثامها، وأوزار مَن أضلوا وصدُّوا عن سبيل الله مع أوزارهم، دون أن ينقص من أوزار تابعيهم شيء، وليُسألُنَّ يوم القيامة عما كانوا يختلقونه من الأكاذيب.(2)

* * *

وسوف يحمل الكفار أوزار أنفسهم الثقيلة، ويحملون معها مثل أوزار من أضلوهم وصرفوهم عن الحق، وسيحاسبون حتماً يوم القيامة على ما كانوا يختلقون فى الدنيا من الأكاذيب، ويعذبون بها.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ} ... أَيْ: أَثْقَالَ ذُنُوبِهِمْ الَّتي عَمِلُوهَا. (أي: أوزار أعمالهم التي عملوها).

(أي: أوزارهم، والأوزار الذنوب).

{أَثْقَالَهُمْ} ... أَوْزَارَهُمْ.

{وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ} ..... هي أثقال الذين أضلوهم، (أي: من أجل قولهم للمؤمنين اتبعوا سبيلنا).

(أي: وهي الذنوبُ التي حصَلَتْ بِسَبَبِهِم وَمِنْ جَرائِمِهِمْ، فالذنبُ الَّذي فَعَلَهُ التَّابِعُ لِكُلٍّ مِنَ التَّابِعِ والمتبوعِ حِصَّةٌ مِنْهُ حَصَلَتْ، هذا لأنهُ فَعَلَهُ وبَاشَرَهُ، وَالْمَتْبُوعُ لأنَّهُ تَسَبَّبَ فِي فِعْلِهِ ودَعا إِلَيْهِ.

{وَلَيُسْأَلُنَّ} .... سؤال توبيخ.

{يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ} .... على الله من الكذب.

{عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ} .... أي: يكذبون.

{يَفْتَرُونَ} ... يَخْتَلِقُونَ مِنَ الكَذِبِ.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) – قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {13} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ} أوزارهم يَوْم الْقِيَامَة {وَأَثْقَالاً} مثل أوزار الَّذين يضلونهم {مَّعَ أَثْقَالهمْ} مَعَ أوزارهم {وليسألن يَوْم الْقِيَامَة عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ} يكذبُون على الله.(4)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {13} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ} أَوْزَارَ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي عَمِلُوهَا بِأَنْفُسِهِمْ، {وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ} أَيْ: أَوْزَارَ مَنْ أَضَلُّوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَعَ أَوْزَارِهِمْ،

نَظِيرُهُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ} {النَّحْل: 25}

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (397/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (397/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (592/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوتِ) الآية (13) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

وقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ} {العنكبوت: 13} سؤال توبيخ وتقريع.(1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {13} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ} أي: أثقال ذنوبهم التي عملوها {وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ} وهي الذنوب التي بسببهم ومن جرائهم، فالذنب الذي فعله التابع﴿لكل من التابع، والمتبوع حصته منه، هذا لأنه فعله وباشره، والمتبوع﴿لأنه﴾ تسبب في فعله ودعا إليه، كما أن الحسنة إذا فعلها التابع له أجرها بالمباشرة، وللداعي أجره بالتسبب. {وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ} من الشر وتزيينه، وقولهم {وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ}.(2)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {13} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ}: إِخْبَارٌ عَنِ الدُّعَاةِ إِلَى الْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ، أَنَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَ أَنْفُسِهِمْ، وَأَوْزَارًا أُخَرَ بِسَبَبِ مَنْ أَضَلُّوا مِنَ النَّاسِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِ أُولَئِكَ شَيْئًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ} {النَّحْل: 25}.

وَفِي الصَّحِيحِ: ((مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنِ اتَّبَعَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنِ اتَّبَعَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا)).(3)

وَفِي الصَّحِيحِ: ((مَا قُتِلَتْ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلَا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا" لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ)).(4)

وَقَوْلُهُ: {وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ} أَيْ: يَكْذِبُونَ وَيَخْتَلِقُونَ مِنَ الْبُهْتَانِ.(5)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {13} قوله تعالى: {وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ}.

يقول تعالى ذكره: وليحملنّ هؤلاء المشركون بالله القائلون للذين آمنوا به اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم أوزار أنفسهم وآثامها، وأوزار من أضلوا وصدّوا عن سبيل الله مع أوزارهم، وليسألن يوم القيامة عما كانوا

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (13).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (13)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) تقدم تخريج الحديث عند الآية: {2 من سورة المائدة}.

(4) تقدم تخريج الحديث عند الآية: {30 من سورة المائدة}.

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (1313).

يكذّبونهم في الدنيا بوعدهم إياهم الأباطيل، وقيلهم لهم: اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم فيفترون الكذب بذلك.

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن (قَتَادة): (وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ) أي: أوزارهم (وَأَثْقَالا مَعَ أَثْقَالِهِمْ) يقول: أوزار من أضلوا.(1)

* * *

حدثني يونس، قال: أخبرنا (ابن وهب)، قال: قال (ابن زيد)، في قوله: {وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالا مَعَ أَثْقَالِهِمْ}. وقرأ قوله: {لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ} قال: فهذا قوله: {وَأَثْقَالا مَعَ أَثْقَالِهِمْ}.(2)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {13} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ} يَعْنِي: مَا يُحْمَلُ عَلَيهِمْ مِنْ سَيِّئَات مَنْ ظَلَمُوهُ بَعْدَ فَرَاغِ حَسَنَاتِهِمْ.

رُوِيَ مَعْنَاهُ عَنِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي" آلِ عِمْرَانَ".

قَالَ: (أَبُو أمامة الباهلي): ((يؤتى الرجل يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ كَثِيرُ الْحَسَنَاتِ فَلَا يَزَالُ يُقْتَصُّ مِنْهُ حَتَّى تَفْنَى حَسَنَاتُهُ ثُمَّ يُطَالَبُ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ اقْتَصُّوا مِنْ عَبْدِي فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ مَا بَقِيَتْ لَهُ حَسَنَاتٌ فَيَقُولُ خُذُوا مِنْ سَيِّئَاتِ الْمَظْلُومِ فَاجْعَلُوا عَلَيْهِ))، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- {وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ}.

وَقَالَ: (قَتَادَةُ): مَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أوزارهم شي.

وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ}.

وَنَظِيرُ هَذَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ((مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ ينقص من أوزارهم شي)).(3)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {13} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وليحملن أثقالهم} يَعْنِي: آثَامَ أَنْفُسِهِمْ {وَأَثْقَالا مَعَ أثقالهم} يَقُولُ: يَحْمِلُونَ مِنْ ذُنُوبِ مَنِ اتَّبَعَهُمْ عَلَى الضَّلَالَةِ، وَلَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ ذُنُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ شَيْئًا.

* * *

(يَحْيَى): عَنْ خَالِدٍ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- عَلَيْهِ السَّلَامُ: ((أَيُّمَا دَاعٍ دَعَا إِلَى هُدًى فَاتُّبِعَ

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (13)، للإمامْ (الطبري)،

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (13)،

(3) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (13)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

عَلَيْه، كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنِ اتَّبَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَأَيُّمَا دَاعٍ دَعَا إِلَى ضَلالَةٍ فَاتُّبِعَ عَلَيْهَا، كَانَ لَهُ مِثْلُ أَوْزَارِ مَنِ اتَّبَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ)). (1)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {13} وقال تعالى مقسما بعزته وجلاله: {وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ} أي: أوزارهم {وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ} أي: أوزاراً أي ذنوبا مع أوزارهم التي هي ذنوبهم وذلك من أجل ما قالوا لهم. {وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ} أي: يكذبون من أنهم يحملون خطايا المؤمنين يوم القيامة. (2)

* * *

قوله تعالى: {وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ}.

قال: الإمام (إبن ماجة) - (رحمه الله) - في (سننه):- حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث، حدثني أبي عن أيوب، عن محمد بن سيرين، عن (أبي هريرة) قال: جاء رجل إلى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فحثّ عليه. فقال رجل: عندي كذا وكذا، قال: فما بقي في المجلس رجل إلا تصدق عليه بما قل أو كثر. فقال: رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((من استنّ خيراً فاستُنّ به، كان له أجره كاملاً، ومن أجور من استن به، ولا ينقص من أجورهم شيئاً. ومن استنّ سنة سيئة، فاستن به فعليه وزره كاملاً، ومن أوزار الذي استن به، ولا ينقص من أوزارهم شيئا)). (3)

* * *

[14] ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولقد بعثنا نوحًا رسولًا إلى قومه، فمكث فيهم مدة تسع مئة وخمسين عامًا يدعوهم إلى توحيد الله، فكذبوه واستمرّوا على كفرهم، فأخذهم الطوفان وهم ظالمون بسبب كفرهم بالله وتكذيبهم لرسله، فهلكوا بالغرق. (4)

* * *

ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه فمكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، يدعوهم إلى التوحيد وينهاهم عن الشرك، فلم يستجيبوا له،

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سُورَةُ. (العَنْكَبُوت) الآية (13) للإمام (إبن أبي زمنين المالكي).

(2) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (13)، للشيخ: (أبو بكر الجزائري).

(3) أخرجه الإمام (ابن ماجة) في (السنن) برقم (74/1) ح (204 المقدمة - (من سن سنة حسنة أو سيئة).

وأخرجه الإمام (أحمد) في (المسند 2/520-521) عن (عبد الصمد بن عبد الوارث عن أبيه) به.

قال: (البوصيري): (إسناده صحيح).

وأخرجه الإمام (أحمد) شاهداً له من حديث (حذيفة) - (رضي الله عنه) - بنحوه (المسند) في (5/387).

قال: الإمام (الهيثمي): ورجاله رجال الصحيح إلا (أبا عبيدة بن حذيفة)، وقد وثقه الإمام (ابن حبان) برقم (مجمع الزوائد 1/167).

و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح سنن ابن ماجة) برقم (ح169).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/397). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

فأهلكهم الله بالطوفان، وهم ظالمون لأنفسهم بكفرهم وطغيانهم. (1)

* * *

ولقد بعث الله نوحاً إلى قومه يدعوهم إلى التوحيد، فمكث يدعوهم تسعمائة وخمسين سنة وهم لا يستجيبون له، فأغرقهم الله بالطوفان وهم ظالمون لأنفسهم بالكفر. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{ولقد أرسلنا نوحاً} .... أي: نوحا بن لَمْك بن مُتَوَشْلَخ بن إدريس من ولد شيث بن آدم، بينه وبين آدم ألف سنة.

{فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما} .... أي: فمكث فيهم يدعوهم إلى الله تعالى تسعمائة وخمسين سنة.

{فأخذهم الطوفان} .... ما أطاف وأحاط بغلبة" كالسيل، فغرقوا.

(أي: الماء الكثير الذي طاف بهم وعلاهم فأغرقهم).

{الطُّوفَانُ} ... الماءُ الكثيرُ الَّذِي طَافَ بِهِمْ وَعلاَهُمْ فَأَغْرَقَهُمْ.

{وَهُمْ ظَالِمُونَ} .... أي: مشركون. (أي: بظلمهم وتكذيبهم نوحا).

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (14) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (15) وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (16)}.

* * *

(تفسير ابن عباس):- قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {14} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِه فَلَبِثَ فِيهِمْ} فَمَكَثَ فِيهِم {أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَاماً} يَدعُوهُم إِلَى التَّوْحِيد فَلم يُجِيبُوهُ {فَأَخَذَهُمُ الطوفان} فأهلكهم الله بالطوفان {وَهُمْ ظَالِمُونَ} كافرون. (3)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {14} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ} فغرقوا، {وَهُمْ ظَالِمُونَ} قال: (ابن عباس): مشركون. (4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {14} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ}.

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (397/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (592/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (14) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ. (العَنْكَبُوت) الآية (14).

يخبر تعالى عن حكمه وحكمته في عقوبة الأمم المكذبة، وأن الله أرسل عبده ورسوله نوحا عليه الصلاة السلام إلى قومه، يدعوهم إلى التوحيد وإفراد الله بالعبادة، والنهي عن الأنداد والأصنام، {فَلَبِثَ فِيهِمْ} نبيا داعيا {أَلْفَ سَنَةٍ إلا خَمْسِينَ عَامًا} وهو لا يَني بدعوتهم، ولا يفتر في نصحهم، يدعوهم ليلا ونهارا وسرا وجهارا، فلم يرشدوا ولم يهتدوا، بل استمروا على كفرهم وطغيانهم، حتى دعا عليهم نبيهم نوح -عليه الصلاة والسلام-، مع شدة صبره وحلمه واحتماله، فقال: {رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا} {فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ} أي: الماء الذي نزل من السماء بكثرة، ونبع من الأرض بشدة {وَهُمْ ظَالِمُونَ} مستحقون للعذاب.(1)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {14} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إلا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ}.

هَذِهِ تَسْلِيَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِعَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ- صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، يُخْبِرُهُ عَنْ نُوحٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَّهُ مَكَثَ فِي قَوْمِهِ هَذِهِ الْمُدَّةَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَسِرًّا، وجهارًا، وَمَعَ هَذَا مَا زَادَهُمْ ذَلِكَ إِلَّا فِرَارًا عَنِ الْحَقِّ، وَإِعْرَاضًا عَنْهُ وَتَكْذِيبًا لَهُ، وَمَا آمَنَ مَعَهُ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ"

وَلِهَذَا قَالَ: {فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إلا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ} أَيْ: بَعْدَ هَذِهِ الْمُدَّةِ الطَّوِيلَةِ مَا نَجَعَ فِيهِمُ الْبَلَاغُ وَالْإِنْذَارُ، فَأَنْتَ -يَا مُحَمَّدُ -لَا تَأْسَفْ عَلَى مَنْ كَفَرَ بِكَ مِنْ قَوْمِكَ، وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ" فَإِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَبِيَدِهِ الْأَمْرُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ،

{إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ. وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأليمَ} {يُونُس: 96،97}،

وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ سَيُظْهِرُكَ وَيَنْصُرُكَ وَيُؤَيِّدُكَ، وَيُذِلُّ عَدُوَّكَ، وَيَكْبِتُهُمْ وَيَجْعَلُهُمْ أَسْفَلَ السَّافِلِينَ.

قَالَ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ يُوسُفَ بْنِ مَاهَكَ، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) قَالَ: بُعِثَ نُوحٌ وَهُوَ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَبِثَ فِي قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، وَعَاشَ بَعْدَ الطُّوفَانِ سِتِّينَ عَامًا، حَتَّى كَثُرَ النَّاسُ وَفَشَوْا.

* * *

وَقَالَ: (قَتَادَةُ): يُقَالُ إِنَّ عُمْرَهُ كُلَّهُ كَانَ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، لَبِثَ فِيهِمْ قَبْلَ أَنْ يَدْعُوَهُمْ ثَلَاثَمِائَةِ سَنَةٍ، وَدَعَاهُمْ ثَلَاثَمِائَةٍ وَلَبِثَ بَعْدَ الطُّوفَانِ ثَلَاثَمِائَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً.

وَهَذَا قَوْلٌ غَرِيبٌ، وَظَاهِرُ السِّيَاقِ مِنَ الْآيَةِ أَنَّهُ مَكَثَ فِي قَوْمِهِ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا.

* * *

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (14)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

وَقَالَ: (الثَّوْرِيّ)، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ، عَنْ (مُجَاهِد) قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عُمَرَ: كَمْ لَبِثَ نُوحٌ فِي قَوْمِهِ؟ قَالَ: قُلْتُ أَلْفَ سَنَةٍ إِلا خَمْسِينَ عَامًا. قَالَ: فَإِنَّ النَّاسَ لَمْ يَزَالُوا فِي نُقْصَانٍ مِنْ أَعْمَارِهِمْ وَأَحْلامِهِمْ وَأَخْلاقِهِمْ إِلَى يَوْمِكَ هَذَا. (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {14} قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ} .

وهذا وعيد من الله تعالى ذكره هؤلاء المشركين من قريش، القائلين للذين آمنوا: اتبعوا سبيلَنا، ولنحمل خطاياكم، يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لا يحزننك يا محمد ما تلقى من هؤلاء المشركين أنت وأصحابك من الأذى، فإني وإن أمليت لهم فأطلت إملاءهم، فإن مصير أمرهم إلى البوار، ومصير أمرك وأمر أصحابك إلى العلوّ والظفر بهم، والنجاة مما يحلّ بهم من العقاب، كفعلنا ذلك بنوح، إذ أرسلناه إلى قومه، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى التوحيد، وفراق الآلهة والأوثان، فلم يزدهم ذلك من دعائه إياهم إلى الله من الإقبال إليه، وقبول ما أتاهم به من النصيحة من عند الله إلا فرارا.

وذكر أنه أرسل إلى قومه وهو ابن ثلاث مئة وخمسين سنة.

* * *

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن (قتادة)، قوله: (فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ) قال: هو الماء الذي أرسل عليهم.

* * *

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت (الضحاك) يقول: الطوفان: الغرق.

* * *

وقوله: (وَهُمْ ظَالِمُونَ) يقول: وهم ظالمون أنفسهم بكفرهم. (2)

* * *

أخرج -الإمام (عبد الرزاق) - والإمام (الطبري) - (رحمهما الله) - (بسندهما الصحيحين)- عن (قتادة): قوله: (فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ) قال: هو الماء الذي أرسل عليهم. (3)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {14} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إلا خمسين عَاما} قَالَ (كَعْبٌ): لَبِثَ نُوحٌ فِي قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلا خَمْسِينَ عَامًا، ثُمَّ لَبِثَ بَعْدَ الطُّوفَانِ سِتَّمِائَةِ سَنَة. {فَأَخذهم الطوفان} إِلَى قَوْلِهِ: {آيَة لِلْعَالمين} قَدْ مَضَى تَفْسِيرُ هَذِهِ الْقِصَّةِ فِي سُورَة (هُود).

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (14).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (14)، للإِمَامْ (الطبري).

(3) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (67/4)، للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين).

قَـال: (مُحَمَّدٌ): وَالطُّوفَانُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَا كَانَ كَثِيرًا مُهْلِكًا لِلْجَمَاعَةِ" كَالْغَرَقِ الْمُشْتَمِلِ عَلَى جَمَاعَةٍ وَالْقَتْلِ الذَّرِيعِ وَالْمَوْتِ الجارف. (1)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {14} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ}.

لما ذكر تعالى ما كان يلاقيه رسوله والمؤمنون من مشركي قريش ذكر تعالى نوحاً وإبراهيم وكلاهما قد عانى ولاقى ما لم يلاقه محمد- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأصحابه ليكون ذلك تسلية لهم وتخفيفاً عنهم، فقال تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ (2)} وقوم نوح يومئذ هم البشرية جمعاء. إذ لم يكن غيرهم.

{فَلَبِثَ فِيهِمْ} أي: مكث يدعوهم إلى عبادة الله تعالى وتوحيده فيها وترك الأصنام الخمسة التي كانت لهم وهي ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، وكان هؤلاء الخمسة رجالا صالحين فلما ماتوا بنوا على قبورهم ووضعوا لهم تماثيل بحجة أنها تذكرهم بالله فيرغبوا في الطاعة والعمل الصالح ثم زين لهم الشيطان عبادتهم فعبدوهم فبعث الله تعالى إليهم نوحاً رسولا فدعاهم إلى عبادة الله وترك عبادة هؤلاء.

{فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ (3) سَنَةٍ إِلاَ خَمْسِينَ عَاماً} يدعوهم فلم يستجيبوا له.

{فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ} فاستجاب الله له فأنجاه وأصحاب السفينة وهم المؤمنون وهلك في الطوفان زوجته وولده كنعان وسائر البشر إلا نوحا ومن معه في السفينة، وكانوا قرابة الثمانين نسمة، وخلف نوحاً ثلاثة أولا هم سام وهو أبو العرب وفارس والروم وهم الجنس السامي وحام وهو أبو القبط والسودان والبربر ويافث وهو أبو الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج، هذا معنى قوله تعالى: {فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ (1) ظَالِمُونَ} أي لأنفسهم بالشرك. (4)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {14} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَ خَمْسِينَ عَامًا} ذَكَرَ قِصَّةَ نُوحٍ تَسْلِيَةً لِنَبِيِّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، أَيْ: ابْتُلِيَ النَّبِيُّونَ قَبْلَكَ بِالْكُفَّارِ فَصَبَرُوا. وَخَصَّ نُوحًا بِالذِّكْرِ، لِأَنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ أُرْسِلَ إِلَى الْأَرْضِ وَقَدِ امْتَلَأَتْ كُفْرًا عَلَى مَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ فِي" هُودٍ" وَأَنَّهُ لَمْ يَلْقَ نَبِيٌّ مِنْ قَوْمِهِ مَا لَقِيَ نُوحٌ عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي" هُودٍ".

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سُورَةُ. (العَنْكَبُوتِ) الآية (14) للإمام (إبن أبي زمنين المالكي)،

(2) - روى (أنس)- رضي الله عنه- عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: "أول نبي أرسل واختلف في سني عمره: فروي عن أنس أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: لما بعث الله نوحا إلى قومه وبعثه وهو ابن لخمسين ومائتي سنة فلبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، وبقي بعد الطوفان خمسين ومائتي سنة فلما أتاه ملك الموت قال: يا نوح يا أكبر الأنبياء ويا طويل العمر ويا مجاب الدعوة كيف رأيت الدنيا؟ قال مثل رجل بنى له بيتا له بابان فدخل من واحد وخرج من الآخر".

(3) - العدول عن السنة إلى العام حتى لا يحصل تكرار في لفظ السنة وهو من بلاغة الكلام.

(4) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوتِ) الآية (14)، للشيخ: (أبو بكر الجزائري).

عَـنِ (الْحَسَـنِ) وَرُوِيَ عَـنْ (قَتَـادَةَ) عَـنْ (أَنَـسٍ) أَنَّ النَّبِـيَّ – صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ – قَـالَ: "أَوَّلُ نَبِـيٍّ أُرْسِـلَ نُـوحٌ" قَـالَ: (قَتَـادَةُ): وَبُعِثَ مِنَ الْجَزِيرَةِ.

وَاخْتُلِـفَ فِـي مَبْلَـغِ عُمْـرِهِ. فَقِيـلَ: مَبْلَغُ عُمْـرِهِ مَـا ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ.

قَـالَ: (قَتَـادَةُ): لَبِـثَ فِـيهِمْ قَبْـلَ أَنْ يَـدْعُوَهُمْ ثلاثمائـة سـنة ودعـاهم ثلاثمائـة سَـنَةٍ، وَلَبِـثَ بَعْدَ الطُّوفَانِ ثَلَاثَمِائَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً.

وَقَـالَ: (ابْـنُ عَبَّـاسٍ): بُعِـثَ نُـوحٌ لِـأَرْبَعِينَ سَـنَةً، وَلَبِـثَ فِـي قَوْمِـهِ أَلْـفَ سَـنَةٍ إِلاَّ خَمْسِـينَ عَـامًا، وَعَـاشَ بَعْـدَ الْغَـرَقِ سِـتِّينَ سَـنَةً حَتَّـى كَثُـرَ النَّـاسُ وَفَشُـوا. وَعَنْـهُ أَيْضًـا: أَنَّـهُ بُعِـثَ وهـو ابـن ميـتين وَخَمْسِـينَ سَـنَةً، وَلَبِـثَ فِـيهِمْ أَلْـفَ سَـنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ، وَعَاشَ بَعْدَ الطُّوفَانِ مِائَتِي سَنَةٍ.

وَقَـالَ: (وَهْـبٌ): عُمِّـرَ نُـوحٌ أَلْفًـا وَأَرْبَعَمِائَـةِ سَنَةٍ.

وَقَـالَ: (كَعْـبُ الْأَحْبَـارِ): لَبِـثَ نُـوحٌ فِـي قَوْمِـهِ أَلْـفَ سَـنَةٍ إِلاَّ خَمْسِـينَ عَـامًـا، وَعَـاشَ بَعْـدَ الطُّوفَـانِ سَـبْعِينَ عَامًـا فَكَـانَ مَبْلَـغُ عُمْـرِهِ أَلْـفَ سَنَةٍ وعشرين عاما.

وَقَـالَ: (عَـوْنُ بْـنُ شَـدَّادٍ): بُعِـثَ نُـوحٌ وَهُـوَ ابْـنُ خَمْسِـينَ وَثَلَاثَمِائَـةِ سـنة، ولبـث في قومـه ألـف سـنة إلا خَمْسِـينَ عَـامًا، وَعَـاشَ بَعْـدَ الطُّوفَـانِ ثَلَاثَمِائَـةِ سَـنَةٍ وَخَمْسِـينَ سَـنَةً، فَكَـانَ مَبْلَـغُ عُمْـرِهِ أَلْـفَ سَـنَةٍ وَسِـتَّمِائَةِ سَـنَةٍ وَخَمْسِـينَ سَـنَةً وَنَحْوُهُ عَنِ الْحَسَنِ.

قَـالَ: (الحسـن): لَمَّـا أَتَـى مَلَـكُ الْمَـوْتِ نُوحًـا لِيَقْـبِضَ رُوحَـهُ قَـالَ: يَـا نُـوحُ كَـمْ عِشْـتَ فِـي الـدُّنْيَا؟ قَـالَ: ثَلَاثَمِائَـةٍ قَبْـلَ أَنْ أُبْعَـثَ، وَأَلْـفَ سَـنَةٍ إِلاَّ خَمْسِـينَ عَامًـا فِـي قَـوْمِي، وَثَلَاثَمِائَـةِ سَنَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً بَعْدَ الطُّوفَانِ.

قَالَ: (مَلَكُ الْمَوْتِ): فَكَيْفَ وَجَدْتَ الدُّنْيَا؟،

قَـالَ: (نُـوحٌ): مِثْـلَ دَارٍ لَهَـا بَابَـانِ دَخَلْـتُ مِـنْ هَذَا وَخَرَجْتُ مِنْ هَذَا. (1)

وَرُوِيَ – مِـنْ حَـدِيثِ – (أَنَـسٍ): قَـالَ قَـالَ: رَسُـولُ اللَّـهِ –صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ-: ((لَمَّـا بَعَـثَ اللَّـهُ نُوحًـا إِلَـى قَوْمِـهِ بَعَثَـهُ وَهُـوَ ابْـنُ خَمْسِـينَ وَمِـائَتَي سَـنَةٍ فَلَبِـثَ فِـي قَوْمِـهِ أَلْـفَ سَـنَةٍ إِلاَّ خَمْسِـينَ عَامًـا وَبَقِـيَ بَعْـدَ الطُّوفَـانِ خَمْسِـينَ وَمِـائَتَيْ سَـنَةٍ فَلَمَّـا أَتَـاهُ مَلَـكُ الْمَـوْتِ قَـالَ يَـا نُـوحُ يَـا أَكْبَـرَ الْأَنْبِيَـاءِ وَيَـا طَوِيـلَ الْعُمُـرِ وَيَـا مُجَـابَ الـدَّعْوَةِ كَيْـفَ رَأَيْـتَ الـدُّنْيَا قَـالَ مِثْـلَ رَجُـلٍ بُنِـيَ لَـهُ بَيْـتٌ لَـهُ بَابَـانِ فَـدَخَلَ مِـنْ وَاحِـدٍ وَخَرَجَ مِنَ الْآخَرِ)).

وَقَـدْ قِيـلَ: دَخَـلَ مِـنْ أَحَـدِهِمَا وَجَلَـسَ هُنَيْهَـةً ثُـمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ الْآخَرِ.

وَقَـالَ: (ابْـنُ الْـوَرْدِيِّ): بَنَـى نُـوحٌ بَيْتًـا مِـنْ قَصَـبٍ، فَقِيـلَ لَـهُ: لَـوْ بَنَيْـتَ غَيْـرَ هَـذَا، فَقَـالَ: هَذَا كَثِيرٌ لِمَنْ يَمُوتُ،

---

(1) انظُـر: تفسـير (القـرطبي) = (الجـامع لأحكـام القـرآن) في سُـورَةُ (العَنْكَبُوتِ) الآية (14)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

وَقَالَ: (أَبُو الْمُهَاجِرِ): لَبِثَ نُوحٌ فِي قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَ خَمْسِينَ عَامًا فِي بَيْتٍ مِنْ شَعْرٍ، فَقِيلَ لَهُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ ابْنِ بَيْتًا فَقَالَ: أَمُوتُ الْيَوْمَ﴿أَوْ﴾ أَمُوتُ غَدًا.

وَقَالَ: (وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ): مَرَّتْ بِنُوحٍ خَمْسُمِائَةِ سَنَةٍ لَمْ يَقْرُبِ النِّسَاءَ وَجَلًا مِنَ الْمَوْتِ.

وَقَالَ: (مُقَاتِلٌ)، وَ(جُوَيْبِرٌ): إِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ كَبِرَ وَرَقَّ عَظْمُهُ قَالَ يَا رَبِّ إِلَى مَتَى أَكِدُّ وَأَسْعَى؟ قَالَ: يَا آدَمُ حَتَّى يُولَدَ لَكَ وَلَدٌ مَخْتُونٌ. فَوُلِدَ لَهُ نُوحٌ بَعْدَ عَشَرَةِ أَبْطُنٍ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ ابْنُ أَلْفِ سَنَةٍ إِلاَ سِتِّينَ عَامًا. (1)

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِلاَ أَرْبَعِينَ عَامًا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. فَكَانَ نُوحُ بْنُ لامَكَ بْنِ مُتُوشَلَخَ بْنِ إِدْرِيسَ وَهُوَ أَخْنُوخُ بْنُ يَرْدِ بْنِ مهلائيلَ بْنِ قَيْنَانَ بْنِ أَنُوشَ بْنِ شِيثَ بْنِ آدَمَ. وَكَانَ اسْمُ نُوحٍ السَّكَنَ. وَإِنَّمَا سُمِّيَ السَّكَنَ، لِأَنَّ النَّاسَ بَعْدَ آدَمَ سَكَنُوا إِلَيْهِ، فَهُوَ أَبُوهُمْ. وَوُلِدَ لَهُ سَامٌ وَحَامٌ وَيَافِثُ، فَوَلَدَ سَامُ الْعَرَبَ وَفَارِسَ وَالرُّومَ وَفِي كُلٍّ هَؤُلَاءِ خَيْرٌ. وَوَلَدَ حَامٌ الْقِبْطَ وَالسُّودَانَ وَالْبَرْبَرَ. وَوَلَدَ يَافِثُ التُّرْكَ وَالصَّقَالِبَةَ وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ. وَلَيْسَ فِي شَيٍ مِنْ هَؤُلَاءِ خَيْرٌ.

وَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): فِي وَلَدِ سَامٍ بَيَاضٌ وَأُدْمَةٌ وَفِي وَلَدِ حَامٍ سَوَادٌ وَبَيَاضٌ قَلِيلٌ. وَفِي

فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (15) وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (16) إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (17) وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (18) أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (19) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (20) يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (21) وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (22) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ

وَلَدِ يَافِثَ- وَهُمُ التُّرْكُ وَالصَّقَالِبَةُ- الصُّفْرَةُ وَالْحُمْرَةُ. وَكَانَ لَهُ وَلَدٌ رَابِعٌ وَهُوَ كَنْعَانُ الَّذِي غَرِقَ، وَالْعَرَبُ تُسَمِّيهِ يَامٍ. وسمي نوح نوحا لأنه ناح عن قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَ خَمْسِينَ عَامًا، يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَإِذَا كَفَرُوا بَكَى وَنَاحَ عَلَيْهِمْ.

(فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ) قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ)، وَ(سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ)، وَ(قَتَادَةُ): الْمَطَرُ. (الضَّحَّاكُ): الْغَرَقُ. يَعْنِي:- الْمَوْتَ. رَوَتْهُ (عَائِشَةُ)- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- عَنِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ: (أَفْنَاهُمْ طُوفَانُ مَوْتٍ جَارِفٍ)

قَالَ: (النَّحَّاسُ): يُقَالُ لِكُلِّ كَثِيرٍ مُطِيفٍ بِالْجَمِيعِ مِنْ مَطَرٍ أَوْ قَتْلٍ أَوْ مَوْتٍ طُوفَانٌ.

---

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (14)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

{وَهُمْ ظَالِمُونَ} جُمْلَةٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ وَ{أَلْفَ سَنَةٍ} مَنْصُوبٌ عَلَى الظَّرْفِ. {إِلا خَمْسِينَ عَامًا} مَنْصُوبٌ عَلَى الِاسْتِثْنَاءِ مِنَ الْمُوجَبِ. وَهُوَ عِنْدَ (سِيبَوَيْهِ) بِمَنْزِلَةِ الْمَفْعُولِ، لِأَنَّهُ مُسْتَغْنًى عَنْهُ كَالْمَفْعُولِ. فَأَمَّا الْمُبَرِّدُ (أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ) فَهُوَ عِنْدَهُ مَفْعُولٌ مَحْضٌ. كَأَنَّكَ قُلْتَ اسْتَثْنَيْتُ زَيْدًا. (1)

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾
﴿ سُورَةُ العَنْكَبُوت:7 - 14 ﴾

- الأعمال الصالحة يُكَفِّر الله بها الذنوب.
- تأكُّد وجوب البر بالأبوين.
- الإيمان بالله يقتضي الصبر على الأذى في سبيله.
- من سنَّ سُنَّة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء. (2)

* * *

[١٥] ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فأنقذنا نوحًا ومن معه من المؤمنين في السفينة من الهلاك بالغرق، وجعلنا السفينة عبرة للناس يعتبرون بها. (3)

* * *

فأنجينا نوحًا ومَن تبعه ممن كان معه في السفينة، وجعلنا ذلك عبرة وعظة للعالمين. (4)

* * *

وحقق الله وعده لنوح، فأنجاه والمؤمنين الذين ركبوا معه السفينة، وجعل قصتهم عبرة لمن بعدهم. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فَأَنْجَيْنَاهُ} .... أي: نُوحًا.

{فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ} ..... من الغرق.

{وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ} ..... من آمنوا به وركبوا معه. (أي: الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ فِيهَا).

{وَجَعَلْنَاهَا آيَةً} .... عِبْرَة.

{وَجَعَلْنَاهَا} ..... أي: السفينة، أو العقوبة. أو الحادثة والقصة

{آيَةً} ..... علامة على قدرة الله تعالى في شدة بطشه. (أي: عظة، عبْرَة).

{لِلعالمين} .... أي: عبرة للناس يعتبرون بها فلا يشركون ولا يعصون.

{لِلْعَالَمِينَ} ..... لِمَنْ بَعْدهمْ مِنْ النَّاس إِنْ عَصَوْا رُسُلهمْ وَعَاشَ نوح بعد الطوفان ستين سنة أو أكثر حتى كثر الناس.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ

---

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (14)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (397/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (398/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (398/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (592/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

العَنْكَبُوت} الآية {15} قَوْلُهُ تَعَالَى:
{فَأَنْجَيْنَاهُ} نوحًا {وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ} وَمن آمن مَعَه فِي السَّفِينَة {وَجَعَلْنَاهَا} سفينة نوح {آيَةً} عِبْرَة {لِلْعَالَمِين} بعدهمْ.(1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {15} قَوْلُهُ تَعَالَى:
{فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ} يعني: من الغرق، {وَجَعَلْنَاهَا} يعني: السفينة {آيَةً} أي: عبرة، {لِلْعَالَمِينَ} فَإِنَّهَا كَانَتْ بَاقِيَةً عَلَى الْجُودِيِّ مُدَّةً مَدِيدَةً. يَعْنِي:- جَعَلْنَا عُقُوبَتَهُمْ للغرق عبرة.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {15} قَوْلُهُ تَعَالَى:
{فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ} الذين ركبوا معه، أهله ومن آمن به. {وَجَعَلْنَاهَا} أي: السفينة، أو قصة نوح. {آيَةً لِلْعَالَمِينَ} يعتبرون بها، على أن من كذب الرسل، آخر أمره الهلاك، وأن المؤمنين سيجعل الله لهم من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا.
وجعل الله أيضا السفينة، أي: جنسها آية للعالمين، يعتبرون بها رحمة ربهم، الذي قيض لهم أسبابها، ويسر لهم أمرها، وجعلها تحملهم وتحمل متاعهم من محل إلى محل ومن قُطرٍ إلى قُطرٍ.(3)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {15} قَوْلُهُ تَعَالَى:
{أَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ}(4) ومن بين ما فيها أبناؤه الثلاثة سام وحام ويافث ومنهم عمر الكون بالبشر شرقا وغربا وشمالا وجنوباً.
وقوله: {وَجَعَلْنَاهَا آيَةً}(5) {لِلْعَالَمِينَ} أي: حادثة الطوفان ومنها السفينة ومكث تلك المدة الطويلة مع قلة المستجيبين.
{آيَةً} أي: عبرة {لِلْعَالَمِينَ} أي: للناس ليعتبروا بها فلا يعصوا رسلهم ولا يشركون بربهم هذا إذا اعتبروا وقليل من يعتبر.(6)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {15} قَوْلُهُ تَعَالَى:
{فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ}.

---

(1) انظُر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوتِ) الآية (15) يِنسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما –.

(2) انظُر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ. (العَنْكَبُوتِ) الآية (15).

(3) انظُر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوتِ) الآية (15)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) – في الإمام (البخاري) أن (قتادة) قال: بقيت السفينة على الجودي حتى نظرتها أوائل هذه الأمة. وقيل: إنها دامت إلى أوائل الدولة العباسية ثم غمرتها الثلوج، وكان الجودي الذي رست فوقه قرب (باقردي) وهي قرية من جزيرة بن عمر بالموصل شرقي دجلة.

(5) الضمير في: (وجعلناها) عائد إلى السفينة، وما في التفسير أعم وأشمل.

(6) انظُر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوتِ) الآية (15)، للشيخ: (أبو بكر الجزائري).

هَذه تَسْلِيَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِعَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، يُخْبِرُهُ عَنْ نُوحٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ- : أَنَّهُ مَكَثَ فِي قَوْمِهِ هَذِهِ الْمُدَّةَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَسِرًّا، وَجِهَارًا، وَمَعَ هَذَا مَا زَادَهُمْ ذَلِكَ إِلَّا فِرَارًا عَنِ الْحَقِّ، وَإِعْرَاضًا عَنْهُ وَتَكْذِيبًا لَهُ، وَمَا آمَنَ مَعَهُ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ،

وَلِهَذَا قَالَ: {فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ} أَيْ: بَعْدَ هَذِهِ الْمُدَّةِ الطَّوِيلَةِ مَا نَجَعَ فِيهِمُ الْبَلَاغُ وَالْإِنْذَارُ، فَأَنْتَ -يَا مُحَمَّدُ -لَا تَأْسَفْ عَلَى مَنْ كَفَرَ بِكَ مِنْ قَوْمِكَ، وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ" فَإِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَبِيَدِهِ الْأَمْرُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ،

{إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ. وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ} {يُونُسَ: 96،97}،

وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ سَيُظْهِرُكَ وَيَنْصُرُكَ وَيُؤَيِّدُكَ، وَيُذِلُّ عَدُوَّكَ، وَيَكْبِتُهُمْ وَيَجْعَلُهُمْ أَسْفَلَ السَّافِلِينَ.

قَالَ: (حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ)، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ يُوسُفَ بْنِ مَاهَكَ ،عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) قَالَ: بُعِثَ نُوحٌ وَهُوَ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَبِثَ فِي قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، وَعَاشَ بَعْدَ الطُّوفَانِ سِتِّينَ عَامًا، حَتَّى كَثُرَ النَّاسُ وَفَشَوْا.

وَقَالَ: (قَتَادَةُ): يُقَالُ إِنَّ عُمُرَهُ كُلَّهُ كَانَ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، لَبِثَ فِيهِمْ قَبْلَ أَنْ يَدْعُوَهُمْ ثَلَاثَمِائَةِ سَنَةٍ، وَدَعَاهُمْ ثَلَاثَمِائَةٍ وَلَبِثَ بَعْدَ الطُّوفَانِ ثَلَاثَمِائَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً.

وَهَذَا قَوْلٌ غَرِيبٌ، وَظَاهِرُ السِّيَاقِ مِنَ الْآيَةِ أَنَّهُ مَكَثَ فِي قَوْمِهِ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا.

وَقَالَ: (عَوْنُ بْنُ أَبِي شَدَّادٍ): إِنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ وَهُوَ ابْنُ خَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ، فَدَعَاهُمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، ثُمَّ عَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ ثَلَاثَمِائَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً.

وَهَذَا أَيْضًا غَرِيبٌ، رَوَاهُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ)، وَ(ابْنُ جَرِيرٍ)، وَقَوْلُ (ابْنِ عَبَّاسٍ) أَقْرَبُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَالَ (الثَّوْرِيُّ)، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: قَالَ لِي (ابْنُ عُمَرَ): كَمْ لَبِثَ نُوحٌ فِي قَوْمِهِ؟ قَالَ: قُلْتُ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا. قَالَ: فَإِنَّ النَّاسَ لَمْ يَزَالُوا فِي نُقْصَانٍ مِنْ أَعْمَارِهِمْ وَأَحْلَامِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ إِلَى يَوْمِكَ هَذَا.

وَقَوْلُهُ: {فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ} أَيِ: الَّذِينَ آمَنُوا بِنُوحٍ- عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَقَوْلُهُ: {وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ} أَيْ: وَجَعَلْنَا تِلْكَ السَّفِينَةَ بَاقِيَةً، إِمَّا عَيْنُهَا، كَمَا قَالَ: (قَتَادَةُ): إِنَّهَا بَقِيَتْ إِلَى أَوَّلِ الْإِسْلَامِ عَلَى جَبَلِ الْجُودِيِّ، أَوْ نَوْعُهَا جَعَلَهُ لِلنَّاسِ تَذْكِرَةً لِنِعَمِهِ عَلَى الْخَلْقِ، كَيْفَ نَجَّاهُمْ مِنَ الطُّوفَانِ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ. وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ. وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ

لَهُمْ وَلا هُمْ يُنْقَذُونَ. إِلا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ} {يس: 41-44}،

وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ. لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ} {الْحَاقَّة: 11، 12}،

وَقَالَ هَاهُنَا: {فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ}،

وَهَذَا مِنْ بَابِ التَّدْرِيجِ مِنَ الشَّخْصِ إِلَى الْجِنْسِ،

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ} {الْمُلْك: 5}.

أَيْ: وَجَعَلْنَا نَوْعَهَا، فَإِنَّ الَّتِي يُرْمَى بِهَا لَيْسَتْ هِيَ الَّتِي زِينَةٌ لِلسَّمَاءِ.

وَقَالَ تَعَالَى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ} {الْمُؤْمِنُونَ: 12، 13}، وَلِهَذَا نَظَائِرُ كَثِيرَةٌ.

وَقَالَ: (ابْنُ جَرِيرٍ): لَوْ قِيلَ: إِنَّ الضَّمِيرَ فِي قَوْلِهِ: {وَجَعَلْنَاهَا}، عَائِدٌ إِلَى الْعُقُوبَةِ، لَكَانَ وَجْهًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ} الآية {15} قوله تعالى: {فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ}.

يقول تعالى ذكره: فأنجينا نوحا وأصحاب سفينته، وهم الذين حملهم في سفينته من ولده وأزواجهم. وقد بيَّنا ذلك فيما مضى قبل، وذكرنا الروايات فيه، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع.

(وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ) يقول: وجعلنا السفينة التي أنجيناه وأصحابه فيها عبرة وعظة للعالمين، وحجة عليهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن (قتادة)، قوله: (فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ ...) الآية. قال: أبقاها الله آية للناس بأعلى الجوديّ.

ولو قيل: معنى {وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ} وجعلنا عقوبتنا إياهم آية للعالمين، وجعل الهاء والألف في قوله: {وَجَعَلْنَاهَا} كناية عن العقوبة أو السخط، ونحو ذلك، إذ كان قد تقدم ذلك في قوله: {فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ} كان وجها من التأويل. (2)

* * *

قَالَ: الإمام (القُرطبي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ} الآيَةُ {15} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ} مَعْطُوفٌ عَلَى الْهَاءِ. {وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ} الهاء

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (15).

(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (15)، للإمَامْ (الطبري).

وَالْأَلِفُ فِي "جَعَلْنَاهَا" لِلسَّفِينَةِ، أَوْ لِلْعُقُوبَةِ، أَوْ لِلنَّجَاةِ، ثَلَاثَةُ أقوال.(1)

* * *

قال: الشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {15} قوله تعالى: {فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ} من الغرق. {وَجَعَلْنَاهَا} أي: السفينة، أو العقوبة. {آيَةً} علامة على قدرة الله تعالى في شدة بطشه {لِلْعَالَمِينَ} وقوله: {فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ} يقتضي أنه أخذ قومه فقط.

وقد اختلف في ذلك، فقالت فرقة: إنما غرق في الطوفان طائفة من الأرض، وهي المختصة بقوم نوح، وقالت فرقة هي الجمهور: وإنما غرقت المعمورة كلها، وهذا هو ظاهر الأمر" لاتخاذه السفينة، وغير ذلك من الدلائل.

فإن قيل: كيف غرق الجميع، والرسالة إلى البعض؟ فالوجه في ذلك أن يقال: إن اختصت شيء بأمة ليس هو بألاّ يهدي غيرها ولا يدعوها إلى توحيد الله تعالى، وإنما هو بألاّ تؤخذ بفعال غيرها، ولا يبث العبادات فيهم، لكن إذا كانت نبوة قائمة هذه المدة الطويلة، والناس حولها يعبدون الأوثان فلا محال أن دعاءه إلى توحيد الله قد كان بلغ الكل، فنالهم الغرق" لإعراضهم وتماديهم.(2)

* * *

[١٦] ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

واذكر -أيها الرسول- ﷺ- قصة إبراهيم حين قال لقومه: اعبدوا الله واتقوا عقابه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ذلكم المأمور به خير لكم إن كنتم تعلمون.(3)

* * *

واذكر -أيها الرسول- ﷺ- إبراهيم -عليه السلام- حين دعا قومه: أن أخلصوا العبادة لله وحده، واتقوا سخطه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، ذلكم خير لكم، إن كنتم تعلمون ما هو خير لكم مما هو شر لكم.(4)

* * *

واذكر - أيها الرسول- ﷺ- قصة إبراهيم حين دعا قومه إلى توحيد الله وطاعته، وَنَبَّهَهُم إلى أن الإيمان خير لهم من الكفر إن كانوا من ذوى العلم والعقل.(5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَ} .... اُذْكُرْ.

{إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ} .... خَافُوا عِقَابه.

---

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (15)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سُورَةُ. (العَنْكَبُوت) الآية (15)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (398/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (398/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (593/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{إِبْرَاهِيمَ} .... أي: واذكر إبراهيم على قراءة النصب لإبراهيم، وعلى قراءة الرفع: ومن المرسلين إبراهيم.

{وَإِبْرَاهِيمَ} ....أي: واذكر ابراهيم، أو هو معطوف على قوله نُوحاً قبل.

إِذْ قَالَ بدل اشتمال، لأن الأحيان تشتمل على ما فيها أو هى ظرف لقوله أَرْسَلْنا يعنى: أرسلناه حين بلغ أن يعظ قومه.

{اعبدوا الله واتقوه} ..... أي: آمنوا به ووحدوه في عبادته واتقوا أن تشركوا به وتعصوه.

{ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ} .... مِمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ عِبادَةِ الْأَصْنامِ .

{إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} .... الْخَيْرَ مِنْ غَيْرِه.

(أي: ان كان فيكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم).

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {16} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَإِبْرَاهِيمَ} وَأَرْسَلْنَا إِبْرَاهِيم إِلَى قومه {إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعبدوا الله} وحدوا الله {واتقوه} اخشوه وأطيعوه بِالتَّوْبَةِ من الْكفْر والشرك وَعبادَة الْأَوْثَان {ذَلِكُم} التَّوْبَة والتوحيد {خَيْرٌ لَّكُمْ} مِمَّا أَنْتُم عَلَيْهِ {إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} ذَلِك وتصدقون وَلَكِن لَا تعلمُونَ وَلَا تصدقُونَ. (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآيَة {16} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَإِبْرَاهِيمَ} أَيْ: وَأَرْسَلْنَا إِبْرَاهِيمَ، {إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ} أطيعوه وَخَافُوهُ {ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} . (2)

* * *

قَالَ: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآيَة {16} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} .

يذكر تعالى أنه أرسل خليله إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - إلى قومه، يدعوهم إلى الله، فقال لهم: {اعْبُدُوا اللَّهَ} أي: وحِّدوه، وأخلصوا له العبادة، وامتثلوا ما أمركم به، {وَاتَّقُوهُ} أن يغضب عليكم، فيعذبكم، وذلك بترك ما يغضبه من المعاصي، {ذَلِكُمْ} أي: عبادة الله وتقواه {خَيْرٌ لَكُمْ} من ترك ذلك، وهذا من باب إطلاق " أفعل التفضيل " بما ليس في الطرف الآخر منه شيء، فإن ترك عبادة الله، وترك تقواه، لا خير فيه بوجه، وإنما كانت عبادة الله وتقواه خيرا للناس، لأنه لا سبيل إلى نيل كرامته في الدنيا والآخرة إلا بذلك، وكل خير يوجد في الدنيا والآخرة، فإنه من آثار عبادة الله وتقواه.

{إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} ذلك، فاعلموا الأمور وانظروا ما هو أولى بالإيثار،

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (16) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ . (العَنْكَبُوت) الآية (16).

فلما أمرهم بعبادة الله وتقواه، نهاهم عن عبادة الأصنام، وبيَّن لهم نقصها وعدم استحقاقها للعبودية (1)

* * *

قال: الإِمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {16} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}.

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ عَبْدِه وَرَسُوله وَخَلِيله إِبْرَاهِيم إِمَام الْحُنَفَاء: أَنَّهُ دَعَا قَوْمَهُ إِلَى عِبَادَة اللَّه وَحْدَهُ لَا شَرِيك لَهُ، وَالْإِخْلَاص لَهُ فِي التَّقْوَى، وَطَلَب الرِّزْق مِنْهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيك لَهُ، وَتَوْحِيده فِي الشكر، فإنه المشكور على النعم، لا مُسْد لَهَا غَيْرُهُ،

فَقَالَ لِقَوْمِهِ: {اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ} أَيْ: أَخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ وَالْخَوْفَ،

{ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} أَيْ: إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ حَصَلَ لَكُمُ الْخَيْرُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة، وَانْدَفَعَ عَنْكُمُ الشَّرُّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة. (2)

* * *

قال: الإِمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {16} قوله تعالى:

{وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد - صلى الله عليه وسلم-: واذكر أيضا يا محمد إبراهيم خليل الرحمن، إذ قال لقومه: اعبدوا الله أيها القوم دون غيره من الأوثان والأصنام، فإنه لا إله لكم غيره، {وَاتَّقُوهُ} يقول: واتقوا سخطه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه {ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} ما هو خير لكم مما هو شرّ لكم. (3)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {16} قَوْلُهُ تَعَالَى:

(وَإِبْرَاهِيمَ) قَالَ: (الْكِسَائِيُّ):

{وَإِبْرَاهِيمَ} مَنْصُوبٌ بِـ (أَنْجَيْنَا) يَعْنِي: أَنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَى الْهَاءِ. وَأَجَازَ الْكِسَائِيُّ أَنْ يَكُونَ مَعْطُوفًا عَلَى نُوحٍ وَالْمَعْنَى وَأَرْسَلْنَا إِبْرَاهِيمَ.

وَقَوْلٌ ثَالِثٌ: أَنْ يَكُونَ مَنْصُوبًا بِمَعْنَى وَاذْكُرْ إِبْرَاهِيمَ. {إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ} أَيْ: أَفْرِدُوهُ بِالْعِبَادَةِ. {وَاتَّقُوهُ} أَيْ: اتَّقُوا عِقَابَهُ وَعَذَابَهُ.

{ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ} أَيْ: مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ.

{إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}. (4)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {16} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}.

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (16)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (16).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (16)، للإِمَامْ (الطبري).

(4) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (16)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

هذا القصص معطوف على قصص نوح لتسلية الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – والمؤمنين ولتذكير قريش بأنها في إصرارها على الشرك والتكذيب للرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – صائرة إلى ما صار إليه المكذبون من قبل إن لم تتب إلى الله وترجع إليه بالإيمان والطاعة وترك الشرك والمعاصي.

قال تعالى: {وَإِبْرَاهِيمَ} أي: واذكر يا رسولنا إبراهيم خليلنا {إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ} البابليين ومن بينهم والده آزر يا قوم {اعْبُدُوا اللَّهَ} أي: بتوحيده في عبادته {وَاتَّقُوهُ} بترك الشرك والعصيان وإلا حلت بكم عقوبته ونزل بكم عذابه.

وقوله: {ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ} أي: الإيمان والتوحيد والطاعة خير لكم من الكفر والشرك والعصيان. إذ الأول يجلب الخير والثاني يجلب الشر.

{إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} الخير والشر وتفرقون بينهما وقوله – عليه السلام. (1)

* * *

قال: الشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

{سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {16} قوله تعالى: {وَإِبْرَاهِيمَ} عطف على "نوح" أي: وأرسلنا إبراهيم. {إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ} .... أطيعوا الله وخافوه، وهذه القصة تمثيل لقريش، وكان نمرود وأهل مدينته عَبَدَةَ أصنام، فدعاهم إبراهيم – عليه السلام– إلى عبادة الله، ثم فرد لهم ما هم عليه من الضلال. {ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ} ... من الكفر. {إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} .... الخير والشر. (2)

* * *

[١٧] ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إنما تعبدون –أيها المشركون– أصنامًا لا تنفع ولا تضرّ، وتختلقون الكذب حين تزعمون استحقاقها للعبادة، إن الذين تعبدونهم من دون الله لا يملكون لكم رزقًا فيرزقوكم، فاطلبوا عند الله الرزق فهو الرزاق، واعبدوه وحده واشكروا له ما أنعم به عليكم من الرزق، إليه وحده ترجعون يوم القيامة للحساب والجزاء لا إلى أصنامكم. (3)

* * *

ما تعبدون –أيها القوم– من دون الله إلا أصنامًا، وتفترون كذبًا بتسميتكم إياها آلهة، إنَّ أوثانكم التي تعبدونها من دون الله لا تقدر أن ترزقكم شيئًا، فالتمسوا عند الله الرزق لا من عند أوثانكم، وأخلصوا له العبادة والشكر على رزقه إياكم، إلى الله

(1) انظُر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوتِ) الآية (16)، للشيخ: (أبو بكر الجزائري).

(2) انظُر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سُورَةُ. (العَنْكَبُوتِ) الآية (16)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (398/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

ترُدُّون من بعد مماتكم، فيجازيكم على ما عملتم.(1)

* * *

وقال لهم: أنتم لا تعبدون من دون الله إلا تماثيل وأصناماً تصنعونها بأيديكم، وتختلقون الكذب فتسمونها آلهة. وأن هذه الأوثان التي تعبدونها من دون الله لا تنفع ولا تضر ولا تستطيع لكم رزقاً، فالتمسوا الرزق من الله - وحده - وخُصُّوه بالعبادة والشكر له على أنعمه، فإليه مصيركم أجمعين فيجازيكم على أعمالكم.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{أوثاناً} .... أي: أصناماً وأحجاراً وصوراً وتماثيل.

{وتخلقون إفكاً} ..... أي: تختلقون الكذب فتقولون في الأصنام والأوثان آلهة وتعبدونها.

{وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا} ... تَفْتَرُونَ كَذِبًا.

{فَابْتَغُوا} ... الْتَمِسُوا وَاطْلُبُوا.

{فابتغوا عند الرزق} .... أي: اطلبوا الرزق من الله الخلاق العليم لا من الأصنام والتماثيل المصنوعة المنحوتة بأيدي الرجال بالمعاول والفؤوس.

{واعبدوه} .... أي: بالإيمان به وتوحيده واشكروه بطاعته.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {17} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّمَا تَعْبُدُونَ من دون الله أوثانا} أَحْجَار {وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً} وتقولون كذبا وتنحتون بِأَيْدِيكُمْ مَا تَعْبُدُونَ من دون الله {إِنَّ الَّذين تَعْبُدُونَ من دُون الله} من الْأَوْثَان {لَا يَمْلكُونَ لكم رزقا} لَا يقدرُونَ أَن يرزقوكم {فابتغوا عندَ الله الرزق} فَاطْلُبُوا من الله الرزق {واعبدوه} ووحدوه {واشكروا لَهُ} بِالتَّوْحِيد {إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} بعد الْمَوْت فيجزيكم بأعمالكم.(3)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {17} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا} أصناما، {وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا} تقولون كذبا.

قال: (مقاتل): تصنعون أصناما بأيديكم فَتُسَمُّونَهَا آلِهَةً، {إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا} لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَرْزُقُوكُمْ، {فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}.(4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {17} فلما أمرهم بعبادة الله وتقواه، نهاهم عن عبادة الأصنام، وبيَّن

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (398/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (593/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (17) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامُ (البغوي) سُورَةُ . (العَنْكَبُوت) الآية (17).

لهم نقصها وعدم استحقاقها للعبودية، فقال: {إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا} تنحتونها وتخلقونها بأيديكم، وتخلقون لها أسماء الآلهة، وتختلقون الكذب بالأمر بعبادتها والتمسك بذلك،

{إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} في نقصه، وأنه ليس فيه ما يدعو إلى عبادته،

{لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا} فكأنه قيل: قد بان لنا أن هذه الأوثان مخلوقة ناقصة، لا تملك نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، وأن من هذا وصفه، لا يستحق أدنى أدنى مثقال مثقال ذرة من العبادة والتأله، والقلوب لا بد أن تطلب معبودا تألهه وتسأله حوائجها، فقال -حاثا لهم على من يستحق العبادة-.

{فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ} فإنه هو الميسر له، المقدر، المجيب لدعوة من دعاه في أمر دينه ودنياه.

{وَاعْبُدُوهُ} وحده لا شريك له، لكونه الكامل النافع الضار، المتفرد بالتدبير،

{وَاشْكُرُوا لَهُ} وحده، لكون جميع ما وصل ويصل إلى الخلق من النعم فمنه، وجميع ما اندفع ويندفع من النقم عنهم فهو الدافع لها.

{إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} يجازيكم على ما عملتم، وينبئكم بما أسررتم وأعلنتم، فاحذروا القدوم عليه وأنتم على شرككم، وارغبوا فيما يقربكم إليه، ويثيبكم -عند القدوم- عليه.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

(بسنده الحسن)- عن (قتادة): قوله: (إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا) أصناماً.(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

(بسنده الحسن)- عن (علي بن أبي طلحة)- عن (ابن عباس): في قوله: (وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) يقول: وتصنعون كذبا.(3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

(بسنده الحسن)- عن (قتادة): (وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) أي: تصنعون أصناما.(4)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {17} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}.

ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْأَصْنَامَ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا وَالْأَوْثَانَ، لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَإِنَّمَا اخْتَلَقْتُمْ

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (17)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (18/20). المحقق: الشيخ (أحمد شاكر).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (19/20).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (19/20).

أَنْتُمْ لَهَا أَسْمَاءً، سَمَّيْتُمُوهَا آلِهَةً، وَإِنَّمَا هِيَ مَخْلُوقَةٌ مِثْلُكُمْ.
هَكَذَا رَوَى (الْعَوْفِيُّ) عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ). وَبِهِ قَالَ: (مُجَاهِدٌ)، وَ(السُّدِّيُّ).

وَرَوَى (الْوَالِبِيُّ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ): وَتَصْنَعُونَ إِفْكًا، أَيْ: تَنْحِتُونَهَا أَصْنَامًا. وَبِهِ قَالَ: (مُجَاهِدٌ) -فِي رِوَايَةٍ- وَ(عِكْرِمَةُ)، وَ(الْحَسَنُ)، وَ(قَتَادَةُ) وَغَيْرُهُمْ، وَاخْتَارَهُ (ابْنُ جَرِيرٍ)، رَحِمَهُ اللَّهُ.
وَهِيَ لَا تَمْلِكُ لَكُمْ رِزْقًا،
{فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ} وَهَذَا أَبْلَغُ فِي الْحَصْرِ،
كَقَوْلِهِ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الْفَاتِحَة: 5]،
وَقَالَ: {رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ} [التَّحْرِيم: 11]،
وَلِهَذَا قَالَ: {فَابْتَغُوا} أَيْ: فَاطْلُبُوا.
{عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ} أَيْ: لَا عِنْدَ غَيْرِهِ، فَإِنَّ غَيْرَهُ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا،
{وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ} أَيْ: كُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَاعْبُدُوهُ وَحْدَهُ، وَاشْكُرُوا لَهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ،
{إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} أَيْ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجَازِي كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ. (1)

* * *

[١٨] ﴿ وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن تُكذِّبوا -أيها المشركون- بما جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم -، فقد كذبت أمم من قبلكم كقوم نوح وعاد وثمود، وما على الرسول إلا البلاغ الواضح، وقد بلّغكم ما أمره ربه بتبليغه إليكم. (2)

* * *

وإن تكذِّبوا -أيها الناس- رسولنا محمدًا - صلى الله عليه وسلم- فيما دعاكم إليه من عبادة الله وحده، فقد كذبت جماعات من قبلكم رسلها فيما دعتهم إليه من الحق، فحل بهم سخط الله، وما على الرَّسول محمد إلا أن يبلغكم عن الله رسالته البلاغ الواضح، وقد فَعَل. (3)

* * *

وإن تستمروا على تكذيبى فلن تضرونى، فقد أبلغتكم أن الرسل قبلى كذبتهم أممهم وما ضروهم، وإنما ضروا أنفسهم إذ أهلكهم الله بسبب تكذيبهم، فليس على الرسول إلا أن يبلغ فى وضوح رسالته إلى قومه. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (17).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (398/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (398/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (593/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وإن تكذبوا} ..... أي: يا أهل مكة بعد هذا الذي عرضنا عليكم من الآيات والعبر فقد كذب أمم من قبلكم.

{وما على الرسول} ..... أي: محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

{إلا البلاغ المبين} ..... وقد بلغ وبين فبرئت ذمته وأنتم المكذبون ستحل بكم نقمة الله.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَة العَنْكَبُوت} الآية {18} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِن تكذبوا} بِمُحَمد -صلى الله عَلَيْه وَسلم- بالرسالة يا معشر قُرَيْش {فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ} رسلهم بالرسالة فأهلكناهم {وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبلاَغُ} تَبْلِيغ الرسَالَة عَن الله {الْمُبين} يبين لَهُم بلغَة يعلمونها.(1)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَة العَنْكَبُوت} الآية {18} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ} مثل عاد وثمود وغيرهم فأهلكوا، {وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلا الْبَلاغُ الْمُبِينُ}.(2)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَة العَنْكَبُوت} الآية {18} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ} أَيْ: فَبَلَغَكُمْ مَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ فِي مُخَالَفَةِ الرُّسُلِ، {وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إلا الْبَلاغُ الْمُبِينُ} يَعْنِي: إِنَّمَا عَلَى الرَّسُولِ أَنْ يبلغكم ما أمره الله تعالى بِهِ مِنَ الرِّسَالَةِ، وَاللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، فَاحْرِصُوا لِأَنْفُسِكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنَ السُّعَدَاءِ.

وَقَالَ: (قَتَادَةُ) فِي قَوْلِهِ: {وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ} قَالَ: يُعَزِّي نَبِيَّهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. وَهَذَا مِنْ (قَتَادَةَ) يَقْتَضِي أَنَّهُ قَدِ انْقَطَعَ الْكَلَامُ الْأَوَّلُ، وَاعْتَرَضَ بِهَذَا إِلَى قَوْلِهِ: {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ}. وَهَكَذَا نَصَّ عَلَى ذَلِكَ (ابْنُ جَرِيرٍ) أَيْضًا.(3)

وَالظَّاهِرُ مِنَ السِّيَاقِ أَنَّ كُلَّ هَذَا مِنْ كَلَامِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ - لِقَوْمِهِ يَحْتَجُّ عَلَيْهِمْ لِإِثْبَاتِ الْمَعَادِ، لِقَوْلِهِ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ: {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ}، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.(4)

* * *

[١٩] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

أو لم ير هؤلاء المكذبون كيف يخلق الله الخلق ابتداء، ثم يعيده بعد فنائه؟! إن ذلك على الله سهل، فهو قادر لا يعجزه شيء.(5)

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَة (العَنْكَبُوت) الآية (18) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَام (البغوي) سُورَة (العَنْكَبُوت) الآية (18).

(3) انظر تفسير (الطبري) برقم (20/89).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَام (ابن كثير) في سُورَة (العَنْكَبُوت) الآية (18).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/398). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

* * *

أو لم يعلم هؤلاء كيف ينشئ الله الخلق من العدم، ثم يعيده من بعد فنائه، كما بدأه أول مرة خلقًا جديدًا، لا يتعذر عليه ذلك؟ إن ذلك على الله يسير، كما كان يسيرًا عليه إنشاؤه. (1)

* * *

قد رأوا وعلموا أن الله يُبدئ الخلق ثم يُعيده، فكيف ينكرون البعث في اليوم الآخر للحساب والجزاء؟ إن الإعادة على الله أسهل. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{أو لم يروا} .... أي: ينظروا بأبصارهم فيعلموا بقلوبهم.

{يبدئ الله الخلق} .... أي: كيف يخلق المخلوق ابتداء.

{ثم يعيده} .....أي: ثم هو تعالى يعيده بعد بدئه وإفنائه يعيده لأن الإعادة أهون من البدء وقد بدأ وأفنى فهو بالضرورة قادر على الإعادة.

{إن ذلك} ..... أي: أن الخلق الأول والثاني هو الإعادة.

{على الله يسير} .....أي: سهل لا صعوبة فيه، فكيف إذًا ينكر المشركون البعث.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {19} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَوَلَمْ يَرَوْا} يخبروا كفار مَكَّة فِي الْكتاب {كَيفَ يبدئ الله الْخلق} من النُّطْفَة {ثمَّ يُعيدهُ} يَوْم الْقِيَامَة {إِنَّ ذَلِك} إبداءه وإعادته {على الله يسير} هَين. (3)

* * *

قال: الإِمَامْ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {19} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ} كَيفَ يَخْلُقُهُمُ ابْتِدَاءً نُطْفَةً ثُمَّ عَلَقَةً ثُمَّ مُضْغَةً {ثُمَّ يُعِيدُهُ} في الآخرة بعد الْبَعْثِ {إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}. (4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {19} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ} يوم القيامة {إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} كما قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ}. (5)

* * *

قال: الإِمَامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {19} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَوَلَمْ

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (398/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (593/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظُر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوتِ) الآية (19) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(4) انظُر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ . (العَنْكَبُوت) الآية (19).

(5) انظُر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوتِ) الآية (19)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

يَـرَوْا كَيْـفَ يُبْـدِئُ اللَّـهُ الْخَلْـقَ ثُـمَّ يُعِيـدُهُ إِنَّ ذَلِـكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

يَقُـولُ تَعَـالَى مُخْبِـرًا عَـنِ الْخَلِيـلِ - عَلَيْـهِ السَّلَامُ، أَنَّـهُ أَرْشَـدَهُمْ إِلَـى إِثْبَـاتِ الْمَعَـادِ الَّـذِي يُنْكِرُونَـهُ، بِمَـا يُشَـاهِدُونَهُ فِـي أَنْفُسِـهِمْ مِـنْ خَلْـقِ اللَّـهِ إِيَّـاهُمْ، بَعْـدَ أَنْ لَـمْ يَكُونُـوا شَـيْئًا مَـذْكُورًا، ثُـمَّ وُجِـدُوا وَصَـارُوا أُنَاسًـا سَـامِعِينَ مُبْصِـرِينَ، فَالَّـذِي بَـدَأَ هَـذَا قَـادِرٌ عَلَـى إِعَادَتِـهِ" فَإِنَّـهُ سَـهْلٌ عَلَيْهِ يَسِيرٌ لَدَيْهِ.

ثُـمَّ أَرْشَـدَهُمْ إِلَـى الِاعْتِبَـارِ بِمَـا فِـي الْآفَـاقِ مِـنَ الْآيَـاتِ الْمُشَـاهَدَةِ مِـنْ خَلْـقِ اللَّـهِ الْأَشْـيَاءَ: السَّـمَوَاتِ وَمَـا فِيهَـا مِـنَ الْكَوَاكِـبِ النَّيِّـرَةِ: الثَّوَابِـتِ، وَالسَّـيَّارَاتِ، وَالْأَرَضِـينَ وَمَـا فِيهَـا مِـنْ مِهَـادٍ وَجِبَـالٍ، وَأَوْدِيَـةٍ وَبَـرَارٍ وَقِفَـارٍ، وَأَشْـجَارٍ وَأَنْهَـارٍ، وَثِمَـارٍ وَبِحَـارٍ، كُـلُّ ذَلِـكَ دَالٌّ عَلَـى حُـدُوثِهَا فِـي أَنْفُسِـهَا، وَعَلَـى وُجُـودِ صَـانِعِهَا الْفَاعِـلِ الْمُخْتَـارِ، الَّـذِي يَقُـولُ لِلشَّـيْءِ: كُـنْ، فَيَكُونُ".

وَلِهَـذَا قَـالَ: {أَوَلَـمْ يَـرَوْا كَيْـفَ يُبْـدِئُ اللَّـهُ الْخَلْـقَ ثُـمَّ يُعِيـدُهُ إِنَّ ذَلِـكَ عَلَـى اللَّـهِ يَسِـيرٌ}، كَقَوْلِـهِ: {وَهُـوَ الَّـذِي يَبْـدَأُ الْخَلْـقَ ثُـمَّ يُعِيـدُهُ وَهُـوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} {الرُّومِ: 27}. (1)

* * *

قـال: الإمـام (الطـبري) – (رحمـه الله) – في (تفسيـره):-

(بسـنده الحسـن)- عـن (قتـادة): قولـه: (أَوَلَـمْ يَـرَوْا كَيْـفَ يُبْـدِئُ اللَّـهُ الْخَلْـقَ ثُـمَّ يُعِيدُهُ): بالبعث بعد الموت. (2)

* * *

[٢٠] ﴿ قُـلْ سِـيرُوا فِـي الْـأَرْضِ فَـانْظُرُوا كَيْـفَ بَـدَأَ الْخَلْـقَ ثُـمَّ اللَّـهُ يُنْشِـئُ النَّشْـأَةَ الْـآخِرَةَ إِنَّ اللَّـهَ عَلَـى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

قـل: - أيهـا الرسـول- ﷺ - لهـؤلاء المكـذبين بالبعـث: سـيروا في الأرض فتـأملوا كيـف بـدأ الله الخلـق، ثـم الله يحيـي النـاس بعـد مـوتهم الحيـاة الثانيـة للبعـث والحسـاب، إن الله علـى كـل شـيء قـدير، لا يعجـزه شـيء، فـلا يعجـز عـن بعـث النـاس كمـا لم يعجـز عـن خلقهـم أولًـا. (3)

* * *

قـل: -أيهـا الرسـول- ﷺ -: لمنكـري البعـث بعـد الممـات: سـيروا في الأرض، فـانظروا كيـف أنشـأ الله الخلـق، ولم يتعـذر عليـه إنشـاؤه مبتـدأً؟ فكـذلك لا يتعـذر عليـه إعـادة إنشـائه النشـأة الآخـرة. إن الله علـى كـل شـيء قـدير، لا يعجزه شيء أراده. (4)

* * *

قـل - أيهـا الرسـول- ﷺ - لهـؤلاء المكـذبين: امشـوا فـى الأرض، وتـأملوا فيمـا أنشـأ الله فيهـا مـن مختلـف الكائنـات، وانظـروا إلى آثـار مـن كـان فيهـا قـبلكم بعـد أن مـاتوا وخلـت منهـم ديـارهم، واعلمـوا أن الله بقدرتـه سـيعيد كـل ذلـك فـى الآخـرة بالبعـث وهـو الإنشـاء الآخـر،

---

(1) انظـر: (تفسـير القـرآن العظيم) للإمـام (ابـن كـثير) في سُـورَةُ (العَنْكَبُـوت) الآية (19).

(2) انظـر: (جـامع البيـان في تاويـل القـرآن) للإمـام (الطـبري) (21/20). المحقق: الشيخ (أحمد شاكر).

(3) انظـر: (المختصـر في تفسـير القـرآن الكـريم) (398/1). تصـنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظـر: (التفسـير الميسـر) بـرقم (398/1)، المؤلـف: (نخبـة مـن أسـاتذة التفسير).

وكذلك شأنكم، إن الله - سبحانه - تام القدرة على كل شئ.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{قل سيروا في الأرض} ..... أي: قل يا رسولنا لقومك المكذبين بالبعث سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الله الخلق وأنشأه، تستدلون بذلك على قدرته على البعث الآخر.

{بَدأَ الْخَلْقَ} ... أَنْشَأَهُ.

{ثُمَّ اللهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ} ... أي: يَخْلُقُهُمْ مَرَّةً أُخرى بَعْدَ الْمَوْتِ.

{ثم الله ينشئ النشأة الآخرة} ..... أي: يحيي الناس بعد موتهم وهو البعث الآخر الذي أنكره الجاهلون.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {20} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{قُلْ} يَا مُحَمَّد - ﷺ - {سِيرُوا} سافروا {فِي الأَرْض فانظروا كَيْفَ بَدَأَ} الله {الْخلق} من النُّطْفَة وأهلكهم بعد ذَلِك {ثمَّ الله يُنشئ النشأة الْآخِرَة} يخلق الله الْخلق يَوْم الْقِيَامَة {إِنَّ الله على كُلِّ شَيْءٍ} من الْخلق والبعث وَالْمَوْت والحياة {قَدِيرٌ}.(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {20} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ} فَانْظُرُوا إِلَى دِيَارِهِمْ وَآثَارِهِمْ كَيْفَ بَدَأَ خَلْقَهُمْ، {ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ} أَيْ: ثُمَّ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَهَا يُنْشِئُهَا نَشْأَةً ثَانِيَةً بَعْدَ الْمَوْتِ، فَكَمَا لَمْ يَتَعَذَّرْ عَلَيْهِ إِحْدَاثُهَا مبتدئا لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ إِنْشَاؤُهَا مُعِيدًا {إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.(3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {20} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{قُلْ} لهم، إن حصل معهم ريب وشك في الابتداء: {سِيرُوا فِي الأرْضِ} بأبدانكم وقلوبكم {فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ} فإنكم ستجدون أمما من الآدميين والحيوانات، لا تزال توجد شيئا فشيئا، وتجدون النبات والأشجار، كيف تحدث وقتا بعد وقت، وتجدون السحاب والرياح ونحوها، مستمرة في تجددها، بل الخلق دائما في بدء وإعادة، فانظر إليهم وقت موتتهم الصغرى -النوم- وقد هجم عليهم الليل بظلامه، فسكنت منهم الحركات، وانقطعت منهم الأصوات، وصاروا في فرشهم ومأواهم كالميتين، ثم إنهم لم يزالوا على ذلك طول ليلهم، حتى انفلق الإصباح، فانتبهوا من رقدتهم، وبعثوا من

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (593/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوتِ) الآية (20) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ . (العَنْكَبُوتِ) الآية (20).

موتتهم، قائلين: " الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور "

ولهذا قال: {ثُمَّ اللَّهُ} بعد الإعادة {يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ} وهي النشأة التي لا تقبل موتا ولا نوما، وإنما هو الخلود والدوام في إحدى الدارين. {إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} فقدرته تعالى لا يعجزها شيء وكما قدر بها على ابتداء الخلق، فقدرته على الإعادة من باب أولى وأحرى. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

(بسنده الحسن)- عن (قتادة): (قُلْ سِيرُوا فِي الأرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ) خلق السماوات والأرض (ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ): أي البعث بعد الموت. (2)

* * *

قال: الإمامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {20} ثم قَالَ تَعَالَى: {قُلْ سِيرُوا فِي الأرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ} أَيْ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ، {إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}. وَهَذَا الْمَقَامُ شَبِيهٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} {فُصِّلَتْ: 53}،

وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأرْضَ بَل لاَ يُوقِنُونَ} {الطُّور: 35، 36}.

وَقَوْلُهُ: {يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ} أَيْ: هُوَ الْحَاكِمُ الْمُتَصَرِّفُ، الَّذِي يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ، لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَلاَ يُسأل عمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ، فَلَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، مَهْمَا فَعَلَ فَعَدْلٌ" لأنه الْمَالِكُ الَّذِي لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ،

كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ (أَهْلُ السُّنَنِ): ((إِنَّ اللَّهَ لَوْ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ، لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ)) (3) (4).

* * *

وانظر: سورة – (الأنبياء) – آية (104). –

كما قال تعالى: {يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ}.

* * *

[٢١] ﴿ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَة (العَنْكَبُوت) الآية (20)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (20/ 21).
المحقق: الشيخ (أحمد شاكر).

(3) (صحيح): رواه الإمام (أبو داود) في (السنن) برقم (4699) – (كتاب: السُّنة).
وأخرجه الإِمَامُ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (77) – (المقدمة) – من حديث – (أبي بن كعب)، و(زيد بن ثابت)- رضي الله عنهما.
وأخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (5/ 182).
و(صححه) الإمام (الألباني) في (المشكاة) برقم (115).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامُ (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (20).

يعذب من يشاء من خلقه بعدله، ويرحم من يشاء من خلقه بفضله، وإليه وحده ترجعون يوم القيامة للحساب حين يبعثكم من قبوركم أحياء. (1)

* * *

يعذب مَن يشاء من خلقه على ما أسلف من جرمه في أيام حياته، ويرحم مَن يشاء منهم ممن تاب وآمن وعمل صالحًا، وإليه ترجعون، فيجازيكم بما عملتم. (2)

* * *

يعذب الله من يشاء بعد النشأة الآخرة وهم المنكرون لها، ويرحم من يشاء وهم المؤمنون المقرون بها، وإليه - وحده - مرجع الخلق جميعاً للحساب والجزاء. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وإليه تقلبون} ..... أي: ترجعون إليه لا إلى غيره أحياء كما كنتم فيحاسبكم ويجزيكم بأعمالكم، الحسنة بخير منها والسيئة بمثلها جزاء عادلا.

{تقلبون} ... تُردُّونَ، وتُرجَعُونَ.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {21} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ} يُمِيت من يَشَاء على الْكفْر فيعذبه {وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ} يُمِيت من يَشَاء على الْإِيمَان فيرحمه {وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ} ترجعون بعد الْمَوْت فيجزيكم بأعمالكم. (4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {21} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ} أي: هو المنفرد بالحكم الجزائي، وهو إثابة الطائعين ورحمتهم، وتعذيب العاصين والتنكيل بهم.

{وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ} أي: ترجعون إلى الدار، التي بها تجري عليكم أحكام عذابه ورحمته، فاكتسبوا في هذه الدار، ما هو من أسباب رحمته من الطاعات، وابتعدوا من أسباب عذابه، وهي المعاصي. (5)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {21} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ} أَيْ: تَرْجِعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. (6)

* * *

[٢٢] ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (398/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (398/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (593/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (21) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(5) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (21)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَام (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (21).

ولستم بفائتين ربكم، ولا منفلتين من عقابه في الأرض ولا في السماء، وليس لكم من دون الله ولي يتولى أمركم، وليس لكم من دون الله نصير يرفع عنكم عذابه. (1)

* * *

وما أنتم -أيها الناس- بمعجزي الله في الأرض ولا في السماء إن عصيتموه، وما كان لكم من دون الله مِن وليّ يلي أموركم، ولا نصير ينصركم من الله إن أراد بكم سوءاً. (2)

* * *

ولستم – أيها المكذبون – بغالبين لقدرة الله، سواء أكنتم فى الأرض أم فى السماء، بل هى محيطة بكم، وليس لكم ولىٌّ يمنعكم من الله ولا نصير يدفع عنكم عذابه. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء} ..... أي: بغالبين ولا فائتين بالهروب فإن الله غالبكم.

{بِمُعْجِزِينَ} ... فَائِتِينَ مِنْ عَذَابِهِ بِالْهَرَبِ وَغَيْرِه.

{وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير} ..... ليس لكم من ولي يتولاكم ولا نصير ينصركم من الله تعالى.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) – قال: الإمامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {22} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَآ أَنتُمْ} يَا أهل مَكَّة {بِمُعْجِزِينَ} بفائتين من عَذَاب الله {فِي الأَرْض} من أهل الأَرْض {وَلاَ فِي السمآء} وَلاَ من أهل السَّمَاء {وَمَا لكم من دون الله} من عَذَاب الله {مِن وَلِيّ} قريب ينفعكم {وَلاَ نَصِيرٍ} مَانع يمنعكم من عَذَاب الله. (4)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {22} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ} فَإِنْ قِيلَ: مَا وَجْهُ قَوْلِهِ: {وَلَا فِي السَّمَاءِ} وَالْخِطَابُ مَعَ الْآدَمِيِّينَ وَهُمْ لَيْسُوا فِي السَّمَاءِ؟،

قَالَ: (الْفَرَّاءُ): مَعْنَاهُ وَلَا مَنْ فِي السَّمَاءِ بِمُعْجِزٍ أي: لَا يُعْجِزُهُ أَهْلُ الْأَرْضِ فِي الْأَرْضِ وَلَا أَهْلُ السَّمَاءِ فِي السَّمَاءِ.

وَقَالَ: (قُطْرُبٌ): مَعْنَاهُ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ لَوْ كُنْتُمْ فِيهَا.

{وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} أَيْ: مِنْ وَلِيٍّ يَمْنَعُكُمْ مِنِّي وَلَا نَصِيرٍ يَنْصُرُكُمْ مِنْ عَذَابِي. (5)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {22} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (398/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (398/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (593/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَة (العَنْكَبُوت) الآية (22) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما –.

(5) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سُورَة. (العَنْكَبُوت) الآية (22).

{أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ} أي: يا هؤلاء المكذبون، المتجرؤن على المعاصي، لا تحسبوا أنه مغفول عنكم، أو معجزون لله في الأرض ولا في السماء، فلا تغرنكم قدرتكم وما زينت لكم أنفسكم وخدعتكم، من النجاة من عذاب الله، فلستم بمعجزين الله في جميع أقطار العالم.

{وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ} يتولاكم، فيحصل لكم مصالح دينكم ودنياكم،

{وَلَا نَصِيرٍ} ينصركم، فيدفع عنكم المكاره.(1)

* * *

قال: الإِمَامْ (ابن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةَ العَنْكَبُوت} الآية {22} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ} أَيْ: لَا يُعْجِزُهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ، بَلْ هُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ خَائِفٌ مِنْهُ، فَقِيرٌ إِلَيْهِ، وَهُوَ الْغَنِيُّ عَمَّا سِوَاهُ. {وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ}.(2)

* * *

[٢٣] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

والذين كفروا بآيات الله سبحانه وبلقائه يوم القيامة، أولئك قنطوا من رحمتي، فلن يدخلوا الجنة أبداً لكفرهم، وأولئك لهم عذاب موجع ينتظرهم في الآخرة.(3)

* * *

والذين جحدوا حُجج الله وأنكروا أدلته، ولقاءه يوم القيامة، أولئك ليس لهم مطمع في رحمتي لَمَّا عاينوا ما أُعِدَّ لهم من العذاب، وأولئك لهم عذاب مؤلم موجع.(4)

* * *

والذين كفروا بدلائل الله على وحدانيته، وكذَّبوا برسله وكتبه، وأنكروا البعث والحساب. هؤلاء ليس لهم مطمع في رحمة الله وهؤلاء لهم عذاب شديد مؤلم.(5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{يئسوا من رحمتي} ..... أي: من دخول الجنة لأنهم كافرون أعظم كفر وهو التكذيب بالقرآن والبعث الآخر.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):- {سُورَةَ العَنْكَبُوت} الآية {23} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ كفروا بآيات الله} بِمُحَمَّد - صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- وَالْقُرْآن يَعْنِي الْيَهُود وَالنَّصَارَى وَسَائِر الْكفَّار {وَلِقَائِه} وَكَفَرُوا بِالْبَعْث بعد الْمَوْت {أُولَئِكَ} أهل هَذِه الصّفة {يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِي} من جنتي وهم الْيَهُود

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةَ (العَنْكَبُوت) الآية (22)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةَ (العَنْكَبُوت) الآية (22).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (398/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (398/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (594/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

وَالنَّصَارَى أن يكون في الْجنَّة الْأكل وَالشرب وَالْجِمَاع من جنته {وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} وجيع. (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ} الآية {23} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ} بِالْقُرْآنِ وَبِالْبَعْث، {أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} فَهَذِهِ الْآيَاتُ فِي تَذْكِيرِ أَهْلِ مَكَّةَ وَتَحْذِيرِهِمْ، وَهِيَ مُعْتَرِضَةٌ في قصة إبراهيم ثم عاد إلى قِصَّة إِبْرَاهِيمَ، (2)

* * *

قَالَ: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ} الآية {23} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} .

يخبر تعالى من هم الذين زال عنهم الخير، وحصل لهم الشر، وأنهم الذين كفروا به وبرسله، وبما جاءوهم به، وكذبوا بلقاء الله، فليس عندهم إلا الدنيا، فلذلك قدموا على ما أقدموا عليه من الشرك والمعاصي، لأنه ليس في قلوبهم ما يخوفهم من عاقبة ذلك،

ولهذا قال تعالى: {أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي} أي: فلذلك لم يعلموا سببا واحدا

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (24) وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (25) فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (26) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (27) وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (28) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (29) قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (30)

يحصلون به الرحمة، وإلا لو طمعوا في رحمته، لعملوا لذلك أعمالا والإياس من رحمة الله من أعظم المحاذير، وهو نوعان: إياس الكفار منها، وتركهم جميع سبب يقربهم منها، وإياس العصاة، بسبب كثرة جناياتهم أوحشتهم، فملكت قلوبهم، فأحدث لها الإياس،

{وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} أي: مؤلم موجع. وكأن هذه الآيات معترضات بين كلام إبراهيم عليه السلام لقومه، وردهم عليه، والله أعلم بذلك. (3)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ} الآية {23} قَوْلُهُ تَعَالَى:

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الْعَنْكَبُوتِ) الآية (23) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ . (الْعَنْكَبُوتِ) الآية (23).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْعَنْكَبُوتِ) الآية (23)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ} أَيْ: جَحدُوهَا وكَفَرُوا بِالْمَعَاد، {أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي} أَيْ: لاَ نَصِيبَ لَهُمْ فِيهَا، {وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} أي: موجع في الدنيا والآخرة. (1)

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾
﴿ سُورَةُ العَنكَبُوت: 15- 23 ﴾

• الأصنام لا تملك رزقًا، فلا تستحق العبادة.
• طلب الرزق إنما يكون من الله الذي يملك الرزق.
• بدء الخلق دليل على البعث.
• دخول الجنة محرم على من مات على كفره. (2)

* * *

[٢٤] ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فما كان جواب قوم إبراهيم له -بعد ما أمرهم به من عبادة الله وحده وترك عبادة غيره من الأوثان- إلا أن قالوا: اقتلوه أو ارموه في النار انتصارًا لآلهتكم، فسلّمه الله من النار، إن في تسليمه من النار بعد رميه فيها لعِبَرًا لقوم يؤمنون" لأنهم هم الذين ينتفعون بالعبر. (3)

* * *

فلم يكن جواب قوم إبراهيم له إلا أن قال بعضهم لبعض: اقتلوه أو حرِّقوه بالنار، فألقوه فيها، فأنجاه الله منها، وجعلها عليه بردًا وسلامًا، إن في إنجائنا لإبراهيم من النار لأدلة وحججًا لقوم يصدِّقون الله ويعملون بشرعه. (4)

* * *

لم يكن جواب قوم إبراهيم له - حين أمرهم بعبادة الله وترك ما هم عليه من عبادة الأوثان - إلا الإمعان فى الكفر، وقول بعضهم لبعض: اقتلوه أو حَرِّقوه، فألقوه فى النار، فجعلها الله برداً وسلاماً عليه، وأنجاه منها، إن فى إحباط كيدهم وإنجائه منها، وعدم تأثيرها فيه لدلائل واضحة لقوم يصدقون بتوحيد الله وقدرته. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فما كان جواب قومه} ..... أي: قوم إبراهيم عليه السلام.

{إلا أن قالوا اقتلوه} ..... أي: إلا قولهم اقتلوه أو حرقوه.

{إن في ذلك لآيات} .... أي: في كون النار لم تحرق الخليل ويخرج منها سالما.

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (23).
(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/398). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/399). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/399)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/594)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{لقوم يؤمنون} .... لأن المؤمنين هم الذين ينتفعون بالآيات لحياة قلوبهم.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {24} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ} لم يكن جواب قوم إِبْرَاهِيم حَيْثُ دعاهم إِلَى الله تَعَالَى {إِلاَّ أَن قَالُواْ اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ} بالنَّار {فَأَنْجَاهُ الله مِنَ النَّار} سالما {إِنَّ فِي ذَلِك} فِيمَا فعلنَا بِقوم إِبْرَاهِيم {لآيَات} لعبرات {لقوم يُؤمنُونَ} بِمُحَمد -صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- وَالْقُرْآن. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {24} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ} وَجَعَلَهَا عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا، {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} يصدقون. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {24} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إلا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}.

أي: فما كان مجاوبة قوم إبراهيم إبراهيم حين دعاهم إلى ربه قبول دعوته، والاهتداء بنصحه، ورؤية نعمة الله عليهم بإرساله إليهم، وإنما كان مجاوبتهم له شر مجاوبة.

{قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ} أشنع القتلات، وهم أناس مقتدرون، لهم السلطان، فألقوه في النار. {فَأَنْجَاهُ اللَّهُ} منها. {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} فيعلمون صحة ما جاءت به الرسل، وبِرَّهُمْ ونصحهم، وبطلان قول من خالفهم وناقضهم، وأن المعارضين للرسل كأنهم تواصوا وحث بعضهم بعضا على التكذيب. (3)

* * *

انظر: سورة -(الأنبياء)- آية (69) وفي بيان أن النار تحولت إلى برد وسلام. – كما قال تعالى: {قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ}.

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {24} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إلا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}.

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ فِي كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ وَمُكَابَرَتِهِمْ، وَدَفْعِهِمُ الْحَقَّ

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (24) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ. (العَنْكَبُوت) الآية (24).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (24)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

بِالْبَاطِلِ: إِنَّهُ مَا كَانَ لَهُمْ جَوَابٌ بَعْدَ مَقَالَةِ إِبْرَاهِيمَ هَذِهِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى الْهُدَى وَالْبَيَانِ، {إلا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ}، وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ قَامَ عَلَيْهِمُ الْبُرْهَانُ، وَتَوَجَّهَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ، فَعَدَلُوا إِلَى اسْتِعْمَالِ جَاهِهِمْ وَقُوَّةِ مُلْكِهِمْ،

{قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ. فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأسْفَلِينَ} {الصَّافَّات: 97، 98}.

وَذَلِكَ أَنَّهُمْ حَشَدُوا فِي جَمْعِ أَحطَابٍ عَظِيمَةٍ مُدَّةً طَوِيلَةً، وحوّطوا حَوْلَهَا، ثُمَّ أَضْرَمُوا فِيهَا النَّارَ، فَارْتَفَعَ لَهَا لَهَبٌ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ: وَلَمْ تُوقَدْ نَارٌ قَطُّ أَعْظَمُ مِنْهَا، ثُمَّ عَمَدُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَكَتَّفُوهُ وَأَلْقَوْهُ فِي كِفَّةِ الْمَنْجَنِيقِ، ثُمَّ قَذَفُوا بِهِ فِيهَا، فَجَعَلَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا، وَخَرَجَ مِنْهَا سَالِمًا بَعْدَ مَا مَكَثَ فِيهَا أَيَّامًا. وَلِهَذَا وَأَمْثَالِهِ جَعَلَهُ اللَّهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا. فَإِنَّهُ بَذَلَ نَفْسَهُ لِلرَّحْمَنِ، وَجَسَدَهُ لِلنِّيرَانِ، وَسَخَا بِوَلَدِهِ لِلْقُرْبَانِ، وَجَعَلَ مَالَهُ لِلضِّيفَانِ، وَلِهَذَا اجْتَمَعَ عَلَى مَحَبَّتِهِ جَمِيعُ أَهْلِ الْأَدْيَانِ.

وَقَوْلُهُ: {فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ} أَيْ: سَلَّمَهُ اللَّهُ مِنْهَا، بِأَنْ جَعَلَهَا عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا، {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}. (1)

* * *

[٢٥] ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وقال: (إبراهيم)- عليه السلام- لقومه: إنما اتخذتم أصنامًا آلهة تعبدونها للتعارف والتوادّ على عبادتها في الحياة الدنيا، ثم يوم القيامة ينقطع ذلك التوادّ بينكم، فيتبرأ بعضكم من بعض عند معاينة العذاب، ويلعن بعضكم بعضًا، ومقرّكم الذي تأوون إليه النار، وليس لكم من ناصرين يمنعونكم من عذاب الله، لا من أصنامكم التي كنتم تعبدونها من دون الله، ولا من غيرها. (2)

* * *

وقال إبراهيم لقومه: يا قوم إنما عبدتم من دون الله آلهة باطلة، اتخذتموها مودة بينكم في الحياة الدنيا، تتحابون على عبادتها، وتتوادون على خدمتها، ثم يوم القيامة، يتبرأ بعضكم من بعض، ويلعن بعضكم بعضًا، ومصيركم جميعًا النار، وليس لكم ناصر يمنعكم من دخولها. (3)

* * *

وقال إبراهيم لقومه: لم تعبدوا إلا آلهة باطلة عبادتها. ثم يتبدل الحال يوم القيامة، فيتبرأ القادة من الأتباع، ويلعن

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (24).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (399/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (399/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

الأتباع القادة، ومصيركم جميعاً النار، وليس لكم ناصر يمنعكم من دخولها. (1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{أوثاناً مودة بينكم} ..... أي: اتخذتم أوثانكم آلهة تتوادون من أجل عبادتها وتتحابون لذلك.

{مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ} ... تَتَحَابُّونَ عَلَى عِبَادَتِهَا، وتَتَوَادُّونَ عَلَى خِدْمَتِهَا.

{في الحياة الدنيا} ..... أي: هذا التوادد والتحاب على الآلهة في الحياة الدنيا فقط أما الآخرة فلا.

{يكْفُرُ} ... يَتَبَرأً.

{يكفر بعضكم ببعض} ..... أي: يكفر المتبوعون بأتباعهم ويتبرأون منهم.

{ويلعن بعضكم بعضاً} ..... يلعن الأتباع القادة الذين اتبعوهم في الباطل.

{وَمَأواكُمْ} ... مَصِيرُكُمْ.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {25} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَقَالَ} إبراهيم لقومه {إِنَّمَا اتخذتم} عبدتم {مِّن دُونِ الله أَوْثَاناً} أحجاراً {مَّوَدَّةَ} صلة {بَيْنِكُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا} لا تبقى {ثُمَّ يَوْمَ القِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ} يتبرأ بعضكم من بعض {وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضاً وَمَأْوَاكُمُ} مصيركم {النَّارُ} يعني: العابد والمعبود {وَمَا لَكُمْ مِّن نَّاصِرِينَ} من مانعين من عذاب الله. (2)

* * *

قال: الإمامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {25} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَقَالَ} يَعْنِي: إِبْرَاهِيمَ لِقَوْمِهِ، {إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ}، قَرَأَ: (ابْنُ كَثِيرٍ)، وَ(الْكِسَائِيُّ)، وَ(أَبُو عَمْرٍو)، وَ(يَعْقُوبُ): مَوَدَّةُ رَفْعًا بِلَا تنوين،

{بَيْنِكُمْ} خَفْضًا بِالْإِضَافَةِ عَلَى مَعْنَى: إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا هِيَ مَوَدَّةُ بَيْنِكُمْ،

{فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} ثُمَّ هِيَ تَنْقَطِعُ وَلَا تَنْفَعُ فِي الْآخِرَةِ،

وقرأ: (حمزة)، و(حفص): (مودة) نصبا بِغَيْرِ تَنْوِينٍ عَلَى الْإِضَافَةِ بِوُقُوعِ الِاتِّخَاذِ عَلَيْهَا،

وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: مَوَدَّةً مَنْصُوبَةً مُنَوَّنَةً بَيْنَكُمْ بِالنَّصْبِ، مَعْنَاهُ إِنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ هَذِهِ الْأَوْثَانَ مَوَدَّةً بَيْنَكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا تَتَوَادُّونَ عَلَى عِبَادَتِهَا وَتَتَوَاصَلُونَ عَلَيْهَا فِي الدُّنْيَا.

{ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا} تَتَبَرَّأُ الْأَوْثَانُ مِنْ عَابِدِيهَا وَتَتَبَرَّأُ الْقَادَةُ مِنَ الْأَتْبَاعِ وَتَلْعَنُ الْأَتْبَاعُ الْقَادَةَ،

{وَمَأْوَاكُمُ} جَمِيعًا الْعَابِدُونَ وَالْمَعْبُودُونَ، {النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ}. (3)

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (594/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (25) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما –.

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمامُ (البغوي) سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (25).

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):– {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {25} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالَ} لهم إبراهيم في جملة ما قاله من نصحه: {إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} أي: غاية ذلك، مودة في الدنيا ستنقطع وتضمحل، {ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا} أي: يتبرأ كل من العابدين والمعبودين من الآخر {وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ} فكيف تتعلقون بمن يعلم أنه سيتبرأ من عابديه ويلعنهم؟ " و " أن مأوى الجميع، العابدين والمعبودين " النَّار " وليس أحد ينصرهم من عذاب الله، ولا يدفع عنهم عقابه. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):– (بسنده الحسن)– عن (قتادة): {وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا} قال: صارت كل خُلَّة في الدنيا عداوة على أهلها يوم القيامة إلا خُلَّة المتقين. (2)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):– {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {25} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} يَقُولُ لِقَوْمِهِ مقرعا لَهُمْ وَمُوَبِّخًا عَلَى سُوءِ صَنِيعِهِمْ، فِي عِبَادَتِهِمُ الْأَوْثَانَ: إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ هَذِهِ لِتَجْتَمِعُوا عَلَى عِبَادَتِهَا فِي الدُّنْيَا، صَدَاقَةً وَأُلْفَةً مِنْكُمْ، بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. وَهَذَا عَلَى قِرَاءَةِ مَنْ نَصَبَ.

{مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ}، عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ، وَأَمَّا عَلَى قِرَاءَةِ الرَّفْعِ فَمَعْنَاهُ: إِنَّمَا اتِّخَاذُكُمْ هَذَا يُحَصِّلُ لَكُمُ الْمَوَدَّةَ فِي الدُّنْيَا فَقَطْ.

{ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} يَنْعَكِسُ هَذَا الْحَالُ، فَتَبْقَى هَذِهِ الصَّدَاقَةُ وَالْمَوَدَّةُ بَغْضَةً وَشَنَآنًا،

فَـ {يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ} أَيْ: تَتَجَاحَدُونَ مَا كَانَ بَيْنَكُمْ،

{وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا} أَيْ: يَلْعَنُ الْأَتْبَاعُ الْمَتْبُوعِينَ، وَالْمَتْبُوعُونَ الْأَتْبَاعَ، {كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا} {الْأَعْرَافِ: 38}،

وَقَالَ تَعَالَى: {الأخِلاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلا الْمُتَّقِينَ} {الزُّخْرُفِ: 67}،

وَقَالَ هَاهُنَا {ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} أَيْ: وَمَصِيرُكُمْ وَمَرْجِعُكُمْ بَعْدَ عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ إِلَى النَّارِ، وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرٍ يَنْصُرُكُمْ، وَلَا مُنْقِذٍ يُنْقِذُكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ. وَهَذَا حَالُ الْكَافِرِينَ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَبِخِلَافِ ذَلِكَ. (3)

* * *

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (25)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمام (الطبري) (25/20). المحقق: الشيخ (أحمد شاكر).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (25).

[٢٦] ﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فآمن له (لوط) -عليه السلام-، وقال: (إبراهيم) -عليه السلام-: إني مهاجر إلى ربي إلى أرض الشام المباركة، إنه هو العزيز الذي لا يغالب، ولا يذل من هاجر إليه، الحكيم في تقديره وتدبيره. (1)

* * *

فصدَّق لوطٌ إبراهيمَ وتبع ملته. وقال إبراهيم: إني تارك دار قومي إلى الأرض المباركة وهي ‹الشام›، إن الله هو العزيز الذي لا يُغالَب، الحكيم في تدبيره. (2)

* * *

وكان أول من أجاب دعوة إبراهيم إلى الحق ‹لوط› فصدق وكان موحداً من قبل، وقال إبراهيم - مطيعاً لأمر الله -: إنى مهاجر إلى الجهة التى أمرنى ربى بالهجرة إليها والقيام بالدعوة إلى الله فيها. وهو العزيز الذى يمنعنى من أعدائى، الحكيم الذى لا يأمرنى إلا بما هو خير. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ} .... أي: آمن بإبراهيم لوط وهو ابن أخيه هاران ولم يؤمن من قومه سواه.

{مهاجر إلى ربي} .... أي: إلى حيث أعبد ربي فلا أفتن في ديني.

{مُهَاجِرٌ} ... تَارِكٌ دَارَ قَوْمِي إِلَى أَرْضِ الشَّامِ الْمُبَارَكَةِ.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {26} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ} فَقَالَ: لَهُ لوط صدقت يَا إِبْرَاهِيم {وَقَالَ} إِبْرَاهِيم {إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي} رَاجع إِلَى طَاعَة رَبِّي وَخرج من حران إِلَى فلسطين {إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ} بالنقمة مِنْهُم {الْحَكِيمُ} حكم التَّحْوِيل من بلد إِلَى بلد لقبل سَلامَة أمر الدّين وَالزِّيَادَة. (4)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {26} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ} يَعْنِي: صَدَّقَهُ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَ إِبْرَاهِيمَ وَكَانَ ابْنَ أَخِيهِ،

{وَقَالَ} يعني: {إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي} فَهَاجَرَ مِنْ كُوثَى وَهُوَ مِنْ سَوَادِ الْكُوفَةِ إِلَى حَرَّانَ ثُمَّ إِلَى الشَّامِ وَمَعَهُ لُوطٌ وَامْرَأَتُهُ سَارَةُ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ،

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (399/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (399/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (594/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوتِ) الآية (26) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

قَالَ: (مُقَاتِلٌ): هَاجَرَ إِبْرَاهِيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً، {إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}. (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ} الآيَةُ {26} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}.

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ إِبْرَاهِيمَ: أَنَّهُ آمَنَ لَهُ لُوطٌ، يُقَالُ: إِنَّهُ ابْنُ أَخِي إِبْرَاهِيمَ، يَقُولُونَ هُوَ: لُوطُ بْنُ هَارَانَ بْنِ آزَرَ، يَعْنِي: وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ سِوَاهُ، وَسَارَةُ امْرَأَةُ - إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ-. لَكِنْ يُقَالُ: كَيْفَ الْجَمْعُ بَيْنَ هَذِهِ الْآيَةِ،

وَبَيْنَ الْحَدِيثِ الْوَارِدِ فِي الصَّحِيحِ: أَنَّ إِبْرَاهِيمَ حِينَ مَرَّ عَلَى ذَلِكَ الْجَبَّارِ، فَسَأَلَ إِبْرَاهِيمَ عَنْ سَارَةَ: مَا هِيَ مِنْهُ؟ فَقَالَ: هِيَ أُخْتِي، ثُمَّ جَاءَ إِلَيْهَا فَقَالَ لَهَا: إِنِّي قَدْ قُلْتُ لَهُ: "إِنَّكِ أُخْتِي"، فَلَا تُكَذِّبِينِي، فَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ مُؤْمِنٌ غَيْرُكِ وَغَيْرِي، فَأَنْتِ أُخْتِي فِي الدِّينِ. (2) وَكَأَنَّ الْمُرَادَ مِنْ هَذَا -والله أعلم -أنه ليس على وجه الْأَرْضِ زَوْجَانِ عَلَى الْإِسْلَامِ غَيْرِي وَغَيْرُكِ، فَإِنَّ لُوطًا- عَلَيْهِ السَّلَامُ، آمَنَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ، وَهَاجَرَ مَعَهُ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ، ثُمَّ أرسل فِي حَيَاةِ الْخَلِيلِ إِلَى أَهْلِ "سَدُومَ" وَإِقْلِيمِهَا، وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ مَا تَقَدَّمَ وَمَا سيأتي.

وَقَوْلُهُ: {وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي} يَحْتَمِلُ عَوْدَ الضَّمِيرِ فِي قَوْلِهِ: {وَقَالَ}، عَلَى لُوطٍ، لِأَنَّهُ أَقْرَبُ الْمَذْكُورَيْنِ، وَيَحْتَمِلُ عَوْدَهُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ.

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ)، وَ(الضَّحَّاكُ): وَهُوَ الْمُكَنَّى عَنْهُ بِقَوْلِهِ: {فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ} أَيْ: مِنْ قَوْمِهِ.

ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْهُ بِأَنَّهُ اخْتَارَ الْمُهَاجَرَةَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ، ابْتِغَاءَ إِظْهَارِ الدِّينِ وَالتَّمَكُّنِ مِنْ ذَلِكَ" وَلِهَذَا قَالَ: {إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ} أَيْ: لَهُ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ،

{الْحَكِيمُ} فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْكَامِهِ الْقَدَرِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ.

وَقَالَ: (قَتَادَةُ): هَاجَرَا جَمِيعًا مِنْ "كُوثَى"، وَهِيَ مِنْ سَوَادِ الْكُوفَةِ إِلَى الشَّامِ. قَالَ: وذكر لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((إِنَّهَا سَتَكُونُ هِجْرَةٌ بَعْدَ هِجْرَةٍ، يَنْحَازُ أَهْلُ الْأَرْضِ إِلَى مُهَاجَرِ إِبْرَاهِيمَ، وَيَبْقَى فِي الْأَرْضِ شرار أهلها، حتى تلفظهم أرضهم وتقذرهم رُوحُ اللَّهِ، وَتَحْشُرُهُمُ النَّارُ مَعَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ، تَبِيتُ مَعَهُمْ إِذَا بَاتُوا، وتَقِيلُ مَعَهُمْ إِذَا قَالُوا، وَتَأْكُلُ مَا سَقَطَ مِنْهُمْ)).

وَرَوَاهُ (أَحْمَدُ) عَنْ (أَبِي دَاوُدَ)، وَعَبْدِ الصَّمَدِ، كِلَاهُمَا عَنْ هِشَامٍ الدَّسْتُوائِيِّ، عَنْ (قَتَادَةَ)، بِهِ.

وَقَدْ رَوَاهُ (أَبُو دَاوُدَ) فِي (سُنَنِهِ)، فَقَالَ فِي كِتَابِ الْجِهَادِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي سُكْنَى الشَّامِ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (26).

(2) (صحيح): أخرجه الإمام (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (2371). – (كتاب: كتاب: الفضائل).

هِشَام، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ (قَتَادَة)، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ، عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم- يَقُولُ: ((سَتَكُونُ هِجْرَةٌ بَعْدَ هِجْرَةٍ، فَخِيَارُ أَهْلِ الْأَرْضِ أَلْزَمُهُمْ مُهَاجَرَ إِبْرَاهِيمَ، وَيَبْقَى فِي الْأَرْضِ شِرَارُ أَهْلِهَا تَلْفِظُهُمْ أَرَضُوهُمْ وتَقْذَرُهم نَفْسُ الرَّحْمَنِ، وَتَحْشُرُهُمُ النَّارُ مَعَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ)). (1) (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - رحمه الله - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {26} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}.

أي: لم يزل إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- يدعو قومه، وهم مستمرون على عنادهم، إلا أنه آمن له بدعوته لوط، الذي نبأه الله، وأرسله إلى قومه كما سيأتي ذكره.

{وَقَالَ} إبراهيم حين رأى أن دعوة قومه لا تفيدهم شيئا: {إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي} أي: هاجر أرض السوء، ومهاجر إلى الأرض المباركة، وهي الشام، {إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ} أي: الذي له القوة، وهو يقدر على هدايتكم، ولكنه حَكِيمٌ ما اقتضت حكمته ذلك، ولما اعتزلهم وفارقهم، وهم بحالهم، لم يذكر الله عنهم أنه أهلكهم بعذاب، بل ذكر اعتزاله إياهم، وهجرته من بين أظهرهم.

فأما ما يذكر في الإسرائيليات، أن الله تعالى فتح على قومه باب البعوض، فشرب دماءهم، وأكل لحومهم، وأتلفهم عن آخرهم، فهذا يتوقف الجزم به على الدليل الشرعي، ولم يوجد، فلو كان الله استأصلهم بالعذاب لذكره كما ذكر إهلاك الأمم المكذبة، ولكن لعل من أسرار ذلك، أن الخليل عليه السلام من أرحم الخلق وأفضلهم﴿وأحلمهم﴾ وأجلهم، فلم يدع على قومه كما دعا غيره، ولم يكن الله ليجري بسببه عذابا عاما.

ومما يدل على ذلك، أنه راجع الملائكة في إهلاك قوم لوط، وجادلهم، ودافع عنهم، وهم ليسوا قومه، والله أعلم بالحال. (3)

* * *

[٢٧] ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وأعطينا إبراهيم إسحاق وابنه يعقوب، وصيّرنا في أولاده النبوّة، والكتب المنزلة من عند الله، وأعطيناه ثواب صبره على الحق في الدنيا بصلاح الأولاد والثناء الحسن، وإنه في الآخرة ليُجْزَى جزاء الصالحين، لا

---

(1) (صحيح): أخرجه الإمام (أبو داود) في (السنن) برقم (2482) – (كتاب: الجهاد).
وأخرجه الإمام (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (209/2).
و(صححه) الإمام (الألباني) في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) برقم (3203).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (26).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (26)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

ينقص ما أعطي في الدنيا ما أعدّ له من الجزاء الكريم في الآخرة. (1)

* * *

ووهبنا له إسحاق ولداً، ويعقوب من بعده وَلَدَ وَلَد، وجعلنا في ذريته الأنبياء والكتب، وأعطيناه ثواب بلائه فينا، في الدنيا الذكر الحسن والولد الصالح، وإنه في الآخرة لمن الصالحين. (2)

* * *

ومَنَّ الله على إبراهيم بإسحاق ولده وبيعقوب حفيده، وكرَّمه بأن جعل النبوات فى ذريته، وأنزل عليهم الكتب السماوية، وجزاه الله أحسن الجزاء فى الدنيا، وهو فى الآخرة من خيار الصالحين. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{ووَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ} .... أي: هاجر لأجلنا فأكرمناه في دار هجرته فوهبنا له ذرية هم إسحاق الابن ويعقوب الحفيد.

{فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ} .... فكل الأنبياء بعده من ذريته وكل الكتب التي أنزلت بعده فهي في ذريته.

{وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا} ..... وذلك بالرزق الحسن والثناء الحسن على ألسنة كافة الناس من أهل الأديان الإلهية.

{أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا} ... بِالذِّكْرِ الحَسَنِ، وَالوَلَدِ الصَّالِحِ وَالنُّبُوَّةِ فِي ذُرِّيَّتِهِ.

{وإنه في الآخرة من الصالحين} ..... أي: هو أحدهم، فيكرم كما يكرمون بالدرجات العلا، والصالحون هم أنبياء الله ورسله وأولياؤه وصالحو عباده.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآيَة {27} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ووَهَبْنَا لَهُ} لإِبْرَاهِيم {إِسْحَاقَ} ولدا {وَيَعْقُوب} ولد الْوَلَد {وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ} نَسْله {النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ} يَقُول أكرمنا ذُرِّيَّته بِالنُّبُوَّةِ وَالْكتاب وَالْولد الطّيب وَكَانَ فيهم الْأَنْبِيَاء والكتب {وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا} أكرمناه بِالنُّبُوَّةِ وَالثَّنَاء الْحسن وَالْولد الطّيب فِي الدُّنْيَا {وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَة لَمِنَ الصَّالِحِينَ} مَعَ آبَائِهِ الْمُرْسلين فِي الْجنَّة. (4)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآيَة {27} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ووَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ} يُقَالُ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مِنْ نَسْلِهِ،

{وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا} وَهُوَ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ فَكُلُّ أَهْلِ الْأَدْيَانِ يَتَوَلَّوْنَهُ،

وَقَالَ: (السُّدِّيّ): هُوَ الْوَلَدُ الصَّالِحُ، يَعْنِي:- هُوَ أَنَّهُ رَأَى مَكَانَهُ فِي الْجَنَّةِ،

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (399/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (399/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (594/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوتِ) الآية (27) يِنسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

{وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} أيْ: في زُمْرَةِ الصَّالِحِينَ. قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): مِثْلَ آدَمَ وَنُوحٍ.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآيَةُ {27} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ} أي: بعد ما هاجر إلى الشام. {وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ} فلم يأت بعده نبي إلا من ذريته، ولا نزل كتاب إلا على ذريته، حتى ختموا بالنبي محمد - صلى الله عليه وسلم- وعليهم أجمعين.

وهذا ﴿من﴾ أعظم المناقب والمفاخر، أن تكون مواد الهداية والرحمة والسعادة والفلاح في ذريَّته، وعلى أيديهم اهتدى المهتدون، وآمن المؤمنون، وصلح الصالحون.

{وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا} من الزوجة الجميلة فائقة الجمال، والرزق الواسع، والأولاد، الذين بهم قرت عينه، ومعرفة الله ومحبته، والإنابة إليه.

{وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} بل هو ومحمد -صلى الله عليهما وسلم- أفضل الصالحين على الإطلاق، وأعلاهم منزلة، فجمع الله له بين سعادة الدنيا والآخرة.(2)

* * *

قال: الإمامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآيَةُ {27} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ}، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا} {مريم: 49}.

أَيْ: إِنَّهُ لَمَّا فَارَقَ قومه أَقَرَّ اللَّهُ عَيْنَهُ بِوُجُودِ وَلَدٍ صَالِحٍ نَبِيٍّ وَوُلِدَ لَهُ وَلَدٌ صَالِحٌ فِي حَيَاةِ جَدِّهِ. وَكَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ: {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً} {الأنبياء: 72}.

أَيْ: زِيَادَةً، كَمَا قَالَ: {فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ} أيْ: ويولد لهذا الْوَلَدِ وَلَدٌ فِي حَيَاتِكُمَا، تَقَرُّ بِهِ أَعْيُنُكُمَا. وَكَوْنُ يَعْقُوبَ وَلَدٌ لِإِسْحَاقَ نَصَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ، وَثَبَتَتْ بِهِ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ،

قَالَ اللَّهُ: {أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} {الْبَقَرَة: 133}،

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ: ((إِنَّ الْكَرِيمَ ابْنَ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ يوسفُ بْنَ يعقوبَ بْنَ إسحاقَ بْنَ إبْرَاهِيمَ)).(3)

فَأَمَّا مَا رَوَاهُ (الْعَوْفِيُّ) عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) فِي قَوْلِهِ: {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً}، قَالَ: "هُمَا وَلَدَا إِبْرَاهِيمَ". فَمَعْنَاهُ: أَنَّ وَلَدَ الْوَلَدِ بِمَنْزِلَةِ الْوَلَدِ" فَإِنَّ هَذَا أَمْرٌ لَا يَكَادُ يَخْفَى عَلَى مَنْ هُوَ دُونَ (ابْنِ عَبَّاسٍ).

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (27).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (27)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) (صحيح): أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3390). – (كتاب: أحاديث الأنبياء، ولم أجده عند مسلم).

وقَوْلُـهُ: {وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ}، هَذه خلْعَة سَنية عَظيمَة، مَع اتِّخَاذ اللَّه إيَّاهُ خَليلًا وجعْله للنَّاس إمَامًا، أَنْ جَعلَ فِي ذُرِّيَّته النُّبُوَّةَ وَالْكِتَاب، فَلَمْ يُوجَدْ نَبِيٌّ بَعْدَ إِبْراهيمَ -عَلَيْه السَّلَامُ، إلا وهُوَ مِنْ سُلَالَته، فَجَميعُ أَنْبِيَاء بَنِي إسْرَائيل مِنْ سُلالة يَعْقُوبَ بْنِ إسْحَاقَ بْنِ إبْرَاهيم، حَتَّى كَانَ آخرُهُمْ عيسَى ابْنَ مَريَم، فَقَامَ فِي مَلَئهم مُبَشِّرًا بِالنَّبِيِّ الْعَرَبِيِّ الْقُرَشِيِّ الْهَاشِمِيِّ، خَاتَم الرُّسُل عَلَى الْإِطْلَاق، وَسَيِّد وَلَد آدَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخرَة، الَّذي اصْطَفَاهُ اللَّهُ مِنْ صَميم الْعَرَب الْعرْبَاء، مِنْ سُلَالَة إسْمَاعيلَ بْنِ إبْرَاهيم، عَلَيْهمُ السَّلَامُ: وَلَمْ يُوجَدْ نَبِيٌّ مِنْ سُلَالَة إسْمَاعيلَ سِوَاهُ، عَلَيْه أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَام منَ اللَّه تَعَالَى .

وقَوْلُهُ: {وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} أَيْ: جَمعَ اللَّهُ لَهُ بَيْنَ سَعَادَة الدُّنْيَا الْمَوْصُولَة بِسَعَادَة الْآخرَة، فَكَانَ لَهُ فِي الدُّنْيَا الرِّزْقُ الْوَاسعُ الْهَنيّ وَالْمَنْزِلُ الرَّحْب، وَالْمَوْردُ الْعَذْبُ، وَالزَّوْجَةُ الْحَسَنَةُ الصَّالحَةُ، وَالثَّنَاءُ الْجَميلُ، وَالذِّكْرُ الْحَسَنُ، فَكُلُّ أَحَدٍ يُحبُّهُ وَيَتَوَلَّاهُ، كَمَا قَالَ: (ابْنُ عَبَّاس)، وَ(مُجَاهدٌ)، و(قَتَادَةُ) وَغَيْرُهُمْ، مَعَ الْقيَام بِطَاعَة اللَّه منْ جَميع الْوُجُوه،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى} {النَّجْم: 37}، أَيْ: قَامَ بِجَميع مَا أُمِرَ به، وكَمَّلَ طَاعَةَ رَبِّه"

وَلهَذَا قَالَ تَعَالَى: {وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ}، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} {النحل: 120-121}.(1)

* * *

[٢٨] ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

واذكر -أيها الرسول- ﷺ- لوطًا حين قال لقومه: إنكم لتأتون الذنب القبيح ما سبقكم إلى الإتيان به أحد من العالمين قبلكم، فأنتم أول من ابتدع هذا الذنب الذي تأباه الفطر السليمة.(2)

* * *

واذكر -أيها الرسول- ﷺ- لوطًا حين قال لقومه: إنكم لتأتون الفعلة القبيحة، ما تَقَدَّمكم بفعلها أحد من العالمين.(3)

* * *

واذكر - أيها الرسول- ﷺ- إذ أرسلنا لوطاً إلى قومه، فدعاهم إلى توحيد الله وطاعته، وأنكر عليهم العمل الفاحش الذى كانوا

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَام (ابن كثير) في سُورَة (العَنْكَبُوت) الآية (27).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (399/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (399/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

يفعلونه ولم يسبقهم إلى فعله أحد من خلق الله.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{ولوطاً إذ قال لقومه} .... أي: اذكر إذ قال لوط بن هاران لقومه أهل سدوم.

{أئنكم لتأتون الفاحشة} .... أي: الخصلة القبيحة وهي إتيان الذكران في أدبارهم.

{ما سبقكم بها من أحد} ...... أي: لم تعرف البشرية قبل قوم لوط إتيان الذكران في أدبارهم.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) -: {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {28} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلُوطاً} أرسلنا لوطاً إلى قومه {إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُم لتأتون الْفَاحِشَةَ} للواطة {مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالمين} يَقُول لم يعْمل قبلكُم أحد من الْعَالمين عملكُم الْخَبِيث.(2)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {28} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ} قرأ (أبو عَمْرو)، و(حَمْزَة)، و(الْكِسَائِيُّ)، و(أبو بكر): أَإِنَّكُمْ بِالِاسْتِفْهَامِ،

وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: بِلَا اسْتِفْهَامٍ، وَاتَّفَقُوا عَلَى اسْتِفْهَامِ الثَّانِيَةِ، {لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ} وَهِيَ إِتْيَانُ الرِّجَالِ، {مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ}.(3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {28} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ}

تقدم أن لوطا -عليه السلام- آمن لإبراهيم، وصار من المهتدين به، وقد ذكروا أنه ليس من ذرية إبراهيم، وإنما هو ابن أخي إبراهيم.

فقوله تعالى: {وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ} وإن كان عاما، فلا يناقض كون لوط نبيا رسولا وهو ليس من ذريته، لأن الآية جيء بها لسياق المدح والثناء على الخليل، وقد أخبر أن لوطا اهتدى على يديه، ومن اهتدى على يديه أكمل ممن اهتدى من ذريته بالنسبة إلى فضيلة الهادي، والله أعلم.(4)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {28} قَوْلُهُ تَعَالَى:

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (595/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (28) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ . (العَنْكَبُوت) الآية (28).

(4) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (28)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

{وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ}.

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ نَبِيِّهِ لُوط عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِنَّهُ أَنْكَرَ عَلَى قَوْمِهِ سُوءِ صَنِيعِهِمْ، وَمَا كَانُوا يَفْعَلُونَهُ مِنْ قَبِيحِ الْأَعْمَالِ، فِي إِتْيَانِهِمُ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ.(1)

* * *

أخرج -الإمام (البستي) - (رحمه الله) -(بسنده):- (بسنده الحسن)- عن (الضحاك): يقول: قوله جل ذكره {فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي} إبراهيم القائل: إني مهاجر إلى ربي.(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن)- عن (علي بن أبي طلحة)- عن (ابن عباس): {وآتيناه أجره في الدنيا} يقول: الذكر الحسن.(3)

* * *

أخرج - الإمام (عبد الرزاق) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح)- عن (قتادة): قوله تعالى: {وآتيناه أجره في الدنيا} قال: هي كقوله: {وآتيناه في الدنيا حسنة} قال: وقال: ليس من أهل دين إلا وهم يتولونه.(4)

* * *

أخرج- الإمام (آدم بن أبي إياس) - (رحمه الله) - (بسنده الصحيح)- عن (مجاهد): (وتأتون في ناديكم المنكر) قال: المجالس، والمنكر: إتيانهم الرجال.(5)

* * *

أخرج - الإمام (عبد الرزاق) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح)- عن (قتادة): تلا: (إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها) قال: لا تجد المؤمن إلا يحوط هذا المؤمن حيث كان.(6)

* * *

وانظر: سورة - (الأعراف) - آية (83) لبيان قوله تعالى: {لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين} أي: الباقين في عذاب الله تعالى.

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن)- عن (قتادة): قوله: (وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا) قال: بالضيافة مخافة عليهم مما يعلم من شرّ قومه.(7)

* * *

أخرج - الإمام (عبد الرزاق) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح)- عن (قتادة): في قوله: (سيء بهم) قال: ساء ظنه بقومه وضاق بضيفه ذرعا.(8)

* * *

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (28).

(2) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (69/4)، للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين)).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (20/).
المحقق: الشيخ (أحمد شاكر).

(4) انظر: (تفسير عبد الرزاق) في سورة (العنكبُوت) - الآية (28).

(5) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (70/4)، للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين)).

(6) انظر: (تفسير عبد الرزاق) في سورة (العنكبُوت) - الآية (28).

(7) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (32/20).
المحقق: الشيخ (أحمد شاكر).

(8) انظر: (تفسير عبد الرزاق) في سورة (العنكبُوت) - الآية (28).

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن)- عن (قتادة): (إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا) أي: عذابا.[1]

* * *

أخرج – الإمام (عبد الرزاق) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الصحيح)- عن (قتادة): في قوله تعالى: (ولقد تركنا منها آية بينة) قال: هي الحجارة التي أبقاها الله.[2]

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: {وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (28) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (29) قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (30) وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ (31) قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (32) وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (33) إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (34) وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (35)}.

وفيها قصة (لوط) مع قومه وقد فصلت في سورة -(الأعراف) - آية (80-84)، - كما قال تعالى: {وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (80) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (81)}.

* * *

وانظر: سورة - (هود) - آية (77-83)، - كما قال تعالى: {وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (77) وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (78) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (79) قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ (80) قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (81) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (82) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (83)}.

* * *

وانظر: سورة- (الحجر) – آية (57-77)، - كما قال تعالى: {قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (57) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (58) إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (20/).
المحقق: الشيخ (أحمد شاكر)،
(2) انظر: (تفسير عبد الرزاق) في سورة (العنكبوت) - الآية (28)،

أَجْمَعِينَ (59) إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ (60) فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ (61) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (62) قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (63) وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (64) فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (65) وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاَءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ (66) وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ (67) قَالَ إِنَّ هَؤُلاَءِ ضَيْفِي فَلاَ تَفْضَحُونِ (68) وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلاَ تُخْزُونِ (69) قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ (70) قَالَ هَؤُلاَءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (71) لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (72) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (73) فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ (74) إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ (75) وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ (76) إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (77)﴾.

* * *

وانظر: سورة – (الأنبياء) – آية (71-75)، – **كما قال تعالى**: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (71) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلاًّ جَعَلْنَا صَالِحِينَ (72) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (73) وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ (74) وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (75)﴾.

* * *

وانظر: سورة – (الشعراء) – آية (161-175)، – **كما قال تعالى**: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلاَ تَتَّقُونَ (161) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (162) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (163) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (164) أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (165) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (166) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (167) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ (168) رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (169) فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (170) إِلاَّ عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (171) ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ (172) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (173) إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (174) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (175)﴾.

* * *

وسورة –(النمل) – آية (54-58). – **كما قال تعالى**: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (54) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (55) فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (56) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ

امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ (57) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (58)﴾.

* * *

[٢٩] ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

أإنكم لتأتون الذكران في أدبارهم لقضاء شهوتكم، وتقطعون الطريق على المسافرين فلا يمرون بكم خشية ما ترتكبونه من الفاحشة، وتأتون في مجالسكم الأفعال المنكرة كالعري وإيذاء من يمرّ بكم بالقول والفعل؟ فما كان جواب قومه له بعد نهيه لهم عن فعل المنكرات إلا أن قالوا له: ائتنا بعذاب الله الذي تهددنا به إن كنت صادقًا فيما تدّعيه.(1)

* * *

إنكم لتأتون الرجال في أدبارهم، وتقطعون على المسافرين طرقهم بفعلكم الخبيث، وتأتون في مجالسكم الأعمال المنكرة كالسخرية من الناس، وحذف المارة، وإيذائهم بما لا يليق من الأقوال والأفعال؟ وفي هذا إعلام بأنه لا يجوز أن يجتمع الناس على المنكر مما نهى الله ورسوله عنه. فلم يكن جواب قوم لوط له إلا أن قالوا: جئنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين فيما تقول، والمنجزين لما تَعِد.(2)

* * *

إن ما تفعلونه منكر مُهلك. فإنكم تفعلون الفاحشة بالرجال، وتقطعون سبيل النسل، فيكون المآل الفناء. وترتكبون في مجتمعاتكم المنكرات دون خوف من الله ولا حياء فيما بينكم. فلم يستمع له قومه، ولم يكن لهم جواب غير السخرية به، وطلبوا منه أن يُعجِّل بعذاب الله يُهددهم به إن كان صادقاً فيما يقول.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وتقطعون السبيل} ..... أي: باعتدائكم على المارة في السبيل فامتنع الناس من المرور خوفاً منكم.

{وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ} ... تَقْطَعُونَ طُرُقَ المُسَافِرِينَ بِفِعْلِكُمُ الفَاحِشَةَ بِهِمْ.

(أي: تَقْطَعُونَ الطَّرِيقَ بِالْقَتْلِ وَأَخْذِ المَالِ).

{وتأتون في ناديكم المنكر} ...... أي: مجالس أحاديثكم تأتون المنكر كالضراط وحل الإزار والفاحشة أي اللواط.

{فِي نَادِيكُمُ} ... فِي مَجْلِسِكُمْ.

{نَادِيكُمْ} ... مَجْلِسُكُمُ الَّذِي تَجْتَمِعُونَ فِيهِ.

{الْمُنْكَرَ} ... الأَعْمَالَ الْمُنْكَرَةَ" كَالسُّخْرِيَةِ مِنَ النَّاسِ، وَقَذْفِ المَارَّةِ.

{فما كان جواب قومه} .... أي: إلا قولهم ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين.

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (399/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (399/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (595/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {29} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ} أدبار الرِّجَال {وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ} نسل الْوَلَد وَيُقَال تقطعون السَّبِيل على من مر بكم من الغرباء {وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكر} تعْمَلُونَ فِي مجالسكم الْمُنكر نَحْو عشر خِصَال كَانُوا يعملونها فِي مجالسهم مثل الْحَذف بالبندق وَالْفُحْش وَغير ذَلِك {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ} فَلم يكن جَوَاب قوم لوط {إِلاَّ أَن قَالُواْ ائتنا بِعَذَابِ اللهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} بمجيء عَذَاب الله علينا إن لم نؤمن.(1)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {29} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ} وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَفْعَلُونَ الْفَاحِشَةَ بِمَنْ يَمُرُّ بِهِمْ مِنَ الْمُسَافِرِينَ، فَتَرَكَ النَّاسُ الْمَمَرَّ بِهِمْ، يَعْنِي:- تَقْطَعُونَ سَبِيلَ النَّسْلِ بِإِيثَارِ الرِّجَالِ عَلَى النِّسَاءِ، {وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ} النَّادِي وَالنَّدَى وَالْمُنْتَدَى مَجْلِسُ الْقَوْمِ ومتحدثهم {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ} لَمَّا أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ لُوطٌ مَا يَأْتُونَهُ مِنَ الْقَبَائِحِ، {إِلا أَنْ قَالُوا} لَهُ اسْتِهْزَاءً {ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} أَنَّ الْعَذَابَ نَازِلٌ بِنَا، فَعِنْدَ ذلك.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {29} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ}.

فأرسل الله لوطا إلى قومه، وكانوا مع شركهم، قد جمعوا بين فعل الفاحشة في الذكور، وتقطيع السبيل، وفشو المنكرات في مجالسهم، فنصحهم لوط عن هذه الأمور، وبيَّن لهم قبائحها في نفسها، وما تئول إليه من العقوبة البليغة، فلم يرعووا ولم يذكروا.

{فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} فأيس منهم نبيهم، وعلم استحقاقهم العذاب، وجزع من شدة تكذيبهم له، فدعا عليهم.(3)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {29} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (29) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامُ (البغوي) سُورَةُ . (العَنْكَبُوت) الآية (29).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (29)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

قَوْمِهِ إِلا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ}.

وَلَمْ يَسْبِقْهُمْ إِلَى هَذِهِ الْفَعْلَةِ أَحَدٌ مِنْ بَنِي آدَمَ قَبْلَهُمْ. وَكَانُوا مَعَ هَذَا يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ، وَيُكَذِّبُونَ رَسُولَهُ وَيُخَالِفُونَهُ وَيَقْطَعُونَ السَّبِيلَ، أَيْ: يَقِفُونَ فِي طَرِيقِ النَّاسِ يَقْتُلُونَهُمْ وَيَأْخُذُونَ أَمْوَالَهُمْ،

{وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ} أَيْ: يَفْعَلُونَ مَا لَا يَلِيقُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ فِي مَجَالِسِهِمُ الَّتِي يَجْتَمِعُونَ فِيهَا، لَا يُنْكِرُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ،

فَمِنْ قَائِلٍ: كَانُوا يَأْتُونَ بَعْضَهُمْ بَعْضًا فِي الْمَلَأِ قَالَهُ (مُجَاهِدٌ).

وَمِنْ قَائِلٍ: كَانُوا يَتَضَارَطُونَ وَيَتَضَاحَكُونَ" قَالَتْهُ (عَائِشَةُ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَالْقَاسِمُ.

وَمِنْ قَائِلٍ: كَانُوا يُنَاطِحُونَ بَيْنَ الْكِبَاشِ، وَيُنَاقِرُونَ بَيْنَ الدُّيُوكِ، وَكُلُّ ذَلِكَ كَانَ يَصْدُرُ عَنْهُمْ، وَكَانُوا شَرًّا مِنْ ذَلِكَ.

وَقَالَ: (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ): حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَرَفَةَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ، عَنِ الْحَكَمِ، عَنْ (مُجَاهِدٍ): {وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ} قَالَ: الصَّفِيرُ، وَلَعِبُ الْحَمَامِ وَالْجُلَاهِقُ، وَالسُّؤَالُ فِي الْمَجْلِسِ، وَحَلُّ أَزْرَارِ الْقَبَاءِ.

وَقَوْلُهُ: {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ}، وَهَذَا مِنْ كُفْرِهِمْ وَاسْتِهْزَائِهِمْ وَعِنَادِهِمْ. (1)

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةْ (العَنْكَبُوت) الآية (29).

* * *

[٣٠] ﴿ قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

قال: (لوط)- عليه السلام- داعيًا ربه بعد تعنُّت قومه وطلبهم إنزال العذاب عليهم استخفافًا به: ربِّ انصرني على القوم المفسدين في الأرض بما ينشرونه من الكفر والمعاصي المستقبحة. (2)

* * *

قال: رب انصرني على القوم المفسدين بإنزال العذاب عليهم" حيث ابتدعوا الفاحشة وأصرُّوا عليها، فاستجاب الله دعاءه. (3)

* * *

فاستعان لوط عليهم بالله، وطلب أن ينصره على قومه المفسدين فى الأرض. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{قَالَ} .... لوط.

{رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ} .... بتصديق قولي.

{عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ} .... لحملهم الناس على ما لا يجوز.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (399/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (399/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (595/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {30} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالَ} لوط {رَبِّ انصرني} أعني بالعذاب {عَلَى الْقَوْمِ المفسدين} الْمُشْركين. (1)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {30} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالَ} لُوطٌ، {رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ} بتحقيق قولي في العذاب. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {30} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ} فاستجاب الله دعاءه، فأرسل الملائكة لإهلاكهم. (3)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {30} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ}. وَلِهَذَا اسْتَنْصَرَ عَلَيْهِمْ نَبِيُّ اللَّهِ فَقَالَ: {رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ}. (4)

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (30) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامُ (البغوي) سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (30).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (30)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامُ (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (30).

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ (31) قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (32) وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (33) إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (34) وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (35) وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (36) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (37) وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (38)

* * *

﴿من فوائد الآيات﴾
﴿سُورَةُ العَنْكَبُوت: 24- 30﴾

- عناية الله بعباده الصالحين حيث ينجيهم من مكر أعدائهم.
- فضل الهجرة إلى الله.
- عظم منزلة إبراهيم وآله عند الله تعالى.
- تعجيل بعض الأجر في الدنيا لا يعني نقص الثواب في الآخرة.
- قبح تعاطي المنكرات في المجالس العامة. (5)

* * *

[٣١] ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾:

---

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (399/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولما جاءت الملائكة الذين بعثناهم يبشرون إبراهيم عليه السلام بإسحاق ومن بعده ابنه يعقوب قالوا له: إنا مهلكو أهل قرية سَدُوم قرية قوم (لوط)" إن أهلها كانوا ظالمين بما يقومون به من فعل الفاحشة. (1)

* * *

ولما جاءت الملائكة إبراهيم بالخبر السارِّ من الله بإسحاق، ومن وراء إسحاق ولده يعقوب، قالت الملائكة لإبراهيم: إنا مهلكو أهل قرية قوم لوط، وهي ‹ سدوم › " إنَّ أهلها كانوا ظالمي أنفسهم بمعصيتهم لله. (2)

* * *

وحين جاءت ملائكة الله إلى إبراهيم - عليه السلام - مبشرين، قالوا: إن أمرهم بإهلاك أهل هذه القرية بسبب إفسادهم وظلمهم أنفسهم بالشرك وارتكاب الفاحشة. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{بِالْبُشْرَى} ... بِالخَبَرِ السَّارِّ، وَهُوَ: البِشَارَةُ بِإِسْحَاقَ - عليه السلام -.

{بالبشرى} .... أي: إسحاق ويعقوب بعده.

{هذه القرية} .... أي: قرية لوط وهي سدوم.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) -: {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {31} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيم} جِبْرِيل وَمن مَعَه من الْمَلَائِكَة إِلَى إِبْرَاهِيم {بالبشرى} فبشروه بِالْوَلَد {قَالُوا} لإِبْرَاهِيم {إِنَّا مهلكو أَهْل هَذِه الْقرْيَة} قريات لوط {إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَالِمِينَ} مُشْرِكين اجترحوا الْهَلَاك على أنفسهم بعملهم الْخَبِيث. (4)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {31} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى} مِنَ اللَّهِ بِإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، {قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ} يَعْنِي: قَوْمَ لُوطٍ، وَالْقَرْيَةُ سَدُومُ، {إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ}. (5)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {31} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ}.

فمروا بإبراهيم قبل، وبشروه بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، ثم سألهم إبراهيم أين يريدون؟ فأخبروه أنهم يريدون إهلاك قوم لوط، فجعل يراجعهم. (6)

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (400/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (400/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (595/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوتِ) الآية (31) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(5) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامُ (البغوي) سُورَةُ. (العَنْكَبُوت) الآية (31).

(6) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (31)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (إِبْنُ كَثِيرٍ) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآيَة {31-34} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ (31) قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (32) وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لا تَخَفْ وَلا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (33) إِنَّا مُنزلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (34)}.

لَمَّا اسْتَنْصَرَ لُوطٌ – عَلَيْهِ السَّلَامُ، اللَّهَ عَلَيْهِمْ، بَعَثَ اللَّهُ لِنُصْرَتِهِ مَلَائِكَةً فَمَرُّوا عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي هَيْئَةِ أَضْيَافٍ، فَجَاءَهُمْ بِمَا يَنْبَغِي لِلضَّيْفِ، فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا هِمَّةَ لَهُمْ إِلَى الطَّعَامِ نَكِرَهُمْ، وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً، فَشَرَعُوا يُؤَانِسُونَهُ وَيُبَشِّرُونَهُ بِوُجُودِ وَلَدٍ صَالِحٍ مِنَ امْرَأَتِهِ سَارَّةَ –وَكَانَتْ حَاضِرَةً– فَتَعَجَّبَتْ مِنْ ذَلِكَ، كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ فِي سُورَةِ (هُودٍ) وَ(الْحِجْرِ). فَلَمَّا جَاءَتْ إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى، وَأَخْبَرُوهُ بِأَنَّهُمْ أُرْسِلُوا لِهَلَاكِ قَوْمِ لُوطٍ، أَخَذَ يُدَافِعُ لَعَلَّهُمْ يُنْظَرُونَ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَهُمْ، وَلَمَّا قَالُوا: {إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ}، {قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ} أَيْ: مِنَ الْهَالِكِينَ" لِأَنَّهَا كَانَتْ تُمَالِئُهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَبَغْيِهِمْ وَدُبُرِهِمْ.

ثُمَّ سَارُوا مِنْ عِنْدِهِ فَدَخَلُوا عَلَى لُوطٍ فِي صُورَةِ شَبَابٍ حِسَانٍ، فَلَمَّا رَآهُمْ كَذَلِكَ، {سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا} أَيْ: اهْتَمَّ بِأَمْرِهِمْ، إِنْ هُوَ أَضَافَهُمْ خَافَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَوْمِهِ، وَإِنْ لَمْ يُضِفْهُمْ خَشِيَ عَلَيْهِمْ مِنْهُمْ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِأَمْرِهِمْ فِي السَّاعَةِ الرَّاهِنَةِ.

{قَالُوا لا تَخَفْ وَلا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ * إِنَّا مُنزلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ}، وَذَلِكَ أَنَّ جِبْرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ اقْتَلَعَ قُرَاهُمْ مِنْ قَرَارِ الْأَرْضِ، ثُمَّ رَفَعَهَا إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ، ثُمَّ قَلَبَهَا عَلَيْهِمْ. وَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ، مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ، وَجَعَلَ اللَّهُ مَكَانَهَا بُحَيْرَةً خَبِيثَةً مُنْتِنَةً، وَجَعَلَهُمْ عِبْرَةً إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ، وَهُمْ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْمَعَادِ". (1)

* * *

[٣٢] ﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلاَ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

قال: (إبراهيم)– عليه السلام– للملائكة: إن في هذه القرية التي تريدون إهلاك أهلها لوطًا، وليس هو من الظالمين، قالت الملائكة: نحن أعلم بمن فيها، لننقذنّه وأهله من الهلاك المنزل على أهل القرية إلا امرأته

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) لِلْإِمَامُ (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (31-34).

كانت من الباقين الهالكين، فسنهلكها معهم.(1)

* * *

قال: إبراهيم للملائكة: إنَّ فيها لوطًا وليس من الظالمين، فقالت الملائكة له: نحن أعلم بمن فيها، لننجِّينَّه وأهله من الهلاك الذي سينزل بأهل قريته إلا امرأته كانت من الباقين الهالكين.(2)

* * *

قال: إبراهيم - عليه السلام - للملائكة: إن في القرية لوطاً، وكيف تهلكونهم وهو فيهم؟ فأجابته الملائكة: بأنهم يعلمون من فيها، وأنهم ينجون لوطاً وأهله من العذاب، إلا امرأته فإنها في الهالكين لكفرها وإساءتها.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{قالوا نحن أعلم بمن فيها} ..... أي: قالت الرسل نحن أعلم بمن فيها.

{كانت من الغابرين} .... أي: كانت في علم الله وحكمه من الباقين في العذاب.

{الْغَابِرِينَ} ... الْبَاقِينَ فِي الْعَذَابِ.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) -:{ سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ} الآية {32} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{قَالَ} إِبْرَاهِيم {إِنَّ فِيهَا لُوطاً} كَيفَ تهلكهم يَا جبْرِيل {قَالُواْ} يَعْنِي: جبْرِيل وَمن مَعَه من الْمَلَائِكَة {نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ} ابْنَتَيْه زاعورا وريثا {إِلاَّ امْرَأَتَهُ} واعلة المنافقة {كَانَتْ مِنَ الغابرين} تتخلف مَعَ المتخلفين بِالْهَلَاك.(4)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- { سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ} الآية {32} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{قَالَ} إِبْرَاهِيمُ لِلرُّسُلِ، {إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا} قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ. {نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ} قرأ: (حمزة)، و(الكسائي)، و(يعقوب): (لَنُنْجِيَنَّهُ) بِالتَّخْفِيفِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: بِالتَّشْدِيدِ، {وَأَهْلَهُ إِلا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ} أَيِ: الْبَاقِينَ فِي الْعَذَابِ.(5)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- { سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ} الآية {32} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ فِيهَا لُوطًا} فقالوا له: {لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ} ثم مضوا حتى أتوا لوطا، فساءه مجيئهم، وضاق بهم ذرعا، بحيث إنه لم يعرفهم، وظن أنهم من

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (400/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (400/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (595/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

(4) انظُر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوتِ) الآية (32) يِنسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(5) انظُر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ . (العَنْكَبُوتِ) الآية (32).

جملة أبناء السبيل الضيوف، فخاف عليهم من قومه، (1)

* * *

[٣٣] ﴿ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولما أتت الملائكة الذين بعثناهم لإهلاك قوم لوط لوطًا ساءه وأحزنه مجيئهم خوفًا عليهم من خبث قومه، فقد جاءته الملائكة في شكل رجال، وقومه يأتون الرجال شهوة من دون النساء، وقال له الملائكة: لا تخف، فلن يصل إليك قومك بسوء، ولا تحزن على ما أخبرناك من إهلاكهم، إنا منقذوك وأهلك من الهلاك، إلا امرأتك كانت من الباقين الهالكين، فسنهلكها معهم. (2)

* * *

ولما جاءت الملائكة لوطًا ساءه ذلك" لأنه ظنهم ضيوفًا من البشر، وحزن بسبب وجودهم" لعلمه خبث فعل قومه، وقالوا له: لا تَخَفْ علينا لن يصل إلينا قومك، ولا تحزن مما أخبرناك من أنا مهلكوهم، إنَّا منجُّوك من العذاب النازل بقومك ومنجُّو أهلك معك إلا أمرأتك، فإنها هالكة فيمن يهلك من قومها. (3)

* * *

ولما ذهب الملائكة المرسلون إلى لوط ورآهم حزن، لخوفه عليهم من عدوان قومه، وعجزت حيلته فيما يتعلق بحمايتهم، فطمأنوه وقالوا له: لا تخْشَيَنَّ عدوان قومك علينا، ولا تحزن من أجلنا، فقد أتينا لإهلاك أهل هذه القرية، وسننجيك وأهلك، ولكن امرأتك لكفرها ستكون مع الهالكين. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{سِيءَ بِهِمْ} ... سَاءَهُ مَجِيئُهُمْ خَوْفًا عَلَيْهِمْ مِنْ قَوْمِهِ أَنْ يَفْعَلُوا بِهِمُ الفَاحِشَةَ.

{سِيءَ بِهِمْ} ... حَصَلَتْ لَهُ مساءة وغمٌّ مَخَافَةَ أن يَقْصِدَهُمْ قَوْمُهُ بِسُوءٍ.

(أي: حصلت لهم مساءة وغم بسبب مخافة أن يقصدهم قومه بسوء).

{وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا} ... ضَاقَ صَدْرُهُ، وَحَزِنَ خَوْفًا عَلَيْهِمْ.

{وضاق بهم ذرعاً} .... أي: عجز عن احتمال الأمر لخوفه من قومه أن ينالوا ضيفه بسوء.

{ذَرْعًا} ... ضَاقَ صَدْرُهُ وَعَجَزَ عَنِ احْتِمَالِ الأَمْرِ لخوفه من قَوْمِهِ أَنْ يَنَالُوا ضَيْفَهُ بِسُوءٍ، وَضِيقُ الذَّرْعِ وَالذِّرَاعِ كِنَايَةٌ عَنِ العَجْزِ وَفَقْدِ الطَّاقَةِ.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {33} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَمَّا

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوتِ) الآية (32)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (400/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (400/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (595/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا} جبريل ومن مَعَه من الْمَلَائِكَة {لُوطاً} إِلَى لوط {سِيءَ بِهِمْ} سَاءَهُ مجيئهم {وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً} اغتم بمجيئهم اغتماماً شَدِيدا لما خَافَ عَلَيْهِم من عمل قومه الْخَبيث {وَقَالُوا} يَعْنِي: جبْرِيل وَمن مَعَه للوط {لاَ تَخَفْ} علينا {وَلاَ تَحْزَنْ} لأمرنا من الْهَلَاك {إِنَّا مُنَجُّوكَ} من قَوْمك {وَأَهْلَكَ} ابنتيك {إِلاَّ امْرَأَتَكَ} المنافقة {كَانَتْ مِنَ الْغَابِرين} تتخلف مَعَ المتخلفين بِالْهَلَاك. (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْعَنْكَبُوت} الآية {33} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا} ظَنَّ أَنَّهُمْ مِنَ الْإِنْسِ، {سِيءَ بِهِمْ} حزن بهم، {وَضَاقَ بِهِمْ} بِمَجِيئِهِمْ {ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ} مِنْ قَوْمِكَ عَلَيْنَا، {وَلَا تَحْزَنْ} بِإِهْلَاكِنَا إِيَّاهُمْ، {إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ} قَرَأَ: (ابْنُ كَثِيرٍ)، وَ(حَمْزَةُ)، وَ(الْكِسَائِيُّ)، وَ(أَبُو بَكْرٍ)، وَ(يَعْقُوبُ): مُنَجُّوكَ بِالتَّخْفِيفِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: بِالتَّشْدِيدِ. (2)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الْعَنْكَبُوت} الآية {33} فقالوا له: {لا تخف} {ولا تحزن} وأخبروه أنهم رسل الله. {إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ}. (3)

* * *

[٣٤] ﴿ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾:

تفسير المختصر والمُيسر والمنتخب لهذه الآية:

إنا منزلون على أهل هذه القرية التي كانت تعمل الخبائث عذابًا من السماء، وهو حجارة من سجِّيل؛ عقابًا لهم على خروجهم عن طاعة الله بما يرتكبون من الفاحشة القبيحة، وهي إتيان الرجال شهوة دون النساء. (4)

* * *

إنا منزلون على أهل هذه القرية عذابًا من السماء؛ بسبب معصيتهم لله وارتكابهم الفاحشة. (5)

* * *

وقالت الملائكة: إننا مرسَلون لتنفيذ أمر الله بإنزال العذاب من السماء على سكان هذه القرية بسبب فسقهم وكفرهم. (6)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (33) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَام (البغوي) سُورَةُ . (العَنْكَبُوت) الآية (33).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (33)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (400/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (400/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(6) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (596/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{رِجْزًا} ... عَذَابًا، أي: عَذَابًا شَدِيدًا. (أي: عذابا من السماء).

{بما كانوا يفسقون} .... أي: بسبب فسقهم وهو إتيان الفاحشة.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَة العَنْكَبُوت} الآية {34} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّا مُنزِلُونَ على أَهْلِ هَذِه الْقرْيَة} يَعْنِي: قريات لوط {رِجْزاً} عذَابا {مِّنَ السمآء} بِالْحِجَارَة {بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ} يكفرون ويعصون.(1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَة العَنْكَبُوت} الآية {34} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّا مُنْزِلُونَ} قَرَأَ (ابْنُ عَامِرٍ): بِالتَّشْدِيدِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: بِالتَّخْفِيفِ، {عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا} عذابا، {مِنَ السَّمَاءِ} قَالَ: (مُقَاتِلٌ): الْخَسْفُ وَالْحَصْبُ، {بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ}.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَة العَنْكَبُوت} الآية {34} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا} أي: عذابا {مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} فأمروه أن يسري بأهله ليلا فلما أصبحوا، قلب الله عليهم ديارهم، فجعل عاليها سافلها، وأمطر عليهم حجارة من سجيل متتابعة حتى أبادتهم وأهلكتهم، فصاروا سَمَرًا من الأسمار، وعبرة من العِبر.(3)

* * *

[٣٥] ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولقد تركنا من هذه القرية التي أهلكناها آية واضحة لقوم يعقلون" لأنهم هم الذين يعتبرون بالآيات.(4)

* * *

ولقد أبقينا مِن ديار قوم لوط آثارًا بينة لقوم يعقلون العبر، فينتفعون بها.(5)

* * *

ولقد أهلك الله هذه القرية وترك منها آثاراً ظاهرة، لتكون دليلا على ما فعله الله بهم، وعبرة لمن يتدبَّر.(6)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{تَّرَكْنَا مِنْهَا} ... أَبْقَيْنَا مِنْ دِيَارِهِمُ.

{ولقد تركنا منها آية} ..... أي: تركنا من قرية سدوم التي دمرناها آية بينة وهي

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَة (العَنْكَبُوت) الآية (34) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَة. (العَنْكَبُوت) الآية (34).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَة (العَنْكَبُوت) الآية (34)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (400/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (400/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(6) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (596/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

خرابها ودمارها وتحولها إلى بحر ميت لا حياة فيه.

{آيَةً بَيِّنَةً} ... آثاراً وَاضِحَة.

{لقوم يعقلون} .... أي: يعلمون الأسباب والنتائج إذا تدبروا.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {35} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَد تَّركْنَا مِنْهَآ} تركناها يَعْنِي قريات لوط {آيَةً} علامَة {بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} يصدقون ويعلمون مَا فعل بهم فَلاَ يقتدون بهم.(1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَة العَنْكَبُوت} الآية {35} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَد تَرَكْنَا مِنْهَا} مِنْ قَرْيَاتِ لُوطٍ، {آيَةً بَيِّنَةً} عِبرة ظَاهِرَة، {لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} يَتَدَبَّرُونَ الْآيَاتِ تَدَبُّرَ ذَوِي الْعُقُولِ،

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): الْآيَةُ الْبَيِّنَةُ هِيَ آثَارُ مَنَازِلِهِمُ الْخَرِبَةِ.

وَقَالَ: (قَتَادَةُ): هِيَ الْحِجَارَةُ الَّتِي أُهْلِكُوا بِهَا أَبْقَاهَا اللَّهُ حَتَّى أَدْرَكَهَا أَوَائِلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ): هِيَ ظُهُورُ الْمَاءِ الْأَسْوَدِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {35} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} أي: تركنا من ديار قوم لوط، آثارا بينة لقوم يعقلون العبر بقلوبهم، فينتفعون بها، كما قال تعالى: {وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}.(3)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَة العَنْكَبُوت} الآية {35} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَد تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً} أَيْ: وَاضِحَةً، {لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}، كَمَا قَالَ {وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُصْبِحِينَ * وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} {الصَّافَّات: 137، 138}.(4)

* * *

[٣٦] ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وأرسلنا إلى مَدْيَن أخاهم في النسب شعيباً – عليه السلام، فقال: يا قوم، اعبدوا الله وحده، وارجوا بعبادتكم إياه الجزاء في

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (35) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما –.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَة. (العَنْكَبُوت) الآية (35).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَة (العَنْكَبُوت) الآية (35)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَام (ابن كثير) في سُورَة (العَنْكَبُوت) الآية (35).

اليوم الآخر، ولا تفسدوا في الأرض بفعل المعاصي ونشرها. (1)

* * *

وأرسلنا إلى ‹ مدين › أخاهم شعيبًا، فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده، وأخلصوا له العبادة، ما لكم من إله غيره، وارجوا بعبادتكم جزاء اليوم الآخر، ولا تكثروا في الأرض الفساد والمعاصي، ولا تقيموا عليها، ولكن توبوا إلى الله منها وأنيبوا. (2)

* * *

وأرسل الله إلى أهل مدين رسولا منهم هو شعيب، دعاهم إلى توحيد الله وعبادته والخوف من اليوم الآخر، وفِعْل ما يرجون به ثواب الله فيه. ونهاهم عن السعى فى الأرض بالفساد. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وإلى مدين} ..... أي: وأرسلنا إلى قبيلة مَدْيَن، ومدين أبو القبيلة فسميت باسمه.

{أخاهم شعيباً} .... أي: أخاهم في النسب.

{اعبدوا الله} ..... أي: اعبدوه ووحدوه ولا تشركوا به شيئاً.

{وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ} ... اطْلُبُوا بِعِبَادَتِكُم جَزَاءَ الآخرَة. (أي: آمنوا به وتوقعوا مجيئه وما يحدث فيه).

{وَلَا تَعْثَوْا} ... لاَ تُكْثِرُوا الفَسَاد.

{ولا تعثوا في الأرض مفسدين} ...... أي: ولا تعيشوا في الأرض فساداً بأن تنشروا فيها الفساد وهو العمل بالمعاصي فيها.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {36} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِلَى مَدْيَنَ} وَأَرْسَلْنَا إِلَى مَدين {أَخَاهُمْ} نَبِيهم {شعيبا فَقَالَ يَا قوم اعبدوا الله} وحدوا الله {وارجوا الْيَوْم الآخر} خَافُوا يَوْم الْقِيَامَة {وَلَا تَعْثَوْا فِي الأَرْض مُفْسِدِين} لَا تعملوا فِي الأَرْض بِالْفَسَاد والمعاصي. (4)

* * *

قال: الإِمَامْ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {36} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا} أَيْ: وَأَرْسَلْنَا إِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا، {فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ} أي: واخشوا الْيَوْمَ الْآخِرَ، {وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ}. (5)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {36} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (400/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (400/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (596/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (36) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما -.

(5) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ . (العَنْكَبُوت) الآية (36).

وَارْجُوا الْيَوْمَ الآخِرَ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

أي: ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَى مَدْيَنَ﴾ القبيلة المعروفة المشهورة ﴿شُعَيْبًا﴾ فأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له، والإيمان بالبعث ورجائه، والعمل له، ونهاهم عن الإفساد في الأرض، ببخس المكاييل والموازين، والسعي بقطع الطرق، (1)

* * *

أخرج - الإمام (عبد الرزاق) - (رحمه الله) - (بسنده الصحيح)- عن (قتادة): في قوله تعالى: (وإلى مدين أخاهم شعيبا) قال: بلغنا أن شعيبا أرسل مرتين إلى أمتين: مدين وأصحاب الأيكة. (2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ} الآية {36} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الآخِرَ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ}.

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ شُعَيْبٍ -عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّهُ أَنْذَرَ قَوْمَهُ أَهْلَ مَدْيَنَ، فَأَمَرَهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنْ يَخَافُوا بَأْسَ اللَّهِ وَنِقْمَتَهُ وَسَطْوَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ: {يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الآخِرَ}.

قَالَ: (ابْنُ جَرِيرٍ): قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: وَاخْشَوُا الْيَوْمَ الْآخِرَ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ} {الْمُمْتَحَنَة: 6}.

ثُمَّ نَهَاهُمْ عَنِ الْعَيْثِ فِي الْأَرْضِ بِالْفَسَادِ، وَهُوَ السَّعْيُ فِيهَا وَالْبَغْيُ عَلَى أَهْلِهَا، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُنْقِصُونَ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، وَيَقْطَعُونَ الطَّرِيقَ عَلَى النَّاسِ، هَذَا مَعَ كُفْرِهِمْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِرَجْفَةٍ عَظِيمَةٍ زَلْزَلَتْ عَلَيْهِمْ بِلَادَهُمْ، وَصَيْحَةٍ أَخْرَجَتِ الْقُلُوبَ مِنْ حَنَاجِرِهَا . وَعَذَابِ يَوْمِ الظُّلَّةِ الَّذِي أَزْهَقَ الْأَرْوَاحَ مِنْ مُسْتَقَرِّهَا، إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ. وَقَدْ تَقَدَّمَتْ قِصَّتُهُمْ مَبْسُوطَةً فِي سُورَةِ (الْأَعْرَافِ)، وَ(هُودٍ)، وَ(الشُّعَرَاءِ). (3)

* * *

[٣٧] ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فكذبه قومه، فأصابتهم الزلزلة، فأصبحوا في دارهم ساقطين على وجوههم قد لصقت وجوههم بالتراب، لا حَرَاكَ بهم. (4)

* * *

فكذَّب أهل (مدين) شعيبًا فيما جاءهم به عن الله من الرسالة، فأخذتهم الزلزلة

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الْعَنْكَبُوت) الآية (36)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (70/4)، للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الْعَنْكَبُوت) الآية (36).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (400/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

الشديدة، فأصبحوا في دارهم صَرْعى هالكين. (1)

* * *

فكذبوه وعصوه، فأهلكهم الله بزلزال شديد دمَّر عليهم مساكنهم، فغدوا فيها صرعى ميتين. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فأخذتهم الرجفة} .... الهزة العنيفة والزلزلة الشديدة.

{الرَّجْفَةُ} ... الزَّلْزَلَةُ الشَّدِيدَةُ.

{في دارهم جاثمين} .... لاصقين بالأرض أمواتا لا يتحركون.

{جَاثِمِينَ} ... صَرْعَى هَالِكِينَ.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَام (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {37} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَكَذَّبُوهُ} بالرسالة {فَأَخَذَتْهُمُ الرجفة} الزلزلة بِالْعَذَابِ {فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ} فصاروا فِي مجمعهم {جَاثِمِينَ} ميتين لَا يتحركون. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {37} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرجفة} فكذبوه فأخذهم عذاب الله {فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ}. (4)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن)- عن (قتادة): (فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ) أي: ميتين. (5)

* * *

قال: الإمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {37} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ}، قَالَ: (قَتَادَةُ): مَيِّتِينَ. وَقَالَ غَيْرُهُ: قَدْ أُلْقِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ. (6)

* * *

وانظر: سورة – (هود) - آية (85-94). –

كما قال تعالى: {وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (85) بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (86) قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (87) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (400/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (596/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوتِ) الآية (37) يِنسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما - .

(4) انظُر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوتِ) الآية (37)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (34/20).
المحقق: الشيخ (أحمد شاكر)،

(6) انظُر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوتِ) الآية (37).

الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (88) وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ (89) وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ (90) قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ (91) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (92) وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ (93) وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتْ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (94)}.

* * *

[٣٨] ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وأهلكنا كذلك عاداً قوم هود، وثمود قوم صالح، وقد تبين لكم -يا أهل مكة- من مساكنهم بالحِجْر والشِّحْر من حضرموت ما يدلّكم على إهلاكهم، فمساكنهم الخاوية شاهدة على ذلك، وحسّن لهم الشيطان أعمالهم التي كانوا عليها من الكفر وغيره من المعاصي، فصرفهم عن الطريق المستقيم، وكانوا ذوي إبصار بالحق والضلال والرشد والغي بما علَّمتهم رسلهم، لكن اختاروا اتباع الهوى على اتباع الهدى.(1)

* * *

وأهلكنا عاداً وثمود، وقد تبين لكم من مساكنهم خَرابُها وخلاؤها منهم، وحلول نقمتنا بهم جميعًا، وحسَّن لهم الشيطان أعمالهم القبيحة، فصدَّهم عن سبيل الله وعن طريق الإيمان به وبرسله، وكانوا مستبصرين في كفرهم وضلالهم، معجبين به، يحسبون أنهم على هدى وصواب، بينما هم في الضلال غارقون.(2)

* * *

واذكر أيها الرسول – صلى الله عليه وسلم - مصارع عاد وثمود إذ أهلكناهم، وقد بقيت من مساكنهم آثار ظاهرة ترونها، وكان هذا الهلاك بسبب ما زين لهم الشيطان من أعمالهم الباطلة فاتبعوه، فصرفهم عن طريق الحق الذى كانوا يعرفونه بواسطة الرسل.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَعَادًا وَثَمُودَ} ... يقول تعالى ذكره: واذكروا أيها القوم عادا وثمود،

(أي: وأهلكنا عاداً القبيلة وثمود القبيلة كذلك).

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (400/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (400/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (596/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

{وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ} ... خرابها وخلاؤُها منهم بوقائعنا بهم، وحلول سَطْوتنا بجميعهم.

(أي: تبين لكم إهلاكهم من مساكنهم الخالية منهم بالحجر شمال الحجاز والشجر جنوب اليمن).

{وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ} ... وحسَّن لهم الشيطان كفرهم بالله، وتكذيبَهم رسله.

{فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ} ... فردّهم بتزيينه لهم، ما زيَّن لهم من الكفر عن سبيل الله، التي هي الإيمان به ورسله، وما جاءوهم به من عند ربهم.

{عَنِ السَّبِيلِ} .... أي: سبيل الهدى والحق التي بينها لهم رسلهم.

{وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ} ... وكانوا مستبصرين في ضلالتهم، مُعْجبين بها، يحسبون أنهم على هدى وصواب، وهم على الضلال.

{مُسْتَبْصِرِينَ} ... عَارِفِينَ بِكُفْرِهِمْ مُعْجَبِينَ بِهِ.

(أي: ذوي بَصَائِرَ لَمَّا عَلَّمَتْهُمْ رُسُلُهُمْ).

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قَالَ: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) -: {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {38} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وعادا} أهلكنا قوم هود {وَثَمُود} أهلكنا قوم صالح {وَقد تَّبَيَّنَ لَكُم} يَا أهل مَكَّة {مِّن مَّسَاكِنِهِمْ} من خراب مَنَازِلهمْ مَا فعل بهم {وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ} فِي الشّرك وحالهم فِي الشدَّة والرخاء {فَصَدَّهُمْ} فصرفهم بذلك {عَنِ السَّبِيلِ} عَن الْحق وَالْهدى {وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ} كَانُوا يرَوْنَ أَنهم على الْحق وَلم يكونُوا على الْحق. (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {38} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَعَادًا وَثَمُودَ} أي: وأهلكنا عادا وثمود، {وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ} يَا أَهْلَ مَكَّةَ، {مِنْ مَسَاكِنِهِمْ} مَنَازِلِهِمْ بِالْحِجْرِ وَالْيَمَنِ، {وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ} عَنْ سَبِيلِ الْحَقِّ.

{وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ} قَالَ: (مُقَاتِلٌ)، و(قَتَادَةُ): كَانُوا مُعْجَبِينَ فِي دِينِهِمْ وَضَلَالَتِهِمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى هُدًى، وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ كَانُوا عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ مُسْتَبْصِرِينَ،

قَالَ: (الْفَرَّاءُ): كَانُوا عقلاء ذوي بصائر. (2)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {38} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ}.

أي: وكذلك ما فعلنا بعاد وثمود، وقد علمتم قصصهم، وتبين لكم بشيء تشاهدونه

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (38) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (38).

بأبصاركم من مساكنهم وآثارهم التي بانوا عنها، وقد جاءتهم رسلهم بالآيات البينات، المفيدة للبصيرة، فكذبوهم وجادلوهم.

{وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ} حتى ظنوا أنها أفضل مما جاءتهم به الرسل. (1)

* * *

أخرج – الإمام (عبد الرزاق) – (رحمه الله) – (بسنده الصحيح)– عن (قتادة): {وكانوا مستبصرين} في ضلالتهم معجبين بها. (2)

* * *

قال: الإِمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {38} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ}.

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ هَؤُلَاءِ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ لِلرُّسُلِ كَيْفَ أَبَادَهُمْ وَتَنَوَّعَ فِي عَذَابِهِمْ، فَأَخَذَهُمْ بِالِانْتِقَامِ مِنْهُمْ، فَعَادٌ قَوْمُ هُودٍ، وَكَانُوا يَسْكُنُونَ الْأَحْقَافَ وَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ بِلَادِ الْيَمَنِ، وَثَمُودُ قَوْمُ صَالِحٍ، وَكَانُوا يَسْكُنُونَ الْحِجْرَ قَرِيبًا مِنْ وَادِي الْقُرَى. وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَعْرِفُ مَسَاكِنَهُمَا جَيِّدًا، وَتَمُرُّ عَلَيْهَا كَثِيرًا. (3)

* * *

قال: الشيخ (محمد الأمين الشنقيطي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- الظاهر أن قوله: وعادا:

وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ (39) فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (40) مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (41) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (42) وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (43) خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (44) اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (45)

مفعول به لأهلكنا مقدرة، ويدل على ذلك قوله قبله {فأخذتهم الرجفة} أي: أهلكنا مدين بالرجفة، وأهلكنا عادا، ويدل للإهلاك المذكور قوله بعده {وقد تبين لكم من مساكنهم} أي: هي خالية منهم لإهلاكهم. وقوله: بعده أيضاً {فكلا أخذنا بذنبه}. (4)

* * *

﴿مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ﴾
﴿سُورَةُ العَنكَبُوت: 31- 38﴾

- قوله تعالى: {قَدْ تَبَيَّنَ ...} تدل على معرفة العرب بمساكنهم وأخبارهم.
- العلائق البشرية لا تنفع إلا مع الإيمان.

---

(1) انظُر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوتِ) الآية (38)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (71/4)، للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين)،

(3) انظُر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوتِ) الآية (38).

(4) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للإمام (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (العنكبُوت) الآية (38).

• الحرص على أمن الضيوف وسلامتهم من الاعتداء عليهم.
• منازل المُهْلَكين بالعذاب عبرة للمعتبرين.
• العلم بالحق لا ينفع مع اتباع الهوى وإيثاره على الهدى. (1)

* * *

[٣٩] ﴿ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وأهلكنا قارون -لما بغى على قوم موسى- بالخسف به وبداره، وأهلكنا فرعون ووزيره هامان بالغرق في البحر، ولقد جاءهم موسى بالآيات الواضحات الدالة على صدقه، فاستكبروا في أرض مصر عن الإيمان به، وما كانوا ليسلموا من عذابنا بفوتهم لنا. (2)

* * *

وأهلكنا قارون وفرعون وهامان، ولقد جاءهم جميعًا موسى بالأدلة الواضحة، فتعاظموا في الأرض، واستكبروا فيها، ولم يكونوا ليفوتوننا، بل كنا مقتدرين عليهم. (3)

* * *

واذكر أيها الرسول – صلى الله عليه وسلم- لهؤلاء المغترين بأموالهم وسلطانهم مصرع قارون وفرعون وهامان وما جرى عليهم من سنة الله بإهلاك المكذبين، وقد بعث الله إليهم موسى بالمعجزات الظاهرة الدالة على صدقه، فكذبوه وأبوا أن يستجيبوا له استكباراً، وما كانوا غالبين لقدرة الله بالإفلات من عذابه. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وقارون وفرعون وهامان} ..... أي: وأهلكنا قارون بالخسف وفرعون وهامان بالغرق.

{فاستكبروا} .... أي: عن عبادة الله تعالى وطاعة رسله.

{وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ} ... فَائِتِينَ مِنْ عَذَابِ اللَّه.

(أي: فائتين عذاب الله أي فارين منه، بل أدركهم).

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَة العَنْكَبُوت} الآية {39} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَارُونَ} أهلكنا قارون {وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ} وَزِير فِرْعَوْن {وَلَقَدْ جَآءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ} بِالْأَمر وَالنَّهْي والعلامات {فاستكبروا فِي الأَرْض} عَن الْإِيمَان وَلم

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (400/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (401/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (401/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (596/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

يُؤمِنُوا بِالْآيَاتِ {وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ} فائتين من عَذَاب الله.(1)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {39} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ} أي: وأهلكنا هؤلاء، {وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ} بالدَّلالات، {فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ} أيْ: فَائِتِينَ مِنْ عَذَابِنَا.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {39} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ}.

وكذلك قارون، وفرعون، وهامان، حين بعث الله إليهم موسى بن عمران، بالآيات البينات، والبراهين الساطعات، فلم ينقادوا، واستكبروا في الأرض،﴿على عباد الله فأذلوهم، وعلى الحق فردوه فلم يقدروا على النجاء حين نزلت بهم العقوبة﴾.

{وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ} الله، ولا فائتين، بل سلموا واستسلموا.(3)

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (39) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامُ (البغوي) سُورَةُ. (العَنْكَبُوت) الآية (39).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (39)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {39} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ}. وَقَارُونُ صَاحِبُ الْأَمْوَالِ الْجَزِيلَةِ وَمَفَاتِيحِ الْكُنُوزِ الثَّقِيلَةِ. وَفِرْعَوْنُ مَلِكُ مِصْرَ فِي زَمَانِ مُوسَى وَوَزِيرُهُ هَامَانُ الْقِبْطِيَّانِ الْكَافِرَانِ بِاللَّه وَرَسُوله.(4)

* * *

انظر: سورة - (القصص)- آية (76-82)

وفي هذه الآيات تفصيل أكثر عن قارون. - كما قال تعالى: {إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (76) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (77) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (78) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (79) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامُ (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (39).

(80) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (81) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (82)﴾.

* * *

[٤٠] ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فأخذنا كلًّا من المذكورين سابقًا بعذابنا المُهلِك، فمنهم قوم لوط الذين أرسلنا عليهم حجارة من سجِّيل مَنْضود، ومنهم قوم صالح وقوم شعيب الذين أخذتهم الصيحة، ومنهم قارون الذي خسفنا به وبداره الأرض، ومنهم قوم نوح وفرعون وهامان الذين أهلكناهم بالغرق، وما كان الله ليظلمهم بإهلاكهم بغير ذنب، ولكن كانوا يظلمون أنفسهم بارتكاب المعاصي، فاستحقوا العذاب.(1)

* * *

فأخذنا كلا من هؤلاء المذكورين بعذابنا بسبب ذنبه: فمنهم الذين أرسلنا عليهم ريحا شديدة ترميهم بحجارة من طين متتابع، وهم قوم لوط، ومنهم مَن أخذته الصيحة، وهم قوم صالح وقوم شعيب، ومنهم مَن خسفنا به الأرض كقارون، ومنهم مَن أغرقنا، وهم قومُ نوح وفرعونُ وقومُه، ولم يكن الله ليهلك هؤلاء بذنوب غيرهم، فيظلمهم بإهلاكه إياهم بغير استحقاق، ولكنهم كانوا أنفسهم يظلمون بتنعمهم في نِعَم ربهم وعبادتهم غيره.(2)

* * *

فكل أمة من هذه الأمم المكذبة برسلها أهلكها الله بسبب كفرها وما ارتكبت من المعصية، فبعض هذه الأمم أهلكه الله بالريح العاصفة التى حصبتهم بالحجارة، وبعضهم هلك بالصيحة المدوية المهلكة، وبعضهم خسف الله به الأرض، وبعضهم أغرقه الله فى اليم. ولم يكن هذا العذاب ظلماً من الله لهم، بل كان بسبب كفرهم وارتكابهم الذنوب.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فكلاً أخذنا بذنبه} ..... أي: فكل واحد من المذكورين أخذناه بذنبه ولم يفلت منا.

{أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ} ... أَخَذْنَا الْمَذْكُورِينَ بِعَذَابِنَا بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ.

{فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا} ...... أي: ريحاً شديدة، كعاد.

{حَاصِبًا} ... حِجَارَةً مِنْ طِينٍ مَنْضُودٍ.

(أي: رِيحًا تأتي بالحَصْباءِ، وهي الحَصَا الصِّغارُ).

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (401/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (401/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (597/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{ومنهم من أخذته الصيحة} ..... أي: ثمود.

{الصَّيْحَةُ} ... صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ مُهْلِكٌ.

{ومنهم من خسفنا به الأرض} .... أي: كقارون.

{ومنهم من أغرقنا} ..... أي: كقوم نوح وفرعون.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {40} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{فَكُلاًّ} فكل قوم {أَخَذْنَا بِذَنبِهِ} فِي الشّرك {فَمِنْهُم مَّن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً} حِجَارَة وهم قوم (لوط) {وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَة} بِالْعَذَاب وهم قوم (شُعَيْب)،و(صَالح) {وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْض} غارت بِهِ الأَرْض وَهُوَ (قَارون) وَمن مَعَه {وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا} فِي الْبَحْر وَهُوَ (فرْعَوْن) وَقَومه {وَمَا كَانَ الله لِيَظْلِمَهُمْ} بِإِهلاكهم {وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} بِالْكفْر والشّرك وَتَكْذِيب الرُّسُل. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {40} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا} وَهُمْ قَوْمُ (لُوط)، وَالْحَاصِبُ الرِّيحُ الَّتِي تحمل الحصا وَهِيَ الْحَصَا الصِّغَار،

{وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ} يَعْنِي: (ثَمُود)، {وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ} يَعْنِي: (قَارُون) وَأَصْحَابَهُ، {وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا} يَعْنِي: قَوْمَ (نُوح)، و(فِرْعَوْن) وَقَوْمَهُ، {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {40} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{فَكُلًّا} من هؤلاء الأمم المكذبة.

{أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ} على قدره، وبعقوبة مناسبة له،

{فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا} أي: عذابا يحصبهم، كقوم عاد، حين أرسل الله عليهم الريح العقيم،

و{سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ}

{وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ} كقوم صالح،

{وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ} كقارون،

{وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا} كفرعون وهامان وجنودهما.

{وَمَا كَانَ اللَّهُ} أي: ما ينبغي ولا يليق به تعالى أن يظلمهم لكمال عدله، وغناه التام عن جميع الخلق.

{وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} منعوها حقها التي هي بصدده، فإنها مخلوقة لعبادة الله وحده، فهؤلاء وضعوها في غير موضعها،

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (40) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامُ (البغوي) سُورَةُ . (العَنْكَبُوت) الآية (40).

وأشغلوها بالشهوات والمعاصي، فضروها غاية الضرر، من حيث ظنوا أنهم ينفعونها.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن)- عن (قتادة): (فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا) وهم قوم لوط، (وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ) .(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن)- عن (قتادة): (وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ) قوم شعيب.(3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن)- عن (قتادة): (وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا) قوم فرعون.(4)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {40} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ} أَيْ: كَانَتْ عُقُوبَتُهُ بِمَا يُنَاسِبُهُ، {فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا}، وَهُمْ عَادٌ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا: مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً؟ فَجَاءَتْهُمْ رِيحٌ صَرْصَرٌ بَارِدَةٌ شَدِيدَةُ الْبَرْدِ، عَاتِيَةٌ شَدِيدَةُ الْهُبُوبِ جِدًّا، تَحْمِلُ عَلَيْهِمْ حَصْبَاءَ الْأَرْضِ فَتَقْلِبُهَا عَلَيْهِمْ، وَتَقْتَلِعُهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَتَرْفَعُ الرَّجُلَ مِنْهُمْ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ، ثُمَّ تُنَكِّسُهُ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ فَتَشْدَخُهُ فَيَبْقَى بَدَنًا بِلَا رَأْسٍ، كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ .

{وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ} ، وَهُمْ ثَمُودُ، قَامَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ وَظَهَرَتْ لَهُمُ الدَّلَالَةُ، مِنْ تِلْكَ النَّاقَةِ الَّتِي انْفَلَقَتْ عَنْهَا الصَّخْرَةُ، مِثْلَ مَا سَأَلُوا سَوَاءً بِسَوَاءٍ، وَمَعَ هَذَا مَا آمَنُوا بَلِ اسْتَمَرُّوا عَلَى طُغْيَانِهِمْ وَكُفْرِهِمْ، وَتَهَدَّدُوا نَبِيَّ اللَّهِ صَالِحًا وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ، وَتَوَعَّدُوهُمْ بِأَنْ يُخْرِجُوهُمْ وَيَرْجُمُوهُمْ، فَجَاءَتْهُمْ صَيْحَةٌ أَخْمَدَتِ الْأَصْوَاتَ مِنْهُمْ وَالْحَرَكَاتِ.

{وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ} ، وَهُوَ قَارُونُ الَّذِي طَغَى وَبَغَى وَعَتَا، وَعَصَى الرَّبَّ الْأَعْلَى، وَمَشَى فِي الْأَرْضِ مَرَحًا، وَفَرِحَ وَمَرِحَ وَتَاهَ بِنَفْسِهِ، وَاعْتَقَدَ أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِ، وَاخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ، فَخَسَفَ اللَّهُ بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

{وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا} ، وَهُمْ فِرْعَوْنُ وَوَزِيرُهُ هَامَانُ، وَجُنُودُهُ عَنْ آخِرِهِمْ، أُغْرِقُوا فِي صَبِيحَةٍ وَاحِدَةٍ، فَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ مُخْبِرٌ،

{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ} أَيْ: فِيمَا فَعَلَ بِهِمْ،

{وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} أي: إنما فعل ذلك بهم جزاءً وفاقًا بما كسبت أيديهم.

وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ ظَاهِرُ سِيَاقِ الْآيَةِ، وَهُوَ مِنْ بَابِ اللَّفِّ وَالنَّشْرِ، وَهُوَ أَنَّهُ ذَكَرَ الْأُمَمَ الْمُكَذِّبَةَ،

ثُمَّ قَالَ: {فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ} الْآيَةَ ، أَيْ: مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَذْكُورِينَ، وَإِنَّمَا نبهتُ عَلَى هَذَا لِأَنَّهُ قَدْ رُوِيَ أَنَّ (ابْنَ جُرَيْجٍ) قَالَ: قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ) فِي قَوْلِهِ: {فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَة (العَنْكَبُوت) الآية (40)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).
(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (36/20).
المحقق: الشيخ (أحمد شاكر).
(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (36/20).
(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (37/20).

عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾، قَالَ: قَوْمُ (لُوط). ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا﴾، قَالَ: قَوْمُ (نُوح).
وَهَذَا مُنْقَطِعٌ عَنِ (ابْنِ عَبَّاس) فَإِنَّ (ابْنَ جُرَيْج) لَمْ يُدْرِكْهُ.
ثُمَّ قَدْ ذَكَرَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ إِهْلَاكَ قَوْمِ (نُوحٍ) بِالطُّوفَانِ،
وَقَوْمِ (لُوط) بِإِنْزَالِ الرِّجْزِ مِنَ السَّمَاءِ، وَطَالَ السِّيَاقُ والفصلُ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ هَذَا السِّيَاقِ.
وَقَالَ (قَتَادَةُ): ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ قَالَ: قَوْمُ (لُوط)، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾، قَوْمُ (شُعَيْب).
وَهَذَا بَعِيدٌ أَيْضًا لِمَا تَقَدَّمَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. (1)

* * *

[٤١] ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

مثل المشركين الذين اتخذوا من دون الله أصنامًا يعبدونهم رجاء نفعهم أو شفاعتهم كمثل العنكبوت اتخذت بيتًا يحميها من الاعتداء عليها، وإن أضعف البيوت لبيت العنكبوت، فهو لا يدفع عنها عدواً، وكذلك أصنامهم لا تنفع ولا تضر ولا تشفع، لو كان المشركون يعلمون ذلك لَمَا اتخذوا أصنامًا يعبدونها من دون الله. (2)

* * *

مثل الذين جعلوا الأوثان من دون الله أولياء يرجون نصرها، كمثل العنكبوت التي عملت بيتًا لنفسها ليحفظها، فلم يُغن عنها شيئًا عند حاجتها إليه، فكذلك هؤلاء المشركون لم يُغْنِ عنهم أولياؤهم الذين اتخذوهم من دون الله شيئًا، وإن أضعف البيوت لَبيت العنكبوت، لو كانوا يعلمون ذلك ما اتخذوهم أولياء، فهم لا ينفعونهم ولا يضرونهم. (3)

* * *

شأن المبطلين الموالين لغير الله في الضعف والوهن والاعتماد على غير معتمد كشأن العنكبوت في اتخاذها بيتاً تحتمي به، وبيتها أوهى البيوت وأبعد عن الصلاحية للاحتماء، ولو كان هؤلاء المبطلون أهل علم وفطنة لما فعلوا ذلك. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء﴾.... أي: صفة وحال الذين اتخذوا أصناماً يرجون نفعها.
﴿كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً﴾.... أي: لنفسها تأوي إليه.
﴿أَوْهَن﴾... أَضْعَفَ.
﴿أوهن البيوت﴾.... أي: أضعف البيوت وأقلها جدوى.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (40).
(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (401/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (401/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (597/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {41} قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَثَلُ الَّذِين اتَّخذُوا} عبدُوا {من دُون الله أَوْلِيَآءَ} أَرْبَابًا من الْأَوْثَان {كَمَثَل العنكبوت اتَّخذت بَيْتاً} مسكنا {وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبيُوت} أَضْعَف الْبيُوت {لَبَيْتُ العنكبوت} يَقُول إن بَيت العنكبوت لَا يَقِيهَا من حر وَلَا برد كَذَلِك الْآلهَة لَا تَنْفَع من عَبدهَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَة {لَو كَانُوا يَعْلَمُونَ} هَذَا الْمثل وَلَكِن لَا يعلمُونَ وَلَا يصدقون بذلك.(1)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {41} قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ} أي: الْأَصْنَامَ يَرْجُونَ نَصْرَهَا وَنَفْعَهَا، {كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا} لِنَفْسِهَا تَأْوِي إِلَيْهِ، وَإِنَّ بَيْتَهَا فِي غاية الضعف والوهن, لَا يَدْفَعُ عَنْهَا حَرًّا وَلَا بردا فكذلك الْأَوْثَانُ لَا تَمْلِكُ لِعَابِدِيهَا نَفْعًا وَلَا ضَرًّا. {وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {41} قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}.

هذا مثل ضربه الله لمن عبد معه غيره، يقصد به التعزز والتَّقَوِّي والنفع، وأن الأمر بخلاف مقصوده، فإن مثله كمثل العنكبوت، اتخذت بيتا يقيها من الحر والبرد والآفات،

{وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ} أضعفها وأوهاها {لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ} فالعنكبوت من الحيوانات الضعيفة، وبيتها من أضعف البيوت، فما ازدادت باتخاذه إلا ضعفا، كذلك هؤلاء الذين يتخذون من دونه أولياء، فقراء عاجزون من جميع الوجوه، وحين اتخذوا الأولياء من دونه يتعززون بهم ويستنصرونهم، ازدادوا ضعفا إلى ضعفهم، ووهنا إلى وهنهم.

فإنهم اتكلوا عليهم في كثير من مصالحهم، وألقوها عليهم، وتخلوا هم عنها، على أن أولئك سيقومون بها، فخذلوهم، فلم يحصلوا منهم على طائل، ولا أنالوهم من معونتهم أقل نائل.

فلو كانوا يعلمون حقيقة العلم، حالهم وحال من اتخذوهم، لم يتخذوهم، ولتبرأوا منهم، ولتولوا الرب القادر الرحيم، الذي إذا تولاه عبده وتوكل عليه، كفاه مئونة دينه ودنياه، وازداد قوة إلى قوته، في قلبه وفي بدنه وحاله وأعماله.

ولما بين نهاية ضعف آلهة المشركين، ارتقى من هذا إلى ما هو أبلغ منه، وأنها ليست بشيء، بل هي مجرد أسماء سموها، وظنون

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوتِ) الآية (41) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ . (العَنْكَبُوتِ) الآية (41).

اعتقدوها، وعند التحقيق، يتبين للعاقل بطلانها وعدمها، (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

(بسنده الحسن)– عن (قتادة): قوله: (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ) قال: هذا مثل ضربه الله للمشرك، مثل إلهه الذي يدعو من دون الله كمثل بيت العنكبوت واهن ضعيف لا ينفعه. (2)

* * *

قال: الإمامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {41} قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}.

هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُشْرِكِينَ فِي اتِّخَاذِهِمْ آلِهَةً مِنْ دُونِ اللَّهِ، يَرْجُونَ نَصْرَهُمْ وَرِزْقَهُمْ، وَيَتَمَسَّكُونَ بِهِمْ فِي الشَّدَائِدِ، فَهُمْ فِي ذَلِكَ كَبَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ فِي ضَعْفِهِ وَوَهَنِهِ فَلَيْسَ فِي أَيْدِي هَؤُلَاءِ مِنْ آلِهَتِهِمْ إِلَّا كَمَنْ يَتَمَسَّكُ بِبَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ، فَإِنَّهُ لَا يُجْدِي عَنْهُ شَيْئًا، فَلَوْ عَلِمُوا هَذَا الْحَالَ لَمَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ، وَهَذَا بِخِلَافِ الْمُسْلِمِ الْمُؤْمِنِ قَلْبُهُ لِلَّهِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يُحْسِنُ الْعَمَلَ فِي

اتِّبَاعِ الشَّرْعِ فَإِنَّهُ مُسْتَمْسِكٌ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا، لِقُوَّتِهَا وَثَبَاتِهَا. (3)

* * *

[٤٢] ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن الله سبحانه وتعالى يعلم ما يعبدونه من دونه، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وهو العزيز الذي لا يُغَالَب، الحكيم في خلقه وتقديره وتدبيره. (4)

* * *

إن الله يعلم ما يشركون به من الأنداد، وأنها ليست بشيء في الحقيقة، بل هي مجرد أسماء سَمَّوها، لا تنفع ولا تضر. وهو العزيز في انتقامه ممن كفر به، الحكيم في تدبيره وصنعه. (5)

* * *

إن الله – سبحانه – محيط علماً ببطلان عبادة الآلهة، وهو – سبحانه – الغالب على كل شئ الحكيم فى تدبيره وتشريعه. (6)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{يعلم ما يدعون من دونه من شيء} .... أي: من الأوثان والأصنام وغيرها.

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (41)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمام (الطبري) (38/20). المحقق: الشيخ (أحمد شاكر).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (41).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (401/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (401/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(6) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (597/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وهو العزيز الحكيم} .... أي: الغالب على أمره الحكيم في تدبير أمور خلقه.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {42} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ الله يَعْلَمُ مَا يَدعُونَ} مَا يعْبدُونَ {من دُونه من شَيْء} من الْأَوْثَان أَنَّهَا لَا تنفعهم فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَة {وَهُوَ الْعَزِيز} بالنقمة لمن يَعْبُدهَا {الْحَكِيم} حكم أَن لَا يعبد غَيره. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {42} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} قَرَأَ أَهْلُ (الْبَصْرَةِ)، وَ(عَاصِمٌ): يَدْعُونَ بِالْيَاءِ لِذِكْرِ الْأُمَمِ قَبْلَهَا، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: بِالتَّاءِ. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {42} قَوْلُهُ تَعَالَى: ولهذا قال: {إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ} أي: إنه تعالى يعلم -وهو عالم الغيب والشهادة- أنهم ما يدعون من دون الله شيئا موجودا، ولا إلها له حقيقة،

كقوله تعالى: {إِنْ هِيَ إِلا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنزلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ}،

وقوله: {وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وإن هم إلا يخرصون}

{وَهُوَ الْعَزِيزُ الحكيم} الذي له القوة جميعا، التي قهر بها جميع المخلوقات،

{الْحَكِيمُ} الذي يضع الأشياء مواضعها، الذي أحسن كل شيء خلقه، وأتقن ما أمره. (3)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {42} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُتَوَعِّدًا لِمَنْ عَبَدَ غَيْرَهُ وَأَشْرَكَ بِهِ: إِنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَيَعْلَمُ مَا يُشْرِكُونَ بِهِ مِنَ الْأَنْدَادِ، وَسَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ. (4)

* * *

[٤٣] ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَالِمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وهذه الأمثال التي نضربها للناس لتوقظهم وتبصرهم بالحق، وتهديهم إليه، ما يدركها

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (42) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ . (العَنْكَبُوت) الآية (42).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (42)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (42).

على الوجه المطلوب إلا العالمون بشرع الله وحِكَمه. (1)

* * *

وهذه الأمثال نضربها للناس" لينتفعوا بها ويتعلموا منها، وما يعقلها إلا العالمون بالله وآياته وشرعه. (2)

* * *

وهذه العبر والأمثال يذكرها الله للناس للعظة والاعتبار، وما يعتبر بها إلا العقلاء الذين يتدبرون. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{ومَا يَعقِلُهَا} ... يَتدَبَّرُهَا، وَيَفْهَمُهَا.

{ومـا يعقلها إلا العالمون} ..... أي: العالمون بالله وآياته وأحكام شرعه وأسراره.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {43} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ} هَذه الْأَمْثَال {نَضْرِبُهَا} نبينها {لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا} يَعْنِي: أَمْثَال الْقُرآن {إِلاَّ الْعَالِمُونَ} بِاللَّه الموحدون. (4)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {43} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ} الأشباه والمثل كلام ساتر يَتَضَمَّنُ تَشْبِيهَ الْآخرِ بِالْأَوَّلِ يُرِيدُ أَمْثَالَ الْقُرآنِ الَّتِي شَبَّهَ بِهَا أَحْوَالَ كُفَّارِ هَذه الْأُمَّة بِأَحْوَالِ كفار الأمم المتقدمة، {نَضْرِبُهَا} نبينها، {لِلنَّاسِ} قال: (عطاء)، و(مقاتل): لِكُفَّارِ مَكَّةَ، {وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَ الْعَالِمُونَ} مَا يَعْقِلُ الْأَمْثَالَ إِلاَ الْعُلَمَاءُ الذين يعقلون عن الله،

عَنْ (جَابِرٍ): أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَلاَ هَذه الآية فقال: ((الْعَالمُ مَنْ عَقِلَ عَنِ اللَّهِ فعمل بطاعته واجتنب سخطه)). (5)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {43} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَتِلْكَ الأمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ} أي: لأجلهم ولانتفاعهم وتعليمهم، لكونها من الطرق الموضحة للعلوم، ولأنها تقرب الأمور المعقولة بالأمور المحسوسة، فيتضح المعنى المطلوب بسببها، فهي مصلحة لعموم الناس.

{و} لكن {مَا يَعْقِلُهَا} بفهمها وتدبرها، وتطبيقها على ما ضربت له، وعقلها في القلب.

{إِلا الْعَالِمُونَ} أي: أهل العلم الحقيقي، الذين وصل العلم إلى قلوبهم.

وهذا مدح للأمثال التي يضربها، وحثٌّ على تدبرها وتعقلها، ومدح لمن يعقلها، وأنه

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (401/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (401/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (597/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (43) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(5) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (43).

عنوان على أنه من أهل العلم، فعلم أن من لم يعقلها ليس من العالمين.

والسبب في ذلك، أن الأمثال التي يضربها الله في القرآن، إنما هي للأمور الكبار، والمطالب العالية، والمسائل الجليلة، فأهل العلم يعرفون أنها أهم من غيرها، لاعتناء الله بها، وحثه عباده على تعقلها وتدبرها، فيبذلون جهدهم في معرفتها.

وأما من لم يعقلها، مع أهميتها، فإن ذلك دليل على أنه ليس من أهل العلم، لأنه إذا لم يعرف المسائل المهمة، فعدم معرفته غيرها من باب أولى وأحرى. ولهذا، أكثر ما يضرب الله الأمثال في أصول الدين و نحوها.(1)

* * *

قال: الإمامْ (ابن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {43} قَالَ تَعَالَى: {وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَالِمُونَ} أَيْ: وَمَا يَفْهَمُهَا وَيَتَدَبَّرُهَا إِلا الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ الْمُتَضَلِّعُونَ مِنْهُ.

وَهَذِهِ مَنْقَبَةٌ عَظِيمَةٌ لِـ (عَمْرو بْنِ الْعَاصِ) - رَضِيَ اللَّهُ عنه -حيث يقول الله تعالى: {وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَالِمُونَ}.

وَقَالَ: (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ): حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا ابْنُ سِنَانٍ، عَنْ (عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ) قَالَ: مَا مَرَرْتُ بِآيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ لَا أَعْرِفُهَا إِلا أَحْزَنَتْنِي، لِأَنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: {وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَالِمُونَ}.(2)

* * *

[٤٤] ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

خلق الله سبحانه وتعالى السماوات وخلق الأرض بالحق، ولم يخلقها بالباطل ولم يخلقها عبثًا، إن في ذلك الخلق لدلالة واضحة على قدرة الله للمؤمنين" لأنهم هم الذين يستدلون بخلق الله على الخالق سبحانه، وأما الكافرون فإنهم يمرون على الآيات في الآفاق والأنفس دون أن تلفت انتباهم إلى عظمة الخالق وقدرته سبحانه.(3)

* * *

خلق الله السموات والأرض بالعدل والقسط، إن في خلقه ذلك لدلالة عظيمة على قدرته، وتفرده بالإلهية، وخَصَّ المؤمنين" لأنهم الذين ينتفعون بذلك.(4)

* * *

و بجانب ما ذكر الله من القصص والأمثال والآيات آية أوضح، هى خلق السموات والأرض بالقدرة والحكمة والتدبير الكامل لصالح

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَة (العَنْكَبُوت) الآية (43)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَام (ابن كثير) في سُورَة (العَنْكَبُوت) الآية (43).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (401/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (401/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

الناس، وفي هذا دلائل صادقة لمن يؤمنون بالحق.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{خلق الله السموات والأرض بالحق}.....

أي: من أجل أن يعبد لا للهو ولا لباطل.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَة العَنْكَبُوت} الآية {44} قَوْلُهُ تَعَالَى: {خَلَقَ الله السَّمَاوَات وَالْأَرْض بِالْحَقِّ} للحق لا للباطل {إِنَّ فِي ذَلِك} فِيمَا ذكرته من الْأَمْثَال {لآيَة} لعبرة {لِلْمُؤمنِينَ} بِمُحَمد- صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- وَالْقُرْآن.(2)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَة العَنْكَبُوت} الآية {44} قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ} أَيْ: لِلْحَقِّ وَإِظْهَارِ الْحَقِّ، {إِنَّ فِي ذَلِكَ} فِي خلقها، {لَآيَةً} لدلالة {لِلْمُؤْمِنِينَ} عَلَى قُدْرَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ.(3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَة العَنْكَبُوت} الآية {44} قَوْلُهُ تَعَالَى: {خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ}.

أي: هو تعالى المنفرد بخلق السماوات، على علوها وارتفاعها وسعتها وحسنها وما فيها من الشمس والقمر والكواكب والملائكة، والأرض وما فيها من الجبال والبحار والبراري والقفار والأشجار ونحوها، وكل ذلك خلقه بالحق، أي: لم يخلقها عبثا ولا سدى، ولا لغير فائدة، وإنما خلقها، ليقوم أمره وشرعه، ولتتم نعمته على عباده، وليروا من حكمته وقهره وتدبيره، ما يدلهم على أنه وحده معبودهم ومحبوبهم وإلههم.

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ} على كثير من المطالب الإيمانية، إذا تدبرها المؤمن رأى ذلك فيها عيانا.(4)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَة العَنْكَبُوت} الآية {44} قَوْلُهُ تَعَالَى: {خَلَقَ اللَّهُ السَّموَاتِ وَالأرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ}.

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ قُدْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ: أَنَّهُ خَلَقَ السَّموَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ، يَعْنِي: لَا عَلَى وَجْهِ الْعَبَثِ وَاللَّعِبِ، {لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى} {طه: 15}.

{لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى} {النَّجْم: 31}.

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (597/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَة (العَنْكَبُوت) الآية (44) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَة (العَنْكَبُوت) الآية (44).

(4) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَة (العَنْكَبُوت) الآية (44)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

وَقَوْلُهُ: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ} أَيْ: لَدَلَالَةً وَاضِحَةً عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى الْمُتَفَرِّدُ بِالْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ وَالْإِلَهِيَّةِ. (1)

* * *

[٤٥] ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

اقرأ -أيها الرسول- ﷺ- على الناس ما أوحى به الله إليك من القرآن، وائت بالصلاة على أكمل وجه، إن الصلاة المؤداة بصفتها الكاملة تنهى صاحبها عن الوقوع في المعاصي والمنكرات" لما تحدثه من نور في القلوب يمنع من اقتراف المعاصي، ويرشد إلى عمل الصالحات، ولذكر الله أكبر وأعظم من كل شيء، والله يعلم ما تصنعونه، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، وسيجازيكم على أعمالكم، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر. (2)

* * *

اتل ما أُنزل إليك من هذا القرآن، واعمل به، وأدِّ الصلاة بحدودها، إن المحافظة على الصلاة تنهى صاحبها عن الوقوع في المعاصي والمنكرات" وذلك لأن المقيم لها، المتمم لأركانها وشروطها، يستنير قلبه، ويزداد إيمانه، وتقوى رغبته في الخير، وتقل أو تنعدم رغبته في الشر، ولَذكر الله في الصلاة وغيرها أعظم وأكبر وأفضل من كل شيء. والله يعلم ما تصنعون من خيرٍ وشر، فيجازيكم على ذلك أكمل الجزاء وأوفاه. (3)

* * *

اقرأ - أيها النبي - ﷺ- كتاب الله، ولا تلتفت إليهم، وأد الصلاة على وجهها، لأن الصلاة مع الإخلاص من شأنها أن تصرف من يقيمها عن الذنوب وكل ما ينكره الشرع. ولتقوى الله ومراقبته فى الصلاة وغيرها أكبر أثراً وأعظم ثواباً. والله يعلم ما تفعلون من الخير والشر فيجازيكم عليه. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{أتل ما أوحي إليك من الكتاب} ..... اقرأ يا رسولنا ما أنزل إليك من القرآن.

{وأقم الصلاة} .... بأدائها مقامة مراعى فيها شروطها وأركانها وواجباتها وسننها.

{إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ}...فالفحشاءُ: كلُّ ما اسْتُعظِمَ وَاسْتُفْحِشَ من المعاصي التي تشتهيها النفوسُ، والمُنْكَرُ: كُلّ معصيةٍ تُنْكِرُها العقولُ والفِطَرُ.

{تنهى عن الفحشاء والمنكر} .... أي: الصلاة بما توجد من نور في قلب العبد يصبح به لا يقدر على فعل فاحشة ولا إتيان منكر.

{ولذكر الله أكبر} .... أي: ذكر الله عبده أكبر من ذكر العبد ربه كما أن ذكر الله أكبر

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) لِلْإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (44).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (401/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (401/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (597/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

في النهي عن الفحشاء والمنكر من الصلاة وغيرها.

{أَكْبَرُ} ... أَعْظَمُ وَأَفْضَلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {45} قَوْلُهُ تَعَالَى: {اتل مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ} يَقُول اقْرَأ عَلَيْهِم يَا مُحَمَّد مَا أنزل إِلَيْك جِبْرِيل بِهِ يَعْنِي: بِالْقُرْآنِ {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ} أتم الصَّلَوَات الْخمس {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ} الْمعاصِي {وَالْمُنْكَرِ} مَا لَا يعرف فِي شَرِيعَة وَلَا سنة مَا دَامَ الرجل فِيهَا فَهِيَ تمنعهُ عَن ذَلِك {وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ} يَقُول ذكر الله إيَّاكُمْ بالمغفرة وَالثَّوَاب أكبر من ذكركُمْ إِيَّاه بِالصَّلَاةِ {وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ} من الْخَيْر وَالشَّر.[1]

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {45} قَوْلُهُ تَعَالَى: {اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ} يَعْنِي: الْقُرْآنَ، {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} الْفَحْشَاءُ مَا قَبُحَ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْمُنْكَرُ مَا لَا يُعْرَفُ فِي الشَّرْعِ،

قَالَ: (ابْنُ مَسْعُودٍ)، وَ(ابْنُ عَبَّاسٍ): فِي الصَّلَاةِ مُنْتَهًى وَمُزْدَجَرٌ عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ فَمَنْ لَمْ تَأْمُرْهُ صَلَاتُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَمْ تَنْهَهُ عَنِ الْمُنْكَرِ يزدد بصلاته بالمعروف ولم تنهه عن منكر لَمْ يَزْدَدْ بِصَلَاتِهِ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا.

وَقَالَ: (الْحَسَنُ)، وَ(قَتَادَةُ): مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ فَصَلَاتُهُ وَبَالٌ عَلَيْهِ،

وَقَالَ: (ابْنُ عَوْنٍ): مَعْنَى الْآيَةِ أَنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى صَاحِبَهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ مَا دَامَ فِيهَا.

يَعْنِي:- أَرَادَ بِالصَّلَاةِ الْقُرْآنَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ} {الإسراء: 110}، أي: بقراءتك.

يَعْنِي:- أراد أن يَقْرَأَ الْقُرْآنَ فِي الصَّلَاةِ فَالْقُرْآنُ ينهاه عن الفحشاء والمنكر،

قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ} أَيْ ذِكْرُ اللَّهِ أَفْضَلُ الطَّاعَاتِ،

قال: رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٍ لكم من إنفاق الذهب والورق وخير " لكم من أن تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أعناقكم "؟ قالوا: بلى، قال: " ذكر الله "))[2].

وَقَالَ قَوْمٌ: مَعْنَى قَوْلِهِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ أَيْ: ذِكْرُ اللَّهِ إِيَّاكُمْ أَفْضَلُ مِنْ ذِكْرِكُمْ إِيَّاهُ،

وَقَالَ: (عَطَاءٌ) فِي قَوْلِهِ: (إنَّ الصلاد تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ)،

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (45) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) أخرجه الإمام (الترمذي) في (الدعوات) برقم (9 / 317)، وأخرجه الإمام (ابن ماجه) في (الأدب) برقم (3790) (2 / 1245)، وصححه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (1 / 496)، ووافقه (الذهبي)، وأخرجه الإمام (مالك) في (الموطأ) برقم (1 / 211). وأخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (6 / 447). والمصنف في (شرح السنة) (5 / 16)، وقال: حديث (حسن).

قَالَ: وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ تَبْقَى مَعَهُ مَعْصِيَةٌ.؟

{وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ} قَالَ: (عَطَاءٌ): يُرِيدُ لاَ يَخْفَى عليه شيء. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {45} قَوْلُهُ تَعَالَى: {اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ}.

يأمر تعالى بتلاوة وحيه وتنزيله، وهو هذا الكتاب العظيم، ومعنى تلاوته اتباعه، بامتثال ما يأمر به، واجتناب ما ينهى عنه، والاهتداء بهداه، وتصديق أخباره، وتدبر معانيه، وتلاوة ألفاظه، فصار تلاوة لفظه جزء المعنى وبعضه، وإذا كان هذا معنى تلاوة الكتاب، علم أن إقامة الدين كله، داخلة في تلاوة الكتاب. فيكون قوله: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ} من باب عطف الخاص على العام، لفضل الصلاة وشرفها، وآثارها الجميلة، وهي {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ}

والفحشاء: كل ما استعظم واستفحش من المعاصي التي تشتهيها النفوس.

والمنكر: كل معصية تنكرها العقول والفطر.

ووجه كون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، أن العبد المقيم لها، المتمم لأركانها وشروطها وخشوعها، يستنير قلبه، ويتطهر فؤاده، ويزداد إيمانه، وتقوى رغبته في الخير، وتقل أو تعدم رغبته في الشر، فبالضرورة، مداومتها والمحافظة عليها على هذا الوجه، تنهى عن الفحشاء والمنكر، فهذا من أعظم مقاصدها وثمراتها. وثمَّ في الصلاة مقصود أعظم من هذا وأكبر، وهو ما اشتملت عليه من ذكر الله، بالقلب واللسان والبدن. فإن الله تعالى، إنما خلق الخلق لعبادته، وأفضل عبادة تقع منهم الصلاة، وفيها من عبوديات الجوارح كلها، ما ليس في غيرها،

ولهذا قال: {وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ} ويحتمل أنه لما أمر بالصلاة ومدحها، أخبر أن ذكره تعالى خارج الصلاة أكبر من الصلاة، كما هو قول جمهور المفسرين، لكن الأول أولى، لأن الصلاة أفضل من الذكر خارجها، ولأنها -كما تقدم- بنفسها من أكبر الذكر.

{وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ} من خير وشر، فيجازيكم على ذلك أكمل الجزاء وأوفاه. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن)- عن (علي بن أبي طلحة)- عن (ابن عباس): قوله: (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) يقول: في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي الله. (3)

* * *

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ . (العَنْكَبُوت) الآية (45).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (45)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمام (الطبري) (41/20). المحقق: الشيخ (أحمد شاكر).

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-
(بسنده الحسن)– عن (قتادة): و(الحسن):
قالا: من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فإنه لا يزداد من الله بذلك إلا بعدا. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-
(بسنده الحسن)– عن (علي بن أبي طلحة)– عن (ابن عباس): قوله: (وَلَذِكْرُ اللهِ) لعباده إذا ذكروه (أَكْبَرُ) من ذكركم إياه. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-
(بسنده الحسن)– عن (قتادة): (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ) قال: لا شيء أكبر من ذكر الله، قال: أكبر الأشياء كلها،
وقرأ (أقم الصلاة لذكري) قال: لذكر الله: وإنه لم يصفه عند القتال إلا أنه أكبر. (3)

* * *

قوله تعالى: {وأقم إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر}.

قال: الإمام (أحمد بن حنبل) – (رحمه الله) – في كتاب: (الزهد):- ثنا أبو معاوية، ثنا الأعمش، عن مالك بن الحارث، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن (عبد الله) قال: من لم تأمره الصلاة بالمعروف وتنهاه عن المنكر لم يزدد إلا بعداً. (4)

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (42/20).).
(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (43/20).
(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (45/20).

(4) أخرجه الإمام (أحمد) في (الزهد) برقم (107/2)،
وأخرجه الإمام (الطبراني) في (المعجم الكبير) برقم (107/9 ح1543)،
وقال: الإمام حافظ (العراقي): إسناده صحيح (تخريج الإحياء) برقم (201/1).

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {45} قَوْلُهُ تَعَالَى: {اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ} ثُمَّ قَالَ تَعَالَى آمِرًا رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَهُوَ قِرَاءَتُهُ وَإِبْلَاغُهُ لِلنَّاسِ:
{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ} يَعْنِي: أَنَّ الصَّلَاةَ تَشْتَمِلُ عَلَى شَيْئَيْنِ: عَلَى تَرْكِ الْفَوَاحِشِ وَالْمُنْكَرَاتِ، أَيْ: إِنَّ مُوَاظَبَتَهَا تَحْمِلُ عَلَى تَرْكِ ذَلِكَ.

* * *

﴿ذِكْرُ الْآثَارِ الْوَارِدَةِ فِي ذَلِكَ﴾:

وَتَشْتَمِلُ الصَّلَاةُ أَيْضًا عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ الْمَطْلُوبُ الْأَكْبَرُ" وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ} أَيْ: أَعْظَمُ مِنَ الْأَوَّلِ،
{وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ} أَيْ: يَعْلَمُ جَمِيعَ أَقْوَالِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ.

* * *

وَقَالَ: (أَبُو الْعَالِيَةِ) فِي قَوْلِهِ: {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ}، قَالَ: إِنَّ الصَّلَاةَ فِيهَا ثَلَاثُ خِصَالٍ فَكُلُّ صَلَاةٍ لَا يَكُونُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْخِلَالِ فَلَيْسَتْ بِصَلَاةٍ: الْإِخْلَاصُ، وَالْخَشْيَةُ، وَذِكْرُ اللَّهِ. فَالْإِخْلَاصُ يَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالْخَشْيَةُ تَنْهَاهُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَذِكْرُ الْقُرْآنِ يَأْمُرُهُ وَيَنْهَاهُ.

* * *

وقال: الإمام (الهيثمي): (رجاله رجال الصحيح) في (مجمع الزوائد) برقم (258/2).

و(صححه) الإمام ((ابن كثير) في (التفسير) (290/6) ط الشعب).

وقَالَ: (ابْنُ عَوْنٍ الْأَنْصَارِيُّ): إِذَا كُنْتَ فِي صَلَاةٍ فَأَنْتَ فِي مَعْرُوفٍ، وَقَدْ حَجَزَتْكَ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، وَالَّذِي أَنْتَ فِيهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ.

* * *

وقَالَ: (حَمَّادُ بْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ): {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} يَعْنِي: مَا دُمْتَ فِيهَا.

* * *

وقَالَ: (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ)، عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) فِي قَوْلِهِ: {وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ}، يَقُولُ: وَلَذِكْرُ اللَّهِ لِعِبَادِهِ أَكْبَرُ، إِذَا ذَكَرُوهُ مِنْ ذِكْرِهِمْ إِيَّاهُ.

وَكَذَا رَوَى غَيْرُ وَاحِدٍ عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ). وَبِهِ قَالَ (مُجَاهِدٌ)، وَغَيْرُهُ.

* * *

وقَالَ: (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ): حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشَجُّ، حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ الْأَحْمَرُ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ رَجُلٍ، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ): {وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ} قَالَ: ذِكْرُ اللَّهِ عِنْدَ طَعَامِكَ وَعِنْدَ مَنَامِكَ. قُلْتُ: فَإِنَّ صَاحِبًا لِي فِي الْمَنْزِلِ يَقُولُ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ: قَالَ: وَأَيَّ شَيْءٍ يَقُولُ؟ قُلْتُ: قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ} {الْبَقَرَةِ: 152}، فَلَذِكْرُ اللَّهِ إِيَّانَا أَكْبَرُ مِنْ ذِكْرِنَا إِيَّاهُ. قَالَ: صَدَقَ.

* * *

قَالَ: وَحَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا النُّفَيْلِيُّ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، عَنْ خَالِدٍ، عَنْ (عِكْرِمَةَ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) فِي قَوْلِهِ: {وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ} قَالَ: لَهَا وَجْهَانِ، قَالَ: ذِكْرُ اللَّهِ عِنْدَمَا حَرَّمَهُ، قَالَ: وَذِكْرُ اللَّهِ إِيَّاكُمْ أَعْظَمُ مِنْ ذِكْرِكُمْ إِيَّاهُ.

* * *

وقَالَ: (ابْنُ جَرِيرٍ): حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، أَخْبَرَنَا عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبِيعَةَ قَالَ: قَالَ لِي (ابْنُ عَبَّاسٍ): هَلْ تَدْرِي مَا قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ}؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَمَا هُوَ؟ قُلْتُ: التَّسْبِيحُ وَالتَّحْمِيدُ وَالتَّكْبِيرُ فِي الصَّلَاةِ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ. قَالَ: لَقَدْ قُلْتَ قَوْلًا عَجَبًا، وَمَا هُوَ كَذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ إِنَّمَا يَقُولُ: ذِكْرُ اللَّهِ إِيَّاكُمْ عِنْدَمَا أَمَرَ بِهِ أَوْ نَهَى عَنْهُ إِذَا ذَكَرْتُمُوهُ، أَكْبَرُ مِنْ ذِكْرِكُمْ إِيَّاهُ. (1)

وَقَدْ رُوِيَ هَذَا مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ). وَرُوِيَ أَيْضًا عَنِ (ابْنِ مَسْعُودٍ)، وَ(أَبِي الدَّرْدَاءِ)، وَ(سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ)، وغيرهم. (2)
واختاره (ابن جرير).

* * *

﴿ من فوائد الآيات ﴾
﴿ سُورَةُ العَنْكَبُوت: 39- 45 ﴾

- أهمية ضرب المثل: "مثل العنكبوت".
- تعدد أنواع العذاب في الدنيا.
- تَنَزُّه الله عن الظلم.
- التعلق بغير الله تعلق بأضعف الأسباب.

(1) انظر: تفسير الطبري (20/99).
(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (45).

• أهمية الصلاة في تقويم سلوك المؤمن.[1]

* * *

[٤٦] ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولا تحاوروا -أيها المؤمنون - ﷺ - ولا تخاصموا اليهود والنصارى إلا بالأسلوب الأحسن والطريقة المثلى وهي الدعوة بالموعظة والحجج البينة، إلا الذين ظلموا منهم بالعناد والمكابرة، وأعلنوا الحرب عليكم، فقاتلوهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وقولوا لليهود والنصارى: آمنا بالذي أنزل الله إلينا من القرآن، وآمنا بالذي أنزل إليكم من التوراة والإنجيل، وإلهنا وإلهكم واحد لا شريك له في ألوهيته وربوبيته وكماله، ونحن له وحده منقادون متذللون.[2]

* * *

ولا تجادلوا -أيها المؤمنون- اليهودَ والنصارى إلا بالأسلوب الحسن، والقول الجميل، والدعوة إلى الحق بأيسر طريق موصل لذلك، إلا الذين حادوا عن وجه الحق وعاندوا وكابروا وأعلنوا الحرب عليكم فجالدوهم بالسيف حتى يؤمنوا، أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وقولوا: آمنا بالقرآن الذي أُنزل إلينا، وآمنا بالتوراة والإنجيل اللذَيْن أُنزلا إليكم، وإلهنا وإلهكم واحد لا شريك له في ألوهيته، ولا في ربوبيته، ولا في أسمائه وصفاته، ونحن له خاضعون متذللون بالطاعة فيما أمرنا به، ونهانا عنه.[3]

* * *

ولا تجادلوا مخالفيكم من اليهود والنصارى إلا بالطريقة التى هى أهدأ وألين وأدعى إلى القبول. إلا الذين جاوزوا حد الاعتدال فى الجدال فلا حرج فى مقابلتهم بالشدة، وقولوا لمن تجادلونهم: صدَّقنا بما أنزل الله إلينا من القرآن وما أنزل إليكم من التوراة

وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (46) وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَٰؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ (47) وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ (48) بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ (49) وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (50) أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (51) قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (52)

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (401/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (402/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (402/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

والإنجيل، ومعبودنا ومعبودكم واحد، ونحن له - وحده - منقَادون. (1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{ولا تجادلوا أهل الكتاب} .... أي: لا تحاجوا ولا تناظروا اليهود ولا النصارى.

{إلا بالتي هي أحسن} .... أي: إلا بالمجادلة التي هي أحسن وهي الدعوة إلى الله بآياته والتنبيه على حججه.

{إلا الذين ظلموا منهم} .... أي: الذين لم يدخلوا في ذمة المسلمين بدفع الجزية وبقوا حرباً على المسلمين.

{ظَلَمُوا مِنْهُمْ} ... عَانَدُوا الحَقّ، وَأَعْلَنُوا الحَرْبَ.

{مُسْلِمُونَ} ... خَاضِعُونَ مُتَذَلِّلُونَ بِالطَّاعَةِ.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {46} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَا تجادلوا أَهْلَ الْكتاب} لَا تخاصموا الْيَهُود وَالنَّصَارَى {إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أحسن} يعْنى: الْقُرْآن {إِلَّا الَّذين ظلمُوا مِنْهُم} من وَفد بني نَجْرَان بالملاعنة {وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أنزل إِلَيْنَا} يعْنى: الْقُرْآن {وَأنزل إِلَيْكُم} يعْنى التَّوْرَاة وَالْإِنْجِيل {وإلهنا وإلهكم وَاحِد} بِلَا ولد وَلَا شريك {وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} مخلصون لَهُ بِالْعبَادَة والتوحيد مقرون بِهِ. (2)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {46} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ} لَا تُخَاصِمُوهُمْ، {إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} أَيْ: بِالْقُرْآنِ وَالدُّعَاءِ إِلَى اللَّهِ بِآيَاتِهِ وَالتَّنْبِيهِ عَلَى حُجَجِهِ، وَأَرَادَ مَنْ قَبِلَ الْجِزْيَةَ مِنْهُمْ،

{إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ} أَيْ: أَبَوْا أَنْ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ وَنَصَبُوا الْحَرْبَ، فَجَادِلُوهُمْ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُسْلِمُوا أَوْ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ، وَمَجَازُ الْآيَةِ: إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوكُمْ لِأَنَّ جَمِيعَهُمْ ظَالِمٌ بِالْكُفْرِ،

وَقَالَ: (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ): هُمْ أَهْلُ الْحَرْبِ وَمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ.

قَالَ: (قَتَادَةُ)، وَ(مُقَاتِلٌ): صَارَتْ مَنْسُوخَةً بِقَوْلِهِ: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} {التَّوْبَةِ: 29}.

{وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ} يُرِيدُ إِذَا أَخْبَرَكُمْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ مِمَّنْ قَبِلَ الْجِزْيَةَ بِشَيْءٍ مِمَّا فِي كُتُبِهِمْ فَلَا تُجَادِلُوهُمْ عَلَيْهِ وَلَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ،

{وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) قَالَ: كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (598/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (46) ينسب: لـ: (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِليكم)) (1) (2).

* * *

أخرج- الإمام (آدم بن أبي إياس) - (رحمه الله) - (بسنده الصحيح)- عن (مجاهد): {وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} قال: إن قالوا شرا، فقولوا خيرا {إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ} فانتصروا منهم. (3)(4)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن)- عن (قتادة): قوله: {وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} ثم نسخ بعد ذلك، فأمر بقتالهم في سورة براءة، ولا مجادلة أشد من السيف أن يقاتلوا حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أو يقروا بالخراج. (5)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح)- عن (مجاهد): قوله: {إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ} قال: قالوا مع الله إله، أو له ولد، أو له شريك، أو يد الله مغلولة، أو الله فقير أو آذوا محمداً، {وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ} لمن لم يقل هذا من أهل الكتاب. (6)

* * *

أخرج - الإمام (البخاري) - (رحمه لله) - في (صحيحه) - (بسنده):- عن (أبي هريرة) - رضي الله عنه - قال: كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال: رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لاتصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا {آمنا بالله وما أنزل إلينا ...} الآية. (7)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةَ العَنْكَبُوت} الآية {46} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} .

ينهى تعالى عن مجادلة أهل الكتاب، إذا كانت من غير بصيرة من المجادل، أو بغير قاعدة مرضية، وأن لا يجادلوا إلا بالتي هي أحسن، بحسن خلق ولطف ولين كلام، ودعوة إلى الحق وتحسينه، ورد عن الباطل وتهجينه، بأقرب طريق موصل لذلك، وأن لا يكون القصد منها مجرد المجادلة والمغالبة وحب العلو، بل يكون القصد بيان الحق

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (13/ 516) - (كتاب: التوحيد)، والمصنف في (شرح السنة) (1 / 268).

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَام (البغوي) سُورَةَ (العَنْكَبُوت) الآية (46).

(3) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (72/4)، للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين)،

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (46/20). المحقق: (الشيخ (أحمد شاكر)،

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (20/47-48).

(6) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (49/20).).

(7) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4485) - (كتاب: تفسير القرآن) - (سورة البقرة)، / باب: (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا)).

وهداية الخلق، إلا من ظلم من أهل الكتاب، بأن ظهر من قصده وحاله، أنه لا إرادة له في الحق، وإنما يجادل على وجه المشاغبة والمغالبة، فهذا لا فائدة في جداله، لأن المقصود منها ضائع.

{وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزلَ إِلَيْنَا وَأُنزلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ} أي: ولتكن مجادلتكم لأهل الكتاب مبنية على الإيمان بما أنزل إليكم وأنزل إليهم، وعلى الإيمان برسولكم ورسولهم، وعلى أن الإله واحد، ولا تكن مناظرتكم إياهم﴿على وجه﴾ يحصل به القدح في شيء من الكتب الإلهية، أو بأحد من الرسل، كما يفعله الجاهل عند مناظرة الخصوم، يقدح بجميع ما معهم، من حق وباطل، فهذا ظلم، وخروج عن الواجب وآداب النظر، فإن الواجب، أن يرد ما مع الخصم من الباطل، ويقبل ما معه من الحق، ولا يرد الحق لأجل قوله، ولو كان كافرا.

وأيضا، فإن بناء مناظرة أهل الكتاب، على هذا الطريق، فيه إلزام لهم بالإقرار بالقرآن، وبالرسول الذي جاء به، فإنه إذا تكلم في الأصول الدينية التي اتفقت عليها الأنبياء والكتب، وتقررت عند المتناظرين، وثبتت حقائقها عندهما، وكانت الكتب السابقة والمرسلون مع القرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم قد بينتها ودلت عليها وأخبرت بها، فإنه يلزم التصديق بالكتب كلها، والرسل كلهم، وهذا من خصائص الإسلام.

فأما أن يقال: نؤمن بما دل عليه الكتاب الفلاني، دون الكتاب الفلاني وهو الحق الذي صدق ما قبله، فهذا ظلم وجور، وهو يرجع إلى قوله بالتكذيب، لأنه إذا كذب القرآن الدال عليها، المصدق لما بين يديه من التوراة، فإنه مكذب لما زعم أنه به مؤمن.

وأيضا، فإن كل طريق تثبت به نبوة أي: نبي كان، فإن مثلها وأعظم منها، دالة على نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم-، وكل شبهة يقدح بها في نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم-، فإن مثلها أو أعظم منها، يمكن توجيهها إلى نبوة غيره، فإذا ثبت بطلانها في غيره، فثبوت بطلانها في حقه- صلى الله عليه وسلم -أظهر وأظهر.

وقوله: {وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} أي: منقادون مستسلمون لأمره. ومن آمن به، واتخذه إلها، وآمن بجميع كتبه ورسله، وانقاد لله واتبع رسله، فهو السعيد، ومن انحرف عن هذا الطريق، فهو الشقي.(1)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {46} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزلَ إِلَيْنَا وَأُنزلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} .

قَالَ: (قَتَادَةُ) وَغَيْرُ وَاحِدٍ: هَذِهِ الْآيَةُ مَنْسُوخَةٌ بِآيَةِ السَّيْفِ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُمْ مُجَادَلَةٌ، وَإِنَّمَا هُوَ الْإِسْلَامُ أَوِ الْجِزْيَةُ أَوِ السَّيْفُ.

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (46)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هِيَ بَاقِيَةٌ أَوْ مُحْكَمَةٌ لِمَنْ أَرَادَ الاسْتِبْصَارَ مِنْهُمْ فِي الدِّينِ، فَيُجَادِلُ بِالَّتِي هِيَ أَحسَنُ، لِيَكُونَ أَنْجَعَ فيه،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} {النَّحل: 125}،

وَقَالَ تَعَالَى لِمُوسَى وَهَارُونَ حِينَ بَعَثَهُمَا إِلَى فِرْعَوْنَ: {فَقُولا لَهُ قَوْلا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} {طَه: 44}.

وَهَذَا الْقَوْلُ اخْتَارَهُ (ابْنُ جَرِيرٍ) (1)، وحكَاهُ عَن (ابْنِ زَيْدٍ).

* * *

وَقَوْلُهُ: {إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ} أَيْ: حَادُوا عَنْ وَجْهِ الْحَقِّ، وعَمُوا عَنْ وَاضِحِ الْمَحَجَّةِ، وَعَانَدُوا وَكَابَرُوا، فَحِينَئِذٍ يُنْتَقَلُ مِنَ الْجِدَالِ إِلَى الْجِلَادِ، وَيُقَاتَلُونَ بِمَا يَرْدَعُهُمْ وَيَمْنَعُهُمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} {الْحَدِيد: 25}.

* * *

قَالَ: (جَابِرٌ): أمرنَا مَنْ خَالَفَ كِتَابَ اللَّهِ أَنْ نَضْرِبَهُ بِالسَّيْفِ.

* * *

قَالَ: (مُجَاهِدٌ): {إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ} يَعْنِي: أَهْلَ الْحَرْبِ، وَمَنِ امْتَنَعَ مِنْهُمْ عَنْ أَدَاءِ الْجِزْيَةِ.

* * *

وَقَوْلُهُ: {وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزلَ إِلَيْنَا وَأُنزلَ إِلَيْكُمْ}، يَعْنِي: إِذَا أَخْبَرُوا بِمَا لَا يُعْلَمُ صِدْقُهُ وَلَا كَذِبُهُ، فَهَذَا لَا نُقدم عَلَى تَكْذِيبِهِ لِأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ حَقًّا، وَلَا عَلَى تَصْدِيقِهِ، فَلَعَلَّهُ أَنْ يكون بَاطلا وَلَكِنْ نُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانًا مُجْمَلًا مُعَلَّقًا عَلَى شَرْطٍ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ مُنَزَّلًا لَا مُبَدَّلًا وَلَا مُؤَوَّلًا.

* * *

وَقَالَ: الإمام (الْبُخَارِيُّ)- رَحِمَهُ اللَّهُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ، أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: كَانَ أَهْلُ الكتاب يقرؤون التَّوْرَاةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ، وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)). وَهَذَا الْحَدِيثُ تفرَّد بِهِ (الْبُخَارِيُّ). (2)

* * *

وَقَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ): حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ، أَخْبَرَنَا يُونُسُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي (ابْنُ أَبِي نَمْلَةَ) أَنَّ (أَبَا نَمْلَةَ الْأَنْصَارِيَّ) أَخْبَرَهُ، أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ-

---

(1) انظر: تفسير الطبري (2/21).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4485) - (كتاب: تفسير القرآن).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، جَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ تَتَكَلَّمُ هَذِهِ الْجِنَازَةُ؟ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "اللَّهُ أَعْلَمُ". قَالَ: (الْيَهُودِيُّ): أَنَا أَشْهَدُ أَنَّهَا تَتَكَلَّمُ. فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((إِذَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: آمَنَّا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَكُتُبِهِ، فَإِنْ كَانَ حَقًّا لَمْ تُكَذِّبُوهُمْ، وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا لَمْ تُصَدِّقُوهُمْ)) (1)

قُلْتُ: وَ(أَبُو نَمْلَةَ) هَذَا هُوَ: (عُمَارَةُ).

يَعْنِي:- (عَمَّارٌ).

يَعْنِي:- (عَمْرُو بْنُ مُعَاذِ بْنِ زُرَارَةَ الْأَنْصَارِيّ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-. ثُمَّ لِيُعْلَمَ أَنَّ أَكْثَرَ مَا يُحَدِّثُونَ بِهِ غَالِبُهُ كَذِبٌ وَبُهْتَانٌ" لِأَنَّهُ قَدْ دَخَلَهُ تَحْرِيفٌ وَتَبْدِيلٌ وَتَغْيِيرٌ وَتَأْوِيلٌ، وَمَا أَقَلَّ الصِّدْقَ فِيهِ، ثُمَّ مَا أَقَلَّ فَائِدَةَ كَثِيرٍ مِنْهُ لَوْ كَانَ صَحِيحًا. (2)

* * *

قَالَ: (ابْنُ جَرِيرٍ): حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَامِرٍ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ حُرَيْثِ بْنِ ظُهَيْرٍ، عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ) -هُوَ- (ابْنُ مَسْعُودٍ) -قَالَ: لَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَهْدُوكُمْ وَقَدْ ضَلُّوا، إِمَّا أَنْ تُكَذِّبُوا بِحَقٍّ أَوْ تُصَدِّقُوا بِبَاطِلٍ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا وَفِي قَلْبِهِ تَالِيَةٌ، تَدْعُوهُ إِلَى دِينِهِ كَتَالِيَةِ الْمَالِ. (3)

* * *

وَقَالَ: الإِمَامُ (الْبُخَارِيُّ): حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، أَخْبَرَنَا ابْنُ شِهَابٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) قَالَ: كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ، وَكِتَابُكُمُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِهِ- صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم -أَحْدَثُ تَقْرَؤُونَهُ مَحْضًا لَمْ يُشَبْ، وَقَدْ حَدَّثَكُمْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ بَدَّلُوا كِتَابَ اللَّهِ، وَغَيَّرُوهُ وَكَتَبُوا بِأَيْدِيهِمُ الْكِتَابَ، وَقَالُوا: هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا؟ أَلَا يَنْهَاكُمْ مَا جَاءَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ عَنْ مَسْأَلَتِهِمْ؟ لَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا مِنْهُمْ رَجُلًا يَسْأَلُكُمْ عَنِ الَّذِي أُنْزِلَ عليكم. (4)

* * *

وَقَالَ: الإِمَامُ (الْبُخَارِيُّ): وَقَالَ أَبُو الْيَمَانِ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ يُحَدِّثُ رَهْطًا مِنْ قُرَيْشٍ بِالْمَدِينَةِ -وَذَكَرَ- (كَعْبَ الْأَحْبَارِ) -فَقَالَ: إِنْ كَانَ مِنْ أَصْدَقِ هَؤُلَاءِ الْمُحَدِّثِينَ الَّذِينَ يُحَدِّثُونَ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَإِنْ كُنَّا مَعَ ذَلِكَ لَنَبْلُو عَلَيْهِ الْكَذِبَ. (5)

* * *

---

(1) (حَسَنٌ): أخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (136/4).
وأخرجه الإِمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (3644) – (كتاب: العلم).
و(حسنه) الإِمَامُ (الألباني) في (سلسلة الأحاديث الصَّحِيحَة) برقم (2800).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامُ (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (46).

(3) انظر: تفسير الطبري (4/21).

(4) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (7363) - (كتاب: الإعتصام بالكتاب والسُّنَّة).

(5) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (7361) - (كتاب: الإعتصام بالكتاب والسُّنَّة).

قُلْتُ: مَعْنَاهُ أَنَّهُ يَقَعُ مِنْهُ الْكَذِبُ لُغَةً مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ" لِأَنَّهُ يُحَدِّثُ عَنْ صُحُفٍ هُوَ يُحْسِنُ بِهَا الظَّنَّ، وَفِيهَا أَشْيَاءُ مَوْضُوعَةٌ وَمَكْذُوبَةٌ" لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُنْ فِي مِلَّتِهِمْ حُفَّاظٌ مُتْقِنُونَ كَهَذِهِ الْأُمَّةِ الْعَظِيمَةِ، وَمَعَ ذَلِكَ وَقُرْبِ الْعَهْدِ وُضِعَتْ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ، لَا يَعْلَمُهَا إِلَا اللَّهُ وَمَنْ مَنَحَهُ اللَّهُ عِلْمًا بِذَلِكَ، كُلٌّ بِحَسْبِهِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ. (1)

* * *

[٤٧] ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَا الْكَافِرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وكما أنزلنا الكتب على من قبلك أنزلنا عليك القرآن، فبعض هؤلاء الذين يقرؤون التوراة -مثل عبد الله بن سلام- يؤمنون به" لما يجدونه من نَعْتِه في كتبهم، ومن هؤلاء المشركين من يؤمن به، وما يكفر بآياتنا إلا الكافرون الذين دأبهم الكفر والجحود للحق مع ظهوره. (2)

* * *

وكما أنزلنا -أيها الرسول- ﷺ - الكتب على مَن قبلك من الرسل، أنزلنا إليك هذا الكتاب المصدق للكتب السابقة، فالذين آتيناهم الكتاب من بني إسرائيل فعرفوه حق معرفته يؤمنون بالقرآن، ومِن هؤلاء العرب من قريش وغيرهم مَن يؤمن به، ولا ينكر القرآن أو يتشكك في دلائله وبراهينه البينة إلا الكافرون الذين دأبهم الجحود والعناد. (3)

* * *

وكما أنزلنا الكتب على - من قبلك من الرسل - أنزلنا إليك القرآن، فالذين آتيناهم الكتاب قبل القرآن فتدبروه واهتدوا به يؤمنون بهذا القرآن. ومن هؤلاء العرب من يؤمن به، وما يُنكر آياتنا - بعد ظهورها وزوال الشبهة عنها - إلا المصِرُّون على الكفر. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وكذلك أنزلنا إليك الكتاب} ..... أي: وكإنزالنا الكتاب على من قبلك من الرسل أنزلنا إليك الكتاب.

{فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به} ..... أي: كعبد الله بن سلام وإخوانه الذين آمنوا بالرسول وكتابه.

{ومن هؤلاء من يؤمن به} ..... أي: من هؤلاء المشركين من يؤمن به وفعلا آمن به كثيرون.

{وَمِنْ هَؤُلَاءِ} ... العَرَبِ مِنْ قُرَيْشٍ.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الْإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآيةُ {47} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ} يَقُولُ هَكَذَا

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) لِلْإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (46).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (402/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (402/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (598/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

أنزلنا إِلَيْك جبْرِيل بِالْكتاب لتقرأ عَلَيْهِم مَا فِيهِ من الْأَمر وَالنَّهْي والأمثال. {فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ} أعطيناهم علم التَّوْرَاة - عبد الله بن سَلام - وَأَصْحَابه {يُؤْمِنُونَ بِهِ} بِمُحَمد -صلى الله عَلَيْهِ وَسلم - وَالْقُرْآن {وَمِنْ هَؤُلَاءِ} من أهل مكَّة {مَن يُؤمن بِهِ} بِمُحَمد -صلى الله عَلَيْهِ وَسلم -وَالْقُرْآن {وَمَا يجْحَد بِآيَاتِنَا} بِمُحَمد -صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَالْقُرْآن {إِلاَّ الْكَافِرُونَ} كَعْب وَأَصْحَابه وَأَبُو جهل واصحابه. (1)

* * *

قال: الإِمَامْ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {47} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَكَذَلِكَ} يعني: كما أنزلنا إليهم الكتاب، {أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ} يَعْنِي: مُؤمني أَهْل الْكِتَابِ (عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ) - وَأَصْحَابَهُ، {وَمِنْ هَؤُلَاءِ} يَعْنِي: أَهْلَ مَكَّةَ، {مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ} وهم مؤمنو أَهْلِ مَكَّةَ، {وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إلا الْكَافِرُونَ} وذلك أن اليهود وأهل مكة عَرَفُوا أَنَّ مُحَمَّدًا نَبِيٌّ وَالْقُرْآنَ حق فجحدوا. وقال: (قَتَادَةُ): الْجُحُودُ إِنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ المعرفة. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {47} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ} يا محمد، هذا {الْكِتَابَ} الكريم، المبين كل نبأ عظيم، الداعي إلى كل خلق فاضل، وأمر كامل، المصدق للكتب السابقة، المخبر به الأنبياء الأقدمون.

{فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ} فعرفوه حق معرفته، ولم يداخلهم حسد وهوى.

{يُؤْمِنُونَ بِهِ} لأنهم تيقنوا صدقه، بما لديهم من الموافقات، وبما عندهم من البشارات، وبما تميزوا به من معرفة الحسن والقبيح، والصدق والكذب.

{وَمِنْ هَؤُلَاءِ} الموجودين {مَن يُؤْمِنُ بِهِ} إيمانا عن بصيرة، لا عن رغبته ولا رهبته.

{وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلا الْكَافِرُونَ} الذين دأبهم الجحود للحق والعناد له. وهذا حصر لمن كفر به، أنه لا يكون من أحد قصده متابعة الحق، وإلا فكل من له قصد صحيح، فإنه لا بد أن يؤمن به، لما اشتمل عليه من البينات، لكل من له عقل، أو ألقى السمع وهو شهيد.

ومما يدل على صحته، أنه جاء به هذا النبي الأمين، الذي عرف قومه صدقه وأمانته ومدخله ومخرجه وسائر أحواله، وهو لا يكتب بيده خطا، ولا يقرأ خطا مكتوبا، فإتيانه به في هذه الحال، من أظهر البينات القاطعة، التي لا تقبل

---

(1) انظُر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوتِ) الآية (47) يِنسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظُر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ . (العَنْكَبُوتِ) الآية (47).

الارتياب، أنه من عند الله العزيز الحميد، (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-
(بسنده الحسن)- عن (قتادة): (وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إلا الْكَافِرُونَ)، قال: إنما يكون الجحود بعد المعرفة. (2)

* * *

قال: الإمامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَة العَنْكَبُوت} الآية {47} قَوْلُهُ تَعَالَى:
{وكَذَلِكَ أَنزلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إلا الْكَافِرُونَ}.
قَالَ: (ابْنُ جرير): يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: كَمَا أَنْزَلْنَا الْكُتُب عَلَى مَنْ قَبْلَكَ -يَا مُحَمَّدُ -مِنَ الرُّسُل، كَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْكِتَابَ.
وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ حَسَنٌ وَمُنَاسَبَةٌ وَارْتِبَاطٌ جَيِّدٌ.
وَقَوْلُهُ: {فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ} أَيْ: الَّذِينَ أَخَذُوهُ فَتَلَوْهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ مِنْ أَحْبَارِهِمُ الْعُلَمَاءِ الْأَذْكِيَاءِ، كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَام، وَسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ، وَأَشْبَاهِهِمَا.
وَقَوْلُهُ: {وَمِنْ هَؤُلاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ} يَعْنِي: الْعَرَبَ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ،
{وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إلا الْكَافِرُونَ} أَيْ: مَا يُكَذِّبُ بِهَا وَيَجْحَدُ حَقَّهَا إِلاَّ مَنْ يَسْتُرُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، وَيُغَطِّي ضَوْءَ الشَّمْسِ بِالْوَصَائِلِ، وَهَيْهَاتَ. (3)

* * *

[٤٨] ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وما كنت -أيها الرسول- ﷺ - تقرأ قبل القرآن أي كتاب، وما كنت تكتب شيئاً بيمينك" لأنك أُمِّي لا تقرأ ولا تكتب، ولو كنت تقرأ وتكتب لشكَّ الجهلة من الناس في نبوتك، وتذرّعوا بأنك كنت تكتب عن الكتب السابقة. (4)

* * *

ومن معجزاتك البينة -أيها الرسول- ﷺ - أنك لم تقرأ كتابًا ولم تكتب حروفًا بيمينك قبل نزول القرآن عليك، وهم يعرفون ذلك، ولو كنت قارئًا أو كاتبًا من قبل أن يوحى إليك لشك في ذلك المبطلون، وقالوا: تعلَّمه من الكتب السابقة أو استنسخه منها. (5)

* * *

وما كنت تقرأ كتاباً من الكتب قبل القرآن، ولا كنت تكتب بيمينك، ولو كنت ممن يقرأ

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَة (العَنْكَبُوت) الآية (47)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).
(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمام (الطبري) (20/50).
المحقق: الشيخ (أحمد شاكر).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَام (ابن كثير) في سُورَة (العَنْكَبُوت) الآية (47).
(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (402/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (402/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

ويكتب لشك أهل الباطل في أنه من عند الله. (1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{ولا تخطه بيمينك} .... أي: تكتب بيدك لأنك أمي لا تقرأ ولا تكتب.

{لارتاب المبطلون} .... أي: لشك اليهود في نبوتك ونزول القرآن إليك.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {48} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ} تقرأ {مِن قَبْلِه} من قبل القرآن {مِن كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ} لا تكتبه {بِيَمِينِكَ إِذاً} لو كنت قارئاً أو كاتباً {لأَرْتَاب المبطلون} لشك اليهود والنصارى والمشركون لأن في كتابهم أنك أمي لا تقرأ ولا تكتب. (2)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {48} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا كُنْتَ تَتْلُو} يَا مُحَمَّدُ، {مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ} يعني: من قبل ما أنزل إِلَيْكَ الْكِتَابَ، {وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ} يعني: ولا تكتبه يعني لَمْ تَكُنْ تَقْرَأُ وَلَا تَكْتُبُ قَبْلَ الْوَحْيِ،

{إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ} يعني: لو كنت تقرأ أو تكتب قبل الوحي لشك المبطلون الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، وَقَالُوا: إِنَّهُ يَقْرَؤُهُ مِنْ كُتُبِ الْأَوَّلِينَ وَيَنْسَخُهُ مِنْهَا، قَالَهُ (قَتَادَةُ).

وَقَالَ: (مُقَاتِلٌ): الْمُبْطِلُونَ هُمُ الْيَهُودُ، وَمَعْنَاهُ إِذًا لَشَكُّوا فِيكَ وَاتَّهَمُوكَ، وَقَالُوا: إِنَّ الَّذِي نَجِدُ نَعْتَهُ فِي التَّوْرَاةِ أُمِّيٌّ لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ وَلَيْسَ هَذَا عَلَى ذَلِكَ النَّعْتِ. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {48} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا كُنْتَ تَتْلُو} أي: تقرأ {مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا} لو كنت بهذه الحال {لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ} فقالوا: تعلمه من الكتب السابقة، أو استنسخه منها، فأما وقد نزل على قلبك، كتابا جليلا تحديت به الفصحاء والبلغاء، الأعداء الألداء، أن يأتوا بمثله، أو بسورة من مثله، فعجزوا غاية العجز، بل ولا حدثتهم أنفسهم بالمعارضة، لعلمهم ببلاغته وفصاحته، وأن كلام أحد من البشر، لا يبلغ أن يكون مجاريا له أو على منواله، (4)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن)- عن (قتادة): قوله: (وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (598/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (48) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما - .

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ . (العَنْكَبُوت) الآية (48).

(4) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (48)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

بيمينك) قال: كان نبيّ الله لا يقرأ كتابا قبله، ولا يخطه بيمينه، قال: كان أُمِّيا، والأمّي: الذي لا يكتب.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن)– عن (قتادة): (إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ) إذن لقالوا: إنما هذا شيء تعلمه محمد – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وكتبه.(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الصحيح)– عن (مجاهد): في قول الله: (إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ) قال: قريش.(3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن)– عن (قتادة): (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) من أهل الكتاب صدّقوا بمحمد ونعته ونبوّته...(4)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {48} ثم قَالَ تَعَالَى: {وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ}، أَيْ: قَدْ لَبِثْتَ فِي قَوْمِكَ -يَا مُحَمَّدُ -وَمِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَ بِهَذَا الْقُرْآنِ عُمرا لَا تَقْرَأُ كِتَابًا وَلَا تُحْسِنُ الْكِتَابَةَ، بَلْ كُلُّ أَحَدٍ مِنْ قَوْمِكَ وَغَيْرِهِمْ يَعْرِفُ أَنَّكَ رَجُلٌ أُمِّيٌّ لَا تَقْرَأُ وَلَا تَكْتُبُ. وَهَكَذَا صِفَتُهُ فِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ} الْآيَةَ {الْأَعْرَاف: 157}.

وَهَكَذَا كَانَ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ دَائِمًا أَبَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَا يُحْسِنُ الْكِتَابَةَ وَلَا يَخُطُّ سَطْرًا وَلَا حَرْفًا بِيَدِهِ، بَلْ كَانَ لَهُ كُتَّابٌ يَكْتُبُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ الْوَحْيَ وَالرَّسَائِلَ إِلَى الْأَقَالِيمِ. وَمَنْ زَعَمَ مِنْ مُتَأَخِّرِي الْفُقَهَاءِ، كَالْقَاضِي أَبِي الْوَلِيدِ الْبَاجِيِّ وَمَنْ تَابَعَهُ أَنَّهُ- عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَتَبَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ: ((هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ))

فَإِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ رِوَايَةٌ فِي صَحِيحِ (الْبُخَارِيِّ): ((ثُمَّ أَخَذَ فَكَتَبَ)): وَهَذِهِ مَحْمُولَةٌ عَلَى الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى: ((ثُمَّ أَمَرَ فَكَتَبَ)). وَلِهَذَا اشْتَدَّ النَّكِيرُ بَيْنَ فُقَهَاءِ الْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ على من قال بقول الباجي، وتبرؤوا مِنْهُ، وَأَنْشَدُوا فِي ذَلِكَ أَقْوَالًا وَخَطَبُوا بِهِ فِي مَحَافِلِهِمْ: وَإِنَّمَا أَرَادَ الرَّجُلُ -أَعْنِي الْبَاجِيَّ، فِيمَا يَظْهَرُ عَنْهُ -أَنَّهُ كَتَبَ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ الْمُعْجِزَةِ، لَا أَنَّهُ كَانَ يُحْسِنُ الْكِتَابَةَ،

كَمَا قَالَ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِخْبَارًا عَنِ (الدَّجَّالِ): ((مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ)) وَفِي رِوَايَةٍ: ((ك ف ر، يَقْرَؤُهَا كُلُّ مُؤْمِنٍ))(5)،

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (50/20). المحقق: الشيخ (أحمد شاكر).
(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (51/20).
(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (51/20).
(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (52/20). المحقق: الشيخ (أحمد شاكر).
(5) (صحيح): أخرجه الإمام (البُخاري) في (صحيحه) برقم (7131)– (كتاب: الفتن) – من حديث– (أنس) – رضي الله عنه.

وَمَا أَوْرَدَهُ بَعْضُهُمْ مِنَ الْحَدِيثِ أَنَّهُ لَمْ يَمُتْ، - عَلَيْهِ السَّلَامُ- حَتَّى تَعَلَّمَ الْكِتَابَةَ، فَضَعِيفٌ لا أَصلَ لَهُ"

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو﴾ أَيْ: تَقرأُ ﴿مِنْ قَبْلِه مِنْ كِتَابٍ﴾ لِتَأْكِيدِ النَّفْي، ﴿وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ تَأْكِيدٌ أَيْضًا، وَخَرَجَ مَخْرَجَ الْغَالِبِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ {الْأَنْعَام: 38}.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِذًا لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ أَيْ: لَوْ كُنْتَ تُحْسِنُهَا لَارْتَابَ بَعْضُ الْجَهَلَةِ مِنَ النَّاسِ فَيَقُولُ: إِنَّمَا تَعَلَّمَ هَذَا مِنْ كُتُبٍ قَبْلَهُ مَأْثُورَة عَنِ الْأَنْبِيَاءِ، مَعَ أَنَّهُمْ قَالُوا ذَلِكَ مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّهُ أُمِّيٌّ لَا يُحْسِنُ الْكِتَابَةَ: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلا﴾ {الْفُرْقَان: 5}،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَنزلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ {الْفُرْقَان: 6}.(1)

* * *

[٤٩]﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلا الظَّالِمُونَ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

بل القرآن المنزل عليك آيات واضحات في صدور الذين أعطوا العلم من المؤمنين، وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون لأنفسهم بالكفر بالله والشرك به.(2)

* * *

بل القرآن آيات بينات واضحة في الدلالة على الحق يحفظه العلماء، وما يكذِّب بآياتنا ويردها إلا الظالمون المعاندون الذين يعلمون الحق ويحيدون عنه.(3)

* * *

ليس هذا الكتاب موضع ارتياب، بل هو آيات واضحات محفوظة فى صدور الذين آتاهم الله العلم، وما يُنكر آياتنا - بعد العلم بها - إلا الظالمون للحق ولأنفسهم.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

﴿بل هو آيات بينات﴾..... أي: محمد- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نعوته وصفاته آيات بينات في التوراة والإنجيل محفوظة في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب.

﴿وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون﴾....أي: وما يجحد بآيات الله الحاملة لنعوت الرسول الأمي وصفاته إلا الذين ظلموا أنفسهم بكتمان الحق والاستمرار على الباطل.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الْعَنْكَبُوت} الآية {49} قَوْلُهُ تَعَالَى: {بَلْ هُوَ} يَعْنِي نعتك وصفتك {آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ} عَلَامَات بَيِّنَات علمهَا {فِي صُدُورِ الَّذِين أُوتُوا الْعلم} أعْطوا الْعلم بِالتَّوْرَاة وَيُقَال بل هُوَ يَعْنِي الْقُرْآن آيَات بَيِّنَات

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (48).
(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (402/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (402/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (598/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

مبينات بالحلال وَالْحرَام وَالْأَمر وَالنَّهْي فِي صُدُور الَّذين أُوتُوا الْعلم أعْطوا الْعلم بِالْقُرْآنِ {وَمَا يجْحَدُ بِآيَاتِنَآ} بِمُحَمد -صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- وَالْقُرْآن {إِلاَّ الظَّالِمُونَ} الْكَافِرُونَ وَالْيَهُود وَالنَّصَارَى وَالْمُشْرِكُون.(1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {49} قَوْلُهُ تَعَالَى: {بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ} قَالَ: (الْحَسَنُ): يَعْنِي: الْقُرْآنَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ، {فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} يَعْنِي: الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ حَمَلُوا الْقُرْآنَ، وَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ)- رضي اللَّهُ عَنْهُمَا – وَ(قَتَادَةُ): بَلْ هُوَ – يَعْنِي: مُحَمَّدًا – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ذُو آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، لِأَنَّهُمْ يَجِدُونَهُ بِنَعْتِهِ وَصِفَتِهِ فِي كُتُبِهِمْ، {وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَ الظَّالِمُونَ}.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {49} قَوْلُهُ تَعَالَى: {بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلا الظَّالِمُونَ}.

أي: {بَلْ} هذا القرآن {آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ} لا خفيات، {فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} وهم سادة الخلق، وعقلاؤهم، وأولو الألباب منهم، والكمل منهم.

فإذا كان آيات بينات في صدور أمثال هؤلاء، كانوا حجة على غيرهم، وإنكار غيرهم لا يضر، ولا يكون ذلك إلا ظلما،

ولهذا قال: {وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلا الظَّالِمُونَ} لأنه لا يجحدها إلا جاهل تكلم بغير علم، ولم يقتد بأهل العلم، وهو متمكن من معرفته على حقيقته، وإما متجاهل عرف أنه حق فعانده، وعرف صدقه فخالفه.(3)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {49} {بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} أَيْ: هَذَا الْقُرْآنُ آيَاتٌ بَيِّنَةٌ وَاضِحَةٌ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْحَقِّ، أَمْرًا وَنَهْيًا وَخَبَرًا، يَحْفَظُهُ الْعُلَمَاءُ، يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حِفْظًا وَتِلَاوَةً وَتَفْسِيرًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ} {الْقَمَر: 17}،

وَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلاَ وَقَدْ أُعْطِيَ مَا آمَنَ عَلَى مِثْلِهِ الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُهُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا)) (4).

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (49) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ . (العَنْكَبُوت) الآية (49).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (49)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) (صحيح): أخرجه الإمام (البُخاري) في (صحيحه) برقم (7274). – (كتاب: الإعتصام بالكتاب والسنة) – من حديث – (أبي هريرة)- رضي الله عنه-، وسيأتي إن شاء الله.

وأخرجه الإمام (مُسلم) في (صحيحه) برقم (152) – (كتاب: الإيمان).

وفي حديث (عياض بن حمار)، في (صحيح مُسلم): ((يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنِّي مُبْتَلِيكَ وَمُبْتَلٍ بِكَ، وَمُنْزِلٌ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ)) (1). أَيْ: لَوْ غَسَلَ الْمَاءُ المحلَّ الْمَكْتُوبَ فِيهِ لَمَا احْتِيجَ إِلَى ذَلِكَ الْمَحَلِّ،

كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: ((لَوْ كَانَ الْقُرْآنُ فِي إِهَابٍ، مَا أَحْرَقَتْهُ النَّارُ)) (2)، لِأَنَّهُ مَحْفُوظٌ فِي الصُّدُورِ، مُيَسَّرٌ عَلَى الْأَلْسِنَةِ، مُهَيْمِنٌ عَلَى الْقُلُوبِ، مُعْجِزٌ لَفْظًا وَمَعْنًى"

وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فِي صِفَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ: ((أَنَاجِيلُهُمْ فِي صدورهم)).

وَاخْتَارَ (ابْنُ جَرِيرٍ): أَنَّ الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ}، بَلِ الْعِلْمُ بِأَنَّكَ مَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِ هَذَا الْكِتَابِ كِتَابًا وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ، آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ (3).

وَنَقَلَهُ عَنْ (قَتَادَةَ)، وَ(ابْنِ جُرَيْجٍ). وَحَكَى الْأَوَّلَ عَنِ (الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ) فَقَطْ.

قُلْتُ: وَهُوَ الَّذِي رَوَاهُ (الْعَوْفِيُّ) عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ)، وَقَالَهُ (الضَّحَّاكُ)، وَهُوَ الْأَظْهَرُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَوْلُهُ: {وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلا الظَّالِمُونَ} أَيْ: مَا يُكَذِّبُ بِهَا وَيَبْخَسُ حَقَّهَا وَيَرُدُّهَا إِلا الظَّالِمُونَ، أَيْ: الْمُعْتَدُونَ الْمُكَابِرُونَ، الَّذِينَ يَعْلَمُونَ الْحَقَّ وَيَحِيدُونَ عَنْهُ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ. وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ} {يُونُس: 96، 97}. (4)

* * *

[٥٠] ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾:

تفسير المختصر والمُيسر والمنتخب لهذه الآية:

وقال المشركون: هلاَّ أنزل على محمد- ﷺ - آيات من ربه مثل ما أنزل على الرسل من قبله، قل -أيها الرسول- ﷺ - لهؤلاء المقترحين: إنما الآيات بيد الله سبحانه، ينزلها متى شاء، وليس إليّ إنزالها، وإنما أنا نذير لكم من عقاب الله، واضح النذارة. (5)

* * *

(1) (صحيح): أخرجه الإمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (2865).- (كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها).

(2) (صحيح): (صححه) الإمَامُ (الألباني) في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) برقم (3562).
وأخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (151/4) - من حديث (عقبة بن عامر). وتقدم الكلام عليه في (فضائل القرآن).

(3) انظر: تفسير الطبري (5/21).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامِ (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (94).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (402/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

وقال المشركون: هلا أُنزل على محمد دلائل وحجج من ربه نشاهدها كناقة صالح، وعصا موسى! قل لهم: إن أمر هذه الآيات لله، إن شاء أنزلها، وإن شاء منعها، وإنما أنا لكم نذير أحذركم شدة بأسه وعقابه، مبيِّن طريق الحق من الباطل.(1)

* * *

وقال الكفار في جدالهم ولجاجهم: هلا أُنزل عليه معجزات حسية كالتي نزلت على الرسل من قبل؟ . قل لهم: إنما المعجزات كلها من عند الله، ينزلها حين يشاء، وإنما أنا مكلف بالإنذار الواضح، لا الإتيان بما تقترحون.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{لَوْلَا} ... هَلَّا.

{آيَاتٌ} ... حُجَجٌ وَبَرَاهِينُ نُشَاهِدُهَا" كَنَاقَةِ صَالِحٍ - عليه السلام -.

{لولا أنزل عليه آيات:} ..... أي: قال كفار قريش هلاّ أنزل على محمد آيات من ربّه كناقة صالح، وعصا موسى.

{قل إنما الآيات عند الله} .... أي: قل يا رسولنا الآيات عند الله ينزلها متى شاء.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {50} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالُواْ} وَقَالَت الْيَهُود وَالنَّصَارَى

وَالْمُشْركُونَ {لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ} هلا أنزل على مُحَمَّد - صلى الله عليه وسلم - {آيَاتٌ} علامَات {مِّن رَّبِّهِ} كَمَا أنزل على (مُوسَى وَعِيسَى) {قُلْ} لَهُم يَا مُحَمَّد - صلى الله عليه وسلم - {إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ} إِنَّمَا العلامات من عِنْد الله تَجِيء {وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ} رَسُول مخوف {مُّبِينٌ} بلغَة تعلمونها.(3)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {50} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ} كَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلُ، قَرَأَ: (ابْنُ كَثِيرٍ)، وَ(حَمْزَةُ)، وَ(الْكِسَائِيُّ)، وَ(أَبُو بَكْرٍ) آيَةٌ عَلَى التَّوْحِيدِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: آيَاتٌ مِنْ ربه.

قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ} وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى إِرْسَالِهَا إِذَا شَاءَ أَرْسَلَهَا،

{وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ} أُنْذِرُ أَهْلَ الْمَعْصِيَةِ بِالنَّارِ، وَلَيْسَ إِنْزَالُ الْآيَاتِ بِيَدِي.(4)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {50} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ}.

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (402/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (598/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (50) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامُ (البغوي) سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (50).

أي: واعترض هؤلاء الظالمون المكذبون للرسول ولما جاء به، واقترحوا عليه نزول آيات عينوها، كقولهم: {وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا} الآيات.

فتعيين الآيات ليس عندهم، ولا عند الرسول - صلى الله عليه وسلم-، فإن في ذلك تدبيرا مع الله، وأنه لو كان كذلك، وينبغي أن يكون كذلك، وليس لأحد من الأمر شيء.

ولهذا قال: {قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ} إن شاء أنزلها أو منعها.

{وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ} وليس لي مرتبة فوق هذه المرتبة.

وإذا كان القصد بيان الحق من الباطل، فإذا حصل المقصود -بأي: طريق- كان اقتراح الآيات المعينات على ذلك ظلما وجورا، وتكبرا على الله وعلى الحق.

بل لو قدر أن تنزل تلك الآيات، ويكون في قلوبهم أنهم لا يؤمنون بالحق إلا بها، كان ذلك ليس بإيمان، وإنما ذلك شيء وافق أهواءهم، فآمنوا، لا لأنه حق، بل لتلك الآيات. فأي فائدة حصلت في إنزالها على التقدير الفرضي؟، ولما كان المقصود بيان الحق، ذكر تعالى طريقه، (1)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثنا الليث، عن سعيد، عن أبيه، عن (أبي هريرة)، عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((ما من الأنبياء نبيّ إلا أعطي من الآيات ما مثله أُومن -أو آمن- عليه البشر، وإنما كان الذي أُوتيته وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو إني أكثرهم تابعاً يوم القيامة)). (2)(3)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {50} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ}.

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْمُشْرِكِينَ فِي تَعَنُّتِهِمْ وَطَلَبِهِمْ آيَاتٍ -يَعْنُونَ -تُرْشِدُهُمْ إِلَى أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَمَا جَاءَ صَالِحٌ بِنَاقَتِه،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {قُلْ} يَا مُحَمَّدُ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - {إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ} أَيْ: إِنَّمَا أَمْرُ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَوْ عَلِمَ أَنَّكُمْ تَهْتَدُونَ لَأَجَابَكُمْ إِلَى سُؤَالِكُمْ" لأَنَّ ذَلِكَ سَهْلٌ عَلَيْهِ، يَسِيرٌ لَدَيْهِ، وَلَكِنَّهُ يَعْلَمُ مِنْكُمْ أَنَّمَا قَصْدُكُمُ التَّعَنُّتُ وَالِامْتِحَانُ، فَلَا يُجِيبُكُمْ إِلَى ذلك،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا} {الْإِسْرَاءِ: 59}.

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةِ (العَنْكَبُوتِ) الآية (50)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (13/261)، (ح7274)– (كتاب: الاعتصام)، / باب: (قول النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((بعثت بجوامع الكلم)).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (ح152)– (كتاب: الإيمان)، / باب: (وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم -).

وَقَوْلُهُ: {وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ} أَيْ: إِنَّمَا بُعِثْتُ نَذِيرًا لَكُمْ بَيِّنَ النِّذَارَةِ فَعَلَيَّ أَنْ أُبَلِّغَكُمْ رِسَالَةَ اللَّهِ وَ{مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا} {الْكَهْف: 17}،

وَقَالَ تَعَالَى: {لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} {الْبَقَرَة: 272}. (1)

* * *

[٥١] ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

أولم يكف هؤلاء المقترحين للآيات أنا أنزلنا عليك -أيها الرسول- ﷺ- القرآن يقرأ عليهم، إن في القرآن المنزل عليهم لرحمة وعظة لقوم يؤمنون، فهم الذين ينتفعون بما فيه، فما أنزل عليهم خير مما اقترحوه من نظير ما أنزل على الرسل سابقًا. (2)

* * *

أو لم يكف هؤلاء المشركين في علمهم بصدقك -أيها الرسول- ﷺ- أنا أنزلنا عليك القرآن يتلى عليهم؟ إن في هذا القرآن لَرحمة للمؤمنين في الدنيا والآخرة، وذكرى يتذكرون بما فيه من عبرة وعظة. (3)

* * *

أيقترحون هذه الآيات ولا يكفيهم أنَّا أنزلنا عليك الكتاب يُقرأ عليهم - وهو الآية الخالدة على مر الزمن - إنَّ في إنزال هذا الكتاب عليكم لرحمة بهم وبالأجيال من بعدهم، وتذكرة دائمة نافعة لقوم شأنهم أن يؤمنوا إذا وضحت لهم سبل الهداية. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب}.... أي: أو لم يكفهم فيما طلبوا من الآيات إنزالنا الكتاب عليك.

{إن في ذلك لرحمة وذكرى}.... أي: في القرآن رحمة وموعظة للمؤمنين فهو خير من ناقة صالح.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {51} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَو لم يكفهم} أهل مَكَّة يَا مُحَمَّد- ﷺ- آيَة لنبوتك {أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ} جِبْرِيل بِالْقُرْآنِ {يُتْلَى} يقْرَأ {عَلَيْهِم} بِالْأَمر وَالنَّهْي وأخبار الْأُمَم {إِنَّ فِي ذَلِكَ} فِي الَّذِي أنزلت إِلَيْك جِبْرِيل بِهِ يَعْنِي الْقُرْآن {لَرَحْمَةً} من الْعَذَاب لمن آمن بِهِ {وذكرى} موعظة {لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} بِمُحَمَّد- صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- وَالْقُرْآن. (5)

* * *

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (50).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (402/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (402/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (598/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (51) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

قال: الإمَام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {51} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ} هذا الجواب لقولهم: {لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ} قَالَ: {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ} يَعْنِي: أَوَلَمَ يَكْفِهِمْ مِنَ الْآيَاتِ الْقُرْآنُ يُتْلَى عَلَيْهِمْ، {إِنَّ فِي ذَلِكَ} فِي إِنْزَالِ الْقُرْآنِ، {لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} أَيْ: تَذْكِيرًا وَعِظَةً لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ بِهِ. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {51} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ} في علمهم بصدقك وصدق ما جئت به. {أَنَّا أَنزلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ} وهذا كلام مختصر جامع، فيه من الآيات البينات، والدلالات الباهرات، شيء كثير، فإنه كما تقدم إتيان الرسول به بمجرده وهو أمي، من أكبر الآيات على صدقه.

ثم عجزهم عن معارضته، و تحديه إياهم آية أخرى، ثم ظهوره، وبروزه جهرا علانية، يتلى عليهم، ويقال: هو من عند الله، قد أظهره الرسول، وهو في وقت قلَّ فيه أنصاره، وكثر مخالفوه وأعداؤه، فلم يخفه، ولم يثن ذلك عزمه، بل صرح به على رءوس الأشهاد، ونادى به بين الحاضر والباد، بأن

هذا كلام ربي، فهل أحد يقدر على معارضته، أو ينطق بمباراته أو يستطيع مجاراته؟.

ثم إخباره عن قصص الأولين، وأنباء السابقين والغيوب المتقدمة والمتأخرة، مع مطابقته للواقع.

ثم هيمنته على الكتب المتقدمة، وتصحيحه للصحيح، ونَفْيُ ما أدخل فيها من التحريف والتبديل، ثم هدايته لسواء السبيل، في أمره ونهيه، فما أمر بشيء فقال العقل "ليته لم يأمر به" ولا نهى عن شيء فقال العقل: "ليته لم ينه عنه" بل هو مطابق للعدل والميزان، والحكمة المعقولة لذوي البصائر والعقول ثم مسايرة إرشاداته وهدايته وأحكامه لكل حال وكل زمان بحيث لا تصلح الأمور إلا به .

فجميع ذلك يكفي من أراد تصديق الحق، وعمل على طلب الحق، فلا كفى الله من لم يكفه القرآن، ولا شفى الله من لم يشفه الفرقان، ومن اهتدى به واكتفى، فإنه خير له فلذلك قال: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} وذلك لما يحصلون فيه من العلم الكثير، والخير الغزير، وتزكية القلوب والأرواح، وتطهير العقائد، وتكميل الأخلاق، والفتوحات الإلهية، والأسرار الربانية. (2)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {51} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَوَلَمْ

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَام (البغوي) سُورَةُ . (العَنْكَبُوت) الآية (51).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (51)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

يكفهم أَنَّا أنزلنَا عليك الْكتَابَ يُتْلَى عَلَيهِمْ} أي: أَوَلَم يكفهم آيةً أنَّا أنْزَلْنَا عليك هذا الْكِتَابَ الْعَظِيم، الَّذي فيه خبرُ مَا قبلَهُمْ، وَنَبَأُ مَا بعْدَهُمْ، وحُكْمُ مَا بَيْنَهُمْ، وأَنْتَ رَجُلٌ أُمِّيٌّ لا تَقرأُ ولاَ تكْتُبُ، ولَمْ تُخالط أَحدًا منْ أهل الكتاب، فجئْتهُمْ بأخْبار مَا في الصُّحُف الأُولَى، ببيَانِ الصَّوَابِ مِمَّا اخْتَلَفُوا فيه، وبِالْحَقِّ الْوَاضِحِ الْبَيِّنِ الْجَلِيِّ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ} {الشُّعراء: 197}،

وَقَالَ تَعَالَى: {وَقَالُوا لَوْلا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الأُولَى} {طه: 133}.

وقَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ): حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، حَدَّثَنِي سَعِيدُ بنُ أبي سعيد، عَنْ أَبِيهِ عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ)، - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم-: ((مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إلا قَدْ أُعطي مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُهُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)).[1] أَخْرَجَاهُ - مِنْ حَدِيثِ (اللَّيْثِ)[2].

(1) (صَحِيحٌ): أخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (341/2).

(2) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (4981) – (كتاب: فضائل القرآن)،
وأخرجه الإِمَامُ (مُسْلم) في (صحيحه) برقم (152). – (كتاب: الإيمان).

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} أَيْ: إِنَّ فِي هَذَا الْقُرْآنِ: {لَرَحْمَةً} أَيْ: بَيَانًا لِلْحَقِّ، وَإِزَاحَةً لِلْبَاطِلِ وَ {ذِكْرَى} بِمَا فِيهِ حُلُولُ النِّقَمَاتِ وَنُزُولُ الْعِقَابِ بِالْمُكَذِّبِينَ وَالْعَاصِينَ، {لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}.[3]

* * *

[٥٢] ﴿ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

قل: -أيها الرسول- ﷺ- كفى بالله سبحانه شاهدًا على صدقي فيما جئت به، وعلى تكذيبكم به، يعلم ما في السماوات ويعلم ما في الأرض، لا يخفى عليه شيء فهما، والذين آمنوا بالباطل من كل ما يعبد من دون الله، وكفروا بالله المستحق وحده للعبادة، أولئك هم الخاسرون" لاستبدالهم الكفر بالإيمان.[4]

* * *

قل: كفى بالله بيني وبينكم شاهدًا على صدقي أني رسوله، وعلى تكذيبكم لي وردكم الحق الذي جئتُ به من عند الله، يعلم ما في السموات والأرض، فلا يخفى عليه شيء فهما. والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله -مع

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامُ (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (51).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (402/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

هـذه الدلائل الواضحة- أولئك هم الخاسرون في الدنيا والآخرة. (1)

* * *

قل: حسبي وحسبكم أن يكون الله شاهداً على أنَّي قد بلَّغتكم ما أرسلت به إليكم، فهو مطلع على أمري وأمركم، لا يخفى عليه شئ في السموات والأرض. والذين عبدوا غير الله وكفروا بالله فلم يخصوه بالعبادة" أولئك هم الذين اشتروا الكفر بالإيمان فأصابهم الخسران المبين. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{والذين آمنوا بالباطل}.... وهو ما يعبد من دون الله.

{وكفروا بالله}.... وهو الإله الحق.

{أولئك هم الخاسرون}....أي: حيث استبدلوا الكفر بالإيمان.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {52} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قُلْ} لَهُم يَا مُحَمَّد- ﷺ - {كفى بِاللَّه بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً} بِأَنِّي رَسُوله {يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْض} من الْخلق {وَالَّذين آمَنُوا بِالْبَاطِلِ} بالشيطان {وَكَفَرُوا بِاللَّه

{أُولَئِكَ هُمُ الخاسرون} المغبونون بالعقوبة يَعْنِي: (أَبَا جهل) وَأَصْحَابه. (3)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {52} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا} أَنِّي رَسُولُهُ وَهَذَا الْقُرْآنُ كِتَابُهُ.

{يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): بِغَيْرِ اللَّهِ.

وقال: (قتادة): بِعِبَادَةِ الشَّيْطَانِ، {وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}. (4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {52} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا} فأنا قد استشهدته، فإن كنت كاذبا، أَحَلَّ بي ما به تعتبرون، وإن كان إنما يؤيدني وينصرني وييسر لي الأمور، فلتكفكم هذه الشهادة الجليلة من الله، فإن وقع في قلوبكم أن شهادته -وأنتم لم تسمعوه ولم تروه- لا تكفي دليلا فإنه.

{يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ} ومن جملة معلوماته حالي وحالكم، ومقالي لكم فلو كنت متقولا عليه، مع علمه بذلك، وقدرته على عقوبتي، لكان﴿قدحا في علمه وقدرته وحكمته﴾ كما قال تعالى: {وَلَوْ

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (402/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (599/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (52) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ. (العَنْكَبُوت) الآية (52).

تَقَـوَّلَ عَلَيْنَـا بَعْـضَ الْأَقَاوِيـلِ لَأَخَـذْنَا مِنْـهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ}

{وَالَّـذِينَ آمَنُـوا بِالْبَاطِـلِ وَكَفَـرُوا بِاللَّـهِ أُولَئِـكَ هُـمُ الْخَاسِـرُونَ} حيث هـم خسروا الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وحيث فاتهم النعيم المقيم، وحيث حصل لهم في مقابلة الحق الصحيح كل باطل قبيح، وفي مقابلة النعيم كل عذاب أليم، فخسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن)– عن (قتادة): (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ): الشرك.(2)

* * *

قال: الإمامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {52} ثم قَالَ تَعَالَى: {قُلْ} قُل: {كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا} أَيْ: هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ مِنَ التَّكْذِيبِ، وَيَعْلَمُ مَا أَقُولُ لَكُمْ مِنْ إِخْبَارِي عَنْهُ، بِأَنَّهُ أَرْسَلَنِي، فَلَوْ كُنْتُ كَاذِبًا عَلَيْهِ لَانْتَقَمَ مِنِّي،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ. لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ. فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ} {الْحَاقَّة: 44-47}،

وَإِنَّمَا أَنَا صَادِقٌ عَلَيْهِ فِيمَا أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ، وَلِهَذَا أَيَّدَنِي بِالْمُعْجِزَاتِ الْوَاضِحَاتِ، وَالدَّلَائِلِ الْقَاطِعَاتِ.

{يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ} أَيْ : لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ.

{وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} أَيْ: يَوْمَ مَعَادِهِمْ سَيَجْزِيهِمْ عَلَى مَا فَعَلُوا، وَيُقَابِلُهُمْ عَلَى مَا صَنَعُوا، مِنْ تَكْذِيبِهِمْ بِالْحَقِّ وَاتِّبَاعِهِمُ الْبَاطِلَ، كَذَّبُوا بِرُسُلِ اللَّهِ مَعَ قِيَامِ الْأَدِلَّةِ عَلَى صِدْقِهِمْ، وَآمَنُوا بِالطَّوَاغِيتِ وَالْأَوْثَانِ بِلَا دَلِيلٍ، سَيُجَازِيهِمْ على ذلك، إنه حكيم عليم.(3)

* * *

﴿مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ﴾

﴿سُورَةُ العَنْكَبُوت: 46 - 52﴾

- مجادلة أهل الكتاب تكون بالتي هي أحسن.
- الإيمان بجميع الرسل والكتب دون تفريق شرط لصحة الإيمان.
- القرآن الكريم الآية الخالدة والحجة الدائمة على صدق النبي - صلى الله عليه وسلم -.(4)

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (52)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمام (الطبري) (54/20). المحقق: الشيخ (أحمد شاكر).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) لِلْإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (52).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (402/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

* * *

[٥٣] ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يستعجلك -أيها الرسول - ﷺ - المشركون بالعذاب الذي أنذرتهم إياه، ولولا أن الله قدّر لعذابهم وقتًا لا يتقدم عنه ولا يتأخر لجاءهم ما طلبوا من العذاب، وليأتينهم فجأة وهم لا يتوقعونه. (1)

* * *

ويستعجلك -أيها الرسول- ﷺ - هؤلاء المشركون من قومك بالعذاب استهزاء، ولولا أن الله جعل لعذابهم في الدنيا وقتًا لا يتقدم ولا يتأخر، لجاءهم العذاب حين طلبوه، وليأتينهم فجأة، وهم لا يشعرون به ولا يُحِسُّون. (2)

* * *

ويتحداك الكافرون أن تعجِّل لهم العذاب الذى حذرتهم منه، ولولا أجل معلوم قضت به حكمتنا لعجَّلنا لهم العذاب الذى استعجلوه، وأقسم ليأتينهم فجأة وهم لا يشعرون. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{ويستعجلونك بالعذاب} ..... أي: يطلبون منك تعجيل العذاب لهم.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (402/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (402/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (599/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (53) يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (54) يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (55) يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ (56) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (57) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (58) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (59) وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (60) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (61) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (62) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (63)

{ولولا أجل مسمى} ..... أي: وقت محدد للعذاب لا يتقدمه ولا يتأخر عنه لجاءهم.

{أَجَلٌ مُسَمًّى} ... وَقْتُ عَذَابِهِمُ الْمُقَدَّرُ عِنْدَ اللهِ.

{وليأتينهم بغتة} .... فجأة من حيث لا يخطر لهم على بال.

{بَغْتَةً} ... فَجْأَةً.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآيَة {53} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ} يَا مُحَمَّد - ﷺ - {بِالْعَذَابِ} {وَلَوْلاَ أَجَلٌ مُسَمًّى} وَقت مَعْلُوم {لَّجَآءَهُمُ

{الْعَذَابُ} قبل وقته {وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً} فَجْأَةً {وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} بنزوله. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {53} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ} نَزَلَتْ فِي (النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ) حِينَ قَالَ: فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ.

{وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): مَا وَعَدْتُكَ أَنِّي لَا أُعَذِّبُ قَوْمَكَ وَلَا أستأصلهم وأؤخر عذابهم يعني: لِأَنَّهُمْ إِذَا مَاتُوا صَارُوا إِلَى الْعَذَابِ، يَعْنِي:- يَوْمَ بَدْرٍ،

{لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ} يَعْنِي: الْعَذَابَ، يَعْنِي:- الْأَجَلَ،

{بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} بإتيانه. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {53} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} .

يخبر تعالى عن جهل المكذبين للرسول وما جاء به، وأنهم يقولون -استعجالا للعذاب، وزيادة تكذيب- {مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} ؟.

يقول تعالى: {وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى} مضروب لنزوله، ولم يأت بعد،

{لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ} بسبب تعجيزهم لنا وتكذيبهم الحق، فلو آخذناهم بجهلهم، لكان كلامهم أسرع لبلائهم وعقوبتهم، ولكن -مع ذلك- فلا يستبطئون نزوله، فإنه سيأتيهم {بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}

فوقع كما أخبر الله تعالى، لما قدموا لـ "بدر" بطرين مفاخرين، ظانين أنهم قادرون على مقصودهم، فأهانهم الله، وقتل كبارهم، واستوعب جملة أشرارهم، ولم يبق فيهم بيت إلا أصابته تلك المصيبة، فأتاهم العذاب من حيث لم يحتسبوا، ونزل بهم وهم لا يشعرون.

هذا، وإن لم ينزل عليهم العذاب الدنيوي، فإن أمامهم العذاب الأخروي، الذي لا يخلص منهم أحد منه، سواء عوجل بعذاب الدنيا أو أمهل. (3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن)- عن (قتادة): قوله: (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ) قال: قال ناس من جهلة هذه الأمة (اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) الآية. (4)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (53) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامُ (البغوي) سُورَةُ . (العَنْكَبُوت) الآية (53).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (53)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمام (الطبري) (54/20). المحقق: الشيخ (أحمد شاكر).

العَنْكَبُوت} الآية {53} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ}.

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ جَهْلِ الْمُشْرِكِينَ فِي اسْتِعْجَالِهِمْ عَذَابَ اللَّهِ أَنْ يَقَعَ بِهِمْ، وَبَأْسَ اللَّهِ أَنْ يَحلَّ عَلَيْهِمْ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} {الْأَنْفَال: 32}،

وَقَالَ هَاهُنَا: {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ} أَيْ: لَوْلَا مَا حَتَّمَ اللَّهُ مِنْ تَأْخِيرِ الْعَذَابِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ قَرِيبًا سَرِيعًا كَمَا اسْتَعْجَلُوهُ.

ثُمَّ قَالَ: {وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً} أَيْ: فَجْأَةً، {وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ}. (1)

* * *

[٥٤] ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يستعجلونك بالعذاب الذي وعدتهم إياه، وإن جهنم التي وعدها الله الكافرين لمحيطة بهم، لا يستطيعون الفرار من عذابها. (2)

* * *

يستعجلونك بالعذاب في الدنيا، وهو آتيهم لا محالة إمَّا في الدنيا وإما في الآخرة، وإن عذاب جهنم في الآخرة لمحيط بهم، لا مفرَّ لهم منه. (3)

* * *

يطلبون إليك تعجيل العذاب وهو واقع بهم لا محالة. وإن جهنم لتحيط - يقيناً - بالكافرين. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وإن جهنم لمحيطة بالكافرين}.... أي: من كل جانب وهم فيها وذلك يوم يغشاهم.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {54} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَسْتَعْجِلُونَكَ} يَا مُحَمَّد - ﷺ - {بِالْعَذَابِ} فِي الدُّنْيَا {وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ} ستحيط {بالكافرين} وَهِي تجمعهم جَمِيعًا. (5)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {54} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ} أَعَادَهُ تَأْكِيدًا، {وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ} جَامِعَةٌ لَهُمْ لَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا دَخَلَهَا. (6)

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامْ (ابن كثير) في سُورةُ (العَنْكَبُوت) الآية (53).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (403/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (403/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (599/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (54) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(6) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (54).

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَة العَنْكَبُوت} الآية {54} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ} ليس لهم عنها معدل ولا متصرف، قد أحاطت بهم من كل جانب، كما أحاطت بهم ذنوبهم وسيئاتهم وكفرهم، وذلك العذاب، هو العذاب الشديد. (1)

* * *

قال: الإمامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَة العَنْكَبُوت} الآية {54} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ} أَيْ: يَسْتَعْجِلُونَ بِالْعَذَابِ، وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ لَا مَحَالَةَ.

قَالَ: (شُعْبَةُ)، عَنْ (سِمَاك)، عَنْ (عِكْرِمَة) قَالَ فِي قَوْلِهِ: {وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ}، قَالَ: الْبَحْرُ.

وَقَالَ: (ابْنُ أَبِي حَاتِم): حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ. حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُجَالِد، حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ مُجَالِد، عَنِ (الشَّعْبِيِّ)" أَنَّهُ سَمِعَ (ابْنَ عَبَّاس) يَقُولُ: {وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ}: وَجَهَنَّمُ هُوَ هَذَا الْبَحْرُ الْأَخْضَرُ، تَنْتَثِرُ الْكَوَاكِبُ فِيهِ، وتُكَوَّرُ فِيهِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، ثُمَّ يُسْتَوْقَدُ فَيَكُونُ هُوَ جَهَنَّمَ. (2)

* * *

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَة (العَنْكَبُوت) الآية (54)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامْ (ابن كثير) في سُورَة (العَنْكَبُوت) الآية (54).

[٥٥] ﴿ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يوم يُغَطِّيهم العذاب من فوقهم، ويكون فراشًا لهم من تحت أرجلهم، ويقول لهم الله توبيخًا لهم: ذوقوا جزاء ما كنتم تعملون من الشرك والمعاصي. (3)

* * *

يوم القيامة يغشى الكافرين عذاب جهنم من فوق رؤوسهم، ومن تحت أقدامهم، فالنار تغشاهم من سائر جهاتهم، ويقول الله لهم حينئذ: ذوقوا جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا: من الإشراك بالله، وارتكاب الجرائم والآثام. (4)

* * *

يوم يغمرهم العذاب من أعلاهم ومن أسفلهم، ويقول الملك الموكل بعذابهم: ذوقوا جزاء ما كنتم تعملون من السيئات. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{يوم يغشاهم العذاب} .... أي: من فوقهم ومن تحت أرجلهم.

{يَغْشَاهُمُ} ... يُحيطُ بِهِم وَيَعْلُوهُمْ.

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (403/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (403/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (599/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{ذوقوا ما كنتم تعملون} ..... أي: ويقول لهم الجبار ذوقوا ما كنتم تعملون، أي: من الشرك والمعاصي.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {55} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَوْمَ يغْشَاهُمُ} يَأْخُذهُمْ {الْعَذَاب من فَوْقهمْ} من فَوق رُؤُوسهم {وَمن تَحْت أَرْجُلهمْ} إِذا ألقوا فِي النَّار {وَيَقُول} لَهُم {ذُوقُوا مَا كُنْتُم تَعْمَلُونَ} بِمَا كُنْتُم تَعْمَلُونَ وتقولون فِي الْكفْر. (1)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {55} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَوْمَ يَغْشَاهُمُ} يصيبهم {الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ} يَعْنِي: إِذَا غَشِيَهُمُ الْعَذَابُ أَحَاطَتْ بِهِمْ جَهَنَّمُ، كَمَا قَالَ: {لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ} {الأعراف: 41}.

{وَيَقُولُ ذُوقُوا} قَرَأَ: (نَافِعٌ)، و(أَهْلُ الْكُوفَةِ): ثُمَّ يقول بِالْيَاءِ أَيْ وَيَقُولُ لَهُمُ الْمُوَكَّلُ بِعَذَابِهِمْ: ذُوقُوا، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: بِالنُّونِ لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ بِأَمْرِهِ نُسِبَ إِلَيْهِ، أَيْ جَزَاءَ {مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {55} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} فإن أعمالكم انقلبت عليكم عذابا، وشملكم العذاب كما شملكم الكفر والذنوب. (3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن)- عن (قتادة): {يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ} أي: في النار. (4)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {55} ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ}، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ} {الْأَعْرَافِ: 41}،

وَقَالَ: {لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ} {الزُّمَرِ: 16}،

وَقَالَ: {لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ} {الْأَنْبِيَاءِ: 39}، فَالنَّارُ تَغْشَاهُمْ مِنْ سَائِرِ جِهَاتِهِمْ، وَهَذَا أَبْلَغُ فِي الْعَذَابِ الْحِسِّيِّ.

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (55) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَام (البغوي) سُورَةُ . (العَنْكَبُوت) الآية (55).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (55)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمام (الطبري) (55/20). المحقق: الشيخ (أحمد شاكر).

وَقَوْلُهُ: {وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}، تَهْدِيدٌ وَتَقْرِيعٌ وَتَوْبِيخٌ، وَهَذَا عَذَابٌ مَعْنَوِيٌّ عَلَى النُّفُوسِ، كَقَوْلِهِ: {يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ. إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} {الْقَمَرِ: 48، 49}،

وَقَالَ: {يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا. هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ. أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ. اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} {الطور: 13-16}. (1)

* * *

[٥٦] ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يا عبادي الذين آمنوا بي، هاجِرُوا من أرض لا تتمكنون فيها من عبادتي، إن أرضي واسعة فاعبدوني وحدي، ولا تشركوا بي أحدًا. (2)

* * *

يا عبادي الذين آمنوا إن كنتم في ضيق من إظهار الإيمان وعبادة الله وحده، فهاجروا إلى أرض الله الواسعة، وأخلصوا العبادة لي وحدي. (3)

* * *

يا عبادى الذين صدَّقوا بى وبرسولى: إنّ أرضى واسعة لمن أراد أن يفر عن مواطن الشرك. ففروا إلى مخلصين لى العبادة. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{إن أرضي واسعة} .... أي: هاجروا من بلاد لم تتمكنوا من العبادة فيها فإن أرض الله واسعة.

{فإياي فاعبدون} .... فاعبدوني وحدي ولا تعبدوا معي غيري كما يريد منكم المشركون.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {56} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا عِبَادِي الَّذِين آمنُوا} بِمُحَمَّد -صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- وَالْقُرْآن يَعْنِي أَبَا بكر وَعمر وَعُثْمَان وعلياً وأصحابهم {إِنَّ أَرْضِي} أَرض الْمَدِينَة {وَاسِعَة} آمِنَة فاخرجوا إِلَيْهَا {فإياي فاعبدون} فأطيعون. (5)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {56} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ} قَالَ: (مُقَاتِلٌ): نَزَلَتْ فِي ضُعَفَاءِ مُسْلِمِي مَكَّةَ يَقُولُ: إِنْ كُنْتُمْ فِي ضِيقٍ بِمَكَّةَ مِنْ إِظْهَارِ الْإِيمَانِ فَاخْرُجُوا مِنْهَا إِلَى أَرْضٍ

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (55).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (403/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (403/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (599/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (56) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

الْمَدِينَةُ، إِنَّ أَرْضِي يَعْنِي: الْمَدِينَةَ وَاسِعَةٌ آمِنَةٌ،

قَالَ: (مُجَاهِدٌ): إن أرضي واسعة فَهَاجِرُوا وَجَاهِدُوا فيها.

وَقَالَ: (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ): إِذَا عُمِلَ فِي الأرض بِالْمَعَاصِي فَاخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ.

وَقَالَ: (عَطَاءٌ): إِذَا أُمِرْتُمْ بِالْمَعَاصِي فَاهْرُبُوا فَإِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ، وَكَذَلِكَ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مَنْ كَانَ فِي بَلَدٍ يُعْمَلُ فِيهَا بِالْمَعَاصِي وَلَا يُمْكِنُهُ تَغْيِيرُ ذَلِكَ أَنْ يُهَاجِرَ إِلَى حَيْثُ يَتَهَيَّأُ لَهُ الْعِبَادَةُ.

يَعْنِي:- نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ تَخَلَّفُوا عَنِ الْهِجْرَةِ بِمَكَّةَ وَقَالُوا: نَخْشَى إِنْ هَاجَرْنَا مِنَ الْجُوعِ وَضِيقِ الْمَعِيشَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ وَلَمْ يَعْذُرْهُمْ بِتَرْكِ الْخُرُوجِ.

وَقَالَ: (مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ): أَرْضِي وَاسِعَةٌ أَيْ رِزْقِي لَكُمْ وَاسِعٌ فَاخْرُجُوا.(1)

* * *

أخرج – الإمام (آدم بن أبي إياس) – (رحمه الله):- (بسنده الصحيح)– عن (مجاهد): في قول الله: (إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ)، فهاجروا وجاهدوا.(2)(3)

* * *

قال: الإِمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {56} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ}.

هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْهِجْرَةِ مِنَ الْبَلَدِ الَّذِي لَا يَقْدِرُونَ فِيهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ، إِلَى أَرْضِ اللَّهِ الْوَاسِعَةِ، حَيْثُ يُمْكِنُ إِقَامَةُ الدِّينِ، بِأَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ وَيَعْبُدُوهُ كَمَا أمرهم"،

ولهذا قال: {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ}.

قال ولهذا لَمَّا ضَاقَ عَلَى الْمُسْتَضْعَفِينَ بِمَكَّةَ مُقَامُهُمْ بِهَا، خَرَجُوا مُهَاجِرِينَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، لِيَأْمَنُوا، عَلَى دِينِهِمْ هُنَاكَ، فَوَجَدُوا هُنَاكَ خَيْرَ الْمُنْزِلِينَ، أَصْحَمَةَ النَّجَاشِيَّ مَلِكَ الْحَبَشَةِ، رَحِمَهُ اللَّهُ، آوَاهُمْ وَأَيَّدَهُمْ بِنَصْرِهِ، وَجَعَلَهُمْ شُيُوما بِبِلَادِهِ. ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَصْحَابُهُ الْبَاقُونَ إِلَى المدينة النبوية يثرب المطهرة.(4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {56} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا} بي وصدقوا رسولي {إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ} فإذا تعذرت عليكم عبادة ربكم في أرض، فارتحلوا منها إلى أرض أخرى، حيث كانت العبادة لله وحده، فأماكن العبادة ومواضعها، واسعة، والمعبود واحد،(5)

* * *

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (56).

(2) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (74/4)، للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين)،

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (56/20).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (56).

(5) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (56)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

[٥٧] ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولا يمنعكم من الهجرة خوف الموت، كل نفس ذائقة الموت، ثم إلينا وحدنا ترجعون يوم القيامة للحساب والجزاء. (1)

* * *

كل نفس حية ذائقة الموت، ثم إلينا ترجعون للحساب والجزاء. (2)

* * *

كل نفس ستذوق طعم الموت - لا محالة - ثم إلينا تعودون فَتُجْزَوْن بما قدمتم من خير وشر. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{كل نفس ذائقة الموت} .... أي: لا يمنعكم الخوف من الموت ألا تهاجروا في سبيل الله فإن الموت لا بد منه للمهاجر ولمن ترك الهجرة.

{ثم إلينا ترجعون} .... أي: بعد موتكم ترجعون إلى الله فمن مات في سبيل مرضاته أكرمه وأسعده، ومن مات في معصيته أذاقه عذابه.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {57} قَوْلُهُ تَعَالَى: {كُلُّ نَفْسٍ} منفوسة {ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ} تذوق الْمَوْت {ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} بعد الْمَوْت فيجزيكم بأعمالكم. (4)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {57} قَوْلُهُ تَعَالَى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ} خوفهم بالموت لتهون عَلَيْهِمُ الْهِجْرَةَ أَيْ: كُلُّ وَاحِدٍ مَيِّتٌ أَيْنَمَا كَانَ فَلَا تُقِيمُوا بِدَارِ الشِّرْكِ خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ، {ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} فَنَجْزِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، وَقَرَأَ (أَبُو بَكْرٍ): تُرْجَعُونَ. (5)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {57} قَوْلُهُ تَعَالَى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ}. والموت لا بد أن ينزل بكم ثم ترجعون إلى ربكم، (6)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {57} قَوْلُهُ تَعَالَى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} أَيْ: أَيْنَمَا كُنْتُمْ يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ، فَكُونُوا فِي طَاعَةِ

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (403/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (403/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (599/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).
(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوتِ) الآية (57) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.
(5) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامُ (البغوي) سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (57).
(6) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (57)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

اللَّـهِ وَحَيْـثُ أَمَـرَكُمُ اللَّـهُ، فَهُـوَ خَيْـرٌ لَكُـمْ، فَـإِنَّ الْمَـوْتَ لاَ بُـدَّ مِنْـهُ، وَلاَ مَحِيـدَ عَنْـهُ، ثُـمَّ إِلَـى اللَّـهِ الْمَرْجِـعُ وَالْمَـآبُ ، فَمَـنْ كَـانَ مُطِيعًـا لَـهُ جَازَاهُ أَفْضَلَ الْجَزَاءِ، وَوَافَاهُ أَتَمَّ الثَّوَابِ"

وَلِهَـذَا قَـالَ: {وَالَّـذِينَ آمَنُـوا وَعَمِلُـوا الصَّـالِحَاتِ لَنُبَـوِّئَنَّهُمْ مِـنَ الْجَنَّـةِ غُرَفًـا تَجْـرِي مِـنْ تَحْتِهَـا الأَنْهَـارُ} أَيْ: لَنُسْـكِنَنَّهُمْ مَنَـازِلَ عَالِيَـةً فِـي الْجَنَّـةِ تَجْـرِي مِـنْ تَحْتِهَـا الْأَنْهَـارُ، عَلَـى اخْـتِلاَفِ أَصْـنَافِهَا، مِـنْ مَـاءٍ وَخَمْـرٍ، وعسـل ولبن، يصرفونها ويجرونها حيث شاؤوا،

{خَالِـدِينَ فِيهَـا} أَيْ: مَـاكِثِينَ فِيهَـا أَبَـدًا لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا.

{نِعْـمَ أَجْـرُ الْعَـامِلِينَ} : نِعْمَـتْ هَـذِهِ الغُـرَفُ أَجْـرًا عَلَى أَعْمَالِ الْمُؤْمِنِينَ. (1)

* * *

[٥٨] ﴿ وَالَّـذِينَ آمَنُـوا وَعَمِلُـوا الصَّـالِحَاتِ لَنُبَـوِّئَنَّهُمْ مِـنَ الْجَنَّـةِ غُرَفًـا تَجْـرِي مِـنْ تَحْتِهَـا الْأَنْهَـارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

والـذين آمنـوا بـالله وعملـوا الأعمـال الصـالحات الـتي تقـرب إليـه لننـزلنهم مـن الجنـة غرفًـا تجـري الأنهـار مـن تحتهـا مـاكثين فيهـا أبـدًا، لا يلحقهـم فيهـا فنـاء، نِعْـم جـزاء العاملين بطاعة الله هذا الجزاء. (2)

* * *

والـذين صـدَّقوا بـالله ورسـوله وعملـوا مـا أُمـروا بـه مـن الصـالحات لننـزلنَّهم مـن الجنـة غرفًـا عاليـة تجـري مـن تحتهـا الأنهـار، مـاكثين فيهـا أبـدًا، نِعْـمَ جـزاء العـاملين بطاعـة الله هـذه الغرف في جنات النعيم. (3)

* * *

والـذين صـدَّقوا بـالله وكتبـه ورسـله، وعملـوا الأعمـال الصـالحة، نقسـم: لننـزلنَّهم مـن دار النعـيم غرفـات تجـرى مـن تحتهـا الأنهـار، لا ينقطـع عـنهم نعيمهـا، نعـم هـذا الجـزاء أجـراً للعاملين. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{لَنُبَوِّئَنَّهُمْ} ... لَنُنْزِلَنَّهُمْ.

(أي: لننـزلنهم مـن الجنـة غرفـاً تجـري مـن تحتها الأنهار).

{غُرَفًا} ... مَنَازِلَ عَالِيَةً.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسـير ابـن عبـاس) - قـال: الإِمَـامُ (مجـد الـدين الفـيروز آبـادى) - (رحمـه الله):- {سُـورَةُ العَنْكَبُـوت} الآيـة {58} قَوْلُـهُ تَعَـالَى:

{وَالَّـذِينَ آمنُـوا} بِمُحَمَّـد -صـلى الله عَلَيْـهِ وَسـلم- وَالْقُـرْآن {وَعَمِلُـواْ الصَّـالِحَاتِ} الطَّاعَـات فِيمَـا بَيـنهم وَبَـين رَبهـم {لَنُبَـوِّئَنَّهُمْ مِّـنَ الْجَنَّـة} لننـزلنهم فِـي الْجنَّـة {غرفـا} عـلالى {تَجْـرِي مِـن تَحتهَـا} مِـن تَحـت شَـجَرهَا

---

(1) انظُـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) لِلإِمَـامْ (ابـن كـثير) في سُـورَةُ (العَنْكَبُـوت) الآية (57).

(2) انظـر: (المختصـر في تفسـير القـرآن الكـريم) (403/1). تصـنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظـر: (التفسـير الميسـر) بـرقم (403/1)، المؤلـف: (نخبـة مـن أسـاتذة التفسير).

(4) انظـر: (المنتخـب في تفسـير القـرآن الكـريم) بـرقم (599/1)، المؤلـف: (لجنة من علماء الأزهر).

ومساكنها {الْأَنْهَارُ} أنهار الخمر والماء والعسل واللبن {خَالِدِينَ فِيهَا} مقيمين في الجنَّة {نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ} ثواب العاملين. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {58} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ} قَرَأَ (حَمْزَةُ)، وَ(الْكِسَائِيُّ): بِالثَّاءِ سَاكِنَةً من غير همز فقال: ثوى الرجل إذا أقام وأثويته إذا أنزلته منزلا يقيما فيه،

وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: بِالْبَاءِ وَفَتْحِهَا وَتَشْدِيدِ الْوَاوِ وَهَمْزَةٍ بَعْدَهَا أَيْ لننزلهم،

{مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا} عَلَالِيَّ، {تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ}. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {58} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ}.

فيجازي من أحسن عبادته وجمع بين الإيمان والعمل الصالح بإنزاله الغرف العالية، والمنازل الأنيقة الجامعة لما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، وأنتم فيها خالدون.

فـ {نعم} تلك المنازل، في جنات النعيم {أَجْرُ الْعَامِلِينَ} لله. (3)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {58} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} أَيْ: لَنُسْكِنَنَّهُمْ مَنَازِلَ عَالِيَةً فِي الْجَنَّةِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، عَلَى اخْتِلَافِ أَصْنَافِهَا، مِنْ مَاءٍ وَخَمْرٍ، وعسل ولبن، يصرفونها ويجرونها حيث شاؤوا، {خَالِدِينَ فِيهَا} أَيْ: مَاكِثِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا. {نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ}: نِعْمَتْ هَذِهِ الغرفُ أَجْرًا عَلَى أَعْمَالِ الْمُؤْمِنِينَ. (4)

* * *

قال: الإمام (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - (رحمه الله) - في (المُسنَد) - (بسنده):- ثنا عبد الرزاق، أنا معمر، عن يحيى بن أبي كثير، عن ابن معانق -أو أبي معانق- عن (أبي مالك الأشعري) قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((إن في الجنة غرفة يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، أعدها الله لمن

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (58) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ . (العَنْكَبُوت) الآية (58).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (58)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (58).

أطعم الطعام وألان الكلام وتابع الصيام وصلّى والناس نيام)). (1)

* * *

[٥٩] ﴿ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

نِعْم جزاء العاملين بطاعة الله الذين صبروا على طاعته وعن معصيته، وعلى ربهم وحده يعتمدون في جميع أمورهم. (2)

* * *

إن تلك الجنات المذكورة للمؤمنين الذين صبروا على عبادة الله، وتمسكوا بدينهم، وعلى الله يعتمدون في أرزاقهم وجهاد أعدائهم. (3)

* * *

الصابرين على كل ما يصيبهم فى سبيل الله من فراق الأوطان والأهل والأموال، المعتمدين على الله - وحده - فى جميع أحوالهم. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{الَّذِينَ صَبَرُوا} ..... أي: صبروا على الإيمان والهجرة متوكلين على الله تعالى.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {59} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الَّذِينَ صَبَرُوا} على أمر الله والمرازي {وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} لَا على غَيره. (5)

* * *

قَال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {59} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الَّذِينَ صَبَرُوا} عَلَى الشَّدَائِدِ وَلَمْ يَتْرُكُوا دِينَهُمْ لِشِدَّةٍ لَحِقَتْهُمْ، {وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} يَعْتَمِدُونَ. (6)

* * *

قَال: الإِمَامُ (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {59} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الَّذِينَ صَبَرُوا} على عبادة الله {وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} في ذلك. فصبرهم على عبادة الله، يقتضي بذل الجهد والطاقة في ذلك، والمحاربة العظيمة للشيطان، الذي يدعوهم إلى الإخلال بشيء من ذلك، وتوكلهم، يقتضي شدة اعتمادهم على الله، وحسن ظنهم به، أن يحقق ما عزموا عليه من الأعمال ويكملها، ونص على التوكل، وإن

---

(1) أخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (343/5)،
وأخرجه من هذا الطريق –طريق- الإمام (أحمد)- الطبراني) (المعجم الكبير) برقم (301/3 ح3466)،
أخرجه الإمام (ابن حبان) في (صحيحه) - (الإحسان) برقم(262/2)، (ح509) قال محقق الإحسان: (إسناده قوي).
قال: الإمام (الهيثمي) - بعد أن عزاه للطبراني-: رجاله ثقات. وللحديث شواهد منها: ما أخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (173/2)،
وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (321/1) - من حديث- (عبد الله بن عمرو) مرفوعا بنحوه.
قال: الإمام (الحاكم): (صحيح على شرط مسلم) ولم يخرجاه، ووافقه الإمام (الذهبي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (403/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (403/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (599/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

(5) انظُر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوتِ) الآية (59) يِنسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(6) انظُر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ . (العَنْكَبُوتِ) الآية (59).

كان داخلا في الصبر، لأنه يحتاج إليه في كل فعل وترك مأمور به، ولا يتم إلا به. (1)

* * *

قال: الإمامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةِ العَنْكَبُوت} الآية {59} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الَّذِينَ صَبَرُوا} أيْ: عَلَى دِينِهِمْ، وَهَاجَرُوا إِلَى اللَّهِ، وَنَابَذُوا الْأَعْدَاءَ، وَفَارَقُوا الْأَهْلَ وَالْأَقْرِبَاءَ، ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ، وَرَجَاءَ مَا عِنْدَهُ وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهِ.

قَالَ: (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - رَحِمَهُ اللَّهُ -: حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا صَفْوَانُ الْمُؤَذِّنُ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ سَلَّامٍ، عَنْ أَخِيهِ زَيْدِ بْنِ سَلَّامٍ، عَنْ جَدِّهِ أَبِي سَلَّامٍ الْأَسْوَدِ، حَدَّثَنِي (أَبُو مُعَانِقٍ الْأَشْعَرِيُّ)، أَنَّ (أَبَا مَالِكٍ الْأَشْعَرِيَّ) حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَدَّثَهُ: ((أَنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَبَاحَ الصِّيَامَ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَالنَّاسُ نِيَامٌ)) . (2)

وَقَوْلُهُ: {وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}، فِي أَحْوَالِهِمْ كُلِّهَا، فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ. (3)

* * *

[٦٠] ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

كل الدواب -على كثرتها- التي لا تستطيع جمع رزقها ولا حمله اللهُ يرزقها ويرزقكم، فلا عذر لكم في ترك الهجرة خوفًا من الجوع، وهو السميع لأقوالكم، العليم بنياتكم وأفعالكم، لا يخفى عليه من ذلك شيء، وسيجازيكم عليه. (4)

* * *

وكم من دابة لا تدَّخر غذاءها لغد، كما يفعل ابن آدم، فالله سبحانه وتعالى يرزقها كما يرزقكم، وهو السميع لأقوالكم، العليم بأفعالكم وخطرات قلوبكم. (5)

* * *

وكثير من الدواب التى تعيش معكم فى الأرض لا تستطيع - لضعفها - أن تحمل رزقها وتنقله، لتأكله أو تدخره. الله يهيئ لها أسباب رزقها وحياتها، ويهيئ لكم أسباب رزقكم وحياتكم. وهو المحيط بكل ما خلق سمعاً وعلماً. (6)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَكَأَيِّن مِّن} ... وَكَمْ مِنْ؟.

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةِ (العَنْكَبُوت) الآية (59)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) (صحيح): رواه الإمام (أحمد) في (مسنده) برقم (343/5) - من طريق - (أبي معانق) عن (أبي مالك) به، وسيأتي عند الآية: (20) من سورة (الزمر).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةِ (العَنْكَبُوت) الآية (59).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (403/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (403/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(6) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (599/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وكأين من دابة لا تحمل رزقها} .... أي: لا تطيق جمعه ولا حمله لضعفها، والله يرزقها فلا عذر لمن ترك الهجرة خوفا من الجوع والخصاصة.

{لا تحمل رزقها} ... لا تدَّخرهُ لغد.

{وهو السميع العليم} ..... أي: السميع لأقوال عباده العليم بنياتهم وأحوالهم وأعمالهم.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {60} فَلَمَّا أمرهم الله بِالْهِجْرَة إِلَى الْمَدِينَة قَالُوا لَيْسَ لنا بهَا أحد يؤوينا ويطعمنا ويسقينا فَقَالَ: {وكأين} وكم {مِّن دَآبَّةٍ لاَّ تَحْمِلُ رِزْقَهَا} لغد إِلاَّ النملة فَإِنَّهَا تجمع لسنة {اللهُ يَرْزُقُهَا} من تحمل وَمن لَا تحمل {وَإِيَّاكُمْ} يَا معشر الْمُؤمنِينَ {وَهُوَ السَّمِيع} لمقالتكم من يرزقنا {الْعَلِيم} بأرزاقكم يعلم من أَيْن يرزقكم. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {60} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا} وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: ((لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ كَانُوا بِمَكَّةَ وَقَدْ آذَاهُمُ الْمُشْرِكُونَ: هَاجِرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ))، فَقَالُوا: كَيْفَ نَخْرُجُ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلَيْسَ لَنَا بِهَا دَارٌ وَلَا مَالٌ، فَمَنْ يُطْعِمُنَا بِهَا وَيَسْقِينَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ:

{وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ} ذات حاجة إلى غداء،

{لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا} أي: لا ترفع مَعَهَا وَلَا تَدَّخِرُ شَيْئًا لِغَدٍ مِثْلَ الْبَهَائِمِ وَالطَّيْرِ،

{اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ} حَيْثُ كُنْتُمْ،

{وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} السَّمِيعُ لِأَقْوَالِكُمْ لَا نَجِدُ مَا نُنْفِقُ بِالْمَدِينَةِ، الْعَلِيمُ بِمَا فِي قلوبكم. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {60} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}. أي: الباري تبارك وتعالى، قد تكفل بأرزاق الخلائق كلهم، قويهم وعاجزهم، فكم

{مِنْ دَابَّةٍ} في الأرض، ضعيفة القوى، ضعيفة العقل.

{لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا} ولا تدخره، بل لم تزل، لا شيء معها من الرزق، ولا يزال الله يسخر لها الرزق، في كل وقت بوقته.

{اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ} فكلكم عيال الله، القائم برزقكم، كما قام بخلقكم وتدبيركم،

{وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} فلا يخفى عليه خافية، ولا تهلك دابة من عدم الرزق بسبب أنها خافية عليه.

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (60) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ. (العَنْكَبُوت) الآية (60).

كما قال تعالى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}.(1)

* * *

أخرج – الإمام (آدم بن أبي إياس) – (رحمه الله) – (بسنده الصحيح) – عن (مجاهد): قوله (وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ): الطير والبهائم لا تحمل الرزق.(2)(3)

* * *

قال: الإمام (الترمذي) – (رحمه الله) – في (سننه) – (بسنده):- حدثنا علي بن سعيد الكندي، حدثنا ابن المبارك، عن حيوة ابن شريح، عن بكر بن عمرو، عن عبد الله بن هبيرة، عن أبي تميم الجيشاني، عن (عمر بن الخطاب) قال: قال رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: ((لو أنكم كنتم توكلون على الله حق توكله، لرزقتم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطانا)).(4)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورة العَنْكَبُوت} الآية {60} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}.

ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ تَعَالَى أَنَّ الرِّزْقَ لَا يَخْتَصُّ بِبُقْعَةٍ، بَلْ رِزْقُهُ تَعَالَى عَامٌّ لِخَلْقِهِ حَيْثُ كَانُوا وَأَيْنَ كَانُوا، بَلْ كَانَتْ أَرْزَاقُ الْمُهَاجِرِينَ حَيْثُ هَاجَرُوا أَكْثَرَ وَأَوْسَعَ وَأَطْيَبَ، فَإِنَّهُمْ بَعْدَ قَلِيلٍ صَارُوا حُكَّامَ الْبِلَادِ فِي سَائِرِ الْأَقْطَارِ وَالْأَمْصَارِ"

وَلِهَذَا قَالَ: {وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا} أَيْ: لَا تُطِيقُ جَمْعَهُ وَتَحْصِيلَهُ وَلَا تُؤَخِّرُ شَيْئًا لِغَدٍ،

{اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ} أَيِ: اللَّهُ يُقَيِّضُ لَهَا رِزْقَهَا عَلَى ضَعْفِهَا، وَيُيَسِّرُهُ عَلَيْهَا، فَيَبْعَثُ إِلَى كُلِّ مَخْلُوقٍ مِنَ الرِّزْقِ مَا يُصْلِحُهُ، حَتَّى الذَّرِّ فِي قَرَارِ الْأَرْضِ، وَالطَّيْرِ فِي الْهَوَاءِ وَالْحِيتَانِ فِي الْمَاءِ،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [هُود: 6].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} أَيِ: السَّمِيعُ لِأَقْوَالِ عِبَادِهِ، الْعَلِيمُ بِحَرَكَاتِهِمْ وَسَكَنَاتِهِمْ.(5)

* * *

قال: الشيخ (محمد الأمين الشنقيطي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن كثيرا من الدواب التي لا

---

(1) انظُر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوتِ) الآية (60)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (76/4)، للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين)،

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (58/20). المحقق: الشيخ (أحمد شاكر)،

(4) أخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (573/4)، (ح2344) – (كتاب: الزهد)،/ باب: (في التوكل على الله)،

وأخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (30/1)،

وأخرجه الإمام الحاكم) في (المستدرك) برقم (318/4) -من طريق-: (عبد الصمد بن الفضل) كلاهما عن (أبي عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المقرئ عن حيوة بن شريح) به.

وقال: الإمام (الترمذي): حديث (حسن صحيح).

وقال: الإمام (الحاكم): (صحيح الإسناد) ولم يخرجاه.

و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح ابن ماجة) برقم (404/2)، و(السلسلة الصحيحة) برقم (ح310).

(5) انظُر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامُ (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (60).

تحمل رزقها لضعفها، أنه هو جل وعلا يرزقها، وأوضح هذاالمعنى في قوله تعالى: {وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين}. (1)

* * *

[٦١] ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولئن سألت -أيها الرسول- ﷺ - هؤلاء المشركين: من خلق السماوات؟ ومن خلق الأرض؟ ومن سخر الشمس والقمر وهما يتعاقبان؟ لَيَقُولُنَّ: خلقهن الله، فكيف يُصْرَفون عن الإيمان بالله وحده، ويعبدون من دونه آلهة لا تنفع ولا تضر؟. (2)

* * *

ولئن سألت -أيها الرسول- ﷺ - المشركين: من الذي خلق السموات والأرض على هذا النظام البديع، وذلَّل الشمس والقمر؟ ليقولُنَّ: خلقهن الله وحده، فكيف يصرفون عن الإيمان بالله خالق كل شيء ومدبره، ويعبدون معه غيره؟ فاعجب من إفكهم وكذبهم!!. (3)

* * *

وأقسم إن سألت المشركين: من أوجد السموات والأرض، وذلل الشمس والقمر وأخضعهما لمنافع الناس؟ ليقولون: خلقهن الله، ولا يذكرون أحدا سواه، فكيف إذن ينصرفون عن توحيد الله - تعالى - مع إقرارهم بهذا كله؟!. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{ولئن سألتهم} .... أي: المشركين.

{وسخر الشمس والقمر} .... أي: ذللهما يسيران الدهر كله لا يملان ولا يفتران.

{فأنى يؤفكون} ..... أي: كيف يصرفون عن الحق بعد ظهور أدلته لهم. وهو أن الخالق المدبر هو الإله الحق الذي يجب توحيده في عبادته.

{فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} ... فَكَيْفَ يُصْرَفُونَ عَنِ الإِيمَانِ؟.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {61} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ} يَعْنِي كفار مَكَّة {مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْض وَسَخَّرَ} ذلل {الشَّمْس وَالْقَمَر لَيَقُولُنَّ} كفار مَكَّة {الله} خلق سخر وذلل {فَأنى يُؤْفَكُونَ} فَمن أَيْن يكذبُون على الله. (5)

* * *

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للإمام (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (العنكبوت) الآية (60).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (403/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (403/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (600/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (61) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {61} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ} يعني: كفار مكة، {مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ}.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (قتادة): (فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) أي: يعدلون.(2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {61} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ}.

يَقُولُ تَعَالَى مُقَرِّرًا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ" لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ -الَّذِينَ يَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ- مُعْتَرِفُونَ أَنَّهُ الْمُسْتَقِلُّ بِخَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَتَسْخِيرِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، (3)

* * *

انظر: سورة – (الشورى) – الآية (27)، – كما قال تعالى: {وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ}.

* * *

وانظر: – (الزخرف) – الآية (32)، – كما قال تعالى: {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ}.

* * *

وانظر: – (الفجر) – الآية (15-16). – كما قال تعالى: {فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (15) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (16)}.

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {61-63} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ * اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ}.

هذا استدلال على المشركين المكذبين بتوحيد الإلهية والعبادة، وإلزام لهم بما أثبتوه من توحيد الربوبية، فأنت لو سألتهم من خلق السماوات والأرض، ومن نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها، ومن بيده تدبير جميع الأشياء؟ {لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} وحده،

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (61).

(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمام (الطبري) (59/20). المحقق: الشيخ (أحمد شاكر).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (61).

ولاعْتَرَفُوا بعجز الأوثان ومن عبدوه مع الله على شيء من ذلك.

فاعجب لإفكهم وكذبهم، وعدولهم إلى من أقروا بعجزه، وأنه لا يستحق أن يدبر شيئا، وسَجِّلْ عليهم بعدم العقل، وأنهم السفهاء، ضعفاء الأحلام، فهل تجد أضعف عقلا وأقل بصيرة، ممن أتى إلى حجر، أو قبر ونحوه، وهو يدري أنه لا ينفع ولا يضر، ولا يخلق ولا يرزق، ثم صرف له خالص الإخلاص، وصافي العبودية، وأشركه مع الرب، الخالق الرازق، النافع الضار.

وقل: الحمد لله الذي بين الهدى من الضلال، وأوضح بطلان ما عليه المشركون، ليحذره الموفقون.

وقل: الحمد لله، الذي خلق العالم العلوي والسفلي، وقام بتدبيرهم ورزقهم، وبسط الرزق على من يشاء، وضيقه على من يشاء، حكمة منه، ولعلمه بما يصلح عباده وما ينبغي لهم.(1)

* * *

[٦٢] ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

الله يوسع الرزق على من يشاء من عباده، ويضيقه على من يشاء" لحكمة يعلمها هو، إن الله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء، فلا يخفى عليه ما يصلح لعباده من تدبير.(2)

* * *

الله سبحانه وتعالى يوسع الرزق لمن يشاء من خلقه، ويضيق على آخرين منهم" لعلمه بما يصلح عباده، إن الله بكل شيء من أحوالكم وأموركم عليم، لا يخفى عليه شيء.(3)

* * *

الله يُوسِّع على مَن يشاء في الرزق، ويُضيِّقُ على مَن يشاء حسبما يقتضيه علمه بالمصالح، فإن الله قد أحاط بكل شئ علما.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{اللهُ يبسط الرزق لمن يشاء}..... أي: يوسّع الرزق على من يشاء من عباده امتحاناً للعبد هل يشكر لله أو يكفر نعمه.

{يَبْسُطُ} ... يُوَسِّعُ.

{وَيَقْدِرُ} ... يُضَيِّقُ.

{وَيَقْدِرُ لَهُ}.... أي: ويضيق عليه ابتلاء ليرى هل يصبر أو يسخط.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {62} قَوْلُهُ تَعَالَى: {اللهُ يَبْسُطُ الرزق لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ} يُوسع المَال

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَة (العَنْكَبُوتِ) الآية (61-63)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (403/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (403/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (600/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

على من يَشَاء من عباده وهُو مكر منْهُ {وَيَقْدِرُ لَهُ} يقتر على من يَشَاء من عباده وهُو نظر منْهُ {إِنَّ الله بِكُلِّ شَيْءٍ} من الْبسط وَالتَّقْدِير {عليم}. (1)

* * *

قال: الإمامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {62-63} قَوْلُهُ تَعَالَى: {اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (62) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (63)}.

وَأَنَّهُ الْخَالِقُ الرَّازِقُ لِعِبَادِهِ، وَمُقَدِّرٌ آجَالَهُمْ، وَاخْتِلَافَهَا وَاخْتِلَافَ أَرْزَاقِهِمْ فَفَاوَتَ بَيْنَهُمْ، فَمِنْهُمُ الْغَنِيُّ وَالْفَقِيرُ، وَهُوَ الْعَلِيمُ بِمَا يُصْلِحُ كُلا مِنْهُمْ، وَمَنْ يَسْتَحِقُّ الْغِنَى مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ الْفَقْرَ، فَذَكَرَ أَنَّهُ الْمُسْتَبِدُّ بِخَلْقِ الْأَشْيَاءِ الْمُتَفَرِّدِ بِتَدْبِيرِهَا، فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَلِمَ يُعبد غَيْرُهُ؟ وَلِمَ يُتَوَكَّلُ عَلَى غَيْرِهِ؟ فَكَمَا أَنَّهُ الْوَاحِدُ فِي مُلْكِهِ فَلْيَكُنِ الْوَاحِدَ فِي عِبَادَتِهِ، وَكَثِيرًا مَا يُقَرِّرُ تَعَالَى مَقَامَ الْإِلَهِيَّةِ بِالِاعْتِرَافِ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ. وَقَدْ كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَعْتَرِفُونَ بِذَلِكَ، كَمَا كَانُوا يَقُولُونَ فِي تَلْبِيَتِهِمْ: ((لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، إِلَا شَرِيكًا هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ)). (2)

* * *

انظر: سورة - (الإسراء) - آية (30)، كما قال تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا}.

* * *

وانظر: سورة - (الرعد) - آية (26)، كما قال تعالى: {اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ}.

* * *

[٦٣] ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولئن سألت -أيها الرسول- ﷺ- المشركين: من نزّل من السماء ماء فأنبت به الأرض بعد أن كانت قاحلة؟ ليقولنّ: أنزل المطر من السماء وأنبت به الأرض الله، قل: -أيها الرسول - ﷺ- : الحمد لله الذي أظهر الحجة عليكم، بل الحاصل أن معظمهم لا يعقلون" إذ لو كانوا يعقلون لما أشركوا مع الله أصنامًا لا تنفع ولا تضرّ. (3)

* * *

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (62) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (62-63).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (403/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

ولئن سألت -أيها الرسول- ﷺ - المشركين: مَنِ الذي نزَّل من السحاب ماء فأنبت به الأرض من بعد جفافها؟ ليقولُنَّ لك معترفين: الله وحده هو الذي نزَّل ذلك، قل: الحمد لله الذي أظهر حجتك عليهم، بل أكثرهم لا يعقلون ما ينفعهم ولا ما يضرهم، ولو عقَلوا ما أشركوا مع الله غيره. (1)

* * *

وأقسم إن سألتهم: من نزَّل من السماء ماء فجعل منه حياة الأرض بالنبات بعد جدبها؟ ليقولن: الله. قل: الحمد لله على اعترافهم بالحق، بل أكثرهم لا يفهمون ما يقعون فيه من تناقض. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ليقولن الله} .... إذاً كيف يشركون به أصناما لا تنفع ولا تضر؟

{قل الحمد لله} .... أي: قل لهم الحمد لله على ثبوت الحجة عليكم.

{بل أكثرهم لا يعقلون} .... أي: إنهم متناقضون في فهمهم وجوابهم.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {63} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ} يَعْنِي: كفار مَكَّة {مَّن نَّزَّلَ من السَّمَاء مَاء} مطر {فَأَحْيَا بِهِ} بالمطر

وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (64) فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (65) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (66) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ (67) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ (68) وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (69)

{الأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا} قحطها ويبوستها {لَيَقُولُنَّ} كفار مَكَّة {الله} نزل ذلك {قُلِ الْحَمد للَّه} الشُّكْر لله على ذَلِك {بَلْ أَكْثَرُهُمْ} كلهم {لاَ يَعْقِلُونَ} لا يعلمون وَلاَ يصدقون بذلك. (3)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {63} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ} عَلَى أَنَّ الْفَاعِلَ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ هُوَ اللَّهُ، {بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} يَعْنِي:- قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إقرارهم لزوم النعمة عَلَيْهِم،

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (403/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (600/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (63) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

{بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ} ينكرون التوحيد مع إقرارهم أنه الخالق لهذه الأشياء.(1)

* * *

﴿ من فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾
﴿ سُورَةُ العَنْكَبُوت: 53 - 63 ﴾

- استعجال الكافر بالعذاب دليل على حمقه.
- باب الهجرة من أجل سلامة الدين مفتوح.
- فضل الصبر والتوكل على الله.
- الإقرار بالربوبية دون الإقرار بالألوهية لا يحقق لصاحبه النجاة والإيمان.(2)

* * *

[٦٤] ﴿ وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وما هذه الحياة الدنيا - بما فيها من الشهوات والمتاع- إلا لَهْوٌ لقلوب المتعلقين بها ولعب، ما يلبث أن ينتهي بسرعة، وإن الدار الآخرة لهي الحياة الحقيقية لبقائها، لو كانوا يعلمون لَمَا قدموا ما يفنى على ما يبقى. ولَمَّا سجل الله على المشركين تناقضهم بإيمانهم بربوبية الله عندما يُسْألون عمن خلق السماوات والأرض، وكفرهم بألوهيته عندما يعبدون غيره، سَجَّل عليهم تناقضًا آخر هو إخلاصهم التوحيد عند الخوف من الغرق وعودتهم للشرك عند أمنهم منه،(3)

* * *

وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب، تلهو بها القلوب وتلعب بها الأبدان" بسبب ما فيها من الزينة والشهوات، ثم تزول سريعًا، وإن الدار الآخرة لهي الحياة الحقيقية الدائمة التي لا موت فيها، لو كان الناس يعلمون ذلك لما آثروا دار الفناء على دار البقاء.(4)

* * *

وليست هذه الحياة الدنيا إلا متاعاً محدود الوقت، يلهو به الغافلون كما يلهو الصبيان ويلعبون وقتاً ما ثم ينفضون. وإن الدار الآخرة لهي دار الحياة الحقيقية الكاملة الدائمة، وهذه حقائق ثابتة يدركها هؤلاء لو كان من شأنهم الإدراك الصحيح.(5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ}... أي: بالنظر إلى العمل لها والعيش فيها فهي لهو يتلهى بها الإنسان ولعب يخرج منه بلا طائل ولا فائدة.

{وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ}... تَلْهُو بها القلوبُ، وتلعب بها الأَبْدَانُ، بسبب ما جَعَلَ اللهُ فيها من الزينة واللذات والشهوات الخالبة للقلوب المُعْرِضَة الباهجة للعيونِ الغافلةِ، المُفْرِحَة للنفوس المُبْطِلَة

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَة (العَنْكَبُوت) الآية (63).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (403/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (404/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (404/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (600/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

الباطلة، ثم تزول سريعًا، وتنقضي جميعًا، ولم يَحْصُلْ منها مُحِبُّهَا إلا عَلَى الندم والخسران.

{وإن الدار الآخرة لهي الحيوان} .... أي: الحياة الكاملة الخالدة، ولذا العمل لها أفضل من العمل للدنيا.

{الْحَيَوَانُ} ... الحَيَاةُ الحَقِيقِيَّةُ الكَامِلَةُ الدَّائِمَةُ.

{لو كانوا يعلمون} .... أي: لو علم المشركون هذا لما آثروا الدنيا الفانية على الآخرة الباقية.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {64} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا هَذِه الْحَيَاة الدنيا} مَا فِي الْحَيَاة الدُّنْيَا من الزهرة وَالنَّعِيم {إِلاَّ لَهْوٌ} فَرح {وَلَعِبٌ} بَاطِل لَا يبْقى {وَإِنَّ الدَّار الآخرَة} يَعْنِي: الْجنَّة {لَهِيَ الْحَيَوَان} الْحَيَاة لَا يَمُوت أَهلهَا {لَو كَانُوا يَعْلَمُونَ} يصدقون وَلَكِن لَا يعلمُونَ وَلَا يصدقون بذلك.(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {64} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا هَذِه الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا لَهْوٌ وَلَعِبٌ} اللَّهو هو الاستمتاع بِلَذَّاتِ الدُّنْيَا، وَاللَّعِبُ الْعَبَثُ سُمِّيَتْ بِهِمَا لِأَنَّهَا فَانِيَةٌ.

{وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ} أي: الحياة الدائمة الباقية، والحيوان بِمَعْنَى الْحَيَاةِ أَيْ: فِيهَا الْحَيَاةُ الدائمة،

{لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} فَنَاءَ الدُّنْيَا وَبَقَاءَ الْآخِرَةِ.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {64} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}.

يخبر تعالى عن حالة الدنيا والآخرة، وفي ضمن ذلك، التزهيد في الدنيا والتشويق للأخرى، فقال: {وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} في الحقيقة.

{إِلا لَهْوٌ وَلَعِبٌ} تلهو بها القلوب، وتلعب بها الأبدان، بسبب ما جعل الله فيها من الزينة واللذات، والشهوات الخالبة للقلوب المعرضة، الباهجة للعيون الغافلة، المفرحة للنفوس المبطلة الباطلة، ثم تزول سريعا، وتنقضي جميعا، ولم يحصل منها محبها إلا على الندم والحسرة والخسران.

وأما الدار الآخرة، فإنها دار {الحيوان} أي: الحياة الكاملة، التي من لوازمها، أن تكون أبدان أهلها في غاية القوة، وقواهم في غاية الشدة، لأنها أبدان وقوى خلقت للحياة، وأن يكون موجودا فيها كل ما تكمل به الحياة، وتتم به اللذات، من مفرحات القلوب، وشهوات الأبدان، من المآكل، والمشارب،

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (64) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ . (العَنْكَبُوت) الآية (64).

والمناكح، وغير ذلك، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

{لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} لما آثروا الدنيا على الآخرة، ولو كانوا يعقلون لما رغبوا عن دار الحيوان، ورغبوا في دار اللهو واللعب، فدل ذلك على أن الذين يعلمون، لا بد أن يؤثروا الآخرة على الدنيا، لما يعلمونه من حالة الدارين. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن)- عن (قتادة): قوله: (وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) حياة لا موت فيها. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الصحيح)- عن (مجاهد): قوله: (لَهِيَ الْحَيَوَانُ) قال: لا موت فيها. (3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن (علي)، عن (ابن عباس)، في قوله: (وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ) يقول: باقية.

* * *

قوله: (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) يقول: لو كان هؤلاء المشركون يعلمون أن ذلك كذلك، لقصروا عن تكذيبهم بالله، وإشراكهم غيره في عبادته، ولكنهم لا يعلمون ذلك. (4)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {64} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا لَهْوٌ وَلَعِبٌ}. يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ حَقَارَةِ الدُّنْيَا وَزَوَالِهَا وَانْقِضَائِهَا، وَأَنَّهَا لَا دَوَامَ لَهَا، وَغَايَةُ مَا فِيهَا لَهْوٌ وَلَعِبٌ:

{وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ} أَيْ: الْحَيَاةُ الدَّائِمَةُ الْحَقُّ الَّذِي لَا زَوَالَ لَهَا وَلَا انْقِضَاءَ، بَلْ هِيَ مُسْتَمِرَّةٌ أَبَدَ الْآبَادِ.

وَقَوْلُهُ: {لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} أَيْ: لَآثَرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى. (5)

* * *

[٦٥] ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وإذا ركب المشركون في السفن في البحر دعوا الله وحده مخلصين له الدعاء أن ينجيهم من الغرق، فلما نجاهم من الغرق انقلبوا مشركين يدعون معه آلهتهم. (6)

* * *

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (64)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمام (الطبري) (60/20).
المحقق: (الشيخ: أحمد شاكر).

(3) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمام (الطبري) (60/20).
المحقق: (الشيخ: أحمد شاكر).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (60/20)..

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (64).

(6) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (404/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

فـإذا ركـب الكفـار السـفن في البحـر، وخـافوا الغـرق، وحَّـدوا الله، وأخلصـوا لـه في الـدعاء حـال شـدتهم، فلمـا نجَّـاهم إلى الـبر، وزالـت عـنهم الشـدة، عـادوا إلى شـركهم، إنهـم بهـذا يتناقضـون، يوحِّـدون الله سـاعة الشـدة، ويشـركون بـه سـاعة الرخـاء. وشِـركهم بعـد نعمتنا عليهم بالنجاة من البحر" (1)

* * *

هـم علـى مـا وُصـفوا بـه مـن شـرك، فـإذا ركبـوا السـفن فـي البحـر وأدركهـم شـئ مـن أهوالـه توجهـوا إلى الله مخلصـين لـه الـدعاء أن يكشـف عـنهم الضـر، فلمـا نجـاهم إلى الـبر سارعوا بالعودة إلى الإشراك. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{في الفلك} .... أي: في السفينة.

{الْفُلْك} ... السُّفُن.

{مخلصـين لـه الـدين} .... أي: دعـوا الله وحده فلم يذكروا معه غيره من الآلهة.

{إذا هـم يشـركون} ... أي: يفاجئونـك بالشرك وهو دعاء غير الله تعالى.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسـير ابـن عبـاس) - قـال: الإِمَـام (مجـد الـدين الفـيروز آبـادى) - (رحمـه الله):- {سُـورَةُ الْعَنْكَبُـوتِ} الآيـة {65} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {فَـإِذا ركِبُوا فِـي الْفلـك} فـى السَّـفِينَة يعْنـى كفـار مَكَّـة {دَعَـوُا الله} بالنجـاة {مُخْلصِـين لَـهُ الـدّين} مفـردين لَـهُ الـدعْوَة {فَلَمَّـا نَجَّـاهُم} مـن الْبَحْـر {إِلَـى الْـبر} إِلَـى الْقَـرار {إِذا هُـم يُشْرِكُونَ} بِاللَّه الْأَوْثَان. (3)

* * *

قـال: الإِمَـامُ (البغـوي) – (مُحيـي السُّـنَّة) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- {سُـورَةُ الْعَنْكَبُـوتِ} الآيـة {65} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {فَـإِذَا رَكِبُـوا فِـي الْفُلْـكِ} وَخَـافُوا الْغَـرَقَ، {دَعَـوُا اللَّـهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} وَتَرَكُوا الْأَصْنَامَ،

{فَلَمَّـا نَجَّـاهُمْ إِلَـى الْبَـرِّ إِذَا هُـمْ يُشْـرِكُونَ} هَـذَا إِخْبَـارٌ عَـنْ عِنَـادِهِمْ وَأَنَّهُـمْ عِنْـدَ الشَّـدَائِدِ يُقِرُّونَ أَنَّ الْقَـادِرَ عَلَـى كَشْـفِهَا هُـوَ اللَّـهُ عَـزَّ وَجَـلَّ وَحْدَهُ، فَإِذَا زَالَتْ عَادُوا إِلَى كُفْرِهِمْ،

قَـالَ: (عِكْرِمَـةُ): كَـانَ أَهْـلُ الْجَاهِلِيَّـةِ إِذَا رَكِبُـوا الْبَحْـرَ حَمَلُـوا مَعَهُـمُ الْأَصْـنَامَ فَـإِذَا اشْـتَدَّتْ بِهِـمُ الـرِّيحُ أَلْقَوْهَـا فِـي الْبَحْـرِ وقـالوا: يـا رب يـا رب. (4)

* * *

قـال: الإمـام (عبـد الـرحمن بـن ناصـر السـعدي) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- {سُـورَةُ الْعَنْكَبُـوتِ} الآيـة {65} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {فَـإِذَا رَكِبُـوا فِـي الْفُلْـكِ دَعَـوُا اللَّـهَ مُخْلِصِـينَ لَـهُ الـدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ} .

ثـم ألـزم تعـالى المشـركين بإخلاصـهم لله تعـالى، في حالـة الشـدة، عنـد ركـوب البحـر وتلاطـم أمواجـه وخـوفهم الهـلاك، يتركـون إذا أنـدادهم، ويخلصـون الـدعاء لله وحـده لا شـريك لـه، فلمـا زالـت عـنهم الشـدة، ونجـى

---

(1) انظـر: (التفسـير الميسـر) بـرقم (404/1)، المؤلـف: (نخبـة مـن أسـاتذة التفسير).

(2) انظـر: (المنتخـب في تفسـير القـرآن الكـريم) بـرقم (600/1)، المؤلـف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظـر: (تنـوير المقبـاس مـن تفسـير ابـن عبـاس) في سُـورَةُ (الْعَنْكَبُـوتِ) الآيـة (65) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما -.

(4) انظـر: (مختصـر تفسـير البغـوي = المسـمى بمعـالم التنزيـل) لِلإِمَـامْ (البغوي) سُورَةُ (الْعَنْكَبُوتِ) الآية (65).

من أخلصوا له الدعاء إلى البر، أشركوا به من لا نجاهم من شدة، ولا أزال عنهم مشقة.
فهلا أخلصوا لله الدعاء في حال الرخاء والشدة، واليسر والعسر، ليكونوا مؤمنين به حقا، مستحقين ثوابه، مندفعا عنهم عقابه. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-
(بسنده الحسن)- عن (قتادة): قوله: (فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ) فالخلق كلهم يقرون لله أنه ربهم، ثم يشركون بعد ذلك. (2)

* * *

وانظر: سورة – (الإسراء) - آية (66-67)
. كما قال تعالى: {رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (66) وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا{67} .

* * *

قال: الإمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَة العَنْكَبُوت} الآية {65} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ} .
ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنِ الْمُشْرِكِينَ أَنَّهُمْ عِنْدَ الاضْطِرَارِ يَدْعُونَهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، فَهَلا يَكُونُ هَذَا مِنْهُمْ دَائِمًا،

{فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} كَقَوْلِهِ: {وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ} {الْإِسْرَاء::67} .
وَقَالَ هَاهُنَا: {فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ} .

وَقَدْ ذَكَرَ (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ)، عَنْ (عِكْرِمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ): أَنَّهُ لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَكَّةَ ذَهَبَ فَارًّا مِنْهَا، فَلَمَّا رَكِبَ فِي الْبَحْرِ لِيَذْهَبَ إِلَى الْحَبَشَةِ، اضْطَرَبَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ، فَقَالَ أَهْلُهَا: يَا قَوْمِ، أَخْلِصُوا لِرَبِّكُمُ الدُّعَاءَ، فَإِنَّهُ لاَ يُنْجِي هَاهُنَا إِلا هُوَ.
فَقَالَ (عِكْرِمَةُ): وَاللَّهِ إِنْ كَانَ لاَ يُنْجِي فِي الْبَحْرِ غَيْرُهُ، فَإِنَّهُ لاَ يُنَجِّي غَيْرُهُ فِي الْبَرِّ أَيْضًا، اللَّهُمَّ لَكَ عَلَيَّ عَهْدٌ لَئِنْ خرجتُ لأذْهَبَنْ فلأضَعنّ يَدِي فِي يَدِ مُحَمَّدٍ فلأجدنه رؤوفًا رَحِيمًا، وَكَانَ كَذَلِكَ. (3)

* * *

[٦٦] ﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

انقلبوا مشركين ليكفروا بما أعطيناهم من النعم، وليتمتعوا بما أعطوا من زهرة الحياة الدنيا، فسوف يعلمون عاقبتهم السيئة عندما يموتون. (4)

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَة (العَنْكَبُوت) الآية (65)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).
(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمَام (الطبري) (20/ 60).
المحقق: الشيخ (أحمد شاكر).
(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَام (ابن كثير) في سُورَة (العَنْكَبُوت) الآية (65).
(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/ 404). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

* * *

ليكونَ عاقبته الكفر بما أنعمنا عليهم في أنفسهم وأموالهم، وليكملوا تمتعهم في هذه الدنيا، فسوف يعلمون فساد عملهم، وما أعدَّه الله لهم من عذاب أليم يوم القيامة. وفي ذلك تهديد ووعيد لهم.(1)

* * *

لينكروا ما أعطيناهم من النعم، ولينتفعوا بما يرضى هواهم فى هذه الحياة، فسوف يعلمون عاقبة الكفر حين يشاهدون العذاب الأليم.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{ليكفروا بما آتيناهم} .... أي: بنعمة الإنجاء من الغرق وغيرها من النعم.

{فسوف يعلمون} .... أي: سوف يعلمون عاقبة كفرهم إذا ألقوا في جهنم.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {66} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لِيَكْفُرُواْ بِمَآ آتَيْنَاهُمْ} حَتَّى يكفروا بِمَا أعطيناهم من النَّعيم {وَلِيَتَمَتَّعُواْ} يعيشوا فِي كفرهم {فَسَوْفَ يَعلَمُونَ} مَاذَا يفعل بهم عِنْد نزُول الْعَذَاب بهم.(3)

* * *

قال: الإمَامْ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {66} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ} هَذَا لَامُ الْأَمْرِ وَمَعْنَاهُ التَّهْدِيدُ وَالْوَعِيدُ، كَقَوْلِهِ: {اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ} {فُصِّلَتْ: 40} أَيْ: لِيَجْحَدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ في إنجائه إياهم،

{وَلِيَتَمَتَّعُوا} قَرَأَ (حَمْزَةُ)، وَ(الْكِسَائِيُّ): سَاكِنَةَ اللَّامِ،

وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: بِكَسْرِهَا نَسَقًا عَلَى قوله: (لِيَكْفُرُوا)،

{فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} وقيل: مَنْ كَسَرَ اللَّامَ جَعَلَهَا لَامَ كَيْ وَكَذَلِكَ فِي لِيَكْفُرُوا، وَالْمَعْنَى لَا فَائِدَةَ لَهُمْ فِي الْإِشْرَاكِ إِلَّا الْكُفْرُ وَالتَّمَتُّعُ بِمَا يَتَمَتَّعُونَ بِهِ فِي الْعَاجِلَةِ مِنْ غَيْرِ نَصِيبٍ فِي الْآخِرَةِ.(4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {66} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعلَمُونَ}.

ولكن شركهم هذا بعد نعمتنا عليهم، بالنجاة من البحر، ليكون عاقبته كفر ما آتيناهم، ومقابلة النعمة بالإساءة، وليكملوا تمتعهم في الدنيا، الذي هو كتمتع الأنعام، ليس لهم همٌّ إلا بطونهم وفروجهم.

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (404/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (600/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (66) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سُورَةُ . (العَنْكَبُوت) الآية (66).

{فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} حين ينتقلون من الدنيا إلى الآخرة، شدة الأسف وأليم العقوبة. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (ابن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {66} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ}: هَذِهِ اللَّامُ يُسَمِّيهَا كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ وَالتَّفْسِيرِ وَعُلَمَاءِ الْأُصُولِ لَامَ الْعَاقِبَةِ" لِأَنَّهُمْ لَا يَقْصِدُونَ ذَلِكَ، وَلَا شَكَّ أَنَّهَا كَذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمْ، وَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى تَقْدِيرِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ وَتَقْيِيضِهِ إِيَّاهُمْ لِذَلِكَ فَهِيَ لَامُ التَّعْلِيلِ. وَقَدْ قَدَّمْنَا تَقْرِيرَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: {لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا} {الْقَصَصِ: 8}. (2)

* * *

[٦٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

أولم ير هؤلاء الجاحدون لنعمة الله عليهم حين نجاهم الله من الغرق نعمة أخرى" هي أنا جعلنا لهم حرمًا يأمنون فيه على دمائهم وأموالهم، على حين أن غيرهم تُشَنّ عليهم الغارات، فيُقْتلون ويُؤسرون وتُسْبى نساؤهم وذراريهم، وتُنْهب أموالهم، أفبالباطل من آلهتهم المزعومة يؤمنون، وبنعمة الله عليهم يكفرون، فلا يشكرونها لله؟! (3)

* * *

أو لم يشاهد كفار ‹مكة› أن الله جعل ‹مكة› لهم حَرَمًا آمنًا يأمن فيه أهله على أنفسهم وأموالهم، والناسُ من حولهم خارج الحرم، يُتَخَطَّفون غير آمنين؟ أفبالشرك يؤمنون، وبنعمة الله التي خصَّهم بها يكفرون، فلا يعبدونه وحده دون سواه؟. (4)

* * *

أَعَمِيَ كفار مكة عن نعم الله التى أسبغها عليهم، أَوَ لَمْ يروا أنا جعلنا بلدهم مصوناً لا يُنهب ولا يُسْلَب، مقدسا لا يُسْبَى أهله ولا يقع فيه قتل، ويُسْلَب الناس ويُسبون من حولهم؟ {أعموا عن هذه النعم. فَبِمَ لا أصل له يصدقون، وبمحمد وبكل ما جاء به يكذبون؟}. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{حَرَمًا آمِنًا} ... هِيَ: مَكَّةُ.

{وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ} ... يُسْتَلَبُونَ بِسُرعَةٍ قَتْلًا وَأَسْرًا.

{ويتخطف الناس من حولهم} .... أي: يسبون ويقتلون في ديار جزيرتهم.

{أفبالباطل يؤمنون} .... أي: بالأصنام وهي الباطل، ينكر تعالى عليهم ذلك.

* * *

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (66)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامُ (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (66).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (404/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (404/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (601/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) – قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {67} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَوَلَم يَروْا} كفار مكَّة {أَنَّا جَعَلْنَا حرماً آمناً} من أَن يهاج فِيهِ {وَيُتَخَطَّفُ النَّاس} يطرد ويذْهب النَّاس {مِنْ حَوْلِهِمْ} يطردهم وَيذْهب بهم عدوهم فَلاَ يدْخل عَلَيْهِم فِي الْحرم {أفبالباطل يؤمنُونَ} أفبا الشَّيْطَان والأصنام يصدقون {وَبِنِعْمَة الله} الَّتِي أَعْطَاهُم فِي الْحرم وبوحدانية الله {يكفُرُونَ}. (1)

* * *

قال: الإمامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {67} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَوَلَم يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ} يَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَأَهْلُ مَكَّةَ آمِنُونَ، {أَفَبِالْبَاطِلِ} بِالْأَصْنَامِ وَالشَّيْطَانِ، {يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ} بمحمد والإسلام، {يَكْفُرُونَ}. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {67} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَوَلَم يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ}.

ثم امتن عليهم بحرمه الآمن، وأنهم أهله في أمن وسعة ورزق، والناس من حولهم يتخطفون ويخافون، أفلا يعبدون الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف.

{أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ} وهو ما هم عليه من الشرك، والأقوال، والأفعال الباطلة.

{وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ} هم {يَكْفُرُونَ} فأين ذهبت عقولهم، وانسلخت أحلامهم حيث آثروا الضلال على الهدى، والباطل على الحق، والشقاء على السعادة، وحيث كانوا أظلم الخلق. (3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن)– عن (قتادة): في قوله: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ) قال: كان لهم في ذلك آية، أن الناس يُغزَون ويُتَخطَّفون وهم آمنون. (4)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن)– عن (قتادة): قوله: (أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ) أي: بالشرك (وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ) أي: يجحدون. (5)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {67} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَوَلَم يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (67) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما –.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَام (البغوي) سُورَةُ. (العَنْكَبُوت) الآية (67).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (67)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (62/20). المحقق: الشيخ (أحمد شاكر)،

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (62/20).

مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ}.

يَقُولُ تَعَالَى مُمْتَنًّا عَلَى قُرَيْشٍ فِيمَا أَحَلَّهُمْ مِنْ حَرَمِهِ، الَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِي، وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا، فَهُمْ فِي أَمْنٍ عَظِيمٍ، وَالْأَعْرَابُ حَوْلَهُ يَنْهَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ. فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ. الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ} {قُرَيْش: 1-4}.

وَقَوْلُهُ: {أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ} أَيْ: أَفَكَانَ شُكْرُهُمْ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ أَنْ أَشْرَكُوا بِهِ، وَعَبَدُوا مَعَهُ غَيْرَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ، وَ {بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ} {إبْراهِيم: 28}، وَكَفَرُوا بِنَبِيِّ اللَّهِ وَعَبْدِهِ وَرَسُولِهِ، فَكَانَ اللَّائِقُ بِهِمْ إِخْلَاصَ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ، وَأَلَّا يُشْرِكُوا بِهِ، وَتَصْدِيقَ الرَّسُولِ وَتَعْظِيمَهُ وَتَوْقِيرَهُ، فَكَذَّبُوهُ وَقَاتَلُوهُ وَأَخْرَجُوهُ مِنْ بَيْنِ ظَهْرِهِمْ وَلِهَذَا سَلَبَهُمُ اللَّهُ مَا كَانَ أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ، وَقُتِلَ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ بِبَدْرٍ، وَصَارَتِ الدَّوْلَةُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مَكَّةَ، وَأَرْغَمَ آنَافَهُمْ وَأَذَلَّ رِقَابَهُمْ. (1)

* * *

[٦٨] ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ ﴾:

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (67).

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

لا أحد أظلم ممن اختلق على الله كذبًا بأن نسب إليه شريكًا، أو كذب بالحق الذي جاء به رسوله، لا شك أن في جهنم مسكنًا للكافرين ولأمثالهم. (2)

* * *

لا أحد أشد ظلمًا ممن كذَب على الله، فنسب ما هو عليه من الضلال والباطل إلى الله، أو كذَّب بالحق الذي بعث الله به رسوله محمدًا - صلى الله عليه وسلم، إن في النار لمسكنًا لمن كفر بالله، وجحد توحيده وكذَّب رسوله محمدًا - صلى الله عليه وسلم. (3)

* * *

وليس هناك أحد أشد ظلماً ممن نسب إلى الله ما لم يشرعه، أو كذَّب بالدين الحق حين بلغه، إن في جهنم لمأوى لهؤلاء الظالمين الكافرين. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{مَثْوًى} ... مَسْكَنٌ وَمُسْتَقَرٌّ.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {68} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَنْ أَظْلَمُ} أعْتَى وأجرأ على الله {مِمَّنِ افْتَرَى} اختلق {عَلَى اللَّهِ كَذِباً} فَجعل لَهُ ولدا وشريكاً {أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ} أَو كذب بِمُحَمد -

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (404/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (404/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (601/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

صلى الله عَلَيْه وَسلم -وَالْقُرآن {لَمَّا جَاءَهُ} حين جَاءَهُ مُحَمَّد - صلى الله عَلَيْه وَسلم- بِالْقُرْآن {أَلَيْسَ فِي جَهَنَّم مثوى} منزل {لّلْكَافرين} لأبي جهل وَأَصْحَابه.(1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَة العَنْكَبُوت} الآية {68} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا} فَزَعَمَ أَنَّ لِلَّه شَرِيكًا وَأَنَّهُ أَمَرَ بِالْفَوَاحِش، {أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ} بِمُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَالْقُرْآنِ، {لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ} اسْتِفْهَامٌ بِمَعْنَى التَّقْرِيرِ، مَعْنَاهُ: أَمَا لهذا الكافر مأوى في جهنم.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَة العَنْكَبُوت} الآية {68} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا} فنسب ما هو عليه من الضلال والباطل إلى الله، {أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ} على يد رسوله محمد - صلى الله عليه وسلم.

ولكن هذا الظالم العنيد، أمامه جهنم {أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ} يؤخذ بها منهم الحق، ويخزون بها، وتكون منزلهم الدائم، الذين لا يخرجون منه.(3)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {68} ثم قَالَ تَعَالَى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ} أي: لا أحد أشد عُقُوبَةً مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيْهِ شَيْءٌ، وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ. وَمَنْ قَالَ: سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ. وَهَكَذَا لَا أَحَدَ أَشَدُّ عُقُوبَةً مِمَّنْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ، فَالْأَوَّلُ مُفْتَرٍ، وَالثَّانِي مُكَذِّبٌ" وَلِهَذَا قَالَ: {أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ}.(4)

* * *

[٦٩] ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

والذين جاهدوا أنفسهم ابتغاء مرضاتنا لنوفقنهم لإصابة الطريق المستقيم، وإن الله مع المحسنين بالعون والنصر والهداية.(5)

* * *

والمؤمنون الذين جاهدوا أعداء الله، والنفس، والشيطان، وصبروا على الفتن والأذى في سبيل الله، سيهديهم الله سبل الخير، ويثبتهم على الصراط المستقيم، ومَن

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (68) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ . (العَنْكَبُوت) الآية (68).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (68)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (68).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (404/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

هذه صفته فهو محسن إلى نفسه وإلى غيره. وإن الله سبحانه وتعالى لمع مَن أحسن من خَلقه بالنصرة والتأييد والحفظ والهداية.(1)

* * *

والذين بذلوا جهدهم، واحتملوا المشقة في نصرة ديننا، لنزيدنَّهم هداية إلى الخير والحق. وإن الله لمع الذين يحسنون أعمالهم، يعينهم وينصرهم. والله أعلم.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{والذين جاهدوا فينا} ..... أي: بذلوا جهدهم في تصحيح عقائدهم وتزكية نفوسهم وتهذيب أخلاقهم ثم بقتال أعداء الله من أهل الكفر المحاربين للإسلام والمسلمين.

{لنهدينهم سبلنا}....أي: لنوفقنّهم إلى معرفة ما يوصل إلى محبتنا ورضانا ونعينهم على تحصيله.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {69} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذين جَاهَدُوا فِينَا} فِي طاعتنا قال: (ابْن عَبَّاس) فِي قَول الله {لَنَهْدِيَنَّهُم سُبُلَنَا} أَي: من عمل بِمَا علم لنوفقنهم لما لا يعلمُونَ وَيُقَال لنهدينهم سبلنا لنكرمنهم بالطبع والطوع والحلاوة وَيُقَال لنهدينهم سبلنا لنوفقنهم لطاعتنا.

{وَإِنَّ الله لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} معين الْمُحْسِنِينَ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْل بالتوفيق والعصمة.(3)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوت} الآية {69} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا} الَّذِينَ جَاهَدُوا الْمُشْرِكِينَ لِنُصْرَةِ دِينِنَا،

{لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} لنثبتهم عَلَى مَا قَاتَلُوا عَلَيْهِ، يَعْنِي:- لَنَزِيدَنَّهُمْ هُدًى كَمَا قَالَ: {وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى} {مَرْيَم: 76}،

يَعْنِي:- لَنُوَفِّقَنَّهُمْ لِإِصَابَةِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمَةِ هِيَ الَّتِي تُوصل بِهَا إِلَى رِضَا اللَّهِ عزَّ وجل،

يَعْنِي:- الْمُجَاهَدَةُ هِيَ الصَّبْرُ عَلَى الطَّاعَاتِ.

قَالَ: (الْحَسَنُ): أَفْضَلُ الْجِهَادِ مُخَالَفَةُ الْهَوَى.

وَقَالَ: (الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ): وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِي طَلَب العلم لنهدينهم سبل الْجَنَّة.

وَقَالَ: (سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ): وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِي إِقَامَةِ السُّنَّةِ لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَ الْجَنَّةِ،

وَرُوِيَ عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ): وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِي طَاعَتِنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَ ثَوَابِنَا،

{وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} بِالنَّصْرِ وَالْمَعُونَةِ فِي دُنْيَاهُمْ وَبِالثَّوَابِ وَالْمَغْفِرَةِ فِي عُقْبَاهُمْ.(1)

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (404/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (601/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (69) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {69} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا} وهم الذين هاجروا في سبيل الله، وجاهدوا أعداءهم، وبذلوا مجهودهم في اتباع مرضاته،

{لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} أي: الطرق الموصلة إلينا، وذلك لأنهم محسنون.

{وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} بالعون والنصر والهداية. دل هذا، على أن أحرى الناس بموافقة الصواب أهل الجهاد، وعلى أن من أحسن فيما أمر به أعانه الله ويسر له أسباب الهداية، وعلى أن من جد واجتهد في طلب العلم الشرعي، فإنه يحصل له من الهداية والمعونة على تحصيل مطلوبه أمور إلهية، خارجة عن مدرك اجتهاده، وتيسر له أمر العلم، فإن طلب العلم الشرعي من الجهاد في سبيل الله، بل هو أحد نَوْعَي الجهاد، الذي لا يقوم به إلا خواص الخلق، وهو الجهاد بالقول واللسان، للكفار والمنافقين، والجهاد على تعليم أمور الدين، وعلى رد نزاع المخالفين للحق، ولو كانوا من المسلمين. (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ العَنْكَبُوتِ} الآية {69} ثمَّ قَالَ: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا} يَعْنِي: الرَّسُولَ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَأَصْحَابَهُ وَأَتْبَاعَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

{لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} ،أَيْ: لَنُبَصِّرَنهم سُبُلَنَا،أَيْ: طُرُقَنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة.

* * *

قَالَ: (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ): حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الحَوَاري، حَدَّثَنَا (عَبَّاسٌ الْهَمْدَانِيُّ أَبُو أَحْمَدَ) -مِنْ أَهْلِ عَكَّا -فِي قَوْلِ اللَّهِ: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} قَالَ: الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِمَا يَعْلَمُونَ، يَهْدِيهِمْ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ.

* * *

قَالَ: (أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحَوَارِيِّ): فَحَدَّثْتُ بِهِ أَبَا سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيَّ فَأَعْجَبَهُ، وَقَالَ: لَيْسَ يَنْبَغِي لِمَنْ أُلْهِمَ شَيْئًا مِنَ الْخَيْرِ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ حَتَّى يَسْمَعَهُ فِي الْأَثَرِ، فَإِذَا سَمِعَهُ فِي الْأَثَرِ عَمِلَ بِهِ، وَحَمِدَ اللَّهَ حِينَ وَافَقَ مَا فِي نَفْسِهِ .

* * *

وَقَوْلُهُ: {وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} ، قَالَ: (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ): حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ جَعْفَرٍ -قَاضِي الرَّيِّ -حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ الرَّازِيُّ، عَنِ الْمُغِيرَةِ، عَنِ (الشَّعْبِيِّ) قَالَ: قَالَ: (عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ)- عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّمَا الْإِحْسَانُ أَنْ تُحْسِنَ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ، لَيْسَ الْإِحْسَانُ أَنْ تُحْسِنَ إِلَى مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ.

* * *

وَفِي حَدِيثِ -(جِبْرِيلَ):- لَمَّا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنِ الْإِحْسَانِ قَالَ: ((أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ)). قَالَ: ((أَنْ

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامُ (البغوي) سُورَةُ . (العَنْكَبُوت) الآية (69).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (العَنْكَبُوت) الآية (69)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)).(1)

* * *

قال: الشيخ (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ذكر جل وعلا في هذه الآية: أن الذين جاهدوا فيه أنه يهديهم إلى سبيل الخير والرشاد، وأقسم على ذلك بدليل اللام في قوله لنهدينهم وهذا المعنى جاء مبينا في آيات أخر، كقوله تعالى: {والذين اهتدوا زادهم هدى}،

وقوله تعالى: {فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا} الآية.(2)

* * *

وانظر: سورة – (النحل)- كقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (128)}.

* * *

والله سبحانه و تعالى أعلم بالصواب

آخَرُ تَفْسِيرِ سُورَةُ ﴿ العَنْكَبُوت ﴾

تم بفضل الله وإعانته وتيسيره.

وَللهِ الْحَمْدُ والثَّناء والفَضْل وَالْمِنَّة وَالمجد دائماً أبداً وَإستمْراراً

كما ينبغي لجلاله، وعظمته، وكماله وسعة إحسانه.

((الحمْدُ للهِ الذي بِنِعْمَتِه تتمُ الصالحات))

والحمدلله رب العالمين، أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً،

حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه. ملءَ السَّموَاتِ، وَملءَ الأرض،

وَملءَ مَا بَينَهُمَا. وَملءَ مَا فيهما.

سُبحانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمدِكَ أَشهَدُ أن لا إله إلاَّ أنتَ أستَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إليك.

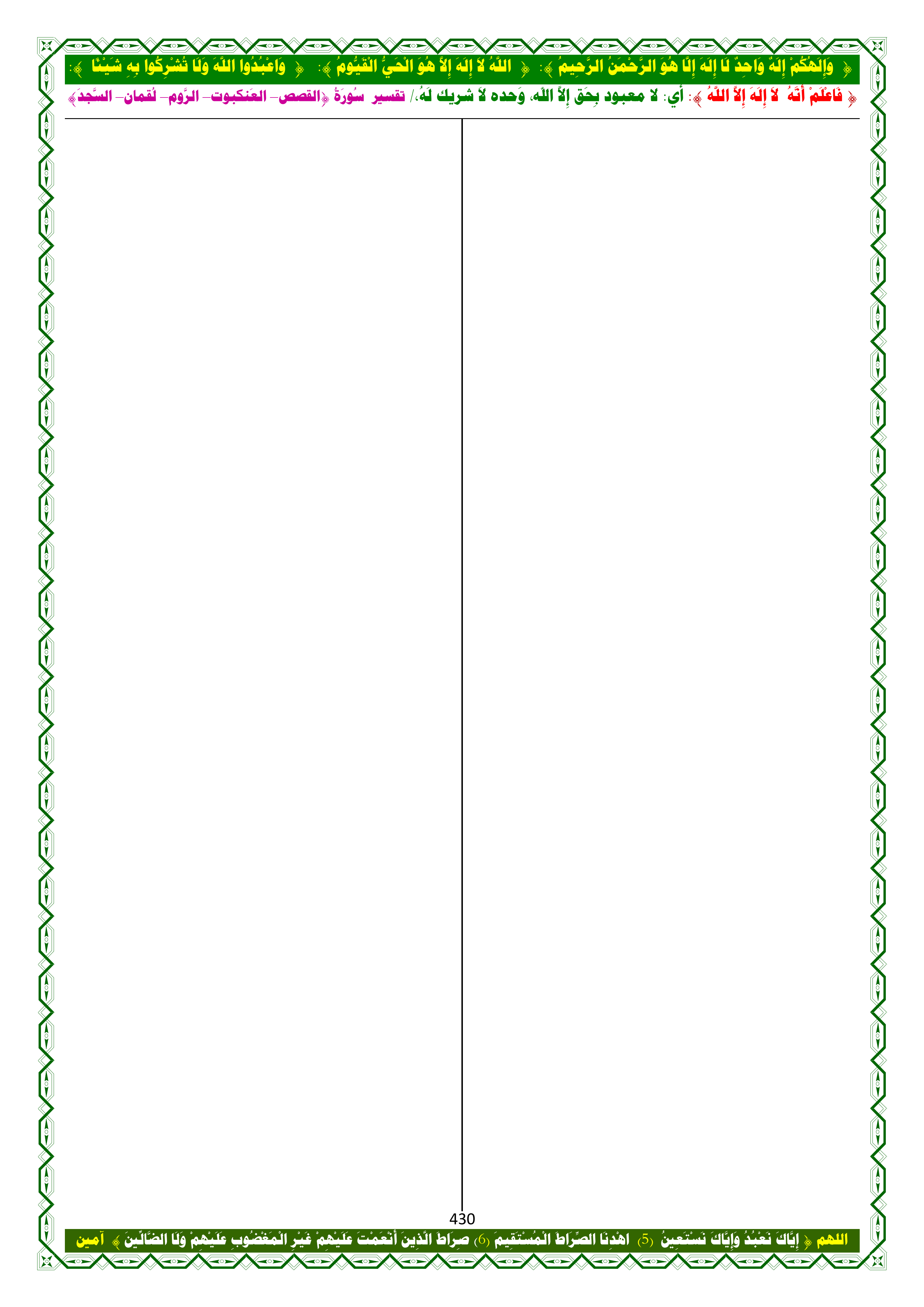
وَصلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نبينا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجمعين تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

۞ ۞ ۞

---

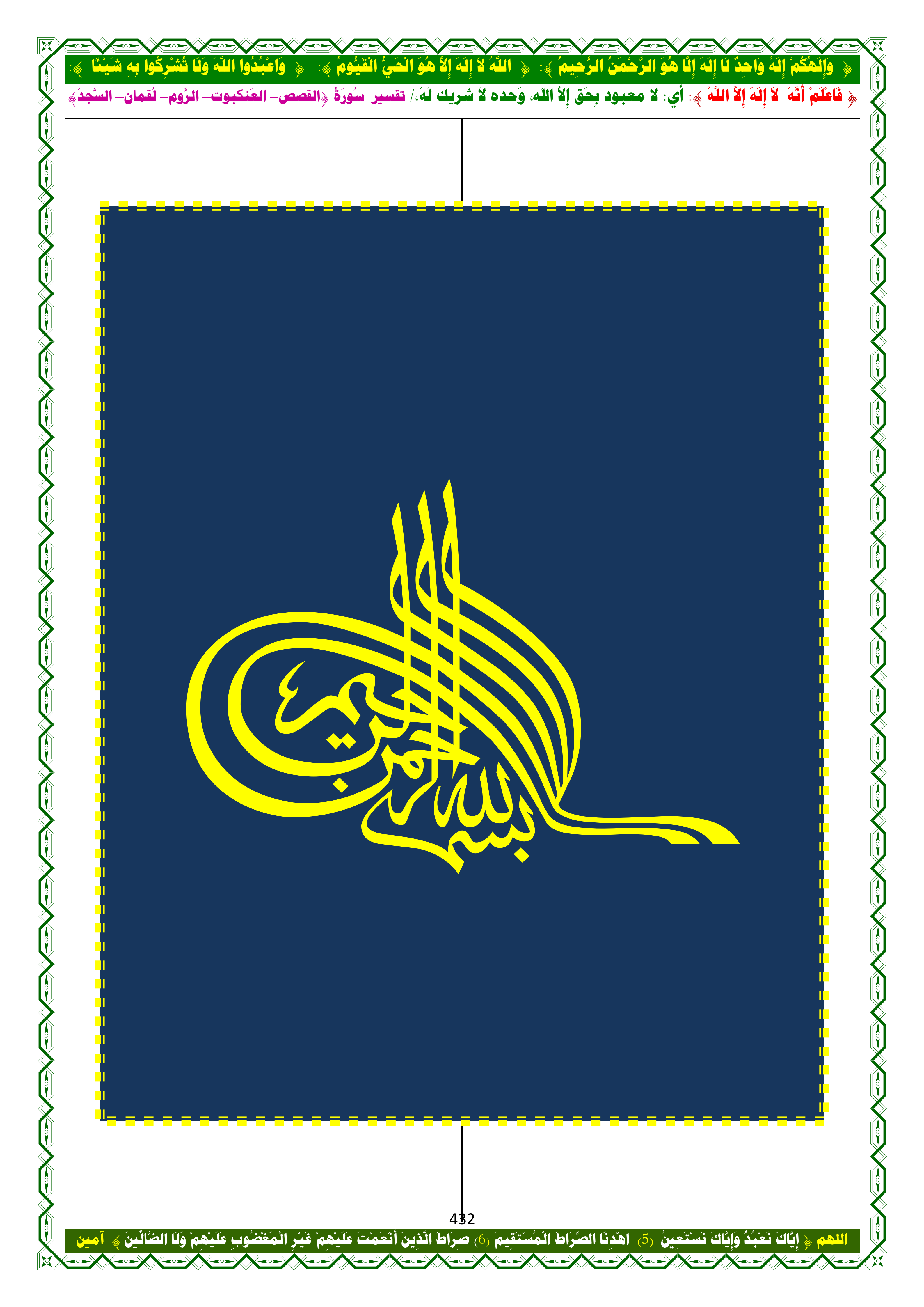
(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (العَنْكَبُوتِ) الآية (69).

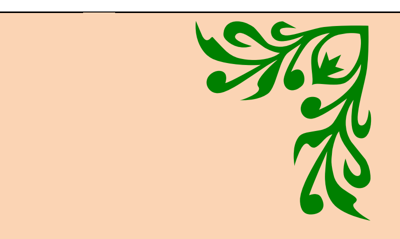
(2) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للإمام (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (العنكبُوت) الآية (69).



تَفْسِيرُ

سُورَةُ ﴿ الرُّومِ ﴾


بسم الله الرحمن الرحيم



سُورَةُ ﴿ الرُّومِ ﴾

ترتيبها (30) ... آياتها (60)...(مكية)

إلا قوله: {فَسُبْحَانَ اللَّهِ}،

وحروفها: ثلاثة آلاف وخمس مئة وأربعة وثلاثون حرفًا،

وكلماتها: ثمان مئة وتسع عشرة كلمة. (1)

* * *

﴿ مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَة ﴾

بيان الحقيقة الكونية في أن تصريف الأمور والأحوال والأحداث لله وحده" كما قال تعالى: {لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ} (2).

* * *

بِسْمِ اللّهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿ الم ﴾:

سورة الروم

بسم الله الرحمن الرحيم

الم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (5)

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

الم: هذه أحد الحروف المقطعة تكتب الم، وتقرأ ألف، لام، ميم. (3)

* * *

بدأت السورة بهذه الآية لبيان أن القرآن مؤلف من هذه الحروف التى ينطق بها العرب فى سهولة ووضوح، ولكن المنكرين له عجزوا عن الإتيان بمثله. وهى - كذلك - تُنَبِّه الناس إلى الاستماع والإنصات. وتحملهم على التصديق برسالة محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{الم} .... هذه أحد الحروف المقطعة تكتب الم، وتقرأ ألف، لام، ميم.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

قال: الشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سُورَةُ الرُّومِ} الآية {1} قوله

(1) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن) (5/ 267). للإمام (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/404). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/404). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/602)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

تعالى: {الم} . نقل المفسرون أنه كان بين (فارس)، و(الروم) قتال، وكان المسلمون يحبون ظهور الروم" لأنهم أصحاب كتاب مثلهم، والمشركون يحبون ظهور فارس" لأنهم كانوا مجوسًا لا كتاب لهم كالمشركين، فبعث كسرى ملك فارس جيشًا، وبعث قيصر ملك الروم جيشًا، فالتقيا فغلب فارس الروم، فبلغ ذلك المسلمين بمكة، فشق عليهم، وفرح به كفار مكة، وقالوا للمسلمين: إنكم أهل كتاب، والنصارى أهل كتاب، ونحن أميون، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من الروم، وإنكم إن قاتلتمونا، لنظهرن عليكم،

فأنزل الله -عز وجل-: {الم} (1) تقدم التنبيه على معناه،

ومذهب (أبي جعفر) في تقطيع الحروف أول سورة (العنكبوت). (2)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {1} {الم} عَن (ابْن عَبَّاس) فِي قَوْله تَعَالَى: {الم} يَقُول أَنا الله أعلم وَيُقَال قسم أقسم بِهِ (3)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {1} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الم} : أحسن أوجه التفسير لمثل هذه الحروف القول بأن الله أعلم بمراده به، مع الإشارة إلى أنه أفاد فائدتين الأولى أن هذا القرآن المؤلف من مثل هذه الحروف المقطعة قد أعجز العرب على تأليف مثله فدل على أنه وحي من الله وتنزيله، وأن من نزل عليه نبي الله ورسوله وأن ما يحمل من تشريع هو حاجة البشرية ولا تصلح ولا تكمل ولا تسعد إلا به وعليه، والثانية أنها لما كان المشركون يمنعون من سماع القرآن مخافة تأثيره على المستمع له جاء تعالى بمثل هذه الفواتح للعديد من سور كتابه فكانت تضطرهم إلى الاستماع إليه لأن هذه الحروف لم تكن معهودة في مخاطبتهم. (4)

* * *

[٢] ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

غَلَبَتْ فارسُ الرومَ. (5)(6)(7)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{غُلِبَتِ الرُّومُ} ... هَزَمَتْ فَارِسُ الرُّومَ. أي: غلبت فارس الروم.

---

(1) انظر: "أسباب النزول" للواحدي (ص: 198)، و"تفسير البغوي" (3/ 485)، و"تفسير ابن كثير" (3/ 425)، و "تخريج أحاديث الكشاف" للزيلعي (3/ 54)، و"الدر المنثور" للسيوطي (6/ 478).

(2) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سُورَةُ . (الرُّوم) الآية (1)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (1) يُنسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(4) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية ( ) للشيخ: (جابر بن أبو بكر الجزائري).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/ 404). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(6) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/ 404)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(7) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/ 602)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{الروم} .... اسم رجل هو روم بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم سميّت به قبيلة لأنه جدها.

{الرُّومُ} ... قوم من الفرنج يستوطنون الجنوب الشرقي من أوربا، ويقول المؤرخون: أنهم عرفوا باسم جدّ لهم، اسمه: روم، أو رومي، من ذرية يافث بن نوح - عليه السلام.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {2} قَوْلُهُ تَعَالَى: {غُلِبَتِ الرّومُ} قهرت الرّوم وهم أهل الْكتاب غلبهم فَارس وهم الْمَجُوس عَبدة النيرَان.(1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {1-3} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ} أَيْ أَقْرَبِ أَرْضِ الشَّامِ إِلَى أَرْضِ فَارِسَ،

قَالَ: (عِكْرِمَةُ): هِيَ أَذْرِعَاتٌ وَكَسْكَرُ،

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ): أَرْضُ الْجَزِيرَةِ.

وَقَالَ: (مُقَاتِلٌ): الْأُرْدُنُ وَفِلَسْطِينُ.

{وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ} أَيْ: الرُّومُ مِنْ بَعْدِ غَلَبَةِ فَارِسَ إِيَّاهُمْ، وَالْغَلَبُ وَالْغَلَبَةُ لُغَتَانِ، {سَيَغْلِبُونَ} فارس.(2)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {2} قَوْلُهُ تَعَالَى: {غُلِبَتِ الرُّومُ}.(3) أي: غلبت فارس الروم.(4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {1 - 7} قَوْلُهُ تَعَالَى: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الأرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ}.

كانت الفرس والروم في ذلك الوقت من أقوى دول الأرض، وكان يكون بينهما من الحروب والقتال ما يكون بين الدول المتوازنة.

وكانت الفرس مشركين يعبدون النار، وكانت الروم أهل كتاب ينتسبون إلى التوراة والإنجيل وهم أقرب إلى المسلمين من الفرس فكان المؤمنون يحبون غلبتهم وظهورهم على الفرس، وكان المشركون -لاشتراكهم والفرس في الشرك- يحبون ظهور الفرس على الروم.

فظهر الفرس على الروم فغلبوهم غلبا لم يحط بملكهم بل بأدنى أرضهم، ففرح بذلك مشركو مكة وحزن المسلمون، فأخبرهم الله ووعدهم أن الروم ستغلب الفرس.

---

(1) انظُر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (2) يِنسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظُر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (2).

(3) - هذا الخبر المقصود منه لازم الفائدة، إذ يعلم الله ذلك، وإنما المراد نحن نعلم ذلك فلا يهنئكم أيها المشركون ذلك ولا تتطاولوا به على رسولنا وأوليائنا فإنا نعلم أنهم سيغلبون من غلبهم في بضع سينين لا يعد الغلب في مثله غلبا.

(4) انظُر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (2) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

{فِي بِضْعِ سِنِينَ} تسع أو ثمان ونحو ذلك مما لا يزيد على العشر، ولا ينقص عن الثلاث، وأن غلبة الفرس للروم ثم غلبة الروم للفرس كل ذلك بمشيئته وقدره،

ولهذا قال: {لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ} فليس الغلبة والنصر لمجرد وجود الأسباب، وإنما هي لا بد أن يقترن بها القضاء والقدر.

{وَيَوْمَئِذٍ} أي: يوم يغلب الروم الفرس ويقهرونهم {يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ} أي: يفرحون بانتصارهم على الفرس وإن كان الجميع كفارا ولكن بعض الشر أهون من بعض ويحزن يومئذ المشركون.

{وَهُوَ الْعَزِيزُ} الذي له العزة التي قهر بها الخلائق أجمعين يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء.

{الرَّحِيمُ} بعباده المؤمنين حيث قيض لهم من الأسباب التي تسعدهم وتنصرهم ما لا يدخل في الحساب. (1)

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {2} قوله تعالى: {الم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ}. قال: (أبو جعفر): قد بيَّنا فيما مضى قبلُ معنى قوله: {الم} وذكرنا ما فيه من أقوال أهل التأويل، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله: {غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ} اختلفت القرّاء في قراءته، فقرأته عامة قرّاء الأمصار {غُلِبَتِ الرُّومُ} بضمّ الغين، بمعنى أن فارس غَلَبت الروم.

وروي عن (ابن عمر)، و(أبي سعيد) في ذلك ما حدثنا ابن وكيع، قال: ثني أبي، عن الحسن الجفري، عن سليط، قال: سمعت (ابن عمر) يقرأ (الم غَلَبَتِ الرُّومُ) فقيل له: يا أبا عبد الرحمن، على أيّ شيء غَلَبوا؟ قال: على ريف الشام.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا الذي لا يجوز غيره {الم غُلِبَتِ الرُّومُ} بضم الغين" لإجماع الحجة من القرّاء عليه. فإذ كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: غلبت فارس الروم (2).

* * *

قال: الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {2} قَوْلُهُ تَعَالَى: {غُلِبَتِ الرُّومُ} قهرت الرّوم وهم أهل الْكتاب غلبهم فَارس وهم الْمَجُوس عَبدة النيرَان. (3)

* * *

قال: الإمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (1-7)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (1-2)، للإمَامْ (الطبري).

(3) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (2)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

الْمُؤْمِنُونَ (4) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (5)}.

نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ حِينَ غَلَبَ سَابُورُ مَلِكُ الْفُرْسِ عَلَى بِلَادِ الشَّامِ وَمَا وَالَاهَا مِنْ بِلَادِ الْجَزِيرَةِ وَأَقَاصِي بِلَادِ الرُّومِ، وَاضْطُرَّ هِرَقْلُ مَلِكُ الرُّومِ حَتَّى أَلْجَأَهُ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَحَاصَرَهُ فِيهَا مُدَّةً طَوِيلَةً، ثُمَّ عَادَتِ الدَّوْلَةُ لِهِرَقْلَ، كَمَا سَيَأْتِي.

* * *

قَالَ الْإِمَامُ (أَحْمَدُ): حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ، عَنْ (سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ)، -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {الم. غُلِبَتِ الرُّومُ* فِي أَدْنَى الأَرْضِ} قَالَ: غُلِبَتْ وغَلَبَت. قَالَ: كَانَ الْمُشْرِكُونَ يُحِبُّونَ أَنْ تَظْهَرَ فَارِسُ عَلَى الرُّومِ" لِأَنَّهُمْ أَصْحَابُ أَوْثَانٍ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يُحِبُّونَ أَنْ تَظْهَرَ الرُّومُ عَلَى فَارِسَ" لِأَنَّهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِأَبِي بَكْرٍ، فَذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "أَمَا إِنَّهُمْ سَيَغْلِبُونَ" فَذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ لَهُمْ، فَقَالُوا: اجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ أَجَلًا فَإِنْ ظَهَرْنَا كَانَ لَنَا كَذَا وَكَذَا، وَإِنْ ظَهَرْتُمْ كَانَ لَكُمْ كَذَا وَكَذَا. فَجَعَلَ أَجَلًا خَمْسَ سِنِينَ، فَلَمْ يَظْهَرُوا، فَذَكَرَ ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ:"أَلَا جَعَلْتَهَا إِلَى دُونَ" أُرَاهُ قَالَ: "الْعَشْرِ". (1)

* * *

قَالَ: (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ): الْبِضْعُ مَا دُونَ الْعَشْرِ. ثُمَّ ظَهَرَتِ الرُّومُ بَعْدُ، قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ: {الم* غُلِبَتِ الرُّومُ. فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ*. فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ}.

هَكَذَا رَوَاهُ (التِّرْمِذِيُّ)، وَ(النَّسَائِيُّ) جَمِيعًا، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ حُرَيْثٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الْفَزَارِيِّ، عَنْ (سُفْيَانَ بْنِ سَعِيدٍ الثَّوْرِيِّ) (2) بِهِ،

وَقَالَ (التِّرْمِذِيُّ): حَسَنٌ غَرِيبٌ، إِنَّمَا نَعْرِفُهُ- مِنْ حَدِيثِ- سُفْيَانَ، عَنْ حَبِيبٍ.

* * *

وَرَوَاهُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ)، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ الصَّاغَانِيِّ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرٍو، بِهِ.

* * *

وَرَوَاهُ (ابْنُ جَرِيرٍ): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ -أَوْ سَعِيدٌ الثَّعْلَبِيُّ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: أَبُو سَعْدٍ مِنْ أَهْلِ طَرَسُوسَ- حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الْفَزَارِيُّ، فَذَكَرَهُ.

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (2).

(2) (صحيح): أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (276/1).
وأخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3193) - (كتاب: تفسير القرآن).
وأخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (11389).
و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح الترمذي) برقم (2551).
و(صححه) الشيخ (مقبل بن هادي الوادعي): في (الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين) برقم (639).
وكذا قال الشيخ (أحمد شاكر): في تحقيق (المسند): إسناده (صحيح).

وَعِنْدَهُمْ: قَالَ (سُفْيَانُ): فَبَلَغَنِي أَنَّهُمْ غَلَبُوا يَوْمَ بَدْرٍ[1].

* * *

حَدِيثٌ آخَرُ: قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ مِهْرَانَ الْأَعْمَشُ، عَنْ مُسْلِمٌ، عَنْ (مَسْرُوقٍ)، قَالَ: قَالَ (عَبْدُ اللَّهِ): خَمْسٌ قَدْ مَضَيْنَ: الدُّخَانُ، وَاللِّزَامُ، وَالْبَطْشَةُ، وَالْقَمَرُ، وَالرُّومُ.[2] أَخْرَجَاهُ.[3]

* * *

وَقَالَ: (ابْنُ جَرِيرٍ): حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، حَدَّثَنَا الْمُحَارِبِيُّ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ عَامِرٍ -هُوَ الشَّعْبِيُّ- عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ) -هُوَ (ابْنُ مَسْعُودٍ)- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -قَالَ: كَانَ فَارِسُ ظَاهِرًا عَلَى الرُّومِ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يُحِبُّونَ أَنْ تَظْهَرَ فَارِسُ عَلَى الرُّومِ. وك ان الْمُسْلِمُونَ يُحِبُّونَ أَنْ تَظْهَرَ الرُّومُ عَلَى فَارِس" لِأَنَّهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ وَهُمْ أَقْرَبُ إِلَى دِينِهِمْ، فَلَمَّا نَزَلَتْ: {الم * غُلِبَتِ الرُّومُ. فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ* فِي بِضْعِ سِنِينَ} قَالُوا: يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّ صَاحِبَكَ يَقُولُ: إِنَّ الرُّومَ تَظْهَرُ عَلَى فَارِسَ فِي بِضْعِ سِنِينَ؟! قَالَ: صَدَقَ. قَالُوا: هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ نُقَامِرَكَ، فَبَايَعُوهُ عَلَى أَرْبَعِ قَلَائِصَ إِلَى سَبْعِ سِنِينَ، فَمَضَتِ السَّبْعُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ، فَفَرِحَ الْمُشْرِكُونَ بِذَلِكَ وَشَقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ. فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: "مَا بِضْعُ سِنِينَ عِنْدَكُمْ"؟ قَالُوا: دُونَ الْعَشْرِ. قَالَ: "اذْهَبْ فَزَايِدْهُمْ وَازْدَدْ سَنَتَيْنِ فِي الْأَجَلِ". قَالَ: فَمَا مَضَتِ السَّنَتَانِ حَتَّى جَاءَتِ الرُّكْبَانُ بِظُهُورِ الرُّومِ عَلَى فَارِسَ، فَفَرِحَ الْمُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ: {الم. غُلِبَتِ الرُّومُ} إِلَى قَوْلِهِ: {وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ}[4].

* * *

قَالَ: (أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ): فَحَدَّثْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ (عَطَاءَ الْخُرَاسَانِيَّ) فَقَالَ: أَمَا رَأَيْتَ بِلَادَ الشَّامِ؟ قُلْتُ: لَا قَالَ: أَمَا إِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَهَا لَرَأَيْتَ الْمَدَائِنَ الَّتِي خُرِّبَتْ، وَالزَّيْتُونَ الَّذِي قُطِّعَ. فَأَتَيْتُ الشَّامَ بَعْدَ ذَلِكَ فَرَأَيْتُهُ.

* * *

قَالَ: (عَطَاءٌ الْخُرَاسَانِيُّ): حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ يَعْمَرَ: أَنَّ قَيْصَرَ بَعَثَ رَجُلًا يُدْعَى قَطْمَةَ بِجَيْشٍ مِنَ الرُّومِ، وَبَعَثَ كِسْرَى شَهْرِيرَازَ، فَالْتَقَيَا بِأَذْرِعَاتَ وَبُصْرَى، وَهِيَ أَدْنَى الشَّامِ إِلَيْكُمْ، فَلَقِيَتْ فَارِسُ الرُّومَ، فَغَلَبَتْهُمْ فَارِسُ. فَفَرِحَتْ بِذَلِكَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ وَكَرِهَهُ الْمُسْلِمُونَ.[5]

* * *

قَالَ: (عِكْرِمَةُ): وَلَقِيَ الْمُشْرِكُونَ أَصْحَابَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَقَالُوا: إِنَّكُمْ أَهْلُ كِتَابٍ، وَالنَّصَارَى أَهْلُ كِتَابٍ وَنَحْنُ أُمِّيُّونَ، وَقَدْ ظَهَرَ إِخْوَانُنَا مِنْ أَهْلِ فَارِسَ عَلَى إِخْوَانِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَإِنَّكُمْ إِنْ

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (2).

(2) (متفق عليه): أخرجه الإمام (البخاري) في (صحيحه) برقم (4767) – (كتاب: تفسير القرآن)، / وأخرجه الإمام (مُسلم) في (صحيحه) برقم (2798) – (كتاب: صفة القيامة والجنة والنار).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (2).

(4) أخرجه الإمام (الطبري) في (تفسيره) برقم (21/14-15).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (2).

قَاتَلْتُمُونَا لنظهرنّ عَلَيكُم، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {الم * غُلِبَتِ الرُّومُ. فِي أَدْنَى الأرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ* فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ* بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ} ، فَخَرَجَ أَبُو بَكْر الصِّدِيقُ إِلَى الْكُفَّار فقَالَ: أَفَرِحْتُمْ بِظُهُور إِخْوَانِكُمْ عَلَى إِخْوَانِنَا، فَلاَ تَفْرَحُوا، وَلاَ يُقِرَّن اللَّهُ أَعْيُنَكُم، فَوَاللَّهِ لَيُظْهِرَنَّ اللَّهُ الرُّومَ عَلَى فَارِسَ، أَخْبَرَنَا بِذَلِكَ نَبِيُّنَا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- . فَقَامَ إِلَيْهِ أُبَيُّ بْنُ خَلَف فقَالَ: كَذَبْتَ يَا أَبَا فُضَيْلِ. فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْر: أَنْتَ أَكْذَبُ يَا عَدُوَّ اللَّه. فَقَالَ: أناحبُكَ عَشْرَ قَلاَئِصَ منِّي وعَشْرَ قَلاَئِصَ منكَ، فَإِنْ ظَهَرَتِ الرُّومُ عَلَى فَارِسَ غرمتُ، وَإِنْ ظَهَرَتْ فَارِسُ غرمتَ إِلَى ثَلاَث سِنِينَ. ثُمَّ جَاءَ (أَبُو بَكْر) إِلَى النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: ((مَا هَكَذَا ذَكَرْتُ، إِنَّمَا الْبِضْعُ مَا بَيْنَ الثَّلاَث إِلَى التِّسْعِ، فزايِدْه فِي الخطَرِ ومادّه فِي الْأَجَلِ))، فَخَرَجَ أَبُو بَكْر فَلَقِيَ أُبَيًّا فقَالَ: لَعَلَّكَ نَدمْتَ؟ فَقَالَ: لاَ تَعَالَ أُزَايِدُكَ فِي الخطَرِ وأمادُّك فِي الْأَجَلِ، فَاجْعَلْهَا مائَةَ قَلُوص لمائَة قَلُوص إِلَى تِسْعِ سِنِينَ. قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ، فظَهَرَت الرُّومُ عَلَى فَارِس قَبْلَ ذلك، فَغَلَبَهُمُ الْمُسْلمُونَ. (1)

* * *

قَالَ: (عِكْرِمَةُ): لَمَّا أَنْ ظَهَرَتْ فَارِسُ عَلَى الرُّوم، جَلَسَ فَرْخَانُ يَشْرَبُ وَهُوَ أَخُو شَهْرِيرَاز فَقَالَ لِأَصْحَابِه: لَقَدْ رَأَيْتُ كَأَنِّي جَالِسٌ عَلَى سَرِير كِسْرَى. فَبَلَغَتْ كِسْرَى فَكَتَبَ إِلَى شَهْرِيرَازَ إِذَا أَتَاكَ كِتَابِي هَذَا فَابْعَثْ إِلَيَّ بِرَأْس فَرْخَانَ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ مِثْلَ فَرْخَانَ، لَهُ نكَايَةٌ وَصَوْتٌ فِي الْعَدُوِّ، فَلاَ تَفْعَلْ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ: إِنَّ فِي رِجَال فَارِسَ خَلَفًا مِنْهُ، فَعَجِّلْ إِلَيَّ بِرَأْسِه. فَرَاجَعَهُ، فَغَضِبَ كِسْرَى فَلَمْ يُجِبْهُ، وَبَعَثَ بَرِيدًا إِلَى أَهْل فَارِسَ: إِنِّي قَدْ نَزَعْتُ عَنْكُمْ شَهْرِيرَازَ، وَاسْتَعْمَلْتُ عَلَيْكُمْ فَرْخَانَ. ثُمَّ دَفَعَ إِلَى الْبَرِيدِ صَحِيفَةً لَطِيفَةً صَغِيرَةً فقَالَ: إِذَا وَلِيَ فَرْخَانُ الْمُلْكَ، وَانْقَادَ لَهُ أَخُوه، فَأَعْطِه هَذه. فَلَمَّا قَرَأَ شَهْرِيرَازُ الْكِتَابَ قَالَ: سَمْعًا وَطَاعَةً، وَنَزَلَ عَنْ سَرِيره، وَجَلَسَ فَرْخَانُ، وَدَفَعَ إِلَيْهِ الصَّحِيفَةَ، قَالَ ائْتُونِي بِشَهْرِيرَازَ وقَدَّمَه لِيَضْرِبْ عُنُقَهُ، قَالَ: لاَ تَعْجَلْ عَلَيَّ حَتَّى أَكْتُبَ وَصِيَّتِي، قَالَ: نعم. فدعا بالسَّفط فأعطاه الصَّحائفَ وقَالَ: كُلُّ هَذَا راجعتُ فِيكَ كِسْرَى، وَأَنْتَ أَرَدْتَ أَنْ تَقْتُلَنِي بِكِتَاب وَاحِد. فَرَدَّ الْمَلِكُ إِلَى أَخِيه شَهْرِيرازَ وَكَتَبَ شَهْرِيرَازُ إِلَى قَيْصَرَ مَلِك الرُّوم: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً لاَ تَحْمِلُهَا الْبُرُدُ وَلاَ تَحْمِلُهَا الصُّحُفُ، فَالْقَنِي، وَلاَ تَلْقَنِي إِلاَ فِي خَمْسِينَ رُومِيًّا، فَإِنِّي أَلْقَاكَ فِي خَمْسِينَ فَارِسِيًّا. فَأَقْبَلَ قَيْصَرُ فِي خَمْسمائَة أَلْف رُومِيٍّ، وَجَعَلَ يَضَعُ الْعُيُونَ بَيْنَ يَدَيْه فِي الطَّرِيق، وَخَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ مَكَرَ بِه، حَتَّى أَتَاهُ عُيُونُهُ أَنَّهُ لَيْسَ مَعَهُ إِلاَ خَمْسُونَ رَجُلًا. ثُمَّ بُسِطَ لَهُمَا وَالْتَقَيَا فِي قُبَّة دِيبَاج ضُرِبَتْ لَهُمَا، مَعَ كُلِّ وَاحِد مِنْهُمَا سِكِّينٌ، فَدَعَيَا تُرْجُمَانًا بَيْنَهُمَا، فَقَالَ شَهْرِيرَازُ إِنَّ الَّذِينَ خَرَّبُوا مَدَائِنَكَ أَنَا وَأَخِي بِكَيْدِنَا وَشَجَاعَتِنَا، وَإِنَّ كِسْرَى حَسَدنا وَأَرَادَ أَنْ أَقْتُلَ أَخِي فَأَبَيْتُ، ثُمَّ أَمَرَ أَخِي أَنْ يَقْتُلَنِي

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَام (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (2).

وَقَدْ خَلَعْنَاهُ جَمِيعًا، فَنَحْنُ نُقَاتِلُهُ مَعَكَ. قَالَ: قَدْ أَصَبْتُمَا. ثُمَّ أَشَارَ أَحَدُهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ أَنَّ السِّرَّ بَيْنَ اثْنَيْنِ فَإِذَا جَاوَزَ اثْنَيْنِ فَشَا. قَالَ: أَجَلْ. فَقَتَلَا التُّرْجُمَانَ جَمِيعًا بِسِكِّينَيْهِمَا. قَالَ فَأَهْلَكَ اللَّهُ كِسْرَى، وَجَاءَ الْخَبَرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ، فَفَرِحَ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ.

فَهَذَا سِيَاقٌ غَرِيبٌ، وَبِنَاءٌ عَجِيبٌ. وَلْنَتَكَلَّمْ عَلَى كَلِمَاتِ هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ،

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: {الم. غُلِبَتِ الرُّومُ} قَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ فِي أَوَائِلِ السُّوَرِ، فِي أَوَّلِ سُورَةِ "الْبَقَرَةِ". وَأَمَّا الرُّومُ فَهُمْ مِنْ سُلَالَةِ الْعِيصِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَمِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَيُقَالُ لَهُمْ: بَنُو الْأَصْفَرِ. وَكَانُوا عَلَى دِينِ الْيُونَانِ، وَالْيُونَانُ مِنْ سُلَالَةِ يَافِثَ بْنِ نُوحٍ، أَبْنَاءِ عَمِّ التُّرْكِ. وَكَانُوا يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ السَّيَّارَةَ السَّبْعَةَ، وَيُقَالُ لَهَا: الْمُتَحَيِّرَةُ، وَيُصَلُّونَ إِلَى الْقُطْبِ الشَّمَالِيِّ، وَهُمُ الَّذِينَ أَسَّسُوا دِمَشْقَ، وَبَنَوْا مَعْبَدَهَا، وَفِيهِ مَحَارِيبُ إِلَى جِهَةِ الشَّمَالِ، فَكَانَ الرُّومُ عَلَى دِينِهِمْ إِلَى مَبْعَثِ الْمَسِيحِ بِنَحْوٍ مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ، وَكَانَ مَنْ مَلَكَ الشَّامَ مَعَ الْجَزِيرَةِ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ: قَيْصَرُ. فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ دَخَلَ فِي دِينِ النَّصَارَى مِنَ الْمُلُوكِ قُسْطَنْطِينُ بْنُ قُسْطُسَ، وَأُمُّهُ مَرْيَمُ الْهَيْلَانِيَّةُ الشَّدْقَانِيَّةُ مِنْ أَرْضِ حَرَّانَ، كَانَتْ قَدْ تَنَصَّرَتْ قَبْلَهُ، فَدَعَتْهُ إِلَى دِينِهَا، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ فَيْلَسُوفًا، فَتَابَعَهَا -يُقَالُ: تَقِيَّةً- وَاجْتَمَعَتْ بِهِ النَّصَارَى، وَتَنَاظَرُوا فِي زَمَانِهِ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَرْيُوسَ، وَاخْتَلَفُوا اخْتِلَافًا كَثِيرًا مُنْتَشِرًا مُتَشَتِّتًا لَا يَنْضَبِطُ، إِلَّا أَنَّهُ اتَّفَقَ مِنْ جَمَاعَتِهِمْ ثَلَاثُمِائَةٍ وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ أُسْقُفًّا، فَوَضَعُوا لِقُسْطَنْطِينَ الْعَقِيدَةَ، وَهِيَ الَّتِي يُسَمُّونَهَا الْأَمَانَةَ الْكَبِيرَةَ، وَإِنَّمَا هِيَ الْخِيَانَةُ الْحَقِيرَةُ، وَوَضَعُوا لَهُ الْقَوَانِينَ - يَعْنُونَ كُتُبَ الْأَحْكَامِ مِنْ تَحْلِيلٍ وَتَحْرِيمٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، وَغَيَّرُوا دِينَ الْمَسِيحِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَزَادُوا فِيهِ وَنَقَصُوا مِنْهُ. وَصَلَّوْا إِلَى الْمَشْرِقِ وَاعْتَاضُوا عَنِ السَّبْتِ بِالْأَحَدِ، وَعَبَدُوا الصَّلِيبَ وَأَحَلُّوا الْخِنْزِيرَ. وَاتَّخَذُوا أَعْيَادًا أَحْدَثُوهَا كَعِيدِ الصَّلِيبِ وَالْقُدَّاسِ وَالْغِطَاسِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْبَوَاعِيثِ وَالشَّعَانِينِ، وَجَعَلُوا لَهُ الْبَابَ وَهُوَ كَبِيرُهُمْ، ثُمَّ الْبَتَارِكَةَ، ثُمَّ الْمَطَارِنَةَ، ثُمَّ الْأَسَاقِفَةَ وَالْقَسَاقِسَةَ، ثُمَّ الشَّمَامِسَةَ. وَابْتَدَعُوا الرَّهْبَانِيَّةَ. وبنى لهم الملك الكنائس وَالْمَعَابِدَ، وَأَسَّسَ الْمَدِينَةَ الْمَنْسُوبَةَ إِلَيْهِ وَهِيَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ، يُقَالُ: إِنَّهُ بَنَى فِي أَيَّامِهِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ كَنِيسَةٍ، وَبَنَى بَيْتَ لَحْمٍ بِثَلَاثَةِ مَحَارِيبَ، وَبَنَتْ أُمُّهُ الْقُمَامَةَ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْمَلَكِيَّةُ، يَعْنُونَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى دِينِ الْمَلِكِ.

ثُمَّ حَدَثَتْ بَعْدَهُمُ الْيَعْقُوبِيَّةُ أَتْبَاعُ يَعْقُوبَ الْإِسْكَافِ، ثُمَّ النَّسْطُورِيَّةُ أَصْحَابُ نَسْطُورَا، وَهُمْ فِرَقٌ وَطَوَائِفُ كَثِيرَةٌ،

كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم-: ((إِنَّهُمُ افْتَرَقُوا عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً)).[1] وَالْغَرَضُ أَنَّهُمُ اسْتَمَرُّوا عَلَى

(1) انظر: سنن (أبي داود) برقم (4596)
و(ابن ماجه) في (السنن) برقم (3992)،
وقال: (البوصيري) في (الزوائد): "إسناد عوف بن مالك فيه مقال، وراشد بن سعد قال فيه (أبو حاتم): صدوق. وعباد بن يوسف لم يخرج له أحد سوى (ابن ماجه)، وليس له عندي سوى هذا الحديث قال (ابن عدي): روى أحاديث تفرد بها. وذكره (ابن حبان) في الثقات وباقي رجال الإسناد ثقات"

النَّصْـرَانِيَّة، كُلَّمَـا هَلَـكَ قَيْصَـرُ خَلَفَـهُ آخَـرُ بَعْـدَهُ، حَتَّـى كَـانَ آخـرُهُمْ هِرَقْـلُ. وَكَـانَ مِـنْ عُقَـلاءِ الرِّجَـالِ، وَمِـنْ أَحْـزَمِ الْمُلُـوكِ وَأَدْهَـاهُمْ، وَأَبْعَـدِهِمْ غَـوْرًا وَأَقْصَـاهُمْ رَأْيًـا، فَتَمَلَّـكَ عَلَـيْهِمْ فِـي رِيَاسَـةٍ عَظِيمَـةٍ وَأُبَّهَـةٍ كَبِيرَةٍ. فَنَـاوَأَهُ كِسْـرَى مَلِـكُ الْفُـرْسِ، وَمَلِـكُ الْـبِلَادِ كَـالْعِرَاقِ وَخُرَاسَـانَ وَالـرَّيِّ، وَجَمِيـعِ بِـلَادِ الْعَجَـمِ، وَهُـوَ سَـابُورُ ذُو الْأَكْتَـافِ. وَكَانَـتْ مَمْلَكَتُـهُ أَوْسَـعَ مِـنْ مَمْلَكَـةِ قَيْصَـرَ، وَلَـهُ رِيَاسَـةُ الْعَجَـمِ وَحَمَاقَـةُ الْفُـرْسِ، وَكَـانُوا مَجُوسًـا يَعْبُـدُونَ النَّـارَ. فَتَقَـدَّمَ عَـنْ (عِكْرِمَـةَ) أَنَّـهُ بَعَـثَ إِلَيْـهِ نُوَّابَـهُ وَجَيْشَـهُ فَقَـاتَلُوهُ، وَالْمَشْـهُورُ أَنَّ كِسْـرَى غَـزَاهُ بِنَفْسِـهِ فِـي بِـلَادِهِ فَقَهَـرَهُ وَكَسَـرَهُ وَقَصَـرَهُ، حَتَّـى لَـمْ يَبْـقَ مَعَـهُ سِـوَى مَدِينَـةِ قُسْـطَنْطِينِيَّةَ. فَحَاصَـرَهُ بِهَـا مُـدَّةً طَوِيلَـةً حَتَّـى ضَـاقَتْ عَلَيْـهِ، وَكَانَـتِ النَّصَـارَى تُعَظِّمُـهُ تَعْظِيمًـا زَائِـدًا، وَلَـمْ يَقْـدِرْ كِسْـرَى عَلَـى فَـتْحِ الْبَلَـدِ، وَلَا أَمْكَنَـهُ ذَلِـكَ لِحَصَـانَتِهَا" لِـأَنَّ نِصْـفَهَا مِـنْ نَاحِيَـةِ الْبَـرِّ وَنِصْـفَهَا الْـآخَرَ مِـنْ نَاحِيَـةِ الْبَحْـرِ، فَكَانَـتْ تَـأْتِيهِمُ الْمِـيرَةُ وَالْمَـدَدُ مِـنْ هُنَالِـكَ. فَلَمَّـا طَـالَ الْـأَمْرُ دَبَّـرَ قَيْصَـرُ مَكِيـدَةً، وَرَأَى فِـي نَفْسِـهِ خَدِيعَـةً، فَطَلَـبَ مِـنْ كِسْـرَى أَنْ يُقْلِـعَ عَـنْ بِـلَادِهِ عَلَـى مَـالٍ يُصَـالِحُهُ عَلَيْـهِ، وَيَشْـتَرِطُ عَلَيْـهِ مَـا شَـاءَ. فَأَجَابَـهُ إِلَـى ذَلِـكَ، وَطَلَـبَ مِنْـهُ أَمْوَالًـا عَظِيمَـةً لَا يَقْـدِرُ عَلَيْهَـا أَحَـدٌ مِـنْ مُلُـوكِ الـدُّنْيَا ، مِـنْ ذَهَـبٍ وَجَـوَاهِرَ وَأَقْمِشَـةٍ وَجَـوَارٍ وَخُـدَّامٍ وَأَصْـنَافٍ كَـثِيرَةٍ. فَطَاوَعَـهُ قَيْصَـرُ، وَأَوْهَمَـهُ أَنَّ عِنْـدَهُ جَمِيـعَ مَـا طَلَـبَ، وَاسْـتَقَلَّ عَقْلُـهُ لَمَّـا طَلَـبَ مِنْـهُ مَـا طَلَـبَ، وَلَـوِ اجْتَمَـعَ هُـوَ وَإِيَّـاهُ لَعَجَـزَتْ قُـدْرَتُهُمَا عَـنْ جَمْـعِ عُشْـرِهِ، وَسَـأَلَ كِسْـرَى أَنْ يُمَكِّنَـهُ مِـنَ الْخُـرُوجِ إِلَـى بِـلَادِ الشَّـامِ وَأَقَـالِيمِ مَمْلَكَتِـهِ، لِيَسْـعَى فِـي تَحْصِـيلِ ذَلِـكَ مِـنْ ذَخَـائِرِهِ وَحَوَاصِلِهِ وَدَفَائِنِـهِ، فَـأَطْلَقَ سَـرَاحَهُ، فَلَمَّـا عَـزَمَ قَيْصَـرُ عَلَـى الْخُـرُوجِ مِـنْ مَدِينَـةِ قُسْـطَنْطِينِيَّةَ، جَمَـعَ أَهْـلَ مِلَّتِـهِ وَقَـالَ: إِنِّـي خَـارِجٌ فِـي أَمْـرٍ قَـدْ أَبْرَمْتُـهُ، فِـي جُنْـدٍ قَـدْ عَيَّنْتُـهُ مِـنْ جَيْشِـي، فَـإِنْ رَجَعْـتُ إِلَـيْكُمْ قَبْـلَ الْحَـوْلِ فَأَنَـا مَلِكُكُـمْ، وَإِنْ لَـمْ أَرْجِـعْ إِلَـيْكُمْ قَبْلَهَـا فَـأَنْتُمْ بِالْخِيَـارِ، إِنْ شِـئْتُمُ اسْـتَمْرَرْتُمْ عَلَـى بَيْعَتِـي، وَإِنْ شِـئْتُمْ وَلَّيْـتُمْ عَلَـيْكُمْ غَيْـرِي. فَأَجَـابُوهُ بِأَنَّـكَ مَلِكُنَـا مَـا دُمْـتَ حَيًّـا، وَلَـوْ غِبْـتَ عَشَـرَةَ أَعْـوَامٍ. فَلَمَّـا خَـرَجَ مِـنَ الْقُسْـطَنْطِينِيَّةِ خَـرَجَ جَرِيـدَةً فِـي جَـيْشٍ مُتَوَسِّـطٍ، هَـذَا وَكِسْـرَى مُخَـيِّمٌ عَلَـى الْقُسْـطَنْطِينِيَّةِ يَنْتَظِـرُهُ لِيَرْجِـعَ، فَرَكِـبَ قَيْصَـرُ مِـنْ فَـوْرِهِ وَسَـارَ مُسْـرِعًا حَتَّـى انْتَهَـى إِلَـى بِـلَادِ فَـارِسَ، فَعَـاثَ فِـي بِلَادِهِـمْ قَتْلًـا لِرِجَالِهَـا وَمَـنْ بِهَـا مِـنَ الْمُقَاتِلَـةِ، أَوَّلًـا فَأَوَّلًـا وَلَـمْ يَـزَلْ يَقْتُـلُ حَتَّـى انْتَهَـى إِلَـى الْمَـدَائِنِ، وَهِـيَ كُرْسِـيُّ مَمْلَكَـةِ كِسْـرَى، فَقَتَـلَ مَـنْ بِهَـا، وَأَخَـذَ جَمِيـعَ حَوَاصِلِهِ وَأَمْوَالِـهِ، وَأَسَـرَ نِسَـاءَهُ وَحَرِيمَـهُ، وَحَلَـقَ رَأْسَ وَلَـدِهِ، وَرَكَّبَـهُ عَلَـى حِمَـارٍ وَبَعَـثَ مَعَـهُ مِـنَ الْأَسَـاوِرَةِ مِـنْ قَوْمِـهِ فِـي غَايَـةِ الْهَـوَانِ وَالذِّلَّـةِ، وَكَتَـبَ إِلَـى كِسْـرَى يَقُـولُ: هَـذَا مَـا طَلَبْـتَ فَخُـذْهُ. فَلَمَّـا بَلَـغَ ذَلِـكَ كِسْـرَى أَخَـذَهُ مِـنَ الْغَـمِّ مَـا لَا يُحْصِيهِ إِلَّا اللَّـهُ عَـزَّ وَجَـلَّ، وَاشْـتَدَّ حَنَقُـهُ عَلَـى الْبَلَـدِ، فَاشْـتَدَّ فِـي حِصَـارِهَا بِكُـلِّ مُمْكِـنٍ فَلَـمْ يَقْـدِرْ عَلَـى ذَلِـكَ. فَلَمَّـا عَجَـزَ رَكِـبَ لِيَأْخُـذَ عَلَيْـهِ الطَّرِيـقَ مِـنْ مَخَاضَـةِ جَيْحُـونَ، الَّتِـي لَا سَـبِيلَ لِقَيْصَـرَ إِلَـى الْقُسْـطَنْطِينِيَّةِ إِلَّا مِنْهَـا، فَلَمَّـا عَلِـمَ قَيْصَـرُ بِـذَلِكَ احْتَـالَ بِحِيلَـةٍ عَظِيمَـةٍ لَـمْ يُسْـبَقْ إِلَيْهَـا، وَهُـوَ أَنَّـهُ أَرْصَـدَ جُنْـدَهُ وَحَوَاصِلَهُ الَّتِـي مَعَـهُ عِنْـدَ فَـمِ الْمَخَاضَـةِ، وَرَكِـبَ فِـي بَعْـضِ

الْجَيْشِ، وَأَمَرَ بِأَحْمَالٍ مِنَ التِّبْنِ وَالْبَعْرِ وَالرَّوْثِ فَحُمِلَتْ مَعَهُ، وَسَارَ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ يَوْمٍ فِي الْمَاءِ مُصْعِدًا، ثُمَّ أَمَرَ بِإِلْقَاءِ تِلْكَ الْأَحْمَالِ فِي النَّهْرِ، فَلَمَّا مَرَّتْ بِكِسْرَى ظَنَّ هُوَ وَجُنْدُهُ أَنَّهُمْ قَدْ خَاضُوا مِنْ هُنَالِكَ، فَرَكِبُوا فِي طَلَبِهِمْ فَشَغَرَتِ الْمَخَاضَةُ عَنِ الْفُرْسِ، وَقَدِمَ قَيْصَرُ فَأَمَرَهُمْ بِالنُّهُوضِ فِي الْخَوْضِ، فَخَاضُوا وَأَسْرَعُوا السَّيْرَ فَفَاتُوا كِسْرَى وَجُنُودَهُ، وَدَخَلُوا الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ. وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمًا مَشْهُودًا عِنْدَ النَّصَارَى، وَبَقِيَ كِسْرَى وَجُيُوشُهُ حَائِرِينَ لَا يَدْرُونَ مَاذَا يَصْنَعُونَ. لَمْ يَحْصُلُوا عَلَى بِلَادِ قَيْصَرَ، وبلادُهم قَدْ خرّبتها الرُّومُ وَأَخَذُوا حواصلَهُمْ، وَسَبَوْا ذَرَارِيهِمْ وَنِسَاءَهُمْ. فَكَانَ هَذَا مِنْ غَلَبِ الرُّومِ فَارِسَ، وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ تِسْعِ سِنِينَ مِنْ غَلَبِ الْفُرْسِ للرُّوم.

وَكَانَتِ الْوَاقِعَةُ الْكَائِنَةُ بَيْنَ فَارِسَ وَالرُّومِ حِينَ غُلِبَتِ الرُّومُ بَيْنَ أَذْرِعَاتَ وبُصرى، عَلَى مَا ذَكَرَهُ {ابْنُ عَبَّاسٍ} وَ{عِكْرِمَةُ} وَغَيْرُهُمَا، وَهِيَ طَرَفُ بِلَادِ الشَّامِ مِمَّا يَلِي بِلَادَ الْحِجَازِ.

* * *

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ): كَانَ ذَلِكَ فِي الْجَزِيرَةِ، وَهِيَ أَقْرَبُ بِلَادِ الرُّومِ مِنْ فَارِسَ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ.(1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن سعيد -أو، سعيد الثعلبي، الذي يقال له أبو سعد من أهل طَرَسُوس- قال: ثنا أبو إسحاق الفزاري، عن سفيان بن سعيد الثوري، عن حبيب بن أبي عمرة، عن (سعيد بن جُبير)، عن (ابن عباس)، قال: كان المسلمون يُحبون أن تغلب الرومُ أهل الكتاب، وكان المشركون يحبون أن يغلب أهل فارس" لأنهم أهل أوثان، قال: فذكروا ذلك لأبي بكر، فذكره أبو بكر للنبيّ -صلى الله عليه وسلم- فقال: "أَمَا إِنَّهُمْ سَيُهْزَمُونَ"، قال: فذكر ذلك أبو بكر للمشركين، قال: فقالوا: أفنجعل بيننا وبينكم أجلا فإن غلبوا كان لك كذا وكذا، وإن غلبنا كان لنا كذا وكذا، وقال: فجعلوا بينهم وبينه أجلا خمس سنين، قال: فمضت فلم يُغلَبوا، قال: فذكر ذلك أبو بكر للنبيّ -صلى الله عليه وسلم-، فقال له: "أَفَلا جَعَلْتَهُ دُونَ الْعَشْرِ"،

قال سعيد: والبضْع ما دون العشر، قال: فَغَلَبَ الروم، ثم غلبت، قال: فذلك قوله: {الم * غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ} قال: البضع: ما دون العشر،

{لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ} قال سفيان: فبلغني أنهم غلبوا يوم بدر.(2)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثني زكريا بن يحيى بن أبان المصري، قال: ثنا موسى بن هارون البرديّ، قال: ثنا معن بن عيسى، قال: ثنا عبد الله بن عبد الرحمن، عن ابن شهاب، عن (عبيد

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (2).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (2)، للإِمَامْ (الطبري).

الله)، عـن (ابـن عبـاس)، قـال: لما نزلت (الم *غُلِبَتِ الـرُّومُ* فِـي أَدْنَـى الأَرْضِ ...) الآيـة، ناحب أبـو بكر قريشا، ثـم أتـى النبيّ -صلى الله عليه وسلم-، فقال لـه: إني قد ناحبتهم، فقال له النبيّ -صلى الله عليه وسلم-: "هَلا احْتَطْتَ، فَإِنَّ البِضْعَ ما بَيْنَ الثَّلاثِ إلى التِّسْعِ". قال الجمحي: المناحبة: المراهنة، وذلك قبل أن يكون تحريم ذلك. (1)

* * *

قال: الإِمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن (ابن عباس) قوله: {الم * غُلِبَتِ الرُّومُ ...} إلى قوله: {وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ} قال: قد مضى، كان ذلك في أهل فارس والروم، وكانت فارس قد غلبتهم، ثم غلبت الروم بعد ذلك، ولقي نبيّ الله -صلى الله عليه وسلم- مشركي العرب، يوم التقت الروم وفارس، فنصر الله النبيّ- صلى الله عليه وسلم -ومن معه من المسلمين على مشركي العرب، ونصر أهل الكتاب على مشركي العجم، ففرح المؤمنون بنصر الله إياهم، ونصر أهل الكتاب على العجم.

قال: (عطية): فسألت (أبا سعيد الخدريّ) عن ذلك، فقال: التقينا مع محمد رسول - صلى الله عليه وسلم- ومشركي العرب، والتقت الروم وفارس، فنصرنا الله على مشركي العرب، ونصر الله أهل الكتاب على المجوس، ففرحنا بنصر الله إيانا على المشركين، وفرحنا بنصر الله أهل الكتاب على المجوس، فذلك قوله: (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ). (2)

* * *

قال: الإِمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن (علي)، عن (ابن عباس) في قوله: {الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ} غلبتهم فارس، ثم غلبت الروم. (3)

* * *

قال: الإِمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مسلم، عن (مسروق)، قال: قال عبد الله خمس قد مضين: الدخان، واللزام، والبطشة، والقمر، والروم. (4)

* * *

قال: الإِمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن (عامر)، عن (ابن مسعود)، قال: قد مضى {الم * غُلِبَتِ الرُّومُ}. (5)

* * *

قال: الإِمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا

---

(1) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (2).
(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (2).
(3) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (2).
(4) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (2).
(5) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (2).

أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن (ابن أبي نجيح) عن (مجاهد): {الم * غُلِبَتِ الرُّومُ ...} إلى قوله: {أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ} قال: ذَكَر غَلَبَة فارس إياهم، وإدالة الروم على فارس، وفرحَ المؤمنون بنصر الروم أهل الكتاب على فارس من أهل الأوثان.(1)

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي بكر بن عبد الله، عن (عكرمة)، أن الروم وفارس اقتتلوا في أدنى الأرض، قالوا: وأدنى الأرض يومئذ أَذْرعات، بها التقوا، فهُزمت الروم، فبلغ ذلك النبيّ -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه وهم بمكة، فشقّ ذلك عليهم، وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم يكره أن يظهر الأميُّون من المجوس على أهل الكتاب من الروم، ففرح الكفار بمكة وشمتوا، فلقوا أصحاب النبيّ -صلى الله عليه وسلم-، فقالوا: إنكم أهل الكتاب، والنصارى أهل كتاب، ونحن أمِّيُّون، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الكتاب، وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرنّ عليكم، فأنزل الله {الم * غُلِبَتِ الرُّومُ* فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ* فِي بِضْعِ سِنِينَ* لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ ...} الآيات، فخرج أبو بكر الصدّيق إلى الكفَّار، فقال: أفرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا؟ فلا تفرحوا، ولا يقرّنّ الله أعينكم، فوالله ليظهرنّ الروم على فارس، أخبرنا بذلك نبينا- صلى الله عليه وسلم-، فقام إليه أُبيّ بن خلف، فقال: كذبت يا أبا فضيل، فقال له أبو بكر رضي الله عنه: أنت أكذب يا عدوّ الله، فقال: أناحبك عشر قلائص مني، وعشر قلائص منك، فإن ظهرت الروم على فارس غرمتُ، وإن ظهرت فارس على الروم غرمتَ إلى ثلاث سنين، ثم جاء أبو بكر إلى النبيّ -صلى الله عليه وسلم- فأخبره، فقال: ((مَا هَكَذَا ذَكَرْتَ، إنَّما البِضْعُ ما بينَ الثَّلاث إلى التِّسْعِ، فَزَايِدْهُ فِي الخَطَرِ، ومادّه فِي الأجَلِ)). فخرج أبو بكر فلقي أُبيًّا، فقال: لعلك ندمت، فقال: لا فقال: أزايدك في الخطر، وأمادّك في الأجل، فاجعلها مئة قلوص لمئة قلوص إلى تسع سنين، قال: قد فعلت.(2)

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال ثني حجاج، عن أبي بكر، عن (عكرمة) قال: كانت في فارس امرأة لا تلد إلا الملوك الأبطال، فدعاها كسرى، فقال: إني أريد أن أبعث إلى الروم جيشا وأستعمل عليهم رجلا من بنيك، فأشيري عليّ أيهم أستعمل، فقالت: هذا فلان، وهو أروغ من ثعلب، وأحذر من صرد، وهذا فرخان، وهو أنفذ من سنان، وهذا شهربراز، وهو أحلم من كذا، فاستعمل أيهم شئت، قال: إني قد

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (2).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (2)، للإمَامْ (الطبري).

استعملت الحليم، فاستعمل شهربراز، فسار إلى الروم بأهل فارس، وظهر عليهم، فقتلهم، وخرّب مدائنهم، وقطع زيتونهم.

قال أبو بكر: فحدّثت بهذا الحديث عطاء الخراساني فقال: أما رأيت بلاد الشام؟ قلت: لا قال: أما إنك لو رأيتها لرأيت المدائن التي خرّبت، والزيتون الذي قُطع، فأتيت الشام بعد ذلك فرأيته.(1)

* * *

قال: الإِمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- قال: (عطاء الخراساني): ثني يحيى بن يعمر، أن قيصر بعث رجلا يُدعى قطمة بجيش من الروم، وبعث كسرى شهربراز، فالتقيا بأذرعات وبصرى، وهي أدنى الشام إليكم، فلقيت فارس الروم، فغلبتهم فارس، ففرح بذلك كفار قريش، وكرهه المسلمون، فأنزل الله (الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ ...) الآيات، ثم ذكر مثل حديث عكرمة، وزاد: فلم يزل شهربراز يطؤهم، ويخرب مدائنهم حتى بلغ الخليج، ثم مات كسرى، فبلغهم موته، فانهزم شهربراز وأصحابه، وأوعبت عليهم الروم عند ذلك، فأتبعوهم يقتلونهم قال: وقال (عكرمة) في حديثه: لما ظهرت فارس على الروم جلس فرخان يشرب، فقال لأصحابه: لقد رأيت كأني جالس على سرير كسرى، فبلغت كسرى، فكتب إلى شهربُراز: إذا أتاك كتابي فابعث إليّ برأس فرخان. فكتب إليه: أيها الملك، إنك لن تجد مثل فرخان، إن له نكاية وضربا في العدوّ، فلا تفعل. فكتب إليه: إن في رجال فارس خلفا منه، فعجِّل إليّ برأسه، فراجعه، فغضب كسرى، فلم يجبه، وبعث بريدا إلى أهل فارس، إني قد نزعت عنكم شهربراز، واستعملت عليكم فرخان، ثم دفع إلى البريد صحيفة صغيرة: إذا ولي فرخان المُلك، وانقاد له أخوه، فأعطه هذه" فلما قرأ شهربراز الكتاب قال: سمعا وطاعة، ونزل عن سريره وجلس فرخان، ودفع الصحيفة إليه، قال: ائتوني بشهربراز، فقدّمه ليضرب عنقه، قال: لا تعجل حتى أكتب وصيتي، قال: نعم، فدعا بالسَّفط، فأعطاه ثلاث صحائف، وقال: كل هذا راجعت فيك كسرى، وأنت أردت أن تقتلني بكتاب واحد، فردَّ المُلك، وكتب شهربراز إلى قيصر ملك الروم: إن لي إليك حاجة لا يحملها البريد، ولا تبلغها الصحف، فالقني، ولا تلقني إلا في خمسين روميا، فإني ألقاك في خمسين فارسيا، فأقبل قيصر في خمس مئة ألف رومي، وجعل يضع العيون بين يديه في الطريق، وخاف أن يكون قد مكر به، حتى أتته عيونه أن ليس معه إلا خمسون رجلا ثم بسط لهما والتقيا في قبة ديباج ضربت لهما، مع كل واحد منهما سكين، فدعيا ترجمانا بينهما، فقال شهربراز: إن الذين خرّبوا مدائنك أنا وأخي بكيدنا وشجاعتنا، وإن كسرى حسدنا، فأراد أن أقتل أخي، فأبيت، ثم أمر أخي أن يقتلني، فقد خلعناه جميعا، فنحن نقاتله معك. فقال: قد أصبتما، ثم أشار أحدهما إلى صاحبه أن السرّ بين اثنين، فإذا جاوز اثنين فشا. قال: أجل، فقتلا الترجمان

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورةُ (الرُّوم) الآية (2)، للإِمَامْ (الطبري).

جميعا بسكينهما ، فأهلك الله كسرى، وجاء الخبر إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يوم الحُدَيبية، ففرح ومن معه.(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا (سعيد)، عن (قتادة): (الم غُلِبَتِ الرُّومُ) قال: غلبتهم فارس على أدنى الشام (وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ...) الآية، قال: لما أنزل الله هؤلاء الآيات صدّق المسلمون ربهم، وعلموا أن الروم سيظهرون على فارس، فاقتمروا هم والمشركون خمس قلائص خمس قلائص، وأجلوا بينهم خمس سنين، فولي قمار المسلمين (أبو بكر)- رضي الله عنه، وولي قمار المشركين أُبيّ بن خلف، وذلك قبل أن ينهى عن القمار، فحل الأجل، ولم يظهر الروم على فارس، وسأل المشركون قمارهم، فذكر ذلك أصحاب النبيّ للنبي- صلى الله عليه وسلم- قال: "لَمْ تَكُونُوا أَحِقَّاءَ أَنْ تُؤَجِّلُوا دُونَ العَشْرِ، فَإِنَّ البِضْعَ مَا بَيْنَ الثَّلاثِ إلى العَشْرِ، وَزَايِدُوهُمْ فِي القِمَارِ، وَمَادُّوهُمْ فِي الأَجَلِ". ففعلوا ذلك، فأظهر الله الروم على فارس عند رأس البِضْع سنينَ من قمارهم الأوّل، وكان ذلك مرجعه من الحديبية، ففرح المسلمون بصلحهم الذي كان، وبظهور أهل الكتاب على المجوس، وكان ذلك مما شدّد الله به الإسلام وهو قوله: (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ ...) الآية.(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن داود بن أبي هند، عن (الشعبيّ) في قوله: (الم غُلِبَتِ الرُّومُ ...) إلى قوله: (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ) قال: كان النبيّ- صلى الله عليه وسلم- أخبر الناس بمكة أن الروم ستغلب، قال: فنزل القرآن بذلك، قال: وكان المسلمون يحبون ظهور الروم على فارس" لأنهم أهل الكتاب.(3)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا المحاربي، عن داود بن أبي هند، عن (عامر)، عن (عبد الله) قال: كانت فارس ظاهرة على الروم، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس" لأنهم أهل كتاب، وهم أقرب إلى دينهم، فلما نزلت (الم غُلِبَتِ الرُّومُ) إلى (فِي بِضْعِ سِنِينَ) قالوا: يا أبا بكر، إن صاحبك يقول: إن الروم تظهر على فارس في بضع سنين، قال: صدق. قالوا: هل لك أن نقامرك؟ فبايعوه على أربع قلائص إلى سبع سنين، فمضت السبع ولم يكن شيء، ففرح المشركون بذلك، وشقّ على المسلمين، فذكروا ذلك للنبيّ- صلى الله عليه وسلم: فقال: "مَا بِضْعُ سِنِينَ

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (2)، لِلإِمَامْ (الطبري).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (2)، لِلإِمَامْ (الطبري).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (2).

عِنْدَكُمْ؟ " قالوا: دون العشر. قال: "اذْهَبْ، فَزَايِدْهُمْ وازْدَدْ سَنَتَيْنِ" قال: فما مضت السنتان حتى جاءت الركبان بظهور الروم على فارس، ففرح المسلمون بذلك، فأنزل الله: (الم غُلِبَتِ الرُّومُ ...) إلى قوله: (وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ) .(1)

* * *

قال: الإِمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن الأعمش ومطر، عن أبي الضحى، عن (مسروق)، عن (عبد الله) قال: مضت الروم.(2)

* * *

قال: الإِمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثني يونس، قال: أخبرنا (ابن وهب)، قال: قال (ابن زيد) في قوله: (الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ) قال: أدنى الأرض: الشأم،

(وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ) قال: كانت فارس قد غلبت الروم، ثم أديل الروم على فارس، وذكر أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "إنَّ الرُّوم سَتَغْلِبُ فارِسًا"، فقال المشركون: هذا مما يتخرّص محمد، فقال أبو بكر: تناحبونني؟ -والمناحبة: المجاعلة- قالوا: نعم. فناحبهم أبو بكر، فجعل السنين أربعا أو خمسا، ثم جاء إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، فقال: رسول -صلى الله عليه وسلم-: "إنَّ البِضْعَ فِيمَا بَيْنَ الثَّلاثِ إلَى التِّسْعِ، فارْجِعْ إلى القَوْمِ، فَزِدْ فِي المُناحَبَةِ"، فرجع إليهم. قالوا: فناحبهم فزاد. قال: فغَلبت الروم فارسا، فذلك قول الله: (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ) يوم أديلت الروم على فارس.(3)

* * *

قال: الإِمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا معاوية بن عمرو، عن أبي إسحاق الفزاري، عن سفيان، عن حبيب بن أبي عمرة، عن (سعيد بن جُبَير)، عن (ابن عباس): (الم غُلِبَتِ الرُّومُ) قال: غُلبت وغَلبت" فأما الذين قرءوا ذلك: (غَلَبَتِ الرُّومُ) بفتح الغين، فإنهم قالوا: نزلت هذه الآية خبرا من الله نبيه -صلى الله عليه وسلم- عن غلبة الروم.(4)

* * *

قال: الإِمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا نصر بن عليّ، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن سليمان - يعني الأعمش- عن عطية، عن (أبي سعيد)، قال: لما كان يوم ظهر الروم على فارس، فأعجب ذلك المؤمنين، فنزلت {الم * غُلِبَتِ الرُّومُ} على فارس.(5)

* * *

قال: الإِمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا يحيى بن حماد، قال: ثنا أبو عوانة، عن

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (2)، للإِمَامْ (الطبري)،

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (2)،

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (2)،

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (2)، للإِمَامْ (الطبري)،

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (2)،

سليمان، عن عطية، عن (أبي سعيد)، قال: لما كان يوم بدر، غلبت الروم على فارس، ففرح المسلمون بذلك، فأنزل الله (الم غُلِبَتِ الرُّومُ ...) إلى آخر الآية.(1)

* * *

[٣] ﴿ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

في أقرب أرض الشام إلى بلاد فارس، والروم من بعد غلبة فارس لهم سيغلبونهم.(2)

* * *

في أدنى أرض ‹الشام› إلى ‹فارس›، وسوف يَغْلِب الرومُ الفرسَ في مدة من الزمن.(3)

* * *

فى أقرب الأرض من العرب، وهى أطراف الشام، وهم بعد انهزامهم سيغلبون فارس.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{أَدْنَى الْأَرْضِ} ... أَقْرَبِ أَرْضِ الشَّامِ إِلَى فَارِسَ. (أي: أقرب أرض الروم إلى فارس وهي أرضٌ يقال لها الجزيرة "بين دجلة والفرات").

{في أدنى الأرض} ..... أي: أقرب أرض الروم إلى فارس وهي أرضٌ يقال لها الجزيرة "بين دجلة والفرات".

{وهم من بعد غلبهم سيغلبون} ..... أي: وهم أي الروم من بعد غلب فارس لهم سيغلبونها.

{مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ} ... من بعد كَوْنِهِمْ مَغْلُوبِينَ..

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {3} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فِي أَدْنَى الْأَرْضِ} ممَّا يَلِي فَارس فَاغْتَمّ بذلك الْمُؤْمِنُونَ وسر بذلك الْمُشْركُونَ وَقَالُوا نَحن نغلب على أهل الْإِيمَان كَمَا غلب أهل فَارس على الرّوم حَتَّى ذكر الله غلبهم. {وَهُم} يَعْنِي: أهل الرّوم {مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ} غَلَبَة فَارس عَلَيْهِم {سَيَغْلِبُونَ} على فَارس.(5)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {3} قوله تعالى: {فِي أَدْنَى الْأَرْضِ} من أرض الشام إلى أرض فارس {وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ} يقول: والروم من بعد غلبة فارس إياهم. {سَيَغْلِبُونَ} فارس.(6)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {3} قَوْلُهُ

---

(1) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (2).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/404). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/404)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/602)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (3) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(6) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (3)، للإِمَامُ (الطبري).

تَعَالَى: في {فِي أَدْنَى الْأَرْضِ} أي: (1) أرض الشام الأقرب إلى بلاد فارس وذلك في أرض الجزيرة الواقعة بين نهري دجلة والفرات.

وقوله: {وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ} أي وهم من بعد غلب فارس الروم ستغلب الروم فارسا. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن)- عن (علي بن أبي طلحة)- عن (ابن عباس): في قوله: {الم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3)} غلبتهم فارس، ثم غلَبت الروم. (3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن)- عن (علي بن أبي طلحة)- عن (ابن عباس): في قوله: {فِي أَدْنَى الْأَرْضِ} في طرف الشام. (4)

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا يحيى بن إبراهيم المسعودي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن جدّه، عن الأعمش، عن عطية، عن (أبي سعيد)، قال: لما كان يوم بدر، ظهرت الروم على فارس، فأعجب ذلك المؤمنين" لأنهم أهل كتاب، فأنزل الله {الم* غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ} قال: كانوا قد غلبوا قبل ذلك، ثم قرأ حتى بلغ {وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ}.

وقوله: {فِي أَدْنَى الْأَرْضِ} قد ذكرت قول بعضهم فيما تقدّم قبل، وأذكر قول من لم يذكر قوله. (5)

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن (عليّ)، عن (ابن عباس) قوله: (فِي أَدْنَى الأرْضِ) يقول: في طرف الشام. ومعنى قوله أدنى: أقرب، وهو أفعل من الدنوّ والقرب. وإنما معناه: في أدنى الأرض من فارس، فترك ذكر فارس استغناء بدلالة ما ظهر من قوله: {فِي أَدْنَى الأرْضِ} عليه منه.

وقوله: {وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ} يقول: والروم من بعد غلبة فارس إياهم سيغلبون فارس. (6)

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- وقوله: {مِن بَعْدِ غَلَبِهِمْ} مصدر من قول القائل: غلبته غلبة، فحذفت الهاء من الغلبة. يَعْنِي:- من بعد غلبهم، ولم يقل: من بعد غلبتهم للإضافة، كما حذفت من قوله:

---

(1) - اختلف في أدنى الأرض هل هذا الإدناء إلى أرض الروم أو إلى أرض الفرس كما في التفسير أو أدنى الأرض إلى أرض الروم أو إلى أرض العرب، وهذا الخلاف سببه الخلاف في تحديد موقع المعركة فإن كانت بالجزيرة فأدنى الأرض هو بالنسبة إلى أرض فارس وإن كانت الوقعة بالأردن فهي أقرب إلى أرض الروم وإن كانت الوقعة بأذرعات جنوب الشام فهي أقرب إلى ديار العرب الحجاز وما حوله والراجح الأول كما في التفسير.

(2) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (3) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (20/69).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (20/74).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (3)، للإمَامْ (الطبري).

(6) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (3).

{وَإِقَامِ الصَّلَاةِ} للإضافة. وإنما الكلام: وإقامة الصلاة.

وأما قوله: {سَيَغْلِبُونَ} فإن القرّاء أجمعين على فتح الياء فيها، والواجب على قراءة من قرأ: {الم * غَلَبَتِ الرُّومُ} بفتح الغين، أن يقرأ قوله: {سَيُغْلَبُونَ} بضم الياء، فيكون معناه: وهم من بعد غلبتهم فارس سيغلبهم المسلمون، حتى يصحّ معنى الكلام، وإلا لم يكن للكلام كبير معنى إن فتحت الياء، لأن الخبر عما قد كان يصير إلى الخبر عن أنه سيكون، وذلك إفساد أحد الخبرين بالآخر.(1)

وقوله: {فِي بِضْعِ سِنِينَ} قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل في معنى البضع فيما مضى، وأتينا على الصحيح من أقوالهم، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- وقد حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم بن بشير، قال: ثنا خلاد بن أسلم الصفار، عن عبد الله بن عيسى، عن عبد الرحمن بن الحارث، عن أبيه، عن (عبد الله بن عمرو)، قال: قلت له: ما البضع؟ قال: زعم أهل الكتاب أنه تسع أو سبع.

وأما قوله: {لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ} فإن القاسم حدثنا، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن (ابن جُرَيج) قوله: {لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ} دولة فارس على الروم، {وَمِنْ بَعْدُ} دولة الروم على فارس.

وأما قوله: {وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ} فقد ذكرنا الرواية في تأويله قبل، وبيَّنا معناه.(3)

* * *

[٤] ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

في زمن لا يقل عن ثلاث سنوات، ولا يزيد على عشر، لله الأمر كله قبل انتصار الروم وبعده، ويوم يغلب الروم فارس يفرح المؤمنون.(4)

* * *

لا تزيد على عشر سنوات ولا تنقص عن ثلاث. لله سبحانه وتعالى الأمر كله قبل انتصار الروم وبعده، ويوم ينتصر الروم على الفرس يفرح المؤمنون بنصر الله للروم على الفرس.(5)

* * *

قبل أن تمضى تسع سنوات - وكان المشركون قد فرحوا بانتصار فارس، وقالوا للمسلمين: سنغلبكم كما غلبت فارس الروم التى هى من أهل الكتاب - قد حقَّق الله وعده، فانتصر الروم على فارس فى الأجل الذى سمَّاه،

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (3).
(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (3).
(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (3).
(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (404/1).
(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (404/1).

فكان ذلك آية بينة على صدق محمد (في دعواه وصحة ما جاء به، لله الأمر والقضاء من قبل كل شئ ومن بعد كل شئ، ويوم ينتصر الروم على فارس يفرح المؤمنون. (1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{بِضْعِ سِنِينَ}... البِضْعُ: مُدَّةٌ لاَ تَزِيدُ عَلَى عَشْرِ سَنَوَاتٍ، وَلاَ تَنْقُصُ عَنْ ثَلاَثٍ.

{البِضْعُ، من الثلاث إلى التسع}.

{في بضع سنين}.... أي: في فترة ما بين الثلاث سنوات إلى تسع سنين.

{لله الأمر من قبل ومن بعد}..... أي: الأمر في ذلك أي: في غلب فارس أولا ثم في غلب الروم أخيراً لله وحده إذ ما شاءه كان وما لم يشأه لم يكن.

{ويومئذ يفرح المؤمنون}..... أي: ويوم تغلب الروم فارساً يفرح المؤمنون بنصر أهل الكتاب على المشركين عبدة النار، وبنصرهم هم على المشركين في بدر.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {4} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فِي بِضْعِ سِنِينَ} عند رأس سبع سنين وكان قد بايع بذلك أَبُو بكر الصّديق أبي بن خلف الجُمَحِي على عشرة من الْإِبِل.

{لله الْأَمر} النُّصْرَة والدولة لمُحَمد -صلى الله عَلَيْه وَسلم.

{من قبْلُ} من قبل غلبة فَارس على الرّوم.

{وَمن بَعْدُ} من بعد غَلَبَة فَارس على الرّوم ويُقَال من قبل غَلَبَة الرّوم وَمن بَعْدُ من بعد غَلَبَة الرّوم على فَارس ويُقَال للَّه الْأَمر الْعلم وَالْقُدْرَة والمشيئة من قَبْلُ من قبل إبداء الْخلق وَمن بَعْدُ من بعد فناء الْخلق ويُقَال كَانَ الله آمراً من قبل المأمورين وَمن بعد المأمورين وَكَذَلِكَ كَانَ خَالِقًا من قبل المخلوقين ورازقاً من قبل المرزوقين وخالقاً ورازقاً بعد المخلوقين والمرزوقين وَكَذَلِكَ كَانَ مَالِكًا من قبل المملوكين ومالكاً من بعد المملوكين كَقَوْلِه تَعَالَى {مَالك يَوْم الدّين} قبل يَوْم الدّين.

{وَيَوْمَئِذٍ} يَوْم غَلَبَة الرّوم على فَارس ونصرة النَّبِي- صلى الله عَلَيْه وَسلم -على أهل (مَكَّة) وَكَانَ ذَلِك يَوْم بدر ويُقَال يَوْم الْحُدَيْبِيَة {يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ}. (2)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {4} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فِي بِضْعِ سِنِينَ} وَالْبِضْعُ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِ إِلَى السبع، يَعْنِي:- مَا بَيْنَ الثَّلَاثِ إِلَى التِّسْعِ:

يَعْنِي:- مَا دُونَ الْعَشَرَةِ.

وَقَرَأَ (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ)، وَ(أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ)، وَ(الْحَسَنُ)، وَ(عِيسَى بْنُ عُمَرَ): غَلَبَتِ بِفَتْحِ الْغَيْنِ وَاللَّامِ، (سَيُغْلَبُونَ) بِضَمِّ الْيَاءِ وَبِفَتْحِ اللَّامِ، وَقَالُوا: نَزَلَتْ حِينَ أَخْبَرَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ غلبة الروم فارس، وَمَعْنَى الْآيَةِ: الم غَلَبَتِ الرُّومُ

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (603/1).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (4) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

فارس فِي أَدْنَى الْأَرْضِ إِلَيْكُمْ وَهُمْ مِنْ بعد غلبهم سيغلبهم الْمُسْلِمُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ، وَعِنْدَ انْقِضَاءِ هَذِهِ الْمُدَّةِ أَخَذَ الْمُسْلِمُونَ فِي جِهَادِ الرُّومِ. وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ وَهُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ.

﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ من بعد دَوْلَةِ الرُّومِ عَلَى فَارِسَ وَمِنْ بَعْدِهَا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ كَانَ لَهُمُ الْغَلَبَةُ فَهُوَ بِأَمْرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ وقدره. "؟ ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾. (1)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- ﴿سُورَةُ الرُّومِ﴾ الآية ﴿4﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ أي في فترة زمانية ما بين الثلاث سنوات إلى تسع سنوات.

وقوله: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ (2) أي الأمر في ذلك لله تعالى من قبل الغلب ومن بعده إذ هو المتصرف في خلقه.

وقوله: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ أي: (3) يوم يغلب الروم فارساً يفرح المؤمنون بانتصار الروم على فارس لأن الروم أهل كتاب وفارساً مشركون يعبدون النار، كما يفرح المؤمنون أيضاً بانتصارهم على المشركين في بدر إذ كان الوقت الذي انتصرت فيه الروم هو وقت انتصر فيه المؤمنون على المشركين في بدر. وهذا من الغيب الذي أخبر به القرآن قبل وقوعه فكان كما أخبر فأكد بذلك أن الإسلام وكتابه ورسوله حق. (4)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- ﴿سُورَةُ الرُّومِ﴾ الآية ﴿4﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ أَيْ: مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ وَمِنْ بَعْدِهِ، فَبُنِيَ عَلَى الضَّمِّ لَمَّا قُطِعَ الْمُضَافُ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿قَبْلُ﴾ عَنِ الْإِضَافَةِ، وَنُوِيَتْ.

﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ* بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ أَيْ: لِلرُّومِ أَصْحَابِ قَيْصَرَ مَلِكِ الشَّامِ، عَلَى فَارِسَ أَصْحَابِ كِسْرَى، وَهُمُ الْمَجُوسُ. وَقَدْ كَانَتْ نُصْرَةُ الرُّومِ عَلَى فَارِسَ يَوْمَ وَقْعَةِ بَدْرٍ فِي قَوْلِ طَائِفَةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ، كَـ (ابْنِ عَبَّاسٍ)، وَ(الثَّوْرِيِّ)، وَ(السُّدِّيِّ)، وَغَيْرِهِمْ.

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ (التِّرْمِذِيُّ)، وَ(ابْنُ جَرِيرٍ)، وَ(ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ)، وَ(الْبَزَّارُ)، مِنْ حَدِيثِ (الْأَعْمَشِ)، عَنْ (عَطِيَّةَ) عَنْ (أَبِي سَعِيدٍ) قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ، ظَهَرَتِ الرُّومُ عَلَى فَارِسَ، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ الْمُؤْمِنِينَ وَفَرِحُوا بِهِ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾. (5)

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ كَانَ نُصْرَةُ الرُّومِ عَلَى فَارِسَ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ" قَالَهُ (عِكْرِمَةُ)،

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (4).

(2) – قبل، وبعد: مبنيان على الضم لحذف المضاف إليه ونية معناه أي: من قبل الغلب وبعده.

(3) – قال: (ابن عباس)– رضي الله عنهما في قوله الله عز وجل: (الم* غلبت الروم في أدنى الأرض) قال: كان المشركون يحبون أن يظهر أهل فارس على الروم لأنهم وإياهم أهل أوثان، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب، وذكر أن أبا بكر راهن قريشاً في كلام طويل،
وقال: (الترمذي) فيه حديث (حسن صحيح غريب) نقله القرطبي.

(4) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (4) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(5) انظر: سنن الترمذي برقم (3192) وتفسير الطبري (16/21).
انظر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (2).

و(الزُّهْرِيُّ)، و(قَتَادَةُ)، وغَيْرُهُمْ. ووجَّهَ بَعْضُهُمْ هَذَا الْقَوْلَ بِأَنَّ قَيْصَرَ كَانَ قَدْ نَذَرَ لَئِنْ أَظْفَرَهُ اللَّهُ بِكِسْرَى لَيَمْشِيَنَّ مِنْ حِمْصَ إِلَى إِيلِيَا -وَهُوَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ- شُكْرًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَفَعَلَ، فَلَمَّا بَلَغَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ حَتَّى وَافَاهُ كِتَابُ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، الَّذِي بَعَثَهُ مَعَ دِحْيَةَ بْنِ خَلِيفَةَ، فَأَعْطَاهُ دِحْيَةُ لِعَظِيمِ بُصْرَى، فَدَفَعَهُ عَظِيمُ بُصْرَى إِلَى قَيْصَرَ. فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ سَأَلَ مَنْ بِالشَّامِ مِنْ عَرَبِ الْحِجَازِ، فأحضر لَهُ أَبُو سُفْيَانَ صَخْرُ بْنُ حَرْبٍ الْأُمَوِيُّ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ كَانُوا فِي غَزَّةَ، فَجِيءَ بِهِمْ إِلَيْهِ، فَجَلَسُوا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟،

فَقَالَ: (أَبُو سُفْيَانَ): أَنَا. فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ -وَأَجْلَسَهُمْ خَلْفَهُ-: إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ، فَإِنْ كَذَبَ فَكَذِّبُوهُ.

فَقَالَ: (أَبُو سُفْيَانَ): فَوَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ يَأْثُرُوا عَلَيَّ الْكَذِبَ لَكَذَبْتُ. فَسَأَلَهُ هِرَقْلُ عَنْ نَسَبِهِ وَصِفَتِهِ، فَكَانَ فِيمَا سَأَلَهُ أَنْ قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ صَانِعٌ فِيهَا -يَعْنِي بِذَلِكَ الْهُدْنَةَ الَّتِي كَانَتْ قَدْ وَقَعَتْ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَكُفَّارِ قُرَيْشٍ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ عَلَى وَضْعِ الْحَرْبِ بَيْنَهُمْ عَشْرَ سِنِينَ، فَاسْتَدَلُّوا بِهَذَا عَلَى أَنَّ نَصْرَ الرُّومِ عَلَى فَارِسَ كَانَ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ" لِأَنَّ قَيْصَرَ إِنَّمَا وَفَّى بِنَذْرِهِ بَعْدَ الْحُدَيْبِيَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَلِأَصْحَابِ الْقَوْلِ الْأَوَّلِ أَنْ يُجِيبُوا عَنْ هَذَا بِأَنَّ بِلَادَهُ كَانَتْ قَدْ خُرِّبَتْ وَتَشَعَّثَتْ، فَمَا تَمَكَّنَ مِنْ وَفَاءِ نَذْرِهِ حَتَّى أَصْلَحَ مَا يَنْبَغِي إِصْلَاحُهُ وَتَفَقَّدَ بِلَادَهُ، ثُمَّ بَعْدَ أَرْبَعِ سِنِينَ مِنْ نُصْرَتِهِ وفَّى بِنَذْرِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَالْأَمْرُ فِي هَذَا سَهْلٌ قَرِيبٌ، إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا انْتَصَرَتْ فَارِسُ عَلَى الرُّومِ سَاءَ ذَلِكَ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَمَّا انْتَصَرَتِ الرُّومُ عَلَى فَارِسَ فَرِحَ الْمُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ" لِأَنَّ الرُّومَ أَهْلُ كِتَابٍ فِي الْجُمْلَةِ، فَهُمْ أَقْرَبُ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْمَجُوسِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ. وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ} [المائدة: 82، 83]،

وَقَالَ تَعَالَى هَاهُنَا: {وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ}.

وَقَالَ: (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ): حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ، حَدَّثَنَا صَفْوَانُ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ، حَدَّثَنِي أُسَيْدٌ الْكِلَابِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ الْعَلَاءَ بْنَ الزُّبَيْرِ الْكِلَابِيَّ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: رَأَيْتُ غَلَبَةَ فَارِسَ الرُّومَ، ثُمَّ رَأَيْتُ غَلَبَةَ الرُّومِ فَارِسَ، ثُمَّ رَأَيْتُ غَلَبَةَ الْمُسْلِمِينَ فَارِسَ وَالرُّومَ، كُلُّ ذَلِكَ فِي خمس عشرة سنة.

وَقَوْلُهُ: {وَهُوَ الْعَزِيزُ} أَيْ: فِي انْتِصَارِهِ وَانْتِقَامِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ، {الرَّحِيمُ} بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ. (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {4} قوله تعالى: {فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ} غلبتهم فارس {وَمِنْ بَعْدُ} غلبتهم إياها، يقضي في خلقه ما يشاء، ويحكم ما يريد، ويظهر من شاء منهم على من أحبّ إظهاره عليه {وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ} يقول: ويوم يغلب الروم فارس يفرح المؤمنون بالله ورسوله بنصر الله إياهم على المشركين، ونُصْرة الروم على فارس. (2)

* * *

[٥] ﴿ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يفرحون بنصر الله للروم لأنهم أهل كتاب، ينصر الله من يشاء على من يشاء، وهو العزيز الذي لا يُغَالَب، الرحيم بعباده المؤمنين. (3)

* * *

والله سبحانه وتعالى ينصر من يشاء، ويخذل من يشاء، وهو العزيز الذي لا يغالَب، الرحيم بمن شاء من خلقه. وقد تحقق ذلك فغَلَبَت الرومُ الفرسَ بعد سبع سنين، وفرح المسلمون بذلك" لكون الروم أهل كتاب وإن حرَّفوه. (4)

* * *

بنصر الله الذى يؤيد من يشاء، وهو الغالب على أعدائه، الرحيم بأوليائه. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَهُوَ الْعَزِيزُ} ... وهو الغالب.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس)- قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {5} قَوْلُهُ تَعَالَى: {بِنَصْرِ اللهِ} مُحَمَّدًا - صلى الله عَلَيْهِ وَسلم - على أعدائه وبدولة الرّوم على فَارس.

{يَنصُرُ مَن يَشَاءُ} الله يعْني: مُحَمَّدًا -صلى الله عَلَيْهِ وَسلم .

{وَهُوَ الْعَزِيزُ} بالنقمة من (أبي جهل) وَأَصْحَابه يَوْم بدر.

{الرَّحِيمُ} بِالْمُؤْمنِينَ بِمُحَمَّد - صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَأَصْحَابه. (6)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (4).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (4)، للإِمَامْ (الطبري).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (404/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (404/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (603/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(6) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (5) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

الروم} الآية {5} قَوْلُهُ تَعَالَى: {بِنَصْرِ اللَّهِ} الرُّومَ عَلَى فَارِسَ،

قَالَ: (السُّدِّيُّ): فَرِحَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَالْمُؤْمِنُونَ، بِظُهُورِهِمْ عَلَى الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ وَظُهُورِ أَهْلِ الْكِتَابِ عَلَى أَهْلِ الشِّرْكِ،

{يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} بالمؤمنين.[1]

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {5} قَوْلُهُ تَعَالَى: {بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ} أي: يفرحون بانتصارهم على الفرس وإن كان الجميع كفارا ولكن بعض الشر أهون من بعض ويحزن يومئذ المشركون.

{وَهُوَ الْعَزِيزُ} الذي له العزة التي قهر بها الخلائق أجمعين يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء.

{الرَّحِيمُ} بعباده المؤمنين حيث قيض لهم من الأسباب التي تسعدهم وتنصرهم ما لا يدخل في الحساب.[2]

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {5} قَوْلُهُ تَعَالَى: {بِنَصْرِ اللَّهِ} أي: يوم يغلب الروم فارساً يفرح المؤمنون بانتصار الروم على فارس لأن الروم أهل كتاب وفارساً مشركون يعبدون النار، كما يفرح المؤمنون أيضاً بانتصارهم على المشركين في بدر إذ كان الوقت الذي انتصرت فيه الروم هو وقت انتصر فيه المؤمنون على المشركين في بدر. وهذا من الغيب الذي أخبر به القرآن قبل وقوعه فكان كما أخبر فأكد بذلك أن الإسلام وكتابه ورسوله حق.[3]

وقوله تعالى: {يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} أي: ينصر تعالى من يشاء نصره من عباده وقد شاء نصر المؤمنين والروم فنصرهم في وقت واحد منجزاً بذلك وعده الذي واعد به منذ بضع سنين[4]، وهو العزيز أي: الغالب على أمره القادر على إنجاز وعده الرحيم بأوليائه وصالحي عباده.[5]

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {5} قوله تعالى: {بِنَصْرِ اللَّهِ} يقول: ويوم يغلب الروم فارس يفرح المؤمنون بالله ورسوله بنصر الله

---

(1) انظُر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (5).

(2) انظُر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (5)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) - قال: (ابن عباس)- رضي الله عنهما في قوله الله عز وجل: (الم* غلبت الروم في أدنى الأرض) قال: كان المشركون يحبون أن يظهر أهل فارس على الروم لأنهم وإياهم أهل أوثان، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب، وذكر أن أبا بكر راهن قريشاً في كلام طويل،
وقال: (الترمذي) فيه حديث (حسن صحيح غريب) نقله القرطبي.

(4) - وقيل كان النصر يوم صلح الحديبية لأن صلح الحديبية كان في واقع الأمر نصراً للمؤمنين، وما في التفسير أصح لحديث الترمذي وقد حسنه وصححه وقال فيه غريب.

(5) انظُر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (5) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

إيــاهم علــى المشــركين، ونُصْــرة الــروم علــى فارس.

{يَنْصُـــرُ} اللهُ تعــالى ذكــره {مَــنْ يَشَــاءُ} مــن خلقــه، علــى مــن يشــاء، وهــو نُصــرة المــؤمنين على المشركين ببدر،

{وَهُـــوَ العَزِيـــزُ} يقـــول: والله الشـــديد في انتقامــه مــن أعدائــه، لا يمنعــه مــن ذلــك مــانع، ولا يحول بينه وبينه حائل،

{الــرَّحِيمُ} بمــن تــاب مــن خلقــه، وراجــع طاعتــه أن يعذّبه. (1)

* * *

قــال: الإمــام (البخــاري) – (رحمــه الله) - في (صــحيحه) – (بِســنده):- حــدثنا محمــد بــن كــثير، حــدثنا سـفيان، حـــدثنا منصـــور والأعمـــش، عـــن أبـــي الضـــحى عـــن مســـروق قـــال: بينمـــا رجـــل يُحـــدّث في كنـــدة فقـــال: يجـــيء دُخـــان يـــوم القيامـــة فيأخـــذ بأســـماع المنـــافقين وأبصـــارهم يأخـــذ المـــؤمن كهيئـــة الزكـــام، ففزعنـــا. فأتيـــتُ (ابـــن مســـعود) وكـــان متكئـــا، فغضـــب فجلـــس فقـــال: مـــن علـــم فليقـــل، ومـــن لم يعلـــم فليقـــل: الله أعلـــم، فـــإن مـــن العلـــم أن يقـــول لمـــا لا يعلـــم: لا أعلـــم، فـــإن الله قـــال لنبيـــه {قـــل مـــا أســـألكم عليـــه مـــن أجـــر ومـــا أنـــا مـــن المـــتكلفين}. وإن قريشـــا أبطـــأوا عـــن الإســـلام، فـــدعا علـــيهم الـــنبي - صَـلَّى الـلَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ - فقـــال: ((اللـــهم أعنّـــي علـــيهم بســـبع كســـبع يوســـف، فأخـــذتهم ســـنَةَ حتـــى هلكـــوا فيهـــا وأكلـــوا الميتـــة والعظـــام، ويـــرى الرجـــلُ مـــا بـــين الســـماء والأرض كهيئـــة الـــدخان، فجـــاءه أبـــو ســـفيان فقـــال: يـــا محمـــد، جئـــتَ تـأمرنــا بصــلة الــرحم، وإن قومــك قــد هلكــوا، فــادع الله. فقــرأ {فارتقــب يــوم تــأتى الســماء بــدخان مــبين} إلى قولــه: {عائــدون} أفيُكشــف عــنهم عــذاب الآخــرة إذا جــاء، ثــم عــادوا إلى كفــرهم فــذلك قولــه تعــالى: {يــوم نــبطش البطشـة الكـبرى} يـوم بـدر. و {لِزامـا} يـوم بـدر {الم *غلبــت الــروم} إلى {ســيغلبون} والــروم قد مضى. (2)

* * *

قــال: الإمــام (الترمــذي) – (رحمــه الله) - في (ســننه):- حــدثنا الحســين بــن حريــث، حــدثنا معاويــة بــن عَمْـرو عــن أبــي إســحاق الفــزاري عــن ســفيان الثــوري عــن حبيــب بــن أبــي عَمْــرة عــن (ســعيد بــن جــبير) عــن (ابــن عبــا) في قــول الله تعــالى: {الم (1) غلبْــت الــروم في أدنــى الأرض} قــال: غَلَبَـت وغُلِبَـت، كـان المشـركون يحبـون أن يظهـر أهــل فــارس علــى الــروم لأنهــم وإيــاهم أهــل أوثــان، وكــان المســلمون يحبــون أن يظهــر الــروم علــى فــارس لأنهــم أهــل كتــاب، فــذكروه لأبــي بكــر، فــذكره أبــو بكــر لرســول الله قــال: أمــا إنهــم ســيَغلبون، فــذكره أبــو بكــر لهــم، فقــالوا: اجعــلْ بيننــا وبينــك أجــلا، فــإن ظهرنــا كــان لنــا كــذا وكــذا، وإن ظهــرتم كــان لكــم كــذا وكــذا، فجعــل أجــل خمــس ســنين فلــم يظهــروا، فــذكر ذلــك للــنبي - صَـلَّى الـلَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ ، قــال: ألا جعلته إلى دون، قال: أُراه العَشر،

قـــال (أبـــو ســـعيد): والبضـــع مـــا دون العشـــر، قــال: ثــم ظهــرت الــروم بعــد. قــال: فــذلك قولــه تعــالى: {الم * غلبــت الــروم} إلى قولــه

---

(1) انظـر: (جـامع البيـان في تـأويـل القـرآن) في سُـورَةُ (الـرُّوم) الآيـة (5)، للإمَامْ (الطبري)،

(2) (صـحيح): أخرجـه الإمـام (البخـاري) في (صـحيحه) بـرقم (370/8)، (ح4774) – (كتاب: تفسير القرآن) – (سورة الروم).

وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (6) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (7) أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ (8) أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (9) ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ (10) اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (11) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ (12) وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ (13) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ (14) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ (15)

{يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء} قال سفيان: سمعت أنهم ظهروا عليهم يوم بدر. (1)

* * *

قال: الإمام (القُرطبي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّوم} الآية {5} قَوْلُهُ تَعَالَى: (يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ) يَعْنِي مِنْ أَوْلِيَائِهِ، لِأَنَّ نَصْرَهُ مُخْتَصٌّ بِغَلَبَةِ أَوْلِيَائِهِ لِأَعْدَائِهِ، فَأَمَّا غَلَبَةُ أَعْدَائِهِ لِأَوْلِيَائِهِ فَلَيْسَ بِنَصْرِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ ابْتِلَاءٌ وَقَدْ يُسَمَّى ظَفَرًا. (وَهُوَ الْعَزِيزُ) في نقمته (الرَّحِيمُ) لأهل طاعته. (2)

* * *

﴿ من فوائد الآيات ﴾
﴿ سُورَةُ الرُّوم: 1- 5 ﴾

• لجوء المشركين إلى الله في الشدة ونسيانهم لأصنامهم، وإشراكهم به في الرخاء" دليل على تخبطهم.

• الجهاد في سبيل الله سبب للتوفيق إلى الحق.

• إخبار القرآن بالغيبيات دليل على أنه من عند الله. (3)

* * *

[٦] ﴿ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

هذا النصر كان وعدًا من الله تعالى، وبتحققه يزداد المؤمنون يقينًا بوعد الله بالنصر، أما أكثر الناس فلا يفقهون هذا لكفرهم. (4)

---

(1) أخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (5/343-345)،(ح3193) –(كتاب: التفسير)، / باب: (سورة الروم)،

قال: (أبو عيسى): هذا حديث (حسن صحيح غريب)، وإنما نعرفه- من حديث- (سفيان الثوري عن حبيب ابن أبي عَمرة).

و(صححها) الإمام (الألباني) في (صحيح سنن الترمذي) برقم (ح2551)،

وأخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (1/276)،

وأخرجه الإمام (النسائي) في (التفسير) برقم (2/149)، (ح409)،

وأخرجه الإمام (الطبري) في (التفسير) في (21/16)،

وأخرجه الإمام (الطبراني) في (المعجم الكبير) برقم (12/29)، (ح12377)،

وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (2/410) كلهم - من طريق - (أبي إسحاق الفزاري) له،

و(صححه) الإمام (الحاكم) ووافقه الإمام (الذهبي).

و(صحح إسناده) الشيخ (أحمد شاكر) في حاشية (المسند) (ح2495).

(2) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (5)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/404). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/405). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

* * *

وعد الله المؤمنين وعداً جازماً لا يتخلف، بنصر الروم النصارى على الفرس الوثنيين، ولكن أكثر كفار ﴿مكة﴾ لا يعلمون أن ما وعد الله به حق، (1)

* * *

وعد الله المؤمنين وعداً صادقاً - لا يخلف الله وعده - ولكن الجاحدين ليس من شأنهم العلم بالأمور على وجهها. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وعد الله} .... أي: وعدهم الله تعالى وعدا وأ نجزه لهم.

{لا يخلف الله وعده} ..... أي: ليس من شأن الله خلف الوعد وذلك لكمال قدرته وعلمه.

{ولكن أكثر الناس لا يعلمون} ..... كمال الله في قدرته وعلمه المستلزم لإنجاز وعده.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَة الرُّوم} الآية {6} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وعد الله} بالنصرة والدولة لمُحَمد -صلى الله عَلَيْهِ وَسلم-. {لاَ يُخْلِفُ الله وَعْدَهُ} لنبيه بالنصرة والدولة {وَلَكِن أَكْثَرَ النَّاس} أهل مكَّة {لَا يَعْلَمُونَ} أن الله لا يخلف وعده لنَبيه. (3)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَة الرُّوم} الآية {6} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَعْدَ اللَّه} نُصِبَ عَلَى الْمَصْدَرِ أَيْ وَعَدَ اللَّهُ وَعْداً بِظُهُورِ الرُّومِ عَلَى فَارِسَ، {لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}. (4)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {6} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ} أَيْ: هَذَا الَّذِي أَخْبَرْنَاكَ بِهِ -يَا مُحَمَّدُ -مِنْ أَنَّا سَنَنْصُرُ الرُّومَ عَلَى فَارِسَ، وَعْدٌ مِنَ اللَّهِ حَقٌّ، وَخَبَرٌ صِدْقٌ لَا يُخْلَفُ، وَلَا بُدَّ مِنْ كَوْنِهِ وَوُقُوعِهِ" لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ جَرَتْ سُنَّتُهُ أَنْ يَنْصُرَ أَقْرَبَ الطَّائِفَتَيْنِ الْمُقْتَتِلَتَيْنِ إِلَى الْحَقِّ، وَيَجْعَلَ لَهَا الْعَاقِبَةَ،

{وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} أَيْ: بِحُكْمِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ وَأَفْعَالِهِ الْمُحْكَمَةِ الْجَارِيَةِ عَلَى وَفْقِ الْعَدْلِ. (5)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَة الرُّوم} الآية {6} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَعْدَ اللَّهِ لا

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (405/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (603/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَة (الرُّوم) الآية (6) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَة (الرُّوم) الآية (6).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَة (الرُّوم) الآية (6).

{يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ} فتيقنوا ذلك واجزموا به واعلموا أنه لا بد من وقوعه.

فلما نزلت هذه الآيات التي فيها هذا الوعد صدق بها المسلمون، وكفر بها المشركون حتى تراهن بعض المسلمين وبعض المشركين على مدة سنين عينوها، فلما جاء الأجل الذي ضربه الله انتصر الروم على الفرس وأجلوهم من بلادهم التي أخذوها منهم وتحقق وعد الله.

وهذا من الأمور الغيبية التي أخبر بها الله قبل وقوعها ووجدت في زمان من أخبرهم الله بها من المسلمين والمشركين.

{وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ} أن ما وعد الله به حق فلذلك يوجد فريق منهم يكذبون بوعد الله، ويكذبون آياته.

وهؤلاء الذين لا يعلمون أي: لا يعلمون بواطن الأشياء وعواقبها.(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {6} قوله تعالى: {وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ}.

يقول تعالى ذكره: وعد الله جلّ ثناؤه، وعد أن الروم ستغلب فارس من بعد غلبة فارس لهم، ونصب {وَعْدَ اللهِ} على المصدر من قوله: {وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ} لأن ذلك وعد من الله لهم أنهم سيغلبون، فكأنه قال: وعد الله ذلك المؤمنين وعدا، {لا يُخلف اللهُ وَعْدَهُ} يقول تعالى ذكره: إن الله يفي بوعده للمؤمنين أن الروم سيغلبون فارس، لا يخلفهم وعده ذلك" لأنه ليس في مواعيده خلف {ولكنّ أكْثَرَ النَّاسِ لا يعْلَمُونَ} يقول: ولكنّ أكثر قريش الذين يكذّبون بأن الله منجز وعده المؤمنين، من أن الروم تغلب فارس، لا يعلمون أن ذلك كذلك، وأنه لا يجوز أن يكون في وعد الله إخلاف.(2)

* * *

قال: الإمام (القُرطُبي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {6} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَعْدَ اللَّهِ لاَ يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ} لِأَنَّ كَلَامَهُ صدقٌ.

{وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ} وَهُمُ الْكُفَّارُ وَهُمْ أَكْثَرُ. يَعْنِي:- الْمُرَادُ مُشْرِكُو مَكَّةَ. وَانْتَصَبَ.

{وَعْدَ اللَّهِ} عَلَى الْمَصْدَرِ: أَيْ وَعَدَ ذَلِكَ وَعْدًا.(3)

* * *

قال: الشيخ (محمد الأمين الشنقيطي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: {وعد الله} مصدر مؤكد لنفسه لأن قوله قبله {وهم من بعد غلبهم سيغلبون} إلى قوله: {ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله} هو نفس الوعد كما لا يخفى، أي: وعد الله ذلك وعداً.(4)

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (6)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (6)، للإمَامْ (الطبري).

(3) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (6)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(4) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للإمام (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (الروم) الآية (6).

* * *

[٧] ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

لا يعلمون الإيمان وأحكام الشرع، وإنما يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا يتعلق بكسب المعاش وبناء الحضارة المادية، وهم عن الآخرة التي هي دار الحياة الحقيقية معرضون، لا يلتفتون إليها. (1)

* * *

وإنما يعلمون ظواهر الدنيا وزخرفها، وهم عن أمور الآخرة وما ينفعهم فيها غافلون، لا يفكرون فيها. (2)

* * *

يعلمون شئون ووسائل عمرانها والتمتع بزخارفها، وهم عن التزود للآخرة مسرفون فى الجهل والغفلة. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا} ..... أي: لا يعلمون حقائق الإيمان وأسرار الشرع وإنما يعلمون ما ظهر من الحياة الدنيا كطلب المعاش من تجارة وزراعة وصناعة.

{وهم عن الآخرة هم غافلون} .... أي: عن الحياة الآخرة، وما فيها من نعيم وجحيم وما يؤدي إلى ذلك من عقائد وأفعال وتروك.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {7} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَعْلَمُونَ} أهل مَكَّة {ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} من مُعَامَلَة الدُّنْيَا من الْكسْب وَالتِّجَارَة وَالشِّرَاء وَالْبيع والحساب من وَاحِد إِلَى ألف وَمَا يَحْتَاجُونَ فِي الشتَاء والصيف {وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ} عَن أَمر الْآخِرَة {هُمْ غَافِلُونَ} جاهلون بهَا تاركون لعملها. (4)

* * *

قال: الإمَامْ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {7} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} يَعْنِي: أَمْرَ مَعَاشِهِمْ كَيْفَ يَكْتَسِبُونَ وَيَتَّجِرُونَ وَمَتَى يَغْرِسُونَ وَيَزْرَعُونَ وَيَحْصُدُونَ وكيف يبنون ويعيشون.

{وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ} ساهون عنها جاهلون لَا يَتَفَكَّرُونَ فِيهَا وَلَا يَعْمَلُونَ لَهَا. (5)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {7} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} فينظرون إلى

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (405/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (405/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (603/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (7) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(5) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الرُّوم) الآية (7).

الأسباب ويجزمون بوقوع الأمر الذي في رأيهم انعقدت أسباب وجوده ويتيقنون عدم الأمر الذي لم يشاهدوا له من الأسباب المقتضية لوجوده شيئا، فهم واقفون مع الأسباب غير ناظرين إلى مسببها المتصرف فيها.

{وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ} قد توجهت قلوبهم وأهواؤهم وإراداتهم إلى الدنيا وشهواتها وحطامها فعملت لها وسعت وأقبلت بها وأدبرت وغفلت عن الآخرة، فلا الجنة تشتاق إليها ولا النار تخافها وتخشاها ولا المقام بين يدي الله ولقائه يروعها ويزعجها وهذا علامة الشقاء وعنوان الغفلة عن الآخرة.

ومن العجب أن هذا القسم من الناس قد بلغت بكثير منهم الفطنة والذكاء في ظاهر الدنيا إلى أمر يحير العقول ويدهش الألباب.

وأظهروا من العجائب الذرية والكهربائية والمراكب البرية والبحرية والهوائية ما فاقوا به وبرزوا وأعجبوا بعقولهم ورأوا غيرهم عاجزا عما أقدرهم الله عليه، فنظروا إليهم بعين الاحتقار والازدراء وهم مع ذلك أبلد الناس في أمر دينهم وأشدهم غفلة عن آخرتهم وأقلهم معرفة بالعواقب، قد رآهم أهل البصائر النافذة في جهلهم يتخبطون وفي ضلالهم يعمهون وفي باطلهم يترددون نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون.

ثم نظروا إلى ما أعطاهم الله وأقدرهم عليه من الأفكار الدقيقة في الدنيا وظاهرها و ما حرموا من العقل العالي فعرفوا أن الأمر لله والحكم له في عباده وإن هو إلا توفيقه وخذلانه فخافوا ربهم وسألوه أن يتم لهم ما وهبهم من نور العقول والإيمان حتى يصلوا إليه، ويحلوا بساحته، وهذه الأمور لو قارنها الإيمان وبنيت عليه لأثمرت الرُّقيَّ العالي والحياة الطيبة، ولكنها لما بني كثير منها على الإلحاد لم تثمر إلا هبوط الأخلاق وأسباب الفناء والتدمير.(1)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {7} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}(2) كتدبير الله وقدرته وعزته وفوائد شرعه وأسرار دينه. ولكن يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا كتدبير معايشهم من زراعة وصناعة وتجارة، وفي نفس الوقت هم عن الحياة الآخرة غافلون عما يجب عليهم فعله وتركه ليسعدوا فيها بالنجاة من النار وسكنان الجنان في جوار الرحمن سبحانه وتعالى.(3)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {7} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

---

(1) انظُر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (7)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) - قال الحسن بلغ - والله- من علم أحدهم بالدنيا أنه ينقد الدرهم فيخبرك بوزنه ولا يحسن أن يصلي وفي هذا قال بعضهم شعراً:

ومن البلية أن ترى لك صاحبا
في صورة الرجل السميع البصير
فطنٍ بكل مصيبة في ماله
وإذا يصاب بدينه لم يشعر

(3) انظُر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (7) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

وَهُمْ عَنِ الآخرة هُمْ غَافِلُونَ} أيْ: أَكْثَرُ النَّاس لَيْسَ لهم علم إلا بالدنيا وأكسابها وشؤونها وَمَا فيهَا، فَهُمْ حُذَّاقٌ أَذْكِيَاءُ فِي تَحْصِيلهَا وَوُجُوه مَكَاسِبهَا، وَهُمْ غَافِلُونَ عَمَّا يَنْفَعُهُمْ فِي الدَّار الْآخرة، كَأَنَّ أَحَدَهُمْ مُغَفَّلٌ لاَ ذهْنَ لَهُ ولاَ فكْرَةَ.

* * *

قَالَ: (الْحَسَنُ الْبَصْرِيّ): وَاللَّه لَبَلَغَ مِنْ أَحَدهمْ بِدُنْيَاهُ أَنَّهُ يَقْلبُ الدِّرْهَمَ عَلَى ظُفْره، فَيُخْبِرُكَ بوَزْنه، وَمَا يُحْسِنُ أَنْ يُصَلِّيَ.

* * *

وَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاس) فِي قَوْلِهِ: {يَعْلَمُونَ ظَاهرًا منَ الْحَيَاة الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخرة هُمْ غَافِلُونَ} يَعْنِي: الْكُفَّارُ، يَعْرِفُونَ عُمْرَانَ الدُّنْيَا، وَهُمْ فِي أَمْرِ الدِّينِ جُهَّالٌ. (1)

* * *

قَالَ: الإمام (الْقُرطبي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّوم} الآيَة {7} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَعْلَمُونَ ظَاهرًا منَ الْحَيَاة الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخرة هُمْ غَافِلُونَ}.

ثُمَّ بَيَّنَ تَعَالَى مِقْدَارَ مَا يَعْلَمُونَ فَقَالَ: {يَعْلَمُونَ ظَاهراً منَ الْحَيَاة الدُّنْيا} يَعْنِي: أَمْرَ مَعَايِشِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ: مَتَى يَزْرَعُونَ وَمَتَى يَحْصُدُونَ، وَكَيْفَ يَغْرِسُونَ وَكَيْفَ يَبْنُونَ، قَالَهُ (ابْنُ عَبَّاس)، وَ(عِكْرِمَةُ)، وَ(قَتَادَةُ).

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ): هُوَ بُنْيَانُ قُصُورِهَا، وَتَشْقِيقُ أَنْهَارِهَا وَغَرْسُ أَشْجَارِهَا، وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ.

يَعْنِي:- هُوَ مَا تُلْقِيهُ الشَّيَاطِينُ إِلَيْهِمْ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا عِنْدَ اسْتِرَاقِهِمُ السَّمْعَ مِنْ سَمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَهُ (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْر).

يَعْنِي:- الظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ، كَمَا قَالَ فِي مَوْضِع آخَرَ {أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ}. (2)

قُلْتُ: وَقَوْلُ (ابْنِ عَبَّاس) أَشْبَهُ بِظَاهِرِ الْحَيَاة الدُّنْيَا، حَتَّى لَقَدْ قَالَ (الْحَسَنُ): بَلَغَ وَاللَّه مِنْ علْم أَحَدهمْ بِالدُّنْيَا أَنَّهُ يَنْقُدُ الدِّرْهَمَ فَيُخْبِرُكَ بِوَزْنِهِ وَلاَ يُحْسِنُ أَنْ يُصَلِّيَ.

* * *

وَقَالَ: (أَبُو الْعَبَّاس الْمُبَرِّدُ): قَسَّمَ كِسْرَى أَيَّامَهُ فَقَالَ: يَصْلُحُ يَوْمُ الرِّيحِ لِلنَّوْمِ، وَيَوْمُ الْغَيْمِ لِلصَّيْدِ، وَيَوْمُ الْمَطَرِ لِلشُّرْبِ وَاللَّهْوِ، وَيَوْمُ الشَّمْسِ لِلْحَوَائِجِ.

* * *

قَالَ: (ابْنُ خَالَوَيْه): مَا كَانَ أَعْرَفَهُمْ بِسِيَاسَةِ دُنْيَاهُمْ، يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاة الدُّنْيَا.

(وَهُمْ عَنِ الْآخرَة) أَيْ: عَنِ الْعِلْمِ بِهَا وَالْعَمَلِ لَهَا.

(هُمْ غَافِلُونَ) قَالَ بَعْضُهُمْ:

وَمِنَ الْبَلِيَّةِ أَنْ تَرَى لَكَ صَاحِبًا ... فِي صُورَةِ الرَّجُلِ السَّمِيعِ الْمُبْصِرِ

فَطِنٍ بِكُلِّ مُصِيبَةٍ فِي مَالِهِ ... وإذا يصاب بدينه لم يشعر. (3)

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (7).

(2) الآية (33) سورة (الرعد).

(3) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (7)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {7} قوله تعالى: {يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ}.

يقول تعالى ذكره: يعلم هؤلاء المكذّبون بحقيقة خبر الله أن الروم ستغلب فارس، ظاهرا من حياتهم الدنيا، وتدبير معايشهم فيها، وما يصلحهم، وهم عن أمر آخرتهم، وما لهم فيه النجاة من عقاب الله هنالك، غافلون، لا يفكرون فيه. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا ابن حميد، قال: ثنا أبو ثُمَيْلة يحيى بن واضح الأنصاري، قال: ثنا الحسين بن واقد، قال: ثنا يزيد النحوي، عن (عكرمة)، عن (ابن عباس) في قوله: {يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} يعني: معايشهم، متى يحصدون ومتى يغرسون. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثني أحمد بن الوليد الرمليّ، قال ثنا: عمرو بن عثمان بن عمر، عن عاصم بن عليّ، قال: ثنا أبو تميلة، قال: ثنا ابن واقد، عن يزيد النحويّ، عن (عكرمة)، عن (ابن عباس) في قوله: {يعلمونَ ظاهراً من الحَيَاة الدُّنْيا} قال: متى يَزْرَعون، متى يَغْرِسون. (3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، قال: ثني شرقي، عن (عكرمة) في قوله: (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال: هو السراج أو نحوه. (4)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا (أبو هريرة) محمد بن فراس الضبعي، قال: ثنا أبو قُتَيبة، قال: ثنا شعبة، عن شرقي، عن (عكرمة) في قوله: {يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}: قال السراجون. (5)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا أحمد بن الوليد الرملي، قال: ثنا سليمان بن حرب، قال: ثنا شعبة، عن شرقي، عن (عكرمة) في قوله: {يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} قال: الخرازون والسراجون. (6)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا بشر بن آدم، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: ثنا سفيان، عن (منصور)، عن (إبراهيم): {يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} قال: معايشهم، وما يصلحهم. (7)

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (7)، للإِمَامْ (الطبري)،
(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (7)،
(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (7)،
(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (7)، للإِمَامْ (الطبري)،
(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (7)،
(6) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (7)،
(7) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (7)،

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-
حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: ثنا (سفيان)، عن (منصور)، عن (إبراهيم)، مثله.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-
حدثني بشر بن آدم، قال: ثنا الضحاك بن مخلد، عن سفيان، عن أبيه، عن (عكرمة)، وعن (منصور)، عن (إبراهيم): (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال: معايشهم.(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-
(بسنده الحسن)- حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن (عليّ)، عن (ابن عباس) قوله: (ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يعني الكفار، يعرفون عمران الدنيا، وهم في أمر الدين جهال.(3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-
حدثني ابن وكيع، قال: ثني أبي، عن سفيان، عن أبيه، عن (عكرمة): (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال: معايشهم، وما يصلحهم.(4)

* * *

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن (سفيان)، عن (منصور)، عن (إبراهيم) مثله.(5)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-
(بسنده الحسن)- حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا (سعيد)، عن (قَتادة) قوله: (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) من حرفَتها وتصرّفها وبغيتها، (وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ).(6)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-
حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن رجل، عن (الحسن)، قال: يعلمون متى زرعهم، ومتى حصادهم.

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-
قال: ثنا حفص بن راشد الهلالي، عن شعبة، عن شرقي، عن (عكرمة): {يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} قال: السراج ونحوه.(7)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-
حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن (أبي العالية) قال: صرفها في معيشتها.(8)

* * *

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (7)،
(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (7)، للإمام (الطبري)،
(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (7)،
(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (7)،
(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (7)،
(6) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (7)،
(7) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (7)،
(8) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (7)،

حدثني يونس، قال: أخبرنا (ابن وهب)، قال: قال (ابن زيد) في قوله: {يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ}.

وقال آخرون: في ذلك ما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب القمي، عن جعفر، عن (سعيد) في قوله: {يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} قال: تسترق الشياطين السمع، فيسمعون الكلمة التي قد نزلت ينبغي لها أن تكون في الأرض، قال: ويرمون بالشُّهب، فلا ينجو أن يحترق، أو يصيبه شرر منه، قال: فيسقط فلا يعود أبدا، قال: ويرمي بذاك الذي سمع إلى أوليائه من الإنس، قال: فيحملون عليه ألف كذبة، قال: فما رأيت الناس يقولون: يكون كذا وكذا، قال: فيجيء الصحيح منه كما يقولون، الذي سمعوه من السماء، ويعقبه من الكذب الذي يخوضون فيه. (1)

* * *

[٨] ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر لهذه الآية:

أوَلم يتفكر هؤلاء المشركون المكذبون في أنفسهم كيف خلقها الله وسواها.

ما خلق الله السماوات وما خلق الأرض إلا بالحق، فلم يخلقهما عبثًا، وجعل لهما أجلًا محددًا لبقائهما في الدنيا، وإن كثيرًا من الناس بلقاء ربهم يوم القيامة لكافرون، لذلك فهم لا يستعدون للبعث بالعمل الصالح المرضي عند ربهم. (2)

* * *

أو لم يتفكر هؤلاء المكذِّبون برسل الله ولقائه في خلق الله إياهم، وأنه خلقهم، ولم يكونوا شيئًا. ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا لإقامة العدل والثواب والعقاب، والدلالة على توحيده وقدرته، وأجل مسمى تنتهي إليه وهو يوم القيامة؟ وإن كثيرًا من الناس بلقاء ربهم لجاحدون منكرون" جهلا منهم بأن معادهم إلى الله بعد فنائهم، وغفلةً منهم عن الآخرة. (3)

* * *

أَطُمِسَ على أعينهم وقلوبهم ولم يتفكروا فى أمر أنفسهم ليعرفوا مصيرهم؟ ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما من كواكب وغيرها إلا مقرونة بالجد، مصحوبة ومحدودة بوقت تنتهى عنده، وإن كثيراً من الناس بلقاء الله وقيام الساعة لجاحدون. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فِي أَنْفُسِهِمْ} ..... أي: كيف خُلقوا ولم يكونوا شيئا، ثم كيف أصبحوا رجالا.

---

(1) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَة (الروم) الآية (7).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (405/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (405/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (803/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{إلاَ بِالْحَقِّ} .... أي: لم يخلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق الذي هو العدل.

{وَأَجَلٍ مُسَمًّى} ... وَقْتٍ مُقَدَّرٍ تَنْتَهِي إِلَيْهِ.

{وَأَجَلٍ مُسَمًّى} .... وهو نهاية هذه الحياة لتكون الحياة الثانية حياة الجزاء العادل.

{بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ} .... أي: بالبعث والوقوف بين يدي الله ليسألهم ويحاسبهم ويجزيهم.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {8} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا} كفار مَكَّة {فِي أَنفُسِهِمْ} فِيمَا بَينهم {مَّا خَلَقَ الله السَّمَاوَات وَالْأَرْض وَمَا بَيْنَهُمَآ} من الْخلق والعجائب {إِلاَّ بِالْحَقِّ} للحق وَالْأَمر وَالنَّهْي لَا للباطل {وَأَجَلٍ مُسَمًّى} لوقت مَعْلُوم يقْضِي فِيهِ {وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ} يَعْنِي: كفار مَكَّة {بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ} بِالْبَعْث بعد الْمَوْت {لَكَافِرُونَ} لجاحدون.(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {8} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ} أَيْ: لِلْحَقِّ، يَعْنِي:- لِإِقَامَةِ الْحَقِّ، {وَأَجَلٍ مُسَمًّى} أَيْ: لِوَقْتٍ مَعْلُومٍ إِذَا انْتَهَتْ إِلَيْهِ فَنِيَتْ وَهُوَ الْقِيَامَةُ، {وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ}.(2)

* * *

انظر: سورة -(يوسف)- آية (109). — كما قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ}.

* * *

وانظر: سورة- (غافر)- آية (82). — كما قال تعالى: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}.

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {8} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا} أي: أفلم يتفكر هؤلاء المكذبون لرسل الله ولقائه {فِي أَنْفُسِهِمْ} فإن في أنفسهم آيات يعرفون بها أن الذي أوجدهم من العدم سيعيدهم بعد ذلك وأن الذي نقلهم أطوارا من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى آدمي قد نفخ فيه الروح إلى طفل إلى شاب إلى شيخ إلى هرم، غير لائق أن يتركهم سدى مهملين لا ينهون ولا يؤمرون ولا يثابون ولا يعاقبون.

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (8) يُنسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الرُّوم) الآية (8).

{مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلا بِالْحَقِّ} أي: ليبلوكم أيكم أحسن عملا.
{وَأَجَلٍ مُسَمًّى} أي: مؤقت بقاؤهما إلى أجل تنقضي به الدنيا وتجيء به القيامة وتبدل الأرض غير الأرض والسماوات.
{وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ} فلذلك لم يستعدوا للقائه ولم يصدقوا رسله التي أخبرت به وهذا الكفر عن غير دليل، بل الأدلة القاطعة قد دلت على البعث والجزاء، (1)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّوم} ما زال السياق الكريم في دعوة المنكرين للبعث الآخر إلى الإيمان به من طريق ذكر الأدلة العقلية التي تحملها الآيات القرآنية فقوله تعالى: {أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ (2)} أي: أينكرون البعث ولم يتفكروا في أنفسهم كيف كانوا عدماً ثم وجدوا أطفالاً ثم شبابا ثم رجالاً كهولاً وشيوخاً ثم يموتون أليس القادر على خلقهم وتربيتهم ثم إماتتهم قادر على بعثهم وحسابهم ومجازاتهم على كسبهم في هذه الحياة الدنيا.
وقوله تعالى: {مَا خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَ بِالْحَقِّ (3) وَأَجَلٍ مُسَمًّى} أي: لم يخلقهما عبثا بل خلقهما ليذكر ويُشكر، ثم إذا تم الأجل المحدد لهما أفناهما ثم بعث عباده ليحاسبهم هل ذكروا وشكروا أو تركوا ونسوا وكفروا ثم يجزيهم بحسب إيمانهم وطاعتهم أو كفرهم وعصيانهم.
وقوله تعالى: {وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ} يخبر تعالى أنه مع ظهور الأدلة وقوة الحجج على صحة عقيدة البعث والجزاء فإن كثيرا من الناس كافرون بالبعث والجزاء. (4)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّوم} الآية {8} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ} .
يَقُولُ تَعَالَى مُنَبِّهًا عَلَى التَّفَكُّرِ فِي مَخْلُوقَاتِهِ، الدَّالَّةِ عَلَى وُجُودِهِ وَانْفِرَادِهِ بِخَلْقِهَا، وَإِنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَلَا رَبَّ سِوَاهُ،
فَقَالَ: {أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ} يَعْنِي بِهِ: النَّظَرَ وَالتَّدَبُّرَ وَالتَّأَمُّلَ لِخَلْقِ اللَّهِ الْأَشْيَاءَ مِنَ الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ، وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ الْمُتَنَوِّعَةِ، وَالْأَجْنَاسِ الْمُخْتَلِفَةِ، فَيَعْلَمُوا أَنَّهَا مَا خُلِقَتْ سُدًى وَلَا بَاطِلًا بَلْ

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (8-10)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) {في أنفسهم} ظرف للتفكر، وليس مفعولا لفعل يتفكروا لأنهم لم يؤمروا أن يتفكروا في خلق أنفسهم بل في خلق السموات والأرض وما بينهما.

(3) جائز أن يكون {إلا بالحق} معناه: إلا للحق أو لإقامة الحق أو بالحكمة وما في التفسير أولى وكل ما ذكر يشمله ويدل عليه. والأجل المسمى: المراد به أن كل المخلوقات حدد لها أجل فنائها، وهذا التقرير للفناء مستلزم للحياة الآخرة.

(4) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (8) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

بِالْحَقِّ، وَأَنَّهَا مُؤَجَّلَةٌ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ"

وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾.

ثُمَّ نَبَّهَهُمْ عَلَى صِدْقِ رُسُلِه فِيمَا جَاءُوا بِهِ عَنْهُ، بِمَا أَيَّدَهُمْ بِهِ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ، وَالدَّلَائِلِ الْوَاضِحَاتِ، مِنْ إِهْلَاكِ مَنْ كَفَرَ بِهِمْ، وَنَجَاةِ مَنْ صَدَّقَهُمْ، (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- ﴿سُورَةُ الرُّومِ﴾ الآية ﴿8﴾ قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: أولم يتفكَّر هؤلاء المكذّبون بالبعث يا محمد من قومك في خلق الله إياهم، وأنه خلقهم ولم يكونوا شيئا، ثم صرفهم أحوالا وتارات حتى صاروا رجالا فيعلموا أن الذي فعل ذلك قادر أن يعيدهم بعد فنائهم خلقا جديدا، ثم يجازي المحسن منهم بإحسانه، والمسيء بإساءته لا يظلم أحدا منهم، فيعاقبه بجرم غيره، ولا يحرم أحدا منهم جزاء عمله، لأنه العدل الذي لا يجور.

﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ إلا بالعدل، وإقامة الحقّ.

﴿وَأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ يقول: وبأجل مؤقت مسمى، إذا بلغت ذلك الوقت أفنى ذلك كله، وبدّل الأرض غير الأرض والسموات، وبرزوا لله الواحد القهَّار، وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم جاحدون منكرون" جهلا منهم بأن معادهم إلى الله بعد فنائهم، وغفلة منهم عن الآخرة. (2)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (القرطبي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- ﴿سُورَةُ الرُّومِ﴾ الآية ﴿8﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ ظَرْفٌ لِلتَّفَكُّرِ وَلَيْسَ بِمَفْعُولٍ، تَعَدَّى إِلَيْهِ. ﴿يَتَفَكَّرُوا﴾ بِحَرْفِ جَرٍّ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمَرُوا أَنْ يَتَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ أَنْفُسِهِمْ، إِنَّمَا أُمِرُوا أَنْ يَسْتَعْمِلُوا التَّفَكُّرَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْفُسِهِمْ، حَتَّى يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقِ السَّمَاوَاتِ وَغَيْرَهَا إِلَّا بِالْحَقِّ.

قَالَ: (الزَّجَّاجُ): فِي الْكَلَامِ حَذْفٌ، أَيْ: فَيَعْلَمُوا، لِأَنَّ فِي الْكَلَامِ دَلِيلًا عَلَيْهِ. ﴿إِلا بِالْحَقِّ﴾

قَالَ (الْفَرَّاءُ): مَعْنَاهُ إِلَّا لِلْحَقِّ، يَعْنِي الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ.

يَعْنِي:- إِلَّا لِإِقَامَةِ الْحَقِّ.

وَقِيلَ: ﴿بِالْحَقِّ﴾ بِالْعَدْلِ.

يَعْنِي:- بِالْحِكْمَةِ، وَالْمَعْنَى مُتَقَارِبٌ.

وَقِيلَ: ﴿بِالْحَقِّ﴾ أَيْ: أَنَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَلِلْحَقِّ خَلَقَهَا، وَهُوَ الدَّلَالَةُ على توحيده وقدرته.

﴿وَأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ أي: للسموات والأرض أجل يَنْتَهِيَانِ إِلَيْهِ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ. وَفِي هَذَا تَنْبِيهٌ عَلَى الْفَنَاءِ، وَعَلَى أَنَّ لِكُلِّ مَخْلُوقٍ أَجَلًا، وَعَلَى ثَوَابِ الْمُحْسِنِ وَعِقَابِ الْمُسِيءِ.

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامُ (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (8).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (8)، للإِمَامُ (الطبري).

وقيل: {وَأَجَلٍ مُسَمًّى} أَيْ: خَلَقَ مَا خَلَقَ فِي وَقْتٍ سَمَّاهُ لِأَنْ يَخْلُقَ ذَلِكَ الشَّيْءَ فِيهِ.

{وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ} اللَّامُ لِلتَّوْكِيدِ، وَالتَّقْدِيرُ: لَكَافِرُونَ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ، عَلَى التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ، أَيْ لَكَافِرُونَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ. وَتَقُولُ: إِنَّ زَيْدًا فِي الدَّارِ لَجَالِسٌ. وَلَوْ قُلْتَ: إِنَّ زَيْدًا لَفِي الدَّارِ لَجَالِسٌ جَازَ. فَإِنْ قُلْتَ: إِنَّ زَيْدًا جَالِسٌ لَفِي الدَّارِ لَمْ يَجُزْ، لِأَنَّ اللَّامَ إِنَّمَا يُؤْتَى بِهَا تَوْكِيدًا لِاسْمِ إِنَّ وَخَبَرِهَا، وَإِذَا جِئْتَ بِهِمَا لَمْ يَجُزْ أَنْ تَأْتِيَ بِهَا. وَكَذَا إِنْ قُلْتَ: إِنَّ زَيْدًا لَجَالِسٌ لَفِي الدَّارِ لَمْ يجز. (1)

* * *

[٩] ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

أولم يسر هؤلاء في الأرض ليتأملوا كيف كانت نهاية الأمم المكذبة من قبلهم، كانت هذه الأمم أشد منهم قوة، وقلبوا الأرض للزراعة والتعمير، وعمروها أكثر مما عمرها هؤلاء، وجاءتهم رسلهم بالبراهين والحجج الواضحة على توحيد الله فكذبوا، فما ظلمهم الله حين أهلكهم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بإيرادها موارد الهلاك بسبب كفرهم. (2)

* * *

أو لم يَسِرْ هؤلاء المكذبون بالله الغافلون عن الآخرة في الأرض سَيْرَ تأمل واعتبار، فيشاهدوا كيف كان جزاء الأمم الذين كذَّبوا برسل الله كعاد وثمود؟ وقد كانوا أقوى منهم أجسامًا، وأقدر على التمتع بالحياة حيث حرثوا الأرض وزرعوها، وبَنَوْا القصور وسكنوها، فعَمَروا دنياهم أكثر مما عَمَر أهل ‹ مكة › دنياهم، فلم تنفعهم عمارتهم ولا طول مدتهم، وجاءتهم رسلهم بالحجج الظاهرة والبراهين الساطعة، فكذَّبوهم فأهلكهم الله، ولم يظلمهم الله بذلك الإهلاك، وإنما ظلموا أنفسهم بالشرك والعصيان. (3)

* * *

أَلَزِمُوا وطنهم ولم يسيروا في أرجاء الأرض ليشاهدوا كيف كانت نهاية الذين كفروا من قبلهم؟ كانوا أشد من هؤلاء الكافرين الحاضرين قوة، وقلبوا وجه الأرض، ليستخرجوا ما فيها من مياه ومعادن وزروع، وعمروا الأرض أكثر مما عمرها هؤلاء، وجاءتهم رسل الله بالمعجزات الواضحات فكفروا، فأخذهم الله – لأنه ما كان

---

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (8)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (405/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (405/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

ليجزيهم من غير ذنب، ولا ليأخذهم قبل تذكيرهم وإمهالهم - ولكن كان هؤلاء لا يظلمون إلا أنفسهم. (1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَأَثَارُوا} ... حَرَثُوا وَزَرَعُوا.

{وَأَثَارُوا الْأَرْضَ} ... قَلَبُوهَا لِلْحَرْث وَالْغَرْس.

(أي: قلبوها للحرث والغرس والإنشاء والتعمير).

{وَعَمَرُوهَا} ... بالبناء والسُّكْنَى.

(أي: عمروا الأرض عمارة أكثر مما عمرها هؤلاء المشركون).

{وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ} .... أي: بالدلائل والحجج والبراهين من المعجزات وغيرها.

{وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} .... أي: بتكذيبهم وشركهم ومعاصيهم فعرضوا أنفسهم للهلاك.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَة الرُّوم} الآية {9} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أولم يَسِيرُوا} يسافروا كفار مَكَّة {فِي الأَرْض فَيَنْظُرُواْ} فيتفكروا {كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ} جَزَاء {الَّذِين من قبلهم} عَن تكذيبهم الرُّسُل {كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً} بِالْبدنِ {وَأَثَارُواْ الأَرْض} أَشد لَهَا طلبا وَأبْعد ذَهَابًا فِي السّفر وَالتِّجَارَة وَيُقَال أثاروا الأَرْض حرثوها وقلبوها للزِّرَاعَة وَالْغَرْس أَكثر مِمَّا حرث أهل مَكَّة {وَعَمَرُوهَآ} بقوا فِيهَا {أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا} أَكثر مِمَّا بَقِي فِيهَا أهل مَكَّة {وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ} بِالْأَمر وَالنَّهْي والعلامات فَلم يُؤمنُوا بهم فأهلكهم الله تَعَالَى {فَمَا كَانَ اللهَ لِيَظْلِمَهُمْ} بإهلاكه إيَّاهم {وَلَكِن كَانُوا أنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} بالْكفْر والشرك وَتَكْذِيب الرُّسُل. (2)

* * *

قال: الإِمَامْ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَة الرُّوم} الآية {9} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} أَوَلَمْ يُسَافِرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا إِلَى مَصَارِعِ الْأُمَمِ قَبْلَهُمْ فَيَعْتَبِرُوا،

{كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ} حَرَثُوهَا وَقَلَّبُوهَا لِلزِّرَاعَةِ،

{وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا} أَيْ: أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرَهَا أَهْلُ مَكَّةَ،

قِيلَ: قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِأَهْلِ مَكَّةَ حَرْثٌ،

{وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ} فَلَمْ يُؤْمِنُوا فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ،

{فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ} ينقص حُقُوقَهُمْ،

{وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} بِبَخْسِ حُقُوقِهِمْ. (3)

* * *

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/604)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَة (الرُّوم) الآية (9) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَة (الرُّوم) الآية (9).

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {9} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} .

ولهذا نبههم على السير في الأرض والنظر في عاقبة الذين كذبوا رسلهم وخالفوا أمرهم ممن هم أشد من هؤلاء قوة وأكثر آثارا في الأرض من بناء قصور ومصانع ومن غرس أشجار ومن زرع وإجراء أنهار، فلم تغن عنهم قوتهم ولا نفعتهم آثارهم حين كذبوا رسلهم الذين جاءوهم بالبينات الدالات على الحق وصحة ما جاءوهم به، فإنهم حين ينظرون في آثار أولئك لم يجدوا إلا أمما بائدة وخلقا مهلكين ومنازل بعدهم موحشة وذم من الخلق عليهم متتابع. وهذا جزاء معجل نموذج للجزاء الأخروي ومبتدأ له.

وكل هذه الأمم المهلكة لم يظلمهم الله بذلك الإهلاك وإنما ظلموا أنفسهم وتسببوا في هلاكها.(1)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {9} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} أي: أيكذّب أولئك المشركون بالبعث والجزاء ولم يسيروا في الأرض شمالاً وجنوباً (2) فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم هلاكا ودماراً،

{كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ} بالإنشاء والتعمير والزراعة والفلاحة.

{وَعَمَرُوهَا} عمارة أكثر مما عمرها هؤلاء، {وَجَاءَتْهُمْ (3) رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ}، ولما أهلكهم لم يكن ظالما لهم بل كانوا هم الظالمين لأنفسهم. أليس في هذا دليلا على حكمة الله وعلمه وقدرته فكيف ينكر عليه بعثه لعباده يوم القيامة لحسابهم ومجازاتهم؟.(4)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {9} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ} أَيْ: بِأَفْهَامِهِمْ وَعُقُولِهِمْ وَنَظَرِهِمْ وَسَمَاعِهِمْ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ"

وَلِهَذَا قَالَ: {فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً} أَيْ: كَانَتِ الْأُمَمُ الْمَاضِيَةُ وَالْقُرُونُ السَّالِفَةُ أَشَدَّ مِنْكُمْ -أَيُّهَا الْمَبْعُوثُ إِلَيْهِمْ مُحَمَّدٌ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا، وَمَا أُوتِيتُمْ مِعْشَارَ مَا أُوتُوا، وَمُكِّنُوا فِي الدُّنْيَا تَمْكِينًا لَمْ تَبْلُغُوا إِلَيْهِ، وَعَمَّرُوا فِيهَا أَعْمَارًا

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (9)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) فينظروا بأبصارهم وبصائرهم فلمّا كذبوا أهلكهم الله وما كان ظالما لهم بل هم الظالمون لأنفسهم بالشرك والمعاصي.

(3) أي: بالمعجزات والأحكام الشرعية.

(4) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (9) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

طِوَالًا فَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِنْكُمْ. وَاسْتَغَلُّوهَا أَكْثَرَ مِنَ اسْتِغْلَالِكُمْ، وَمَعَ هَذَا لَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَفَرِحُوا بِمَا أُوتُوا، أَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ، وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ، وَلَا حَالَتْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَأْسِ اللَّهِ، وَلَا دَفَعُوا عَنْهُمْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ فِيمَا أَحَلَّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ .

{وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} أَيْ: وَإِنَّمَا أُوتُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ حَيْثُ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ، وَاسْتَهْزَؤُوا بِهَا، وَمَا ذَاكَ إِلَّا بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمُ السَّالِفَةِ وَتَكْذِيبِهِمُ الْمُتَقَدِّمِ". (1).

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآيَةُ {9} قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} .

يقول تعالى ذكره: أولم يسر هؤلاء المكذّبون بالله، الغافلون عن الآخرة من قريش في البلاد التي يسلكونها تجرا، فينظروا إلى آثار الله فيمن كان قبلهم من الأمم المكذّبة، كيف كان عاقبة أمرها في تكذيبها رسلها، فقد كانوا أشدّ منهم قوّة.

{وَأَثَارُوا الأَرْضَ} : يقول: واستخرجوا الأرض، وحرثوها وعمروها أكثر مما عمر هؤلاء، فأهلكهم الله بكفرهم وتكذيبهم رسلهم، فلم يقدروا على الامتناع، مع شدّة قواهم مما نزل بهم من عقاب الله، ولا نفعتهم عمارتهم ما عمروا من الأرض، إذ {جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ} من الآيات، فكذّبوهم، فأحلّ الله بهم بأسه،

{فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ} بعقابه إياهم على تكذيبهم رسله، وجحودهم آياته،

{وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} بمعصيتهم ربهم. (2)

* * *

أخرج -الإمام (آدم بن أبي إياس) - (رحمه الله):- (بسنده الصحيح)- عن (مجاهد): (وَأَثَارُوا الْأَرْضَ) قال: حرثوا الأرض. (3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن (ابن عباس) قوله: {أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا} قال: ملكوا الأرض وعمروها.

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الصحيح)- حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن (ابن أبي نجيح)، عن

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (9).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (9)، للإِمَامْ (الطبري).

(3) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (80/4)، للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين).

(مجاهد): {وَأَثَارُوا الْأَرْضَ} قال: حرثوها. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-
حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا (سعيد)، عن (قتادة): {أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ ...} إلى قوله: {وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا} ... كقوله: {وَآثَارًا فِي الأَرْضِ}، وقوله: {وَعَمَرُوهَا} أكثر مما عمر هؤلاء {وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ}. (2)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {9} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا} بِبَصَائِرِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ.
{كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ} أَيْ: قَلَّبُوهَا لِلزِّرَاعَةِ، لِأَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَ حَرْثٍ، قال الله تعالى: {تُثِيرُ الْأَرْضَ} {البقرة: 71}.
{وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا} أَيْ: وَعَمَرُوهَا أُولَئِكَ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا هَؤُلَاءِ فَلَمْ تَنْفَعْهُمْ عِمَارَتُهُمْ وَلَا طُولُ مُدَّتِهِمْ.
{وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ} أَيْ: بِالْمُعْجِزَاتِ. يَعْنِي:- بِالْأَحْكَامِ فَكَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا.
{فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ} بِأَنْ أَهْلَكَهُمْ بِغَيْرِ ذَنْبٍ وَلَا رُسُلٍ وَلَا حُجَّةٍ.
{وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} بالشرك والعصيان. (3)

* * *

[١٠] ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ثم كانت نهاية الذين ساءت أعمالهم بالشرك بالله وعمل السيئات، النهاية البالغة في السوء؛ لأنهم كذبوا بآيات الله، وكانوا يستهزئون بها، ويسخرون منها. (4)

* * *

ثم كانت عاقبة أهل السوء من الطغاة والكفرة أسوأ العواقب وأقبحها؛ لتكذيبهم بالله وسخريتهم بآياته التي أنزلها على رسله. (5)

* * *

ثم كانت نهاية الذين ارتكبوا أشد ألوان الإساءة أن جحدوا آيات الله، وكانوا يُحقِّرون من شأنها. (6)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (9).
(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (9).
(3) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (9)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).
(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (405/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (405/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(6) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (604/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{أَسَاءُوا السُّوءَى} .... أي: بالتكذيب والشرك والمعاصي والسوءى هي الحالة الأسوأ.

{السُّوأَى} ... العُقُوبَةُ المُتَنَاهِيَةُ في السُّوءِ.

(أي: النار، والسوأى: مُؤَنَّثُ الأَسْوَءِ، كالحُسْنَى تأنيث الأَحْسَن).

{أن كذبوا بآيات الله} .... أي: بتكذيبهم آيات الله القرآنية واستهزائهم بها.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّوم} الآية {10} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ} جَزَاء {الَّذين أساؤوا} أشركوا بِاللَّه {السوأى} النَّار فِي الْآخِرَة {أَن كَذَّبُوا} بِأَن كذبُوا {بآيَات الله} بِمُحَمد - صلى الله عَلَيْهِ وَسلم - وَالْقُرْآن {وَكَانُوا بهَا} بآيَات الله {يستهزؤون} يسخرون.(1)

* * *

قال: الإمامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَة الرُّوم} الآية {10} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا} أي: أساءوا العمل، {السُّوأَى} يَعْنِي: الْخَلَّةَ الَّتِي تَسُوؤُهُمْ وَهِيَ النَّارُ، يَعْنِي:- السوء اسْمٌ لِجَهَنَّمَ كَمَا أَنَّ الْحُسْنَى اسم للجنة، {أَنْ كَذَّبُوا} أي: لِأَنْ كَذَّبُوا، يَعْنِي:- تَفْسِيرُ السوء مَا بَعْدَهُ وَهُوَ قَوْلُهُ أَنْ كَذَّبُوا يَعْنِي: ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الْمُسِيئِينَ التَّكْذِيبُ حَمَلَهُمْ تِلْكَ السَّيِّئَاتِ على أَنْ كَذَّبُوا، {بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ} قَرَأَ: (أَهْلُ الْحِجَازِ)، وَ(الْبَصْرَةِ): (عَاقِبَةُ) بِالرَّفْعِ أَيْ: ثُمَّ كَانَ آخِرُ أَمْرِهِمُ السُّوءَ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: بِالنَّصْبِ على خبر كان، وتقديره: ثم كان السوء عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّوم} الآية {10} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السوأى} أي: الحالة السيئة الشنيعة، وصار ذلك داعيا لهم لأن. {كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ} فهذا عقوبة لسوئهم وذنوبهم. ثم ذلك الاستهزاء والتكذيب يكون سببا لأعظم العقوبات وأعضل المثلات.(3)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّوم} الآية {10} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا} أي الأعمال فلم يصلحوها حيث كذّبوا برسل الله وشرائعه.

وقوله: {السُّوأَى}(4) أي: عاقبة الذين أساءوا السوأى أي العاقبة السوأى وهو خسرانهم وهلاكهم،

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (10) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (الرُّوم) الآية (10).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (10)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) {السوءى}: تأنيث الأسوأ، كالحسنى تأنيث الأحسن، والأسوأ: الأقبح من الأفعال والأقوال والمعتقدات، وجائز أن يكون المراد بالسوءى هنا جهنم كما أن المراد بالحسنى الجنة في قوله تعالى: (للذين أحسنوا الحسنى) أي الجنة.

وقوله: {أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ} أي: من أجل أنهم كذبوا بآيات الله.

{وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ} وأصروا على ذلك ولم يتوبوا.[1]

* * *

قال: الإمَامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآيَة {10} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ}،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} {الْأَنْعَام: 110}،

وَقَوْلُهُ: {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} {الصَّفّ: 5}،

وَقَالَ: {فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ} {الْمَائِدَة: 49}.

وَعَلَى هَذَا تَكُونُ السوءى منصوبة مفعولا لأساءوا. يَعْنِي:- بَلِ الْمَعْنَى فِي ذَلِكَ:

{ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَى} أي: كانت السوءى عَاقِبَتَهُمْ" لِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يستهزئون. فعلى هذا تكون السوءى مَنْصُوبَةً خَبَرَ كَانَ. هَذَا تَوْجِيهُ (ابْنِ جَرِيرٍ)[2]، وَنَقَلَهُ عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ)، وَ(قَتَادَةَ). ورواه (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) عَنْهُمَا

وَعَنِ (الضَّحَّاكِ بْنِ مُزَاحِمٍ)، وَهُوَ الظَّاهِرُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، {وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ}.[3]

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآيَة {10} قوله تعالى: {ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ}.

يقول تعالى ذكره: ثم كان آخر أمر من كفر من هؤلاء الذين أثاروا الأرض وعمروها، وجاءتهم رسلهم بالبينات بالله، وكذّبوا رسلهم، فأساءوا بذلك من فعلهم.

(السُّوأى): يعني الخَلَّة التي هي أسوأ من فعلهم" أما في الدنيا، فالبوار والهلاك، وأما في الآخرة فالنار لا يخرجون منها، ولا هم يستعتبون.[4]

* * *

قال: الإمَام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن):- حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا (سعيد)، عن (قتادة): قوله: {ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَى}: الذين أشركوا السوءَى: أي النار.[5]

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن):- حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح قال: ثني معاوية، عن (عليّ)،

(1) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآيَة (10) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(2) انظر: تفسير (الطبري) (18/21).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآيَة (10).

(4) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّوم) الآيَة (10)، للإمَامْ (الطبري).

(5) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّوم) الآيَة (10)، للإمَامْ (الطبري).

عـن (ابـن عباس) قولـه: {ثـمَّ كـانَ عاقِبَةَ الَّـذِينَ أَسَـاءُوا السُّـوءَى} يقـول: الـذين كفـروا جزاؤهم العذاب.(1)

* * *

قـال: الإمـام (الطـبري) - (رحمـه الله) - في (تفسيره):-: وكـان بعـض أهـل العربيـة يقـول: السـوأى في هـذا الموضـع: مصـدر، مثـل البُقـوى، وخالفه في ذلك غيره فقال: هي اسم.

وقولـه: {أَن كَـذَّبُوا بِآيَـاتِ اللهِ} يقـول: كانـت لهـم السـوأى، لأنهـم كـذّبوا في الـدنيا بآيـات الله،

{وَكَـانُوا بِهَـا يَسْـتَهْزِءُونَ} . يقـول: وكـانوا بحجج الله وهم أنبياؤه ورسله يسخرون.(2)

* * *

قـال: الإمـام (القُـرطبي) - (رحمـه الله) - في (تفسيره):- {سُـورَةُ الـرُّومِ} الآيـة {10} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {ثُـمَّ كَـانَ عاقِبَـةَ الَّـذِينَ أَسَـاؤُا السُّـواى} ... السُّـوأَى فُعْلَـى مِـنَ السُّـوءِ تَأْنِيـثُ الْأَسْـوَأِ وَهُـوَ الْـأَقْبَحُ، كَمَـا أَنَّ الْحُسْـنَى تَأْنِيـثُ الْأَحْسَنِ.

يَعْنِـي:- يَعْنِـي بِهَـا هَاهُنَـا النَّـارَ، قَالَـهُ ابْـنُ عبـاس. ومعنـى" أَسـاؤُا" أَشْـرَكُوا، دَلَّ عَلَيْـهِ" أَنْ كَـذَّبُوا بِآيـاتِ اللَّـهِ"." السُّـواى": اسْـمُ جَهَنَّمَ، كَما أَنَّ الْحُسْنَى اسْمُ الْجَنَّةِ.

(أَنْ كَـذَّبُوا بِآيـاتِ اللَّـهِ) أَيْ: لِـأَنْ كَـذَّبُوا قَالَـهُ الْكِسَائِيُّ. يَعْنِي:- بِأَنْ كَذَّبُوا.

وَقَـرَأَ: (نَـافِعٌ)، وَ(ابْـنُ كَـثِيرٍ)، وَ(أَبُـو عَمْـرٍو)" ثُـمَّ كَـانَ عَاقِبَـةُ الَّـذِينَ" بِـالرَّفْعِ اسْـمُ كَـانَ، وَذُكِّـرَتْ لِـأَنَّ تَأْنِيثَهَـا غَـيْرُ حقيقـي. و" السُّـواى" خَبَرُ كَانَ.

وَالْبَـاقُونَ بِالنَّصْـبِ عَلَـى خَبَـرِ كَـانَ." السُّـواى" بِـالرَّفْعِ اسْـمُ كَـانَ. وَيَجُـوزُ أَنْ يَكُـونَ اسْـمُهَا التَّكْـذِيبُ، فَيَكُـونَ التَّقْـدِيرُ: ثُـمَّ كَـانَ التَّكْـذِيبُ عَاقِبَـةَ الَّـذِينَ أَسَـاءُوا وَيَكُـونَ السُّـوأَى مَصْـدَرًا لِأَسَاءُوا، أو صفة لمحذوف، أي الخلة السوأى.

وَرُوِيَ عَـنِ (الْـأَعْمَشِ) أَنَّـهُ قَـرَأَ" ثُـمَّ كَـانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءُ" بِرَفْعِ السُّوءِ.

قَـالَ: ((النحـاس)): السـوءُ أشـد الشـر، والسوءى الْفُعْلَى مِنْهُ.

(أَنْ كَـذَّبُوا بِآيـاتِ اللَّـهِ) قِيـلَ بِمُحَمَّـدٍ وَالْقُـرْآنِ، قَالَهُ الْكَلْبِيُّ. مُقَاتِلٌ: بِالْعَذَابِ أَنْ يَنْزِلَ بِهِمْ.

(الضَّـحَّاكُ): بِمُعْجِـزَاتِ مُحَمَّـدٍ - صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. (وَكانُوا بِها يَسْتَهْزِؤُنَ).(3)

* * *

[١١] ﴿ اللَّـهُ يَبْـدَأُ الْخَلْـقَ ثُـمَّ يُعِيـدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

الله يبـدأ الخلـق علـى غـير مثـال سـابق، ثـم يفنيـه، ثـم يعيـده، ثـم إليـه وحـده ترجعـون للحساب والجزاء يوم القيامة.(4)

* * *

الله وحـده هـو المتفـرد بإنشـاء المخلوقـات كلـها، وهـو القـادر وحـده علـى إعادتهـا مـرة أخـرى،

---

(1) انظُـر: (جـامع البيـان في تـأويـل القـرآن) في سُـورَةُ (الـرُّومِ) الآيـة (10)، للإِمَامْ (الطبري)،

(2) انظُـر: (جـامع البيـان في تـأويـل القـرآن) في سُـورَةُ (الـرُّومِ) الآيـة (10)، للإِمَامْ (الطبري)،

(3) انظُـر: تفسـير (القـرطبي) = (الجـامع لأحكـام القـرآن) في سُـورَةُ (الـرُّومِ) الآية (10)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(4) انظـر: (المختصـر في تفسـير القـرآن الكـريم) (405/1). تصـنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

ثم إليه يرجع جميع الخلق، فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته. (1)

* * *

الله - سبحانه وتعالى - ينشئ خلق الناس ابتداء، ثم يُعيد خلقهم بعد موتهم، ثم إليه - وحده - يعودون للحساب والجزاء. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{ثم إليه ترجعون} .... أي: بعد إعادة الخلق وبعث الناس.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

انظر: سورة – (الأنبياء) - آية (104).-

كما قال تعالى: {يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ}.

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {11} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الله يَبْدَأُ الْخلق} من النُّطْفَة {ثمَّ يُعِيدهُ} يَوْم الْقِيَامَة {ثمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} تردون فِي الْآخِرَة فيجزيكم بأعمالكم. (3)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {11} قَوْلُهُ تَعَالَى: {اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ} أَيْ: يَخْلُقُهُمُ ابْتِدَاءً ثُمَّ يُعِيدُهُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ أَحْيَاءً، وَلَمْ يَقُلْ يُعِيدُهُمْ، رَدَّهُ إِلَى الْخَلْقِ، {ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} فيجزيهم بأعمالهم. (4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {11} قَوْلُهُ تَعَالَى: {اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}.

يخبر تعالى أنه المتفرد بإبداء المخلوقات ثم يعيدهم ثم إليه يرجعون بعد إعادتهم ليجازيهم بأعمالهم، ولهذا ذكر جزاء أهل الشر ثم جزاء أهل الخير. (5)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {11} قَوْلُهُ تَعَالَى: {اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}.

ما زال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر الأدلة وعرض صور حية صادقة لما يتم بعد البعث من جزاء،

فقوله تعالى {اللهُ يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} إعلان واضح صريح قاطع للشك مزيل للبس بأن الله رب السموات والأرض وما بينهما هو الذي بدأ الخلق فخلق ما شاء ثم يميته ثم يعيده، وإليه لا إلى غيره ترجع الخليقة كلها راضية أو ساخطة

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (405/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (604/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).
(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (11) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما -.
(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (الرُّوم) الآية (11).
(5) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (11)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

محبّة أو كارهة، هكذا قرر تعالى عقيدة البعث والجزاء مدللاً عليها بأقوى دليل وهو وجوده تعالى وقدرته التي لا تحد وعلمه الذي أحاط بكل شيء وحكمته التي لا يخلوا منها عمل، فقال: {اللهُ يَبْدأُ الخَلْقَ ثمَّ يُعيدُهُ ثمَّ إليْه تُرْجَعُون}.(1)

* * *

قال: الإمامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {11} يَقُولُ تَعَالَى: {اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ} أَيْ: كَمَا هُوَ قَادِرٌ عَلَى بَدَاءته فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى إِعَادَته، {ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} أَيْ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُجَازِي كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِه.(2)

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {11} قوله تعالى: {اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}.

يقول تعالى ذكره: الله تعالى يبدأ إنشاء جميع الخلق منفردا بإنشائه من غير شريك ولا ظهير، فيحدثه من غير شيء، بل بقدرته عزّ وجل، ثم يعيده خلقا جديدا بعد إفنائه وإعدامه، كما بدأه خلقا سويا، ولم يك شيئا.

{ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} يقول: ثم إليه من بعد إعادتهم خلقا جديدا يردّون، فيحشرون لفصل القضاء بينهم و {لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى}.(3)

* * *

[١٢] ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ويوم تقوم الساعة ييئس المجرمون من رحمة الله، وينقطع أملهم فيه" لانقطاع حجتهم على الكفر بالله.(4)

* * *

ويوم تقوم الساعة ييئس المجرمون من النجاة من العذاب، وتصيبهم الحَيْرة فتنقطع حجتهم.(5)

* * *

ويوم تأتى القيامة ييأس الكافرون من الدفاع عن أنفسهم.(6)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{يُبلِسُ} ... يَيأَسُ. (أي: يَيْئَسُ مِنَ النَّجَاةِ مِنَ العَذَابِ).

{يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ} .... أي: ييأسون من النجاة وتنقطع حجتهم فلا يتكلمون.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

---

(1) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (11) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (11).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (11)، للإمَامْ (الطبري)،

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (405/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (405/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

(6) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (604/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {12} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ} وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ {يُبْلِسُ المجرمون} ييأس الْمُشْركُونَ من كل خير. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {12} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ} قَالَ: (قَتَادَةُ)، وَ(الْكَلْبِيُّ): يَيْأَسُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ. وَقَالَ: (الْفَرَّاءُ): يَنْقَطِعُ كَلَامُهُمْ وَحُجَّتُهُمْ.

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ): يَفْتَضِحُونَ. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {12} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ} أي: يقوم الناس لرب العالمين ويردون القيامة عيانا، يومئذ {يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ} أي: ييأسون من كل خير. وذلك أنهم ما قدموا لذلك اليوم إلا الإجرام وهي الذنوب، من كفر وشرك ومعاصي، فلما قدموا أسباب العقاب ولم يخلطوها بشيء من أسباب الثواب، أيسوا وأبلسوا وأفلسوا وضل عنهم ما كانوا يفترونه، من نفع شركائهم وأنهم يشفعون لهم. (3)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {12} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ (4) الْمُجْرِمُونَ} هذا عرض لما بعد البعث فذكر أنه لمّا تقوم الساعة ويبعث الناس يبلس المجرمون أي ييأسون من الرحمة وينقطعون عن الكلام لعدم وجود حجة يحتجون بها. (5)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {12} ثُمَّ قَالَ: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): يَيْأَسُ الْمُجْرِمُونَ.

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ): يَفْتَضِحُ الْمُجْرِمُونَ.

وَفِي رِوَايَةٍ: يَكْتَئِبُ الْمُجْرِمُونَ. (6)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {12} قوله

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (12) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (الرُّوم) الآية (12).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (12)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) - يقال أبلس يبلس إبلاسا: إذا سكت متحيراً وانقطعت حجته وأيس أن تكون له حجة.

قال الشاعر: (يا صاح هل تعرف رسما مكرسا ... قال نعم أعرفه وأبلسا).

والمكرس: الذي بعرت فيه الإبل وبولت فركب بعضها بعضا.

(5) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (12) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (12).

تعالى: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ} .

يقول تعالى ذكره: ويوم تجيء الساعة التي فيها يفصل الله بين خلقه، وينشر فيها الموتى من قبورهم، فيحشرهم إلى موقف الحساب .

{يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ} يقول: ييأس الذين أشركوا بالله، واكتسبوا في الدنيا مساوئ الأعمال من كلّ شرّ، ويكتئبون ويتندمون،

كما قال (العجاج):

يا صَاحِ هلْ تعْرفُ رَسمًا مُكْرَسا ... قالَ نَعَمْ أعْرِفُهُ وأبْلَسا.(1)(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن (ابن أبي نجيح)، عن (مجاهد) قوله: (يُبْلِسُ) . قال: يكتئب.(3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن):- حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن (قتادة): قوله: {يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ} أي: في النار.(4)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثني يونس، قال: أخبرنا (ابن وهب)، قال: قال (ابن زيد) في قول الله: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ} قال: المبلس: الذي قد نزل به الشرّ، إذا أبلس الرجل، فقد نزل به بلاء. .(5)

* * *

أخرج- الإمام (آدم بن أبي إياس) - (رحمه الله):- (بسنده الصحيح)- عن (مجاهد): قوله: (يُبْلِسُ) قال: يكتئب.(6) (7)

* * *

[١٣] ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولم يكن لهم من شركائهم -الذين كانوا يعبدونهم في الدنيا- من يشفعون لإنقاذهم من العذاب، وكانوا بشركائهم كافرين، فقد خذلوهم حين كانوا بحاجة إليهم لأنهم كلهم سواء في الهلاك.(8)

* * *

---

(1) البيتان من الرجز للعجاج (ديوانه طبع ليبسج سنة (1903 ص 31) ومعاني القرآن للفراء (الورقة (247) و (مجاز القرآن لأبي عبيدة الورقة (186 - ب) قال: (أبو عبيدة) في تفسير قوله تعالى: (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون): أي يتندمون، ويكتأبون وييأسون قال * "يا صاح .. " البيتان. وفي (اللسان: كرس): ورسم مكرس (اسم مفعول) ومكرس (اسم فاعل) وهو الذي قد بعرت فيه الإبل وبولت، فركب بعضه بعضًا.
وقال في (بلس): أبلس الرجل: قطع به، عن ثعلب. وأبلس: سكت" وأبلس من رحمة الله: أي يئس وندم.

(2) انظُر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (12)، لِلإِمَامْ (الطبري)،

(3) انظُر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (12)،

(4) انظُر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (12)، لِلإِمَامْ (الطبري)،

(5) انظُر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (12).

(6) انظُر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (12)،

(7) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (80/4)، للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين)،

(8) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (405/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

ولم يكن للمشركين في ذلك اليوم من آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله شفعاء، بل إنها تتبرأ منهم، ويتبرؤون منها. فالشفاعة لله وحده، ولا تُطلَب من غيره. (1)

* * *

ولم يوجد لهم من الذين عبدوهم مع الله شفعاء، وكانوا في الدنيا بسببهم كافرين. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وكانوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ} .... أي: يتبرءون منهم ولا يعترفون بهم.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَة الرُّوم} الآية {13} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ} لعبدة الْأَوْثَان {مِّن شُرَكَآئِهِمْ} من آلهتهم {شُفَعَاءُ} أحد يشفع لَهُم من عَذَاب الله {وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ} بآلهتهم بعبادتهم إيَّاهَا {كَافِرِينَ} جاحدين يَقُولُونَ وَالله رَبنَا مَا كُنَّا مُشْرِكين. (3)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَة الرُّومِ} الآية {13} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ} جَاحِدِينَ مُتَبَرِّئِينَ يَتَبَرَّءُونَ مِنْهَا وَتَتَبَرَّأُ مِنْهُمْ. (4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَة الرُّوم} الآية {13} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ} التي عبدوها مع الله. {شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ} تبرأ المشركون ممن أشركوهم مع الله وتبرأ المعبودون وقالوا: {تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ} والتعنوا وابتعدوا. (5)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَة الرُّوم} الآية {13} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ} أي: ولم يكن لهم من يشفع لهم من شركائهم الذين عبدوهم بحجة أنهم يشفعون لهم عند الله، فأيسوا من شفاعتهم وكفروا بهم أيضا أي أنكروا أنهم كانوا يعبدونهم خوفاً من زيادة العذاب. هذه حال المجرمين الذين أجرموا على أنفسهم بالشرك والمعاصي، الحامل عليها تكذيبهم بآيات الله ولقائه. (6)

* * *

قال: الإمَام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَة الرُّوم} الآية {13} قَوْلُهُ

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (405/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (604/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).
(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَة (الرُّوم) الآية (13) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .
(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامُ (البغوي) سُورَة (الروم) الآية (13).
(5) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَة (الرُّوم) الآية (13)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).
(6) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَة (الرُّوم) الآية (13) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

تَعَالَى: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ} أَيْ: مَا شَفَعَتْ فِيهِمُ الْآلِهَةُ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَكَفَرُوا بِهِمْ وَخَانُوهُمْ أَحْوَجَ مَا كَانُوا إِلَيْهِمْ. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {13} قوله تعالى: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ} يقول تعالى ذكره: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ} لم يكن لهؤلاء المجرمين الذين وصف جلّ ثناؤه صفتهم.

{مِنْ شُرَكَائِهِمْ} الذين كانوا يتبعونهم، على ما دعوهم إليه من الضلالة، فيشاركونهم في الكفر بالله، والمعاونة على أذى رسله،

{شُفَعَاءُ} يشفعون لهم عند الله، فيستنقذوهم من عذابه،

{وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ} يقول: وكانوا بشركائهم في الضلالة والمعاونة في الدنيا على أولياء الله.

{كَافِرِينَ} يجحدون ولايتهم، ويتبرءون منهم،

كما قال جلّ ثناؤه: {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا}. (2)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {13} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ} أي: ما عبدوه من دون اللَّه {شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ} قالوا لَيْسُوا بِآلِهَةٍ فَتَبَرَّءُوا مِنْهَا وَتَبَرَّأَتْ مِنْهُمْ، حسبما تقدم في غير موضع. (3)

* * *

[١٤] ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ويوم تقوم الساعة في ذلك اليوم يتفرق الناس في الجزاء حسب أعمالهم في الدنيا، بين مرفوع إلى عِلّيين، ومخفوض إلى أسفل سافلين. (4)

* * *

ويوم تقوم الساعة يفترق أهل الإيمان به وأهل الكفر، (5)

* * *

ويوم تقوم الساعة - يوم إذ تقوم - يذهب كل فريق إلى مصيره الأبدي. (6)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{يتفرقون} .... أي: ينقسمون إلى سعداء أصحاب الجنة وأشقياء أصحاب النار.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامُ (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (13).

(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (13)، للإِمَامُ (الطبري).

(3) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (13)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (405/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (405/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(6) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (604/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {14} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ} وَهُوَ يَوْم الْقِيَامَة {يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ} فريق فِي الْجنَّة وفريق فِي السعير. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {14} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ} أَيْ يَتَمَيَّزُ أَهْلُ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ.

وَقَالَ: (مُقَاتِلٌ): يَتَفَرَّقُونَ بَعْدَ الْحِسَابِ إِلَى الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَلَا يَجْتَمِعُونَ أَبَدًا. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {14} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ}، وفي ذلك اليوم يفترق أهل الخير والشر كما افترقت أعمالهم في الدنيا. (3)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {14} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ} هذا عرض آخر يخبر تعالى أنه إذا قامت الساعة تفرق الناس على أنفسهم فريقين فريق في الجنة وفريق في السعير، وبين ذلك مقرونا بعلله. (4)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {14} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ}، قَالَ (قَتَادَةُ): هِيَ -وَاللَّهِ- الْفُرْقَةُ الَّتِي لَا اجْتِمَاعَ بَعْدَهَا، يَعْنِي: إِذَا رُفِعَ هَذَا إِلَى عِلِّيِّينَ، وَخُفِضَ هَذَا إِلَى أَسْفَلِ السَّافِلِينَ، فَذَاكَ آخِرُ الْعَهْدِ بَيْنَهُمَا. (5)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {14} قوله تعالى: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ}.

يقول تعالى ذكره: ويوم تجيء الساعة التي يحشر فيها الخلق إلى الله يومئذ، يقول في ذلك اليوم {يَتَفَرَّقُونَ} يعني: يتفرّق أهل الإيمان بالله، وأهل الكفر به، فأما أهل الإيمان، فيؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، وأما أهل الكفر فيؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار، فهنالك يميز الله الخبيث من الطيِّب. (6)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن):- كما حدثنا بشر، قال:

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (14) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (الرُّوم) الآية (14).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (14)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (14) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (14).

(6) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (14) للإمَامْ (الطبري).

ثنا يزيد، قال: ثنا (سعيد)، عن (قَتَادة) في قوله: (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ) قال: فرقة والله، لا اجتماع بعدها. (1)

* * *

قال: الإمام (القُرطبي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {14} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ} يعني: المؤمنين من الكافرين. ثم بين كيف تفريقهم. (2)

* * *

[١٥] ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فأما الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات المرضية عنده، فهم في جنة يُسَرّون بما ينالون فيها من النعيم الدائم الذي لا ينقطع أبدًا. (3)

* * *

فأما المؤمنون بالله ورسوله، العاملون الصالحات فهم في الجنة، يكرَّمون ويسرُّون وينعَّمون. (4)

* * *

فأما الذين آمنوا وقرنوا إيمانهم بالأعمال الصالحة" فهم فى جنة ذات أشجار وأزهار يسرون وينعمون. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{في روضة يحبرون} .... أي: في روضة من رياض الجنة يسرون ويفرحون.

{فِي رَوْضَةٍ} ... في جَنَّةٍ، والروضةُ البستانُ الَّذي هُوَ في غاية النَّضارَة.

{يُحْبَرُونَ} ... يُكْرَمُونَ، وَيُنَعَّمُونَ.

وقيل: {يُحْبَرُونَ} ... يُسَرُّونَ وَيَفْرَحُونَ، وَيَتَلَقَّوْنَ فيها التكريمَ والتنعيمَ والحَبْرَةَ: السرورُ والفرحُ، والحَبْرُ: الحُبُورُ: وهو السرورُ.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {15} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا} بِمُحَمَّد- صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- وَالْقُرْآن.

{وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ} الطَّاعَات فِيمَا بَينهم وَبَين رَبهم.

{فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ} فِي جنَّة.

{يُحْبَرُونَ} ينعمون ويكرمون بالتحف. (6)

* * *

قال: الإمَامْ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (14).

(2) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (14)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (405/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (405/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (604/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(6) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (15) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

الـرُّومِ} الآيــة {15} قَوْلُــهُ تَعَـالَى: {فَأَمَّـا الَّــذِينَ آمَنُــوا وَعَمِلُــوا الصَّــالِحَاتِ فَهُـمْ فِـي رَوْضَـةٍ} وَهِـيَ الْبُسْـتَانُ الَّـذِي فِـي غَايَـةِ النضــارة، {يُحْبَـرُونَ} قَــالَ: (ابْــنُ عَبَّـاسٍ): يُكْرَمُونَ.

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ)، وَ(قَتَادَةُ): يُنَعَّمُونَ.

وَقَــالَ: (أَبُــو عبيــدة): يســرون، والحــبرة السُّــرُور، يَعْنِـي:- الْحَبْـرَةُ فِـي اللُّغَـةِ كُـلُّ نِعْمَـةٍ حَسَنَةٍ وَالتَّحْبِيرُ التَّحْسِينُ،

وَقَــالَ: (الْــأَوْزَاعِيُّ) عَــنْ (يَحْيَــى بْــنِ أَبِــي كَثِيرٍ): تُحْبَرُونَ هُوَ السَّمَاعُ فِي الجنة. (1)

* * *

قــال: الشــيخ (أبــو بكــر الجزائــري) – (رحمــه الله) – في (تفســيره):- {سُــورَةُ الــرُّومِ} الآيــة {15} قَوْلُــهُ تَعَـالَى: {فَأَمَّــا الَّــذِينَ آمَنُــوا (2) وَعَمِلُــوا الصَّــالِحَاتِ} أي: صــدّقوا بــالله ربّــاً وإلهــاً وبمحمــد رســولاً وبالإســلام دينــاً لا ديــن يقبــل غيره وبالبعث والجزاء حقا.

{وَعَمِلُــوا الصَّــالِحَاتِ} أي: عبــدوا الله تعــالى بمــا شــرع لهــم مــن العبــادات إذ الصــالحات هــي المشــروع مــن الطاعــات القوليــة والفعليــة فهؤلاء المؤمنون العاملون للصالحات.

{فَهُـمْ فِـي رَوْضَـةٍ (3)} مــن ريــاض الجنــة.

{يُحْبَـرُونَ (4)} أي: يســرون ويفرحــون بمــا لاقــوه مــن الرضــوان والنعــيم المقــيم، وذلــك بفضــل الله تعــالى علــيهم وبمــا هــداهم إليــه مــن الإيمــان، ومــا وفقهــم إليـــه مـــن عمـــل الصالحات. (5)

* * *

قــال: الإمــام (عبــد الــرحمن بــن ناصــر الســعدي) - (رحمــه الله) - في (تفســيره):- {سُــورَةُ الــرُّومِ} الآيــة {15} قَوْلُــهُ تَعَـالَى: {فَأَمَّـا الَّــذِينَ آمَنُــوا وَعَمِلُــوا الصَّــالِحَاتِ} آمنــوا بقلوبهم وصدقوا ذلك بالأعمال الصالحة.

{فَهُـمْ فِـي رَوْضَـةٍ} فيهــا ســائر أنــواع النبــات وأصناف المشتهيات،

{يُحْبَـرُونَ} أي: يســرون وينعمــون بالمآكــل اللذيــذة والأشــربة والحــور الحســان والخــدم والولــدان والأصــوات المطربــات والســماع المشــجي والمنــاظر العجيبــة والــروائح الطيبــة والفــرح والســرور واللــذة والحبــور ممــا لا يقــدر أحد أن يصفه. (6)

* * *

قــال: الإمَــامُ (إبــن كــثير) – (رحمــه الله) - في (تفســيره):- {سُــورَةُ الــرُّومِ} الآيــة {15} قَوْلُــهُ تَعَـالَى: {فَأَمَّـا الَّـذِينَ آمَنُـوا وَعَمِلُـوا الصَّـالِحَاتِ فَهُـمْ فِـي رَوْضَـةٍ يُحْبَـرُونَ} قَــالَ: (مُجَاهِـدٌ)، وَ(قَتَادَةُ): يَنْعَمُونَ.

---

(1) انظُــر: (مختصــر تفســير البغــوي = المســمى بمعــالم التنزيــل) لِلإِمَــامْ (البغوي) سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (15).

(2) - قيـل في: (فأمـا) أن معناهـا: دع مـا كنـا فيـه وخـذ في غـيره، وقيـل معناهـا: مهمـا كنـا في شـيء فخـذ في غـير مـا كنـا فيـه، والمعنـى متقـارب، والحقيقـة أنهـا أداة شـرط وتفصـيل، تفصـيل لمـا أجمـل في الكـلام السـابق عليهـا وشـرط ولـذا قـرن جوابها بالفاء.

(3) - الروضة: كل أرض ذات أشجار وماء وأزهار قال الأعشى:

وما روضة من رياض الحزن معشبة
خضراء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق
مؤزر بعميم النبت مكتهل

(4) - (يحـبرون): ينعمــون ويكرمــون ويســرون بــالحبور والســرور وأثــر النعــيم يقــال: فــلان حســن الســبر والحــبر، وفي الحــديث " يخــرج رجــل مــن النــار ذهــب حــبره وسبره".

(5) انظُــر: (أيســر التفاســير لكــلام العلــي الكــبير) في سُــورَةُ (الــرُّومِ) الآيــة (15) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(6) انظُــر: (تيســير الكــريم الــرَّحمن في تفســير كــلام المنــان) في سُــورَةُ (الــرُّومِ) الآية (15)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

وَقَالَ: (يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ): يَعْنِي: سَمَاعَ الْغِنَاءِ. وَالْحَبْرَةُ أَعَمُّ مِنْ هَذَا كُلِّهِ،

قَالَ (الْعَجَّاجُ): الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْطَى الْحَبَرْ ... مَوَالِيَ الْحَقِّ إِنَّ الْمَوْلَى شَكَرْ (1)(2).

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {15} قوله تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا} بالله ورسوله {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} يقول: وعملوا بما أمرهم الله به، وانتهوا عما نهاهم عنه {فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ} يقول: فهم في الرياحين والنباتات الملتفة، وبين أنواع الزهر في الجنان يُسرون، ويلذّذون بالسماع وطيب العيش الهنيّ،

وإنما خص جلّ ثناؤه ذكر الروضة في هذا الموضع، لأنه لم يكن عند الطرفين أحسن منظرا، ولا أطيب نشرا من الرياض،

ويدل على أن ذلك كذلك قول أعشي بني ثعلبة:

مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الحُسْنِ مُعْشِبَةٌ ... خَضْرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَطِلُ

يُضَاحِكُ الشَّمسَ منها كَوْكَبٌ شَرِقٌ ... مُؤَزَّرٌ بِعَمِيمِ النَّبْتِ مُكْتَهِلُ

يَوْمًا بِأَطْيَبَ مِنْهَا نَشْرَ رائحَةٍ ... وَلا بأَحْسَنَ مِنْها إذ دَنا الأصُلُ. (3) (4)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن)- عن (علي بن أبي طلحة)- عن (ابن عباس): (فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ) قال: يكرمون. (5)

* * *

أخرج- الإمام (آدم بن أبي إياس) - (رحمه الله):- (بسنده الصحيح)- عن (مجاهد): في قوله: (يُحْبَرُونَ) ينعمون. (6)(7)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {15} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا} قَالَ (النَّحَّاسُ): سَمِعْتُ (الزَّجَّاجَ) يقول: معنى "فَأَمَّا" دَعْ مَا كُنَّا فيه وَخُذْ فِي غَيْرِه. وَكَذَا قَالَ (سيبَوَيْه): إِنَّ مَعْنَاهَا مَهْمَا كُنَّا في شي فَخُذْ فِي غَيْرِ مَا كُنَّا فيه.

{فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ} قَالَ (الضَّحَّاكُ): الرَّوْضَةُ الْجَنَّةُ، وَالرِّيَاضُ الْجِنَانُ.

---

(1) البيت في تفسير (الطبري) رقم (19/21) ولسان العرب لابن منظور مادة "حبر".

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (15).

(3) الأبيات الثلاثة لأعشى بني قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص 57) والرواية فيه: من رياض الحزن. وهو المرتفع من الأرض. وأورد أبو عبيدة في مجاز القرآن (الورقة 187) البيت الأول والثالث. والرواية فيه: من رياض الحزم. وهو بمعنى الحزن أي الغليظ من الأرض. قال أبو عبيدة: (في روضة يحبرون): مجازه يفرحون ويسرون. وليس شيء أحسن عند العرب من الرياض المعشبة، ولا أطيب ريحًا" قال الأعشى: "ما روضة .." إلخ. اهـ. قلت: ورواية الحزن أو الحزم أحسن الروايات، ورياض الحزن أطيب من رياض المنخفضات، لأن الريح تهب عليها فتهيج رائحتها، ولأن الأقدام لا تطؤها، ولأن الشمس تضربها من جميع نواحيها فيزكو زرعها وينضر. والمسبل: المطر. والهطل: الغزير، والكوكب النور والشرق: الزاهي والمؤزر الذي حوله نبات آخر، فهو كالإزار له. والمكتهل: الذي قد بلغ وتم. والنشر: تضوع الرائحة. والأصل: جمع أصيل، وهو وقت الغروب أو قبيله بقليل، حين تصفر الشمس وتدنو من الغروب.

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (15)، للإِمَامْ (الطبري)،

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (82/20).

(6) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (82/20).

(7) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (80/4)، للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين)،

وَقَالَ: (أَبُو عُبَيْد): الرَّوْضَةُ مَا كَانَ فِي تَسَفُّل، فَإِذَا كَانَتْ مُرْتَفِعَةً فَهِيَ تُرْعَةٌ.
وَقَالَ غَيْرُهُ: أَحْسَنُ مَا تَكُونُ الرَّوْضَةُ إِذَا كَانَتْ فِي مَوْضِعٍ مُرْتَفِعٍ غَلِيظ. (1)

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾
﴿ سُورَةُ الرُّوم: 6 – 15 ﴾

• العلم بما يصلح الدنيا مع الغفلة عما يصلح الآخرة لا ينفع.
• آيات الله في الأنفس وفي الآفاق كافية للدلالة على توحيده.
• الظلم سبب هلاك الأمم السابقة.
• يوم القيامة يرفع الله المؤمنين، ويخفض الكافرين. (2)

* * *

[١٦] ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وأما الذين كفروا بالله، وكذبوا بآياتنا المنزلة على رسولنا، وكذبوا بالبعث والحساب، فأولئك الذين أحضروا للعذاب فهم ملازمون له. (3)

* * *

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (16) فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (17) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ (18) يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ (19) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (20) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (21) وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ (22) وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (23) وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (24)

وأما الذين كفروا بالله وكذَّبوا بما جاءت به الرسل وأنكروا البعث بعد الموت، فأولئك في العذاب مقيمون" جزاء ما كذَّبوا به في الدنيا. (4)

* * *

وأمَّا الذين كفروا وأنكروا آياتنا ولقاء البعث والحساب" فأولئك فى العذاب مقيمون لا يغيبون عنه. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ} .... أي: مدخلون فيه لا يخرجون منه.

{مُحْضَرُونَ} ... مُقِيمُونَ.

* * *

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (15)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).
(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (405/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (406/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (406/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (604/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {16} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا} بِاللَّه.

{وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} بِمُحَمَّد -صلى الله عَلَيْه وَسلم- وَالْقُرْآن {وَلِقَاءِ الْآخِرَة} بِالْبَعْثِ بعد الْمَوْت.

{فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَاب} فِي النَّار.

{مُحْضَرُونَ} معذبون. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {16} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ} أَيْ: الْبَعْثِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، {فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ} . (2)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {16} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ} فقد أخبر عن جزائهم مقروناً بعلة ذلك الجزاء وهو كفرهم بتوحيد الله تعالى، والتكذيب بالآيات القرآنية وما تحمله من حجج وشرائع وأحكام، وبلقاء الآخرة وهو لقاء الله تعالى بعد البعث للحساب والجزاء، فجزاؤهم أن يحضروا في العذاب دائماً وأبداً لا يغيبون عنه، ولا يفتر عنهم، وهم فيه خالدون. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {16} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا} وجحدوا نعمه وقابلوها بالكفر.

{وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} التي جاءتهم بها رسلنا.

{فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ} فيه، قد أحاطت بهم جهنم من جميع جهاتهم واطّلع العذاب الأليم على أفئدتهم وشوى الحميم وجوههم وقطّع أمعاءهم، فأين الفرق بين الفريقين وأين التساوي بين المنعمين والمعذبين؟". (4)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {16} قوله تعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ} .

يقول تعالى ذكره: وأما الذين جحدوا توحيد الله، وكذبوا رسله، وأنكروا البعث بعد الممات والنشور للدار الآخرة، فأولئك في عذاب الله محضرون، وقد أحضرهم الله إياها، فجمعهم فيها ليذوقوا العذاب الذي كانوا في الدنيا يكذّبون . (5)

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (16) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (16).

(3) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (16) للشيخ: (جابر بن أبو بكر الجزائري).

(4) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (16)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (16)، للإمَامْ (الطبري).

* * *

قال: الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {16} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} تَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِيهِ. {وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ} أَيْ: بِالْبَعْثِ.

{فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ} أَيْ: مُقِيمُونَ.

يَعْنِي:- مَجْمُوعُونَ. يَعْنِي:- مُعَذَّبُونَ.

يَعْنِي:- نَازِلُونَ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ} {البقرة: 180} أَيْ: نَزَلَ بِهِ، قَالَهُ (ابْنُ شَجَرَةٍ)، وَالْمَعْنَى مُتَقَارِبٌ. (1)

* * *

[١٧] ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فسبِّحوا الله حين تدخلون في وقت المساء، وهو وقت صلاتي: المغرب والعشاء، وسبِّحوه حين تدخلون في وقت الصباح، وهو وقت صلاة الفجر. (2)

* * *

فيا أيها المؤمنون سبِّحوا الله ونزِّهوه عن الشريك والصاحبة والولد، وَصِفوه بصفات الكمال بألسنتكم، وحقّقوا ذلك بجوارحكم كلها حين تمسون، وحين تصبحون، ووقت العشي، ووقت الظهيرة. (3)

* * *

فنزِّهوا الله عما لا يليق بجلاله وكماله واعبدوه حين تدخلون فى المساء وحين تدخلون فى الصباح. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فَسُبْحَانَ اللَّهِ} ... أي: سبحوا الله أي صلوا.

(أي: فسبحوا الله أيها الناس: أي صلوا له).

{حِينَ تُمْسُونَ} ... وذلك صلاة المغرب،

(أي: تدخلون في المساء وفي هذا الوقت صلاة المغرب وصلاة العشاء).

{وَحِينَ تُصْبِحُونَ} ... وذلك صلاة الصبح.

(أي: تدخلون في الصباح وفيه صلاة الصبح).

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) – قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {17} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَسُبْحَانَ اللهِ} فصلوا لله {حِينَ تُمْسُونَ} صَلَاةَ الْمغرب وَالْعشَاء {وَحِين تُصْبِحُونَ} صَلَاة الْفجْر. (5)

الْفجْر. (5)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ

---

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (16)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (406/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (406/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (17-18) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما –.

الرُّومِ} الآيَةُ {17} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَسُبْحَانَ اللَّهِ} أَيْ: سَبِّحُوا اللَّهَ وَمَعْنَاهُ صَلُّوا للهِ،

{حِينَ تُمْسُونَ} أي: تدخلوا في الصباح وَهُوَ صَلَاةُ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ،

{وَحِينَ تُصْبِحُونَ} تَدْخُلُونَ فِي الصَّبَاحِ، وَهُوَ صَلَاةُ الصُّبْحِ. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآيَةُ {17-18} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ * وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ}.

هذا إخبار عن تنزهه عن السوء والنقص وتقدسه عن أن يماثله أحد من الخلق وأمر للعباد أن يسبحوه حين يمسون وحين يصبحون ووقت العشي ووقت الظهيرة.

فهذه الأوقات الخمسة أوقات الصلوات الخمس أمر الله عباده بالتسبيح فيها والحمد، ويدخل في ذلك الواجب منه كالمشتملة عليه الصلوات الخمس، والمستحب كأذكار الصباح والمساء وأدبار الصلوات وما يقترن بها من النوافل، لأن هذه الأوقات التي اختارها الله لأوقات المفروضات هي أفضل من غيرها فالتسبيح والتحميد فيها والعبادة فيها أفضل من غيرها بل العبادة وإن لم تشتمل على قول (سبحان الله) فإن الإخلاص فيها تنزيه لله بالفعل أن يكون له شريك في العبادة أو أن يستحق أحد من الخلق ما يستحقه من الإخلاص والإنابة. (2)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآيَةُ {17} قوله سبحانه وتعالى في هذا السياق: {فَسُبْحَانَ اللهِ..........} الآية. (3) لما بين تعالى بدء الخلق ونهايته باستقرار أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار وهذا عمل يستوجب تنزيهه تعالى عما لا يليق بجلاله وكماله كما يستلزم حمده، ولما كانت الصلوات الخمس تشتمل على ذلك أمر بإقامتها في المساء والصباح والظهيرة والعشيّ،

فقال تعالى: {فَسُبْحَانَ (4) اللهِ} أي: سبحوا الله {حِينَ تُمْسُونَ} أي: تدخلون في المساء وهي صلاة المغرب والعشاء.

{وَحِينَ تُصْبِحُونَ} أي: تدخلون في الصباح وهي صلاة الصبح. (5)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآيَةُ {17} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ}.

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامُ (البغوي) سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (17).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (17)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) - في هذه الآية الكريمة: (فسبحان الله) يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بعبادته في الأوقات المذكورة في الآية، وأعظم العبادات الصلاة لأنها مشتملة على ذكره وشكره.

(4) - هذه الفاء للتفريع إذ هذا الأمر متفرع عما قبله إذ بيّن تعالى أن الإيمان والعمل الصالح منج لصاحبه فبناء على ذلك فأقيموا الصلاة.

(5) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (17) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

هَذَا تَسْبِيحٌ مِنْهُ تَعَالَى لِنَفْسِهِ الْمُقَدَّسَةِ، وَإِرْشَادٌ لِعِبَادِهِ إِلَى تَسْبِيحِهِ وَتَحْمِيدِهِ، فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ الْمُتَعَاقِبَةِ الدَّالَّةِ عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ: عِنْدَ الْمَسَاءِ، وَهُوَ إِقْبَالُ اللَّيْلِ بِظَلَامِهِ، وَعِنْدَ الصَّبَاحِ، وَهُوَ إِسْفَارُ النَّهَارِ عَنْ ضِيَائِهِ.(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {17} قوله تعالى: {فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ}.

يقول تعالى ذكره: فسبحوا الله أيها الناس: أي: صلوا له {حِينَ تُمْسُونَ} وذلك صلاة المغرب، {وَحِينَ تُصْبِحُونَ} وذلك صلاة الصبح.(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بأسانيد يقوي بعضها بعضاً) – عن (ابن عباس وغيره): قال: جمعت هاتان الآيتان مواقيت الصلاة (فَسُبْحَانَ الله حِينَ تُمْسُونَ) قال: المغرب والعشاء. (وَحِينَ تُصْبِحُونَ) الفجر (وَعَشِيًّا) العصر (وَحِينَ تُظْهِرُونَ) الظهر.(3)

* * *

قال: الشيخ (محمد الأمين الشنقيطي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- قوله تعالى: {فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (17) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ (18)}.

قد قدمنا في سورة (النساء) في الكلام على قوله تعالى: {إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا}.

أن قوله هنا {فسبحان الله حين تمسون} الآيتين من الآيات التي أشير فيها إلى أوقات الصلاة الخمس.

* * *

قال: الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {17} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ}.

فِيهِ ثَلَاثُ مَسَائِلَ: الْأُولَى- قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَسُبْحَانَ اللَّهِ} الْآيَةَ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

الْأَوَّلُ- أَنَّهُ خِطَابٌ لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْأَمْرِ بِالْعِبَادَةِ وَالْحَضِّ عَلَى الصَّلَاةِ فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ.

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ فِي الْقُرْآنِ، قِيلَ لَهُ: أَيْنَ؟ فَقَالَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ} صَلَاةُ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ.

{وَحِينَ تُصْبِحُونَ} صَلَاةُ الْفَجْرِ، {وَعَشِيًّا} الْعَصْرُ.

{وَحِينَ تُظْهِرُونَ} الظُّهْرُ، وَقَالَهُ (الضَّحَّاكُ)، وَ(سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ). وَعَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) أَيْضًا وَ(قَتَادَةُ): أَنَّ الْآيَةَ تَنْبِيهٌ عَلَى أَرْبَعِ صَلَوَاتٍ: الْمَغْرِبُ وَالصُّبْحُ وَالْعَصْرُ وَالظُّهْرُ، قَالُوا: وَالْعِشَاءُ الْآخِرَةُ هِيَ فِي آيَةٍ أُخْرَى فِي {وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ} {هود: 114}، وَفِي ذِكْرِ أَوْقَاتِ الْعَوْرَةِ.

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) لِلْإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (17).

(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (17)، لِلْإِمَامْ (الطبري).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (84/20).

وَقَالَ: (النَّحَّاس): أَهْلُ التَّفْسِيرِ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ {فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ} فِي الصَّلَوَاتِ.

وَسَمِعْتُ (عَلِيَّ بْنَ سُلَيْمَانَ) يَقُولُ: حَقِيقَتُهُ عِنْدِي: فَسَبِّحُوا الله في الصلوات، لان التسبيح يكون فِي الصَّلَاةِ، وَهُوَ الْقَوْلُ الثَّانِي.

وَالْقَوْلُ الثَّالِثُ- فَسَبِّحُوا اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ،

ذَكَرَهُ الماوردي. وذكر القول الْأَوَّلَ، وَلَفْظُهُ فيه: فَصَلُّوا لِلَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ.

وَفِي تَسْمِيَةِ الصَّلَاةِ بِالتَّسْبِيحِ وَجْهَانِ:

أَحَدُهُمَا- لِمَا تَضَمَّنَهَا مِنْ ذِكْرِ التَّسْبِيحِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ. الثَّانِي- مَأْخُوذٌ مِنَ السُّبْحَةِ وَالسُّبْحَةُ الصَّلَاةُ، وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (تَكُونُ لَهُمْ سُبْحَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) أَيْ: صلاة.

الثَّانِيَةُ- قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ} اعتراض بين الكلام بدؤوب الْحَمْدِ عَلَى نِعَمِهِ وَآلَائه.(1)

* * *

[١٨] ﴿ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وله وحده سبحانه الثناء" في السماوات يحمده ملائكته، وفي الأرض تحمده خلائقه، وسبِّحوه حين تدخلون في العشي وهو وقت صلاة العصر، وسبِّحوه حين تدخلون في وقت الظهر.(2)

* * *

وله -سبحانه- الحمد والثناء في السموات والأرض وفي الليل والنهار.(3)

* * *

والله - وحده - هو الحقيق بالحمد والثناء والشكر من أهل السموات والأرض، فاحمدوه واعبدوه فى العشى، وحين تدخلون فى الظهيرة.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ} ... وله الحمد من جميع خلقه دون غيره.

(أي: وهو المحمود دون سواه في السموات والأرض).

{فِي السَّمَوَاتِ} ... من سكانها من الملائكة،

{وَالأَرْضِ} ... من أهلها، من جميع أصناف خلقه فيها،

{وَعَشِيًّا} ... أي: حين تدخلون في العشي وفيه صلاة الظهر.

(أي: وسبِّحوه أيضا عشيا، وذلك صلاة العصر).

{وَحِينَ تُظْهِرُونَ} ... وحين تَدْخلون في وقت الظهر.

{تُظْهِرُونَ} ... تَدْخُلُونَ وَقْتَ الظَّهِيرَةِ.

* * *

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (17)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (406/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (406/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (604/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

الدليل و البرهان و الحجّة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- (سُورَةُ الرُّومِ) الآية {18} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْض} الشُّكْر وَالطَّاعَة على أهل السَّموَات وَالْأَرْض {وَعَشِيّاً} وَهِي صَلَاة الْعَصْر {وَحِينَ تُظْهِرُونَ} وَهِي صَلَاة الظّهْر. (1)

* * *

قال: الإمَام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {18} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْض} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): يَحْمَدُهُ أَهْلُ السَّمَاوَات وَالْأَرْض وَيُصَلُّونَ لَهُ،

{وَعَشِيًّا} أي: صلوا له عَشِيًا، يَعْنِي: صَلَاةَ الْعَصْرِ،

{وَحِينَ تُظْهِرُونَ} تدخلون في الظهيرة وهو الظُّهْر، قَالَ: (نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَق لابن عباس): هَل تجد صلاة الْخَمْسَ فِي الْقُرْآنِ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَقَرَأَ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ، وَقَالَ: جَمَعَت الآية صلاة الخمس ومواقيتها. (2)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {18} {وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْض} يخبر تعالى أن له الحمد مستحقا لها دون سائر خلقه في السموات والأرض.

وقوله: {وَعَشِيّاً} (3) معطوف على قوله: {حِينَ تُصْبِحُونَ} أي: وسبحوه في العشي. وهي صلاة العصر {وَحِينَ تُظْهِرُونَ} أي: وسبحوه حين تدخلون في الظهيرة وهي صلاة الظهر. (4)

* * *

قال: الإمَام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {18} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ}.

ثُمَّ اعْتَرَضَ بِحَمْدِه، مُنَاسَبَةً لِلتَّسْبِيحِ وَهُوَ التَّحْمِيدُ، فَقَالَ: {وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّموَاتِ وَالأرْضِ} أَيْ: هُوَ الْمَحْمُودُ عَلَى مَا خَلَقَ فِي السموات وَالْأَرْضِ.

ثُمَّ قَالَ: {وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ} فَالْعَشَاءُ هُوَ: شِدَّةُ الظَّلَامِ، وَالْإِظْهَارُ: قُوَّةُ الضِّيَاءِ. فَسُبْحَانَ خَالِقِ هَذَا وَهَذَا، فَالِقِ الْإِصْبَاحِ وَجَاعِلِ اللَّيْلِ سَكَنًا،

كَمَا قَالَ: {وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاهَا. وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا} {الشَّمْسِ: 3، 4}،

وَقَالَ: {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى. وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى} {اللَّيْلِ: 1، 2}،

وَقَالَ: {وَالضُّحَى. وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى} {الضُّحَى: 1، 2}، وَالْآيَاتُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ. (5)

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (18) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَام (البغوي) سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (18).

(3) - العشي والعشية من صلاة العصر إلى غروب الشمس حسب دلالة الآية لتدخل صلاة العصر والإمساء: تدخل فيه صلاة المغرب والعشاء والصبح في الإصباح والظهر في الظهيرة.

(4) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (18) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (18).

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّوم} الآية {18} قوله تعالى: {ولهُ الحَمْدُ في السَّموَاتِ والأرْضِ} يقول: وله الحمد من جميع خلقه دون غيره.

{في السَّموَاتِ} من سكانها من الملائكة،

{والأرْضَ} من أهلها، من جميع أصناف خلقه فيها،

{وعَشيًّا} يقول: وسَبِّحوه أيضا عشيا، وذلك صلاة العصر.

{وحِينَ تُظْهِرُونَ} يقول: وحين تدْخلون في وقت الظهر.(1)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّوم} الآية {18} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّماوات وَالْأَرْضِ} اعتراض بين الكلام بدؤوب الْحَمْدِ عَلَى نعمه وَآلَائه.

يعني:- مَعْنَى {وَلَهُ الْحَمْدُ} أي: الصَّلَاةُ لَهُ لاختصاصها بِقِرَاءَةِ الْحَمْدِ.

وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ، فَإِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ مِنْ نَوْعِ تَعْظِيمِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْحَضِّ عَلَى عِبَادَتِهِ وَدَوَامِ نِعْمَتِهِ، فَيَكُونُ نَوْعًا آخَرَ خِلَافَ الصَّلَاةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَبَدَأَ بِصَلَاةِ الْمَغْرِبِ لِأَنَّ اللَّيْلَ يَتَقَدَّمُ النَّهَارَ. وَفِي سُورَةِ" سُبْحَانَ" بَدَأَ بِصَلَاةِ الظُّهْرِ إِذْ هِيَ أَوَّلُ صَلَاةٍ صَلَّاهَا جِبْرِيلُ بِالنَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. الْمَاوَرْدِيُّ: وَخَصَّ صَلَاةَ اللَّيْلِ بِاسْمِ التَّسْبِيحِ وَصَلَاةَ النَّهَارِ بِاسْمِ الْحَمْدِ لِأَنَّ لِلْإِنْسَانِ فِي النَّهَارِ مُتَقَلَّبًا فِي أَحْوَالٍ تُوجِبُ حَمْدَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهَا، وَفِي اللَّيْلِ عَلَى خَلْوَةٍ تُوجِبُ تَنْزِيهَ اللَّهِ مِنَ الْأَسْوَاءِ فِيهَا، فَلِذَلِكَ صَارَ الْحَمْدُ بِالنَّهَارِ أَخَصَّ فَسُمِّيَتْ بِهِ صَلَاةُ النَّهَارِ، وَالتَّسْبِيحُ بِاللَّيْلِ أَخَصُّ فَسُمِّيَتْ بِهِ صَلَاةُ اللَّيْلِ.

الثَّالِثَةُ- قَرَأَ (عِكْرِمَةُ) " حِينًا تُمْسُونَ وَحِينًا تُصْبِحُونَ" وَالْمَعْنَى: حِينًا تُمْسُونَ فِيهِ وَحِينًا تُصْبِحُونَ فِيهِ، فَحَذَفَ" فِيهِ" تَخْفِيفًا، وَالْقَوْلُ فِيهِ كَالْقَوْلِ فِي {وَاتَّقُوا يَوْماً لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً} {البقرة: 48}.

{وَعَشِيًّا} قَالَ: (الْجَوْهَرِيُّ): الْعَشِيُّ وَالْعَشِيَّةُ مِنْ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ إِلَى الْعَتَمَةِ، تَقُولُ: أَتَيْتُهُ عَشِيَّةَ أَمْسِ وَعَشِيَّ أَمْسِ. وَتَصْغِيرُ الْعَشِيِّ: عُشَيَّانٌ، عَلَى غَيْرِ قِيَاسِ مُكَبَّرِهِ، كَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا عَشْيَانًا، وَالْجَمْعُ عُشَيَّانَاتٌ.

وَقِيلَ أَيْضًا فِي تَصْغِيرِهِ: عُشَيْشِيَانٌ، وَالْجَمْعُ عُشَيْشِيَاتٌ. وَتَصْغِيرُ الْعَشِيَّةِ عُشَيْشِيَةٌ، وَالْجَمْعُ عُشَيْشِيَاتٌ. وَالْعِشَاءُ بِالْكَسْرِ وَالْمَدِّ مِثْلُ الْعَشِيِّ. وَالْعِشَاءَانِ الْمَغْرِبُ وَالْعَتَمَةُ. وَزَعَمَ قَوْمٌ أَنَّ الْعِشَاءَ مِنْ زَوَالِ الشَّمْسِ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ، وَأَنْشَدُوا:

غَدَوْنَا غَدْوَةً سَحَرًا بِلَيْلٍ ... عشاء بعد ما انتصف النهار.

الْمَاوَرْدِيُّ: وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْمَسَاءِ وَالْعِشَاءِ: أَنَّ الْمَسَاءَ بُدُوُّ الظَّلَامِ بَعْدَ الْمَغِيبِ، وَالْعِشَاءَ آخِرُ النَّهَارِ عِنْدَ مَيْلِ الشَّمْسِ لِلْمَغِيبِ، وَهُوَ

---

(1) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (18)، للإِمَامْ (الطبري)،

مَـأْخُوذٌ مِـنْ عَشَـا الْعَـيْنِ وَهُـوَ نَقْـصُ النُّـورِ مِـنَ النَّاظِرِ كنقص نور الشمس. (1)

* * *

[١٩] ﴿ يُـأخرج الْحَـيَّ مِـنَ الْمَيِّـتِ وَيُـأخرج الْمَيِّـتَ مِـنَ الْحَـيِّ وَيُحْـيِي الْـأَرْضَ بَعْـدَ مَوْتِهَـا وَكَـذَٰلِكَ تُـأخرجونَ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يُـأخرج الحـي مـن الميـت، مثـل إخراجـه الإنسـان مـن النطفـة، والفـرخ مـن البيضـة، ويُـأخرج الميـت مـن الحـي، مثـل إخراجـه النطفـة مـن الإنسـان، والبيضـة مـن الدجاجـة، ويحيـي الأرض بعـد جفافهـا بـإنزال المطـر وإنباتهـا، ومثـل إحيـاء الأرض بإنباتهـا تـأخرجون مـن قبوركم للحساب والجزاء. (2)

* * *

يخـرج الله الحـي مـن الميـت كالإنسـان مـن النطفـة والطـير مـن البيضـة، ويخـرج الميت مـن الحـي، كالنطفـة مـن الإنسـان والبيضـة مـن الطـير. ويحيـي الأرض بالنبـات بعـد يُبسـها وجفافهـا، ومثـل هـذا الإحيـاء تخرجـون -أيهـا النـاس- مـن قبـوركم أحيـاء للحسـاب والجزاء. (3)

* * *

يُخـرج الكـائن الحـى مـن شـئ لا حيـاة فيـه، ويُخـرج الشـئ الـذى لا حيـاة فيـه مـن الكـائن الحـى، ويُحيـى الأرض بالنبـات بعـد يبسـها، ومثـل هـذا الإخـراج يُخـرجكم الله مـن قبـوركم. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{يخـرج الحـي مـن الميـت} .... أي: يخـرج الإنسان الحي من النطفة وهي ميتة.

{ويخـرج الميـت مـن الحـي} ..... أي: يخـرج النطفـة مـن الإنسـان الحـي والبيضـة الميتـة مـن الدجاجة الحيّة.

{ويحيـي الأرض بعـد موتهـا} .... أي: يحييهـا بـالمطر فتحيـا بالنبـات بعـدما كانـت يابسـة ميتة.

{وكـذلك تخرجـون} ..... أي: مـن قبـوركم أحياء بعدما كنتم ميتين.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسـير ابـن عبـاس) - قـال: الإِمَـامُ (مجـد الـدين الفـيروز آبـادى) - (رحمـه الله):- {سُـورَةُ الـرُّومِ} الآيـة {19} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {يُخْـرِجُ الْحَـيّ مِـنَ الْمَيِّـت} النَّسمَة وَالـدَّوَاب مـن النُّطْفَـة وَالطـير مــن الْبَيْضَــة وَالنَّخْـل مـن النـواة {وَيُخْـرِجُ الْمَيِّـتَ مِـنَ الْحَـيِّ} النُّطْفَـة مـن النَّسمَة وَالـدَّوَاب وَالْبيـض مـن الطـير والنـواة مـن النّخل {وَيُحْيِـي الْأَرْض بَعْـدَ مَوْتِهَـا} بعـد قحطهـا ويبوسـتها {وَكَـذَٰلِكَ تُخْرَجُـونَ} يَقُـول هَكَـذَا تحيون و تخرجون من الْقُبُور. (5)

---

(1) انظـر: تفسـير (القـرطبي) = (الجـامع لأحكـام القـرآن) في سُـورَةُ (الـرُّومِ) الآية (18)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) انظـر: (المختصـر في تفسـير القـرآن الكـريم) (406/1). تصـنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظـر: (التفسـير الميسـر) بـرقم (406/1)، المؤلـف: (نخبـة مـن أسـاتذة التفسير).

(4) انظـر: (المنتخـب في تفسـير القـرآن الكـريم) بـرقم (605/1)، المؤلـف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) انظـر: (تنـوير المقبـاس مـن تفسـير ابـن عبـاس) في سُـورَةُ (الـرُّومِ) الآيـة (19) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّوم} الآية {19} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ}.

قَرَأَ (حَمْزَةُ)، وَ(الْكِسَائِيُّ): (تَخْرُجُونَ) بِفَتْحِ التَّاءِ وَضَمِّ الرَّاءِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: بِضَمِّ التَّاءِ وَفَتْحِ الرَّاءِ.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّوم} الآية {19} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ} كما يخرج النبات من الأرض الميتة والسنبلة من الحبة والشجرة من النواة والفرخ من البيضة والمؤمن من الكافر، ونحو ذلك.

{وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ} بعكس المذكور.

{وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} فينزل عليها المطر وهي ميتة هامدة فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج.

{وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ} من قبوركم.

فهذا دليل قاطع وبرهان ساطع أن الذي أحيا الأرض بعد موتها فإنه يحيي الأموات، فلا فرق في نظر العقل بين الأمرين ولا موجب لاستبعاد أحدهما مع مشاهدة الآخر.(2)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّوم} الآية {19} قوله تعالى: {وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} يخبر تعالى أن له الحمد مستحقا لها دون سائر خلقه في السموات والأرض.

وقوله: {وَعَشِيّاً}(3) معطوف على قوله: {حِينَ تُصْبِحُونَ} أي: وسبحوه في العشي. وهي صلاة العصر {وَحِينَ تُظْهِرُونَ} أي: وسبحوه حين تدخلون في الظهيرة وهي صلاة الظهر.

وقوله تعالى: {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ}(4) أي: ومن مظاهر الجلال والكمال الموجبة لحمده وطاعته والمقتضية لقدرته على بعث عباده ومحاسبتهم ومجازاتهم أنه يخرج الحي كالإنسان من النطفة والطير من البيضة والمؤمن من الكافر.

{وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ} كالنطفة من الإنسان والبيضة من الدجاجة وسائر الطيور التي تبيض.

وقوله: {وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} أي: ومن مظاهر وجوده وقدرته وعلمه ورحمته أيضاً أنه يحيي الأرض بالمطر بعد موتها بالجدب والقحط فإذا هي رابية تهتز بأنواع النباتات والزروع.

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (الرُّوم) الآية (19).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (19)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) - العشي والعشية من صلاة العصر إلى غروب الشمس حسب دلالة الآية لتدخل صلاة العصر والإمساء: تدخل فيه صلاة المغرب والعشاء والصبح في الإصباح والظهر في الظهيرة.

(4) - كون النطفة تحمل حيوانات منوية لا يتنافى مع إطلاق الموت عليها إذ المراد من الموت الذي يوصف به الشيء كما وصفت الأرض بالموت إذا يبست ولم يكن بها بنات، وحبة البر والشعير بالموت إذ الحياة تحدث للأرض بعد نزول المطر عليها والحبة بعد تفاعلها مع التربة الثرية وكذا النطفة تحمل مادة الحياة كالأرض والحبة ولا تظهر فيها إلا بعد تفاعلها الخاص في الرحم.

وقولـه: {وَكَـذَلِكَ تُخْرَجُـونَ}[1] أي: وكإخراج الحي من الميت والميت من الحي وكإحيائه الأرض بعد موتها: يحييكم ويخرجكم من قبوركم للحساب والجزاء إذ القادر على الأول قادر على الثاني. ولا فرق. (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {19} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ} هُوَ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ قُدْرَتِهِ عَلَى خَلْقِ الْأَشْيَاءِ الْمُتَقَابِلَةِ. وَهَذِهِ الْآيَاتُ الْمُتَتَابِعَةُ الْكَرِيمَةُ كُلُّهَا مِنْ هَذَا النَّمَطِ، فَإِنَّهُ يَذْكُرُ فِيهَا خَلْقَهُ الْأَشْيَاءَ وَأَضْدَادَهَا، لِيَدُلَّ خَلْقُهُ عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ، فَمِنْ ذَلِكَ إِخْرَاجُ النَّبَاتِ مِنَ الْحَبِّ، وَالْحَبِّ مِنَ النَّبَاتِ، وَالْبَيْضِ مِنَ الدَّجَاجِ، وَالدَّجَاجِ مِنَ الْبَيْضِ، وَالْإِنْسَانِ مِنَ النُّطْفَةِ، وَالنُّطْفَةِ مِنَ الْإِنْسَانِ، وَالْمُؤْمِنِ مِنَ الْكَافِرِ، وَالْكَافِرِ مِنَ الْمُؤْمِنِ.

وَقَوْلُهُ: {وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} كَقَوْلِهِ: {وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ. وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ} {يس: 33، 34}.

وَقَالَ: {وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ. ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ} {الْحَجِّ: 5 -7}.

وَقَالَ: {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنزلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} {الْأَعْرَافِ: 57} " وَلِهَذَا قَالَ هَاهُنَا: {وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ}. (3)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {19} قوله تعالى: {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ}.

يقول تعالى ذكره: صَلّوا في هذه الأوقات التي أمركم بالصلاة فيها أيها الناس، الله الذي يخرج الحيّ من الميت، وهو الإنسان الحيّ من الماء الميت، ويخرج الماء الميت من الإنسان الحيّ.

{وَيُحيِي الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} فينبتها، ويخرج زرعها بعد خرابها وجدوبها.

{وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ} يقول: كما يحيي الأرض بعد موتها، فيخرج نباتها وزرعها، كذلك يحييكم من بعد مماتكم، فيخرجكم أحياء من قبوركم إلى موقف الحساب.

---

(1) - في هذا دليل على مشروعية القياس وصحته، وجه القياس في الآية هو قياس المعاد على الخلق الأول والإيجاد.

(2) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (19) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامُ (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (19).

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن (ابن عباس) قوله: {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ} قال: يخرج من الإنسان ماء ميتا فيخلق منه بشرا، فذلك الميت من الحي، ويخرج الحي من الميت، فيعني بذلك أنه يخلق من الماء بشرًا فذلك الحي من الميت. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

(بسنده الحسن)- حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن (قتادة)، عن (الحسن) قوله: {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ} المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، وأبو معاوية عن الأعمش، عن (إبراهيم)، عن (عبد الله): {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ} قال: النُّطفة ماء الرجل ميتة وهو حيّ، ويخرج الرجل منها حيا وهي ميتة. (3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

(بسنده الحسن)- عن (قتادة): عن (الحسن): قوله: {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ} المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن. (4)

* * *

وانظر: سورة – (آل عمران) – آية (27). – كما قال تعالى: {تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}.

* * *

قال: الإمام (القُرطبي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {19} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ}.

بَيَّنَ كَمَالَ قُدْرَتِهِ، أَيْ: كَمَا أَحْيَا الْأَرْضَ بِإِخْرَاجِ النَّبَاتِ بَعْدَ هُمُودِهَا، كَذَلِكَ يُحْيِيكُمْ بِالْبَعْثِ. وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى صِحَّةِ الْقِيَاسِ، وَقَدْ مَضَى فِي {آل عمران} بيان {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ} {آل عمران: 27}. (5)

* * *

[٢٠] ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ومن آيات الله العظيمة الدالة على قدرته ووحدانيته: أن خلقكم -أيها الناس- من تراب حين خلق أباكم من طين، ثم إذا أنتم

(1) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةِ (الرُّوم) الآية (19)، للإمام (الطبري).

(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةِ (الرُّوم) الآية (19).

(3) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةِ (الرُّوم) الآية (19).

(4) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةِ (الرُّوم) الآية (19).

(5) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سُورَةِ (الرُّوم) الآية (19)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

بشر تتكاثرون بالتناسل، وتنتشرون في مشارق الأرض ومغاربها.(1)

* * *

ومن آيات الله الدالة على عظمته وكمال قدرته أن خلق أباكم آدم من تراب، ثم أنتم بشر تتناسلون منتشرين في الأرض، تبتغون من فضل الله.(2)

* * *

ومن الدلائل على كمال قدرته أن خلق أصلكم من تراب لا حياة فيه، ثم أنتم بشر تتفرقون فى الأرض للسعى فى تحصيل ما به بقاؤكم.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَمِنْ آيَاتِهِ} .... أي: ومن أدلة قدرته وعلمه وحكمته المقتضية لبعثكم بعد موتكم.

{أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ} ..... أي: خلقه إياكم من تراب، وذلك بخلق آدم الأب الأول.

{ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ} ... ثم إذا أنتم معشر ذرّية من خلقناه من تراب.

{بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ} ... تتصرفون.

{تَنْتَشِرُونَ} .... أي: في الأرض بشراً تعمرونها.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {20} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْ آيَاتِهِ} من علامات وحدانيته وقدرته ونبوة رَسُوله {أَنْ خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ} من آدم وآدم من تراب وَأَنْتُم أَوْلَاده {ثُمَّ إِذَآ أَنتُمْ بَشَرٌ} نسم {تَنتَشِرُونَ} تتمتعون على وجه الأَرْض.(4)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {20} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ} أَيْ: خَلَقَ أَصْلَكُمْ يَعْنِي آدَمَ مِنْ تُرَابٍ،

{ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ} تَنْبَسِطُونَ فِي الْأَرْضِ.(5)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {20} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ}.

هذا شروع في تعداد آياته الدالة على انفراده بالإلهية وكمال عظمته، ونفوذ مشيئته وقوة اقتداره وجميل صنعه وسعة رحمته وإحسانه فقال: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ} وذلك بخلق أصل النسل آدم عليه السلام.

{ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ} أي: الذي خلقكم من أصل واحد ومادة واحدة وبثكم في أقطار الأرض وأرجائها ففي ذلك آيات على

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (406/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (406/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (605/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (20) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(5) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامُ (البغوي) سُورَةُ (الرُّوم) الآية (20).

أن الذي أنشأكم من هذا الأصل وبثكم في أقطار الأرض هو الرب المعبود الملك المحمود والرحيم الودود الذي سيعيدكم بالبعث بعد الموت.(1)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {20} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ} أي: ومن آياته الدالة على وجوده وعلمه وقدرته المستوجبة لعبادته وحده والمقررة لقدرته على البعث والجزاء خَلْقُه للبشرية من تراب (2) إذ خلق أباها الأول آدم عليه السلام من تراب، وخلق حواء زوجه من ضلعه ثم خلق باقي البشرية بطريقة التناسل. فإذا هي كما قال سبحانه وتعالى: بشر ينتشرون (3) في الأرض متفرقين في أقطارها يعمرونها بإذنه تعالى.(4)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {20} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ}.

يَقُولُ تَعَالَى: {وَمِنْ آيَاتِهِ} الدَّالَّةِ عَلَى عَظَمَتِهِ وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ أَنَّهُ خَلَقَ أَبَاكُمْ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ،

{ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ}، فَأَصْلُكُمْ مِنْ تُرَابٍ،

ثُمَّ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ،

ثُمَّ تَصَوَّرَ فَكَانَ عَلَقَةً،

ثُمَّ مُضْغَةً،

ثُمَّ صَارَ عِظَامًا، شَكْلُهُ عَلَى شَكْلِ الْإِنْسَانِ،

ثُمَّ كَسَا اللَّهُ تِلْكَ الْعِظَامَ لَحْمًا،

ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ، فَإِذَا هُوَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ.

ثُمَّ خَرَجَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ صَغِيرًا ضَعِيفَ الْقُوَى وَالْحَرَكَةِ،

ثُمَّ كُلَّمَا طَالَ عُمْرُهُ تَكَامَلَتْ قُوَاهُ وَحَرَكَاتُهُ حَتَّى آلَ بِهِ الْحَالُ إِلَى أَنْ صَارَ يَبْنِي الْمَدَائِنَ وَالْحُصُونَ، وَيُسَافِرُ فِي أَقْطَارِ الْأَقَالِيمِ، وَيَرْكَبُ مَتْنَ الْبُحُورِ، وَيَدُورُ أقطارَ الْأَرْضِ وَيَتَكَسَّبُ وَيَجْمَعُ الْأَمْوَالَ، وَلَهُ فِكْرَةٌ وَغَوْرٌ، وَدَهَاءٌ وَمَكْرٌ، وَرَأْيٌ وَعِلْمٌ، وَاتِّسَاعٌ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كُلٌّ بِحَسَبِهِ. فَسُبْحَانَ مَنْ أَقْدَرَهُمْ وَسَيَّرَهُمْ وَسَخَّرَهُمْ وَصَرَّفَهُمْ فِي فُنُونِ الْمَعَايِشِ وَالْمَكَاسِبِ، وَفَاوَتَ بَيْنَهُمْ فِي الْعُلُومِ وَالْفِكْرَةِ، وَالْحُسْنِ وَالْقُبْحِ، وَالْغِنَى وَالْفَقْرِ، وَالسَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ" وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ}.

* * *

وَقَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ): حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ وَغُنْدَر، قَالَا حَدَّثَنَا عَوْفٌ، عَنْ قَسَامَةَ

---

(1) انظُر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (20)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) - ووجه آخر للخلق من تراب وهو أن النطف التي هي أصل خلق الإنسان بعد الأبوين آدم وحواء قد تكونت من الغذاء، وأن الغذاء قد تكون من نبات الأرض، وأن نبات الأرض مشتمل على الأجزاء الترابية التي أنبتته فبهذا كان تكوين الإنسان من تراب فكان آية وأمر آخر هو أن التراب بارد يابس، وهو طبع الموت وطبع الحياة الحرارة والرطوبة، فمن ذلك البارد اليابس ينشأ المخلوق الحي الرطب فسبحان الخلاق العليم.

(3) - الانتشار الظهور والتفرق هنا وهناك في البلاد والأقطار تعملون سامعين مبصرين منكم الصالح ومنكم خلافه وهو الفاسد.

(4) انظُر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (20) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

بْنِ زُهَيْرٍ، عَنْ (أَبِي مُوسَى) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم-: ((إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الْأَرْضِ، جَاءَ مِنْهُمُ الْأَبْيَضُ وَالْأَحْمَرُ وَالْأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ، وَالسَّهْلُ وَالْحَزْنُ، وَبَيْنَ ذَلِكَ)).

وَرَوَاهُ (أَبُو دَاوُدَ)، وَ(التِّرْمِذِيُّ)- مِنْ طُرُقٍ-، عَنْ عَوْفٍ الْأَعْرَابِيِّ، بِهِ.(1)

وَقَالَ: (التِّرْمِذِيُّ): هَذَا حَدِيثٌ (حَسَنٌ صَحِيحٌ).(2)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- ﴿سُورَةُ الرُّومِ﴾ الآيةُ ﴿20﴾ قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾. يقول تعالى ذكره: ومن حُجَجه على أنه القادر على ما يشاء أيها الناس من إنشاء وإفناء، وإيجاد وإعدام، وأن كل موجود فخلقه خلقة أبيكم من تراب، يعني بذلك خلق آدم من تراب، فوصفهم بأنه خلقهم من تراب، إذ كان ذلك فعله بأبيهم آدم كنحو الذي قد بيَّنا فيما مضى من خطاب العرب من خاطبت بما فعلت بسلفه من قولهم: فعلنا بكم وفعلنا.

وقوله: ﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ يقول: ثم إذا أنتم معشر ذريّة من خلقناه من تراب. ﴿بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾، يقول: تتصرفون.(3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن)- حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن (قتادة): ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ خلق آدم عليه السلام من تراب ﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ يعني: ذريته.(4)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- ﴿سُورَةُ الرُّومِ﴾ الآيةُ ﴿20﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ أَيْ: مِنْ عَلَامَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ، أَيْ خَلَقَ أَبَاكُمْ مِنْهُ وَالْفَرْعُ كَالْأَصْلِ، ﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ عُقَلَاءُ نَاطِقُونَ تَتَصَرَّفُونَ فِيمَا هُوَ قِوَامُ مَعَايِشِكُمْ، فَلَمْ يَكُنْ لِيَخْلُقَكُمْ عَبَثًا، وَمَنْ قَدَرَ عَلَى هَذَا فَهُوَ أَهْلٌ لِلْعِبَادَةِ وَالتَّسْبِيحِ.(5)

* * *

انظر: حديث (أبي موسى)

كما قال: الإمام (أحمد بن حنبل) - (رحمه الله) - في (المسند):- قال محمد بن سعد. أخبرنا هوذة بن خليفة، أخبرنا عوف عن قسامة بن زهير قال سمعت (أبا موسى الأشعري) يقول: قال: رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((إن

---

(1) (صحيح): وأخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (400/4).
وأخرجه الإمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (4693) – (كتاب: السنة).
وأخرجه الإمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (2955) – (كتاب: تفسير القرآن).
و(صححه) الإمَامُ (الألباني) في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) برقم (1630).
و(صححه) الشيخ (مقبل بن هادي الوادعي): في (الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين) برقم (819).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامِ (ابن كثير) في سُورَةِ (الرُّوم) الآية (20).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةِ (الرُّوم) الآية (20)، للإمَامِ (الطبري).
(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةِ (الرُّوم) الآية (20).
(5) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سُورَةِ (الرُّوم) الآية (20)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والسهل والحزن والخبيث والطيب وبين ذلك)). (1)

* * *

أخرج الإمام (البخاري)، و الإمام (مسلم) – (رحمهما الله) – في (صحيحهما) - (بسندهما):- عن (أبي هريرة) - رضي الله عنه- ، عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((خلق الله آدم وطوله ستون ذراعا، ثم قال: اذهب فسلم على أولئك الملائكة فاستمع ما يحيونك، تحيتك وتحية ذريتك. فقال: السلام عليكم فقالوا: السلام عليك ورحمة الله. فزادوه: ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن)). (2) (3)

(1) أخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (400/4)،و((الطبقات الكبرى) برقم (26/1).
وأخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (2955) – (التفسير - سورة البقرة) عن (يحيى بن سعيد ومحمد بن جعفر عن عوف به).
قال: الإمام (الترمذي): هذا حديث (حسن صحيح).
وأخرجه الإمام (أبو داود) في (السنن) برقم (4693) – (كتاب: السنة)،/ باب: (في القدر)، - من طريق - (يزيد بن زريع ويحيى بن سعيد).
وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (261/2، 262)، من طريق (معمر كلهم عن عوف به)،
و(صححه) الإمام (الحاكم) ، ووافقه الإمام (الذهبي).
و(صححه) الإمام (الألباني) في (السلسلة الصحيحة) برقم (1630) ،
والشيخ (أحمد شاكر) في (تفسير الطبري) (645).
وذكره الإمام (السيوطي) ونسبه إليهم وإلى غيرهم (الدر المنثور (118/1)).

(2) (صحيح): أخرجه الإمام (البخاري) في (صحيحه) برقم (3326) - (كتاب: الأنبياء)، باب: (خلق آدم) ،

(3) (صحيح): أخرجه الإمام (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (2840) – (الجنة وصفة نعيمها)، / باب: (يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير)
.
واللفظ للإمام (البخاري). وذكره الإمام (السيوطي) ونسبه إليهما وإلى غيرهما (الدر المنثور) (118/1)).

* * *

[٢١] ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ومن آياته العظيمة كذلك الدالة على قدرته ووحدانيته أن خلق لأجلكم -أيها الرجال- من جنسكم أزواجًا لتطمئن أنفسكم إليهن للتجانس بينكم، وصَيَّرَ بينكم وبَيْنَهُنَّ محبة وشفقة، إن في ذلك المذكور لبراهين ودلالات واضحة لقوم يتفكرون" لأنهم الذين يستفيدون من إعمال عقولهم. (4)

* * *

ومن آياته الدالة على عظمته وكمال قدرته أن خلق لأجلكم من جنسكم -أيها الرجال- أزواجًا" لتطمئن نفوسكم إليها وتسكن، وجعل بين المرأة وزوجها محبة وشفقة، إن في خلق الله ذلك لآيات دالة على قدرة الله ووحدانيته لقوم يتفكرون، ويتدبرون. (5)

* * *

ومن دلائل رحمته أن خلق لكم - أيها الرجال - زوجات من جنسكم لتألفوهن، وجعل بينكم وبينهن مودة وتراحماً. إن فى ذلك لدلائل لقوم يفكرون فى صنع الله تعالى. (6)

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (406/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،
(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (406/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،
(6) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (605/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا} .... أي: لتسكن نفوسكم إلى بعضكم بعضاً بحكم التجانس في البشرية.

{وجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً} .... أي: محبة ورحمة أي شفقة إذ كل من الزوجين يحب الآخر ويرحمه.

{وجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً} ... جعل بينكم بالمصاهرة والختونة مودة تتوادّون بها، وتتواصلون من أجلها،

{وَرَحْمَةً} ... رحمكم بها، فعطف بعضكم بذلك على بعض.

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} ... يقول تعالى ذكره: إن في فعله ذلك لعبرا وعظات لقوم يتذكرون في حجج الله وأدلته، فيعلمون أنه الإله الذي لا يُعجزه شيء أراده، ولا يتعذّر عليه فعل شيء شاءه.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {21} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْ آيَاتِهِ} من علامات وحدانيته وقدرته {أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً} آدمياً مثلكم {لِتسكنوا إِلَيْهَا} ليسكن الرجل إلى زوجته {وَجَعَلَ بَيْنَكُم} بَين الْمَرْأَة وَالزَّوْج {مَّوَدَّةً} محبَّة للمَرْأَة على الزَّوْج {وَرَحْمَةً} الرجل على الْمَرْأَة أي على زَوجته وَيُقَال مَوَدَّة للصَّغِير على الْكَبِير وَرَحْمَة الْكَبِير على الصَّغِير {إِنَّ فِي ذَلِكَ} فِيمَا ذكرت {لآيَاتٍ} لعلامات وعبراً {لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} فِيمَا خلق الله. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {21} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا} قِيل: مِنْ جِنْسِكُمْ مِنْ بَنِي آدَمَ،

يَعْنِي:- خَلَقَ حَوَّاءَ مِنْ ضِلَعِ آدَمَ.

{لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً} جَعَل بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ الْمَوَدَّةَ وَالرَّحْمَةَ.

فَهُمَا يَتَوَادَّانِ وَيَتَرَاحَمَانِ وَمَا شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى أَحَدِهِمَا مِنَ الْآخَرِ مِنْ غَيْرِ رَحِمٍ بَيْنَهُمَا،

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} فِي عَظَمَةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {21} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْ آيَاتِهِ} الدالة على رحمته وعنايته بعباده وحكمته العظيمة وعلمه المحيط،

{أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا} تناسبكم وتناسبونهن وتشاكلكم وتشاكلونهن.

{لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً} بما رتب على الزواج من الأسباب الجالبة للمودة والرحمة.

فحصل بالزوجة الاستمتاع واللذة والمنفعة بوجود الأولاد وتربيتهم، والسكون إليها، فلا

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (21) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الرُّوم) الآية (21).

تجد بين أحد في الغالب مثل ما بين الزوجين من المودة والرحمة، {إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} يُعملون أفكارهم ويتدبرون آيات الله وينتقلون من شيء إلى شيء. (1)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {21} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا} (2) أي: ومن آياته أي حججه وأدلته الدالة على وجوده وعلمه ورحمته المستوجبة لعبادته وتوحيده فيها والدالة أيضا على قدرته على البعث والجزاء خلقه لكم أيها الناس من أنفسكم أي من جنسكم الآدمي أزواجاً أي زوجات لتسكنوا إليها بعامل التجانس، إذ كل جنس من المخلوقات يطمئن إلى جنسه ويسكن إليه،

وقوله: {وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً} أي: جعل بين الزوجين مودة أي محبة ورحمة أي شفقة إلا إذا ظلم أحدهما الآخر فإن تلك المودة وتلك الرحمة قد ترتفع حتى يرتفع الظلم ويسود العدل والحق.

وقوله تعالى: {إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ} أي: دلائل وحجج واضحة.

{لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} باستعمال عقولهم في النظر والفكر فإنهم يجدون تلك الأدلة على قدرة الله وعلمه ورحمته وكلها مقتضية لتوحيد الله ومحبته وطاعته بفعل محابه وترك مساخطه، مع تقرير عقيدة البعث والجزاء التي أنكرها المجرمون المكذبون. (3)

* * *

قال: الإمام (ابن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {21} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا} أَيْ: خَلَقَ لَكُمْ مِنْ جِنْسِكُمْ إِنَاثًا يَكُنَّ لَكُمْ أَزْوَاجًا،

{لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا}، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا} {الْأَعْرَاف: 189}

يَعْنِي بِذَلِكَ: حَوَّاءَ، خَلَقَهَا اللَّهُ مِنْ آدَمَ مِنْ ضِلَعِهِ الْأَقْصَرِ الْأَيْسَرِ. وَلَوْ أَنَّهُ جَعَلَ بَنِي آدَمَ كُلَّهُمْ ذُكُورًا وَجَعَلَ إِنَاثَهُمْ مَنْ جِنْسٍ آخَرَ مِنْ غَيْرِهِمْ إِمَّا مِنْ جَانٍّ أَوْ حَيَوَانٍ، لَمَا حَصَلَ هَذَا الِائْتِلَافُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْأَزْوَاجِ، بَلْ كَانَتْ تَحْصُلُ نَفْرَةٌ لَوْ كَانَتِ الْأَزْوَاجُ مِنْ غَيْرِ الْجِنْسِ. ثُمَّ مِنْ تَمَامِ رَحْمَتِهِ بِبَنِي آدَمَ أَنْ جَعَلَ أَزْوَاجَهُمْ مِنْ جِنْسِهِمْ، وَجَعَلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُنَّ مَوَدَّةً: وَهِيَ الْمَحَبَّةُ، وَرَحْمَةً: وَهِيَ الرَّأْفَةُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ يُمْسِكُ الْمَرْأَةَ إِمَّا لِمَحَبَّتِهِ لَهَا، أَوْ لِرَحْمَةٍ بِهَا، بِأَنْ يَكُونَ لَهَا مِنْهُ وَلَدٌ، أَوْ مُحْتَاجَةً إِلَيْهِ فِي الْإِنْفَاقِ، أَوْ لِلْأُلْفَةِ بَيْنَهُمَا، وَغَيْرِ ذَلِكَ، {إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}. (4)

* * *

(1) انظر: (تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (21)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) – ضمن لتسكنوا لتميلوا لذا عدي باللام وفي الآية دليل على عدم تزوج الآدمي بغير الآدمية كالجنية إذ لا يحصل الأنس إلا بالجنس والآية تومئ إلى أن أول ارتفاق الرجل بالمرأة سكونه إليها مما فيه من غليان القوة وذلك أن الختانين إذا التقيا هيجا ماء الصلب فإذا نزل حصل السكون ووقف الهيجان كما هو معروف.

(3) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (21) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (21).

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {21} قوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}.

يقول تعالى ذكره: ومن حججه وأدلته على ذلك أيضا خلقه لأبيكم آدم من نفسه زوجة ليسكن إليها، وذلك أنه خلق حوّاء من ضلع من أضلاع آدم. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن)- كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد عن (قتادة): {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا} خلقها لكم من ضلع من أضلاعه. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- وقوله: {وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً} يقول: جعل بينكم بالمصاهرة والختونة مودة تتوادّون بها، وتتواصلون من أجلها، {وَرَحْمَةً} رحمكم بها، فعطف بعضكم بذلك على بعض.

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} يقول تعالى ذكره: إن في فعله ذلك لعبرا وعظات لقوم يتذكرون في حجج الله وأدلته، فيعلمون أنه الإله الذي لا يُعجزه شيء أراده، ولا يتعذّر عليه فعل شيء شاءه. (3)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا إسحاق بن نصر، حدثنا حسين الجعفي، عن زائدة، عن ميسرة، عن أبي حازم، عن (أبي هريرة) - رضي الله عنه -، عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن خلقن من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً)). (4)

* * *

[٢٢] ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ومن آياته العظيمة الدالة على قدرته ووحدانيته: خلق السماوات وخلق الأرض، ومنها اختلاف لغاتكم، واختلاف ألوانكم، إن في ذلك المذكور لبراهين ودلالات لأهل العلم والبصيرة. (5)

* * *

ومن دلائل القدرة الربانية: خَلْقُ السموات وارتفاعها بغير عمد، وخَلْقُ الأرض مع اتساعها وامتدادها، واختلافُ لغاتكم

---

(1) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (21)، للإمامْ (الطبري)،

(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (21)، للإمامْ (الطبري)،

(3) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (21)، للإمامْ (الطبري)،

(4) (صحيح): أخرجه الإمام (البخاري) في (صحيحه) برقم (9/160-161) ح(5185-5186) - (كتاب: النكاح)، / باب: (الوصاة بالنساء).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/406). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

وتبـاينُ ألـوانكم، إن في هـذا لَعـبرة لكـل ذي علم وبصيرة.(1)

* * *

ومـن الـدلائل علـى كمـال قدرتـه وحكمتـه خلـق السـموات والأرض علـى هـذا النظـام البـديع، واخـتلاف ألسـنتكم فـى اللغـات واللـهجات، وتبـاين ألـوانكم فـى السـواد والبيـاض وغيرهمـا. إن فـى ذلـك لـدلائل ينتفـع بهـا أهـل العلم والفهم.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{ومـن آياتـه} .... أي: حججـه وبراهينـه الدالة على قدرته على البعث والجزاء.

{واخْـتِلافُ أَلْسِـنَتِكُمْ} ... أي: لغـاتكم مـن عربيـة وعجميـة والعجميـة بينهـا اخـتلاف كثير.

(أي: واختلاف منطق ألسنتكم ولغاتها).

{وَأَلْوَانِكُمْ} ... واختلاف ألوان أجسامكم.

(أي: مـن أبـيض وأصـفر وأحمـر وأسـود والكـل أبناء رجل واحد وامرأة واحدة).

{إِنَّ فِـي ذَلِـكَ لَآيَـاتٍ لِلْعَـالِمِينَ} .... إن في فعلـه ذلـك كـذلك لعـبرا وأدلـة لخلقـه الـذين يعقلـون أنـه لا يعييـه إعـادتهم لهيئـتهم الـتي كـانوا بها قبل مماتهم من بعد فنائهم،

{لِلْعَـالِمِينَ} ... جَمْـعُ عَـالِم، وَهُـمْ ذوو العِلْـم وَالبَصِيرَة.

{للعـالمين} .... أي: للعقـلاء علـى قـراءة للعـالمين (3) بفـتح الـلام، ولأولـي العلـم علـى قراءة كسر اللام.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسـير ابـن عبـاس) - قـال: الإِمَـامُ (مجـد الـدين الفـيروز آبـادى) - (رحمـه الله):- {سُـورَةُ الـرُّومِ} الآيـة {22} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {وَمِـنْ آيَاتِـه} مـن علاَمَـات وحدانيتـه وَقدرتـه {خَلْـقُ السَّـمَاوَات وَالْـأَرْض وَاخْـتِلاَف أَلْسِـنَتكُمْ} لغـاتكم الْعَرَبِيَّـة والفارسـية وَغـير ذَلِـك {وَأَلْـوَانكُمْ} وَاخْـتِلاَف أَلْـوَان صـوركُمْ الْـأَحْمَر وَالْأسـود وَغـير ذَلِـك {إِنَّ فِـي ذَلِـك} فِيمَـا ذكـرت مـن الـاخْتِلاَف (لآيَـات) لعلامات {لِّلْعَالَمِينَ} الْجِنّ وَالْإِنْس.(4)

* * *

قـال: الإِمَـامُ (البغـوي) - (مُحيـي السُّـنَّة) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- {سُـورَةُ الـرُّومِ} الآيـة {22} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {وَمِـنْ آيَاتِـهِ خَلْـقُ السَّـمَاوَاتِ وَالْـأَرْضِ وَاخْـتِلَافُ أَلْسِـنَتِكُمْ} يَعْنِـي: اخْـتِلَافَ اللُّغَـاتِ مِـنَ الْعَرَبِيَّـةِ والعجمية وغيرهما،

{وَأَلْـوَانِكُمْ} أَبْـيَضَ وَأَسْـوَدَ وَأَحْمَـرَ وَأَنْـتُمْ وَلَـدُ رَجُلٍ وَاحِدٍ وَامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ،

{إِنَّ فِـي ذَلِـكَ لَآيَـاتٍ لِلْعَـالِمِينَ} قَـرَأَ (حَفْـصٌ): (لِلْعَالِمِينَ) بِكَسْرِ اللَّامِ.(5)

---

(1) انظـر: (التفسـير الميسـر) بـرقم (406/1)، المؤلـف: (نخبـة مـن أسـاتذة التفسير)،

(2) انظـر: (المنتخـب في تفسـير القـرآن الكـريم) بـرقم (605/1)، المؤلـف: (لجنة من علماء الأزهر)،

(3) - بـالفتح قـرأ (نـافع): وبالكسـر، قـرأ (حفـص) ولكـل منهمـا متـابع علـى مـا قـرأ والمعنـى واحـد إذ لا يكـون العـالم عالمـاً بـدون عقـل فكـل عـالم عاقـل والعاقـل يهديه عقله إلى أن يعلم فيعلم أيضا.

(4) انظـر: (تنـوير المقبـاس مـن تفسـير ابـن عبـاس) في سُـورَةُ (الـرُّومِ) الآيـة (22) يِنسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(5) انظـر: (مختصـر تفسـير البغـوي = المسـمى بمعـالم التنزيـل) لِلإِمَـامْ (البغوي) سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (22).

* * *

قــال: الإمــام (عبــد الــرحمن بــن ناصــر الســعدي) - (رحمـــــه الله) - في (تفســـــيره):- {سُـــورَةُ الــرُّومِ} الآيــة {22} قَوْلُــهُ تَعَــالَى: {وَمِــنْ آيَاتِــهِ خَلْــقُ السَّــمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْــتِلافُ أَلْسِــنَتِكُمْ وَأَلْــوَانِكُمْ إِنَّ فِــي ذَلِــكَ لآيَــاتٍ لِلْعَالِمِينَ} .

والعَــالِمُون هــم أهــل العلــم الــذين يفهمــون العبر ويتــدبرون الآيــات. والآيــات في ذلــك كــثيرة: فمــن آيــات خلــق الســماوات والأرض ومــا فهمــا، أن ذلــك دال علــى عظمــة ســلطان الله وكمــال اقتــداره الــذي أوجــد هــذه المخلوقــات العظيمــة، وكمــال حكمتــه لمــا فيهــا مــن الإتقــان وســعة علمه، لأن الخالق لا بد أن يعلم ما خلقه.

{أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ} وعمــوم رحمتــه وفضــله لمــا في ذلــك مــن المنــافع الجليلــة، وأنــه المريــد الــذي يختــار مــا يشــاء لمــا فيهــا مــن التخصيصــات والمزايــا، وأنــه وحــده الــذي يســتحق أن يعبــد ويوحــد لأنــه المنفــرد بــالخلق فيجــب أن يفــرد بالعبــادة، فكــل هــذه أدلــة عقليــة نبــه الله العقــول إليهــا وأمرهــا بــالتفكر واســتخراج العبرة منها.

{و} كــــذلك في {اخْــــتِلافُ أَلْسِــــنَتِكُمْ وَأَلْــوَانِكُمْ} علــى كثــرتكم وتبــاينكم مــع أن الأصــل واحــد ومخــارج الحــروف واحــدة، ومــع ذلــك لا تجــد صــوتين مــتفقين مــن كــل وجــه ولا لــونين متشــابهين مــن كــل وجــه إلا وتجــد مــن الفــرق بــين ذلــك مــا بــه يحصــل التمييــز. وهــذا دال على كمال قدرته، ونفوذ مشيئته.

و مــن عنايتــه بعبــاده ورحمتــه بهــم أن قــدر ذلــك الاخــتلاف لــئلا يقــع التشــابه فيحصــل الاضـطراب ويفـوت كـثير مـن المقاصـد والمطالـب. (1)

* * *

قــال: الشــيخ (أبــو بكــر الجزائــري) - (رحمــه الله) - في (تفســيره):- {سُــورَةُ الــرُّومِ} الآيــة {22} قَوْلُــهُ تَعَــالَى: {وَمِــنْ آيَاتِــهِ خَلْــقُ السَّــمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْــتِلافُ أَلْسِــنَتِكُمْ وَأَلْــوَانِكُمْ إِنَّ فِــي ذَلِــكَ لآيَــاتٍ لِلْعَالِمِينَ} .

مــا زال الســياق في تقريــر عقيــدة التوحيــد والبعــث والجــزاء بــذكر الأدلــة والــبراهين العقليــة فقولــه تعــالى: {وَمِــنْ آيَاتِــهِ} أي: حججــه الدالــة علــى قدرتــه علــى البعــث والجــزاء وعلــى وجــوب توحيــده {خَلْــقُ السَّــمَاوَاتِ وَالْــأَرْضِ} فخلــقُ بمعنــى إيجــاد الســموات والأرض ومــا فهمــا ومــا بينهمــا مــن أكــبر الأدلــة وأقواهــا علــى وجــود الله وقدرتــه وعلمــه وحكمتــه وكلــها موجبــة لتوحيــده ومثبتــة لقدرته على البعث والجزاء، مقررة له،

وقولـــــه: {وَاخْـــتِلافُ [(2)] أَلْسِـــــنَتِكُمْ} أي: لغــاتكم مــن عربيــة وعجميــة ولهجــاتكم بحيــث لكــل نــاطق لهجــة تخصــه يتميــز بهــا إذا سمــع صوته عرف بها من بين بلايين البشر،

{وَأَلْــوَانِكُمْ} واخــتلاف ألــوانكم أيهــا البشــر مــن أبــيض إلى أســود ومــن أحمــر إلى أصــفر مــع اخــتلاف الملامــح والســمات بحيــث لا يوجــد

---

(1) انظُــر: (تيســير الكــريم الــرَّحمن في تفســير كــلام المنــان) في سُــورَةُ (الــرُّومِ) الآية (22)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) - قــال (القــرطبي): اللســان في الفــم وفيــه اخــتلاف اللغــات مــن العربيــة والعجميــة والتركيــة والروميــة واخــتلاف الألــوان في الصــورة مــن البيــاض والســواد والحمــرة فــلا تكــاد تــرى أحــداً إلا وأنــت تفــرق بينــه وبــين الآخــر ولــيس هــذه الأشــياء مــن فعــل النطفــة ولا مــن فعــل الأبــوين، فــلا بــد مــن فاعــل فعلــم أن الفاعــل هــو الله تعالى فهذا من أدل دليل على البارئ سبحانه وتعالى.

اثنان من ملايين البشر لا يختلف بعضهما عن بعض حتى لا يتميز أحدهما عن الآخر إن في هذا وذاك.

{لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ} أي لحججا ظاهرة وبراهين قاطعة بعضها للعالمين (1) وذلك البياض والسواد وبعضها للعلماء كاختلاف اللهجات وملامح الوجوه والسمات المميزة الدقيقة والكل أدلة على قدرة الله وعلمه ووجوب عبادته وتوحيده في ذلك مع تقرير عقيدة البعث والجزاء. (2)

* * *

قال: الإِمَامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {22} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ}.

يَقُولُ تَعَالَى: وَمِنْ آيَاتِ قُدْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ {خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ} أي: خلق السموات فِي ارْتِفَاعِهَا وَاتِّسَاعِهَا، وَشُفُوفِ أَجْرَامِهَا وَزَهَارَةِ كَوَاكِبِهَا وَنُجُومِهَا الثَّوَابِتِ وَالسَّيَّارَاتِ، وَالأَرْضَ فِي انْخِفَاضِهَا وَكَثَافَتِهَا وَمَا فِيهَا مِنْ جِبَالٍ وَأَوْدِيَةٍ، وَبِحَارٍ وَقِفَارٍ، وَحَيَوَانٍ وَأَشْجَارٍ.

وَقَوْلُهُ: {وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ} يَعْنِي: اللُّغَاتِ،
فَهَؤُلاءِ بِلُغَةِ الْعَرَبِ،
وَهَؤُلاءِ تَتَرٌ لَهُمْ لُغَةٌ أُخْرَى،
وَهَؤُلاءِ كَرَجٌ، وَهَؤُلاءِ رُومٌ،
وَهَؤُلاءِ إِفْرِنْجٌ،
وَهَؤُلاءِ بَرْبَرٌ،
وَهَؤُلاءِ تَكْرُورٌ،
وَهَؤُلاءِ حَبَشَةٌ،
وَهَؤُلاءِ هُنُودٌ،
وَهَؤُلاءِ عَجَمٌ،
وَهَؤُلاءِ صَقَالِبَةٌ،
وَهَؤُلاءِ خَزَرٌ،
وَهَؤُلاءِ أَرْمَنٌ،
وَهَؤُلاءِ أَكْرَادٌ،
إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لاَ يَعْلَمُهُ إِلاَّ اللَّهُ مِنَ اخْتِلافِ لُغَاتِ بَنِي آدَمَ، وَاخْتِلافَ أَلْوَانِهِمْ وَهِيَ حُلاهُمْ، فَجَمِيعُ أَهْلِ الأَرْضِ -بَلْ أَهْلِ الدُّنْيَا- مُنْذُ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ: كُلٌّ لَهُ عينان وحاجبان، وأنف وجبين، وَفَمٌ وَخَدَّانِ. وَلَيْسَ يُشْبِهُ وَاحِدٌ مِنْهُمُ الآخَرَ، بَلْ لاَ بُدَّ أَنْ يُفَارِقَهُ بِشَيْءٍ مِنَ السَّمْتِ أَوِ الْهَيْئَةِ أَوِ الْكَلامِ، ظَاهِرًا كَانَ أَوْ خَفِيًّا، يَظْهَرُ عِنْدَ التَّأَمُّلِ، كُلُّ وَجْهٍ مِنْهُمْ أُسْلُوبٌ بِذَاتِهِ وَهَيْئَةٌ لاَ تُشْبِهُ الأُخْرَى. وَلَوْ تَوَافَقَ جَمَاعَةٌ فِي صِفَةٍ مِنْ جَمَالٍ أَوْ قُبْحٍ، لاَ بُدَّ مِنْ فَارِقٍ بَيْنَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَبَيْنَ الآخَرِ، {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلعَالَمِينَ}. (3)

* * *

[٢٣] ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾:

تفسير المختصر والمُيسر والمنتخب لهذه الآية:

---

(1) - ذكر العالمين والعلماء في التفسير إشارة إلى القراءتين إذ قرأ (نافع) والجمهور للعالمين بفتح اللام، وقرأ (حفص) بكسر العين للعالمين وهم العلماء.

(2) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (22) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (22).

ومن آياته العظيمة الدالة على قدرته ووحدانيته: نومكم بالليل، ومنامكم بالنهار لتستريحوا من عناء أعمالكم، ومن آياته أن جعل لكم النهار لتنتشروا فيه مبتغين الرزق من ربكم، إن في ذلك المذكور لبراهين ودلالات لقوم يسمعون سماع تدبر وسماع قبول.(1)

* * *

ومن دلائل هذه القدرة أن جعل الله النوم راحة لكم في الليل أو النهار" إذ في النوم حصول الراحة وذهاب التعب، وجعل لكم النهار تنتشرون فيه لطلب الرزق، إن في ذلك لدلائل على كمال قدرة الله ونفوذ مشيئته لقوم يسمعون المواعظ سماع تأمل وتفكر واعتبار.(2)

* * *

ومن آياته الدالة على كمال قدرته أن هيأ لكم أسباب الراحة بمنامكم، ويسَّر لكم طلب الرزق ليلا ونهارا من فضله الواسع. إن في ذلك لدلائل لقوم ينتفعون بما يسمعون.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ} .... ومن حججه عليكم أيها القوم، تقديره الساعات والأوقات، ومخالفته بين الليل والنهار، فجعل الليل لكم سكنا تسكنون فيه، وتنامون فيه، وجعل النهار مضيئا لتصرّفكم في معايشكم والتماسكم فيه من رزق ربكم.

{وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ} ... طَلَبُكُمْ لِلرِّزْقِ في النَّهَارِ.

(أي: طلبكم الرزق بإحضار أسبابه من زراعة و تجارة وصناعة وعمل).

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ} ... إن في فعل الله ذلك كذلك، لعبرا وذكرى وأدلة على أن فاعل ذلك لا يُعجزه شيء أراده.

{لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ} ... مواعظ الله، فيتعظون بها، ويعتبرون فيفهمون حجج الله عليهم.

(أي: سماع تدبر وفهم وإدراك لا مجرد سماع الأصوات).

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {23} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْ آيَاتِهِ} من علامات وحدانية وقدرته {مَنَامُكُم} بيتوتتكم {بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وابتغآؤكم مِّن فَضْلِهِ} من رزقه بِالنَّهَارِ {إِنَّ فِي ذَلِكَ} فِيمَا ذكرت من اللَّيْل وَالنَّهَار (لآيَاتٍ) لعلامات وعبراً {لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ} ويطيعون.(4)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {23} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ} أَيْ: مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (406/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (406/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (605/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (23) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

فَضْلِهِ بِالنَّهَارِ أيْ: تَصَرُّفُكُمْ فِي طَلَبِ الْمَعِيشَةِ، {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ} سَمَاعَ تَدَبُّرٍ وَاعْتِبَارٍ.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {23} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ}.

أي: سماع تدبر وتعقل للمعاني والآيات في ذلك.

إن ذلك دليل على رحمة الله تعالى كما قال: {وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} وعلى تمام حكمته إذ حكمته اقتضت سكون الخلق في وقت ليستريحوا به ويستجموا وانتشارهم في وقت، لمصالحهم الدينية والدنيوية ولا يتم ذلك إلا بتعاقب الليل والنهار عليهم، والمنفرد بذلك هو المستحق للعبادة.(2)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {23} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ} أي ومن آياته الدالة على قدرته على البعث والجزاء منامكم بالليل فالنوم(3) كالموت والانتشار في النهار لطلب الرزق كالبعث بعد الموت فهذه عملية للبعث بعد الموت تتكرر كل يوم وليلة في هذه الحياة الدنيا،

وقوله {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ} أي: في ذلك المذكور من النوم والانتشار لطلب الرزق لدلائل وحجج على قدرة الله على البعث لقوم يسمعون(4) نداء الحق والعقل يدعوهم إلى الإيمان بالبعث والجزاء فيؤمنون فيصبحون يعملون للقاء ربهم ويستجيبون لكل من يدعوهم إلى ربهم ليعبدوه ويتقربوا إليه.(5)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {23} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ} أَيْ: وَمِنَ الْآيَاتِ مَا جُعِلَ لَكُمْ مِنْ صِفَةِ النَّوْمِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فِيهِ تَحْصُلُ الرَّاحَةُ وَسُكُونُ الْحَرَكَةِ، وَذَهَابُ الْكَلَالِ وَالتَّعَبِ، وَجَعَلَ لَكُمُ الِانْتِشَارَ وَالسَّعْيَ فِي الْأَسْبَابِ وَالْأَسْفَارِ فِي النَّهَارِ، وَهَذَا ضِدُّ النَّوْمِ، {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ} أَيْ: يَعُونَ.(6)

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامُ (البغوي) سُورَةُ (الرُّوم) الآية (23).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (23)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) - المنام مصدر ميمي وهو من الأعراض لا من الذوات وأمره عجيب إذ لو قيل لإنسان نم ولك مكافأة أعظم مكافأة لا يقدر على أن ينام إلا على سنة النوم وهو الاسترخاء والاضطجاع وإغماض العينين فترة حتى ينام، ولو شاء الله ما نام كما لو شاء ما هب من نومه.

(4) - اختيار لفظ السماع مع آية النوم فيه إشارة إلى أن النائم يفقد السماع حال نومه بدون إرادته ولا اختياره.

(5) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (23) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامُ (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (23).

* * *

[٢٤] ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ومن آياته العظيمة الدالة على قدرته ووحدانيته: أن يريكم البرق في السماء، ويجمع لكم فيه بين الخوف من الصواعق، والطمع في المطر، وينزل لكم من السماء ماء المطر، فيحيي الأرض بعد جفافها بما ينبت فيها من نبات، إن في ذلك لبراهين ودلالات واضحة لقوم يعقلون، فيستدلون بها على البعث بعد الموت للحساب والجزاء. (1)

* * *

ومن دلائل قدرته سبحانه أن يريكم البرق، فتخافون من الصواعق، وتطمعون في الغيث، وينزل من السحاب مطرًا فيحيي به الأرض بعد جدبها وجفافها، إن في هذا لدليلا على كمال قدرة الله وعظيم حكمته وإحسانه لكل مَن لديه عقل يهتدي به. (2)

* * *

ومن آياته أنه يريكم البرق من خلال السحب لتشعروا بالخوف من الصواعق، وتطمعوا فى المطر أن ينزل من السماء لتحيا به الأرض بعد أن يبست. إن فى ذلك لدلالات لقوم يتدبَّرون الأمور فيفهمونها على وجهها. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{يريكم البرق خوفًا وطمعًا} .... أي: إراءته إياكم البرق خوفاً من الصواعق والطوفان وطمعاً في المطر.

{خوفًا وطمعًا} ... تخافون من الصَّواعِق، وتطمعون في الغيْث.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الروم} الآية {24} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِن آيَاته} من علَامَات وحدانية وقدرته {يُرِيكُمُ الْبَرْقَ} من السَّمَاء {خوْفاً} للْمُسَافِر من الْمَطَر أَن يبل ثِيَابه {وطَمَعاً} للمقيم فِي الْمَطَر أَن يسْقِي حروثه {وَيُنَزِّلُ مِنَ السمآء مَآءً} مَطَرا {فَيُحْيِي بِهِ} بالمطر {الأَرْض بَعْدَ مَوْتِهَا} بعد قحطها ويبوستها {إِنَّ فِي ذَلِك} فِيمَا ذكرت من الْمَطَر {لآيَات} لعلامات وعبراً {لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} يصدقون أَنه من الله. (4)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّوم} الآية {24} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا} للمسافر من الصواعق، {وَطَمَعًا} لِلْمُقِيمِ فِي الْمَطَرِ.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (406/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (406/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (605/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (24) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

{وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ} يَعْنِي: بِالْمَطَرِ، {الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} أي: بعد يبسها {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {24} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الأرض بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}.

أي: ومن آياته أن ينزل عليكم المطر الذي تحيا به البلاد والعباد ويريكم قبل نزوله مقدماته من الرعد والبرق الذي يُخَاف ويُطْمَع فيه.

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ} دالة على عموم إحسانه وسعة علمه وكمال إتقانه، وعظيم حكمته وأنه يحيي الموتى كما أحيا الأرض بعد موتها.

{لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} أي: لهم عقول تعقل بها ما تسمعه وتراه وتحفظه، وتستدل به عل ما جعل دليلا عليه. (2)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {24} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً (3) وَطَمَعاً} أي: ومن حججه تعالى الدالة على قدرته وعلمه وحكمته ورحمته وهي مقتضيات توحيده والإيمان بلقائه إراءته (4) إياكم أيها الناس البرق خوفاً للمسافرين من الأمطار الغزيرة ومن الصواعق الشديدة أن تصيبهم، وطمعاً في المطر الذي تحيا به مزارعكم وتنبت به أرضكم فيتوفر لكم أسباب رزقكم،

وقوله: {وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} أي: ومن آياته تنزيله تعالى من السماء ماء هو المطر فيحيي به الأرض بالنباتات والزروع بعد أن كانت ميتة لا حياة فيها لا زرع ولا نبت إن في ذلك المذكور من إنزال الماء وإحياء الأرض بعد إراءته عباده البرق خوفاً وطمعاً لآيات دلائل وحجج على قدرته على البعث والجزاء ولكن يرى تلك الدلائل ويعقل ويفهم تلك الحجج قوم يعقلون أي: لهم عقول سليمة يستعملونها في النظر والاستدلال فيفهمون ويؤمنون. (5)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {24} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْ آيَاتِهِ} الدَّالَّةِ عَلَى عَظَمَتِهِ أَنَّهُ {يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا} أَيْ: تَارَةً

---

(1) انظُر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (24).

(2) انظُر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (24)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) – جائز أن يكون الخوف للمسافر والطمع للمقيم.

(4) – التعبير بالمصدر "إراءته" إشارة إلى أن من أهل التفسير من يقول إن "أن" المصدرية محذوفة نحو قول الشاعر:

ألا أيها اللائمي احضر الوغى
وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

إذ التقدير أن احضر فحذف أن، ويصح أن يكون المعنى ومن آياته أنه يريكم فحذف أن واسمها وبقي الخبر وهو جملة يريكم والكل واسع وجائز.

(5) انظُر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (24) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

تخافون مما يحدث بعده من أمطار مزعجة، أو صواعق متلفة، وتارة ترجون وميضه وما يأتي بعده من المطر المحتاج إليه،

ولهذا قال: {وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} أي: بعدما كانت هامدة لا نبات فيها ولا شيء، فلما جاءها الماء. {اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ} {الحج: 5}.

وفي ذلك عبرة ودلالة واضحة على المعاد وقيام الساعة، ولهذا قال: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن)- عن (قتادة):

في قوله: {وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا} قال: خوفا للمسافر، وطمعا للمقيم.(2)

* * *

﴿من فوائد الآيات﴾
﴿سُورَةُ الرُّوم: 16- 24﴾

- إعمار العبد أوقاته بالصلاة والتسبيح علامة على حسن العاقبة.
- الاستدلال على البعث بتجدد الحياة، حيث يخلق الله الحي من الميت والميت من الحي.
- آيات الله في الأنفس والآفاق لا يستفيد منها إلا من يُعمل وسائل إدراكه الحسية والمعنوية التي أنعم الله بها عليه.(3)

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ (25) وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ (26) وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (27) ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (28) بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (29) فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (30) مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (31) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (32)

* * *

[٢٥] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ومن آيات الله الدالة على قدرته ووحدانيته قيام السماء دون سقوط، والأرض دون انهدام" بأمره سبحانه، ثم إذا دعاكم سبحانه دعوة من الأرض بنفخ المَلَك في الصُّور إذا أنتم تأخرجون من قبوركم للحساب والجزاء.(4)

* * *

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (24).
(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (20/ 88).
(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/ 406). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/ 407). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

ومن آياته الدالة على قدرته قيام السماء والأرض واستقرارها وثباتهما بأمره، فلم تتزلزلا ولم تسقط السماء على الأرض، ثم إذا دعاكم الله إلى البعث يوم القيامة، إذا أنتم تخرجون من القبور مسرعين. (1)

* * *

ومن الدلائل على كمال قدرته وحكمته وسعة رحمته أن تقوم السماء والأرض بأمر الله على ما ترون من إحكام صنع ودقة تدبير، ثم إذا دعاكم للبعث تخرجون من القبور مسرعين مستجيبين لدعائه. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{أن تقوم السماء والأرض بأمره} ..... أي: قيام السماء والأرض على ما هما عليه منذ نشأتهما بقدرته وتدبيره.

{دعوة من الأرض} ..... أي: دعوة واحدة لا تتكرر وهي نفخة إسرافيل.

{إذا أنتم تخرجون} ..... أي: من قبوركم أحياء للحساب والجزاء.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {25} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْ آيَاتِهِ} من عَلَامَات وحدانيته وَقدرته {أَن تَقُومَ السَّمَآءُ} أَن تكون السَّمَاء {وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ} بِإِذْنِهِ {ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ} يَعْنِي: الله يَوْم الْقِيَامَة على لِسَان إِسْرَافِيل {دَعْوَةً مِّنَ الأَرْضِ} من الْقُبُور {إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ} من الْقُبُور. (3)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {25} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ} قَالَ: (ابْنُ مَسْعُودٍ): قَامَتَا عَلَى غَيْرِ عَمَدٍ بِأَمْرِهِ.

يَعْنِي: - يَدُومُ قيامهما بِأَمْرِهِ،

{ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): مِنَ الْقُبُورِ،

{إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ} مِنْهَا وَأَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّ مَعْنَى الْآيَةِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ مِنَ الْأَرْضِ. (4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {25} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الأرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ}.

أي: ومن آياته العظيمة أن قامت السماوات والأرض واستقرتا وثبتتا بأمره فلم تتزلزلا ولم تسقط السماء على الأرض، فقدرته العظيمة التي بها أمسك السماوات والأرض أن تزولا يقدر بها أنه إذا دعا الخلق دعوة

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (407/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (605/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (25) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الرُّوم) الآية (25).

من الأرض إذا هم يخرجون {لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ}.(1)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {25} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ} أي: ومن آياته تعالى الدالة على قدرته وعلمه وحكمته والموجبة لتوحيده والمقررة لنبوة نبيه ولقائه للحساب والجزاء قيام السماء والأرض منذ خلقهما فلا السماء تسقط، ولا أرض تغور فهما قائمتان منذ خلقهما بأمره تعالى أليس في ذلك أكبر دليل على قدرة الله تعالى على بعث الناس بعد موتهم أحياء لحسابهم على كسبهم ومجازاتهم.

وقوله تعالى: {ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ(2) تَخْرُجُونَ} أي: أقام السماء والأرض للحياة الدنيا يحيي فهما ويميت حتى تنتهي المدة المحددة للحياة فيهلك الكل ويفنيه.

{ثم إذا دعاكم دعوة} بنفخ إسرافيل في الصور.

{إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ} من الأرض استجابة لتلك الدعوة، وذلك للحساب والجزاء العادل على العمل في هذه الحياة الدنيا.(3)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {25} ثم قال: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ} كقوله: {وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأرْضِ إِلا بِإِذْنِهِ} {الحَجّ: 65}، وقوله: {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأرْضَ أَنْ تَزُولا} {فَاطِرٍ: 41}.

* * *

وَكَانَ (عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِذَا اجْتَهَدَ فِي الْيَمِينِ يَقُولُ: لَا وَالَّذِي تَقُومُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ، أَيْ: هِيَ قَائِمَةٌ ثَابِتَةٌ بِأَمْرِهِ لَهَا وَتَسْخِيرِهِ إِيَّاهَا، ثُمَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بُدلت الأرض غير الأرض والسموات، وَخَرَجَتِ الْأَمْوَاتُ مِنْ قُبُورِهَا أَحْيَاءً بِأَمْرِهِ تَعَالَى وَدُعَائِهِ إِيَّاهُمْ، وَلِهَذَا قَالَ: {ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الأرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ} كَمَا قَالَ تَعَالَى: {يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلا قَلِيلا} {الْإِسْرَاءِ: 52}.

وَقَالَ تَعَالَى: {فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ} {النَّازِعَاتِ: 13، 14}، وَقَالَ: {إِنْ كَانَتْ إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ} {يس: 53}.(4)

---

(1) انظُر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (25)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) - إذ الأولى شرطية والثانية فجائية سادة مسد فاء الجواب وصيغة الدعاء كما ذكرها القرطبي: يا أهل القبور قوموا فلا تبقى نسمة من الأولين والآخرين إلا قامت تنظر كقوله تعالى: {فإذا هم قيام ينظرون}.

(3) انظُر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (25) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(4) انظُر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (25).

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن)- عن (قتادة): ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ قامتا بأمره بغير عمد ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ قال: دعاهم فخرجوا من الأرض.

* * *

حُدثت عن (الحسين)، قال: سمعت (أبا معاذ) يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت (الضحاك) يقول في قوله: ﴿إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ يقول: من الأرض. (1)

* * *

[٢٦] ﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وله وحده من في السماوات، وله من في الأرض ملكًا وخلقًا وتقديرًا، كل من في السماوات وكل من في الأرض من مخلوقاته منقادون له مستسلمون لأمره. (2)

* * *

ولله وحده كل مَن في السموات والأرض من الملائكة والإنس والجن والحيوان والنبات والجماد، كل هؤلاء منقادون لأمره خاضعون لكماله. (3)

* * *

ولله - سبحانه وتعالى - كل من فى السموات والأرض خلْقاً وملكاً وخضوعاً، كلهم لله منقادون. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ .... أي: خلقا وملكا وتصرفاً وعبيداً.

﴿كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ ....(5) أي: كل من في السموات والأرض من الملائكة والإنس والجن منقادون له تجري عليهم أحكامه كما أرادها فلا يتعطل منها حكم.

﴿قَانِتُونَ﴾ ... مُطِيعُونَ مُنْقَادُونَ لِأَمْرِه.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- ﴿سُورَةُ الرُّومِ﴾ الآية ﴿26﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَهُ﴾ عبيد ﴿مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْض كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ مطيعون غير الْكفَّار. (6)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ﴿سُورَةُ الرُّومِ﴾ الآية ﴿26﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ مطيعون، قال: (الكلبي): لهذا خَاصٌّ لِمَنْ كَانَ مِنْهُمْ مُطِيعًا،

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (90/20).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (407/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (407/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (605/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) القنوت: الطاعة وهي الانقياد والخلائق كلها منقادة مطيعة لما أراد الله منها فلا يتخلف قضاؤه تعالى وحكمه فيها بحال من الأحوال.

(6) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (26) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

عن (ابْنِ عَبَّاس): كُلٌّ لَهُ مُطِيعُونَ فِي الْحَيَاةِ وَالْبَقَاءِ وَالْمَوْتِ وَالْبَعْثِ وَإِنْ عَصَوْا فِي الْعِبَادَةِ. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {26} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} الكل خلقه ومماليكه المتصرف فيهم من غير منازع ولا معاون ولا معارض وكلهم قانتون لجلاله خاضعون لكماله. (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {26} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَهُ مَنْ فِي السَّموَاتِ وَالأرْضِ} أَيْ: مِلْكُهُ وَعَبِيدُهُ،

{كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ} أَيْ: خَاضِعُونَ خَاشِعُونَ طَوْعًا وَكَرْهًا. (3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن)- عن (قتادة): {كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ} أي: مطيع مقرٌّ بأن الله ربه وخالقه. (4)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {26} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ}.

ما زال السياق الكريم في تقرير قدرة الله تعالى على البعث الذي أنكره المشركون بذكر الأدلة العقلية وتصريف الآيات،

فقال تعالى: {وَلَهُ} أي: لله المحيي المميت الوارث الباعث سبحانه وتعالى {مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} أي: من ملائكة وجان وإنسان فهو خلقهم وهو يملكهم ويتصرف فيهم.

وقوله: {كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ (5)} أي: مطيعون منقادون فالملائكة لا يعصونه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، والجن والإنس منقادون لما أراده منهم من حياة وموت ونشور وأما عصيانهم في العبادات فهو غير مقصود لأنه التكليف الذي هو علة الحياة كلها ومع هذا فهم منفذون باختيارهم وإرادتهم الحرة ما كتبه عليهم أزلا والله أكبر ولله الحمد. (6)

* * *

[٢٧] ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾:

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (الرُّوم) الآية (26).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (26)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (26).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (20/ 91).

(5) ذكر الإمام (القرطبي) لتفسير كلمة (قانتون) تفاسير عدة عن السلف منها مطيعون طاعة انقياد، مقرون بالعبودية إما قالة وإما دلالة مصلون قائمون يوم القيامة مخلصون.

(6) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (26) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وهو سبحانه الذي يبدأ الخلق على غير مثال سابق، ثم يعيده بعد إفنائه، والإعادة أيسر من الابتداء، وكلاهما سهل عليه لأنه إذا أراد شيئًا قال له: (كن) فيكون، وله عز وجل الوصف الأعلى في كل ما يوصف به من صفات الجلال والكمال، وهو العزيز الذي لا يُغَالَب، الحكيم في خلقه وتدبيره. (1)

* * *

والله وحده الذي يبدأ الخلق من العدم ثم يعيده حيًا بعد الموت، وإعادة الخلق حيًا بعد الموت أهون على الله من ابتداء خلقهم، وكلاهما عليه هيِّن. وله سبحانه الوصف الأعلى في كل ما يوصف به، ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير. وهو العزيز الذي لا يغالَب، الحكيم في أقواله وأفعاله، وتدبير أمور خلقه. (2)

* * *

والله - سبحانه - الذى يبدأ الخلق على غير مثال، ثم يعيده بعد الموت، وإعادته أهون عليه من ابتدائه بالنظر إلى مقاييسكم واعتقادكم أن إعادة الشئ أسهل من ابتدائه. ولله الوصف السابق العجيب الشأن فى القدرة الكاملة والحكمة التامة فى السموات والأرض، وهو الغالب فى ملكه الحكيم فى فعله وتقديره. (3)

* * *

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (407/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (407/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (606/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

شرح و بيان الكلمات:

{وهو أهون عليه} .... أي: أيسر وأسهل نظراً إلى أن الإعادة أسهل من البداية.

{وله المثل الأعلى} .... أي: الوصف الأعلى في كل كمال فصفاته كلها عليا ومنها الوحدانية.

{وهو العزيز الحكيم} .... أي: الغالب على أمره الحكيم في قضائه وتصرفه.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّوم} الآية {27} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخلق} من النُّطْفَة {ثمَّ يُعِيدُهُ} يحييه يَوْم الْقِيَامَة (وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) هَين عَلَيْهِ إِعَادَته كإبدائه {وَلَهُ الْمثل الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَات وَالْأَرْض} يَقُول لَهُ الصّفة الْعليا بِالْقُدْرَةِ على أهل السَّموَات وَالْأَرْض {وَهُوَ الْعَزِيز} فِي ملكه وسلطانه {الْحَكِيم} فِي أمره وقضائه. (4)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّوم} الآية {27} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ} يَخْلُقُهُمْ أَوَّلًا ثُمَّ يُعِيدُهُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ لِلْبَعْثِ،

{وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} قَالَ: (الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ)، وَ(قَتَادَةُ): أَيْ: هُوَ هَيِّنٌ عَلَيْهِ وَمَا شَيْءٌ عَلَيْهِ بِعَزِيزٍ، وَهُوَ رِوَايَةُ (الْعَوْفِيِّ) عَنِ (ابْنِ عباس)،

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (27) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ)، وَ(عِكْرِمَةُ): وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ أَيْ أَيْسَرُ وَوَجْهُهُ أَنَّهُ عَلَى طَرِيقِ ضَرْبِ الْمَثَلِ أَيْ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ عَلَى مَا يَقَعُ فِي عُقُولِكُمْ. فَإِنَّ الَّذِي يَقَعُ فِي عُقُولِ النَّاسِ أَنَّ الْإِعَادَةَ تَكُونُ أَهْوَنَ مِنَ الْإِنْشَاءِ، أَيْ الِابْتِدَاءِ،

يَعْنِي:- هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ عِنْدَكُمْ.

يَعْنِي:- هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ أَيْ عَلَى الْخَلْقِ يَقُومُونَ بِصَيْحَةٍ وَاحِدَةٍ فَيَكُونُ أَهْوَنَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْ يَكُونُوا نُطَفًا، ثُمَّ عَلَقًا ثُمَّ مُضَغًا إِلَى أَنْ يصيروا رجالا ونساء.

{وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} أَيِ الصِّفَةُ الْعُلْيَا.

{فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): هِيَ أَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ،

وَقَالَ: (قَتَادَةُ): هِيَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ {وَهُوَ الْعَزِيزُ} فِي مُلْكِهِ، {الْحَكِيمُ} فِي خَلْقِهِ.[1]

* * *

قَال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {27} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ} أي: الإعادة للخلق بعد موتهم. {أَهْوَنُ عَلَيْهِ} من ابتداء خلقهم وهذا بالنسبة إلى الأذهان والعقول، فإذا كان قادرا على الابتداء الذي تقرون به كانت قدرته على الإعادة التي أهون أولى وأولى.

ولما ذكر من الآيات العظيمة ما به يعتبر المعتبرون ويتذكر المؤمنون ويتبصر المهتدون ذكر الأمر العظيم والمطلب الكبير.

فقال: {وَلَهُ الْمَثَلُ الأعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ} وهو كل صفة كمال، والكمال من تلك الصفة والمحبة والإنابة التامة الكاملة في قلوب عباده المخلصين والذكر الجليل والعبادة منهم. فالمثل الأعلى هو وصفه الأعلى وما ترتب عليه.

ولهذا كان أهل العلم يستعملون في حق الباري قياس الأولى، فيقولون: كل صفة كمال في المخلوقات فخالقها أحق بالاتصاف بها على وجه لا يشاركه فيها أحد، وكل نقص في المخلوق ينزه عنه فتنزيه الخالق عنه من باب أولى وأحرى.

{وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} أي: له العزة الكاملة والحكمة الواسعة، فعزته أوجد بها المخلوقات وأظهر المأمورات، وحكمته أتقن بها ما صنعه وأحسن فيها ما شرعه.[2]

* * *

قَال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {27} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَهُوَ الَّذِي[3] يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ} أي هو الله الذي يبدأ خلق ما أراد خلقه في كل يوم وساعة من غير شيء ويهبه الحياة ثم يسلبها منه في آجال سماها ثم يعيده يوم القيامة أحب الناس أم كرهوا.

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (الرُّوم) الآية (27).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (27)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) قَال: الإمام (القرطبي): أما بدء خلقه فبعلوقه في الرحم قبل ولادته وأما إعادته فإحياؤه بعد الموت في النفخة الثانية للبعث فجعل ما علم من ابتداء خلقه دليلا على ما يخفى من إعادته استدلالا بالشاهد على الغائب.

وقوله: {وَهُوَ أَهْوَنُ[1] عَلَيْهِ} أي الإعادة أيسر وأسهل عليه فليس على الله شيء صعب ولا شاق ولا عزيز ممتنع، وإنما خرج الخطاب على أسلوب المتعجبين من إعادة الخلق بعد فنائه فأعلمهم أن المتعارف عليه عندهم أن الإعادة أسهل من البداءة ليفهموا ويقتنعوا، وإلا فلا شيء صعب على الله تعالى ولا شاق ولا عسير، إذ هو يقول للشيء متى أراده كن فيكون.

وقوله تعالى: {وَلَهُ الْمَثَلُ[2] الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} وله أي لله سبحانه وتعالى الوصف الأكمل في السموات والأرض وهو الألوهية والوحدانية فهو الرب الذي لا إله إلا هو المعبود في السماء والأرض لا إله إلا هو فهما ولا رب غيره لهما وهو العزيز الغالب المنتقم ممن كفر به وعصاه الحكيم في تدبيره وتصريفه لشؤون خلقه.[3]

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {27} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} قَالَ: (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ)، عَنِ (ابْنِ عباس): يَعْنِي: أَيْسَرُ عَلَيْهِ.

* * *

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ): الْإِعَادَةُ أَهْوَنُ عَلَيْهِ مِنَ الْبَدَاءَةِ، وَالْبُدَاءَةُ عَلَيْهِ هَيْنٌ. وَكَذَا قَالَ: (عِكْرِمَةُ) وَغَيْرُهُ.

* * *

وَقَالَ: الإمام (الْبُخَارِيُّ): حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، أَخْبَرَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((قَالَ اللَّهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ. وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا، وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ)).[4]

انْفَرَدَ بِإِخْرَاجِهِ الإمام (الْبُخَارِيُّ) كَمَا انْفَرَدَ بِرِوَايَتِهِ -أَيْضًا- مِنْ حَدِيثِ - (عَبْدِ الرَّزَّاقِ) عَنْ (مَعْمَرٍ)، عَنْ هَمَّامٍ، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ)، بِهِ.[5]

* * *

وَقَدْ رَوَاهُ الْإِمَامُ (أَحْمَدُ) مُنْفَرِدًا بِهِ عَنْ حَسَنِ بْنِ مُوسَى، عَنِ ابْنِ لهيعة، حَدَّثَنَا أَبُو يُونُسَ سُلَيْمُ بْنُ جُبَيْرٍ، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ)، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِنَحْوِهِ، أَوْ مِثْلِهِ.[6]

* * *

(1) أهون بمعنى هين، لقوله تعالى وكان ذلك على الله يسيرا، والعرب تطلق أفعل على فاعل قال الشاعر:
إن الذي شمل السماء بنى لنا
بيتا دعائمه أعز وأطول

(2) أي: ثبت له واستحق الشأن الأتم الذي لا يقاس بشؤون الناس المتعارفة وإنما بقصد التقريب لأفهامكم والأعلى الأعظم البالغ نهاية العظمة والقوة.

(3) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (27) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(4) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4974) - (كتاب: التفسير القرآن).

(5) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4975).- (كتاب: التفسير القرآن).

(6) أخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (350/2).

وَقَالَ آخَرُونَ: كِلاَهُمَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْقُدْرَةِ على السواء.

* * *

قَالَ: (العَوفي)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاس): كُلٌّ عَلَيْهِ هَيِّنٌ. وَكَذَا قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْم. وَمَالَ إِلَيْهِ (ابْنُ جَرِير)، وَذَكَرَ عَلَيْهِ شَوَاهِدَ كَثِيرَةً، قَالَ: وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَعُودَ الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: {وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} إِلَى الْخَلْقِ، أَيْ: وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَى الْخَلْقِ.

* * *

وَقَوْلُهُ: {وَلَهُ الْمَثَلُ الأعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ} قَالَ: (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاس) كَقَوْلِهِ: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} {الشُّورَى: 11}.

وَقَالَ: (قَتَادَةُ): مَثَلُهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، وَلاَ رَبَّ غَيْرُهُ، وَقَالَ مِثْلَ هَذَا (ابْنُ جَرِيرٍ).

وَقَدْ أَنْشَدَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ عِنْدَ ذِكْرِ هَذِهِ الْآيَةِ لِبَعْضِ أَهْلِ الْمَعَارِفِ:

إِذَا سَكَنَ الْغَدِيرُ عَلَى صَفَاءِ ... وَجُنِّبَ أَنْ يُحَرِّكَهُ النَّسِيمُ ...
تَرَى فِيهِ السَّمَاءَ بِلاَ امْتِرَاء ... كَذَاكَ الشَّمْسُ تَبْدُو وَالنُّجُومُ ...
كَذَاكَ قُلُوبُ أَرْبَابِ التَّجَلِّي ... يُرَى فِي صَفْوِهَا اللَّهُ الْعَظِيمُ ...

* * *

{وَهُوَ الْعَزِيزُ} الَّذِي لاَ يُغَالَبُ وَلاَ يُمَانَعُ، بَلْ قَدْ غَلَبَ كُلَّ شَيْءٍ، وَقَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ بِقُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ، {الْحَكِيمُ} فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ، شَرْعًا وَقَدَرًا.

* * *

وَعَنْ (مَالِك) فِي (تَفْسِيرِهِ): الْمَرْوِيِّ عَنْهُ، عَنْ (مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ)، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَهُ الْمَثَلُ الأعْلَى}، قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ. (1)

* * *

قَالَ: الإمام (عبدالرحمن السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- وهو -أي: إعادة الخَلْقِ بعد مَوْتِهِمْ- أَهْوَنُ عَلَيْهِ من ابتداءِ خَلْقِهِمْ، وهذا بالنسبةِ إلى الأذهانِ والعقولِ، فإذا كان قادرًا عَلَى الابتداءِ الَّذي تُقِرُّونَ به كانت قُدْرَتُهُ عَلَى الإعادةِ التي هي أهونُ أَوْلَى وَأَوْلَى. انتهى.

{وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} ... الوَصْفُ الأَعْلَى فِي كُلِّ مَا يُوصَفُ بِهِ.

* * *

قَالَ: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن)- عن (علي بن أبي طلحة)- عن (ابن عباس): قوله: {وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} قال: يقول: أيسر عليه. (2)

* * *

قَالَ: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن)- عن (قتادة): قوله: {وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} يقول: إعادته أهون عليه من بدئه، وكل على الله هين. وفي بعض القراءة وكلّ على الله هين. (3)

* * *

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (27).
(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (92/20).
(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (92/20).

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن)- عن (ابن عباس): قوله: {وَلَهُ الْمَثَلُ الأعْلَى فِي السَّمَوَاتِ} يقول: ليس كمثله شيء. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن)- عن (قتادة): قوله: {وَلَهُ الْمَثَلُ الأعْلَى فِي السَّمَوَاتِ والأرْضِ} مثله أنه لا إله إلا هو، ولا ربّ غيره. (2)

* * *

قال: الإمام (البخاري) – (رحمه الله) - في (صحيحه) – (بسنده):- حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب، حدثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن (أبي هريرة) – رضي الله عنه -، عن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((قال الله تعالى: كذّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك. فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يُعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتّخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أُولد، ولم يكن لي كفواً أحد)). (3)

* * *

وانظر: آية (10-11) من السورة نفسها، – كما قال تعالى: {ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ (10) اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (11)}.

* * *

وانظر: سورة – (الأنبياء) - آية (104). – كما قال تعالى: {يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ}.

* * *

[٢٨] ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ضرب الله لكم -أيها المشركون- مثلًا مأخوذًا من أنفسكم: هل لكم من عبيدكم ومماليككم شريك يشارككم في أموالكم بالسوية، تخافون أن يقتسموا أموالكم معكم كما يخاف بعضكم من شريكه الحر أن يقسم معه المال؟ هل ترضون لأنفسكم من عبيدكم بهذا؟ لا شك أنكم لا ترضون بذلك، فالله أولى بألا يكون له شريك في ملكه من مخلوقاته وعبيده، بمثل ذلك من ضرب الأمثال وغيره نبين الحجج والبراهين بتنويعها لقوم يعقلون, لأنهم هم الذين ينتفعون بذلك. (4)

* * *

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (94/20).
(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (92/20).
(3) (صحيح): أخرجه الإمام (البخاري) في (صحيحه) برقم (611/8)، (ح4974)- (كتاب: تفسير القرآن - سورة (قل هو الله أحد).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (407/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

ضرب الله مثلا لكم -أيها المشركون- من أنفسكم: هل لكم من عبيدكم وإمائكم مَن يشاركَكم في رزقكم، وترون أنكم وإياهم متساوون فيه، تخافونهم كما تخافون الأحرار الشركاء في مقاسمة أموالكم؟ إنكم لن ترضوا بذلك، فكيف ترضون بذلك في جنب الله بأن تجعلوا له شريكًا من خلقه؟ وبمثل هذا البيان نبيِّن البراهين والحجج لأصحاب العقول السليمة الذين ينتفعون بها. (1)

* * *

بيَّن الله لكم مثلا مُنْتزعاً من أنفسكم وقد ضربه الله - عَزَّ وَجَلَّ - لمن جعل له شريكاً من خلقه: هل لكم من عبيدكم شركاء فيما ملّكناكم من الأموال وغيرها؟ فأنتم وهم مستوون فيها، تخافون هؤلاء العبيد فلا تتصرفون فى شئ مما تملكون دون إذنهم كما يخاف الأحرار بعضهم بعضاً، فإذا كنتم لا تعقلون هذا ولا تفعلونه، فكيف تجعلون بعض مملوكات الله شركاء له؟ مثل هذا التفصيل نبين الآيات لقوم يتدبرون فى ضرب الأمثال. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{ضرب لكم مثلا} ..... أي: جعل لكم مثلا.

{من أنفسكم} .... أي: منتزعا من أموالكم وما تعرفونه من أنفسكم.

{فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ} ... مُتَسَاوُونَ.

{كخيفتكم أنفسكم} .... أي: تخوفكم من بعضكم بعضا أيها الأحرار.

{نفصل الآيات} ..... أي: نبينها بتنويع الأسلوب وإيراد الحجج وضرب الأمثال.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {28} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ضَرَبَ لَكُمْ} بيّن لكم يَا معشر الْكفَّار {مَّثَلاً} شبها {مِّنْ أَنفُسِكُمْ} آدميًا مثلكُمْ {هَلْ لَّكُمْ مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} من عبيدكم وإمائكم {مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ} أعطيناكم من المَال والأهل وَالْولد {فَأَنتُمْ} وعبيدكم وإمائكمْ {فِيهِ} فِيمَا رزقناكم {سَوَآءٌ} شرك {تَخَافُونَهُمْ} تخافون لائمتهم {كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ} كلائمة آبائكم وأبنائكم وَإِخْوَانكُم إِذا لم تُؤَدُّوا حُقُوقهم فِي الْمِيرَاث قَالُوا لَا قَالَ أفترضون لي مَا لَا ترْضونَ لأنفسكم تشركون عبيدي فِي ملكي وَلَا تشركون عبيدكم فِيمَا رزقناكم {كَذَلِكَ} هَكَذَا {نُفَصِّلُ الْآيَاتِ} نبين عَلَامَات وحدانيتي وقدرتي {لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} يصدقون بأمثال الْقُرْآن. (3)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {28} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ} أَيْ: بَيَّنَ لَكُمْ شَبَهًا بِحَالِكُمْ،

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/407)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/606)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (28) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

وَذلكَ الْمَثَلُ مِنْ أَنْفُسكُمْ ثُمَّ بَيَّنَ الْمَثَلَ فَقَالَ: {هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} أي: عبيدكم {مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ} من المال {فَأَنْتُمْ} وهم، {فِيهِ سَوَاءٌ} أي: شرع، أَيْ: هَلْ يُشَارِكُكُمْ عَبِيدُكُمْ فِي أَمْوَالِكُمُ الَّتِي أَعْطَيْنَاكُمْ،

{تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ} أَيْ: تَخَافُونَ أَنْ يُشَارِكُوكُمْ فِي أَمْوَالِكُمْ وَيُقَاسِمُوكُمْ كَمَا يَخَافُ الْحُرُّ شَرِيكَهُ الْحُرَّ فِي الْمَالِ يَكُونُ بَيْنَهُمَا أَنْ يَنْفَرِدَ فِيهِ بِأَمْرٍ دُونَهُ وَكَمَا يَخَافُ الرَّجُلُ شَرِيكَهُ فِي الْمِيرَاثِ وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَنْفَرِدَ بِهِ،

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): تَخَافُونَهُمْ أَنْ يَرِثُوكُمْ كَمَا يَرِثُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَإِذَا لَمْ تَخَافُوا هَذَا مِنْ مَوَالِيكُم وَلَمْ تَرْضَوْا ذَلِكَ لِأَنْفُسِكُمْ فَكَيْفَ رَضِيتُمْ أَنْ تَكُونَ آلِهَتُكُمُ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا شُرَكَائِي وَهُمْ عَبِيدِي،

وَمَعْنَى قوله: {أَنْفُسَكُمْ} أي: أمثالكم الْأَحْرَارِ كَقَوْلِهِ: {ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا} {النُّور: 12} أي بِأَمْثَالِهِمْ،

{كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} يَنْظُرُونَ إِلَى هَذِهِ الدَّلَائِلِ بِعُقُولِهِمْ. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {28} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ}. هذا مثل ضربه الله تعالى لقبح الشرك وتهجينه مثلا من أنفسكم لا يحتاج إلى حل وترحال وإعمال الجمال.

{هَلْ لَكُمْ مما مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ} أي: هل أحد من عبيدكم وإمائكم الأرقاء يشاركم في رزقكم وترون أنكم وهم فيه على حد سواء.

{تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ} أي: كالأحرار الشركاء في الحقيقة الذين يخاف من قسمه واختصاص كل شيء بحاله؟.

ليس الأمر كذلك فإنه ليس أحد مما ملكت أيمانكم شريكا لكم فيما رزقكم الله تعالى هذا، ولستم الذين خلقتموهم ورزقتموهم وهم أيضا مماليك مثلكم، فكيف ترضون أن تجعلوا لله شريكا من خلقه وتجعلونه بمنزلته، وعديلا له في العبادة وأنتم لا ترضون مساواة مماليككم لكم هذا من أعجب الأشياء ومن أدل شيء على سفه من اتخذ شريكا مع الله وأن ما اتخذه باطل مضمحل ليس مساويا لله ولا له من العبادة شيء.

{كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ} بتوضيحها بأمثلتها {لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} الحقائق ويعرفون، وأما من لا يعقل فلو فُصِّلَت له الآيات وبينت له البينات لم يكن له عقل يبصر به ما تبين ولا لُبٌّ يعقل به ما توضح، فأهل العقول والألباب هم الذين يساق إليهم الكلام ويوجه الخطاب.

وإذا علم من هذا المثال أن من اتخذ من دون الله شريكا يعبده ويتوكل عليه في أموره، فإنه ليس معه من الحق شيء فما الذي أوجب له الإقدام على أمر باطل توضح له بطلانه

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (الرُّوم) الآية (28).

وظهر برهانه؟ لقد أوجب لهم ذلك اتباع الهوى.[1]

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {28} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً[2] مِنْ أَنْفُسِكُمْ} أي: جعل لكم مثلا مأخوذا منتزعاً من أنفسكم[3] وهو: {هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ} أي أنه ليس لكم من مماليككم وعبيدكم شريك منهم يشارككم في أموالكم إذ لا ترضون بذلك ولا تقرونه أبداً، إذاً فكذلك الله تعالى لا يرضى أن يكون من عبيده من هو شريك له في عبادته التي خلق كل شيء من أجلها..

وقوله: {تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ} أي تخافون عبيدكم كما تخافون بعضكم بعضا أيها الأحرار، أي لا يكون هذا منكم ولا ترضون به إذاً فالله - وله المثل الأعلى- كذلك لا يرضى أبداً أن يكون مخلوق من مخلوقاته ملكا كان أو نبيا أو وثنا أو صنماً شريكا له في عباداته.

وقوله: {كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ} أي: نبيّنها بتنويع الأساليب وضرب الأمثال {لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} إذ هم الذين يفهمون معاني الكلام وما يراد من أخباره وقصصه وأمثاله وأوامره ونواهيه.[4]

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {28} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}.

هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُشْرِكِينَ بِهِ، الْعَابِدِينَ مَعَهُ غَيْرَهُ، الْجَاعِلِينَ لَهُ شُرَكَاءَ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ مُعْتَرِفُونَ أَنَّ شُرَكَاءَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ عَبِيدٌ لَهُ، مِلْكٌ لَهُ، كَمَا كَانُوا فِي تَلْبِيَتِهِمْ يَقُولُونَ: لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ. فَقَالَ تَعَالَى: {ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ} أَيْ: تَشْهَدُونَهُ وَتَفْهَمُونَهُ مِنْ أَنْفُسِكُمْ،

{هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ} أَيْ: لَا يَرْتَضِي أَحَدٌ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ شَرِيكًا لَهُ فِي مَالِهِ، فَهُوَ وَهُوَ فِيهِ عَلَى السَّوَاءِ.

{تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ} أَيْ: تَخَافُونَ أَنْ يُقَاسِمُوكُمُ الْأَمْوَالَ.

قَالَ: (أَبُو مِجْلَزٍ): إِنَّ مَمْلُوكَكَ لَا تَخَافُ أَنْ يُقَاسِمَكَ مَالَكَ، وَلَيْسَ لَهُ ذَاكَ، كَذَلِكَ اللَّهُ لَا شريك له.

وَالْمَعْنَى: أَنَّ أَحَدَكُمْ يَأْنَفُ مِنْ ذَلِكَ، فَكَيْفَ تَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْأَنْدَادَ مِنْ خَلْقِهِ.

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (28)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) - ضرب المثل إيقاعه ووضعه، واللام في لكم للتعليل أي لأجلكم.

(3) - من في قوله مثلاً من أنفسكم للابتداء وفي قوله من أنفسكم للتبعيض وفي قوله من شركاء زائدة. قال قتادة هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين والمعنى هل يرضى أحدكم أن يكون مملوكه في ماله ونفسه مثله فإن لم ترضوا بهذا لأنفسكم فكيف جعلتم لله شركاء.

(4) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (28) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

وَهَـذَا كَقَوْلِـهِ تَعَـالَى: {وَيَجْعَلُـونَ لِلَّـهِ مَـا يَكْرَهُـونَ} {النَّحْـل: 62} أَيْ: مِـنَ الْبَنَـاتِ، حَيْثُ جَعَلُـوا الْمَلَائِكَـةَ الَّـذِينَ هُـمْ عِبَـادُ الـرَّحْمَنِ إِنَاثًـا، وَجَعَلُوهَـا بَنَـاتِ اللَّـهِ، وَقَـدْ كَـانَ أَحَـدُهُمْ إِذَا بُشِّـرَ بِالْـأُنْثَى ظَـلَّ وَجْهُـهُ مُسْـوَدًّا وَهُـوَ كَظِـيمٌ، يَتَـوَارَى مِـنَ الْقَـوْمِ مِـنْ سُـوءِ مَـا بُشِّـرَ بِـهِ، أَيُمْسِكُهُ عَلَـى هُـونٍ أَمْ يَدُسُّـهُ فِـي التُّـرَابِ، فَهُـمْ يَـأْنَفُونَ مِـنَ الْبَنَـاتِ. وَجَعَلُـوا الْمَلَائِكَـةَ بَنَـاتِ اللَّـهِ، فَنَسَـبُوا إِلَيْـهِ مَـا لَا يَرْتَضُـونَهُ لِأَنْفُسِـهِمْ، فَهَـذَا أَغْلَـظُ الْكُفْـرِ. وَهَكَـذَا فِـي هَـذَا الْمَقَـامِ جَعَلُـوا لَـهُ شُـرَكَاءَ مِـنْ عَبِيـدِهِ وَخَلْقِـهِ، وَأَحَـدُهُمْ يَـأْبَى غَايَـةَ الْإِبَـاءِ وَيَـأْنَفُ غَايَـةَ الْأَنَفَـةِ مِـنْ ذَلِـكَ، أَنْ يَكُـونَ عَبْـدُهُ شَـرِيكَهُ فِـي مَالِـهِ، يُسَـاوِيهِ فِيـهِ. وَلَـوْ شَـاءَ لَقَاسَـمَهُ عَلَيْـهِ، تَعَـالَى اللَّـهُ عَـنْ ذَلِـكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

وَلَمَّـا كَـانَ التَّنْبِيـهُ بِهَـذَا الْمَثَـلِ عَلَـى بَرَاءَتِـهِ تَعَـالَى وَنَزَاهَتِـهِ بِطَرِيـقِ الْـأَوْلَى وَالْـأَحْرَى، قَـالَ: {كَـذَلِكَ نُفَصِّـلُ الْآيَـاتِ لِقَـوْمٍ يَعْقِلُـونَ}. (1)

* * *

قـال: الإمـام (الطـبري) – (رحمـه الله) – في (تفسـيره):-

(بسـنده الحسـن)- عـن (قتـادة): قولـه: {ضَـرَبَ لَكُـمْ مَثَلًـا مِـنْ أَنْفُسِـكُمْ هَـلْ لَكُـمْ مِـنْ مَـا مَلَكَـتْ أَيْمَـانُكُمْ مِـنْ شُـرَكَاءَ فِـي مَـا رَزَقْنَـاكُمْ فَـأَنْتُمْ فِيـهِ سَـوَاءٌ ...}. قـال: مثـل ضـربه الله لمـن عـدل بـه شـيئا مـن خلقـه، يقـول: أكـان أحـدكم مشـاركا مملوكـه في فراشـه وزوجتـه، فكـذلكم الله لا يرضـى أن يعـدل بـه أحـد مـن خلقه. (2)

(1) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) لِلْإِمَـامِ (ابـن كـثير) في سُـورَةُ (الـرُّوم) الآية (28).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (20/ 95).

* * *

[٢٩] ﴿ بَـلِ اتَّبَـعَ الَّـذِينَ ظَلَمُـوا أَهْـوَاءَهُمْ بِغَيْـرِ عِلْـمٍ فَمَـنْ يَهْـدِي مَـنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

لـيس سـبب ضـلالهم قصـورًا في الأدلـة، ولا عـدم بيـان لهـا، وإنمـا هـو اتبـاع الهـوى وتقليـد آبـائهم، فمـن يوفّـق للهدايـة مـن أضلـه الله؟! لا أحـد يوفقـه، ومـا لهـم مـن ناصـرين يـدفعون عنهم عذاب الله. (3)

* * *

بـل اتبـع المشـركون أهـواءهم بتقليـد آبـائهم بغـير علـم، فشـاركوهم في الجهـل والضـلالة، ولا أحـد يقـدر علـى هدايـة مَـن أضلَّه الله بسـبب تماديـه في الكفـر والعنـاد، ولـيس لهـؤلاء مِـن أنصار يُخلِّصونهم من عذاب الله. (4)

* * *

بـل اتبـع الـذين كفـروا أهـواءهم دون علـم بعاقبـة كفـرهم، فـلا أحـد يهـدى مـن أضل الله، ولـيس لهـم مـن يشـفع أو يـدفع عـنهم عذابه. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{بـل اتبـع الـذين ظلمـوا أهـواءهم} ..... أي: لـيس الأمـر قصـوراً في البيـان حتـى لم يـؤمن

(3) انظـر: (المختصـر في تفسـير القـرآن الكـريم) (1/ 407). تصـنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظـر: (التفسـير الميسـر) بـرقم (1/ 407)، المؤلـف: (نخبـة مـن أسـاتذة التفسير).

(5) انظـر: (المنتخـب في تفسـير القـرآن الكـريم) بـرقم (1/ 606)، المؤلـف: (لجنة من علماء الأزهر).

المشركون وإنما العلة اتباع المشركين لأهوائهم وتجاهل عقولهم.

{فمن يهدي من أضل الله؟} .... أي: لا أحد فالاستفهام للنفي.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {29} قَوْلُهُ تَعَالَى: {بَلِ اتبع الَّذِين ظلمُوا} كفروا الْيَهُود وَالنَّصَارَى وَالْمُشْركُونَ {أَهْوَاءَهُمْ} أَي: مَا هم عَلَيْهِ من الْيَهُودِيَّة والنصرانية والشرك {بِغَيْر علم} وَلاَ حجَّة {فَمَن يَهْدِي} فَمن يرشد إِلَى دين الله {مَنْ أَضَلَّ اللهُ} عَن دينه {وَمَا لَهُم} لِلْيَهُود وَالنَّصَارَى وَالْمُشْركين {مِّن نَّاصِرِينَ} من مانعين من عَذَاب الله. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {29} قَوْلُهُ تَعَالَى: {بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا} أشركوا بالله، {أَهْوَاءَهُمْ} في الشرك، {بِغَيْرِ عِلْمٍ} جَهْلًا بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، {فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ} أي: أَضَلَّ اللَّهُ {وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} مَانِعِينَ يَمْنَعُونَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {29} قَوْلُهُ تَعَالَى: {بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ} هويت أنفسهم الناقصة التي ظهر من نقصانها ما تعلق به هواها، أمرا يجزم العقل بفساده والفطر برده بغير علم دلهم عليه ولا برهان قادهم إليه.

{فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ} أي: لا تعجبوا من عدم هدايتهم فإن الله تعالى أضلهم بظلمهم ولا طريق لهداية من أضل الله لأنه ليس أحد معارضا لله أو منازعا له في ملكه.

{وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} ينصرونهم حين تحق عليهم كلمة العذاب، وتنقطع بهم الوصل والأسباب. (3)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {29} قَوْلُهُ تَعَالَى: {بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ} أي: ليس الأمر قصوراً في الأدلة ولا عدم وضوح في الحجج وإنما الظالمون اتبعوا أهواءهم أي ما يهوونه ويشتهونه بغير علم من نفعه وجدواه لهم فضلوا لذلك. فمن يهديهم، وقد أضلهم الله حسب سنته في الإضلال. وهو معنى قوله تعالى: {فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللهُ}؟ أي: لا أحد.

وقوله: {وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} أي: يهدونهم بعد أن أضلهم الله، والعياذ بالله تعالى. (4)

* * *

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (29) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (الرُّوم) الآية (29).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (29)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (29) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

قــال: الإمــام (إبــن كــثير) – (رحمــه الله) – في (تفسيــره):- {سُــورَةُ الــرُّومِ} الآيــة {29} قَوْلُــهُ تَعَالَى: {بَـلِ اتَّبَـعَ الَّـذِينَ ظَلَمُـوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْـرِ عِلْـمٍ فَمَـنْ يَهْـدِي مَـنْ أَضَـلَّ اللَّـهُ وَمَـا لَهُـمْ مِـنْ نَاصِرِينَ}.

ثُـمَّ قَـالَ تَعَـالَى مُبَيِّنًـا أَنَّ الْمُشْـرِكِينَ إِنَّمَـا عَبَـدُوا غَيْـرَهُ سَـفَهًا مِـنْ أَنْفُسِـهِمْ وَجَهْلًـا {بَـلِ اتَّبَـعَ الَّـذِينَ ظَلَمُـوا} أَيْ: الْمُشْـرِكُونَ {أَهْـوَاءَهُمْ} أَيْ: فِـي عِبَـادَتِهِمُ الْأَنْـدَادَ بِغَيْـرِ عِلْـمٍ، {فَمَـنْ يَهْـدِي مَـنْ أَضَـلَّ اللَّـهُ} أَيْ: فَـلَا أَحَـدَ يَهْدِيهِمْ إِذَا كَتَبَ اللَّهُ إِضْلَالَهُمْ،

{وَمَـا لَهُـمْ مِـنْ نَاصِـرِينَ} أَيْ: لَـيْسَ لَهُـمْ مِـنْ قُـدْرَةِ اللَّـهِ مُنْقِـذٌ وَلَا مُجِـيرٌ، وَلَا مَحِيـدَ لَهُـمْ عَنْـهُ" لِأَنَّـهُ مَـا شَـاءَ كَـانَ، وَمَـا لَـمْ يَشَـأْ لَـمْ يَكُنْ. (1)

* * *

[٣٠] ﴿ فَـأَقِمْ وَجْهَـكَ لِلـدِّينِ حَنِيفًـا فِطْـرَتَ اللَّـهِ الَّتِـي فَطَـرَ النَّـاسَ عَلَيْهَـا لَا تَبْـدِيلَ لِخَلْـقِ اللَّـهِ ذَلِـكَ الـدِّينُ الْقَـيِّمُ وَلَكِـنَّ أَكْثَـرَ النَّـاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فتوجَّـه -أيهـا الرسـول- ﷺ- أنـت ومـن معـك للـدين الـذي وجَّهـك الله إليـه" مائلًـا عـن جميـع الأديـان إليـه، ديـن الإسـلام الـذي فطـر النـاس عليـه، لا تبـديل لخلـق الله، ذلـك الـدين المسـتقيم الـذي لا اعوجـاج فيـه، ولكـن معظـم النـاس لا يعمـون أن الـدين الحـق هـو هـذا الدين. (2)

* * *

فـأقم -أيهـا الرسـول- ﷺ- أنـت ومـن اتبعـك- وجهـك، واسـتمر علـى الـدين الـذي شـرعه الله لـك، وهـو الإسـلام الـذي فطـر الله النـاس عليـه، فبقـاؤكم عليـه، وتمسـككم بـه، تمسـك بفطـرة الله مـن الإيمـان بـالله وحـده، لا تبـديل لخلـق الله وديـنـه، فهــو الطريـق المسـتقيم الموصـل إلى رضـا الله رب العـالمين وجنتـه، ولكـن أكثـر النـاس لا يعلمـون أن الـذي أمرتـك بـه -أيهـا الرسـول- ﷺ- هـو الـدين الحق دون سواه. (3)

* * *

فسـدد وجهـك وا تجـه إلى الـدين بعيـداً عـن ضـلالتهم، والـزم خلقـة الله التـى خلـق النـاس عليهـا، وهـى أنهـم قـابلون للتوحيـد غـير منكـرين لـه، ومـا ينبغـى أن تغـير هـذه الخلقة. ذلـك الخلـق علـى التوحيـد هـو الـدين المسـتقيم، ولكن المشركين لا يعلمون حقيقة ذلك. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فـأقم وجهـك للـدين حنيفـا} .... أي: سـدد وجهـك يـا رسـولنا للـدين الإسـلامي بحيـث لا تنظر إلا إليه.

{فَأَقِمْ وَجْهَكَ} ... أي: انْصِبْهُ وَوَجِّهْهُ.

---

(1) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) لِلإِمَـامْ (ابـن كـثير) في سُـورَةُ (الـرُّوم) الآية (29).

(2) انظـر: (المختصـر في تفسـير القـرآن الكـريم) (407/1). تصـنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظـر: (التفسـير الميسـر) بـرقم (407/1)، المؤلـف: (نخبـة مـن أسـاتذة التفسير).

(4) انظـر: (المنتخـب في تفسـير القـرآن الكـريم) بـرقم (606/1)، المؤلـف: (لجنة من علماء الأزهر).

{للـدِّين} الَّـذي هُـوَ الإسـلامُ والإيمـانُ والإحسانُ بأن تَتَوجَّهَ بقلبكَ وقَصْدكَ وبَدَنك إلى إقامةِ شرائعِ الدينِ الظاهرة كالصلاة والزكاة والصوم والحجِّ ونحوها، وشرائعه الباطنة كالمحبة والخوف والرجاء والإنابة.

وَخَصَّ اللهُ إقامةَ الوجه" لأن إقبالَ الوجه تَبعٌ لإقبالِ القلب.

{حَنيفًا} ... مَائلًا إلَى الدِّين، مُسْتَقيمًا عَلَيْه.

(أي: مائلا عن سائر الأديان إليه، وهو بمعنى مقبلا عليه).

{فِطْرَةَ اللَّه} ... الْزَمُوا دِينَ الله، وهُوَ الإِسْلَامُ.

(أي: صنعة الله التي صنع عليها الإنسان وهي قابليته للإيمان بالله تعالى).

{فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} ... جَبَلَهُمْ وَطَبَعَهُمْ عَلَيْهَا.

{لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّه} .... أي: لا تعملوا على تغيير تلك القابلية للإيمان والتوحيد فالجملة خبرية لفظاً إنشائية معنى.

{ذَلك} ..... هُوَ.

{الدِّين القيم} .... الْحق الْمُسْتَقيم .

(أي: المستقيم الذي لا يضل الآخذ به).

{الْقَيِّمُ} ... الْمُسْتَقِيمُ الْمُوصِلُ إِلَى رِضَا الله.

{لاَ يَعْلَمُونَ} ..... أَن دين الْحق هُوَ الْإِسْلَامَ.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّوم} الآية {30} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ} نَفسك وعملك {لِلدِّينِ حَنِيفاً} مُسلما يَقُول أخْلص دينك وعملك لله واستقم على دين الْإِسْلَام {فِطْرَةَ الله} دين الله {الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} الَّتِي خلق النَّاس عَلَيْهَا فِي بطُون أمهاتهم وَيُقَال اتبع يَوْم الْمِيثَاق {لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ الله} لَا تَبْدِيل لدين الله {ذَلِكَ} هُوَ {الدِّين القيم} الْحق الْمُسْتَقيم {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاس} أهل مَكَّة {لاَ يَعْلَمُونَ} أَن دين الْحق هُوَ الْإِسْلَام. (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّوم} الآية {30} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ} أَيْ: أَخْلِصْ دِينَكَ لِلَّهِ قَالَهُ (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ)، وَإِقَامَةُ الْوَجْهِ إِقَامَةُ الدِّينِ،

وَقَالَ غَيْرُهُ: سَدِّدْ عَمَلَكَ، وَالْوَجْهُ مَا يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ وَدِينُهُ وَعَمَلُهُ، مِمَّا يَتَوَجَّهُ إليه لتسديده {حَنِيفًا} " مائلا مستقيما عليه،

{فِطْرَتَ اللَّهِ} دِينَ اللَّهِ وَهُوَ نُصِبَ عَلَى الْإِغْرَاءِ أَيْ إِلْزَمْ فِطْرَةَ اللَّه.

{الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} أي: خلق الناس عليها، هَذَا قَوْلُ (ابْنِ عَبَّاسٍ) وَجَمَاعَةٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْفِطْرَةِ الدِّينُ وَهُوَ الْإِسْلَامُ، وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ الْآيَةَ خَاصَّةٌ فِي الْمُؤْمِنِينَ هم الَّذِينَ فَطَرَهُمُ اللَّهُ عَلَى الْإِسْلَامِ .

{لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ} فَمَنْ حَمَلَ الْفِطْرَةَ عَلَى الدِّينِ قَالَ: مَعْنَاهُ. لَا تَبْدِيلَ لِدِينِ اللَّهِ وَهُوَ خَبَرٌ بِمَعْنَى النَّهْيِ أَيْ لَا تُبَدِّلُوا دِينَ اللَّهِ،

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (30) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

قَالَ: (مُجَاهِدٌ)، وَ(إِبْرَاهِيمُ): مَعْنَى الْآيَةِ الْزَمُوا فِطْرَةَ اللَّهِ أَيْ دِينَ اللَّهِ وَاتَّبِعُوهُ وَلَا تُبَدِّلُوا التَّوْحِيدَ بِالشرك،

{ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ} الْمُسْتَقِيمُ،

{وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ} يَعْنِي:- لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ أَيْ مَا جُبِلَ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ مِنَ السعادة والشقاء لا يبدل فَلَا يَصِيرُ السَّعِيدُ شَقِيًّا وَلَا الشقي سعيدا.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {30} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ}.

يأمر تعالى بالإخلاص له في جميع الأحوال وإقامة دينه فقال: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ} أي: انصبه ووجهه إلى الدين الذي هو الإسلام والإيمان والإحسان بأن تتوجه بقلبك وقصدك وبدنك إلى إقامة شرائع الدين الظاهرة كالصلاة والزكاة والصوم والحج ونحوها. وشرائعه الباطنة كالمحبة والخوف والرجاء والإنابة، والإحسان في الشرائع الظاهرة والباطنة بأن تعبد الله فيها كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

وخص الله إقامة الوجه لأن إقبال الوجه تبع لإقبال القلب ويترتب على الأمرين سَعْيُ البدن ولهذا قال: {حَنِيفًا} أي: مقبلا على الله في ذلك معرضا عما سواه.

وهذا الأمر الذي أمرناك به هو {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} ووضع في عقولهم حسنها واستقباح غيرها، فإن جميع أحكام الشرع الظاهرة والباطنة قد وضع الله في قلوب الخلق كلهم، الميل إليها، فوضع في قلوبهم محبة الحق وإيثار الحق وهذا حقيقة الفطرة.

ومن خرج عن هذا الأصل فلعارض عرض لفطرته أفسدها كما قال النبي- صلى الله عليه وسلم-: "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"

{لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ} أي: لا أحد يبدل خلق الله فيجعل المخلوق على غير الوضع الذي وضعه الله، {ذَلِكَ} الذي أمرنا به {الدِّينُ الْقَيِّمُ} أي: الطريق المستقيم الموصل إلى الله وإلى كرامته، فإن من أقام وجهه للدين حنيفا فإنه سالك الصراط المستقيم في جميع شرائعه وطرقه،

{وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ} فلا يتعرفون الدين القيم وإن عرفوه لم يسلكوه.(2)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {30} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ}.

لما قرر تعالى عقيدة التوحيد والبعث والجزاء بالأدلة وضمن ذلك عقيدة النبوة

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (30).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (30)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

وإثباتها للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر رسوله والمؤمنون تبع له فقال: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ [1] لِلدِّينِ حَنِيفاً} [2] أي أنصبوا وجوهكم أيها الرسول والمؤمنون للدين الحق دين الإسلام القائم على مبدأ التوحيد والعمل الصالح، فلا تلتفتوا إلى غيره من الأديان المنحرفة الباطلة.

وقوله: {فِطْرَتَ [3] اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} أي أقيموا وجوهكم للدين الحق الذي فطر الله الإنسان عليه تلك الفطرة التي هي خلق الإنسان قابلاً للإيمان والتوحيد.

وقوله: {لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ} أي لا تبدلوا تلك الخلقة ولا تغيروها بل نموها وأبرزوها بالتربية حتى ينشأ الطفل على الإيمان والتوحيد. فالجملة خبرية لفظا وإنشائية معنى نحو فهل أنتم منتهون فهي بمعنى انتهوا وهي أبلغ من انتهوا فكذا: لا تبديل أبلغ من لا تبدلوا.

وقوله: {ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ} [4] أي: لزوم ما فطر عليه المرء من الإيمان بالله وتوحيده.. وإبراز ذلك في الواقع بالإيمان بالله وبما أمر بالإيمان به من أركان الإيمان وبعبادة الله تعالى وهي طاعته بفعل ما يأمر به وينهى عنه مخلصا له ذلك لا يشاركه فيه غيره من سائر مخلوقاته هو الدين القيم الذي يجب أن يكون عليه الإنسان.

وقوله: {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ} [5] يخبر تعالى بأن ما قرره من الدين القيم كما بيّنه في الآيات أكثر الناس لا يعلمونه ولا يعرفونه وهو كما أخبر سبحانه وتعالى. [6]

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّوم} الآية {30} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}.

يَقُولُ تَعَالَى: فَسَدِّدْ وَجْهَكَ وَاسْتَمِرَّ عَلَى الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ لَكَ، مِنَ الْحَنِيفِيَّةِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ، الَّذِي هَدَاكَ اللَّهُ لَهَا، وَكَمَّلَهَا لَكَ غَايَةَ الْكَمَالِ، وَأَنْتَ مَعَ ذَلِكَ لَازِمْ فِطْرَتَكَ السَّلِيمَةَ، الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ الْخَلْقَ عَلَيْهَا، فَإِنَّهُ تَعَالَى فَطَرَ خَلْقَهُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ، وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، كَمَا تَقَدَّمَ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى:

---

(1) - فأقم وجهك: هذا الفاء هي الفاء الفصيحة إذ هي مفصحة عن جواب سؤال مقدر تقديره هنا إذا علمت أحوال المعرضين عن الحق بعد ظهور دلائله فأقم وجهك والمراد من الأمر دوام إقامة الوجه والاستمرار عليه.

(2) - حنيفا منصوب على الحال أي حال كونك معتدلاً مائلاً عن جميع الأديان المنحرفة الباطلة إلى دين الله الحق الذي لم يبدل ولم يغيّر وهو الإسلام.

(3) - فطرة: جائز أن يكون منصوبا على المفعولية المطلقة أي: فطر الله تعالى الإنسان على ذلك فطرة، وجائز أن يكون منصوبا على أنه مفعول به أي وابتع فطرة الله والتقدير: فأقم وجهك للدين حنيفا واتبع فطرة الله.

(4) - قيّم كهيّن ولين مفيد قوة الاتصاف بمصدره أي الدين البالغ قوة القيام أي: الاستقامة والبعد عن الاعوجاج. يقال عود مستقيم وقيّم من تشبيه المعقول بالمحسوس.

(5) - في الصحيح عن (أبي هريرة)- رضي الله عنه- يقول: الرسول- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مقررا حقيقة أن الإسلام هو دين الفطرة يقول: "ما من مولود يولد إلا على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟ ثم يقول فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم. "الجمعاء أي جامعة لأعضائها لا نقص فيها والجدعاء التي يجدع أي يقطع منها عضو كالذيل أو الأذن.

(6) انظُر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (30) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

{وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى} {الْأَعْرَاف: 172}،

* * *

وَفِي الْحَدِيث: ((إني خلقت عبادي حُنَفَاء، فَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ دِينهِمْ)).(1)

وَسَنَذْكُرُ فِي الْأَحَادِيث أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَطَرَ خَلْقَهُ عَلَى الْإِسْلَام، ثُمَّ طَرَأَ عَلَى بَعْضِهِمُ الْأَدْيَانُ الْفَاسِدَةُ كَالْيَهُودِيَّةِ أَوِ النَّصْرَانِيَّةِ أَوِ الْمَجُوسِيَّة.

وَقَوْلُهُ: {لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ} قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ لَا تُبَدِّلُوا خَلْقَ اللَّهِ، فَتُغَيِّرُوا النَّاس عَنْ فِطْرَتِهِمُ الَّتِي فَطَرَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهَا. فَيَكُونُ خَبَرًا بِمَعْنَى الطَّلَب، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا} {آلِ عِمْرَان: 97}، وَهَذَا مَعْنًى (حَسَنٌ صَحِيحٌ).

* * *

وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ خَبَرٌ عَلَى بَابِهِ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ تَعَالَى سَاوَى بَيْنَ خَلْقِهِ كُلِّهِمْ فِي الْفِطْرَةِ عَلَى الْجِبِلَّةِ الْمُسْتَقِيمَة، لَا يُولَدُ أَحَدٌ إِلَّا عَلَى ذَلِكَ، وَلَا تَفَاوُتَ بَيْنَ النَّاس فِي ذَلِكَ"

وَلِهَذَا قَالَ: (ابْنُ عَبَّاس)، وَ(إِبْرَاهِيم النَّخَعِي)، وَ(سَعِيدُ بْنُ جُبَيْر)، وَ(مُجَاهِدٌ)، وَ(عِكْرِمَة)، وَ(قَتَادَةُ)، وَ(الضَّحَّاكُ)، وَ(ابْنُ زَيْد) فِي قَوْلِهِ: {لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ} أَيْ: لِدِينِ اللَّه.

* * *

وَقَالَ: الإمام (الْبُخَارِيُّ): قَوْلُهُ: {لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ}: لِدِينِ اللَّهِ، خَلْقُ الْأَوَّلِينَ: دِينُ الْأَوَّلِينَ، وَالدِّينُ وَالْفِطْرَةُ: الْإِسْلَامُ.

* * *

حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا يُونُسُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ (أَبَا هُرَيْرَةَ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ))؟ ثُمَّ يَقُولُ: {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ}.

وَرَوَاهُ (مُسْلِمٌ) - مِنْ حَدِيث - عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهْب، عَنْ يُونُسَ بْنِ يَزِيدَ الْأَيْلِي، عَنِ (الزُّهْرِيِّ)، بِهِ.(2) وَأَخْرَجَاهُ -أَيْضًا- مِنْ حَدِيث- (عَبْدِ الرَّزَّاق)، عَنْ مَعْمَر، عَنْ هَمَّام، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.(3)

* * *

وَفِي مَعْنَى هَذَا الْحَدِيث قَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثُ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، (فَمِنْهُمُ الْأَسْوَدُ بْنُ سَرِيعٍ التَّمِيمِيُّ).

---

(1) (صَحِيح): وقد تقدم عند تفسير الآية (172) من سورة (الأعراف).

(2) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4775). - (كتاب: تفسير القرآن). / وأخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2658) - (كتاب: القدر).

(3) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (6599). - (كتاب: القدر). / وأخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2658). - (كتاب: القدر).

قَــالَ الْإِمَــامُ (أَحْمَــدُ): حَــدَّثَنَا إِسْــمَاعِيلُ، حَــدَّثَنَا يُــونُسُ، عَــنِ الْحَسَــنِ عَــنِ (الْأَسْــوَدِ بْــنِ سَــرِيعٍ التَّمِيمِــيِّ) قَــالَ: أَتَيْــتُ رَسُــولَ اللَّــهِ - صَــلَّى اللَّــهُ عَلَيْــهِ وَسَــلَّمَ- وَغَــزَوْتُ مَعَــهُ، فَأَصَبْتُ ظَهْــرًا ، فَقُتِــلَ النَّــاسُ يَوْمَئِــذٍ، حَتَّــى قَتَلُــوا الْوِلْــدَانَ. فَبَلَــغَ ذَلِــكَ رَسُــولَ اللَّــهِ -صَــلَّى اللَّــهُ عَلَيْــهِ وَسَــلَّمَ- فَقَــالَ: "مَــا بَــالُ أَقْــوَامٍ جَــاوَزَهُمُ الْقَتْــلُ الْيَــوْمَ حَتَّــى قَتَلُــوا الذُّرِّيَّــةَ؟ ". فَقَــالَ رَجُــلٌ: يَــا رَسُــولَ اللَّــهِ، أَمَــا هُــمْ أَبْنَــاءُ الْمُشْرِكِينَ؟ فَقَــالَ: "أَلَا إِنَّمَــا خِيَــارُكُمْ أَبْنَــاءُ الْمُشْــرِكِينَ". ثُــمَّ قَــالَ: "لَا تَقْتُلُــوا ذُرِّيَّــةً، لَا تَقْتُلُــوا ذُرِّيَّــةً". وَقَــالَ: ((كُــلُّ نَسَــمَةٍ تُولَــدُ عَلَــى الْفِطْــرَةِ، حَتَّــى يُعْــرِبَ عَنْهَــا لِسَــانُهَا، فَأَبَوَاهَــا يُهَوِّدَانِهَــا أَوْ يُنصرانها)).

وَرَوَاهُ (النَّسَــائِيُّ) فِــي (كِتَــابِ السِّــيَرِ)، عَــنْ زِيَــادِ بْــنِ أَيُّــوبَ، عَــنْ هُشَــيْمٍ، عَــنْ يُــونُسَ -وَهُــوَ ابْنُ عُبَيْدٍ -عَنِ (الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ)، بِهِ [1].

* * *

وَمِنْهُمْ (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ الْهَاشِمِيُّ)،

قَــالَ الْإِمَــامُ (أَحْمَــدُ): حَــدَّثَنَا عَفَّــانُ، حَــدَّثَنَا أَبُــو عَوَانَةَ، حَــدَّثَنَا أَبُــو بِشْــرٍ، عَــنْ (سَــعِيدِ بْــنِ جُبَيْــرٍ) ، عَــنِ (ابْــنِ عَبَّــاسٍ)، رَضِــيَ اللَّــهُ عَنْهُمَــا، أَنَّ رَسُــولَ اللَّــهِ - صَــلَّى اللَّــهُ عَلَيْــهِ وَسَــلَّمَ- سُــئِلَ عَــنِ أَوْلَادِ الْمُشْــرِكِينَ، فَقَــالَ: ((اللَّــهُ أَعْلَــمُ بِمَــا كَــانُوا عَــامِلِينَ إِذْ خَلَقَهُــمْ)) [2].

* * *

أَخْرَجَــاهُ فِــي الصَّــحِيحَيْنِ، - مِــنْ حَــدِيثِ- أَبِــي بِشْــرٍ جَعْفَــرِ بْــنِ إِيَــاسٍ الْيَشْكُرِي، عَــنْ (سَــعِيدِ بْــنِ جُبَيْــرٍ)، عَــنِ (ابْــنِ عَبَّــاسٍ) مَرْفُوعًــا بِــذَلِكَ [3].

* * *

وَقَــدْ قَــالَ الْإِمَــامُ (أَحْمَــدُ) أَيْضًــا: حَــدَّثَنَا عَفَّــانُ، حَــدَّثَنَا حَمَّــادٌ -يَعْنِــي ابْــنَ سَــلَمَةَ - أَنْبَأَنَــا عَمَّــارُ بْــنُ أَبِــي عَمَّــارٍ، عَــنِ (ابْــنِ عَبَّــاسٍ) قَــالَ: أَتَــى عَلَــيَّ زَمَــانٌ وَأَنَــا أَقُــولُ: أَوْلَادُ الْمُسْــــلِمِينَ مَــــعَ أَوْلَادِ الْمُسْــــلِمِينَ، وَأَوْلَادُ الْمُشْــرِكِينَ مَــعَ الْمُشْــرِكِينَ. حَتَّــى حَــدَّثَنِي فُــلَانٌ عَــنْ فُــلَانٍ: أن رسـول الله- صــلى الله عليــه وسـلم - سُــئِلَ عَــنْهُمْ فَقَــالَ: "اللَّــهُ أَعْلَــمُ بِمَــا كَــانُوا عَــامِلِينَ". قَــالَ: فَلَقِيــتُ الرَّجُــلَ فَأَخْبَرَنِي. فَأَمْسَكْتُ عَنْ قَوْلِي [4].

* * *

وَمِنْهُمْ (عِيَاضُ بْنُ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيُّ)،

قَــالَ الْإِمَــامُ (أَحْمَــدُ): حَــدَّثَنَا يَحْيَــى بْــنُ سَــعِيدٍ، حَــدَّثَنَا هِشَــامٌ، حَــدَّثَنَا (قَتَــادَةُ)، عَــنْ مُطَــرِّفٍ، عَــنْ (عِيَــاضِ بْــنِ حِمَــارٍ) أَنَّ رَسُــولَ اللَّــهِ- صَــلَّى اللَّــهُ عَلَيْــهِ وَسَــلَّمَ - خَطَــبَ ذَاتَ يَــوْمٍ فَقَــالَ فِــي

---

[1] (صَــحِيحٌ): أخرجــه الإِمَــامْ (أحمــد بــن حنبــل) في (المســند) بــرقم (435/3).
وأخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (8616).
وأخرجه الإِمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (132).
و(صححه) الإِمَامْ (الألباني) في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) برقم(402).

[2] (صَــحِيحٌ): أخرجــه الإِمَــامْ (أحمــد بــن حنبــل) في (المســند) (328/1)

[3] (متفــق عليــه): أخرجــه الإِمَــامْ (البُخَــاري) في (صــحيحه) بــرقم (1383).–(كتــاب: الجنــائز). / وأخرجــه الإِمَــامْ (مُسْلِمْ) في (صــحيحه) بــرقم (2660).–(كتاب: القدر).

[4] أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (73/5).
وقال: الإِمَامْ (الهيثمي) في (المجمع) (218/7) "رجاله رجال الصحيح".
وقال: الشيخ (شعيب الأرنؤوط): (إسناده صحيح)

خُطبَتِهِ: ((إِنَّ رَبِّي، عَزَّ وَجَلَّ، أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي فِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عِبَادِي حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَأَضَلَّتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ، عَزَّ وَجَلَّ، نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ، عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ. ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ إِذًا يَثْلَغُوا رَأْسِي فَيَدَعُوهُ خُبْزَةً. قَالَ: اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرَجُوكَ، وَاغْزُهُمْ نُغْزِكَ، وَأَنْفِقْ عَلَيْهِمْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ. وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثْ خَمْسَةً مِثْلَهُ، وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ". قَالَ: "وَأَهْلُ الْجَنَّةِ: ثَلَاثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ بِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَرَجُلٌ عَفِيفٌ فَقِيرٌ مُتَصَدِّقٌ. وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبْرَ لَهُ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا، لَا يَبْتَغُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا. وَالْخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ وَإِنْ دَقَّ إِلَا خَانَهُ. وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ"، وَذَكَرَ الْبَخِيلَ، أَوِ الْكَذَّابَ، وَالشِّنْظِيرُ: الْفَحَّاشُ. (1)

انْفَرَدَ بِإِخْرَاجِهِ الإِمَامُ (مُسْلِمٌ)، فَرَوَاهُ - مِنْ طُرُقٍ- عَنْ (قَتَادَةَ)، بِهِ (2).

(1) (صَحِيحٌ): أخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (162/4).

(2) (صَحِيحٌ): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (2865) - (كتاب: القدر).

* * *

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ} أَيْ: التَّمَسُّكُ بِالشَّرِيعَةِ وَالْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ هُوَ الدِّينُ الْقَوِيمُ الْمُسْتَقِيمُ،

{وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} أَيْ: فَلِهَذَا لَا يَعْرِفُهُ أَكْثَرُ النَّاسِ، فَهُمْ عَنْهُ نَاكِبُونَ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ} {يُوسُفَ: 103}،

{وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} الْآيَةَ {الْأَنْعَامِ: 116}. (3)

* * *

أخرج- الإمام (آدم بن أبي إياس) - (رحمه الله):- (بسنده الصحيح)- عن (مجاهد): (فِطْرَةَ اللهِ) قال: الدين الإسلام. (4)(5)

* * *

أخرج- الإمام (آدم بن أبي إياس) - (رحمه الله):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): (لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ)، قال: لدينه. (6)(7)

(6)(7)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن)- حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن (قَتَادَة): {لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ} أي: لدين الله. (8)

* * *

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (30).

(4) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (84/4)، للشيخ: (أ. الدكتور: حكمت بن بشير بن ياسين)،

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (97/20).

(6) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (84/4).

(7) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (97/20).

(8) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (98/20).

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا عبدان، أخبرنا عبد الله، أخبرنا يونس، عن الزهري قال، أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن (أبا هريرة) - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "ما من مولود إلا يُولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟ ثم يقول (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم). (1)

* * *

وانظر: حديث (عياض بن حمار)
كما قال: الإمام (مُسْلِمْ) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده): عن (عياض بن حمار المجاشعي) في (الحديث القدسي): كل مال نحلته عبداً حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللتُ لهم .. (2)

* * *

(1) (صحيح): أخرجه الإمام (البخاري) في (صحيحه) برقم (8/372)، (ح4775) – (كتاب: تفسير القرأن - سورة الروم)،/ باب: (لا بديل لحلق الله))،

(صحيح): أخرجه الإمام (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (4/2047) – (كتاب: القدر)، / بال: (معنى (كل مولود يولد على الفطرة ..))،

وأخرجه الإمام (ابن حبان) في (صحيحه) - (الإحسان) برقم (1/341)، (ح132)،

وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (2/123)،

وأخرجه الإمام (الضياء المقدسي) في (المختارة) برقم (4/247-249)، (ح1444-1446) -من حديث -(الأسود بن سريع) - رضي الله عنه -، وفيه النهي عن قتل الذرية في الحرب، وقول النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((أوَليس خياركم أولاد المشركين ..))

و(صححه) الإمام (الحاكم)، ووافقه الإمام (الذهبي).

(2) (صحيح): أخرجه الإمام (مُسْلِمْ) في (صحيحه) (كتاب: الجنة)، / باب: (16 رقم 2865).

[٣١] ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وارجعوا إليه سبحانه بالتوبة من ذنوبكم، واتقوه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وأتموا الصلاة على أكمل وجه، ولا تكونوا من المشركين الذين يناقضون الفطرة فيشركون مع الله غيره في عبادتهم. (3)

* * *

وكونوا راجعين إلى الله بالتوبة وإخلاص العمل له، واتقوه بفعل الأوامر واجتناب النواهي، وأقيموا الصلاة تامة بأركانها وواجباتها وشروطها، ولا تكونوا من المشركين مع الله غيره في العبادة. (4)

* * *

كونوا راجعين إليه، وافعلوا ما أمركم به، واتركوا ما نهاكم عنه، وحافظوا على الصلاة، ولا تكونوا من الذين عبدوا مع الله غيره. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{مُنِيبِينَ إِلَيْهِ} ... رَاجِعِينَ إِلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ وَإِخْلَاصِ العَمَلِ لَهُ.

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/407). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/407)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/606)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(أي: راجعين إليه تعالى بفعل محابه وترك مكارهه).

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّوم} الآية {31} قَوْلُهُ تَعَالَى: {مُنِيبِينَ إِلَيْهِ} كونُوا مُؤمنين أَي: مُقْبلين إِلَيْهِ بِالطَّاعَة {واتقوه} وأطيعوه فيمَا أَمركُم {وَأَقِيمُوا الصَّلَاة} أتموا الصَّلَوَات الْخمس {وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} مَعَ الْمُشْرِكين على دينهم. (1)

* * *

قال: الإمَامْ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّوم} الآية {31} قَوْلُهُ تَعَالَى: {مُنِيبِينَ} أَيْ: فَأَقِمْ وَجْهَكَ أَنْتَ وَأُمَّتُكَ منيبين إليه لأن المخاطبة للنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ويدخل مَعَهُ فِيهَا الْأُمَّةُ،كَمَا قَالَ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ} {الطلاق: 1}.

{مُنِيبِينَ إِلَيْهِ} أي: راجعين إليه بالتوبة منيبين إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ. {وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّوم} الآية {31} قَوْلُهُ تَعَالَى: {مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ} وهذا تفسير لإقامة الوجه للدين، فإن الإنابة إنابة القلب وانجذاب دواعيه لمراضي الله تعالى.

ويلزم من ذلك حمل البدن بمقتضى ما في القلب فشمل ذلك العبادات الظاهرة والباطنة، ولا يتم ذلك إلا بترك المعاصي الظاهرة والباطنة فلذلك قال: {وَاتَّقُوهُ} فهذا يشمل فعل المأمورات وترك المنهيات.

وخص من المأمورات الصلاة لكونها تدعو إلى الإنابة والتقوى لقوله تعالى: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} فهذا إعانتها على التقوى.

ثم قال: {وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ} فهذا حثها على الإنابة. وخص من المنهيات أصلها والذي لا يقبل معه عمل وهو الشرك فقال: {وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} لكون الشرك مضادا للإنابة التي روحها الإخلاص من كل وجه. (3)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّوم} الآية {31} قَوْلُهُ تَعَالَى: {مُنِيبِينَ (1) إِلَيْهِ} أي أقيموا وجوهكم للدين القيم حال كونكم راجعين إليه تعالى تائبين إليه من كل دين غير هذا الدين، ومن كل طاعة غير طاعته تعالى بفعل الأوامر واجتناب النواهي.

وقوله: {وَاتَّقُوهُ} أي خافوه تعالى إذ عذابه شديد فلا تتركوا دينه لأي دين ولا طاعته لأي مطاع غير الله تعالى ورسوله.

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (31) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الرُّوم) الآية (31).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (31)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

وقوله: {وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ} أي: حافظوا عليها في أوقاتها وأدوها كما شرعها كميّة وكيفيّة فإنها سقيا الإيمان ومُنمية الخشية والمحبة لله تعالى.

وقوله تعالى: {وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}. (1)

* * *

قال: الإمامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّوم} الآية {31} قَوْلُهُ تَعَالَى: {مُنِيبِينَ إِلَيْهِ} قَالَ: (ابْنُ زَيْدٍ)، وَ(ابْنُ جُرَيْجٍ): أَيْ: رَاجِعِينَ إِلَيْهِ، {وَاتَّقُوهُ} أَيْ: خَافُوهُ وَرَاقِبُوهُ، {وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ} وَهِيَ الطَّاعَةُ الْعَظِيمَةُ، {وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} أَيْ: بَلْ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ الْمُخْلِصِينَ لَهُ الْعِبَادَةَ، لَا يُرِيدُونَ بِهَا سِوَاهُ.

* * *

قَالَ (ابْنُ جَرِيرٍ): حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ وَاضِحٍ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ قَالَ: مَرَّ (عُمَرُ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ فَقَالَ: مَا قِوَامُ هَذِهِ الْأُمَّةِ ؟ قَالَ مُعَاذٌ: ثَلَاثٌ، وَهُنَّ مِنَ الْمُنْجِيَاتِ: الْإِخْلَاصُ، وَهِيَ الْفِطْرَةُ، فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا، وَالصَّلَاةُ وَهِيَ الْمِلَّةُ، وَالطَّاعَةُ وَهِيَ الْعِصْمَةُ. فَقَالَ عُمَرُ: صَدَقْتَ.

* * *

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ، حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ (أَبِي قِلَابَةَ): أَنَّ (عُمَرَ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ لِمُعَاذٍ: مَا قِوَامُ هَذَا الْأَمْرِ؟ فَذَكَرَهُ نَحْوَهُ. (2)

* * *

[٣٢] ﴿ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولا تكونوا من المشركين الذين بدلوا دينهم، وآمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه, وكانوا فرقًا وأحزابًا, كل حزب منهم بما هم عليه من الباطل مسرورون، يرون أنهم وحدهم على الحق، وأن غيرهم على الباطل. (3)

* * *

ولا تكونوا من المشركين وأهل الأهواء والبدع الذين بدَّلوا دينهم، وغيَّروه، فأخذوا بعضه، وتركوا بعضه" تبعًا لأهوائهم، فصاروا فرقًا وأحزابًا، يتشيعون لرؤسائهم وأحزابهم وآرائهم، يعين بعضهم بعضًا على الباطل، كل حزب بما لديهم فرحون مسرورون، يحكمون لأنفسهم بأنهم على الحق وغيرهم على الباطل. (4)

* * *

من الذين فرَّقوا دينهم فاختلفوا فيه، وصاروا فرقًا كل فرقة تشايع من تتبعه، كل

---

(1) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَة (الرُّوم) الآية (31) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَة (الرُّوم) الآية (31).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (407/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (407/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

فريق منهم بما عندهم مسرورون، يظنون أنهم على الحق.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فَرَّقُوا دِينَهُمْ} ... بَدَّلُوا دِينَهُمْ وَغَيَّرُوهُ فَأَخَذُوا بَعْضًا وَتَرَكُوا بَعْضًا.

{وَكَانُوا شِيَعاً} .... أي: طوائف وأحزاباً كل فرقة فرحة بما هي عليه من حق وباطل.

{شِيَعًا} ... فِرَقًا وَأَحْزَابًا.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {32} قَوْلُهُ تَعَالَى: {مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ} تركُوا دين الْإِسْلَام {وَكَانُواْ شِيَعاً} صَارُوا فرقا الْيَهُود وَالنَّصَارَى وَسَائِر أهل الْملَل {كُلُّ حِزْبٍ} كل أهل دين {بِمَا لَدَيْهِمْ} بِمَا عِنْدهم من الدّين {فَرِحُونَ} معجبون يرَوْن أَنه حق.(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {32} قَوْلُهُ تَعَالَى: {مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا} أَيْ: صَارُوا فِرَقًا مُخْتَلِفَةً وَهُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى.

يَعْنِي :- هُمْ أَهْلُ الْبِدَعِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ،

{كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} أَيْ: رَاضُونَ بِمَا عِنْدَهُمْ.(3)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {32} قَوْلُهُ تَعَالَى: {مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا(4) دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً} . ينهى تعالى المؤمنين من أهل الدين القيم الذي هو الإسلام أن يكونوا من المشركين في شيء من ضروب الشرك عقيدة وقولا وعملا. فكل ملة غير ملة الإسلام أهلها مشركون كافرون سواء كانوا مجوساً أو يهوداً أو نصارى أو بوذة أو هندوكاً أو بلاشفة شيوعيين إذ جميعهم فرقوا دينهم الذي يجب أن يكونوا عليه وهو دين الفطرة وهو الإسلام وكانوا شيعا أي: فرقا وأحزاباً كل فرقة تنتصر لما هي عليه وتتحزب له.

{كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} فأصبح كل حزب منهم بما لديهم من دين فرحين به ظنا منهم أنه الدين الحق وهو الباطل قطعة، لأنه ليس دين الفطرة التي فطر الله عليها الإنسان وهو الإسلام القائم على توحيد الله تعالى وعبادته بما شرع لعباده أن يعبدوه به ليكملوا على ذلك ويسعدوا.(5)

* * *

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (606/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (32) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الرُوم) الآية (32).

(4) قرأ الجمهور (فرقوا): وقرأ حمزة والكسائي فارقوا، والشيع جمع شيعة وهي الجماعة التي تتشايع أي: توافق وتجمع عليه والحزب الجماعة الذين رأيهم ونزعتهم واحدة.

(5) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (32) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {32} ثم ذكر حالة المشركين مهجنا لها ومقبحا فقال: {مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ} مع أن الدين واحد وهو إخلاص العبادة لله وحده وهؤلاء المشركون فرقوه، منهم من يعبد الأوثان والأصنام. ومنهم من يعبد الشمس والقمر، ومنهم من يعبد الأولياء والصالحين ومنهم يهود ومنهم نصارى.

ولهذا قال: {وَكَانُوا شِيَعًا} أي: كل فرقة من فرق الشرك تألفت وتعصبت على نصر ما معها من الباطل ومنابذة غيرهم ومحاربتهم.

{كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ} من العلوم المخالفة لعلوم الرسل.

{فَرِحُونَ} به يحكمون لأنفسهم بأنه الحق وأن غيرهم على باطل، وفي هذا تحذير للمسلمين من تشتتهم وتفرقهم فرقا كل فريق يتعصب لما معه من حق وباطل، فيكونون مشابهين بذلك للمشركين في التفرق بل الدين واحد والرسول واحد والإله واحد.

وأكثر الأمور الدينية وقع فيها الإجماع بين العلماء والأئمة، والأخوة الإيمانية قد عقدها الله وربطها أتم ربط، فما بال ذلك كله يُلْغَى ويُبْنَى التفرق والشقاق بين المسلمين على مسائل خفية أو فروع خلافية يضلل بها بعضهم بعضا، ويتميز بها بعضهم عن بعض؟

فهل هذا إلا من أكبر نزغات الشيطان وأعظم مقاصده التي كاد بها للمسلمين؟.

وهل السعي في جمع كلمتهم وإزالة ما بينهم من الشقاق المبني على ذلك الأصل الباطل، إلا من أفضل الجهاد في سبيل الله وأفضل الأعمال المقربة إلى الله؟.

ولما أمر تعالى بالإنابة إليه -وكان المأمور بها هي الإنابة الاختيارية، التي تكون في حالَي العسر واليسر والسعة والضيق- ذكر الإنابة الاضطرارية التي لا تكون مع الإنسان إلا عند ضيقه وكربه، فإذا زال عنه الضيق نبذها وراء ظهره وهذه غير نافعة: (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن)- عن (قتادة): {مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعً} وهم اليهود والنصارى. (2)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {32} قَوْلُهُ تَعَالَى: {مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} أَيْ: لَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَدْ فَرَّقُوا دِينَهُمْ أَيْ: بَدَّلُوهُ وَغَيَّرُوهُ وَآمَنُوا بِبَعْضٍ وَكَفَرُوا بِبَعْضٍ.

* * *

وَقَرَأَ بَعْضُهُمْ: "فَارَقُوا دِينَهُمْ" أَيْ: تَرَكُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَهَؤُلَاءِ كَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسِ وَعَبَدَةِ الْأَوْثَانِ، وَسَائِرِ أَهْلِ الْأَدْيَانِ الْبَاطِلَةِ، مِمَّا عَدَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (32)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).
(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (100/20).

إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ {الْأَنْعَام: 159}،

فَأَهْلُ الْأَدْيَانِ قَبْلَنَا اخْتَلَفُوا فيمَا بَيْنَهُمْ عَلَى آراء وملل بَاطِلَة، وَكُلُّ فُرْقَةٍ مِنْهُمْ تَزْعُمُ أَنَّهُمْ عَلَى شيء،

وَهَذه الْأُمَّةُ أَيْضًا اخْتَلَفُوا فيمَا بَيْنَهُمْ عَلَى نَحلٍ كُلُّهَا ضَلَالَةٌ إلاَ وَاحِدَةً، وَهُمْ أَهْلُ السُّنَّة وَالْجَمَاعَة، الْمُتَمَسِّكُونَ بكتَابِ اللَّه وَسُنَّة رَسُولِ اللَّه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-، وبِمَا كَانَ عَلَيْه الصَّدْرُ الْأَوَّلُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِيْن، وَأَئمَّةُ الْمُسْلمينَ في قَديم الدَّهْر وَحَديثه،

كَمَا رَوَاهُ (الْحَاكِمُ) في (مُسْتَدْرَكِه): أَنَّهُ سُئِلَ، عَلَيْه السَّلَامُ عَنِ -الْفِرْقَةِ النَّاجِيَة- مِنْهُمْ، فَقَالَ: ((مَا أَنَا عليه اليوم وأصحابي)).(1)(2) (3)

* * *

﴿ من فَوَائِدِ الآيَات ﴾
﴿ سُورَةُ الرُّوم: 25- 32 ﴾

- خضوع جميع الخلق لله سبحانه قهرًا واختيارًا.
- دلالة النشأة الأولى على البعث واضحة المعالم.
- اتباع الهوى يضل ويطغي.
- دين الإسلام دين الفطرة السليمة. (4)

* * *

[٣٣] ﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وإذا أصاب المشركين شدةٌ من مرض أو فقر أو قحط دعوا ربهم سبحانه وحده راجعين إليه بالتضرع والالتجاء أن يصرف عنهم ما أصابهم، ثم إذا رحمهم بكشف ما أصابهم، إذا جماعة منهم يرجعون إلى إشراكهم مع الله غيره في الدعاء. (5)

* * *

وإذا أصاب الناسَ شدة وبلاء دعَوا ربهم مخلصين له أن يكشف عنهم الضر، فإذا رحمهم وكشف عنهم ضرهم إذا فريق منهم يعودون إلى الشرك مرة أخرى، فيعبدون مع الله غيره. (6)

* * *

---

(1) (صحيح): وقد تقدم.

(2) أخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (1/129،128)،

وقال: الحافظ (ابن حجر) في (تخريج الكشاف) ص (63): (إسناده حسن).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَام (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (32).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (407/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (408/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(6) انظر: (التفسير الميسر) برقم (408/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (33) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (34) أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ (35) وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ (36) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (37) فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (38) وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ (39) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (40) ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (41)

وإذا أصاب الناس ضر - من مرض أو شدة - التجأوا إلى الله ودعوه راجعين إليه، طالبين كشف الشدة عنهم، ثم إذا أذاقهم الله خلاصاً من الشدة ومنحهم من فضله سارع فريق منهم بربهم يشركون.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وإذا مس الناس ضر} ..... أي: إذا مس المشركين ضرّ أي شدة من مرض أو فقر أو قحط.

{منيبين إليه} .... أي: راجعين إليه بالضراعة والدعاء إليه تعالى دون غيره.

{رحمة} .... بكشفِ ضر أو إنزال غيث وإصابة رخاء وسعة رزق.

{يشركون} .... أي: بربهم فيعبدون معه غيره بالذبح للآلهة والنذر وغيره.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّوم} الآية {33} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذَا مَسَّ} أَصَابَ {النَّاس} كفار مَكَّة {ضُرٌّ} شدَّة {دَعَوْا رَبَّهُمْ} برفع الشدَّة {مُنِيبِينَ إِلَيْهِ} مُقبلين بالدُّعَاء إِلَيْهِ {ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ} أَصَابَهُم {مِّنْهُ} من الله {رَحْمَةً} نعْمَة {إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ} يَعْنِي: الْكفَّار {بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ} يعدلُون بِهِ الْأَصْنَام.(2)

* * *

قال: الإِمَامْ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّوم} الآية {33} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ} قَحْطٌ وَشِدَّةٌ، {دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ} مُقْبِلِينَ إِلَيْهِ بِالدُّعَاءِ {ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً} خِصْبًا وَنِعْمَةً، {إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ}.(3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّوم} الآية {33} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ} مرض أو خوف من هلاك ونحوه. {دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ} ونسوا ما كانوا به يشركون في تلك الحال لعلمهم أنه لا يكشف الضر إلا الله.

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (606/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (33) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الرُّوم) الآية (33).

{ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً} شفاهم من مرضهم وآمنهم من خوفهم،

{إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ} ينقضون تلك الإنابة التي صدرت منهم ويشركون به من لا دفع عنهم ولا أغنى، ولا أفقر ولا أغنى.(1)

* * *

قال: الإمامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {33} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ}.

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ النَّاسِ إِنَّهُمْ فِي حَالِ الاضْطِرَارِ يَدْعُونَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّهُ إِذَا أَسْبَغَ عَلَيْهِمُ النِّعَمَ، إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ أَيْ: فِي حَالَةِ الاخْتِبَارِ يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ، وَيَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ.(2)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {33} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ}.

لما أمر تعالى رسوله والمؤمنين بإقامة الدين ونهاهم أن يكونوا من المشركين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً أخبر تعالى عن المشركين أنهم إذا مسهم الضر وهو المرض والشدة كالقحط والغلاء ونحوها دعوا ربهم تعالى منيبين إليه أي راجعين إليه بالدعاء والضراعة لا يدعون غيره.

وهو قوله تعالى: {وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ}(3) وقوله: {ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً} أصابهم برحمة من عنده وهي الصحة والرخاء والخصب ونحوه.

{إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ} أي: كثير {بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ} فيعبدون الأصنام والأوثان بأنواع العبادات.(4)

* * *

[٣٤] ﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إذا كفروا بنعم الله -ومنها نعمة كشف الضر- وتمتعوا بما بين أيديهم في هذه الحياة فسوف يرون يوم القيامة بأعينهم أنهم كانوا في ضلال واضح.(5)

* * *

ليكفروا بما آتيناهم ومنَّا به عليهم من كشف الضر، وزوال الشدة عنهم، فتمتعوا -أيها المشركون- بالرخاء والسَّعَة في هذه الدنيا، فسوف تعلمون ما تلقونه من العذاب والعقاب.(6)

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (33)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (33).

(3) - الضر بالضم الضاد سوء الحال في البدن أو العيش أو المال وهذه الجملة الخبرية تحمل السامع على التعجب من حال المشركين كيف يخلصون لله تعالى الدعاء في الشدة ويشركون به في الرخاء يا للعجب!!.

(4) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (33) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (408/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(6) انظر: (التفسير الميسر) برقم (408/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

* * *

لتكون عاقبة أمرهم أن يكفروا بما آتاهم الله من النعم، فتمتعوا - أيها الجاحدون - كما تشاءون، فسوف تعرفون عاقبتكم.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{ليكفروا بما آتيناهم}....أي: ليكون شكرهم لله كفراً بنعمه والعياذ بالله.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَة الرُّوم} الآية {34} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لِيَكْفُرُوا} حَتَّى يكفروا {بِمَا آتَيْنَاهُمْ} أعطيناهم من النِّعْمَة {فَتَمَتَّعُوا} فعيشوا يَا أهل مَكَّة فِي الدُّنْيَا {فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} مَاذَا يفعل بكم فِي الْآخِرَة. (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَة الرُّوم} الآية {34} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ} ثُمَّ خَاطَبَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ فَعَلُوا، هَذَا خِطَابَ تَهْدِيدٍ فَقَالَ: {فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} حَالَكُمْ فِي الْآخِرَةِ. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَة الرُّوم} الآية {34} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} . وكل هذا كفر بما آتاهم الله ومَنَّ به عليهم حيث أنجاهم، وأنقذهم من الشدة وأزال عنهم المشقة، فهلا قابلوا هذه النعمة الجليلة بالشكر والدوام على الإخلاص له في جميع الأحوال؟. (4)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَة الرُّوم} الآية {34} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لِيَكْفُرُوا (5) بِمَا آتَيْنَاهُمْ} أي أشركوا بالله بعد إنعامه عليهم ليكفروا بما آتاهم من نعمة كشف الضر عنهم إذاً .

{فَتَمَتَّعُوا (6)} أيها الكافرون بما خولكم الله من نعمة فسوف تعلمون عاقبة كفركم لنعم الله وشرككم به يوم تردون عليه حفاة عراة لا وليّ لكم من دونه تعالى ولا نصير. (7)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَة الرُّوم} الآية {34} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ} ، هِيَ لَامُ الْعَاقِبَةِ عِنْدَ بَعْضِهِمْ، وَلَامُ التَّعْلِيلِ عِنْدَ

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (607/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَة (الرُّوم) الآية (34) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَة (الرُّوم) الآية (34).

(4) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَة (الرُّوم) الآية (34)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(5) - هذه لام التعليل في ظاهرها ولكنها آلت لمعنى العاقبة في واقعها.

(6) - الأمر للتهديد والتوعد على كفران النعم واستبدال شكرها بالكفر بالمنعم عز وجل الشرك به.

(7) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَة (الرُّوم) الآية (34) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

آخَرِينَ، وَلَكِنَّهَا تَعْلِيلٌ لِتَقْيِيضِ اللَّهِ لَهُمْ ذَلِكَ.

ثُمَّ تَوَعَّدَهُمْ بِقَوْلِهِ: {فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ}، قَالَ بَعْضُهُمْ: وَاللَّهِ لَوْ تَوَعَّدَنِي حَارِسُ دَرْبٍ لَخِفْتُ مِنْهُ، فَكَيْفَ وَالْمُتَوَعِّدُ هَاهُنَا هُوَ الَّذِي يَقُولُ لِلشَّيْءِ: كُنْ، فَيَكُونُ. (1)

* * *

[٣٥] ﴿ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ما الذي دعاهم إلى الشرك بالله ولا حجة لهم؟! فما أنزلنا عليهم حجة من كتاب يحتجون بها على شركهم بالله، وليس معهم كتاب يتكلم بشركهم، ويقرر لهم صحة ما هم عليه من الكفر. (2)

* * *

أم أنزلنا على هؤلاء المشركين برهانًا ساطعًا وكتابًا قاطعًا، ينطق بصحة شركهم وكفرهم بالله وآياته. (3)

* * *

أتركناهم فى ضلالهم ولم نسفه أحلامهم؟ بل أنزلنا عليهم بُرهانا فهو يشهد بالذى كانوا يشركونه مع الله. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{أم أنزلنا عليهم سلطانا} .... أي: حجة من كتاب وغيره ينطق بشركهم ويقرره لهم ويأمرهم به.

{سُلْطَانًا} ... بُرْهَانًا سَاطِعًا وكِتَابًا قَاطِعًا.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآيَة {35} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَمْ أَنْزَلْنَا} هَل أنزلنَا {عَلَيْهِمْ} على أهل مَكَّة {سُلْطَاناً} كتابا فِيهِ الْعذر والبرهان من السَّمَاء {فَهُوَ يَتَكَلَّمُ} يشْهد وينطق {بِمَا كَانُوا بِهِ} بِاللَّه {يُشْرِكُونَ} يعدلُونَ أَن الله أمرهم بذلك. (5)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآيَة {35} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): حُجَّةً وَعُذْرًا، وَقَالَ: (قَتَادَةُ): كِتَابًا، {فَهُوَ يَتَكَلَّمُ} يَنْطِقُ، {بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ} أَيْ: يَنْطِقُ بِشِرْكِهِمْ وَيَأْمُرُهُمْ بِهِ. (6)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآيَة {35} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ}.

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامُ (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (34).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/408). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/408)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/607)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (35) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما -.

(6) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامُ (البغوي) سُورَةُ (الرُّوم) الآية (35).

ثُمَّ قَالَ مُنْكِرًا عَلَى الْمُشْرِكِينَ فِيمَا اخْتَلَقُوهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ بِلَا دَلِيلٍ وَلَا حُجَّةٍ وَلَا بُرْهَانٍ.

{أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا} أَيْ: حُجَّةً.

{فَهُوَ يَتَكَلَّمُ} أَيْ: يَنْطِقُ.

{بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ}؟ وَهَذَا اسْتِفْهَامُ إِنْكَارٍ، أَيْ: لَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن)- عن (قتادة): قوله: {أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ} يقول: أم أنزلنا عليهم كتابا فهو ينطق بشركهم. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {35} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا} أي: حجة ظاهرة {فَهُوَ} أي: ذلك السلطان، {يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ} ويقول لهم: اثبتوا على شرككم واستمروا على شككم فإن ما أنتم عليه هو الحق وما دعتكم الرسل إليه باطل.

فهل ذلك السلطان موجود عندهم حتى يوجب لهم شدة التمسك بالشرك؟ أم البراهين العقلية والسمعية والكتب السماوية والرسل الكرام وسادات الأنام، قد نهوا أشد النهي عن ذلك وحذروا من سلوك طرقه الموصلة إليه وحكموا بفساد عقل ودين من ارتكبه؟.

فشرك هؤلاء بغير حجة ولا برهان وإنما هو أهواء النفوس، ونزغات الشيطان. (3)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {35} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَمْ أَنْزَلْنَا (4) عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ} أي: ما الذي شجعهم على الشرك وجعلهم يصرون عليه حتى إذا تركوه ساعة الشدة عادوا إليه ساعة الرخاء أأنزلنا عليهم سلطانا أي حجة من كتاب ونحوه فهو ينطق بشركهم ويقرره لهم ويأمرهم به اللهم لا، لا، وإنما هو الجهل والتقليد والعناد. (5)

* * *

[٣٦] ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وإذا أذقنا الناس نعمة من نعمنا كالصحة والغنى فرحوا بها فرح بطر وتكبروا، وإن ينلهم ما يسوؤهم من مرض وفقر بما كسبته

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَام (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (35).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (102/20).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (35)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) {أم أنزلنا}: أم للإضراب الانتقالي فهي بمعنى بل، وحرف الاستفهام مقدر أي: أنزلنا عليهم الخ. وهو إنكاري أن الله تعالى لم ينزل عليهم حجة تبيح لهم الشرك وتقرره.

(5) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (35) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

أيديهم من المعاصي، إذا هم يَيْئَسُون من رحمة الله، ويقنطون من زوال ما يسوؤهم.(1)

* * *

وإذا أذقنا الناس منا نعمة من صحة وعافية ورخاء، فرحوا بذلك فرح بطرٍ وأَشَرٍ، لا فرح شكر، وإن يصبهم مرض وفقر وخوف وضيق بسبب ذنوبهم ومعاصيهم، إذا هم يَيْئَسون من زوال ذلك، وهذا طبيعة أكثر الناس في الرخاء والشدة.(2)

* * *

وإذا أذقنا الناس نعمة فرحوا بها فرحاً يُبطرهم، وإن تصبهم شدة بسبب ما اقترفوا من ذنوب يسارع إليهم اليأس من الرحمة.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{رَحْمَةً} ... نِعْمَةً" مِنْ صِحَّة، وَرَخَاء.

{فَرِحُوا بِهَا} ... فَرَحَ بَطَرٍ، وَأَشَرٍ، لَا فَرَحَ شُكْر.

{سَيِّئَةٌ} ... فَقْرٌ، وَمَرَض.

{بما قدمت أيديهم} .... أي: بذنوبهم وخروجهم عن سنن الله تعالى في نظام الحياة.

{إذا هم يقنطون} .... أي: ييأسون من الفرج بزوال الشدة.

{يَقْنَطُون} ... يَيْئَسُونَ مِنْ زَوَالِ الْبَلَاءِ.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {36} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ} أصبنا كفار مكة {بِرَحْمَةٍ} نعْمَة {فَرِحُوا بِهَا} أَي: أعجبوا بهَا غير شاكرين بهَا {وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ} شدَّة ضيق وقحط وَمرض {بِمَا قَدَّمَتْ} بِمَا عملت {أَيْدِيهِمْ} فِي الشّرك {إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ} ييأسون من رَحْمَة الله غير صابرين بهَا.(4)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {36} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً} أَيِ الْخِصْبَ وَكَثْرَةَ الْمَطَرِ، {فَرِحُوا بِهَا} يَعْنِي: فَرَحَ الْبَطَرِ، {وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ} أَيِ: الْجَدْبُ وَقِلَّةُ الْمَطَرِ وَيُقَالُ الْخَوْفُ وَالْبَلَاءُ {بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ} مِنَ السَّيِّئَاتِ، {إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ} يَيْأَسُونَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَهَذَا خِلَافُ وَصْفِ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَشْكُرُ اللَّهَ عِنْدَ النِّعْمَةِ وَيَرْجُو رَبَّهُ عِنْدَ الشِّدَّةِ.(5)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {36} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذَا

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (408/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (408/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (607/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (36) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(5) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الرُّوم) الآية (36).

أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ}.

يخبر تعالى عن طبيعة أكثر الناس في حالي الرخاء والشدة أنهم إذا أذاقهم الله منه رحمة من صحة وغنى ونصر ونحو ذلك فرحوا بذلك فرح بطر، لا فرح شكر وتبجح بنعمة الله.

{وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ} أي:: حال تسوؤهم وذلك.

{بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ} من المعاصي.

{إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ} ييأسون من زوال ذلك الفقر والمرض ونحوه. وهذا جهل منهم وعدم معرفة. (1)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره): - {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {36} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا} هذه حال أهل الشرك والكفر والجهل من الناس إذا أذاقهم الله رحمة من خصب ورخاء وصحة فرحوا بها فرح البطر والأشر.

{وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ} من جدب وقحط ومرض وفقر،

{بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ} من الذنوب والمعاصي ومنها مخالفة سنن الله في الكون.

{إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ (2)} أي: ييأسون من الفرج وذلك لكفرهم بالله وجهلهم بأسمائه وصفاته. (3)

* * *

قال: الإِمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {36} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ}، هَذَا إِنْكَارٌ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنْ حَيْثُ هُوَ، إلا مَنْ عصمه اللَّهُ ووَفَّقَهُ" فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إذَا أَصَابَتْهُ نِعْمَةٌ بطر.

وقَالَ: {ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ} {هُود: 10}،

أَيْ: يَفْرَحُ فِي نَفْسِهِ وَيَفْخَرُ عَلَى غَيْرِه، وَإِذَا أَصَابَتْهُ شِدَّةٌ قَنط وَأَيِس أَنْ يَحْصُلَ لَهُ بَعْدَ ذَلك خَيْرٌ بِالْكُلِّيَّة"

قَالَ اللَّهُ: {إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} {هُود: 11}، أَيْ: صَبَرُوا فِي الضَّرَّاءِ، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي الرَّخَاءِ،

* * *

كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ: ((عَجَبًا لِلْمُؤْمِنِ، لا يَقْضِي اللَّهُ لَهُ قَضَاءً إلا كَانَ خَيْرًا لَهُ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شكر فكان خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءِ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)) (4) (5).

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (36)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) - هذه الصفة وإن كان المراد بها المشركون فإنها قد يتصف بها بعض المؤمنين فتجد أحدهم يصاب بالبطر عند حلول النعم ويترك الشكر ويقنط عند حلول النقم والشدة وينسى الدعاء والتضرع إلى الله تعالى فهو،
كما قال الشاعر: (كحمار السوء إن أعلفته... رمح الناس وإن جاع نهق).

(3) انظُر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (36) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(4) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2999)– (كتاب: الزهد والرفق) – من حديث- (صهيب الرومي)- رضي الله عنه.

(5) انظُر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (36).

* * *

[٣٧] ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

أوَلم يروا أن الله يوسع الرزق لمن يشاء من عباده امتحانًا له أيشكر أم يكفر؟ ويضيقه على من يشاء منهم ابتلاء له أيصبر أم يتسخط؟! إن في توسيع الرزق لبعض، وتضييقه على بعض، لدلالات للمؤمنين على لطف الله ورحمته. (1)

* * *

أو لم يعلموا أن الله يوسع الرزق لمن يشاء امتحانًا، هل يشكر أو يكفر؟ ويضيِّقه على من يشاء اختبارًا، هل يصبر أو يجزع؟ إن في ذلك التوسيع والتضييق لآيات لقوم يؤمنون بالله ويعرفون حكمة الله ورحمته. (2)

* * *

أجهلوا ما يوصل إلى الإيمان، ولم يعلموا أن الله يوسع الرزق لمن يشاء ويُضيق على من يشاء، بحسب ما تقتضيه حكمته؟ إن في ذلك لدلائل واضحة لقوم يصدقون بالحق. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{يبسط الرزق لمن يشاء} ..... أي: يوسعه امتحانا له.

{يَبْسُطُ} ... يُوسِع.

{وَيَقْدِرُ} ... يُضَيِّقُ، (أي: يضيق الرزق على من يشاء ابتلاء).

* * *

الدليل و البرهان و الحجّة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {37} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَوَلَمْ يَرَوْا} يخبروا فِي الْكتاب كفار مَكَّة {أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرزق} يُوسع الْمَال {لِمَن يَشَآءُ} على من يَشَاء وَهُوَ مكر مِنْهُ {وَيقْدر} يقتر على من يَشَاء وَهُوَ نظر مِنْهُ {إِنَّ فِي ذَلِكَ} فِيمَا ذكرت من الْبسط وَالتَّقْدِير {لآيَاتٍ} لعلامات وعبراً {لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} بِمُحَمَّد - صلى الله عَلَيْهِ وَسلم - وَالْقُرْآن. (4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {37} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ} فالقنوط بعد ما علم أن الخير والشر من الله والرزق سعته وضيقه من تقديره ضائع ليس له محل. فلا تنظر أيها العاقل لمجرد الأسباب بل اجعل نظرك لمسببها.

ولهذا قال: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} فهم الذين يعتبرون ببسط الله لمن يشاء وقبضه، ويعرفون بذلك حكمة الله

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (408/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (408/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (607/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (37) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

ورحمته وجوده وجذب القلوب لسؤاله في جميع مطالب الرزق.(1)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره): - {سُورَةُ الرُّوم} الآية {37} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ} أي: ألم يروا بأعينهم أن الله يبسط الرزق أي يوسعه لمن يشاء امتحاناً له أيشكر أم يكفر،

{وَيَقْدِرُ} أي: يضيق الرزق على من يشاء ابتلاء أيصبر أم يضجر ويسخط. إذ لو كانت لهم عيون يبصرون بها وقلوب يفقهون بها لما أيسوا من رحمة الله وفرجه ولا ما قنطوا.

وقوله تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ} أي: المذكور من تدبير الله في خلقه بالإعطاء والمنع.

{لَآيَاتٍ} أي: حججاً ودلائل تدل المؤمنين على قدرة الله ولطفه ورحمته وحكمته في تدبير ملكه وملكوته فسبحانه من إله عظيم ورب غفور رحيم.(2)

* * *

قال: الإِمَامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّوم} الآية {37} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ} أَيْ: هُوَ الْمُتَصَرِّفُ الْفَاعِلُ لِذَلِكَ بِحِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ، فَيُوَسِّعُ عَلَى قَوْمٍ وَيُضَيِّقُ عَلَى آخَرِينَ، {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}.(3)

* * *

انظر: سورة - (الرعد)- آية (26). كما قال تعالى: {اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ}.

* * *

وانظر: سورة - (الإسراء) - آية (30). كما قال تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا}.

* * *

[٣٨] ﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فأعط -أيها المسلم- صاحب القرابة ما يستحقه من البر والصلة، وأعط المحتاج ما يدفع به حاجته، وأعط الغريب الذي انقطعت به السبيل عن بلده ذلك الإعطاء في تلك الوجوه خير للذين يريدون به وجه الله، الذين يقدمون هذه المعونة والحقوف هم الفائزون بنيلهم ما يطلبونه من الجنة، وبسلامتهم مما يرهبونه من العذاب.(4)

* * *

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (37)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (37) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (37).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (408/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

فـأعط -أيها المؤمن- قريبك حقه من الصلة والصدقة وسائر أعمال البر، وأعط الفقير الذي لا يملك ما يكفيه ويسد حاجته، والمحتاج الذي انقطع به السبيل من الزكاة والصدقة، ذلك الإعطاء خير للذين يريدون بعملهم وجه الله، والذين يعملون هذه الأعمال وغيرها من أعمال الخير، أولئك هم الفائزون بثواب الله الناجون من عقابه. (1)

* * *

وإذا كان الله - تعالى - هو الذى يبسط الرزق ويقدره" فأعط القريب حقه من البر والصلة والمحتاج والمنقطع به الطريق حقهما من الزكاة والصدقة، ذلك خير للذين يريدون رضا الله ويطلبون ثوابه، وأولئك هم الفائزون بالنعيم المقيم. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فـآت ذا القربى} .... أي: أعط ذا القرابة حقه من البر والصلة.

{والمسكين} .... أي: المعدوم الذي لا مال له أعطه حقه في الطعام والشراب والكساء.

{وابن السبيل} .... أي: أعط ابن السبيل أي المسافر حقه في الإيواء والطعام.

{ذلك خير} ..... أي: ذلك الإنفاق خير من عدمه للذين يريدون وجه الله تعالى إذ يثيبهم ربهم أحسن ثواب.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّوم} الآية {38} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَآتِ ذَا الْقُرْبَى} فأعط يَا مُحَمَّد ذَا الْقُرْبَى فِي الرَّحِم {حَقَّهُ} صلته {والمسكين} أعْط الْمِسْكِين الْكسْوَة وَالطَّعَام {وَابْن السَّبِيل} أكْرم الضَّيْف النَّازِل بك ثَلَاثَة أَيَّام فَمَا فَوق ذَلِك فَهُوَ صَدَقَة مَعْرُوف {ذَلِكَ الَّذِي} ذكرت من الصِّلَة والعطية وَالْإِكْرَام {خَيْرٌ} ثَوَاب وكرامة فِي الْآخِرَة {لِلَّذِين يُرِيدُونَ وَجه الله} بعطيتهم {أُولَئِكَ هُمُ المفلحون} الناجون من السخط وَالْعَذَاب. (3)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّوم} الآية {38} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ} من البر والصلة، {وَالْمِسْكِينَ} وَحَقُّهُ أَنْ يُتَصَدَّقَ عَلَيْهِ، {وَابْنَ السَّبِيلِ} يَعْنِي: الْمُسَافِرَ، يَعْنِي:- هُوَ الضَّعِيفُ، {ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ} يَطْلُبُونَ ثَوَابَ اللَّهِ بِمَا يَعْمَلُونَ، {وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}. (4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّوم} الآية {38} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (408/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (607/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (38) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الرُّوم) الآية (38).

خَيْـرٌ لِلَّـذِينَ يُرِيـدُونَ وَجْـهَ اللَّـهِ وَأُولَئِـكَ هُـمُ الْمُفْلِحُونَ}.

أي: فـأعط القريـب منـك -علـى حسـب قربـه وحاجتـه- حقـه الـذي أوجبـه الشـارع أو حـض عليـه مـن النفقـة الواجبـة والصـدقة والهديـة والـبر والسـلام والإكـرام والعفـو عـن زلتـه والمسـامحة عـن هفوتـه. وكـذلك آت المسـكين الـذي أسـكنه الفقـر والحاجـة مـا تزيـل بـه حاجتـه وتـدفع بـه ضـرورته مـن إطعامـه وسـقيه وكسوته.

{وَابْـنَ السَّـبِيلِ} الغريـب المنقطـع بـه في غـير بلـده الـذي في مظنـة شـدة الحاجـة، لأنـه لا مـال معـه ولا كسب قـد دبـر نفسـه بـه في سـفره، بخـلاف الـذي في بلـده، فإنـه وإن لم يكـن لـه مـال ولكـن لا بـد -في الغالـب- أن يكـون في حرفـة أو صـناعة ونحوهـا تسـد حاجتـه، ولهـذا جعـل الله في الزكـاة حصـة للمسـكين وابـن السـبيل. {ذَلِـكَ} أي: إيتـاء ذي القربـى والمسـكين وابـن السـبيل {خَيْـرٌ لِلَّـذِينَ يُرِيـدُونَ} بـذلك العمـل {وَجْـهَ اللَّـهِ} أي: خـير غزيـر وثـواب كـثير لأنـه مـن أفضـل الأعمـال الصـالحة والنفـع المتعـدي الـذي وافـق محلـه المقرون به الإخلاص.

فـإن لم يـرد بـه وجـه الله لم يكـن خـيرا لِلْمُعْطِـي وإن كان خيرا ونفعا لِلْمُعْطَى،

كمـا قـال تعـالى: {لا خَيْـرَ فِـي كَـثِيرٍ مِـنْ نَجْـوَاهُمْ إِلا مَـنْ أَمَـرَ بِصَـدَقَةٍ أَوْ مَعْـرُوفٍ أَوْ إِصْـلاحٍ بَـيْنَ النَّـاسِ} مفهومهـا أن هـذه المثبتـات خـير لنفعهـا المتعـدي ولكـن مـن يفعـل ذلـك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما.

وقولـه: {وَأُولَئِـكَ} الـذين عملـوا هـذه الأعمـال وغيرها لوجه الله.

{هُـمُ الْمُفْلِحُـونَ} الفـائزون بثـواب الله الناجون من عقابه.[1]

* * *

قـال: الشـيخ (أبـو بكـر الجزائـري) – (رحمـه الله) – في (تفسـيره): – {سُـورَةُ الـرُّومِ} الآيـة {38} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {فَـآتِ ذَا الْقُرْبَـى حَقَّـهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْـنَ السَّـبِيلِ ذَلِـكَ خَيْـرٌ لِلَّـذِينَ يُرِيـدُونَ وَجْـهَ اللَّـهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.

لمـا بـيّن تعـالى في الآيـة السـابقة لهـذه أنـه يبسـط الـرزق لمـن يشـاء امتحانـاً ويقـدر علـى مـن يشـاء ابـتلاء أمـر رسـوله وأمتـه التابعـة لـه بإيتـاء ذا القربـى حقـه والمسـكين وابـن السـبيل، إذ منـع الحقـوق الواجبـة لا يزيـد في سـعة الـرزق ولا في تضـييقه، إذ توسـعة الـرزق وتضـييقه مـرده إلى تـدبير الله تعـالى الحكـيم العليم هذا ما دل عليه.

قولـه تعـالى {فَـآتِ ذَا الْقُرْبَـى حَقَّـهُ}[2] أي: مـن الـبر والصـلة {وَالْمِسْكِينَ} وهـو مـن لا يملـك قوتـه {وَابْـنَ السَّـبِيلِ} وهـو المسـافر ينـزل البلـد لا يعـرف فيهـا أحـداً، وحقهمـا: إيواؤهمـا وإطعامهما وكسوتهما.

وقولـه تعـالى: {ذَلِـكَ خَيْـرٌ لِلَّـذِينَ يُرِيـدُونَ وَجْـهَ اللهِ} أي: ذلـك الإيتـاء مـن الحقـوق خـير حـالاً

---

(1) انظُـر: (تيسـير الكـريم الـرَّحمن في تفسـير كـلام المنـان) في سُـورَةُ (الـرُّومِ) الآية (38)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) – الخطـاب وإن كـان موجهـاً للـنبي – صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ- فأمتـه تابعـة لـه في هـذا كلـه وابـن السـبيل إن استضـاف مؤمنـا وجـب عليـه ضـيافته لقولـه- صَـلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه)) في (الصحيح).

ومآلاً للذين يريدون وجه الله تعالى وما عنده من ثواب.

وقوله: {وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} أي: الفائزون بالنجاة من العذاب في الدنيا والآخرة، وبدخول الجنة يوم القيامة. (1)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّوم} الآية {38} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.

يَقُولُ تَعَالَى آمِرًا بِإِعْطَاءِ ذِي {الْقُرْبَى حَقَّهُ} أَيْ: مِنَ الْبِرِّ وَالصِّلَةِ،

{وَالْمِسْكِينَ} وَهُوَ: الَّذِي لَا شَيْءَ لَهُ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، أَوْ لَهُ شَيْءٌ لَا يَقُومُ بِكِفَايَتِهِ،

{وَابْنَ السَّبِيلِ} وَهُوَ الْمُسَافِرُ الْمُحْتَاجُ إِلَى نَفَقَةٍ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي سَفَرِهِ،

{ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ} أَيْ: النَّظَرُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ الْغَايَةُ الْقُصْوَى،

{وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} أَيْ: فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ. (2)

* * *

أخرج الإمام (عبد الرزاق) - (رحمه الله):- (بسنده الصحيح)- عن (قتادة): في قوله تعالى: {فآت ذا القربى حقه} قال: إذا كان لك ذو قرابة مسلم تصله بمالك ولم تمش إليه برجلك فقد قطعته. (3)

* * *

وانظر: سورة – (الإسراء) - آية (26) . – كما قال تعالى: {وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا} .

* * *

وانظر: سورة – (البقرة) -آية (177) لبيان ذي القربى والمسكين وابن السبيل. – كما قال تعالى: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} .

* * *

[٣٩] ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وما دفعتم من أموال إلى أحد من الناس بغية أن يردّها إليكم بزيادة فلا ينمو أجره عند الله، وما أعطيتم من أموالكم إلى من يدفع

(1) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (38) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَام (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (38).

(3) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (85/4)، للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين)،

بهــا حاجــة تريــدون بــذلك وجــه الله، لا تريــدون منزلــة ولا مثوبــة مــن النــاس، فأولئــك هم الذين يُضَاعَف لهم الأجر عند الله. (1)

* * *

ومــا أعطيــتم قرضًــا مــن المــال بقصــد الربــا، وطلــب زيــادة ذلــك القــرض" ليزيــد وينمــو في أمــوال النــاس، فــلا يزيــد عنــد الله، بــل يمحقــه ويبطلــه. ومــا أعطيــتم مــن زكــاة وصــدقة للمســتحقين ابتغــاء مرضــاة الله وطلبًــا لثوابــه، فهــذا هــو الــذي يقبلــه الله ويضــاعفه لكــم أضعافًا كثيرة. (2)

* * *

ومــا أعطيــتم أكلــة الربــا مــن مــال ليزيــد لكــم فــى أمــوالهم فــلا يَزْكــو عنــد الله ولا يبــارك فيــه، ومــا أعطيــتم مــن صــدقة تبتغــون بهــا وجــه الله – بــدون ريــاء ولا طمــع فــى مكافــأة – فأولئــك هــم أصــحاب الأضــعاف مــن الحسنات. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{ومــا آتيــتم مــن ربــا} .... أي: مــن هديــة أو هبــة وسميــت ربــاً لأنهــم يقصــدون بهــا زيــادة أموالهم.

{آتَيْتُم} ... أَعطَيْتُم.

{رِّبًــا} ... قَرْضًــا مِــنَ الَمــالِ بِقَصْــدِ الرِّبَــا المُحَرَّمِ.

{لِّيَرْبُوَ} ... لِيَزِيدَ.

{ليربــو في أمــوال النــاس} .... أي: ليكثــر بســبب مــا يــرده علــيكم مَــن أهــديتموه القليــل ليرد عليك الكثير.

{فــلا يربــوا عنــد الله} ..... أي: لا يباركــه الله ولا يضاعف أجره.

{فأولئــك هــم المضــعفون} ..... أي: الــذين يؤتــون أمــوالهم صــدقة يريــدون بهــا وجــه الله فهــؤلاء الــذين يضــاعف لهــم الأجــر أضــعافاً مضاعفة.

{الْمُضْــعِفُونَ} ... الَّــذِين يُضَــاعِفُ اللهُ لَهُــمُ الحَسَنَاتِ.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفســير ابــن عبــاس) – قــال: الإِمَــامُ (مجــد الــدين الفــيروز آبــادى) – (رحمــه الله):– {سُــورَةُ الــرُّومِ} الآيــة {39} قَوْلُــهُ تَعَــالَى: {وَمَــا آتَيْــتُمْ} أعطيــتم {مِّــن رِّبــاً} مــن عَطِيَّــة {لِّيَرْبُــوَ فِــي أَمْــوَالِ النَّــاسِ} لتكثــروا أَمْــوَالكُم بــأموال النَّــاس يَقُــول ليعطــوا أَكثــر وَأفضــل ممَّــا تعطــون {فَــلاَ يَرْبُــو عِنْــدَ الله} فَــلاَ يكثــر عِنْــد الله بالتضــعيف وَلاَ يقبلــهَا فَإِنَّهَــا لَيســت لله {وَمَــآ آتَيْــتُمْ} أعطيــتم {مِّــن زَكَــاةٍ} مــن صَــدَقَة إِلَــى الْمَسَــاكِين {تُرِيــدُونَ} بــذلك {وَجْــهَ الله فَأُوْلَئِــكَ هُــمُ المضــعفون} فَأُولَئِــك هــم الَّــذين أَضْــعَف صَــدَقَاتهمْ فِــي الْــآخِرَة وَأَكْثَــرت أَمْــوَالهم فِي الدُّنْيَا بِالْحِفْظِ وَالْبركَة. (4)

* * *

قَــالَ: الإِمَــامُ (البغــوي) – (مُحيــي السُّــنَّة) – (رحمــه الله) – في (تفســـــــيره):– {سُـــــورَةُ الــرُّومِ} الآيــة {39} قَوْلُــهُ عَــزَّ وَجَــلَّ: {وَمَــا

---

(1) انظــر: (المختصــر في تفســير القــرآن الكــريم) (408/1). تصــنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(2) انظــر: (التفســير الميســر) بــرقم (408/1)، المؤلــف: (نخبــة مــن أســاتذة التفسير)،

(3) انظــر: (المنتخــب في تفســير القــرآن الكــريم) بــرقم (607/1)، المؤلــف: (لجنة من علماء الأزهر)،

(4) انظُــر: (تنــوير المقبــاس مــن تفســير ابــن عبــاس) في سُــورَةُ (الــرُّومِ) الآيــة (39) يٍنسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

آتَيْتُم مِنْ رِبًا} قَرَأَ (ابْنُ كَثِيرٍ): {أَتَيْتُم} مَقْصُورًا، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: بِالْمَدِّ أَيْ أَعْطَيْتُم، وَمَنْ قَصَرَ فَمَعْنَاهُ مَا جِئْتُمْ مِن رِبا ومجيئهم ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ الْإِعْطَاءِ كَمَا يقول: أَتَيْتُ خَطَأً وَأَتَيْتُ صَوَابًا فَهُوَ يئول في معنى إلى قول مَنْ مَدَّ.

{لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ} قَرَأَ: أَهْلُ (الْمَدِينَةِ) وَ(يَعْقُوبُ): لِتُرْبُوا بِالتَّاءِ وَضَمِّهَا وَسُكُونِ الْوَاوِ عَلَى الْخِطَابِ أَيْ لِتُرْبُوا أَنْتُمْ وَتَصِيرُوا ذَوِي زِيَادَةٍ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: بِالْيَاءِ وَفَتْحِهَا، وَنَصْبِ الْوَاوِ وَجَعَلُوا الْفِعْلَ لِلرِّبَا لِقَوْلِهِ: {فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ} فِي أَمْوَالِ النَّاسِ أَيْ فِي اخْتِطَافِ أَمْوَالِ النَّاسِ وَاجْتِذَابِهَا،

وَاخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى الْآيَةِ، فَقَالَ: (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ)، وَ(مُجَاهِدٌ)، وَ(طَاوُسٌ)، وَ(قَتَادَةُ)، وَ(الضَّحَّاكُ)، وَأَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ: هُوَ الرَّجُلُ يعطي غيره العطية ليثيبه أَكْثَرَ مِنْهَا فَهَذَا جَائِزٌ حَلَالٌ لكن لا ثواب عليها فِي الْقِيَامَةِ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ عز وجل: فلا يربو عِنْدَ اللَّهِ، وَكَانَ هَذَا حَرَامًا عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -خَاصَّةً لِقَوْلِهِ تَعَالَى.

{وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ} أَيْ: لَا تُعْطِ وَتَطْلُبْ أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَيْتَ،

وَقَالَ: (النَّخَعِيُّ): هُوَ الرَّجُلُ يُعْطِي صَدِيقَهُ أَوْ قَرِيبَهُ لِيُكْثِرَ مَالَهُ وَلَا يُرِيدُ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ.

وَقَالَ: (الشَّعْبِيُّ): هُوَ الرَّجُلُ يَلْتَزِقُ بِالرَّجُلِ فَيَخْدُمُهُ وَيُسَافِرُ مَعَهُ فَيَجْعَلُ لَهُ رِبْحَ مَالِهِ الْتِمَاسَ عَوْنِهِ لوجه الله فلا يربو عِنْدَ اللَّهِ لِأَنَّهُ لَمْ يُرِدْ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى،

{وَمَا آتَيْتُم مِن زَكَاةٍ} أَعْطَيْتُمْ مِنْ صَدَقَةٍ. {تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ} فيضاعف لَهُمُ الثَّوَابُ فَيُعْطَوْنَ بِالْحَسَنَةِ عَشْرَ أَمْثَالِهَا، فَالْمُضْعِفُ ذُو الْأَضْعَافِ مِنَ الْحَسَنَاتِ، تَقُولُ الْعَرَبُ: الْقَوْمُ مَهْزُولُونَ وَمَسْمُونُونَ إِذَا هَزَلَتْ أَوْ سَمِنَتْ إِبِلُهُمْ. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الصحيح)- عن (مجاهد): {وَمَا آتَيْتُم مِن رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ} قال: يعطي ماله يبتغي أفضل منه. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن)- عن (قتادة): قوله: {وَمَا آتَيْتُم مِن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ} قال: هذا الذي يقبله الله ويضعفه لهم عشر أمثالا، وأكثر من ذلك. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {39} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا آتَيْتُم مِن رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ}.

ولما ذكر العمل الذي يقصد به وجهه من النفقات ذكر العمل الذي يقصد به مقصد دنيوي فقال: {وَمَا آتَيْتُم مِن رِبًا لِيَرْبُوَ فِي

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (الرُّوم) الآية (39).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (104/20).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (106/20).

{أَمْوَالِ النَّاسِ} أي: ما أعطيتم من أموالكم الزائدة عن حوائجكم وقصدكم بذلك أن يربو أي: يزيد في أموالكم بأن تعطوها لمن تطمعون أن يعاوضكم عنها بأكثر منها، فهذا العمل لا يربو أجره عند الله لكونه معدوم الشرط الذي هو الإخلاص. ومثل ذلك العمل الذي يراد به الزيادة في الجاه والرياء عند الناس فهذا كله لا يربو عند الله.

{وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ} أي: مال يطهركم من الأخلاق الرذيلة ويطهر أموالكم من البخل بها ويزيد في دفع حاجة المُعْطَى.

{تُرِيدُونَ} بذلك {وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ} أي: المضاعف لهم الأجر الذين تربو نفقاتهم عند الله ويربيها الله لهم حتى تكون شيئا كثيرا.

ودل قوله: {وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ} أن الصدقة مع اضطرار من يتعلق بالمنفق أو مع دَيْنٍ عليه لم يقضه ويقدم عليه الصدقة أن ذلك ليس بزكاة يؤجر عليه العبد ويرد تصرفه شرعا كما قال تعالى في الذي يمدح: {الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى} فليس مجرد إيتاء المال خيرا حتى يكون بهذه الصفة وهو: أن يكون على وجه يتزكى به المؤتي.(1)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {39} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِنْدَ اللهِ} أي: وما أعطيتم من هبات وهدايا تريدون بها أن يُردّ عليكم بأكثر مما أعطيتم فهذا العطاء لا يربو عند الله ولا يضاعف أجره بل ولا يؤجر عليه.

وقوله: {وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ} أي: صدقات تريدون بها وجه الله ليرضى عنكم ويغفر لكم ويرحمكم، {فَأُولَئِكَ} هؤلاء الذين ينفقون ابتغاء وجه الله.

{هُمُ الْمُضْعِفُونَ} أي: الذين يضاعف لهم الأجر والثواب.(2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {39} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ} أَيْ: مَنْ أَعْطَى عَطِيَّةً يُرِيدُ أَنْ يَرُدَّ النَّاسُ عَلَيْهِ أَكْثَرَ مِمَّا أَهْدَى لَهُمْ، فَهَذَا لَا ثَوَابَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ -بِهَذَا فَسَّرَهُ (ابْنُ عَبَّاسٍ)، وَ(مُجَاهِدٌ)، وَ(الضَّحَّاكُ)، وَ(قَتَادَةُ)، وَ(عِكْرِمَةُ)، وَ(مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ)، وَ(الشَّعْبِيُّ) -وَهَذَا الصَّنِيعُ مُبَاحٌ وَإِنْ كَانَ لَا ثَوَابَ فِيهِ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ نَهَى عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خَاصَّةً، قَالَهُ (الضَّحَّاكُ)، وَاسْتَدَلَّ بِقَوْلِهِ: {وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ} {الْمُدَّثِّرِ: 6} أَيْ: لَا تُعْطِ الْعَطَاءَ تُرِيدُ أَكْثَرَ مِنْهُ.

وَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): الرِّبَا رِبَاءَانِ، فَرِبًا لَا يَصِحُّ يَعْنِي: رِبَا الْبَيْعِ؛ وَرِبًا لَا بَأْسَ بِهِ، وَهُوَ هَدِيَّةُ الرَّجُلِ يُرِيدُ فَضْلَهَا وَأَضْعَافَهَا. ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: {وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ}.

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (39)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (39) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

وَإِنَّمَا الثَّوَابُ عِنْدَ اللَّهِ فِي الزَّكَاةِ" وَلِهَذَا قَالَ: {وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ} أَيْ: الَّذِينَ يُضَاعِفُ اللَّهُ لَهُمُ الثَّوَابَ وَالْجَزَاءَ،

كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِ: ((وَمَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ إِلاَ أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ، فَيُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ، حَتَّى تَصِيرَ التَّمْرَةُ أَعْظَمَ مِنْ أُحُدٍ)).(1)(2)

* * *

[٤٠] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

الله وحده هو الذي انفرد بخلقكم، ثم رزْقكم، ثم إماتتكم ثم إحيائكم للبعث، هل من أصنامكم التي تعبدونها من دونه من يفعل شيئًا من ذلك؟! تنزه سبحانه وتقدس عما يقول ويعتقد المشركون.(3)

* * *

الله وحده هو الذي خلقكم -أيها الناس- ثم رزقكم في هذه الحياة، ثم يميتكم بانتهاء آجالكم، ثم يبعثكم من القبور أحياء للحساب والجزاء، هل من شركائكم مَن يفعل من ذلكم من شيء؟ تنزَّه الله وتقدَّس عن شرك هؤلاء المشركين به.(4)

* * *

الله - سبحانه - الذى أوجدكم، ثم أعطاكم ما تعيشون به، ثم يميتكم ثم يبعثكم من قبوركم. هل هناك من الشركاء - الذين تزعمونهم فتعبدونهم من دون الله - من يفعل من الخلق والرزق والإماتة والإحياء شيئاً من تلك الأفعال؟ تنزه الله وتعالى عما يشركون به.(5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{هل من شركائكم} ..... أي: من أصنامكم التي تعبدونها.

{من يفعل من ذلكم من شيء} ..... والجواب لا أحد، إذاً بطلت ألوهيتها وحرمت عبادتها.

{سبحانه وتعالى عما يشركون} ..... أي: تنزه الرب عن الشرك وتعالى عن المشركين.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّوم} الآية {40} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الله الَّذِي خَلَقَكُمْ} نسماً فِي بطُون أُمَّهَاتكُم ثمَّ أخرجكم وَفِيكُم الرّوح {ثُمَّ رَزَقَكُمْ} الطَّيِّبَات الرزق إِلَى الْمَوْت {ثُمَّ يُمِيتُكُمْ} عِنْد انْقِضَاء مدتكم {ثُمَّ يُحْيِيكُمْ} للبعث بعد الْمَوْت {هَلْ مِن

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (1410).

(2) انظُر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (39).

(3) انظُر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (408/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظُر: (التفسير الميسر) برقم (408/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظُر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (607/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{شُرَكَآئِكُمْ} من آلهتكم يا أهل مكة {مَّن يَفْعَلُ مِن ذلِكُمْ مِّن شَيْءٍ} من يقدر أن يفعل من ذلك شَيْئا سُبْحَانَهُ نزه نفسه عن الْوَلَد وَالشَّرِيك {وَتَعَالَى} ارْتَفع وتبرأ {عَمَّا يُشْرِكُونَ} بِهِ من الْأَوْثَان.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {40} قَوْلُهُ تَعَالَى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}.

يخبر تعالى أنه وحده المنفرد بخلقكم ورزقكم وإماتتكم وإحيائكم، وأنه ليس أحد من الشركاء التي يدعوهم المشركون من يشارك الله في شيء من هذه الأشياء.

فكيف يشركون بمن انفرد بهذه الأمور من ليس له تصرف فيها بوجه من الوجوه؟!

فسبحانه وتعالى وتقدس وتنزه وعلا عن شركهم، فلا يضره ذلك وإنما وبالهم عليهم.(2)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {40} قَوْلُهُ تَعَالَى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ(3) ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ} يخبر تعالى المشركين من عباده موبخا لهم على شركهم مقرعاً: الله لا غيره هو الذي خلقكم ولم تكونوا شيئا ثم رزقكم بما تنموا به أجسادكم وتحفظ به حياتكم من أنواع الأغذية ثم يميتكم عند نهاية آجالكم، ثم يحييكم يوم القيامة للحساب والجزاء على الكسب في هذه الدنيا ثم يقول لهم .

{هَلْ(4) مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ} المذكور من الخلق والرزق الإماتة والإحياء.

{مِنْ شَيْءٍ} ؟ والجواب: لا وإذاً فلم تعبدونهم من دون الله، فأين يذهب بعقولكم أيها المشركون. ثم نزه تعالى نفسه عن الشرك، وتعالى عن المشركين فقال {سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ(5)}.(6)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {40} قَوْلُهُ تَعَالَى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ} أَيْ: هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ يُخْرِجُ الْإِنْسَانَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ عُرْيَانًا لَا عِلْمَ لَهُ وَلَا سَمْعَ وَلَا بَصَرَ وَلَا قُوَى، ثُمَّ يَرْزُقُهُ جَمِيعَ ذَلِكَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَالرِّيَاشَ وَاللِّبَاسَ وَالْمَالَ وَالْأَمْلَاكَ وَالْمَكَاسِبَ،

وَقَوْلُهُ: {ثُمَّ يُمِيتُكُمْ} ، أَيْ: بَعْدَ هَذِهِ الْحَيَاةِ.

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (40) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (40)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) - استئناف لتقرير عقيدة التوحيد وإبطال التنديد والتوبيخ والتقريع على الشرك الذي هو أعظم أنواع الظلم وصاحبه أحط الناس قدراً وأفسدهم ذوقا وعقلا.

(4) - الاستفهام إنكاري مشوب بالنفي لقرينة من المؤكدة لنفي الجنس والإشارة في قوله من ذلكم إلى ما ذلك من الخلق والرزق والإماتة والإحياء.

(5) - قرأ الجمهور بالياء وقرأ غيرهم بتاء الخطاب بدون التفات من الغيبة إلى الخطاب.

(6) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (40) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

{ثُمَّ يُحْيِيكُمْ} أَيْ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَقَوْلُهُ: {هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ} أَيِ: الَّذِينَ تَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

{مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ} أَيْ: لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى فِعْلِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، بَلِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الْمُسْتَقِلُّ بِالْخَلْقِ وَالرِّزْقِ، وَالْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ، ثُمَّ يَبْعَثُ الْخَلَائِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلِهَذَا قَالَ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ: {سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} أَيْ: تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَتَنَزَّهَ وَتَعَاظَمَ وَجَلَّ وَعَزَّ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ أَوْ نَظِيرٌ أَوْ مساوٍ، أَوْ وَلَدٌ أَوْ وَالِدٌ، بَلْ هُوَ الْأَحَدُ الْفَرْدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

(بسنده الحسن)- عن (قتادة): قوله: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ) للبعث بعد الموت. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

(بسنده الحسن)- عن (قتادة): قوله: {هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ} لا والله {سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} يسبح نفسه إذ قيل عليه البهتان. (3)

* * *

وانظر: سورة – (البقرة) - آية (28). كما قال تعالى: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}.

* * *

وانظر: سورة – (غافر)- آية (11). - كما قال تعالى: {قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ}.

* * *

[٤١] ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ظهر الفساد في البر والبحر في معايش الناس بنقصها، وفي أنفسهم بحدوث الأمراض والأوبئة، بسبب ما عملوه من المعاصي، ظهر ذلك ليذيقهم الله جزاء بعض أعمالهم السيئة في الحياة الدنيا رجاء أن يرجعوا إليه بالتوبة. (4)

* * *

ظهر الفساد في البر والبحر، كالجدب وقلة الأمطار وكثرة الأمراض والأوبئة" وذلك بسبب المعاصي التي يقترفها البشر" ليصيبهم بعقوبة بعض أعمالهم التي عملوها في الدنيا" كي يتوبوا إلى الله -سبحانه-

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (40).

(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمام (الطبري) (107/20).

(3) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمام (الطبري) (107/20).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (408/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

ويرجعوا عن المعاصي، فتصلح أحوالهم، وتستقيم أمورهم.(1)

* * *

ظهر الحرق والقحط والآفات وكساد التجارة والغرق بسبب ما فعله الناس من جرائم وآثام، ليعاقب الله الناس في الدنيا ببعض أعمالهم لعلهم يرجعون عن المعاصي.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} .... أي: ظهرت المعاصي في البر والبحر وتبعها الشر والفساد.

{الْفَسَادُ} ... كَالجَدْبِ، وَالأَمْرَاضِ، وَالأَوْبِئَة.

{بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ} .... أي: بسبب ما كسبته أيدي الناس من ظلم واعتداء.

{لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا} .... أي: تم ذلك وحصل ليذيقهم الله العذاب ببعض ذنوبهم.

{لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} ..... كي يرجعوا عن المعاصي إلى الطاعة والاستقامة.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {41} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ} تبينت الْمعْصِيَة {فِي الْبر} من قتل قابيل أَخَاهُ هابيل {وَالْبَحْر} من جلندن الْأَزْدِيّ. {بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاس} بقتل قابيل هابيل وبغصب جلندن سفن النَّاس فِي الْبَحْر وَيُقَال ظهر الْفساد بِمَوْت الْبَهَائِم والقحط والجدوبة وَنقص الثمرات والنبات فِي الْبر فِي السهل والجبل والبادية والمفازة وَالْبَحْر فِي الرِّيف والقرى والعمران بِمَا كسبت أَيدي النَّاس بِمَعْصِيَة النَّاس {ليذيقهم} لكَي يصيبهم {بعض الَّذِي عمِلُوا} من الْمعاصي {لَعَلَّهُم يرجعُونَ} لكَي يرجعوا عَن ذنوبهم فَيكْشف عَنْهُم.(3)

* * *

قال: الإِمَامْ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {41} قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} يَعْنِي: قَحْطَ الْمَطَرِ وَقِلَّةَ النَّبَاتِ وَأَرَادَ بِالْبَرِّ الْبَوَادِيَ وَالْمَفَاوِزَ وَبِالْبَحْرِ الْمَدَائِنَ وَالْقُرَى الَّتِي هِيَ عَلَى الْمِيَاهِ الْجَارِيَةِ.

قَالَ: (عِكْرِمَةُ): الْعَرَبُ تسمي المصر بحرا يقال: أَجْدَبَ الْبَرُّ وَانْقَطَعَتْ مَادَّةُ الْبَحْرِ،

{بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ} أي: بشؤم ذنوبهم.

{لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا} أَيْ: عُقُوبَةَ بَعْضِ الَّذِي عَمِلُوا مِنَ الذُّنُوبِ،

{لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} عن الكفر وأعمالهم الخبيثة.(4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (408/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (608/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (41) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الرُّوم) الآية (41).

الــرُّوم} الآيــة {41} قَوْلُــهُ تَعَــالَى: {ظَهَـرَ الْفَسَـادُ فِـي الْبَـرِّ وَالْبَحْـرِ بِمَـا كَسَـبَتْ أَيْـدِي النَّـاسِ لِيُـذِيقَهُمْ بَعْـضَ الَّـذِي عَمِلُـوا لَعَلَّهُـمْ يَرْجِعُونَ}.

أي: استعلن الفساد في البر والبحر أي: فساد معايشهم ونقصها وحلول الآفات بها، وفي أنفسهم من الأمراض والوباء وغير ذلك، وذلك بسبب ما قدمت أيديهم من الأعمال الفاسدة المفسدة بطبعها.

هذه المذكورة {لِيُـذِيقَهُمْ بَعْـضَ الَّـذِي عَمِلُـوا} أي: ليعلموا أنه المجازي على الأعمال فعجل لهم نموذجا من جزاء أعمالهم في الدنيا.

{لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} عن أعمالهم التي أثرت لهم من الفساد ما أثرت، فتصلح أحوالهم ويستقيم أمرهم. فسبحان من أنعم ببلائه وتفضل بعقوبته وإلا فلو أذاقهم جميع ما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة. (1)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّوم} الآية {41} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} أي:

انتشرت المعاصي في البر (2) والبحر وفي الجو اليوم فعُبد غير الله واستبيحت محارمه وأوذي الناس في أموالهم وأبدانهم وأعراضهم وذلك نتيجة الإعراض عن دين الله وإهمال شرائعه وعدم تنفيذ أحكامه.

وقوله: {بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ} أي: بظلمهم وكفرهم وفسقهم وفجورهم.

وقوله: {لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا} أي: فما يصيبهم من جدب وقحط وغلاء وحروب وفتن إنما أصابهم الله به.

{لِيُذِيقَهُمْ (3) بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا} من الشرك والمعاصي لا بكل ما فعلوا إذ لو أصابهم بكل ذنوبهم لأنهى حياتهم على وجودهم (4)، ولكنه الرحمن الرحيم بعباده اللطيف بهم. (5)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّوم} الآية {41} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}.

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ)، و(عِكْرِمَةُ)، وَ(الضَّحَّاكُ)، و(السُّدِّيُّ)، وَغَيْرُهُمْ: الْمُرَادُ بِالْبَرِّ هَاهُنَا: الفَيَافِي، وَبِالْبَحْرِ: الْأَمْصَارُ وَالْقُرَى، (6)

* * *

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (41)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2)- ذكر للفساد في البر والبحر تأويلات وما في التفسير أصحها وأولاها بفهم الآية الكريمة وأنفعها لأهل القرآن المتدبرين به العاملين بما فيه.

(3) - قرأ الجمهور ليذيقهم بالياء، وقرأ البعض بالنون.

(4)- شاهد قوله تعالى: {ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً} (فاطر).

(5) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (41) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامُ (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (41).

وَفِي رِوَايَةٍ عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ)، وَ(عِكْرِمَةَ): الْبَحْرُ: الْأَمْصَارُ وَالْقُرَى، مَا كَانَ مِنْهَا عَلَى جَانِبِ نَهْرٍ. (1)

* * *

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلِ الْمُرَادُ بِالْبَرِّ هُوَ الْبَرُّ الْمَعْرُوفُ، وَبِالْبَحْرِ: الْبَحْرُ الْمَعْرُوفُ. (2)

* * *

وَقَالَ: (زَيْدُ بْنُ رُفَيْعٍ): ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ﴾ يَعْنِي: انْقِطَاعَ الْمَطَرِ عَنِ الْبَرِّ يُعْقِبُهُ الْقَحْطُ، وَعَنِ الْبَحْرِ تَعْمَى دَوَابُّهُ. رَوَاهُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ).

* * *

وَقَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ الْمُقْرِيُّ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ قَيْسٍ الْأَعْرَجِ، عَنْ (مُجَاهِدٍ): ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾، قَالَ: فَسَادُ الْبَرِّ: قَتْلُ ابْنِ آدَمَ، وَفَسَادُ الْبَحْرِ: أَخْذُ السَّفِينَةِ غَصْبًا. (3)

* * *

وَقَالَ: (عَطَاءٌ الْخُرَاسَانِيُّ): الْمُرَادُ بِالْبَرِّ: مَا فِيهِ مِنَ الْمَدَائِنِ وَالْقُرَى، وبالبحر: جزائره.

* * *

وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَظْهَرُ، وَعَلَيْهِ الْأَكْثَرُ، وَيُؤَيِّدُهُ مَا ذَكَرَهُ (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ) فِي السِّيرَةِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- صَالَحَ مَلِكَ أَيْلَةَ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ بِبَحْرِهِ، يَعْنِي: بِبَلَدِهِ. (4)

* * *

وَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ أَيْ: بَانَ النَّقْصُ فِي الثِّمَارِ وَالزُّرُوعِ بِسَبَبِ الْمَعَاصِي.

* * *

وَقَالَ: (أَبُو الْعَالِيَةِ): مَنْ عَصَى اللَّهَ فِي الْأَرْضِ فَقَدْ أَفْسَدَ فِي الْأَرْضِ؛ لِأَنَّ صَلَاحَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ بِالطَّاعَةِ". (5)

* * *

وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ (أَبُو دَاوُدَ): ((لَحَدٌّ يُقَامُ فِي الْأَرْضِ أَحَبُّ إِلَى أَهْلِهَا مِنْ أَنْ يُمْطَرُوا أَرْبَعِينَ صَبَاحًا)). (6)

* * *

وَالسَّبَبُ فِي هَذَا أَنَّ الْحُدُودَ إِذَا أُقِيمَتْ، انْكَفَّ النَّاسُ -أَوْ أَكْثَرُهُمْ، أَوْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ- عَنْ تَعَاطِي الْمُحَرَّمَاتِ، وَإِذَا ارْتُكِبَتِ الْمَعَاصِي كَانَ سَبَبًا فِي مَحَاقِ الْبَرَكَاتِ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ" وَلِهَذَا إِذَا نَزَلَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ- عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي آخِرِ الزَّمَانِ فَحَكَمَ بِهَذِهِ الشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، مِنْ قَتْلِ الْخِنْزِيرِ وَكَسْرِ الصَّلِيبِ وَوَضْعِ الْجِزْيَةِ، وَهُوَ تَرْكُهَا -فَلَا يَقْبَلُ إِلَّا الْإِسْلَامَ أَوِ السَّيْفَ، فَإِذَا أَهْلَكَ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الدَّجَّالَ وَأَتْبَاعَهُ

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (41).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (41).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (41).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (41).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (41).

(6) (صحيح): أخرجه الإمام (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (362/2).

وأخرجه الإمام (النسائي) في (السنن) برقم (75/8) - من حديث - (أبي هريرة)، ولم يقع لي في سنن (أبي داود).

وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، قِيلَ لِلْأَرْضِ: أَخْرِجِي بَرَكَاتِكِ. فَيَأْكُلُ مِنَ الرُّمَّانَةِ الْفِئَامُ مِنَ النَّاسِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقَحْفِهَا، وَيَكْفِي لَبَنُ اللِّقْحَةِ الجماعةَ مِنَ النَّاسِ. وَمَا ذَاكَ إِلَّا بِبَرَكَةِ تَنْفِيذِ شَرِيعَةِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَكُلَّمَا أُقِيمَ الْعَدْلُ كَثُرَتِ الْبَرَكَاتُ وَالْخَيْرُ" (1)

* * *

وَلِهَذَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ: ((إِنَّ الْفَاجِرَ إِذَا مَاتَ تَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ، وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ)) (2).

* * *

وَلِهَذَا قَالَ الْإِمَامُ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ): حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ وَالْحُسَيْنُ قَالَا حَدَّثَنَا عَوف، عَنْ (أَبِي قَحْذَم) قَالَ: وجَدَ رَجُلٌ فِي زَمَانِ زِيَادٍ -أَوِ ابْنِ زِيَادٍ -صُرَّةً فِيهَا حَبٌّ، يَعْنِي مِنْ بُرٍ أَمْثَالَ النَّوَى، عَلَيْهِ مَكْتُوبٌ: هَذَا نَبَتَ فِي زَمَانٍ كَانَ يُعْمَلُ فِيهِ بِالْعَدْلِ (3).

وَرَوَى (مَالِكٌ)، عَنْ (زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ): أَنَّ الْمُرَادَ بِالْفَسَادِ هَاهُنَا الشِّرْكُ. وَفِيهِ نَظَرٌ (4).

* * *

وَقَوْلُهُ: {لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} أَيْ: يَبْتَلِيهِمْ بِنَقْصِ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ، اخْتِبَارًا مِنْهُ، وَمُجَازَاةً عَلَى صَنِيعِهِمْ،

{لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} أَيْ: عَنِ الْمَعَاصِي، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الْأَعْرَافِ: 168]. (5)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن)- عن (قتادة): قوله: {ظَهَرَ الفَسادُ فِي البَرّ والبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أيْدِي النَّاسِ} قال: هذا قبل أن يبعث الله نبيه محمداً امتلأت ضلالة وظلما فلما بعث الله نبيه رجع راجعون من الناس. (6)

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾
﴿ سُورَةُ الرُّومِ: 33- 41 ﴾

- فرح البطر عند النعمة، والقنوط من الرحمة عند النقمة" صفتان من صفات الكفار.
- إعطاء الحقوق لأهلها سبب للفلاح.
- مَحْقُ الربا، ومضاعفة أجر الإنفاق في سبيل الله.

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (41).

(2) (متفق عليه): أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (6512).-(كتاب: الرقاق). / وأخرجه الإمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (950).- (كتاب: الجنائز).

(3) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (296/2).

قال: الشَيْخ (أحمد شاكر): في تحقيق (المسند): هذا خبر عن رجل ليس بثقة وليس بحديث ولاصلة له بمسند (أبي هريرة) ولكن ثبت في نسخ المسند في هذا الموضوع.

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (41).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (41).

(6) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (108/20).

• أثر ذنوب في انتشار الأوبئة وخراب البيئة مشاهد.(1)

* * *

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ (42) فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ (43) مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ (44) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (45) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (46) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (47) اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (48) وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ (49) فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (50)

[٤٢] ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

قل: -أيها الرسول - ﷺ - لهؤلاء المشركين: سيروا في الأرض، فتأملوا كيف كانت نهاية الأمم المكذبة من قبلكم؟ فقد كانت عاقبة سيئة، كان معظمهم مشركين بالله، يعبدون معه غيره، فأهلكوا بسبب إشراكهم بالله.(2)

* * *

قل: - أيها الرسول- ﷺ - للمكذبين بما جئت به: سيروا في أنحاء الأرض سير اعتبار وتأمل، فانظروا كيف كان عاقبة الأمم السابقة المكذبة كقوم نوح، وعاد وثمود، تجدوا عاقبتهم شر العواقب ومآلهم شر مآل؟ فقد كان أكثرهم مشركين بالله.(3)

* * *

قل: - يا أيها النبى- ﷺ - للمشركين: سيروا فى نواحى الأرض، فانظروا كيف كانت نهاية الذين مضوا قبلكم، فسترون أن الله أهلكهم وخرّب ديارهم، لأن أكثرهم كانوا مشركين مثلكم.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{قل سيروا في الأرض} ..... أي: قل يا رسولنا لأهل مكة المكذبين بك والمشركين بالله سيروا.

{عاقبة الذين من قبل} ..... أي: كيف كانت نهاية تكذيبهم لرسلهم وشركهم بربهم إنّها هلاكهم.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

انظر: سورة – (آل عمران) - آية (137). –

كما قال تعالى: {قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (408/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (409/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (409/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (608/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ}.

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّوم} الآية {42} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قُلْ} يَا مُحَمَّد- ﷺ - لأهل مكَّة {سِيرُوا} سافروا {في الأَرْض فانظروا} تفكَّرُوا {كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ} جَزَاء {الَّذين من قَبْلُ} من قبلهم كَيفَ أهلكهم الله عِنْد تكذيبهم الرُّسُل {كَانَ أَكْثَرُهُمْ} كلهم {مُّشْرِكِين} بِاللَّه.(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّوم} الآية {42} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ} لِتَرَوْا مَنَازِلَهُمْ وَمَسَاكِنَهُمْ خَاوِيَةً، {كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ} فَأُهْلِكُوا بِكُفْرِهِمْ.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّوم} الآية {42} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قُلْ سِيرُوا فِي الأرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ}.

والأمر بالسير في الأرض يدخل فيه السير بالأبدان والسير في القلوب للنظر والتأمل بعواقب المتقدمين.

{كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ} تجدون عاقبتهم شر العواقب ومآلهم شر مآل، عذاب استأصلهم وذم ولعن من خلق الله يتبعهم وخزي متواصل، فاحذروا أن تفعلوا فعالهم يُحْذَى بكم حذوهم فإن عدل الله وحكمته في كل زمان ومكان.(3)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّوم} الآية {42} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ} قل يا رسولنا لكفار قريش المكذبين لك المشركين بربهم: سيروا في الأرض شمالاً أو جنوباً أو غرباً فانظروا بأعينكم كيف كان عاقبة الذين كذبوا رسلهم وكفروا بربهم من قبلكم إنها كانت دماراً وهلاكاً فهل ترضون أن تكونوا مثلهم.

وقوله: {كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ} أي: كان أكثر أولئك الأقوام الهالكين مشركين فالشرك والتكذيب الذي أنتم عليه هو سبب هلاكهم وخسرانهم.(4)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّوم} الآية {42} ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {قُلْ سِيرُوا فِي الأرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ} أَيْ: مِنْ قَبْلِكُمْ،

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (42) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامُ (البغوي) سُورَةُ (الرُّوم) الآية (42).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (42)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (42) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

{كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ} أيْ: فَانْظُرُوا مَاذَا حلَّ بِهِمْ مِنْ تَكْذِيبِ الرُّسُلِ وَكُفْرِ النِّعَمِ. (1)

* * *

[٤٣] ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فأقم -أيها الرسول- ﷺ- وجهك لدين الإسلام المستقيم الذي لا اعوجاج فيه من قبل أن يأتي يوم القيامة الذي إذا جاء لا راد له، في ذلك اليوم يتفرق الناس: فريق في الجنة مُنَعَّمون، وفريق في النار معذبون. (2)

* * *

فوجِّه وجهك -أيها الرسول- ﷺ- نحو الدين المستقيم، وهو الإسلام، منفذًا أوامره مجتنبًا نواهيه، واستمسك به من قبل مجيء يوم القيامة، فإذا جاء ذلك اليوم الذي لا يقدر أحد على ردِّه تفرقت الخلائق أشتاتًا متفاوتين" ليُروا أعمالهم. (3)

* * *

فأخلص عبادتك للإله الواحد ليصح إسلامك ولا تكونن من المشركين، من قبل أن يأتى يوم لا يستطيع أحد أن يرده من الله، يومئذٍ يتفرق الناس و تختلف حالهم. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فأقم وجهك للدين القيم} ..... أي: استقم على طاعة ربك عابداً له مبلغاً عنه منفذاً لأحكامه.

{الْقَيِّمِ} ... المُسْتَقِيم.

{لا مَرَدَّ لَهُ} ... لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى رَدِّه.

{لا مرد له من الله} ..... أي: لا يرده الله تعالى لأنه قضى بإتيانه وهو يوم القيامة.

{يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ} ... أي: يَتَفَرَّقُونَ عن ذلك اليوم، وَيَصْدُرُونَ أَشْتَاتًا مُتَفَاوِتِينَ لِيُرَوا أَعْمَالَهُمْ.

{يَصَّدَّعُونَ} ... أي: يتفرقون فرقتين.

(أي: يَتَفَرَّقُ الخَلَائِقُ أَشْتَاتًا، ثُمَّ مَآلُهُمْ إِلَى الجَنَّةِ، أَوِ النَّارِ).

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {43} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ} نَفسك وعملك {لِلدِّينَ الْقيم} يَقُول أخْلص دينك وعملك لله وكن على دين الْحق الْمُسْتَقيم {من قبل أَن يَأْتِي يَوْمٌ} وَهُوَ يَوْم الْقِيَامَة {لَّا مَرَدَّ لَهُ} لَا مَانع لَهُ {مِنَ الله} من عَذَاب الله {يَوْمَئِذٍ} يَوْم الْقِيَامَة

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (42).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (409/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (409/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (608/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{يصَّدَّعُونَ} يفرقون فريق في الْجنَّة وفريق في السعير.(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {43} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ} الْمُسْتَقِيمِ وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ.

{مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ} يَعْنِي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى رَدِّهِ مِنَ اللَّهِ.

{يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ} أَيْ: يَتَفَرَّقُونَ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {43} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ}.

أي: أقبل بقلبك وتوجه بوجهك واسع ببدنك لإقامة الدين القيم المستقيم، فنفذ أوامره ونواهيه بجد واجتهاد وقم بوظائفه الظاهرة والباطنة. وبادر زمانك وحياتك وشبابك،

{مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ} وهو يوم القيامة الذي إذا جاء لا يمكن رده ولا يرجأ العاملون أن يستأنفوا العمل بل فرغ من الأعمال لم يبق إلا جزاء العمال.

{يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ} أي: يتفرقون عن ذلك اليوم ويصدرون أشتاتا متفاوتين ليُروا أعمالهم.(3)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {43} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ} أي: استقم يا رسولنا أنت والمؤمنون معك على الدين الإسلامي إذ لا دين يقبل سواه فاعتقدوا عقائده وامتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه وتأدبوا بآدابه وتخلقوا بأخلاقه وأقيموا حدوده وأحلوا حلاله وحرموا حرامه وادعوا إليه وعلموه الناس أجمعين، واصبروا على ذلك فإن العاقبة للمتقين.

وقوله: {مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ} أي افعلوا ذاك الذي أمرتكم به قبل مجيء يوم القيامة حيث لم يكن عمل وإنما جزاء،

وقوله: {لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ} أي: إنه لا يرده الله إذا جاء ميعاده لأنه قضى بإتيانه لا محالة من أجل الجزاء على العمل في الدنيا.

وقوله: {يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ} أي: يوم يأتي اليوم الذي لا مرد له يصدعون، أي: يتفرقون فرقتين(4) كما يتصدع الجدار فرقتين فريق في الجنة وفريق في النار.(5)

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (43) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي) = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (43).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (43)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4)- شاهده قول الشاعر: (وكنا كندماني جذيمة حقبة.. من الدهر حتى قيل لن يتصدعا). جذيمة الأبرشي كان ملكا ونديماه هما مالك وعقيل نادماه أربعين سنة ثم ماتوا وندماني في البيت تثنية ندمان.

(5) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (43) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

* * *

قال: الإمامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآيَة {43} يقُولُ تَعَالَى آمرًا عبادَهُ بِالْمُبَادرَة إِلَى الاسْتقَامَة فِي طَاعَته، وَالْمُبَادرَة إِلَى الْخَيْرَات:

{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ} أَيْ: يَوْمَ الْقِيَامَة، إذا أَرَادَ كَوْنَهُ فَلَا رادَّ لَهُ،

{يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ} أَيْ: يَتَفَرَّقُونَ، فَفَرِيقٌ فِي الْجَنَّة وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ" (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن)- عن (قتادة): قوله: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ للدينِ القيِّم} الإسلام، {مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ} فريق في الجنة وفريق في السعير. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن)- عن (علي بن أبي طلحة)- عن (ابن عباس): قوله: {يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ} يقول: يتفرّقون. (3)

* * *

قال: الشيخ (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: {يومئذ يصّدعون}. أي: يتفرقون فريقين: أحدهما في الجنة، والثاني: في النار. وقد دلت على هذا آيات من كتاب الله، كقوله تعالى في هذه السورة الكريمة {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ (14) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ (15) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (16)}.

وقوله تعالى: {وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير}. (4)

* * *

[٤٤] ﴿ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

من كفر بالله فضرر كفره -وهو الخلود في النار- عائد عليه، ومن عمل عملًا صالحًا يبتغي به وجه الله فلأنفسهم يُهَيِّئُون دخول الجنة والتنعم بما فيها خالدين فيها أبدًا. (5)

* * *

من كفر فعليه عقوبة كفره، وهي خلوده في النار، ومن آمن وعمل صالحًا فلأنفسهم يهيئون منازل الجنة" بسبب تمسكهم بطاعة ربهم. (6)

* * *

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَامِ (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (43).
(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (111/20).
(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (111/20).
(4) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للإمام (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (الروم) الآية (43).
(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (409/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(6) انظر: (التفسير الميسر) برقم (409/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

من كفر بالله فعليه وبال كفره، ومن آمن وعمل صالحاً فلأنفسهم - وحدها - يسوون طريق النعيم المقيم. (1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ} ... أي جزاء كفره.

{فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ} ... أي يسوون لأنفسهم، ما يسويه لنفسه الذي يمهد فراشه ويوطئه، لئلا يصيبه في مضجعه ما ينبّيه عليه وينغص عليه مرقده.

{يَمْهَدُونَ} ... يُهَيِّئُونَ مَنَازِلَهُمْ فِي الجَنَّةِ.

(أي: يوطئون ويفرشون لأنفسهم في منازل الجنة بإيمانهم وصالح أعمالهم).

{يَمْهَدُونَ} ... يُوَطِّئُونَ المجالسَ في الآخرة وَيُسَوُّونَهَا، ولا ينتفعُ اللهُ بذلك، والمهادُ: الفِرَاشُ، وقد مَهَدْتُ الفراشَ: بَسَطْتُهُ وَوَطَّأْتُهُ، وتمهيدُ الأمورِ: تَسْوِيَتُهَا.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآيَةُ {44} قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَنْ كَفَرَ} بِاللَّهِ {فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ} عُقُوبَةُ كفره خُلُود النَّار {وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً} فِي الْإِيمَان {فَلأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ} يفرشون ويجمعون الثَّوَاب والكرامة فِي الْجنَّة. (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآيَةُ {44} قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ} أيْ: وَبَالُ كُفْرِه، {وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ} يُوَطِّئُونَ الْمَضَاجِعَ وَيُسَوُّونَهَا فِي الْقُبُورِ. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآيَةُ {44} قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَنْ كَفَرَ} منهم {فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ} ويعاقب هو بنفسه لا تزر وازرة وزر أخرى، {وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا} من الحقوق التي لله أو التي للعباد الواجبة والمستحبة، {فَلِأَنْفُسِهِمْ} لا لغيرهم {يَمْهَدُونَ} أي: يهيئون ولأنفسهم يعمرون آخرتهم ويستعدون للفوز بمنازلها وغرفاتها. (4)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآيَةُ {44} قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ} أي: من كفر اليوم فعائد كفره عليه يوم القيامة، {وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً} أي: اليوم {فَلأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ} أي: يوطئون فرشهم في الجنة (5) إذ عائدة عملهم الصالح تعود عليهم (5) لا على غيرهم. (6)

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (608/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (44) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (44).

(4) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (44)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(5) - شاهده قوله تعالى من سورة (الشورى): {وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير}.

(6) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (44) للشيخ: (جابر بن أبو بكر الجزائري).

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّوم} الآية {44}-45} قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ * لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ} أَيْ: يُجَازِيهِمْ مُجَازَاةَ الْفَضْلِ: الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، إِلَى مَا يَشَاءُ اللَّهُ،

{إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ}، وَمَعَ هَذَا هُوَ الْعَادِلُ فِيهِمْ، الَّذِي لَا يَجُورُ.(1)

* * *

أخرج - الإمام (آدم ابن أبي إياس) - (رحمه الله):- (بسنده الصحيح)- عن (مجاهد): (فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ) قال: يسوّون المضاجع.(2)(3)

* * *

[٤٥] ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ليجزي الذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحات التي ترضي ربهم، إنه سبحانه لا يحبّ الكافرين به وبرسله، بل يمقتهم أشدّ المقت، وسيعذبهم يوم القيامة.(4)

* * *

ليجزي الله الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات من فضله وإحسانه. إنه لا يحب الكافرين لسخطه وغضبه عليهم.(5)

* * *

لأن الله يجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات على ما قدَّموا ويزيد جزاءهم تفضلا منه، لأنه يحبهم، ويُبغض الذين كفروا به وأنكروا نعمه.(6)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{لِيَجْزِيَ} ... متعلق بقوله يَمْهَدُونَ تعليل له.

{مِنْ فَضْلِه} ... مما يتفضل عليهم بعد توفية الواجب من الثواب.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّوم} الآية {45} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لِيجزي الَّذين آمنُوا} بِمُحَمَّد - صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- وَالْقُرْآن {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} الطَّاعَات فِيمَا بَينهم وَبَين رَبهم {مِن فَضْله} من ثَوَابه وكرامته فِي الْجنَّة {إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِين} لَا يرضى دينهم.(7)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامُ (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (44-45).
(2) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (87/4)، للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين)،
(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (112/20).
(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (409/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،
(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (409/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،
(6) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (608/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،
(7) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (45) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

الرُّوم}الآية{45} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ} قال: (ابن عباس): لِيُثِيبَهُمُ اللَّهُ أَكْثَرَ مِنْ ثَوَابِ أَعْمَالِهِمْ، : {إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ} .(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَة الرُّوم}الآية{45} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ} .

ومع ذلك جزاؤهم ليس مقصورا على أعمالهم بل يجزيهم الله من فضله الممدود وكرمه غير المحدود ما لا تبلغه أعمالهم. وذلك لأنه أحبهم وإذا أحب الله عبدا صب عليه الإحسان صبا، وأجزل له العطايا الفاخرة وأنعم عليه بالنعم الظاهرة والباطنة.

وهذا بخلاف الكافرين فإن الله لما أبغضهم ومقتهم عاقبهم وعذبهم ولم يزدهم كما زاد من قبلهم فلهذا قال: {إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ} .(2)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّوم}الآية{45} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لِيَجْزِيَ(3) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ} أي يصدعون فرقتين من أجل أن يجزي الله تعالى أولياءه المؤمنين العاملين للصالحات من فضله إذ أعمالهم حسبها أنها زكَّت نفوسهم فتأهلوا لدخول الجنة أما النعيم المقيم فيها فهو من فضل الله فقط.

وقوله: {إِنَّهُ(4) لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ} هذه جملة علة لجملة محذوفة إذ التقدير: ويجزي الكافرين بعدله وهو سوء العذاب لأنه لا يحب الكافرين.(5)

* * *

[٤٦] ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ومن آياته العظيمة الدالة على قدرته ووحدانيته: أن يبعث الرياح تبشر العباد بقرب نزول المطر، وليذيقكم -أيها الناس- من رحمته بما يحصل بعد المطر من خَصْب ورخاء، ولتجري السفن في البحر بمشيئته، ولتطلبوا من فضله بالتجارة في البحر، ولعلكم تشكرون نعم الله عليكم فيزيدكم منها.(6)

* * *

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (الرُّوم) الآية (45).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (45)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) - اللام لام التعليل وهو واضح في التفسير.

(4) - علة الحذف طلب الإيجاز مع ظهور المعنى بدلالة السياق عليه.

(5) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (45) للشيخ: (جابر بن أبو بكر الجزائري).

(6) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (409/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

ومن آيات الله الدالة على أنه الإله الحق وحده لا شريك له وعلى عظيم قدرته إرسال الرياح أمام المطر مبشرات بإثارتها للسحاب، فتستبشر بذلك النفوس" وليذيقكم من رحمته بإنزاله المطر الذي تحيا به البلاد والعباد، ولتجري السفن في البحر بأمر الله ومشيئته، ولتبتغوا من فضله بالتجارة وغيرها" فعل الله ذلك من أجل أن تشكروا له نعمه وتعبدوه وحده. (1)

* * *

ومن الدلائل على قدرة الله ورحمته أنه يبعث الرياح مبشرات بالمطر الذى يكون لكم رِياً وسقيا، وليهبكم من فيض إحسانه المنافع التى نشأت من المطر، ولتجرى السفن فى الماء بأمر الله وقدرته، ولتطلبوا الرزق من فضله بالتجارة واستغلال ما فى البر والبحر، ولتشكروا لله نعمه بطاعتكم له وعبادتكم إيَّاه. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{ومن آياته أن يرسل الرياح} .... أي: ومن حججه الدالة على قدرته على البعث والجزاء والموجبة لعبادته وحده.

{مُبَشِّرَات} ... تُبَشِّرُ بِالمَطَر.

(أي: بالمطر، لأنها تتقدمه.

(أي: تبشر العباد بالمطر وقربه).

{وليذيقكم من رحمته} .... أي: بالغيث والخصب والرخاء وسعة الرزق.

{مِنْ رَحْمَتِهِ} ... من الغيث والخصب.

{وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ} ... في البحر مع هبوبها.

{الْفُلْكُ} ... السُّفُنُ.

{بِأَمْرِهِ} ... بِإِرَادَة الله، وَمَشِيئَته.

{وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ} ... يعني الرزق بالتجارة.

(أي: لتطلبوا الرزق من فضله الواسع بواسطة التجارة في البحر).

{وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} ... هذه النعم بالتوحيد والطاعة.

(أي: كي تشكروا هذه النعم فتؤمنوا وتوحِّدوا ربكم).

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {46} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْ آيَاتِهِ} من عَلَامَات وحدانيته وقدرته {أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ} لخلقه بالمطر {وَلِيُذِيقَكُمْ} لكي يُصيبكم {مِّن رَّحْمَتِهِ} نعْمَته (وَلِتَجْرِيَ الْفلك) السفن {بِأَمْرِهِ} بمشيئته فِي الْبَحْر {وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ} لكي تطلبوا لركوبكم السفن من فَضله من رزقه {وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} لكي تشكروا نعْمَته. (3)

* * *

قَال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {46} قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَمِنْ

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (409/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (608/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (46) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ} تُبَشِّرُ بِالْمَطَرِ، {وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ} نِعْمَةَ الْمَطَرِ وَهِيَ الْخِصْبُ، {وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ} لِتَطْلُبُوا مِنْ رِزْقِهِ بِالتِّجَارَةِ فِي الْبَحْرِ، {وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} رَبَّ هَذِهِ النِّعَمِ.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {46} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْ آيَاتِهِ} أي: ومن الأدلة الدالة على رحمته وبعثه الموتى وأنه الإله المعبود والملك المحمود،

{أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ} أمام المطر {مُبَشِّرَاتٍ} بإثارتها للسحاب ثم جمعها فتبشر بذلك النفوس قبل نزوله.

{وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ} فينزل عليكم من رحمته مطرا تحيا به البلاد والعباد، وتذوقون من رحمته ما تعرفون أن رحمته هي المنقذة للعباد والجالبة لأرزاقهم، فتشتاقون إلى الإكثار من الأعمال الصالحة الفاتحة لخزائن الرحمة.

{وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ} في البحر. {بِأَمْرِهِ} القدري. {وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ} بالتصرف في معايشكم ومصالحكم.

{وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} من سخر لكم الأسباب وسير لكم الأمور. فهذا المقصود من النعم أن تقابل بشكر الله تعالى ليزيدكم الله منها ويبقيها عليكم.

وأما مقابلة النعم بالكفر والمعاصي فهذه حال من بدَّل نعمة الله كفرا ونعمته محنة وهو معرض لها للزوال والانتقال منه إلى غيره.(2)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {46} ما زال السياق الكريم في تقرير ألوهية الله تعالى وعدله ورحمته، فقال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ} أي: ومن آياتنا الدالة على ألوهيتنا وعدلنا في خلقنا ورحمتنا بعبادنا إرسالنا الرياح مبشرات(3) عبادنا بقرب المطر الذي به حياة البلاد والعباد فإرسال الرياح أمر لا يقدر عليه إلا الله، وتدبير يقصر دونه كل تدبير ورحمة تعلوا كل رحمة.

وقوله: {وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ} أي: بإنزال المطر المترتب عليه الخصب والرخاء،

وقوله: {وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ} أي: السفن في البحر إذ الرياح كانت قبل اكتشاف البخار هي المسيرة للسفن في البحر صغيرها وكبيرها.

وقوله: {بِأَمْرِهِ}(4) أي: بإذنه وإرادته وتدبيره الحكيم،

وقوله: {وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ} أي: لتطلبوا الرزق بالتجارة في البحر من إقليم إلى آخر تحملون البضائع لبيعها وشرائها.

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (46).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (46)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) - قيل في الرياح مبشرات لأنها تتقدم المطر فهي كالمبشرة بمجيئه.

(4) - قال بأمره لأن الرياح قد تهب ولا تكون مواتية فيتعين إرساء السفن والاحتيال على حبسها إذ ربما عصفت بها الرياح فاغرقتها فمن هنا قال بأمره وإلا فالرياح وحدها لن تغرق السفن وتعوقها عند السير.

وقوله: {وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} أي: فعل الله تعالى بكم ذلك فسخره لكم وأقدركم عليه رجاء أن تشكروا ربكم بالإيمان به وبطاعته وتوحيده في عبادته. فهل أنتم يا عباد الله شاكرون؟،(1)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {46} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ} يذْكُرُ تَعَالَى نعمه عَلَى خَلْقِهِ، فِي إِرْسَاله الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ، بِمَجِيءِ الْغَيْثِ عَقِيبهَا"

وَلِهَذَا قَالَ: {وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ} أَيِ: الْمَطَرُ الَّذِي يُنْزِلُهُ فَيُحْيِي بِهِ الْعِبَادَ وَالْبِلَادَ، {وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ} أَيْ: فِي الْبَحْرِ، وَإِنَّمَا سَيَّرَهَا بِالرِّيحِ، {وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ} أَيْ: فِي التِّجَارَاتِ وَالْمَعَايِشِ، وَالسَّيْرِ مِنْ إِقْلِيمٍ إِلَى إِقْلِيمٍ، وَقُطْرٍ إِلَى قُطْرٍ، {وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} أَيْ: تَشْكُرُونَ اللَّهَ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنَ النِّعَمِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، الَّتِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى.(2)

* * *

أخرج - الإمام (آدم ابن أبي إياس) – (رحمه الله):- (بسنده الصحيح)- عن (مجاهد): (الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ)، قال: بالمطر.(3) (4)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح)- عن (مجاهد): {وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ}: قال: المطر.(5)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن)- عن (قتادة): {وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ}: المطر.(6)

* * *

انظر: سورة – (البقرة)- آية (164). –
كما قال تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}.

* * *

وانظر: سورة – (المؤمنون) - آية (22). –
كما قال تعالى: {وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ}.

* * *

[٤٧] ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية.

---

(1) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (46) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).
(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (46).
(3) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (87/4) للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين).
(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (113/20).
(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (113/20).
(6) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (113/20).

ولقد بعثنا من قبلك -أيها الرسول - ﷺ - رسلًا إلى أممهم، فجاؤوهم بالحجج والبراهين الدالة على صدقهم، فكذبوا بما جاءتهم به رسلهم، فانتقمنا من الذين ارتكبوا السيئات، فأهلكناهم بعذابنا، وأنجينا الرسل والمؤمنين بهم من الهلاك، وإنجاء المؤمنين ونصرهم حق أوجبناه علينا.(1)

* * *

ولقد أرسلنا مِن قبلك -أيها الرسول- ﷺ - رسلا إلى قومهم مبشرين ومنذرين يدعونهم إلى التوحيد، ويحذرونهم من الشرك، فجاؤوهم بالمعجزات والبراهين الساطعة، فكفر أكثرهم بربهم، فانتقمنا من الذين اكتسبوا السيئات منهم، فأهلكناهم، ونصرنا المؤمنين أتباع الرسل، وكذلك نفعل بالمكذبين بك إن استمروا على تكذيبك، ولم يؤمنوا.(2)

* * *

ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم، فجاء كل رسول قومه بالحُجج الواضحة الدالة على صدقه فكذَّبه قومه، فأهلكنا الذين أذنبوا وعصوا. وقد أوجب الله على نفسه أن ينصر عباده المؤمنين.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{رسلاً إلى قومهم} .... أي: كـ (نوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وشعيب) -عليهم السلام-.

{فجاءوهم بالبينات} ..... أي: بالحجج والمعجزات.

{الْبَيِّنَاتِ} ... بالمعجزات.

{الذين أجرموا} ..... أي: أفسدوا نفوسهم فخبثوها بآثار الشرك والمعاصي.

{أَجْرَمُوا} ...أي: كفروا.

{حقاً علينا نصر المؤمنين} ..... أي: ونصر المؤمنين أحققناه حقاً وأوجبناه علينا فهو كائن لا محالة.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الْإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {47} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا} بعثنَا {مِن قَبْلِكَ} يَا مُحَمَّد - ﷺ -. {رسلًا إِلَى قَوْمهمْ فجاؤوهم بِالْبَيِّنَاتِ} بِالْأَمر وَالنَّهْي والعلامات فَلم يُؤمنُوا {فانتقمنا} بِالْعَذَابِ {مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا} أشركوا {وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا} وَاجِبا علينا {نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} مَعَ الرُّسُل بنجاتهم وهلاك أعدائهم.(4)

* * *

قَالَ: الْإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {47} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (409/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (409/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (609/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَة (الرُّوم) الآية (47) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

{بِالْبَيِّنَاتِ} بِالدَّلَالَاتِ الْوَاضِحَاتِ عَلَى صدقهم.
{فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا} عَذَّبْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوهُمْ،
{وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} إنجاؤهم مِنَ الْعَذَابِ فَفِي هَذَا تَبْشِيرٌ لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالظَّفَرِ فِي الْعَاقِبَةِ وَالنَّصْرِ عَلَى الْأَعْدَاءِ، قَالَ: (الْحَسَنُ): أَنْجَاهُمْ مَعَ الرسول من عذاب الأمم.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - رحمه الله - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {47} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ} في الأمم السابقين {رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ} حين جحدوا توحيد الله وكذبوا بالحق فجاءتهم رسلهم يدعونهم إلى التوحيد والإخلاص والتصديق بالحق وبطلان ما هم عليه من الكفر والضلال، وجاءوهم بالبينات والأدلة على ذلك فلم يؤمنوا ولم يزولوا عن غيهم،
{فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا} ونصرنا المؤمنين أتباع الرسل.
{وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} أي: أوجبنا ذلك على أنفسنا وجعلناه من جملة الحقوق المتعينة ووعدناهم به فلا بد من وقوعه.

فأنتم أيها المكذبون لمحمد -صلى الله عليه وسلم- إن بقيتم على تكذيبكم حلَّت بكم العقوبة ونصرناه عليكم.(2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {47} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا} هَذِهِ تَسْلِيَةٌ مِنَ اللَّهِ لِعَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ، بِأَنَّهُ وَإِنْ كَذَّبَهُ كَثِيرٌ مِنْ قَوْمِهِ وَمِنَ النَّاسِ، فَقَدْ كُذِّبَتِ الرُّسُلُ الْمُتَقَدِّمُونَ مَعَ مَا جَاءُوا أُمَمَهُمْ بِهِ مِنَ الدَّلَائِلِ الْوَاضِحَاتِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ انْتَقَمَ مِمَّنْ كَذَّبَهُمْ وَخَالَفَهُمْ، وَأَنْجَى الْمُؤْمِنِينَ بِهِمْ،

{وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} ، هُوَ حَقٌّ أَوْجَبَهُ عَلَى نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ، تَكَرُّمًا وَتَفَضُّلًا،
كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ} [الْأَنْعَامِ: 54].(3)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {47} {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ} يا رسولنا. {رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ} كنوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب عليهم السلام فجاءوا أقوامهم

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (47).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (47)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (47).

بالبينات والحجج النيرات كما جئت أنت قومك فكذبت تلك الأقوام رسلهم.
{فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا} فأهلكناهم، ونجينا الذين آمنوا.
{وَكَانَ حَقّاً (1) عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} ألا فليعتبر قريش بهذا وإلا فستحل بها نقمة الله فيهلك الله المجرمين وينجي رسوله والمؤمنين كما هي سنته في الأولين والحمد لله رب العالمين. (2)

* * *

[٤٨] ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

الله سبحانه هو الذي يسوق الرياح ويبعثها، فتثير تلك الرياح السحاب وتحركه، فيمدّه في السماء كيف يشاء من قلة أو كثرة، ويصيّره قطعًا، فترى - أيها الناظر - المطر يخرج من وسطه، فإذا أصاب بالمطر من يشاء من عباده إذا هم به يسرّون برحمة الله لهم بإنزال المطر الذي يعقبه إنبات الأرض بما يحتاجونه لأنفسهم ولدوابّهم. (3)

* * *

الله -سبحانه- هو الذي يرسل الرياح فتثير سحابًا مثقلا بالماء، فينشره الله في السماء كيف يشاء، ويجعله قطعًا متفرقة، فترى المطر يخرج من بين السحاب، فإذا ساقه الله إلى عباده إذا هم يستبشرون ويفرحون بأن الله صرف ذلك إليهم. (4)

* * *

الله - سبحانه وتعالى - الذى يُرسل الرياح فتحرك بقوة دفعها السحاب، فيبسطه الله فى السماء كيف يشاء هنا وهناك فى قلة أو كثرة، ويجعله قطعاً، فترى المطر يخرج من بين السحاب، فإذا أنزل الله المطر على من يشاء من عباده يسارعون إلى البِشْر والفرح. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فَتُثِيرُ} ... تُحرِّكُ، وَتَنْشُرُ.

{فتثير سحاباً} ..... أي: تحركه وتهيجه فيسير وينتشر.

{كِسَفًا} ... قطعًا مُتَفَرِّقَةً.

{كِسَفًا} ... قِطَعًا، جمع كِسْفَة، فَتَارَةً يَجْعَلُهُ مُنْبَسِطًا يَأْخُذُ وَجْهَ السَّمَاءِ، وتارةً يَجْعَلُهُ قِطَعًا مُتَفَرِّقَةً.

{وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً} ... قطعا تارة.

---

(1) - حقاً هذه الكلمة من صيغ الالتزام يقال فلان محفوف بكذا أي لازم له شاهده في قول الأعشى:
لمحفوفة أن تستجيبي لصوته حقا خبر كان مقدم على اسمها وهو نصر المؤمنين ولا التفات إلى من رأى الوقف على (حقاً).

(2) انظُر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (47) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (409/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (409/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (609/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

(أي: قطعاً متفرقة في السماء هنا وهناك).

{الْوَدْقَ} ... المَطَرَ.

{مِنْ خِلَالِهِ} ... مِنْ بَيْنِ السَّحَابِ.

{فَيَبْسُطُهُ} ... متصلا تارة.

{فَتَرَى الْوَدْقَ} ... المطر.

(أي: المطر يخرج من خلال السحاب).

{يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ} ... في التارتين جميعا.

{بِهِ} ... أي: بالمطر.

{إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} ..... أي: فرحون بالمطر النازل لسقياهم.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس)- قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {48} قَوْلُهُ تَعَالَى: {اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا} ثقالاً بالمطر {فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا} قطعاً إن شاءَ {فَتَرَى الْوَدْقَ} يَعْنِي الْمَطَر {يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ} من خلال السَّحَاب {فَإِذَا أَصَابَ بِهِ} بالمطر {مَن يَشَاءُ} من يُرِيد {مِنْ عِبَادِهِ} في الأَرْض {إِذَا هُمْ يستبشرون} بالمطر.(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {48} قَوْلُهُ تَعَالَى: {اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا} أي يَنْشُرُهُ، {فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ} مسيرة يوم أو يومين أو أكثر عَلَى مَنْ يَشَاءُ، {وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا} قطعا متفرقة، {فَتَرَى الْوَدْقَ} المطر، {يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ} وَسَطه، {فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ} أي: بِالْوَدْقِ، {مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} يفرحون بالمطر.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {48} قَوْلُهُ تَعَالَى: {اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا} يخبر تعالى عن كمال قدرته وتمام نعمته أنه {يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا} من الأرض، {فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ} أي: يمده ويوسعه {كَيْفَ يَشَاءُ} أي: على أي: حالة أرادها من ذلك ثم {يَجْعَلُهُ} أي: ذلك السحاب الواسع {كِسَفًا} أي: سحابا ثخينا قد طبق بعضه فوق بعض. {فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ} أي: السحاب نقطا صغارا متفرقة، لا تنزل جميعا فتفسد ما أتت عليه.

{فَإِذَا أَصَابَ بِهِ} بذلك المطر {مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} يبشر بعضهم بعضا بنزوله وذلك لشدة حاجتهم وضرورتهم إليه،(3)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {48} ما زال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر مظاهر قدرة الله تعالى في

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (48) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامُ (البغوي) سُورَةُ (الروم) الآية (48).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (48)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

الكون. قال تعالى: {اللهُ الَّذي يُرسِلُ الرِّيَاحَ}[1] أي: ينشئها ويبعث بها من أماكن وجودها فتثير تلك الرياح سحاباً أي تزعجه وتحركه فيبسطه تعالى في السماء كيف يشاء من كثافة وخفة وكثرة وقلة،

{وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً}[2] أي: قطعا فترى أيها الرائي الودق أي المطر يخرج من خلاله أي: من بين أجزاء السحاب.

وقوله: {فَإِذَا أَصَابَ بِهِ} أي: بالمطر {مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} أي: المصابون بالمطر في أرضهم.

{إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} أي: يفرحون.[3]

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {48} قَوْلُهُ تَعَالَى: {اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ}.

يُبَيِّنُ تَعَالَى كَيْفَ يَخْلُقُ السَّحَابَ الَّتِي يَنْزِلُ مِنْهَا الْمَاءُ فَقَالَ: {اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا}، إِمَّا مِنَ الْبَحْرِ عَلَى مَا ذَكَرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ، أَوْ مِمَّا يَشَاءُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

{فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ} أَيْ: يَمُدُّهُ فيكثّره وينمّيه، وَيَجْعَلُ مِنَ الْقَلِيلِ كَثِيرًا، يُنْشِئُ سَحَابَةً فَتَرَى فِي رَأْيِ الْعَيْنِ مِثْلَ التُّرْسِ، ثُمَّ يَبْسُطُهَا حَتَّى تَمْلَأَ أَرْجَاءَ الْأُفُقِ. وَتَارَةً يَأْتِي السَّحَابُ مِنْ نَحْوِ الْبَحْرِ ثِقَالًا مَمْلُوءَةً مَاءً،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنزلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} {الْأَعْرَافِ: 57}،

وَكَذَلِكَ قَالَ هَاهُنَا: {اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا}. قَالَ: (مُجَاهِدٌ)، وَ(أَبُو عَمْرِو بْنُ الْعَلَاءِ)، وَ(مَطَرٌ الْوَرَّاقُ)، وَ(قَتَادَةُ): يَعْنِي قِطَعًا.

وَقَالَ غَيْرُهُ: مُتَرَاكِمًا، قَالَهُ (الضَّحَّاكُ).

وَقَالَ غَيْرُهُ: أَسْوَدَ مِنْ كَثْرَةِ الْمَاءِ، تَرَاهُ مُدْلَهِمًّا ثَقِيلًا قَرِيبًا مِنَ الْأَرْضِ.

وَقَوْلُهُ: {فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ} أَيْ: فَتَرَى الْمَطَرَ -وَهُوَ الْقَطْرُ- يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ذَلِكَ السَّحَابِ،

{فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} أَيْ: لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهِ يَفْرَحُونَ بِنُزُوله عَلَيْهِمْ وَوُصُوله إِلَيْهِمْ.[4]

* * *

---

(1) - استئناف مبدوء باسم الله الأعظم الدال على قدرته وواسع علمه فهو الذي يرسل الرياح وينزل من السماء ماء ويحيى به الأرض هو الله الرب القادر على إحياء الناس بعد موتهم والمستحق لعبادتهم دون سواه والرياح قرأ بها الجمهور وقرأ بعض الريح بالإفراد ومما عرف بالعادة أن الرياح للإمطار والريح للدمار.

(2) - الكِسَف: جمع كسفة أي قطعة والمراد أن الله تعالى يرسل الرياح فتثير السحاب ويكون عاما مجللا للسماء كافة ويكون منه قطعاً قطعاً لحكمة تتطلب ذلك والكسف بكسر الكاف وسكون السين كالكسف بكسر الكاف وفتح السين كلاهما جمع كسفه كسدره وسدر وقرئ من خَلله وجائز أن يكون جمع خلال أيضا.

(3) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (48) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (48).

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

(بسنده الحسن)- عن (قتادة): قوله: {فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ} ويجمعه،

قوله: {وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا} يقول: ويجعل السحاب قطعا متفرقة،

وقوله: {فَتَرَى الْوَدْقَ} يعني: المطر،

وقوله: {يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ} يعني: من بين السحاب.(1)

* * *

[٤٩] ﴿ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وقد كانوا من قبل أن ينزل عليهم الله المطر لآيسين من نزوله عليهم.(2)

* * *

وإنْ كانوا من قبل نزول المطر لفي يأس وقنوط" بسبب احتباسه عنهم.(3)

* * *

وإنهم كانوا قبل أن ينزل بهم المطر لفى يأس وحيرة.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{لَمُبْلِسِينَ}... يَائسِينَ، يَائسِينَ مِنْ نُزُولِه.

(أي: يَائسِينَ مِنْ الخيرِ).

(أي: قنطين آيسين من إنزاله عليهم).

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {49} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِنْ كَانُواْ} وَقد كَانُوا {مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِّن قَبْلِهِ} من قبل الْمَطَر {لَمُبْلِسِينَ} آيسين من الْمَطَر.(5)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {49} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِنْ كَانُواْ} وَقَدْ كَانُوا {مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ} أي: آيسين، يَعْنِي:- الْأُولَى تَرْجِعُ إِلَى إِنْزَالِ الْمَطَرِ وَالثَّانِيَةُ إِلَى إِنْشَاءِ السَّحَابِ.(6)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {49} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ} أي: آيسين قانطين لتأخر وقت مجيئه، أي: فلما نزل في تلك الحال صار له موقع عظيم عندهم وفرح واستبشار.(7)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {49} قَوْلُهُ

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (114/20).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (409/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (409/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (609/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (49) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما -.

(6) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (49).

(7) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (49) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

تَعَالَى: {وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ} مَعْنَى الْكَلَامِ: أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ الَّذِينَ أَصَابَهُمْ هَذَا الْمَطَرُ كَانُوا قَنِطِينَ أَزِلِينَ مِنْ نُزُولِ الْمَطَرِ إِلَيْهِمْ قَبْلَ ذَلِكَ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ، جَاءَهُمْ عَلَى فَاقَةٍ، فَوَقَعَ مِنْهُمْ مَوْقِعًا عَظِيمًا.

وقد اختلف النحاة في قوله: {مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ}، فقال: (ابن جرير): هُوَ تَأْكِيدٌ. وَحَكَاهُ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ.

وَقَالَ آخَرُونَ: وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمُ الْمَطَرُ، {مِنْ قَبْلِهِ} أَيِ: الْإِنْزَالِ {لَمُبْلِسِينَ}.

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ دَلَالَةِ التَّأْسِيسِ، وَيَكُونُ مَعْنَى الْكَلَامِ: أَنَّهُمْ كَانُوا مُحْتَاجِينَ إِلَيْهِ قَبْلَ نُزُولِهِ، وَمِنْ قَبْلِهِ -أَيْضًا- قَدْ فَاتَ عِنْدَهُمْ نُزُولُهُ وَقْتًا بَعْدَ وَقْتٍ، فَتَرَقَّبُوهُ فِي إِبَّانِهِ فَتَأَخَّرَ، فَمَضَتْ مُدَّةٌ فَتَرَقَّبُوهُ فَتَأَخَّرَ، ثُمَّ جَاءَهُمْ بَغْتَةً بَعْدَ الْيَأْسِ مِنْهُ وَالْقُنُوطِ، فَبَعْدَ مَا كَانَتْ أَرْضُهُمْ مُقْشَعِرَّةً هَامِدَةً أَصْبَحَتْ وَقَدِ اهتزت وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن)- عن (قتادة): {وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ} أي: قانطين.(2)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره): - {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {49} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ} أي: المطر {مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ}(3). أي: مكتئبين حزينين قانطين.(4)

* * *

[٥٠] ﴿ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فانظر - أيها الرسول - ﷺ - إلى آثار المطر الذي ينزله الله رحمة لعباده، كيف يحيي الله الأرض بما ينبتة عليها من أنواع النبات بعد جفافها ويبسها، إن الذي أحيا تلك الأرض الجافة لهو باعث الأموات أحياء، وهو على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.(5)

* * *

فانظر -أيها المشاهد- نظر تأمل وتدبر إلى آثار المطر في النبات والزروع والشجر، كيف يحيي به الله الأرض بعد موتها، فينبتها ويعشبها؟ إن الذي قدَر على إحياء هذه

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامُ (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (49).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (115/20).

(3) - وفسر بآيسين أي قانطين أزلين كما في الحديث أي في ضيق وشدة وفسر بئسين والكل صحيح.

(4) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (49) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (409/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

الأرض لمحيي الموتى، وهو على كل شيء قدير لا يعجزه شيء. (1)

* * *

فانظر نظر تفكر وتدبر إلى آثار المطر، كيف يحيي الله الأرض بالنبات بعد أن كانت هامدة كاليت، إن الذى قدر على إحياء الأرض بعد موتها لقادر على إحياء الموتى من الناس، وهو تام القدرة لا يعجزه شئ. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{رَحْمَتَ اللَّهِ} ... المَطَرِ.

{إِنَّ ذَلِكَ} ..... القادر الذي يحيي الأرض بعد موتها.

{إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى} .... أي: القادر على إنزال المطر وإحياء الأرض بعد موتها قادر على إحياء الموتى وهو الله تعالى.

{لَمُحْيِي الْمَوْتَى} ... يحيي الناس بعد موتهم.

{وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ} ... من المقدورات.

{قَدِيرٌ} ... قادر.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

انظر: سورة - (الأعراف) - آية (57). -

كما قال تعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}.

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {50} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَانْظُرْ} يَا مُحَمَّد - ﷺ - . {إِلَى آثار رَحْمَة الله} قُدَّام الْمَطَر وَبعد الْمَطَر {كَيْف يُحْيِي الأَرْض بعد مَوتهَا} بعد قحطها ويبوستها {إِن ذَلِك} الَّذِي يحيي الأَرْض بعد مَوتهَا {لَمُحْيِي الْمَوْتَى} للبعث {وَهُوَ على كل شَيْء} من الْحَيَاة وَالْمَوْت والبعث لِلْخلق {قدير}. (3)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {50} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ} أَرَادَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ الْمَطَرَ أَيْ: انْظُرْ إِلَى حُسْنِ تَأْثِيرِهِ فِي الأرض، قَالَ: (مُقَاتِلٌ): أَثَرُ رَحْمَةِ اللَّهِ أَيْ نِعْمَتُهُ وَهُوَ النَّبْتُ، {كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى} يَعْنِي: إِنَّ ذَلِكَ الَّذِي يُحْيِي الْأَرْضَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى، {وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}. (4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - رحمه الله - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {50} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج كريم.

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (409/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (609/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (50) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الرُّوم) الآية (50).

{إِنَّ ذَلِكَ} الذي أحيا الأرض بعد موتها. {لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} فقدرته تعالى لا يتعاصى عليها شيء وإن تعاصى على قدر خلقه ودق عن أفهامهم وحارت فيه عقولهم. (1)

* * *

قال: الإمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآيَة {50} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ} يَعْنِي: الْمَطَرَ {كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا}. ثُمَّ نَبَّهَ بِذَلِكَ عَلَى إِحْيَاءِ الْأَجْسَادِ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَفَرُّقِهَا وَتَمَزُّقِهَا، فَقَالَ: {إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى} أَيْ: إِنَّ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ لَقَادِرٌ عَلَى إِحْيَاءِ الْأَمْوَاتِ، {إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}. (2)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآيَة {50} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللهِ} أي: فانظر يا رسولنا إلى آثار رحمة الله، أي: إلى آثار المطر كيف ترى الأرض قد اخضرت بعد يبس وحييت بعد موت. فإذا رأيت ذلك علمت أن الذي أحيا الأرض بعد موتها قادر على أن يحيي الموتى من قبورهم وذلك يوم القيامة.

وقوله: {وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} تعليل لعظم قدرته وأنه قادر على إحياء الموتى وعلى فعل كل شيء أراده. (3)

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾
﴿ سُورَةُ الرُّومِ: 42 - 50 ﴾

- إرسال الرياح، وإنزال المطر، وجريان السفن في البحر: نِعَم تستدعي أن نشكر الله عليها.
- إهلاك المجرمين ونصر المؤمنين سُنَّة إلهية.
- إنبات الأرض بعد جفافها دليل على البعث. (4)

* * *

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (50)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (50).

(3) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (50) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (409/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

[٥١] ﴿ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولئن بعثنا على زروعهم ونباتاتهم ريحًا تفسده عليهم، فرأوا زروعهم مُصْفرّة الألوان بعد أن كانت مُخْضرّة لظلّوا بعد مشاهدتهم لها يكفرون بنعم الله السابقة على كثرتها. (1)

* * *

ولئن أرسلنا على زروعهم ونباتاتهم ريحًا مفسدة، فرأوا نباتاتهم قد فسد بتلك الريح، فصار من بعد خضرته مصفرًا، لمكثوا من بعد رؤيتهم له يكفرون بالله ويجحدون نعمه. (2)

* * *

وأقسم: لئن أرسلنا ريحاً مضرة بالنبات فرأوه مصفراً بسببها، لصاروا من بعد اصفراره يجحدون النعمة ويكفرون بالله. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فرأوه مصفراً} ..... أي: رأوا النبات والزرع مصفراً للجائحة التي أصابته وهي ريح الدبور المحرقة.

{مُصْفَرًّا} ... صَارَ أَصْفَرَ بَعْدَ خُضْرَتِه" مِنَ الفَسَادِ. (أي: غير ممطر).

وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ (51) فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (52) وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (53) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (54) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ (55) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (56) فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (57) وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ (58) كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (59) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ(60)

{لظلوا من بعده يكفرون} .... أي: أقاموا بعد هلاك زرعهم ونباتاتهم يكفرون نعم الله عليهم السابقة.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {51} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحاً} حارة أَو بَارِدَة على الزَّرْع {فَرَأَوْهُ} الزَّرْع {مُصْفَرّاً} متغيراً بعد خضرته {لَّظَلُّوا} لصاروا {مِن بَعْدِهِ} من بعد صفرته {يَكْفُرُونَ} بِاللَّه وبنعمته يَقُول يُقِيمُونَ على الْكفْر بِاللَّه وبنعمته. (4)

* * *

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (410/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (410/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (609/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (51) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {51} قَوْلُهُ تَعَالَى:. {وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا} بَارِدَةً مُضِرَّةً فَأَفْسَدَتِ الزرع، {فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا} أي: والنبت والزَّرْعَ مُصْفَرًّا بَعْدَ الْخُضْرَةِ، {لَظَلُّوا} لصاروا، {مِنْ بَعْدِهِ} أَيْ: مِنْ بَعْدِ اصْفِرَارِ الزَّرْعِ، {يَكْفُرُونَ} يَجْحَدُونَ مَا سَلَفَ مِنَ النِّعْمَةِ يَعْنِي: أَنَّهُمْ يَفْرَحُونَ عِنْدَ الْخِصْبِ وَلَوْ أَرْسَلْتُ عَذَابًا عَلَى زَرْعِهِمْ جَحَدُوا سَالِفَ نِعْمَتِي. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {51} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ}.

يخبر تعالى عن حالة الخلق وأنهم مع هذه النعم عليهم بإحياء الأرض بعد موتها ونشر رحمة الله تعالى لو أرسلنا على هذا النبات الناشئ عن المطر وعلى زروعهم ريحا مضرة متلفة أو منقصة،

{فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا} قد تداعى إلى التلف {لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ} فينسون النعم الماضية ويبادرون إلى الكفر. (2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {51} ثم قال تَعَالَى: {وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ} ، يَقُولُ {وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا} يَابِسَةً عَلَى الزَّرْعِ الَّذِي زَرَعُوهُ، وَنَبَتَ وَشَبَّ وَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ، فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا، أَيْ: قَدِ اصْفَرَّ وَشَرَعَ فِي الْفَسَادِ، لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ، أَيْ: بَعْدَ هَذَا الْحَالِ يَكْفُرُونَ، أَيْ: يَجْحَدُونَ مَا تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ مِنَ النِّعَمِ، كَمَا قَالَ: {أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ. لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ. إِنَّا لَمُغْرَمُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ} {الْوَاقِعَةِ: 63 -67}. (3)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {51} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحاً} أي: وعزتنا وجلالنا لئن أرسلنا ريحاً فيه إعصارٌ فيه نار فأحرقت تلك النباتات وأيبسها فرآها أولئك الذين هم بالأمس فرحون فرح بطر بالغيث.

{يَكْفُرُونَ} بربهم أي يقولون: ما هو كفر من ألفاظ السخط وعدم الرضا وذلك لجهلهم وكفرهم. (4)

* * *

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (الرُّوم) الآية (51).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (51)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (51).

(4) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (51) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

[٥٢] ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فكما إنك لا تستطيع إسماع الموتى ولا تستطيع إسماع الصم، وقد ابتعدوا عنك ليتأكد عدم سماعهم، فكذلك لا تستطيع أن تهدى من أشبه هؤلاء بالإعراض وعدم الانتفاع. (1)

* * *

فإنك -أيها الرسول- ﷺ - لا تسمع من مات قلبه، أو سدَّ أذنه عن سماع الحق، فلا تجزع ولا تحزن على عدم إيمان هؤلاء المشركين بك، فإنهم كالصم والموتى لا يسمعون، ولا يشعرون ولو كانوا حاضرين، فكيف إذا كانوا غائبين عنك مدبرين؟. (2)

* * *

فلا تحزن من عنادهم وعدم استجابتهم لك، فأنت لا تستطيع أن تُسمع الموتى دعاءك، ولا أن تُسمع الصم نداءك، إذا زادوا على صممهم بأن فروا عنك معرضين. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{مُدْبِرِينَ}... لا يلوون على شيء.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّوم} الآية {52} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى} لَا تفقه الْموتى ممَّن كَأَنَّهُ ميت {وَلَا تُسْمِعُ الصم} المتصامم {الدعآء} دعوتك إِلَى الْحق وَالْهدى {إِذَا وَلَّوْاْ} أعرضوا {مُدْبِرِينَ} عَن الْحق وَالْهدى. (4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّوم} الآية {52} قَوْلُهُ تَعَالَى: وهؤلاء لا ينفع فيهم وعظ ولا زجر {فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ} وبالأولى {إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ} فإن الموانع قد توفرت فيهم عن الانقياد والسماع النافع كتوفر هذه الموانع المذكورة عن سماع الصوت الحسي. (5)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّوم} الآية {52} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ (6) إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ} أي: إنك إنك يا رسولنا لا تقدر على هداية هؤلاء الكافرين لأنهم صم لا يسمعون وعمي لا

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (410/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (410/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (609/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

(4) انظُر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (52) يِنسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(5) انظُر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (52)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(6) - قال الإمام (القرطبي): أي وضحت الحجج يا محمد لكنهم لإلفهم تقليد الأسلاف في الكفر ماتت قلوبهم وعميت بصائرهم فلا يتهيأ لك إسماعهم وهدايتهم وقرأ الجمهور تسمع بالتاء وقرأ ابن كثير يسمع ورفع الصم على أنه فاعل وقرأ الجمهور هادي وقرأ ابن كثير تهدي.

يبصرون لما ران على قلوبهم من الذنوب فعطل حواسهم وأنت بحكم بشريتك وقدرتك المحدودة لا تستطيع إسماع الموتى كلامك فيفقهوه ويعملوا به كما لا تستطيع إسماع الصم نداءك إذا هم ولّوا مدبرين إذ لو كانوا مقبلين عليك قد تفهمهم ولو بالإشارة أما إذا ولّوا مدبرين عنك فلا يمكن إسماعهم. إذاً فهون على نفسك ولا تحزن عليهم.(1)

* * *

قال: الإمام (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- حدثنا عثمان، حدثنا عبدة، عن هشام، عن أبيه، عن (ابن عمر) – رضي الله عنهما– قال: وقف النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – على قليب بدر فقال: ((هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟)) ثم قال: ((إنهم الآن يسمعون ما أقول)). فذكر لعائشة فقالت: إنما قال النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((إنهم الآن ليعلمون أن الذي كنتُ أقول لهم هو الحق)). ثم قرأت: {إنك لا تسمع الموتى} حتى قرأت الآية)).(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن)– عن (قتادة): قوله: {فإِنَّكَ لا تُسْمِعُ المَوْتَى} هذا مثل ضربه الله للكافر، فكما لا يسمع الميت الدعاء، كذلك لا يسمع الكافر.

{وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إِذا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ} يقول: لو أن أصم ولى مدبراً ثم ناديته لم يسمع، كذلك الكافر لا يسمع ولا ينتفع بما يسمع.(3)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {52-53} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (52) وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (53)}.

يَقُولُ تَعَالَى: كَمَا أَنَّكَ لَيْسَ فِي قُدْرَتِكَ أَنْ تُسْمِعَ الْأَمْوَاتَ فِي أَجْدَاثِهَا، وَلَا تُبْلِغَ كَلَامَكَ الصُّمَّ الَّذِينَ لَا يَسْمَعُونَ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ مُدْبِرُونَ عَنْكَ، كَذَلِكَ لَا تَقْدِرُ عَلَى هِدَايَةِ الْعُمْيَانِ عَنِ الْحَقِّ، وَرَدِّهِمْ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ، بَلْ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّهُ بِقُدْرَتِهِ يُسْمِعُ الْأَمْوَاتَ أَصْوَاتَ الْأَحْيَاءِ إِذَا شَاءَ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ سِوَاهُ" وَلِهَذَا قَالَ: {إِنْ تُسْمِعُ إِلا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ} أَيْ: خَاضِعُونَ مُسْتَجِيبُونَ مُطِيعُونَ، فَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْحَقَّ وَيَتْبَعُونَهُ، وَهَذَا حَالُ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْأَوَّلُ مَثَلُ الْكَافِرِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} {الْأَنْعَام: 36}.

---

(1) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (52) للشيخ: (جابربن أبوبكر الجزائري).

(2) (صحيح): أخرجه الإمام (البخاري) في (صحيحه) برقم (351) ح3980، 3981) – (كتاب: المغازي)، / باب: (قتل أبي جهل).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (117/20).

وَقَدِ اسْتَدَلَّتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، بِهَذِهِ الْآيَةِ: {إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى}، عَلَى تَوْهِيمِ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ) فِي رِوَايَتِهِ مُخَاطَبَةَ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْقَتْلَى الَّذِينَ أُلْقُوا فِي قَلِيبِ بَدْرٍ، بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَمُعَاتَبَتَهُ إِيَّاهُمْ وَتَقْرِيعَهُ لَهُمْ، حَتَّى قَالَ لَهُ (عُمَرُ): يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا تُخَاطِبُ مِنْ قَوْمٍ قَدْ جَيَّفُوا؟ فَقَالَ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، وَلَكِنْ لَا يُجِيبُونَ)).(1)

* * *

وَتَأَوَّلَتْهُ (عَائِشَةُ) عَلَى أَنَّهُ قَالَ: ((إِنَّهُمُ الْآنَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ مَا كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ حَقٌّ)) (2).

* * *

وَقَالَ (قَتَادَةُ): أَحْيَاهُمُ اللَّهُ لَهُ حَتَّى سَمِعُوا مَقَالَتَهُ تَقْرِيعًا وَتَوْبِيخًا وَنِقْمَةً.

* * *

{وَثَبَتَ عَنْهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أَنَّ الْمَيِّتَ يَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِ الْمُشَيِّعِينَ لَهُ، إِذَا انْصَرَفُوا عَنْهُ، وَقَدْ شَرَعَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِأُمَّتِهِ إِذَا سَلَّمُوا عَلَى أَهْلِ الْقُبُورِ أَنْ يُسَلِّمُوا عَلَيْهِمْ سَلَامَ مَنْ يُخَاطِبُونَهُ فَيَقُولُ الْمُسْلِمُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَهَذَا خِطَابٌ لِمَنْ يَسْمَعُ وَيَعْقِلُ، وَلَوْلَا هَذَا الْخِطَابُ لَكَانُوا بِمَنْزِلَةِ خِطَابِ الْمَعْدُومِ وَالْجَمَادِ، وَالسَّلَفُ مُجْمِعُونَ عَلَى هَذَا، وَقَدْ تَوَاتَرَتِ الْآثَارُ عَنْهُمْ بِأَنَّ الْمَيِّتَ يَعْرِفُ بِزِيَارَةِ الْحَيِّ لَهُ وَيَسْتَبْشِرُ،

* * *

فَرَوَى (ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا) فِي (كِتَابِ الْقُبُورِ): عَنْ (عَائِشَةَ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((مَا مِنْ رَجُلٍ يَزُورُ قَبْرَ أَخِيهِ وَيَجْلِسُ عِنْدَهُ، إِلَّا اسْتَأْنَسَ بِهِ وَرَدَّ عَلَيْهِ حَتَّى يَقُومَ)).

* * *

وَرُوِيَ عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ)- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: إِذَا مَرَّ رَجُلٌ بِقَبْرٍ يَعْرِفُهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ.

* * *

وَرَوَى (ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا) بِإِسْنَادِهِ عَنْ رَجُلٍ مِنْ آلِ عَاصِمٍ الْجَحْدَرِيِّ قَالَ: رَأَيْتُ عَاصِمًا الْجَحْدَرِيَّ فِي مَنَامِي بَعْدَ مَوْتِهِ بِسَنَتَيْنِ، فَقُلْتُ: أَلَيْسَ قَدْ مِتَّ؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَأَيْنَ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا -وَاللَّهِ -فِي رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أَنَا وَنَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِي نَجْتَمِعُ كُلَّ لَيْلَةِ جُمُعَةٍ وَصَبِيحَتَهَا إِلَى بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيِّ، فَنَتَلَقَّى أَخْبَارَكُمْ. قَالَ: قُلْتُ:

---

(1) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3980).-(كتاب: المغازي). وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (932).- (كتاب: الجنائز).

(2) قال الإمام (الزركشي)- رحمه الله- في (كتابه): "الإجابة لإيراد ما استدركته (عائشة) على الصحابة" ص (121): "أخرج (البخاري) عن ابن عمر قال: وقف النبي -صلى الله عليه وسلم- على قليب بدر فقال: "هل وجدتم ما وعد ربكم حقا" ثم قال: "إنهم الآن يسمعون ما أقول"، فذكر لعائشة فقالت: إنما قال النبي- صلى الله عليه وسلم-: "إنهم ليعلمون الآن أن ما كنت أقول لهم حق". قال السهيلي في الروض: "وعائشة لم تحضر، وغيرها ممن حضر أحفظ للفظه -صلى الله عليه وسلم-، وقد قالوا له: يا رسول الله، أتخاطب قوما قد جيفوا أو أجيفوا؟ فقال: "ما أنتم بأسمع لما أقول منهم"، وإذا جاز أن يكونوا في تلك الحال عالمين، جاز أن يكونوا سامعين، إما بآذان رؤوسهم، إذا قلنا: إن الروح تعاد إلى الجسد أو إلى بعضه عند المسألة. وهو قول جمهور أهل السنة، وإما بأذن القلب أو الروح على مذهب مَنْ يقول بتوجه السؤال إلى الروح من غير رجوع إلى الجسد أو إلى بعضه. قال: وقد روي أن عائشة احتجت بقوله تعالى: (وما أنت بمسمع من في القبور) وهذه الآية كقوله: (أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي) أي: إن الله هو الذي يهدي ويوفق ويدخل الموعظة إلى آذان القلوب لا أنت، وجعل الكفار أمواتًا وصمًا على جهة التشبيه بالأموات وبالصم، فالله هو الذي يسمعهم على الحقيقة إذا شاء، فلا تعلق لها في الآية لوجهين: أحدهما: أنها إنما نزلت في دعاء الكفار إلى الإيمان، الثاني: أنه إنما نفى عن نبيه أن يكون هو المسمع لهم، وصدق الله، فإنه لا يسمعهم إذا شاء إلا هو".

أَجْسَامُكُمْ أَمْ أَرْوَاحُكُمْ؟ قَالَ: هَيْهَاتَ! قَدْ بَلِيَتِ الْأَجْسَامُ، وَإِنَّمَا تَتَلَاقَى الْأَرْوَاحُ، قَالَ: قُلْتُ: فَهَلْ تَعْلَمُونَ بِزِيَارَتِنَا إِيَّاكُمْ؟ قَالَ: نَعْلَمُ بِهَا عَشِيَّةَ الْجُمُعَةِ وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ كُلَّهُ وَيَوْمَ السَّبْتِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ، قَالَ: قُلْتُ: فَكَيْفَ ذَلِكَ دُونَ الْأَيَّامِ كُلِّهَا؟ قَالَ: لِفَضْلِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَعَظَمَتِهِ.

* * *

وذَكَرَ (ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا) عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْحُوَارَى قَالَ: ثَنَا مُحَمَّدٌ أَخِي قَالَ: دَخَلَ عَبَّادُ بْنُ عَبَّادٍ عَلَى (إِبْرَاهِيمَ بْنِ صَالِحٍ) وَهُوَ عَلَى فِلَسْطِينَ فَقَالَ: عِظْنِي، قَالَ: بِمَ أَعِظُكَ، أَصْلَحَكَ اللَّهُ؟ بَلَغَنِي أَنَّ أَعْمَالَ الْأَحْيَاءِ تُعْرَضُ عَلَى أَقَارِبِهِمْ مِنَ الْمَوْتَى، فَانْظُرْ مَا يُعْرَضُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ عَمَلِكَ، فَبَكَى إِبْرَاهِيمُ حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ.

* * *

قَالَ: (ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا): وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، ثَنَا خَالِدُ بْنُ عَمْرٍو الْأُمَوِيُّ، ثَنَا (صَدَقَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْجَعْفَرِيُّ) قَالَ: كَانَتْ لِي شِرَّةٌ سَمِجَةٌ، فَمَاتَ أَبِي فَتُبْتُ وَنَدِمْتُ عَلَى مَا فَرَّطْتُ، ثُمَّ زَلَلْتُ أَيَّمَا زَلَّةٍ، فَرَأَيْتُ أَبِي فِي الْمَنَامِ، فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّ، مَا كَانَ أَشَدَّ فَرَحِي بِكَ وَأَعْمَالُكَ تُعْرَضُ عَلَيْنَا، فَنُشَبِّهُهَا بِأَعْمَالِ الصَّالِحِينَ، فَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْمَرَّةُ اسْتَحْيَيْتُ لِذَلِكَ حَيَاءً شَدِيدًا، فَلَا تُخْزِنِي فِيمَنْ حَوْلِي مِنَ الْأَمْوَاتِ، قَالَ: فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ فِي السَّحَرِ، وَكَانَ جَارًا لِي بِالْكُوفَةِ: أَسْأَلُكَ إِيَابَةً لَا رَجْعَةَ فِيهَا وَلَا حَوْرَ، يَا مُصْلِحَ الصَّالِحِينَ، وَيَا هَادِيَ الْمُضِلِّينَ، وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

وَهَذَا بَابٌ فِيهِ آثَارٌ كَثِيرَةٌ عَنِ الصَّحَابَةِ. وَكَانَ بَعْضُ الْأَنْصَارِ مِنْ أَقَارِبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَمَلٍ أَخْزَى بِهِ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ، كَانَ يَقُولُ ذَلِكَ بَعْدَ أَنِ اسْتُشْهِدَ عَبْدُ اللَّهِ.

وَقَدْ شُرِعَ السَّلَامُ عَلَى الْمَوْتَى، وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ لَمْ يَشْعُرْ وَلَا يَعْلَمُ بِالْمُسَلِّمِ مُحَالٌ،
وَقَدْ عَلَّمَ النَّبِيُّ - -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أُمَّتَهُ إِذَا رَأَوُا الْقُبُورَ أَنْ يَقُولُوا: ((سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، يَرْحَمُ اللَّهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَمِنْكُمْ وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، نَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ))،
فَهَذَا السَّلَامُ وَالْخِطَابُ وَالنِّدَاءُ لِمَوْجُودٍ يَسْمَعُ وَيُخَاطِبُ وَيَعْقِلُ وَيَرُدُّ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعِ الْمُسَلِّمُ الرَّدَّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. (1)

* * *

[٥٣] ﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وما أنت بموفق من ضل عن الطريق المستقيم إلى سلوك سبيل الرشاد، لا تُسْمِع سماعًا يُنْتَفع به إلا من يؤمن بآياتنا" لأنه هو الذي

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سورة (الروم) الآية (52-53).

ينتفع بما تقوله، فهم منقادون لأمرنا، خاضعون له.(1)

* * *

وما أنت -أيها الرسول- ﷺ- بمرشد مَن أعماه الله عن طريق الهدى، ما تُسمع سماع انتفاع إلا مَن يؤمن بآياتنا، فهم خاضعون ممتثلون لأمر الله.(2)

* * *

وهؤلاء كالعمى لإغلاقهم قلوبهم عن الاستجابة للهدى، وأنت لا تستطيع هداية من فقدوا البصر والبصيرة وتحول بينهم وبين كفرهم، وإنما تسمع سماع فهم وقبول من تهيأت قلوبهم لتلقى الإيمان. فهؤلاء ينقادون للحق متى ظهر.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{إِنْ تُسْمِعُ إِلاَ مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا}... أي لا تسمع مواعظ الله إلا المؤمنين الذين يصغون إلى آياتنا.

(أي: ما تسمع إلا المؤمنين بآيات الله).

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) -:{سُورَةُ الرُّومِ} الآية {53} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ} إِلَى الْهدى {إِنْ تُسْمِعُ} مَا تسمع دعوتك {إِلاَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا} بكتابنا ورسولنا {فَهُم مُّسْلِمُونَ} مخلصون لَهُ بِالْعبَادَة والتوحيد.(4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورة الرُّومِ} الآية {53} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ} لأنهم لا يقبلون الإبصار بسبب عماهم فليس منهم قابلية له.

{إِنْ تُسْمِعُ إِلا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ} فهؤلاء الذين ينفع فيهم إسماع الهدى المؤمنون بآياتنا بقلوبهم المنقادون لأوامرنا المسلمون لنا، لأن معهم الداعي القوي لقبول النصائح والمواعظ وهو استعدادهم للإيمان بكل آية من آيات الله واستعدادهم لتنفيذ ما يقدرون عليه من أوامر الله ونواهيه.(5)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {53} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنْ تُسْمِعُ إِلاَ مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ} أي: إنك ما تسمع سماع قبول وانقياد وإدراك إلاّ من يؤمن بآياتنا أي إلا المؤمنين الذين آمنوا بآيات الله وعرفوا حججه فآمنوا به ووحدوه فهم مسلمون أي منقادون خاضعون مطيعون فهؤلاء في إمكانك

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (410/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (410/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (609/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).
(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (53) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.
(5) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (53)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

إسماعهم وهدايتهم بإذن الله إلى ما يكملهم ويسعدهم في الدارين. (1)

* * *

[٥٤] ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

الله هو الذي خلقكم -أيها الناس- من ماء مَهين، ثم جعل من بعد ضعف طفولتكم قوة الرجولة، ثم جعل من بعد قوة الرجولة ضعف الشيخوخة والهرم، يخلق الله ما يشاء من ضعف وقوة، وهو العليم بكل شيء، لا يخفى عليه شيء، القدير الذي لا يعجزه شيء. (2)

* * *

الله تعالى هو الذي خلقكم من ماء ضعيف مهين، وهو النطفة، ثم جعل من بعد ضعف الطفولة قوة الرجولة، ثم جعل من بعد هذه القوة ضعف الكبر والهرم، يخلق الله ما يشاء من الضعف والقوة، وهو العليم بخلقه، القادر على كل شيء. (3)

* * *

الله الذى خلقكم من نطفة فنشأتم ضعافا، ثم جعل لكم من بعد هذا الضعف قوة بنموكم وبلوغكم حد الرشد، ثم جعل لكم من بعد هذه القوة ضعف الشيخوخة والشيب، يخلق ما يشاء وهو العليم بتدبير خلقه القدير على إيجاد ما يشاء. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{اللهُ الذي خلقكم من ضعف} .... أي: من نطفة وهي ماء مهين.

{مِّن ضَعْفٍ} ... مِنَ النُّطْفَة المَهِينَة.

(أي: من نطفة صغيرة، أو في حال ضعف، يعني حال الطفولة والصغر).

{ثم جعل من بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً} .... أي: من بعد ضعف الطفولة قوة الشباب.

{من بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً} ... بَعْدَ ضَعْفِ الطُّفُولَةِ قُوَّةَ الرُّجُولَةَ.

{ثم جعل من بعد قوة ضعفا} .... أي: من بعد قوة الشباب والكهولة ضعف الكبر والشيب

{قُوَّةً} ... يعني الشبيبة.

{ضَعْفاً} ... يعني الهرم.

{وَشَيْبَةً} ... أي: والهرم، (أي: شيبا، شَيْخُوخَةً، وَهَرَمًا).

{يَخْلُقُ ما يَشاءُ} .... يخلق ما يشاء من ضعف وقوّة وشباب وشيب.

{ما يَشاءُ} ... من قوة وضعف.

{وَهُوَ الْعَلِيمُ} ... بتدبيره. (أي: بتدبير خلقه).

{الْقَدِيرُ} ... على إرادته.

(1) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (53) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (410/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (410/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (610/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{القَدِيرُ} ... على ما يشاء، لا يمتنع عليه شيء أراده، فكما فعل هذه الأشياء، فكذلك يميت خلقه ويحييهم إذا شاء. يقول: واعلموا أن الذي فعل هذه الأفعال بقدرته يحيي الموتى إذا شاء.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {54} قَوْلُهُ تَعَالَى: {اللهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ} من نُطْفَة ضَعِيفَة {ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً} رجلا شَابًّا قَوِيا {ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً} هرماً {وَشَيْبَةً} شمطًا بعد شباب {يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ} يحول خلقه كَمَا يَشَاء من حَال إِلَى حَال {وَهُوَ العَلِيمُ} بخلقه {القَدِيرُ} عَلَيْهِم بتحويله. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {54} قَوْلُهُ تَعَالَى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ} قُرِئَ بِضَمِّ الضَّادِ وَفَتْحِهَا، فَالضَّمُّ لُغَةُ قُرَيْشٍ، وَالْفَتْحُ لُغَةُ تَمِيمٍ، وَمَعْنَى مِنْ ضَعْفٍ أَيْ: مِنْ نُطْفَةٍ يُرِيدُ مِنْ ذِي ضَعْفٍ أَيْ مِنْ مَاءٍ ذِي ضَعْفٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ} {الْمُرْسَلَاتِ: 20}.

{ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً} مِنْ بَعْدِ ضَعْفِ الطُّفُولِيَّةِ شَبَابًا وَهُوَ وَقْتُ الْقُوَّةِ، {ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ} من الضَّعْفِ وَالْقُوَّةِ وَالشَّبَابِ وَالشَّيْبَةِ، {وَهُوَ الْعَلِيمُ} بتدبير خلقه ، {الْقَدِيرُ} عَلَى مَا يَشَاءُ. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {54} قَوْلُهُ تَعَالَى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ}.

يخبر تعالى عن سعة علمه وعظيم اقتداره وكمال حكمته، ابتدأ خلق الآدميين من ضعف وهو الأطوار الأول من خلقه من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى أن صار حيوانا في الأرحام إلى أن ولد، وهو في سن الطفولية وهو إذ ذاك في غاية الضعف وعدم القوة والقدرة. ثم ما زال الله يزيد في قوته شيئا فشيئا حتى بلغ سن الشباب واستوت قوته وكملت قواه الظاهرة والباطنة، ثم انتقل من هذا الطور ورجع إلى الضعف والشيبة والهرم.

{يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ} بحسب حكمته. ومن حكمته أن يري العبد ضعفه وأن قوته محفوفة بضعفين وأنه ليس له من نفسه إلا النقص، ولولا تقوية الله له لما وصل إلى قوة وقدرة ولو استمرت قوته في الزيادة لطغى وبغى وعتا.

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (54) ينسب: لـ: (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (الرُّوم) الآية (54).

وليعلم العباد كمال قدرة الله التي لا تزال مستمرة يخلق بها الأشياء، ويدبر بها الأمور ولا يلحقها إعياء ولا ضعف ولا نقص بوجه من الوجوه.[1]

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {54} ما زال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء فقال تعالى: {اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ}[2] وحده {مِنْ ضَعْفٍ}[3] أي: من ماء مهين وهي النطفة ثم جعل من بعد ضعف أي: ضعف الطفولة {قُوَّةً} وهي قوة الشباب {ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ} أي: قوة الشباب والكهولة {ضَعْفاً} أي ضعف الكبر {وَشَيْبَةً}[4] أي: الهرم وقوله تعالى: {يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ} بخلقه {الْقَدِيرُ} على ما يشاء ويريده فهو تعالى قادر على إحياء الأموات وبعثهم، إذ القادر على إيجادهم من العدم قادر على بعثهم من الرّمم.[5]

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {54} قَوْلُهُ تَعَالَى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ}.

يُنَبِّهُ تَعَالَى عَلَى تَنَقُّلِ الْإِنْسَانِ فِي أَطْوَارِ الْخَلْقِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ، فَأَصْلُهُ مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ، ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ، ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ، ثُمَّ يَصِيرُ عِظَامًا ثُمَّ يُكْسَى لَحْمًا، وَيُنفخُ فِيهِ الرُّوحُ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ ضَعِيفًا نَحِيفًا وَاهِنَ الْقُوَى. ثُمَّ يَشِبُّ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى يَكُونَ صَغِيرًا، ثُمَّ حَدَثًا، ثُمَّ مُرَاهِقًا، ثُمَّ شَابًّا. وَهُوَ الْقُوَّةُ بَعْدَ الضَّعْفِ، ثُمَّ يَشْرَعُ فِي النَّقْصِ فَيَكْتَهِلُ، ثُمَّ يَشِيخُ ثُمَّ يَهْرَمُ، وَهُوَ الضَّعْفُ بَعْدَ الْقُوَّةِ. فَتَضْعُفُ الْهِمَّةُ وَالْحَرَكَةُ وَالْبَطْشُ، وَتَشِيبُ اللِّمَّةُ، وَتَتَغَيَّرُ الصِّفَاتُ الظَّاهِرَةُ وَالْبَاطِنَةُ"

وَلِهَذَا قَالَ: {ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ} أَيْ: يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَتَصَرَّفُ فِي عَبِيدِهِ بِمَا يُرِيدُ، {وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ}.

* * *

قَالَ الْإِمَامُ (أَحْمَدُ): حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ فُضَيْلٍ وَيَزِيدَ، حَدَّثَنَا فُضَيْلُ بْنُ مَرْزُوقٍ، عَنْ عَطِيَّةَ الْعَوْفِيِّ، قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى (ابْنِ عُمَرَ): {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا}، فَقَالَ: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا}، ثُمَّ قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ-

---

(1) انظُر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (54)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) - هذا الاستئناف كسابقه الاستدلال به على قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته وعظيم تدبيره في خلقه وهي موجبة التوحيد له والنبوة لرسوله والبعث لعباده ليحاسبهم ويجزيهم برحمته وعدله.

(3) - قرأ (نافع)، و(الجمهور) من ضعف بضم الضاد في الألفاظ الثلاثة في هذه الآية وهي لغة الحجاز، وقرأ (حفص): بالفتح وهي لغة تميم ومن ابتدائية أي ابتدأ خلقكم من ضعف وهي النطفة ولا أضعف منها.

(4)- الشيبة اسم مصدر الشيب وعطف الشيبة على الضعف إشارة إلى عدم وجود قوة بعدها وإنما يأتي الفناء كما قيل الشيب نذير الموت وهو كذلك.

(5) انظُر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (54) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَمَا قَرَأْتَ عَلَيَّ، فَأَخَذَ عَلَيَّ كَما أخذتُ عَلَيْكَ.(1)

ورواه (أَبُو دَاوُدَ)، وَ(التِّرْمِذِيُّ) -و(حَسَّنه)- مِنْ حَدِيث (فُضَيْل)، به.(2)

ورواه (أَبُو دَاوُدَ)- مِنْ حَدِيثِ- (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَابِرٍ)، عَنْ (عَطِيَّةَ)، عَنْ (أَبِي سَعِيدٍ)، بنحوه.(3) (4)

* * *

قال: الشيخ (محمد الأمين الشنقيطي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً}.

قد بين تعالى الضعف الأول الذي خلقهم منه في آيات من كتابه، وبين الضعف الأخير في آيات أخر،

قال في الأول: {ألم نخلقكم من ماء مهين}.

وقال: {خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين}.

وقال تعالى: {أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة} الآية.

وقال: {فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق}.

وقال: {كلا إنا خلقناهم مما يعلمون} إلى غير ذلك من الآيات.

وقال: في الضعف الثاني {ومنكم من يرد إلى أرذل العمر}.

وقال: {ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون}.(5)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن)- عن (قتادة): قوله:

{الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ} أي: من نطفة،

{ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا} الهرم، {وَشَيْبَةً} الشمط.(6)

ومعنى الشمط: الذي خالط شعره السواد والبياض.

* * *

[٥٥] ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ويوم تقوم القيامة يحلف المجرمون ما مكثوا في قبورهم إلا ساعة، كما صُرِفوا عن معرفة قدر ما لبثوا في قبورهم كانوا يصرفون في الدنيا عن الحق.(7)

* * *

---

(1) (حسن): أخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (58/2).

(2) (حسن): أخرجه الإِمَامُ (أبو داود) في (السنن) برقم (3978) – (كتاب: الحروف القراءات).

وأخرجه الإِمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (2936) – (كتاب: القراءات).

و(حَسَّنه) الإمام (الألباني) في (صحيح أبي داود).

(3) (حسن): أخرجه الإِمَامُ (أبو داود) في (السنن) برقم (3979) – (كتاب: الحروف القراءات).

و(حَسَّنه) الإمام (الألباني) في (صحيح أبي داود).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَامُ (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (54).

(5) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للإمام (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (الروم) الآية (54).

(6) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (118/20).

(7) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (410/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

ويوم تجيء القيامة ويبعث الله الخلق من قبورهم يقسم المشركون ما مكثوا في الدنيا غير فترة قصيرة من الزمن، كذبوا في قسمهم، كما كانوا يكذبون في الدنيا، وينكرون الحق الذي جاءت به الرسل. (1)

* * *

ويوم تقوم الساعة يحلف الكافرون أنهم ما لبثوا فى الدنيا أو فى قبورهم غير ساعة، ومثل ذلك التصرف كانت تصرفهم الشياطين فى الدنيا عن الحق إلى الباطل. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{غَيْرَ سَاعَةٍ} ... غَيْرَ فَتْرَةٍ قَصِيرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ.

{الْمُجْرِمُونَ} ... المشركون.

{كذلك كانوا يؤفكون} ..... أي: كما صرفوا عن معرفة الصدق في اللبث كانوا يصرفون في الدنيا عن الإيمان بالبعث والجزاء في الآخرة فانصرافهم عن الحق في الدنيا سبب لهم عدم معرفتهم لمدة لبثهم في قبورهم.

{يُؤْفَكُونَ} ... يكذبون فى الدنيا، يقال: أفك الرجل، على البناء للمجهول، إذا صرف عن الصدق والخير.

{يُؤْفَكُونَ} ... يُصْرَفُونَ عَنِ الحَقِّ.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {55} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ} وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ {يُقْسِمُ المجرمون} يحلف الْمُشْركُونَ بِاللَّهِ {مَا لَبِثُواْ} فِي الْقُبُور {غَيْرَ سَاعَةٍ} غير قدر سَاعَة {كَذَلِكَ} كَمَا كَانُوا يكذبُون فِي الْآخِرَة {كَانُواْ يُؤْفَكُونَ} يكذبُون في الدُّنْيَا. (3)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {55} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ} يحلف المشركون، {مَا لَبِثُوا} في الدنيا {غَيْرَ سَاعَةٍ} إِلَا سَاعَةً اسْتَقَلُّوا أَجَلَ الدُّنْيَا لَمَّا عَايَنُوا الْآخِرَةَ.

وَقَالَ: (مُقَاتِلٌ)، وَ(الْكَلْبِيُّ): مَا لَبِثُوا فِي قُبُورِهِمْ غَيْرَ سَاعَةٍ، كَمَا قَالَ: {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ} {الأحقاف: 35}.

{كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ} يُصْرَفُونَ عَنِ الْحَقِّ فِي الدُّنْيَا،

قَالَ: (الْكَلْبِيُّ)، وَ(مُقَاتِلٌ): كَذَبُوا فِي قَوْلِهِمْ غَيْرَ سَاعَةٍ كَمَا كَذَبُوا فِي الدُّنْيَا أَنْ لَا بَعْثَ، وَالْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يفضحهم فحلفوا على شيء يتبين لِأَهْلِ الْجَمْعِ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ فِيهِ، وَكَانَ ذَلِكَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَبِقَدَرِهِ بدليل قوله: {يُؤْفَكُونَ} أَيْ: يُصْرَفُونَ عَنِ الْحَقِّ، ثُمَّ ذَكَرَ إِنْكَارَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ كَذِبَهُمْ. (4)

* * *

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (410/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (610/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (55) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (55).

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {55} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ} .

يخبر تعالى عن يوم القيامة وسرعة مجيئه وأنه إذا قامت الساعة.

{يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ} بالله أنهم. {مَا لَبِثُوا} في الدنيا إلا {سَاعَةً} وذلك اعتذار منهم لعله ينفعهم العذر واستقصار لمدة الدنيا.

ولما كان قولهم كذبا لا حقيقة له قال تعالى: {كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ} أي: ما زالوا -وهم في الدنيا- يؤفكون عن الحقائق ويأتفكون الكذب، ففي الدنيا كذَّبوا الحق الذي جاءتهم به المرسلون، وفي الآخرة أنكروا الأمر المحسوس وهو اللبث الطويل في الدنيا، فهذا خلقهم القبيح والعبد يبعث على ما مات عليه. (1)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {55} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ} أي: القيامة {يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ} أي: يحلف المجرمون من أهل الشرك والمعاصي {مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ} (2) أي: لم يلبثوا في قبورهم إلا ساعة من زمن.

وقوله تعالى: {كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ} (3) أي: كما صرفوا عن معرفة الصدق في اللبث في القبر كانوا يصرفون في الدنيا عن الإيمان بالله تعالى ولقائه، والصارف لهم ظلمة نفوسهم بسبب الشرك والمعاصي. (4)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {55} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ} .

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ جَهْلِ الْكُفَّارِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَفِي الدُّنْيَا فَعَلُوا مَا فَعَلُوا مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَفِي الْآخِرَةِ يَكُونُ مِنْهُمْ جَهْلٌ عَظِيمٌ أَيْضًا، فَمِنْهُ إِقْسَامُهُمْ بِاللَّهِ أَنَّهُمْ مَا لَبِثُوا فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَاعَةً وَاحِدَةً، وَمَقْصُودُهُمْ هُمْ بِذَلِكَ عَدَمُ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يُنْظَرُوا حَتَّى يُعذَرَ إِلَيْهِمْ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ} . (5)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن)- عن (قتادة): {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ} أي: يكذبون في الدنيا،

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (55)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) - روي أن (أم حبيبة) زوج النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قالت اللهم أمتعني بزوجي رسول الله وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية فقال لها النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لقد سألت الله تعالى لآجال مضروبة وأرزاق مقسومة ولكن سليه أن يعيذك من عذاب جهنم وعذاب القبر في الصحيح.

(3) - يقال أفك الرجل إذا صرف عن الصدق والخير. وأرض مأفوكة ممنوعة من المطر.

(4) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (55) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (55).

وإنما يعني بقوله: {يُؤْفَكُونَ} عن الصدق، ويصدون عنه إلى الكذب.(1)

* * *

[٥٦] ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وقال: الذين أعطاهم الله العلم من الأنبياء والملائكة: لقد مكثتم فيما كتبه الله في سابق علمه من يوم خلقكم إلى يوم بعثكم الذي أنكرتموه، ولكنكم كنتم لا تعلمون أن البعث واقع، فكفرتم به.(2)

* * *

وقال الذين أوتوا العلم والإيمان بالله من الملائكة والأنبياء والمؤمنين: لقد مكثتم فيما كتب الله مما سبق في علمه من يوم خُلقتم إلى أن بُعثتم، فهذا يوم البعث، ولكنكم كنتم لا تعلمون، فأنكرتموه في الدنيا، وكذَّبتم به.(3)

* * *

وقال الذين آتاهم الله العلم من الأنبياء والملائكة والمؤمنين: لقد لبثتم في حكم الله وقضائه إلى يوم البعث. فهذا يوم البعث الذى أنكرتموه، ولكنكم كنتم في الدنيا لا تعلمون أنه حق، لجهالتكم وإعراضكم.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فِي كِتَابِ اللَّهِ} ... في علم الله وقضائه، أو فيما كتبه، أي: أوجبه بحكمته.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {56} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ} أكرِمُوا بِالْعلم وَالْإِيمَان {لَقَدْ لَبِثْتُمْ} فِي الْقُبُور {فِي كِتَابِ اللَّهِ} بِكِتَاب الله وهم الْمَلَائِكَة وَيُقَال وهم النَّبِيُّونَ وَيُقَال هم المخلصون فِي إِيمَانهم يَقُولُونَ للْكفَّار {إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ} إِلَى يَوْم يبعثون من الْقُبُور {فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ} يَوْم الْقِيَامَة {وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ} فِي الدُّنْيَا {لَا تَعْلَمُونَ} ذَلِك وَلَا تصدقون.(5)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {56} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ} أَيْ: فِيمَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ مِنَ اللُّبْثِ فِي الْقُبُورِ،

يَعْنِي:- فِي كِتَابِ اللَّهِ أَيْ فِي حُكْمِ اللَّهِ،

وَقَالَ: (قَتَادَةُ)، وَ(مُقَاتِلٌ): فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ تَقْدِيرُهُ: وَقَالَ الَّذِينَ فِي كِتَابِ اللَّهِ

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (119/20).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (410/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (410/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (610/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (56) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

وَالْإِيمَانِ لَقَدْ لَبِثْتُمْ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ يَعْنِي: الذين يعلمون كتاب الله،

وقرءوا قَوْلَهُ تَعَالَى: {وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} {الْمُؤْمِنُونَ: 100} أَيْ: قالوا للمتكبرين لَقَدْ لَبِثْتُمْ،

{إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ} وُقُوعَهُ فِي الدُّنْيَا فَلاَ يَنْفَعُكُمُ الْعِلْمُ بِهِ الْآنَ بِدَلِيلِ.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {56} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ} أي: مَنَّ الله عليهم بهما وصارا وصفا لهم العلم بالحق والإيمان المستلزم إيثار الحق، وإذا كانوا عالمين بالحق مؤثرين له لزم أن يكون قولهم مطابقا للواقع مناسبا لأحوالهم. فلهذا قالوا الحق: {لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ} أي: في قضائه وقدره، الذي كتبه الله عليكم وفي حكمه {إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ} أي: عمرتم عُمْرًا يتذكر فيه المتذكر ويتدبر فيه المتدبر ويعتبر فيه المعتبر حتى صار البعث ووصلتم إلى هذه الحال.

{فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ} فلذلك أنكرتموه في الدنيا وأنكرتم إقامتكم في الدنيا وقتا تتمكنون فيه من الإنابة والتوبة، فلم يزل الجهل شعاركم وآثاره من التكذيب والخسار دثاركم.(2)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {56} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْأِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللهِ} أي: في كتاب المقادير.

{إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ} وهو يوم القيامة.

{فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ} لعدم إيمانكم بالله وبآياته والكتاب الذي أنزله.(3)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {56} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ} أَيْ: فَيَرُدُّ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ الْعُلَمَاءُ فِي الْآخِرَةِ، كَمَا أَقَامُوا عَلَيْهِمْ حُجَّةَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا، فَيَقُولُونَ لَهُمْ حِينَ يَحْلِفُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ: {لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ} أَيْ: فِي كِتَابِ الْأَعْمَالِ، {إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ} أَيْ: مِنْ يَوْمِ خُلِقْتُمْ إِلَى أَنْ بُعِثْتُمْ، {وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ}.(4)

* * *

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامُ (البغوي) سُورَةُ (الرُّوم) الآية (56).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (56)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (56) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامُ (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّومِ) الآية (56).

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-
(بسنده الحسن)- عن (قتادة)، قوله: {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ} قال: هذا من مقاديم الكلام. وتأويلها: وقال الذين أوتوا الإيمان والعلم: لقد لبثتم في كتاب الله.(1)

* * *

قال: الشيخ (محمد الأمين الشنقيطي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- ذكر جلا وعلا في هذه الآية الكريمة أن الكفار إذا بعثوا يوم القيامة، وأقسموا أنهم ما لبثوا غير ساعة يقول لهم الذين أوتوا العلم والإيمان، ويدخل فيهم الملائكة، والرسل، والأنبياء، والصالحون: والله لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث، فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون. وهذا المعنى الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة جاء موضحا في سورة يس على أصح التفسيرين، وذلك في قوله تعالى: {قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا}.(2)

* * *

[٥٧] ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فيوم يبعث الله الخلائق للحساب والجزاء ينفع الظالمين ما يختلقونه من أعذار، ولا يطلب منهم إرضاء الله بالتوبة والإنابة إليه" لفوات وقت ذلك.(3)

* * *

فيوم القيامة لا ينفع الظالمين ما يقدمونه من أعذار، ولا يُطلب منهم إرضاء الله تعالى بالتوبة والطاعة، بل يُعاقبون بسيئاتهم ومعاصيهم.(4)

* * *

فيومئذ يبعث الناس لا ينفع الذين كفروا اعتذارهم عن إنكارهم وتكذيبهم لرسلهم، ولا يطلب منهم أحد أن يفعلوا ما يرضى الله لهوانهم عنده وطردهم من رحمته.(5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم} ..... أي: في إنكارهم للبعث والجزاء.

{مَعْذِرَتُهُمْ} ... مَا يُقَدِّمُونَهُ مِنْ أَعْذَارٍ.

{وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ} ... لاَ يُطْلَبُ مِنْهُمْ إِرْضَاءُ اللهِ بِالطَّاعَةِ وَالتَّوْبَةِ،

(أي: لا يُطْلَبُ مِنْهُمُ الْعُتْبَى وَهِيَ الرِّضَا).

(أي: لا يطلب منهم العتبى أي الرجوع إلى ما يرضي الله تعالى بالإيمان والعمل الصالح).

{يُسْتَعْتَبُونَ} ... يسترضون.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري)، (119/20).

(2) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للإمام (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (الروم) الآية (56).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (410/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (410/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (610/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

الـرُّوم} الآيـة {57} قَوْلُـهُ تَعـالَى: {فيَوْمَئِـذٍ} وهُـو يَـوم الْقيَامَـة {لاَّ ينفَـعُ الَّـذين ظَلَمُـواْ} أشـركوا {مَعْـذِرَتُهُمْ} اعتـذارهم مـن ذنْـب {وَلاَ هُـمْ يُسْـتَعْتَبُونَ} وَلاَ هـم يرجعُـونَ عَـن سَيِّئَة وَلاَ هم يردون إِلَى الدُّنْيَا.(1)

* * *

قال: الإمَـامُ (البغـوي) – (مُحيـي السُّـنَّة) – (رحمـه الله) – في (تفسـيره):- {سُـورَة الـرُّوم} الآيـة {57} قَوْلُـهُ تَعـالَى: {فيَوْمَئِـذٍ لا يَنْفَـعُ الَّـذِينَ ظَلَمُـوا مَعْـذِرَتُهُمْ} يَعْنِـي: عُـذْرَهُمْ {وَلاَ هُـمْ يُسْـتَعْتَبُونَ} لاَ يُطْلَـبُ مِـنْهُمُ الْعُتْبَـى وَالرُّجُوعُ إلى الدنيا.(2)

* * *

قال: الإمـام (عبـد الـرحمن بـن ناصـر السـعدي) – (رحمـه الله) – في (تفسـيره):- {سُـورَة الـرُّوم} الآيـة {57} قَوْلُـهُ تَعـالَى: {فيَوْمَئِـذٍ لا يَنْفَـعُ الَّـذِينَ ظَلَمُـوا مَعْـذِرَتُهُمْ} فـإن كـذبوا وزعمـوا أنهـم مـا قامـت علـيهم الحجـة أو مـا تمكنـوا مـن الإيمـان ظهـر كـذبهم بشـهادة أهـل العلـم والإيمـان، وشـهادة جلـودهم وأيـديهم وأرجلـهم، وإن طلبـوا الإعـذار وأنهـم يـردون ولا يعـودون لمـا نُهـوا عنـه لم يُمكَّنُـوا فإنـه فـات وقت الإعذار فلا تقبل معذرتهم،

{وَلا هُـمْ يُسْـتَعْتَبُونَ} أي: يـزال عتـبهم والعتاب عنهم.(3)

* * *

قال: الشـيخ (أبـو بكـر الجزائـري) – (رحمـه الله) – في (تفسـيره):- {سُـورَة الـرُّوم} الآيـة {57} قَوْلُـهُ تَعـالَى: {فيَوْمَئِـذٍ} أي: يـوم إذ يـأتي يـوم البعـث. {لا يَنْفَـعُ الَّـذِينَ ظَلَمُـوا مَعْـذِرَتُهُمْ} أي: عـن شـركهم وكفـرهم بلقـاء ربهـم، {وَلا هُـمْ يُسْـتَعْتَبُونَ} أي: لا يطلـب مـنهم العتبـى أي الرجـوع إلى مـا يرضـي الله تعـالى مـن الإيمـان والعمل الصالح وترك الشرك والمعاصي.

بعـد إيـراد العديـد مـن الأدلـة وسـوق الكـثير مـن الحجـج وعـرض مشـاهد القيامـة في الآيـات السـابقة تقريـراً لعقيـدة البعـث والجـزاء الـتي أنكرها المشركون من قريش.(4)

* * *

قـال: الإمَـامُ (إبـن كـثير) – (رحمـه الله) – في (تفسـيره):- {سُـورَة الـرُّوم} الآيـة {57} قـالَ اللَّـهُ تَعـالَى: {فيَوْمَئِـذٍ} أَيْ: يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ، {لا يَنْفَـعُ الَّـذِينَ ظَلَمُـوا مَعْـذِرَتُهُمْ} أَيْ: لاَ يَـنْفَعُهُمُ اعْتِـذَارُهُمْ عَمَّـا فَعَلُـوا، {وَلا هُـمْ يُسْـتَعْتَبُونَ} أَيْ: وَلاَ هُـمْ يَرْجِعُـونَ إِلَـى الـدُّنْيَا، كَمَـا قَـالَ تَعـالَى: {وَإِنْ يَسْـتَعْتِبُوا فَمَـا هُـمْ مِـنَ الْمُعْتَبِينَ} {فُصِّلَتْ: 24}.(5)

* * *

[٥٨] ﴿ وَلَقَـدْ ضَـرَبْنَا لِلنَّـاسِ فِـي هَـذَا الْقُـرْآنِ مِـنْ كُـلِّ مَثَـلٍ وَلَـئِنْ جِئْـتَهُمْ بِآيَـةٍ لَيَقُـولَنَّ الَّـذِينَ كَفَـرُوا إِنْ أَنْـتُمْ إِلاَّ مُبْطِلُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

---

(1) انظـر: (تنـوير المقبـاس مـن تفسـير ابـن عبـاس) في سُـورَة (الـرُّوم) الآيـة (57) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(2) انظـر: (مختصـر تفسـير البغـوي = المسـمى بمعـالم التنزيـل) للإِمَـامْ (البغوي) سُورَة (الرُّوم) الآية (57).

(3) انظـر: (تيسـير الكـريم الـرَّحمن في تفسـير كـلام المنـان) في سُـورَة (الـرُّوم) الآية (57)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظـر: (أيسـر التفاسـير لكـلام العلـي الكـبير) في سُـورَة (الـرُّوم) الآيـة (57) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(5) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) للإِمَـامْ (ابـن كـثير) في سُـورَة (الـرُّوم) الآية (57).

ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن - عناية بهم - من كل مثل" ليتضح لهم الحق من الباطل، ولئن جئتهم -أيها الرسول ﷺ- بحجة على صدقك ليقولنّ الذين كفروا بالله: ما أنتم إلا مبطلون فيما جئتم به. (1)

* * *

ولقد بينَّا للناس في هذا القرآن مِن كل مثل من أجل إقامة الحجة عليهم وإثبات وحدانية الله جل وعلا، ولئن جئتهم -أيها الرسول- بأي حجة تدل على صدقك ليقولَنَّ الذين كفروا بك: ما أنتم -أيها الرسول وأتباعك- إلا مبطلون فيما تجيئوننا به من الأمور. (2)

* * *

ولقد بيَّنا لهداية الناس فى هذا القرآن كل مثل يرشدهم إلى طريق الهدى، ولئن أتيتهم بآية معجزة ليقولن الذين كفروا - من فرط عنادهم وقسوة قلوبهم -: ما أنت وأتباعك إلا مبطلون فى دعواكم. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ}... ولقد بيّنا لهم في القرآن من كل صفة، كأنَّها في غرابتها مَثَلٌ، وَضَرْبُ المثل: ذكره وبيانه.

{ولقد ضربنا للناس}..... أي: جعلنا للناس.

{من كل مثل}.... أي: من كل صفة مستغربة تلفت الانتباه وتحرك الضمير كالأمثال لعلهم يذكرون فيؤمنوا ويوحدوا.

{مِنْ كُلِّ مَثَلٍ}... يدلهم على ما يحتاجون اليه وينبههم على التوحيد وصدق الرسل.

{ولئن جئتهم بآية}.... أي: ولئن أتيت هؤلاء المشركين بكل حجة خارقة.

{بِآيَةٍ}... بمعجزة.

{إِنْ أَنْتُمْ}... يا معشر المؤمنين.

{مُبْطِلُونَ}... أي تتبعون الباطل والسحر.

(أي: أصحاب أباطيل وَمُزَوِّرون).

{إن أنتم إلا مبطلون}.... أي: ما أنتم أيها الرسول والمؤمنون إلا مبطلون فيما تقولون وتدعون إليه من الإيمان بآيات الله ولقائه.

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {58} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا} بيّنا {لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ} من كل وجه {وَلَئِن جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ} من السَّمَاء كَمَا طلبُوا {لَّيَقُولَنَّ الَّذين كفرُوا} كفار مَكَّة {إِنْ أَنتُمْ} مَا أَنْتُم يَا معشر الْمُؤمنِينَ {إِلاَّ مُبْطِلُونَ} كاذبون. (4)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {58} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (410/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (410/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (610/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (58) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ مُبْطِلُونَ} مَا أَنْتُمْ إِلاَّ عَلَى بَاطِلٍ. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {58} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا} لأجل عنايتنا ورحمتنا ولطفنا وحسن تعليمنا {لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ} تتضح به الحقائق وتعرف به الأمور وتنقطع به الحجة. وهذا عام في الأمثال التي يضربها الله في تقريب الأمور المعقولة بالمحسوسة. وفي الإخبار بما سيكون وجلاء حقيقته حتى كأنه وقع.

ومنه في هذا الموضع ذكر الله تعالى ما يكون يوم القيامة وحالة المجرمين فيه وشدة أسفهم وأنه لا يقبل منهم عذر ولا عتاب.

ولكن أبى الظالمون الكافرون إلا معاندة الحق الواضح ولهذا قال: {وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ} أي: أي آية تدل على صحة ما جئت به.

{لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلا مُبْطِلُونَ} أي: قالوا للحق: إنه باطل. وهذا من كفرهم وجراءتهم وطَبْعِ الله على قلوبهم وجهلهم المفرط. (2)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {58} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ} (3) أي جعلنا للناس في هذا القرآن من أساليب الكلام وضروب التشبيه، وعرض الأحداث بصورة مثيرة للدهشة موقظة للحس، ومنبهة للضمير، كل ذلك لعلهم يذكرون فيؤمنوا فيهتدوا للحق فينجوا ويسعدوا، ولكن أكثرهم لم ينتفعوا بذلك،

{وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ} (4) أي: بحجة من معجزة وغيرها تدل على صدقك وصحة دعوتك وما جئت به. {لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا} أي: منهم (5).

{إِنْ أَنْتُمْ} أي: ما أنتم أيها الرسول والمؤمنون {إِلا مُبْطِلُونَ} أي من أهل الباطل فيما تقولون وتدعون إليه من الدين الحق والبعث الآخر. (6)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {58} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ} أَيْ: قَدْ بَيَّنَّا لَهُمُ الْحَقَّ، وَوَضَّحْنَاهُ لَهُمْ، وَضَرَبْنَا لَهُمْ فِيهِ الْأَمْثَالَ لِيَتَبَيَّنُوا الْحَقَّ وَيَتَّبِعُوهُ.

{وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلا مُبْطِلُونَ} أَيْ: لَوْ رَأَوْا أَيَّ آيَةٍ كَانَتْ، سَوَاءً كَانَتْ بِاقْتِرَاحِهِمْ أَوْ غَيْرِهِ، لَا يُؤْمِنُونَ

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (الرُّوم) الآية (58).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (58)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) - قال: الإمام (القرطبي): أي: من كل مثل يدلهم على ما يحتاجون إليه وينبههم على التوحيد وصدق الرسل.

(4) – أي: كآيات موسى من فلق البحر والعصا أو آيات عيسى كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص.

(5) - أي من الناس لقوله ولقد ضربنا للناس وهو لفظ عام يشمل الكافر والمؤمن.

(6) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (58) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

بِهَا، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّهَا سِحْرٌ وَبَاطِلٌ، كَمَا قَالُوا فِي انْشِقَاقِ الْقَمَرِ وَنَحْوِهِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ. وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ} {يُونُس: 96، 97}.(1)

* * *

[٥٩] ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

مثل هذا الختم على قلوب هؤلاء الذين إذا جئتهم بآية لا يؤمنون بها، يختم الله على قلوب كل الذين لا يعلمون أن ما جئتهم به حق.(2)

* * *

ومثل ذلك الختم يختم الله على قلوب الذين لا يعلمون حقيقة ما تأتيهم به -أيها الرسول- ﷺ - من عند الله من هذه العبر والآيات البينات.(3)

* * *

ومثل ذلك يكون الطبع على قلوب هؤلاء الذين لا يعلمون التوحيد من الجاهلين.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{كَذَلِكَ} ... أي: كما طبع الله على قلوبهم حتى لا يفهموا الآيات عن الله فكذلك يطبع.

{يَطْبَعُ} ... يَخْتِمُ.

{الَّذِينَ لا يعلمون} .... أي: ما أنزل الله على رسوله وما أوحاه إليه من الآيات البينات.

{لا يَعْلَمُونَ} ... أدلة التوحيد.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {59} قَوْلُهُ تَعَالَى: {كَذَلِكَ} هَكَذَا {يطبع الله} يختم الله {على قُلُوبِ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ} تَوْحِيدَ الله وَلاَ يصدقون به.(5)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {59} قَوْلُهُ تَعَالَى: {كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} تَوْحِيدَ اللَّهِ.(6)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {59} قَوْلُهُ تَعَالَى: {كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ} فلا يدخلها خير ولا تدرك الأشياء على حقيقتها بل ترى الحق باطلا والباطل حقا.(7)

* * *

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (58).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (410/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (410/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (610/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (59) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(6) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (الرُّوم) الآية (59).

(7) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (59)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّوم} الآية {59} قَوْلُهُ تَعَالَى: {كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ} أي: كذلك الطبع على قلوب الكافرين الذين لو جئتهم بكل آية لم يؤمنوا عليها لما ران على قلوبهم وما ختم به عليها، يطبع الله على قلوب الذين يعلمون (1)، إذ ظلمة الجهل كظلمة الشرك والكفر تحجب القلوب عن الفهم والإدراك فلا يحصل إيمان ولا استجابة لدعوة الحق. (2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّوم} الآية {59-60} قَوْلُهُ تَعَالَى: {كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ* فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} أَيْ: اصْبِرْ عَلَى مُخَالَفَتِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُنْجِزٌ لَكَ مَا وَعَدَكَ مِنْ نَصْرِهِ إِيَّاكَ، وَجَعْلِهِ الْعَاقِبَةَ لَكَ وَلِمَنِ اتَّبَعَكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،

{وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لاَ يُوقِنُونَ} أَيْ: بَلِ اثْبُتْ عَلَى مَا بَعَثَكَ اللَّهُ بِهِ، فَإِنَّهُ الْحَقُّ الَّذِي لاَ مِرْيَةَ فِيهِ، وَلاَ تَعْدِلْ عَنْهُ وَلَيْسَ فِيمَا سِوَاهُ هُدًى يُتَّبَعُ، بَلِ الْحَقُّ كُلُّهُ مُنْحَصِرٌ فِيهِ.

* * *

قَالَ: (سَعِيدٌ) عَنْ (قَتَادَةَ): نَادَى رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ (عَلِيًّا)- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ –صَلَاةِ الْغَدَاةِ- فَقَالَ: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} {الزُّمَر: 65}. (3)

* * *

قوله تعالى: {كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ}.

انظر: سورة (البقرة) – آية (7) لبيان الطبع على قلوبهم. - كما قال تعالى: {خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}.

* * *

كما قال: الإمام (مُسْلِمْ) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بِسَنَدِه):- عن (حذيفة)، قال: كنا عند عمر. فقال: أيكم سمع رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يذكر الفتن؟ فقال قوم: نحن سمعناه، فقال: لعلكم تعنون فتنة الرجل في أهله وجاره؟ قالوا: أجل. قال: تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة. ولكن أيكم سمع النبي- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -يذكر الفتن التي تموج موج البحر؟ قال (حذيفة): فأسكت القوم، فقلت: أنا، قال: أنت، لله أبوك!، قال (حذيفة): سمعت رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: ((تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا؟ فأي

---

(1) - في هذه الآية إنذار خطير للجهال وتنديد بالجهل، إذ أهله لا يفهمون عن الله ولا يهتدون إلى سبل الخير وطريق السعادة والكمال ولذا أوجب الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طلب العلم على كل مسلم في قوله "طلب العلم فريضة على كل مسلم" وما أصاب المسلمين ما أصابهم من خوف وهون ودون إلا نتيجة لجهلهم بربهم ومحابه ومكارهه وضروب عباداته وكيفيات أدائها لتزكوا بها نفوسهم وتطهر أرواحهم وقلوبهم.

(2) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (59) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (59-60).

قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكته بيضاء، حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة مادامت السماوات والأرض، والآخر أسود مربادا، كالكوز مُجَخِّيا، لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا، إلا ما أشرب من هواه)).

قال (حذيفة): وحدثته، أن بينك وبينها بابا مغلقا يوشك أن يكسر.

قال (عمر): أكسراً، لا أبالك! فلو أنه فتح لعله كان يعاد.

قلت: لا. بل يكسر. وحدثته، أن ذلك الباب رجل يقتل أو يموت. حديثا ليس بالأغاليط.

قال (أبو خالد): فقلت لسعد: يا أبا مالك!، ما أسود مربادا؟،

قال: شدة البياض في سواد.

قال، قلت: فما الكوز مجخيا؟ قال: منكوسا.(1)

* * *

وقال: الإمام (أحمد بن حنبل) - (رحمه الله) - في (المسند):- حدثنا صفوان بن عيسى، أخبرنا محمد بن عجلان، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح، عن (أبي هريرة) قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، وإن زاد زادت، حتى يعلو قلبه ذاك الرين الذي ذكر الله عز وجل في القرآن: (كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)).(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- فأخبر -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلقتها، وإذا أغلقتها أتاها حينئذ الختم من قبل الله عز وجل والطبع، فلا يكون للإيمان إليها مسلك، ولا للكفر منها مخلص، فذلك هو الطبع. والختم الذي ذكره الله تبارك وتعالى في قوله: {خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ}، نظير الطبع والختم على ما تدركه الأبصار من الأوعية والظروف، التي لا يوصل إلى ما فيها إلا بفض ذلك عنها ثم حلها، فكذلك لا يصل الإيمان إلى قلوب من وصف الله أنه ختم على قلوبهم، إلا بعد فضه خاتمه وحله رباطه عنها.(3)

* * *

---

(1) (صحيح): أخرجه الإمام (مسلم) في (صحيحه) برقم (231) – (كتاب: الإيمان)، / باب: (بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا)،
وذكره الإمام (ابن كثير) في (التفسير مختصرا) برقم (89/1).
قوله مربادا: والمربد المولّع بسواد وبياض (ترتيب القاموس المحيط) (286/2). قوله: كالكوز مُجَخِّيا: مائلا (ترتيب القاموس المحيط) (453/1)).

(2) أخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (7941)،
وأخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (4244) – (كتاب: التفسير) – (سورة المطففين) برقم (3334)،
وأخرجه الإمام (ابن ماجة) في (السنن) – (كتاب: الزهد)، / باب: (ذكر الذنوب)، = من طريق= (محمد بن عجلان) به،
وقال: الإمام (الترمذي): (حسن صحيح)، وأخرجه الإمام (الطبري)،
وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (517/2) –من طريق –(صفوان بن عيسى) به،
و(صححه) الإمام (الحاكم) وسكت عنه الإمام (الذهبي).
و(صححه) الإمام (الألباني) (صحيح ابن ماجه) برقم (417/2)،
والشيخ (أحمد شاكر) للإمام (أحمد) في (المسند) رقم (7941).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (البقرة) الآية (7).

وأخرج – الإمام (الطبري) –، و الإمام (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – (بإسنادهما):- عن (محمد بن إسحاق) – (بسنده الحسن)- عن (ابن عباس) (خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ) أي عن الهدى أن يصيبوه أبدا بغير ما كذبوك به من الحق الذي جاءك من ربك، حتى يؤمنوا به، وإن آمنوا بكل ما كان قبلك. (1)(2) (3)

* * *

وأخرج الإمام (ابن أبي حاتم) – (رحمه الله) – (تفسيره):- (بالإسناد الصحيح) – من طريق (شيبان) عن (قتادة) قال: استحوذ عليهم الشيطان إذا أطاعوه فختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة فهم لا يبصرون هدى ولا يسمعون ولا يفقهون ولا يعقلون. (4)

* * *

[٦٠] ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فاصبر -أيها الرسول- ﷺ - على تكذيب قومك لك، إن وعد الله لك بالنصر والتمكين ثابت لا مرية فيه، ولا يدفعك الذين لا يوقنون بأنهم مبعوثون، إلى الاستعجال وترك الصبر. (5)

* * *

فاصبر -أيها الرسول - ﷺ - على ما ينالك من أذى قومك وتكذيبهم لك، إن ما وعدك الله به من نصر وتمكين وثواب حق لا شك فيه، ولا يستفزَّنَّك عن دينك الذين لا يوقنون بالميعاد، ولا يصدِّقون بالبعث والجزاء. (6)

* * *

فاصبر - أيها النبي - ﷺ - على أذاهم، إن وعد الله بنصرك على أعدائك وإظهار الإسلام على كل دين حق لا يتخلف أبداً، ولا يحملنك على القلق وعدم الصبر الذين لا يؤمنون بالله ورسوله. (7)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فاصبر إن وعد الله حق} ..... أي: اصبر يا رسولنا على أذاهم فإن العاقبة لك إذ وعدك ربك بها ووعد الله حق.

{وَلاَ يَسْتَخِفَّنَّكَ} ... لاَ يَسْتَفِزَّنَّكَ عن دينك. وَلاَ يَحْمِلَنَّكَ عَلَى الخفَّة، وَالطَّيْش.

{وَلاَ يَسْتَخِفَّنَّكَ} ... ولا يحملنَّك على الخِفَّة والقلق.

{وَلاَ يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لاَ يُوقِنُونَ} ..... أي: لا يحملنك هؤلاء المشركون المكذبون بلقاء

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (البقرة) الآية (7).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (البقرة) الآية (7).

(3) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (1/104-105)، للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين).

(4) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (1/104-105).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/410). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(6) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/410)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(7) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/610)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

الله على الخفة والطيش فتترك دعوتك إلى ربك.

{الَّذِينَ لاَ يُوقِنُونَ} ... لا يصدِّقون بالبعث، ولا يؤمنون بالله ورسوله إيمانًا حقًّا.

{لا يُوقِنُونَ} ... لا يؤمنون بالله ورسوله.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {60} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{فاصبر} يَا مُحَمَّد - ﷺ - . {إِنَّ وَعْدَ الله} بالنصرة والدولة لَك وبهلاكهم {حَقٌّ} كَائِن صدق {وَلاَ يستخفنك} لاَ يستنزلنك عَن الْإِيمَان يَوْم الْقِيَامَة {الَّذين لاَ يُوقنُونَ} لاَ يصدقون وهم أهل مَكَّة.(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {60} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} فِي نُصْرَتِكَ وَإِظْهَارِكَ عَلَى عَدُوِّكَ.

{وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ} لَا يَسْتَجْهِلَنَّكَ مَعْنَاهُ لَا يَحْمِلَنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ عَلَى الْجَهْلِ وَاتِّبَاعِهِمْ فِي الْغَيِّ،

يعني:- لَا يَسْتَخِفَّنَّ رَأْيَكَ وَحِلْمَكَ،

{الَّذِينَ لاَ يُوقِنُونَ} بالبعث والحساب.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {60} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{فَاصْبِرْ} على ما أمرت به وعلى دعوتهم إلى الله، ولو رأيت منهم إعراضا فلا يصدنك ذلك.

{إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} أي: لا شك فيه وهذا مما يعين على الصبر فإن العبد إذا علم أن عمله غير ضائع بل سيجده كاملا هان عليه ما يلقاه من المكاره ويسر عليه كل عسير واستقل من عمله كل كثير.

{وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ} أي: قد ضعف إيمانهم وقل يقينهم فخفت لذلك أحلامهم وقل صبرهم، فإياك أن يستخفك هؤلاء فإنك إن لم تجعلهم منك على بال و تحذر منهم وإلا استخفوك وحملوك على عدم الثبات على الأوامر والنواهي، والنفس تساعدهم على هذا وتطلب التشبه والموافقة وهذا مما يدل على أن كل مؤمن موقن رزين العقل يسهل عليه الصبر، وكل ضعيف اليقين ضعيف العقل خفيفه.(3)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {60} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ} يأمر تعالى رسوله أن يلتزم بالصبر على دعوته والثبات عليها في وجه هذا الكفر العنيد، حتى ينصره الله تعالى إذ واعده بالنصر في

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (60) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (الرُّوم) الآية (60).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (60)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

غير ما آية ووعد الله حق فهو ناجز لا يتخلف.

وقوله: {وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ (1) الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ (2)} أي: اصبر ولا يحملنك عناد المشركين وإصرارهم على الكفر والتكذيب على الخفة والطيش والاستجهال بترك الحلم والصبر. والمراد بالذين لا يوقنون كل من لا يؤمن بالله ولقائه إيمانًا يقينيا إذ هذا الصنف من الناس هو الذي يستفز الإنسان ويحمله على أن يخرج عن اللياقة والأدب والعياذ بالله. (3)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {60} قوله تعالى: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ}.

يقول تعالى ذكره: فاصبر يا محمد لما ينالك من أذاهم، وبلِّغهم رسالة ربك، فإن وعد الله الذي وعدك من النصر عليهم، والظفر بهم، وتمكينك وتمكين أصحابك وتبَّاعك في الأرض حق.

{وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ} يقول: ولا يستخفنّ حلمك ورأيك هؤلاء المشركون بالله الذين لا يوقنون بالمعاد ولا يصدّقون بالبعث بعد الممات، فيثبطوك عن أمر الله والنفوذ لما كلَّفك من تبليغهم رسالته. (4)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {60} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} أَيِ: اصْبِرْ عَلَى مُخَالَفَتِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُنْجِزٌ لَكَ مَا وَعَدَكَ مِنْ نَصْرِهِ إِيَّاكَ، وَجَعْلِهِ الْعَاقِبَةَ لَكَ وَلِمَنِ اتَّبَعَكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،

{وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ} أَيْ: بَلِ اثْبُتْ عَلَى مَا بَعَثَكَ اللَّهُ بِهِ، فَإِنَّهُ الْحَقُّ الَّذِي لَا مِرْيَةَ فِيهِ، وَلَا تَعْدِلْ عَنْهُ وَلَيْسَ فِيمَا سِوَاهُ هُدًى يُتَّبَعُ، بَلِ الْحَقُّ كُلُّهُ مُنْحَصِرٌ فِيهِ.

قَالَ: (سَعِيدٌ) عَنْ (قَتَادَةَ): نَادَى رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ (عَلِيًّا) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ –صَلَاةِ الْغَدَاةِ- فَقَالَ: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} {الزُّمَر: 65}.

فَأَنْصَتَ لَهُ (عَلِيٌّ) حَتَّى فَهِمَ مَا قَالَ، فَأَجَابَهُ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لاَ يُوقِنُونَ}. رَوَاهُ (ابْنُ جَرِيرٍ)، وَ(ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ).

وَقَدْ رَوَاهُ (ابْنُ جَرِيرٍ) مِنْ وَجْهٍ آخَرَ فَقَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ، عَنْ شَرِيكٍ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ (عَلِيٍّ)

---

(1) - وفسر بيستفزنك الذين في محل رفع فاعل وبعض العرب يعربونه إعراب جمع المذكر السالم فيقولون اللذون رفعاً والذين نصباً وجراً.
قال الشاعر: (نحن اللذون صبحوا الصباح.... يوم النخيل غارة ملحاحاً)..

(2) - الاستخفاف: طلب خفة الشيء بفقد ثقله ورصانته فيغضب ويترك العمل. والذين لا يؤمنون هم المشركون كالنضر بن الحارث وأبي جهل والمراد بنفي اليقين عنهم: اليقين بالأمور البديهيات اليقينية للناس لكون الله تعالى خلق كل شيء ورب كل شيء، وقدرته على كل شيء إذ هذه يقينيات لدى عامة الناس.

(3) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (60) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(4) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (60)، للإمَامُ (الطبري)،

بْنِ رَبِيعَةَ) قَالَ: نَادَى رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ (عَلِيًّا) وَهُوَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، فَقَالَ: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}، فَأَجَابَهُ عَلِيٌّ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ}[1].

* * *

طَرِيقٌ أُخْرَى: قَالَ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ): حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الجَعْدِ، أَخْبَرَنَا شَرِيكٌ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ ظَبْيَانَ، عَنْ أَبِي تَحْيَا قَالَ: صَلَّى (عَلِيٌّ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَنَادَاهُ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ: {لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}، فَأَجَابَهُ عَلِيٌّ، وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ}[2] [3].

* * *

قال: الشيخ (محمد الطاهر بن عاشور التونسي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {60} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ}.

الْأَمْرُ لِلنَّبِيءِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِالصَّبْرِ تَفَرَّعَ عَلَى جُمْلَةِ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ {الرُّوم: 58} لِتَضَمُّنِهَا تَأْيِيسَهُ مِنْ إِيمَانِهِمْ. وَحَذْفُ مُتَعَلَّقِ الْأَمْرِ بِالصَّبْرِ لِدَلَالَةِ الْمَقَامِ عَلَيْهِ، أَيِ اصْبِرْ عَلَى تَعَنُّتِهِمْ.

وَجُمْلَةُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ تَعْلِيلٌ لِلْأَمْرِ بِالصَّبْرِ وَهُوَ تَأْنِيسٌ لِلنَّبِيءِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِتَحْقِيقِ وَعْدِ اللَّهِ مِنَ الِانْتِقَامِ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ وَمِنْ نَصْرِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وَ{الْحَقُّ}.....: مَصْدَرُ حَقَّ يَحِقُّ بِمَعْنَى ثَبَتَ، فَالْحَقُّ: الثَّابِتُ الَّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَا مُبَالَغَةَ.

وَ{الِاسْتِخْفَافُ}....: مُبَالَغَةٌ فِي جَعْلِهِ خَفِيفًا فَالسِّينُ وَالتَّاءُ لِلتَّقْوِيَةِ مِثْلُهَا فِي نَحْوِ: اسْتَجَابَ وَاسْتَمْسَكَ، وَهُوَ ضِدُّ الصَّبْرِ. وَالْمَعْنَى: لَا يَحْمِلَنَّكَ عَلَى تَرْكِ الصَّبْرِ. وَالْخِفَّةُ مُسْتَعَارَةٌ

لِحَالَةِ الْجَزَعِ وَظُهُورِ آثَارِ الْغَضَبِ. وَهِيَ مِثْلُ الْقَلَقِ الْمُسْتَعَارِ مِنِ اضْطِرَابِ الشَّيْءِ لِأَنَّ آثَارَ الْجَزَعِ وَالْغَضَبِ تُشْبِهُ تَقَلْقُلَ الشَّيْءِ الْخَفِيفِ، فَالشَّيْءُ الْخَفِيفُ يَتَقَلْقَلُ بِأَدْنَى تَحْرِيكٍ، وَفِي ضِدِّهِ يُسْتَعَارُ الرُّسُوخُ وَالتَّثَاقُلُ. وَشَاعَتْ هَذِهِ الِاسْتِعَارَاتُ حَتَّى سَاوَتِ الْحَقِيقَةَ فِي الِاسْتِعْمَالِ.

وَنَهْيُ الرَّسُولِ عَنْ أَنْ يَسْتَخِفَّهُ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ نَهْيٌ عَنِ الْخِفَّةِ الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَحْدُثَ لِلْعَاقِلِ إِذَا رَأَى عِنَادَ مَنْ هُوَ يُرْشِدُهُ إِلَى الصَّلَاحِ، وَذَلِكَ مِمَّا يَسْتَفِزُّ غَضَبَ الْحَلِيمِ، فَالِاسْتِخْفَافُ هُنَا هُوَ أَنْ يُؤَثِّرُوا فِي نَفْسِهِ ضِدَّ الصَّبْرِ،

وَيَأْتِي قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ} فِي سُورَةِ {الزُّخْرُف: 54}،

---

(1) انظر: تفسير (الطبري) برقم (38/21).

(2) (صحيح): أخرجه الإِمَامُ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (146/3).
و(صححه) الإمام (الألباني) في (الإرواء الغليل) برقم (2468).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامُ (ابن كثير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (60).

فَانْظُرْهُ إِكْمَالًا لِمَا هُنَا. وَأَسْنَدَ الاسْتِخْفَافَ إِلَيْهِمْ عَلَى طَرِيقَةِ الْمَجَازِ الْعَقْلِيِّ لِأَنَّهُمْ سَبَبُهُ بِمَا يَصْدُرُ مِنْ عِنَادِهِمْ.

والَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ: هُمُ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ أُجْرِيَتْ عَلَيْهِمُ الصِّفَاتُ الْمُتَقَدِّمَةُ مِن الْإِجْرَامِ، وَالظُّلْمِ، وَالْكُفْرِ، وَعَدَمِ الْعِلْمِ فَهُوَ إِظْهَارٌ فِي مَقَامِ الْإِضْمَارِ لِلتَّصْرِيحِ بِمَسَاوِيهِمْ.

قِيلَ: كَانَ مِنْهُمُ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ. وَمَعْنَى لَا يُوقِنُونَ أَنَّهُمْ لَا يُوقِنُونَ بِالْأُمُورِ الْيَقِينِيَّةِ، أَيِ الَّتِي دَلَّتْ عَلَيْهَا الدَّلَائِلُ الْقَطْعِيَّةُ فَهُمْ مُكَابِرُونَ. (1)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ الرُّومِ} الآية {60} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} أَيِ: اصْبِرْ عَلَى أَذَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصُرُكَ {وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ} أَيْ: لَا يَسْتَفِزَّنَّكَ عَنْ دِينِكَ.

{الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ} قِيلَ: هُوَ (النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ). وَالْخِطَابُ لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَالْمُرَادُ أُمَّتُهُ يُقَالُ: اسْتَخَفَّ فُلَانٌ فُلَانًا أَيْ: اسْتَجْهَلَهُ حَتَّى حَمَلَهُ عَلَى اتِّبَاعِهِ فِي الْغَيِّ. وَهُوَ فِي مَوْضِعِ جَزْمٍ بِالنَّهْيِ، أُكِّدَ بِالنُّونِ الثَّقِيلَةِ فَبُنِيَ عَلَى الْفَتْحِ كَمَا يُبْنَى الشَّيْئَانِ إِذَا ضُمَّ أَحَدُهُمَا إِلَى الْآخَرِ.

{الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ} فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ، وَمِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَقُولُ: اللَّذُونَ فِي مَوْضِعِ الرَّفْعِ. (2)

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾
﴿ سُورَةُ الرُّومِ: 51- 60 ﴾

- يأس الكافرين من رحمة الله عند نزول البلاء.
- هداية التوفيق بيد الله، وليست بيد الرسول – صلى الله عليه وسلم –.
- مراحل العمر عبرة لمن يعتبر.
- الختم على القلوب سببه الذنوب. (3)

* * *

والله سبحانه و تعالى أعلم بالصواب

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ ﴿ الرُّومِ ﴾:

تم بفضل الله وإعانته وتيسيره.

وَلِلَّهِ الْحَمْدُ والثناء والفَضلِ وَالْمِنَّةَ والمَجد دائماً أبداً وإِسْتِمْرَاراً

كما ينبغي لجلاله، وعظمته، وكماله وسعة إحسانه.

((الحَمْدُ للَّه الذي بِنِعْمَتِه تتمُ الصالحاتُ))

والحمدلله رب العالمين، أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً،

حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه. ملءَ السَّموَاتِ، وَملءَ الأرض، وَملءَ ما بَينَهُمَا. وَملءَ ما فيهما.

سُبحانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمدِكَ أَشهَدُ أن لا إله إلا أنتَ أستَغفِرُكَ وَأتوبُ إليك.

وَصلَّى اللهُ وَسلَّمَ عَلَى نبينا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجمعين تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

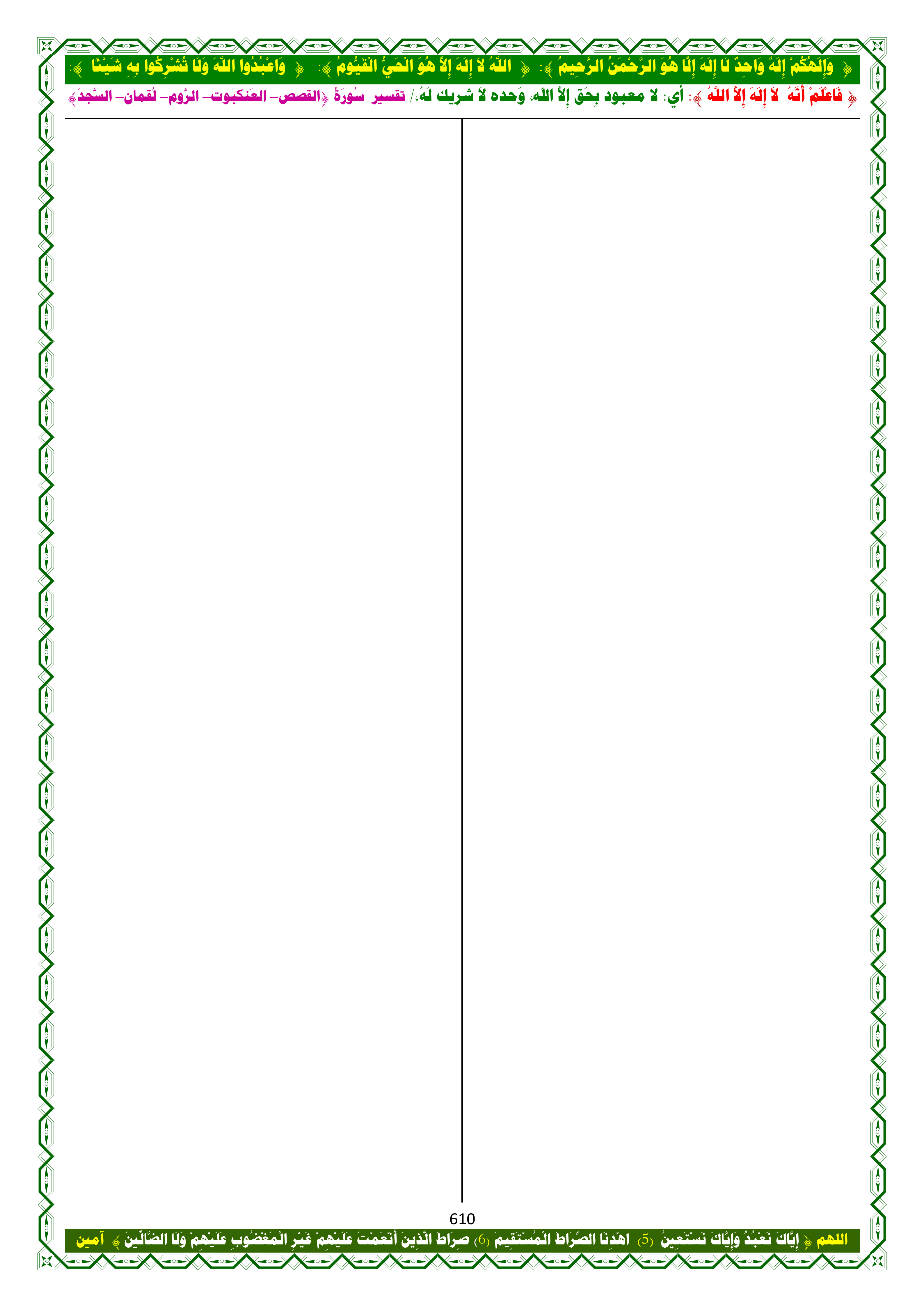
❁ ❁ ❁

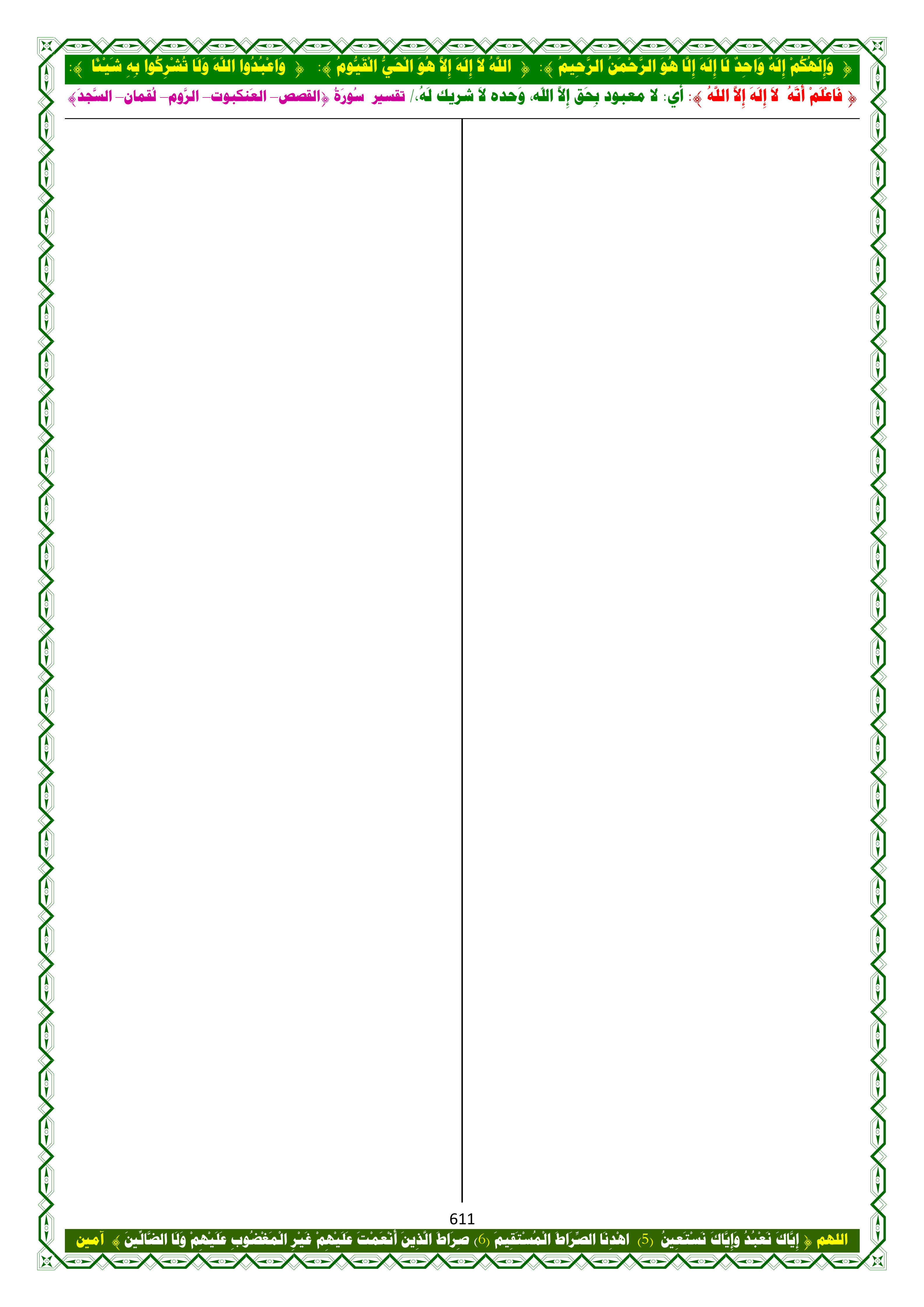
---

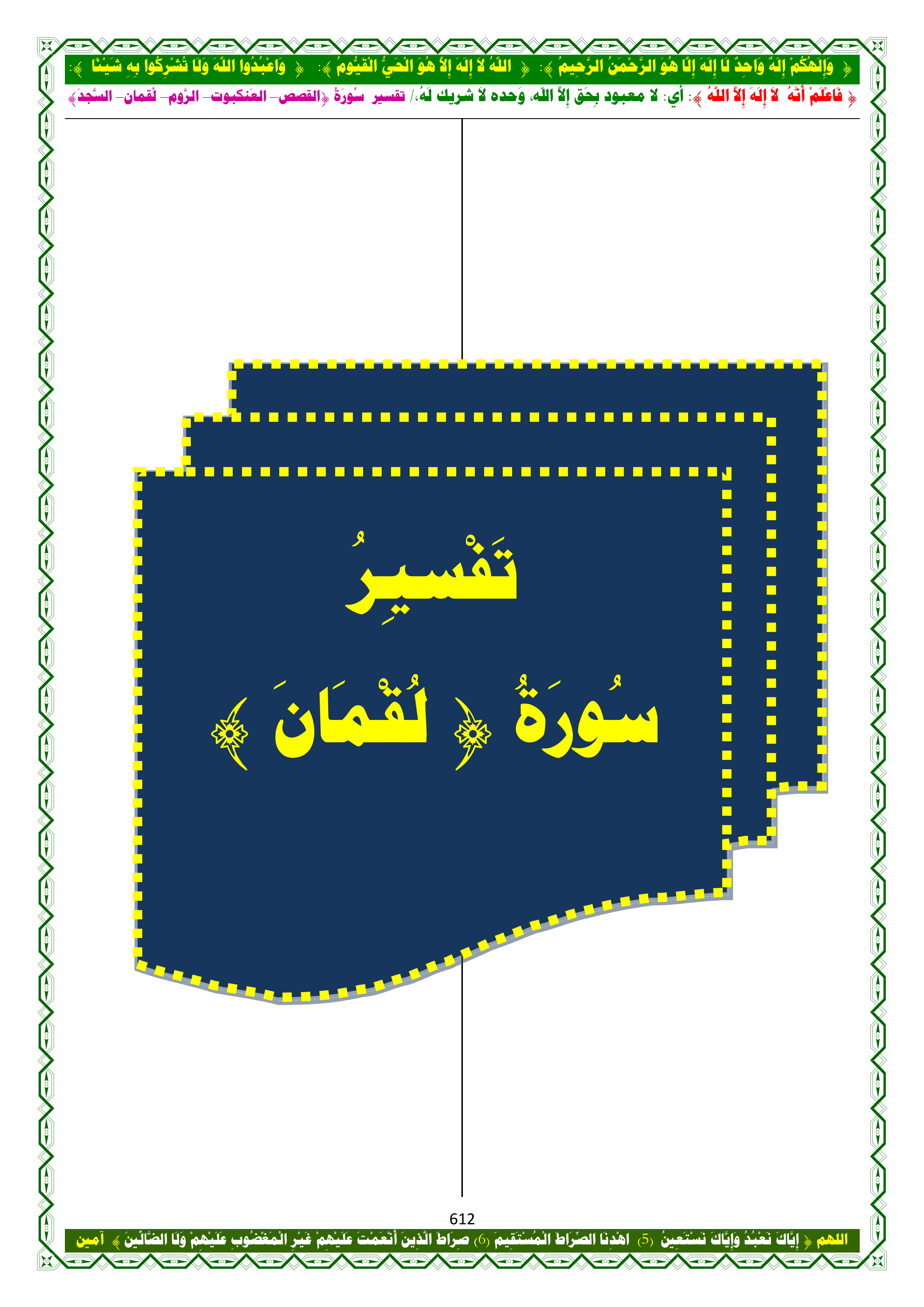
(1) انظر: تفسير (التحرير والتنوير) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (60)، للشيخ (محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي).

(2) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سُورَةُ (الرُّوم) الآية (60)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (410/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

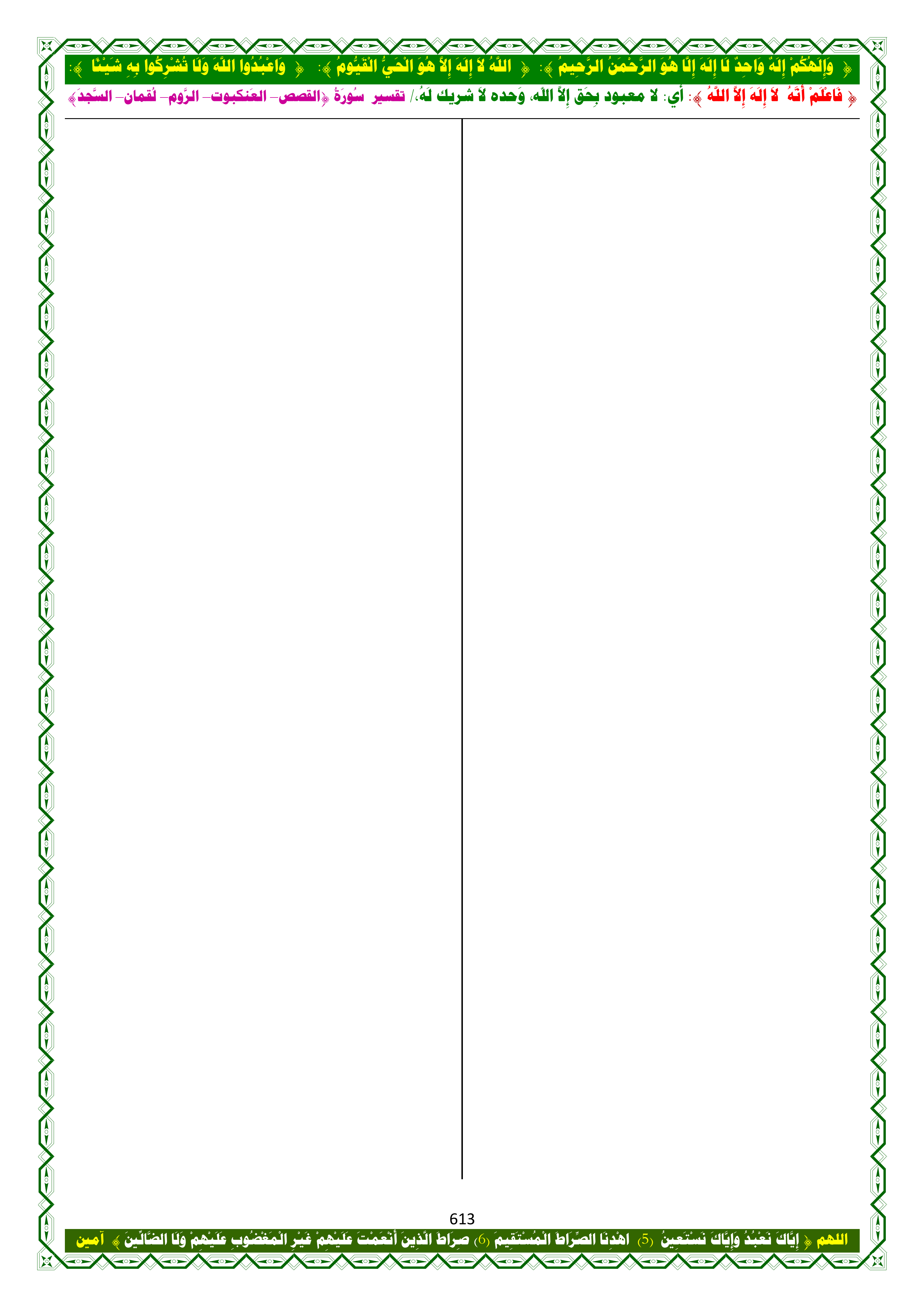


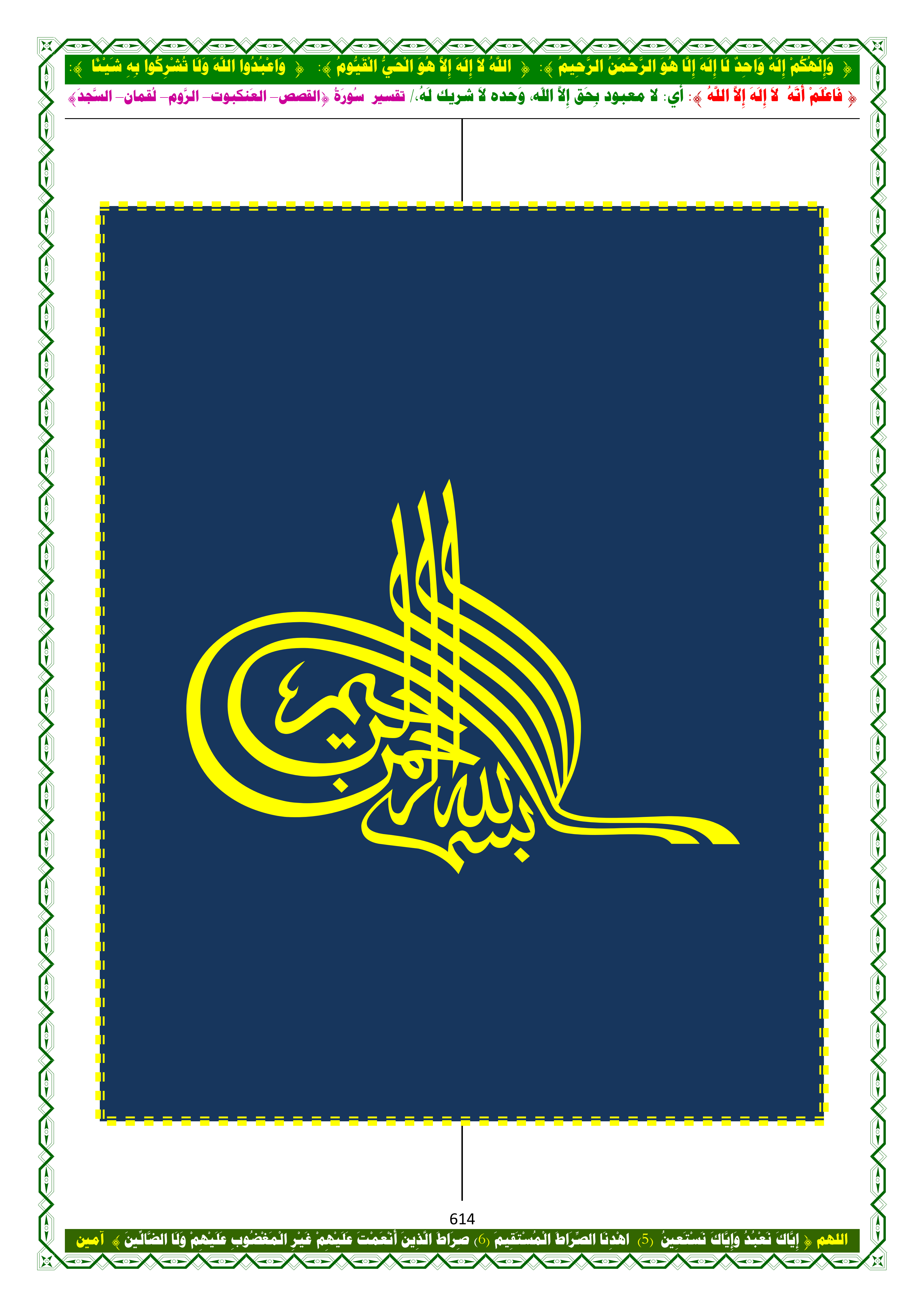


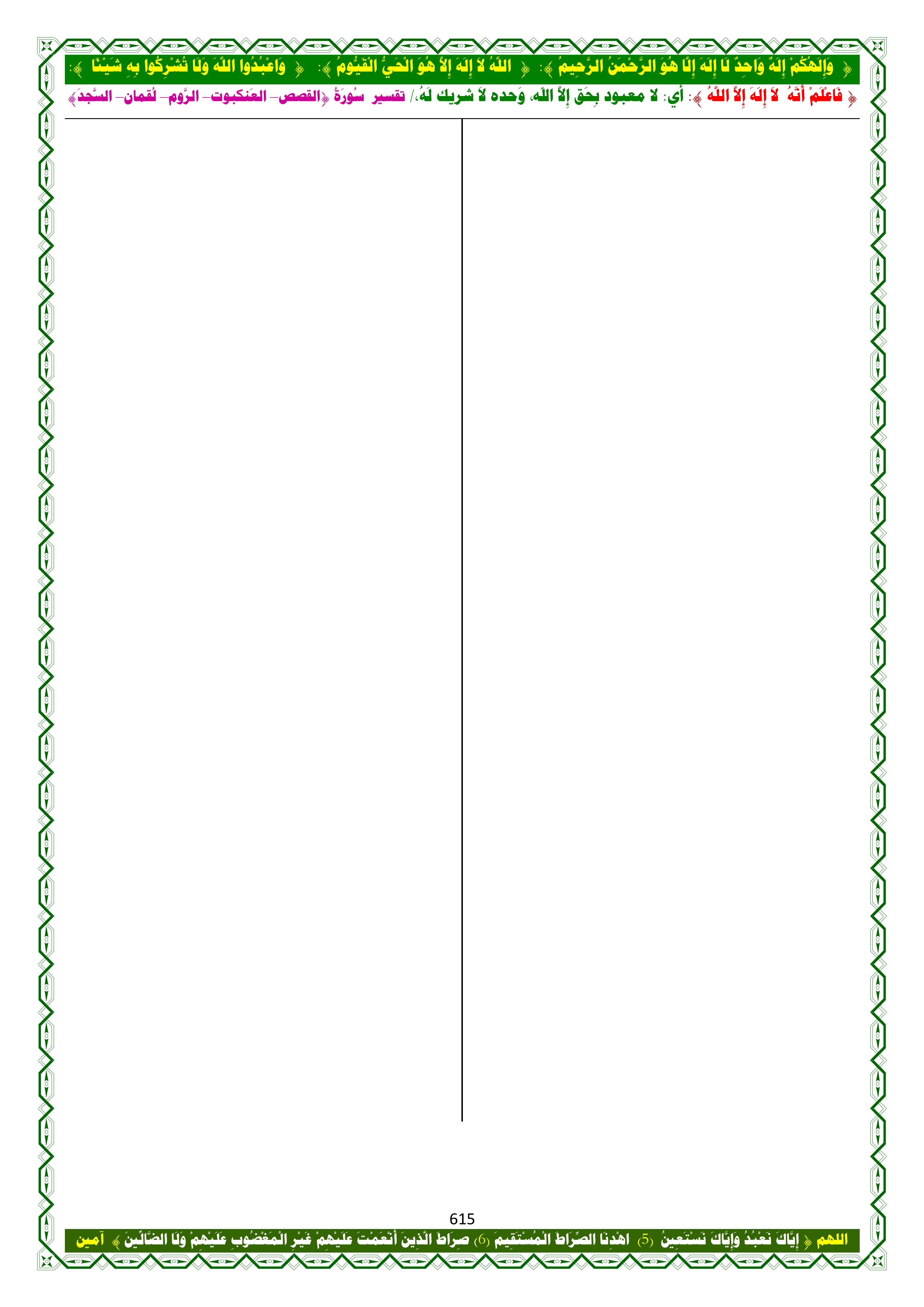


تَفْسِيرُ

سُورَةُ ﴿ لُقْمَانَ ﴾




بسم الله الرحمن الرحيم



سُورَةُ ﴿ لُقْمَانَ ﴾

ترتيبها (31) ... آياتها (34)... (مكية)

تفسير سُورَةُ {لُقْمَانَ} وهي {مَكِّيَّةٌ}، غير آيتين.

قَالَ (قَتَادَةُ): أَوَّلُهُمَا {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ} {لقمان: 27} إلى آخر الْآيَتَيْنِ.

وقَالَ (ابْنُ عَبَّاسٍ): ثلاثُ آيات، أولهن {ولَو أنَّما في الأَرْضِ} {لقمان: 27}.

وهي أربع وثلاثون آية. (1)

وحروفها: ألفان ومئة وعشرة أحرف،

وكلماتها: خمس مئة وثمان وأربعون كلمة. (2)

* * *

سورة لقمان

بسم الله الرحمن الرحيم

الم (1) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (2) هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ (3) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (6) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (7) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ (8) خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (9) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (10) هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (11)

﴿ مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ ﴾

إبراز الحكمة الموافقة للشرع، وتذكر لقمان مثلًا لذلك. (3)

* * *

بِسمِ اللّهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيم

[١] ﴿الم﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

{الم} سبق الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة. (4)

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سُورَةُ (لُقْمَانَ) الآية (1) للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن) (5/ 299). للإمام (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/ 411). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/ 411). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

* * *

يَعنِي:- (الم) سبق الكلام على الحروف المقطّعة في أول سورة البقرة. (1)

* * *

يَعنِي:- الم: هذه حروف ابتدأ الله بها بعض السور، ليشير بها إلى إعجاز القرآن المؤلف من حروف كالحروف التي يؤلف منها العرب كلامهم، ومع ذلك عجزوا عن الإتيان بمثله، ولينبِّه إلى الاستماع والإنصات، وكان المشركون قد اتفقوا على أن يَلْغوا فيه ولا يسمعوا. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{الم} .... أي: هذا القرآن المعجز من هذه الحروف التي منها كلامكم.

* * *

الدليل و البرهان و الحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَة لُقمَان} الآية {1} عَن (ابْن عَبَّاس): في قَوْله تَعَالَى: {الم} يَقُول أنا الله أعلم وَيُقَال قسم أقسم بِهِ. (3)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَة لُقمَان} الآية {1} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الم} أحسن ما يفسر به مثل هذه الحروف المقطعة قول: الله أعلم بمراده به وقد أفادت هذه الحروف فائدة عظيمة، وذلك من جهتين الأولى أنه لما كان المشركون يمنعون من سماع القرآن خشية التأثير به فيهتدي إلى الحق من يحصل له ذلك، وقالوا: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ} كانت هذه الحروف بنغمها الخاص ومدودها العجيبة تضطر المشرك إلى الإصغاء والاستماع فحصل ضد مقصودهم وكفى بهذه فائدة. والثانية أنهم لما ادعوا أن القرآن سحر وكهانة وشعر وأساطير الأولين كأنما قيل لهم هذا القرآن الذي ادعيتم فيه كذا وكذا قد تألف من هذه الحروف {ص، ن، ق، يس، طس، الم}، فألفوا سورة مثله وأتوا بها للناس فيصبح لكم ما تدعون فإن عجزتم فسلموا أنه كلام الله أنزله على عبده ورسوله محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فآمنوا ووحدوا واستقيموا على ذلك تعزوا وتكرموا وتكملوا وتسعدوا. (4)

* * *

[٢] ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

هذه الآيات المنزلة عليك أيها الرسول- ﷺ - آيات الكتاب الذي ينطق بالحكمة. (5)

* * *

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (411/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (611/1)، المؤلف: (لجنة من علماء -الأزهر).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَة (لُقمَان) الآية (1) يُنسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(4) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَة (لُقمَان) الآية (1) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (411/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

يَعْنِي:- هذه الآيات آيات القرآن ذي الحكمة البالغة.(1)

* * *

يَعْنِي:- هذه الآيات العظيمة آيات القرآن المشتمل على الحكمة والصواب.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{تلكَ} .... أي: هذه السورة وآياتها.

{تِلْكَ} .... إشارة إلى الكتب المتقدمة أنها في القرآن معنى.

{تلك} .... أي: الآيات المؤلفة من مثل هذه الحروف هي آيات الكتاب الحكيم.

{آيَاتُ الْكِتَابِ} .... القرآن.

{الْحَكِيمِ} .... أي: ذي الحكمة.

{الحكيم} .... أي: المحكم الذي لا نسخ يطرأ عليه بعد تمام نزوله، ولا خلل فيه، وهو الحكيم الذي يضع كل شيء في موضعه فلا خلط ولا خبط فيما يحمل من هدى وتشريع.

{آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ} .... أي: آيات من الكتاب المحكم المحروس من التغيير والتبديل، والممنوع من الفساد والبطلان، فهو فعيل بمعنى المفعل، وإن كان قليلًا في كلامهم، كما قالوا: أعقدت اللبن فهو عقيد" أي: معقدًا، أو ذي الحكمة لاشتماله عليها، أو الحاكم بين عباده ببيان الأحكام من الحلال والحرام مثلًا.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: {تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ}.

انظر: سورة - (آل عمران) - آية (58). - كما قال تعالى: {ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ}..

* * *

(تفسير ابن عباس):- قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {2} قَوْلُهُ تَعَالَى: {تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ} إن هَذِه السُّورَة آيَات الْقُرْآن الْمُبين للحلال وَالْحرَام وَالْأَمر وَالنَّهْي.(3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {1-2} قَوْلُهُ تَعَالَى: { الم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ }. يشير تعالى إشارة دالة على التعظيم إلى {آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ} أي: آياته محكمة، صدرت من حكيم خبير.

من إحكامها: أنها جاءت بأجل الألفاظ وأفصحها، وأبينها، الدالة على أجل المعاني وأحسنها.

ومن إحكامها: أنها محفوظة من التغيير والتبديل، والزيادة والنقص، والتحريف.

ومن إحكامها: أن جميع ما فيها من الأخبار السابقة واللاحقة، والأمور الغيبية كلها، مطابقة للواقع، مطابق لها الواقع، لم يخالفها كتاب من الكتب الإلهية، ولم يخبر بخلافها، نبي من الأنبياء، ولم يأت ولن

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (411/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (611/1)، المؤلف: (لجنة من علماء -الأزهر).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَة (لُقمَان) الآية (1-3) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

يأتي علم محسوس ولا معقول صحيح، يناقض ما دلت عليه.

ومن إحكامها: أنها ما أمرت بشيء، إلا وهو خالص المصلحة، أو راجحها، ولا نهت عن شيء، إلا وهو خالص المفسدة أو راجحها، وكثيرا ما يجمع بين الأمر بالشيء، مع ذكر حكمته فائدته، والنهي عن الشيء، مع ذكر مضرته.

ومن إحكامها: أنها جمعت بين الترغيب والترهيب، والوعظ البليغ، الذي تعتدل به النفوس الخيرة، وتحتكم، فتعمل بالحزم.

ومن إحكامها: أنك تجد آياته المتكررة، كالقصص، والأحكام ونحوها، قد اتفقت كلها وتواطأت، فليس فيها تناقض، ولا اختلاف. فكلما ازداد بها البصير تدبرا، وأعمل فيها العقل تفكرا، انبهر عقله، وذهل لبه من التوافق والتواطؤ، وجزم جزما لا يمترى فيه، أنه تنزيل من حكيم حميد.

ولكن - مع أنه حكيم - يدعو إلى كل خلق كريم، وينهى عن كل خلق لئيم، أكثر الناس محرومون الاهتداء به، معرضون عن الإيمان والعمل به، إلا من وفقه الله تعالى وعصمه، وهم المحسنون في عبادة ربهم والمحسنون إلى الخلق.(1)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {1-3} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَلَمْ (1) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (2) هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ (3)}.

تَقَدَّمَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ "الْبَقَرَةِ" عَامَّةُ الْكَلَامِ عَلَى مَا يَتَعَلَّقُ بِصَدْرِ هَذِهِ السُّورَةِ، وَهُوَ أَنَّهُ تَعَالَى جَعَلَ هَذَا الْقُرْآنَ هُدًى وَشِفَاءً وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ،(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {2} قوله تعالى: {تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ} يقول جل ثناؤه: هذه آيات الكتاب الحكيم بيانا وتفصيلا.(3)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {2} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ} مَضَى الْكَلَامُ فِي فَوَاتِحِ السُّوَرِ وَ{تِلْكَ} فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ عَلَى إِضْمَارِ مُبْتَدَأٍ، أَيْ هَذِهِ تِلْكَ. وَيُقَالُ: {تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ} بَدَلًا مِنْ تِلْكَ.

وَ{الْكِتَابُ}: الْقُرْآنُ. وَ{الْحَكِيمُ}: الْمُحْكَمُ، أَيْ: لَا خَلَلَ فِيهِ وَلَا تَنَاقُضَ.

وَقِيلَ: ذو الحكمة، وقيل: الحاكم.(4)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-{سُورَةُ لُقمَان} الآية {1-3} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الم - تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ - هُدًى وَرَحْمَةً} قَرَأَ (حَمْزَةُ):

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (2) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (1-3).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (1-2) للإمَامْ (الطبري).

(4) انظر: تفسير (القرطبي) = الجامع لأحكام القرآن) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (2) للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(وَرَحْمَةٌ) بِالرَّفْعِ عَلَى الِابْتِدَاءِ أَيْ هُوَ هُدَىً وَرَحْمَةٌ،

وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: بِالنَّصْبِ عَلَى الْحَالِ {لِلْمُحْسِنِينَ} {لقمان: 3}. (1)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {2} قَوْلُهُ تَعَالَى: {تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ} إن هَذه السُّورَة آيَات الْقُرْآن الْمُبين للْحَلَال وَالْحرَام وَالْأَمر وَالنَّهْي. (2)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {2} قَوْلُهُ تَعَالَى: {تِلْكَ آيَاتُ (1) الْكِتَابِ الْحَكِيمِ} أي هذه الآيات هي آيات القرآن الكريم الموصوف بالحكمة إذ هو لا يخلط ولا يغلط ولا يخبط بل يضع كل شيء في موضعه اللائق به في كل ما قاله فيه وحكم به، وأخبر عنه أو به من سائر المعارف والعلوم التي حواها كما هو حكيم بمعنى محكم لا نسخ يطرأ عليه بعد تمامه كما طرأ على الكتب السابقة، ومحكم أيضاً بمعنى لا خلل فيه، ولا تناقض بين أخباره وأحكامه على كثرتها وتنوع أسبابها ومقتضيات نزولها، (3)

* * *

[٣] ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وهو هداية ورحمة للذين يحسنون العمل، بقيامهم بحقوق ربهم وحقوق عباده. (4)

* * *

يَعنِي:- هذه الآيات هدى ورحمة للذين أحسنوا العمل بما أنزل الله في القرآن، وما أمرهم به رسوله محمد - صلى الله عليه وسلم. (5)

* * *

يَعنِي:- هذه الآيات هداية كاملة ورحمة شاملة لمن يحسنون العمل. (6)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{هدى ورحمة} ..... أي: هو هدى يهتدي به ورحمة يرحم بها.

{هُدًى} .... من الضلالة.

{وَرَحْمَةً} .... من العذاب.

قال: (ابن عباس)، و(مقاتل): بيان من الضلالة والرحمة من العذاب. (7)

{للمحسنين} .... أي: العاملين للحسنات،

(أي: للمؤمنين والموحدين من أمة محمد - صلى الله عليه وسلم -).

(أي: الذين يراقبون الله تعالى في كل شؤونهم إذ هم الذين يجدون الهدى والرحمة في القرآن الكريم أما غيرهم من أهل الشرك والمعاصي فلا يجدون ذلك).

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (لُقمَان) الآية (1-3).

(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (2) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

(3) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (2) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (411/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (411/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(6) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (611/1)، المؤلف: (لجنة من علماء -الأزهر).

(7) انظر: (تفسير مقاتل) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (3).

* * *

﴿ القِراءَآت ﴾

{هُدًى وَرَحْمَةً} قرأ (حمزة): (وَرَحْمَةٌ) بالرفع على الابتداء" أي: هو هدى ورحمة، وقرأ الباقون: بالنصب على الحال من الآيات[1] {لِلْمُحْسِنِينَ}.[2]

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: {هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ}

انظر: سورة – (الإسراء) - آية (9)، - كما قال تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا}.

* * *

وانظر: سورة – (النمل) - آية (2). - كما قال تعالى: {هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ}..

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سُورَةُ لُقمَان} الآية {3} قوله تعالى: {هُدًى وَرَحْمَةً} يقول: هذه آيات الكتاب بيانا ورحمة من الله، رحم به من اتبعه، وعمل به من خلقه، وبنصب الهدى والرحمة على القطع من آيات الكتاب قرأت قرّاء الأمصار غير حمزة، فإنه قرأ ذلك رفعا على وجه الاستئناف، إذ كان منقطعا عن الآية التي قبلها بأنه ابتداء آية وأنه مدح، والعرب تفعل ذلك مما كان من نعوت المعارف، وقع موقع الحال إذا كان فيه معنى مدح أو ذمّ. وكلتا القراءتين صواب عندي، وإن كنت إلى النصب أميل، لكثرة القراء به.

وقوله: {لِلْمُحْسِنِينَ} وهم الذين أحسنوا في العمل بما أنزل الله في هذا القرآن، يقول تعالى ذكره: هذا الكتاب الحكيم هدى ورحمة للذين أحسنوا، فعملوا بما فيه من أمر الله ونهيه.[3]

* * *

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {3} قَوْلُهُ تَعَالَى: {هُدًى} من الضَّلَالَة {وَرَحْمَةً} من الْعَذَاب {لِّلْمُحْسِنِينَ} المخلصين الْمُوَحِّدين.[4]

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {1-3} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ * هُدًى وَرَحْمَةً}.

قَرَأَ (حَمْزَةُ): (وَرَحْمَةٌ) بِالرَّفْعِ عَلَى الِابْتِدَاءِ، أَيْ هُوَ هُدًى وَرَحْمَةٌ،

وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: بِالنَّصْبِ عَلَى الْحَالِ {لِلْمُحْسِنِينَ}،[5]

* * *

(1) انظر: "السبعة" لابن مجاهد (ص: 512)، و"التيسير" للداني (ص: 176)، و"تفسير البغوي" (3/ 505)، و "معجم القراءات القرآنية" (5/ 83).

(2) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (3) للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(3) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (3) للإمَامْ (الطبري).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (3) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(5) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سُورَةُ (لُقمَان) الآية (1-3).

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَة لُقمَان} الآية {3} فإنه {هُدًى} لهم، يهديهم إلى الصراط المستقيم، ويحذرهم من طرق الجحيم، {وَرَحْمَةً} لهم، تحصل لهم به السعادة في الدنيا والآخرة، والخير الكثير، والثواب الجزيل، والفرح والسرور، ويندفع عنهم الضلال والشقاء.

ثم وصف المحسنين بالعلم التام، وهو اليقين الموجب للعمل والخوف من عقاب الله، فيتركون معاصيه، ووصفهم بالعمل، وخص من العمل، عملين فاضلين: الصلاة المشتملة على الإخلاص، ومناجاة الله تعالى، والتعبد العام للقلب واللسان، والجوارح المعينة، على سائر الأعمال، والزكاة التي تزكي صاحبها من الصفات الرذيلة، وتنفع أخاه المسلم، وتسد حاجته، ويبين بها أن العبد يؤثر محبة الله على محبته للمال، فيخرجه محبوبه من المال، لما هو أحب إليه، وهو طلب مرضاة الله. (1)

* * *

قال: الإمام (القُرطبي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {3} قَوْلُهُ تَعَالَى: {هُدىً وَرَحْمَةً} بِالنَّصْبِ عَلَى الْحَالِ، مِثْلُ: {هذِهِ ناقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً} {الأعراف: 73}.

وَهَذِه قِرَاءَةُ الْمَدَنِيِّينَ وَ(أَبِي عَمْرٍو) وَ(عَاصِمٍ)، وَ(الْكِسَائِيِّ).

وَقَرَأَ (حَمْزَةُ): {هُدًى وَرَحْمَةٌ} بِالرَّفْعِ، وَهُوَ مِنْ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا- عَلَى إِضْمَارِ مُبْتَدأ، لِأَنَّهُ أَوَّلُ آيَةٍ.

وَالْآخَرُ- أَنْ يَكُونَ خَبَرَ "تِلْكَ".

وَالْمُحْسِنُ: الَّذِي يَعْبُدُ اللَّهَ كَأَنَّهُ يَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ يَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاهُ.

وَقِيلَ: هُمُ الْمُحْسِنُونَ فِي الدِّينِ وَهُوَ الْإِسْلَامُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ} {النساء: 125} الْآيَةَ. (2)

* * *

[٤] ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

الذين يؤدون الصلاة على أكمل وجه، ويعطون زكاة أموالهم، وهم موقنون بما في الآخرة من بعث وحساب وثواب وعقاب. (3)

* * *

يَعنْي:- الذين يؤدون الصلاة كاملة في أوقاتها ويؤتون الزكاة المفروضة عليهم لمستحقيها، وهم بالبعث والجزاء في الدار الآخرة يوقنون. (4)

* * *

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (3) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: تفسير (القرطبي) = الجامع لأحكام القرآن) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (3) للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (411/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (411/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

يَعْنِي:- هم الذين يؤدون الصلاة على أكمل وجه، ويعطون الزكاة لمستحقيها، وهم بالحياة الآخرة يؤمنون أقوى الإيمان. (1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ} .... بيان لإحسانهم.

{الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ} .... المفروضة وغيرها" أي: يؤدونها بحقوقها وشروطها في أوقاتها، وعبر عن الأداء بالإقامة، إشارة إلى أن الصلاة عماد الدين،

وفي "المفردات": إقامة الصلاة: توفية شرائطها لا الإتيان بهيئتها،

{وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} .... أي: يعطونها بشرائطها إلى مستحقيها المذكورين في آية {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ} .... الآية.

{وَهُم بِالْآخِرَةِ} .... أي: بمجيء الدار الآخرة بما فيها من الحساب والميزان، والجزاء على الأعمال،

{هُمْ يُوقِنُونَ} .... أي: يصدقون فلا يشكون في البعث والحساب والجزاء، وإعادة لفظة.

{هم} .... للتوكيد في الإيقان بالبعث والحساب، ولما حيل بينه وبين خبره بقوله: {بِالْآخِرَةِ}. وخص هذه العبادات الثلاث" لأنها عمدة العبادات.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ لُقْمَانَ} الآية {4} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الَّذِينَ

يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ} يتمون الصَّلَوَاتِ الْخمس بوضوئها وركوعها وسجودها وَمَا يجب فِيهَا فِي مواقيتها. {وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} يُعْطون زَكَاة أَمْوَالهم. {وهم بِالآخرة} بِالْبَعْث بعد الْمَوْت. {هُمْ يُوقِنُونَ} يصدقون. (2)

* * *

انظر: سورة – (البقرة) - الآيات (3-5). - كما قال تعالى: {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5)}.

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقْمَانَ} الآية {4} قوله تعالى: {الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ} يقول: الذين يقيمون الصَّلاة المفروضة بحدودها.

{وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} من جعلها الله له المفروضة في أموالهم.

{وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ} يقول: يفعلون ذلك وهم بجزاء الله وثوابه لمن فعل ذلك في الآخرة يوقنون. (3)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقْمَانَ} الآية {4} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ}.

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (612/1)، المؤلف: (لجنة من علماء -الأزهر).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (لُقْمَان) الآية (4) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(3) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (لُقْمَان) الآية (2) للإِمَامْ (الطبري).

وَهُمُ الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْعَمَلَ فِي اتِّبَاعِ الشَّرِيعَةِ، فَأَقَامُوا الصَّلَاةَ الْمَفْرُوضَةَ بِحُدُودِهَا وَأَوْقَاتِهَا، وَمَا يَتْبَعُهَا مِنْ نَوَافِلَ رَاتِبَةٍ وَغَيْرِ رَاتِبَةٍ، وَآتَوُا الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ عَلَيْهِمْ إِلَى مُسْتَحِقِّيهَا، وَوَصَلُوا قَرَابَاتِهِمْ وَأَرْحَامَهُمْ، وَأَيْقَنُوا بِالْجَزَاءِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، فَرَغِبُوا إلى الله في ثواب ذلك، لم يراؤوا بِهِ وَلَا أَرَادُوا جَزَاءً مِنَ النَّاسِ وَلَا شُكُورًا، (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) –رحمه الله– في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان}

الآية {4} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ} .

ثم وصف المحسنين بالعلم التام، وهو اليقين الموجب للعمل والخوف من عقاب الله، فيتركون معاصيه، ووصفهم بالعمل، وخص من العمل، عملين فاضلين: الصلاة المشتملة على الإخلاص، ومناجاة الله تعالى، والتعبد العام للقلب واللسان، والجوارح المعينة، على سائر الأعمال، والزكاة التي تزكي صاحبها من الصفات الرذيلة، وتنفع أخاه المسلم، وتسد حاجته، ويبين بها أن العبد يؤثر محبة الله على محبته للمال، فيخرجه محبوبه من المال، لما هو أحب إليه، وهو طلب مرضاة الله. (2)

* * *

[٥] ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

أولئك المتصفون بتلك الصفات على هدى من ربهم، وأولئك هم الفائزون بنيل ما يطلبونه، والبعد عما يرهبونه. (3)

* * *

يَعنْي:- أولئك المتصفون بالصفات السابقة على بيان مِن ربهم ونور، وأولئك هم الفائزون في الدنيا والآخرة. (4)

* * *

يَعنْي:- أولئك المؤمنون المحسنون فى أعمالهم متمكنون من الهدى الذى جاءهم من ربهم، وأولئك هم - دون غيرهم - الفائزون حقاً. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} .... الظافرون بطلبتهم.

{أولئك} .... أي: المحسنون الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويوقنون بالآخرة.

{عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ} .... أي: على هداية من الله تعالى فلا يضلون ولا يجهلون معها أبدا.

{عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ} .... متمكنين من الهدى الذي جاء من ربهم.

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (4).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (4) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (411/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (411/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (612/1)، المؤلف: (لجنة من علماء -الأزهر).

{المفلحــون} .... أي: الفــائزون بالنجــاة مــن كل مرهوب وبالظفر بكل مرغوب محبوب.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):- {سُورَة لُقمَان} الآية {5} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أُولَئِكَ على هُدىً} على بَيَان وكرامة.
{مِّن رَبهم وَأُولَئِكَ هم المفلحون} الناجون من السخط وَالْعَذَاب. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-
{سُورَة لُقمَان} الآية {5} قوله تعالى: {أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}. يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين وصفت صفتهم على بيان من ربهم ونور
{وأُولَئِكَ هُمُ الْمُفلحون} يقول: وهؤلاء هم المُنْجِحون المدركون ما رَجَوا وأمَّلوا من ثواب ربهم يوم القيامة. (2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَة لُقمَان} الآية {5} فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَهُوَ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ} أَيْ: عَلَى بَصِيرَةٍ وَبَيِّنَةٍ وَمَنْهَجٍ وَاضِحٍ وَجَلِيٍّ، {وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} أَيْ: فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان}
الآية {4} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أُولَئِكَ} هم المحسنون الجامعون بين العلم التام، والعمل {عَلَى هُدًى} أي: عظيم كما يفيده التنكير، وذلك الهدى حاصل لهم، وواصل إليهم.
{مِنْ رَبِّهِمْ} الذي لم يزل يربيهم بالنعم" ويدفع عنهم النقم.
وهذا الهدى الذي أوصله إليهم، من تربيته الخاصة بأوليائه، وهو أفضل أنواع التربية.
{وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} الذين أدركوا رضا ربهم، وثوابه الدنيوي والأخروي، وسلموا من سخطه وعقابه، وذلك لسلوكهم طريق الفلاح، الذي لا طريق له غيرها. (4)

[٦] ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ومن الناس -مثل النضر بن الحارث- من يختار الأحاديث المُلْهِية ليصرف الناس إليها عن دين الله بغير علم، ويتخذ آيات الله هزوًا يسخر منها، أولئك الموصوفون بتلك الصفات لهم عذاب مُذِلٌّ في الآخرة. (5)

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَة (لُقمَان) الآية (5) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .
(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَة (لُقمَان) الآية (5) للإمَامْ (الطبري).
(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإمَامْ (ابن كثير) في سُورَة (لُقمَان) الآية (5).
(4) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَة (لُقمَان) الآية (5) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).
(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (411/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

* * *

يَعنِْي:- ومن الناس مَن يشتري لَهْو الحديث - وهو كل ما يُلهي عن طاعة الله ويصد عن مرضاته - ليضلَّ الناس عن طريق الهدى إلى طريق الهوى، ويتخذ آيات الله سخرية، أولئك لهم عذاب يهينهم ويخزيهم. (1)

* * *

يَعنِْي:- ومن الناس من يشترى باطل الحديث ويقصُّه على الناس، ليصدَّهم عن الإسلام والقرآن جهلا منه بما عليه من إثم، ويتخذ دين الله ووحيه سخرية. الذين يفعلون ذلك لهم عذاب يهينهم ويذلهم. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{ومن النـاس} .... أي: ومن بعض الناس إنسان هو (النضر بن الحارث بن كلدة حليف قريش).

{لَهْوَ الْحَدِيثِ} ... مَا يُلهِي عَنْ طَاعَةِ اللهِ كَالغنَاء.

{لَهْوَ الْحَدِيثِ} ... أي: الأحاديث الْمُلْهِيَة للقلوب، الصَّادَّة لها عن أَجلّ مَطْلُوب، فدخل في هذا كل كلَام مُحرَّم، وَكُل لَغْو وَبَاطل.

(أي: السمر بالأساطير والأحاديث التي لا أصل لها).

{لهو الحديث} ..... أي: الحديث الملهي عن الخير والمعروف وهو الغناء.

{ليضل عن سبيل الله} .... أي: ليصرف الناس عن الإسلام ويبعدهم عنه فيضلوا.

{لِيُضِلَّ} ..... ليصير آخر أمره إلى الضلال.

{عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} .... طريق الإسلام.

{بِغَيْرِ عِلْمٍ} .... بل بجهل.

{وَيَتَّخِذَهَا} ..... أي: السبيل.

{ويتخذها هزواً} .... أي: ويتخذ الإسلام وشرائعه وكتابه هزواً أي مهزوءاً به مسخوراً منه.

{هُزُوًا} ... سُخْرِيَةً.

{أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ} .... لإهانتهم الحق باستئثار الباطل عليه.

(أي: يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين وصفنا أنهم يشترون لهو الحديث ليضلوا عن سبيل الله. لهم يوم القيامة عذاب مُذِلّ مخزٍ في نار جهنم).

* * *

﴿الْقِرَاءآت﴾

قرأ (ابن كثير)، و(أبو عمرو): (لِيَضِلَّ) بفتح الياء (وَيَتَّخِذُهَا) برفع الذال عطفاً على (يشتري)، و(هُزُؤًا) بضم الزاي والهمز،

وقرأ (حفص) عن (عاصم): (لِيُضِلَّ) بضم الياء، (وَيَتَّخِذَهَا) بنصب الذال عطفًا على (لِيُضِلَّ)، و(هُزُوًا) بضم الزاي وفتح الواو منونة بغير همز،

وقرأ (حمزة)، و(خلف): (لِيُضِلَّ) بضم الياء (وَيَتَّخِذَهَا) بفتح الذال (هُزْءًا) بإسكان الزاي مع الهمز،

وقرأ (نافع)، و(أبو جعفر)، و(ابن عامر)، و(أبو بكر) عن (عاصم): (لِيُضِلَّ) بضم

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (411/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (612/1)، المؤلف: (لجنة من علماء -الأزهر).

الياء (وَيَتَّخِذَهَا) بفتح الذال (هُزُوًا) بضم الزاي والهمز.[1] [2]

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمَام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {6} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنَ النَّاس} وَهُوَ النَّضر ابْن الْحَارِث {مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيث} أباطيل الحَدِيث وَكتب الأساطير وَالشَّمْس والنجوم والحساب والغناء وَيُقَال هُوَ الشّرك بِاللَّه {لِيُضِلَّ} بذلك {عَن سَبِيلِ الله} عَن دين الله وطاعته {بِغَيْرِ عِلْم} بِلاَ علم وَلاَ حجَّة {وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً} سخرية {أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ} شَدِيد.[3]

* * *

قال: الإمام (عبد الرزاق) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح)- عن (قتادة): قوله: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ الله بِغَيْرِ عِلْمٍ} والله لعله أن لا ينفق فيه ماله، ولكن اشتراؤه استحبابه، بحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق، وما يضر على ما ينفع.[4][5]

---

(1) (3) انظر: "التيسير" للداني (ص: 134 و176)، و"تفسير البغوي" (3/ 507)، و"النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (2/ 215 و346)، و"معجم القراءات القرآنية" (5/ 83 - 84).

(2) انظُر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (6) للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(3) انظُر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (6) يِنسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (127/20).

(5) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (91/4)، للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين)،

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بأسانيد يقوي بعضها بعضاً) - عن (جابر): وغيره، في قوله: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيث} قال: هو الغناء والاستماع له.[6]

وذكره (ابن كثير) عن (ابن مسعود)، و(ابن عباس)، و(عكرمة)، و(سعيد بن جبير)، و(مجاهد)، و(مكحول).

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): في قوله: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيث} قال: اشتراء المغني والمغنية بالمال الكثير، أو استماع إليهم، وإلى مثله من الباطل.[7]

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): في قول الله: {وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا}، قال: سبيل الله.[8]

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {6} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ}. قَالَ: (الْكَلْبِيُّ)، وَ(مُقَاتِلٌ): نَزَلَتْ فِي النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ كَانَ يَتَّجِرُ فَيَأْتِي الْحِيرَةَ ويشتري أخبار العجم فيحدث بها قريشا فَيَسْتَمْلِحُونَ حَدِيثَهُ

---

(6) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (128/20).

(7) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (129/20).

(8) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (131/20).

وَيَتْرُكُونَ اسْتِمَاعَ الْقُرْآنِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ.

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ): يَعْنِي: شِرَاءَ الْقِيَانِ وَالْمُغَنِّيِينَ، وَوَجْهُ الْكَلَامِ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ مَنْ يَشْتَرِي ذَاتَ لَهْوٍ أَوْ ذا لهو الحديث،

وَعَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ)، وَ(ابْنِ عَبَّاسٍ)، وَ(الْحَسَنِ)، وَ(عِكْرِمَةَ)، وَ(سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ) قَالُوا: لَهْوُ الْحَدِيثِ هُوَ الْغِنَاءُ وَالْآيَةُ نَزَلَتْ فِيهِ،

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: {يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ} أَيْ: يَسْتَبْدِلُ وَيَخْتَارُ الْغِنَاءَ وَالْمَزَامِيرَ وَالْمَعَازِفَ عَلَى الْقُرْآنِ،

قَالَ: (أَبُو الصَّهْبَاءِ الْبَكْرِيُّ): سَأَلْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ: هُوَ الْغِنَاءُ وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، يُرَدِّدُهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

وَعَنْ (الضَّحَّاكِ) قَالَ: هُوَ الشِّرْكُ.

وَقَالَ: (قَتَادَةُ): هُوَ كُلُّ لَهْوٍ وَلَعِبٍ.

{لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ} يعني: يَفْعَلُهُ عَنْ جَهْلٍ.

قَالَ: (قَتَادَةُ): بِحَسْبِ الْمَرْءِ مِنَ الضَّلَالَةِ أَنْ يَخْتَارَ حَدِيثَ الْبَاطِلِ عَلَى حَدِيثِ الحق.

وقوله تعالى: {وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا} قَرَأَ (حَمْزَةُ)، وَ(الْكِسَائِيُّ)، وَ(حَفْصٌ)، وَ(يَعْقُوبُ).

{وَيَتَّخِذَهَا} بنصب الدال عطفا على قوله: {لِيُضِلَّ} وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: بِالرَّفْعِ نَسَقًا عَلَى قوله: {يَشْتَرِي} {أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ}.(1)

* * *

قَالَ: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمان} الآية {6} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ}.

لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى حَالَ السُّعَدَاءِ، وَهُمُ الَّذِينَ يَهْتَدُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَنْتَفِعُونَ بِسَمَاعِهِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} {الزُّمَر: 23}،

عَطَفَ بِذِكْرِ حَالِ الْأَشْقِيَاءِ، الَّذِينَ أَعْرَضُوا عَنِ الِانْتِفَاعِ بِسَمَاعِ كَلَامِ اللَّهِ، وَأَقْبَلُوا عَلَى اسْتِمَاعِ الْمَزَامِيرِ وَالْغِنَاءِ بِالْأَلْحَانِ وَآلَاتِ الطَّرَبِ،

كَمَا قَالَ: (ابْنُ مَسْعُودٍ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ} قَالَ: هُوَ -وَاللَّهِ- الْغِنَاءُ.

* * *

قَالَ: (ابْنُ جَرِيرٍ): حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يَزِيدُ بْنُ يُونُسَ، عَنْ أَبِي صَخْرٍ، عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ الْبَجَلِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِي الصَّهْبَاءِ الْبَكْرِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ (عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ) -وَهُوَ يَسْأَلُ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} -فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: الْغِنَاءُ، وَاللَّهِ

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (لُقمان) الآية (6).

الَّذِي لاَ إِلَهَ إلا هو، يرددها ثلاث مرات[1].

* * *

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ عِيسَى، أَخْبَرَنَا حُمَيْدٌ الْخَرَّاطُ، عَنْ عَمَّارٍ، عَنْ (سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ)، عَنْ (أَبِي الصَّهْبَاءِ): أَنَّهُ سَأَلَ (ابْنَ مَسْعُودٍ) عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ} قَالَ: الْغِنَاءُ[2].

وَكَذَا قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ)، وَ(جَابِرٌ)، وَ(عِكْرِمَةُ)، وَ(سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ)، وَ(مُجَاهِدٌ)، وَ(مَكْحُولٌ)، وَ(عَمْرُو بْنُ شُعَيْبٍ)، وَ(عَلِيُّ بْنُ بَذِيمَةَ).

* * *

وَقَالَ: (الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ): أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ} فِي الْغِنَاءِ وَالْمَزَامِيرِ.

* * *

وَقَالَ: (قَتَادَةُ): قَوْلُهُ: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ}: وَاللَّهِ لَعَلَّهُ لَا يُنْفِقُ فِيهِ مَالًا ولكِنْ شِرَاؤُهُ اسْتِحْبَابُهُ، بِحَسْبِ الْمَرْءِ مِنَ الضَّلَالَةِ أَنْ يَخْتَارَ حَدِيثَ الْبَاطِلِ عَلَى حَدِيثِ الْحَقِّ، وَمَا يَضُرُّ عَلَى مَا يَنْفَعُ.

* * *

وَقِيلَ: عَنَى بِقَوْلِهِ: {يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ}: اشْتِرَاءَ الْمُغَنِّيَاتِ مِنَ الْجَوَارِي.

(1) انظر: تفسير الطبري (39/21).
انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية(6).
(2) انظر: تفسير الطبري (39/21).

* * *

وَقَالَ (الضَّحَّاكُ): فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ} يَعْنِي: الشِّرْكُ.

وَبِهِ قَالَ: (عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ)" وَاخْتَارَ (ابْنُ جرِيرٍ) أَنَّهُ كُلُّ كَلَامٍ يَصُدُّ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ وَاتِّبَاعِ سَبِيلِهِ.

* * *

وَقَوْلُهُ: {لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} أَيْ: إِنَّمَا يَصْنَعُ هَذَا لِلتَّخَالُفِ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ.

وَعَلَى قِرَاءَةِ فَتْحِ الْيَاءِ، تَكُونُ اللَّامُ لَامَ الْعَاقِبَةِ، أَوْ تَعْلِيلًا لِلْأَمْرِ الْقَدَرِيِّ، أَيْ: قُيِّضُوا لِذَلِكَ لِيَكُونُوا كَذَلِكَ.

وَقَوْلُهُ: {وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا} قَالَ: (مُجَاهِدٌ): وَيَتَّخِذُ سَبِيلَ اللَّهِ هُزُوًا، يَسْتَهْزِئُ بِهَا.

* * *

وَقَالَ (قَتَادَةُ): يَعْنِي: وَيَتَّخِذُ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا. وَقَوْلُ (مُجَاهِد) أَوْلَى.

* * *

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ} أَيْ: كَمَا اسْتَهَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَسَبِيلِهِ، أُهِينُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْعَذَابِ الدَّائِمِ المستمر[3].

* * *

قَالَ: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان}

الآية {6} ولما ذكر تعالى المهتدين بالقرآن، المقبلين عليه، ذكر من أعرض عنه، ولم يرفع به رأسا، وأنه عوقب على ذلك، بأن تعوض عنه كل باطل من القول، فترك أعلى

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (6).

الأقوال، وأحسن الحديث، واستبدل به أسفل قول وأقبحه، فلذلك قال: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ} هو محروم مخذول {يَشْتَرِي} أي: يختار ويرغب رغبة من يبذل الثمن في الشيء.

{لَهْوَ الْحَدِيثِ} أي: الأحاديث الملهية للقلوب، الصادَّة لها عن أجلِّ مطلوب. فدخل في هذا كل كلام محرم، وكل لغو، وباطل، وهذيان من الأقوال المرغبة في الكفر، والفسوق، والعصيان، ومن أقوال الرادين على الحق، المجادلين بالباطل ليدحضوا به الحق، ومن غيبة، ونميمة، وكذب، وشتم، وسب، ومن غناء ومزامير شيطان، ومن الماجريات الملهية، التي لا نفع فيها في دين ولا دنيا.

فهذا الصنف من الناس، يشتري لهو الحديث، عن هدي الحديث. {لِيُضِلَّ} الناس {بِغَيْرِ عِلْمٍ} أي: بعدما ضل بفعله، أضل غيره، لأن الإضلال، ناشئ عن الضلال.

وإضلاله في هذا الحديث" صده عن الحديث النافع، والعمل النافع، والحق المبين، والصراط المستقيم.

ولا يتم له هذا، حتى يقدح في الهدى والحق، ويتخذ آيات الله هزوا ويسخر بها، وبمن جاء بها، فإذا جمع بين مدح الباطل والترغيب فيه، والقدح في الحق، والاستهزاء به وبأهله، أضل من لا علم عنده وخدعه بما يوحيه إليه، من القول الذي لا يميزه ذلك الضال، ولا يعرف حقيقته.

{أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ} بما ضلوا وأضلوا، واستهزءوا بآيات الله وكذبوا الحق الواضح.

* * *

[٧] ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وإذا تُقرأ عليه آياتنا أدبر مستكبرًا عن سماعها كأنه لم يسمعها، كأن في أذنيه صَمَمًا عن سماع الأصوات، فبشّره -أيها الرسول- ﷺ - بعذاب موجع ينتظره. (1)

* * *

يَعنْي:- وإذا تتلى عليه آيات القرآن أعرض عن طاعة الله، وتكبَّر غير معتبر، كأنه لم يسمع شيئًا، كأنَّ في أذنيه صممًا، ومَن هذه حاله فبشّره أيها الرسول- ﷺ - بعذاب مؤلم موجع في النار يوم القيامة. (2)

* * *

يَعنْي:- وإذا تتلى على هذا الضال آيات الله البينات أعرض عنها متكبراً، وحاله فى ذلك حال من لم يسمع، كأن فى أذنيه صمما، فأنذره بأن الله أعد له عذاباً شديدا الإيلام. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا}.... لا يعبأ بها.

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (411/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (411/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (612/1)، المؤلف: (لجنة من علماء -الأزهر).

{ولّى مستكبراً} .... أي: رجع في كبرياء ولم يستمع إليها كفراً وعناداً وكبراً كأن لم يسمعها.

{كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً} ....وهو الثقل الذي يغير إدراك المسموعات.

{وقرًا} ... صممًا، والوقْر: الثِّقَلُ في الأُذن.

{في أذنيه وقراً} .... أي: ثقل يمنع من السماع كالصمم.

{فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} .... وذكر البشارة على التهكم.

{فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} ... يقول تعالى ذكره: فبشر هذا المعرض عن آيات الله إذا تليت عليه استكبارا بعذاب له من الله يوم القيامة مُوجع، وذلك عذاب النار.

{فَبَشِّرْهُ } ... أي: (بِشَارَةً تُؤَثِّرُ في قَلْبِه الحُزْنَ وَالغَمَّ، وفي بُشْرَتِه السوءُ والظلمةُ والغبرةُ).

{بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} ... مُؤْلِمٌ لِقَلْبِه وَبَدَنِه، لا يقادر قدره، ولا يُدرَى بِعَظِيم أَمْرِه، فهذه بشارةُ أهلِ الشرِّ، فلا نِعْمَتِ البشارةُ.

* * *

الْقِرَاءَآت

قرأ نافع: (أُذْنَيْهِ) بإسكان الذال، والباقون: بضمها.(1)

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس):- قال: الإِمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {7} قوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذا تتلى} تقرأ {عَلَيْهِ آيَاتُنَا} بِالْأَمر وَالنَّهْي {ولى مستكبرا} رَجَعَ متعظا عَن الْإِيمَان بهَا {كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا} لم يعها {كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً} صمماً {فَبَشِّرْهُ} يَا مُحَمَّد- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم - {بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} وجيع يَوْم بدر فَقتل يَوْم بدر صبرا.(2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {7} ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا} أَيْ: هَذَا الْمُقْبِلُ عَلَى اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ وَالطَّرَبِ، إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ الْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ، وَلَّى عَنْهَا وَأَعْرَضَ وَأَدْبَرَ وَتَصَامَّ وَمَا بِهِ مِنْ صَمَمٍ، كَأَنَّهُ مَا يَسْمَعُهَا" لِأَنَّهُ يَتَأَذَّى بِسَمَاعِهَا، إِذْ لَا انْتِفَاعَ لَهُ بِهَا، وَلَا أَرَبَ لَهُ فِيهَا،

{فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} أَيْ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُؤْلِمُهُ، كَمَا تَأَلَّمَ بِسَمَاعِ كِتَابِ اللَّهِ وَآيَاتِه.(3)

* * *

قال: الشيخ (محمد الأمين الشنقيطي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- سُورَةُ لُقمَان} الآية {7} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذَا تُتْلَى

---

(1) انظر: "التيسير" للداني (ص: 99)، و "إتحاف فضلاء البشر" للدمياطي (ص: 350)، و "معجم القراءات القرآنية" (5/ 85).
وانظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (7) للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (7) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما - .

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (7).

عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}.

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن الكافر إذا تتلى عليه آيات الله، وهي القرآن العظيم، ولى مستكبرا: أي متكبرا عن قبولها، كأنه لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا أي: صمما وثقلا مانعا له من سماعها، ثم أمر نبيه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن يبشره بالعذاب الأليم. وقد أوضح جل وعلا هذا المعنى في آيات كثيرة،

كقوله تعالى: {وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (7) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (8) وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (9) مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (10)}.

وقد قال تعالى هنا {كأن في أذنيه وقرا} على سبيل التشبيه وصرح في غير هذا الموضع أنه جعل في أذنيه الوقر بالفعل، في قوله: {إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا}. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): في قوله: {فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا}، يقول: ثقلا. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقْمَان}

الآية {7} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا} ليؤمن بها وينقاد لها، {وَلَّى مُسْتَكْبِرًا} أي: أدبر إدبار مستكبر عنها، راد لها، ولم تدخل قلبه ولا أثرت فيه، بل أدبر عنها {كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا} بل {كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا} أي: صمما لا تصل إليه الأصوات" فهذا لا حيلة في هدايته.

{فَبَشِّرْهُ} بشارة تؤثر في قلبه الحزن والغم" وفي بشرته السوء والظلمة والغبرة. {بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} مؤلم لقلبه" ولبدنه" لا يقادر قدره" ولا يدرى بعظيم أمره، وهذه بشارة أهل الشر، فلا نعمت البشارة. (3)

* * *

[٨] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية

إن الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات، لهم جنات النعيم، يتنعمون فيما أعدّ الله لهم فيها. (4)

* * *

يَعنِي:- إن الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات التي أُمروا بها، أولئك لهم نعيم مقيم في الجنات. (5)

---

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (لقمان) الآية (7).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (131/20).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (7) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (411/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (411/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

* * *

يَعنِـي:- إن الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الطيبة الصالحة لهم جنات النعيم.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ} .... لما ذكر الكفرة وتوعدهم بالنار، عقب بذكر المؤمنين، ووعدهم بجنات النعيم" ليبين الفرق.

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا} ... بالله فوحدوه، وصدّقوا رسوله واتبعوه.

{وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} ... يقول: فأطاعوا الله، فعملوا بما أمرهم في كتابه وعلى لسان رسوله، وانتهوا عما نهاهم عنه.

{لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ} .... يقول: لهؤلاء بساتين النعيم.

{جَنَّاتُ النَّعِيمِ} .... ينعمون فيها.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَة لُقمَان} الآية {8} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِين آمَنُوا} بِمُحَمَّد- صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- وَالْقُرْآن. {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} الطَّاعَات فِيمَا بَينهم وَبَين رَبهم {لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ} لا يفنى نعيمها.(2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {8} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ}.

هَذَا ذِكْرُ مَآلِ الْأَبْرَارِ مِنَ السُّعَدَاءِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ الْمُتَابِعَةَ لِشَرِيعَةِ اللَّهِ.

{لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ} أَيْ: يَتَنَعَّمُونَ فِيهَا بِأَنْوَاعِ الْمَلَاذِّ وَالْمَسَارِّ، مِنَ الْمَآكِلِ وَالْمَشَارِبِ، وَالْمَلَابِسِ وَالْمَسَاكِنِ، وَالْمَرَاكِبِ وَالنِّسَاءِ، وَالنَّضْرَةِ وَالسَّمَاعِ الَّذِي لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِ أَحَدٍ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ مُقِيمُونَ دَائِمًا فِيهَا، لا يَظْعَنُونَ، وَلاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا.(3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {8} وأما بشارة أهل الخير فقال: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} جمعوا بين عبادة الباطن بالإيمان، والظاهر بالإسلام، والعمل الصالح.

{لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ} بشارة لهم بما قدموه، وقرى لهم بما أسلفوه.(4)

* * *

[٩] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ماكثين فيها، وعدهم الله بذلك وعداً حقًّا لا شك فيه، وهو سبحانه العزيز الذي لا

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (612/1)، المؤلف: (لجنة من علماء -الأزهر).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَة (لُقمَان) الآية (8) يُنسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَة (لُقمَان) الآية (8).

(4) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَة (لُقمَان) الآية (8) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

يغالبه أحد، الحكيم في خلقه وتقديره وشرعه. (1)

* * *

يَعْنِي:- وحياتهم في تلك الجنات حياة أبدية لا تنقطع ولا تزول، وعدهم الله بذلك وعداً حقاً. وهو سبحانه لا يُخلف وعده، وهو العزيز في أمره، الحكيم في تدبيره. (2)

* * *

يَعْنِي:- يبقون فيها على وجه الخلود: وعدهم الله وعْداً لا يتخلف، والله الغالب على كل شئ. الحكيم فى أقواله وأفعاله. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{خالدين فيها}... ماكثين فيها إلى غير نهاية.

{وَعْدَ الله حَقًّا}... وعدهم الله وعدا حقا، لا شكّ فيه ولا خلف له.

{وَهُوَ العَزِيزُ}... وهو الشديد في انتقامه من أهل الشرك به، والصادّين عن سبيله.

{العَزِيزُ}.... الذي لا يغلبه شيء.

{الْحَكِيمُ}.... في أفعاله. (أي: في تدبير خلقه.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):-{سُورَةُ لُقمَان}الآية{9}قَوْلُهُ تَعَالَى: {خَالِدِينَ فِيهَا} مقيمين فيها لا يموتون ولا يخرجون منها {وَعْدَ الله} الْمُؤمنِينَ بِالْجنَّة {حَقّاً} صدقا {وَهُوَ الْعَزِيز} فِي ملكه وسلطانه {الْحَكِيم} فِي أمره وقضائه. (4)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية{9} قَوْلُهُ تَعَالَى: { خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}.

وَهُمْ فِي ذَلِكَ مُقِيمُونَ دَائِمًا فِيهَا، لَا يَظْعَنُونَ، وَلَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا.

وَقَوْلُهُ: {وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا} أَيْ: هَذَا كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ" لِأَنَّهُ مِنْ وَعْدِ اللَّهِ، وَاللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ" لِأَنَّهُ الْكَرِيمُ الْمَنَّانُ، الْفَعَّالُ لِمَا يَشَاءُ، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ،

{وَهُوَ الْعَزِيزُ} الَّذِي قَدْ قَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ، وَدَانَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ،

{الْحَكِيمُ} فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، الَّذِي جَعَلَ الْقُرْآنَ هُدًى لِلْمُؤْمِنِينَ.

{قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى} {فُصِّلَتْ: 44}،

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (411/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (411/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (612/1)، المؤلف: (لجنة من علماء -الأزهر).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية () ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما –.

{وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا} {الْإِسْرَاءِ: 82}.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان}

الآية {9} قَوْلُهُ تَعَالَى: {خَالِدِينَ فِيهَا}

أي: في جنات النعيم، نعيم القلب والروح، والبدن.

{وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا} لا يمكن أن يخلف، ولا يغير، ولا يتبدل.

{وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} كامل العزة، كامل الحكمة، من عزته وحكمته، وفق من وفق، وخذل من خذل، بحسب ما اقتضاه علمه فيهم وحكمته.(2)

* * *

[١٠] ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

خلق الله سبحانه وتعالى السماوات مرفوعة بغير أَعْمِدَة، ونصب في الأرض جبالًا ثوابت حتى لا تضطرب بكم، وبث فوق الأرض أنواع الحيوان، وأنزلنا من السماء ماء المطر، فأنبتنا في الأرض من كل صنف بَهِيج المنظر ينتفع به الناس والدواب.(3)

* * *

يَعْنِي:- خلق الله السموات، ورفعها بغير عمد كما تشاهدونها، وألقى في الأرض جبالا ثابتة" لئلا تضطرب وتتحرك فتفسد حياتكم، ونشر في الأرض مختلف أنواع الدواب، وأنزلنا من السحاب مطرًا، فأنبتنا به من الأرض من كل زوج بهيج نافع حسن المنظر.(4)

* * *

يَعْنِي:- خلق الله السموات من غير عُمُد مرئية لكم، وجعل فى الأرض جبالا ثوابت، لئلا تضطرب بكم، ونشر فيها من كل الحيوانات التى تدب وتتحرك، وأنزلنا من السماء ماء، فأنبتنا به فى الأرض من كل صنف حسن كثير المنافع.(5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ} ..... جمع أعمدة، وهي جمع عمود البيت" يعني: السواري.

{تَرَوْنَهَا} .... استشهاد برؤيتهم لها كذلك، والمراد: نفي العمد أصلًا، وهو الأصح، فهي واقفة كالقبة، والقدرة أعظم من ذلك.

{تَرَوْنَهَا} .... الضمير للسموات.

---

(1) انظُر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (9).

(2) انظُر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (9) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (411/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (411/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (612/1)، المؤلف: (لجنة من علماء -الأزهر).

{وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ} .... جبالًا رست" أي: ثبتت في الأرض.

{وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ}... يقول: وجعل على ظهر الأرض رواسي، وهي ثوابت الجبال أن تميد بكم أن لا تميد بكم.

يقول: أن لا تضطرب بكم، ولا تتحرّك يمنة ولا يسرة، ولكن تستقرّ بكم.

{رواسي} .... جبالاً راسية وثابتةً.

{أَنْ تَميدَ بِكُمْ} .... لئلا تضطرب بكم.

{أن تَميدَ} ... لِئَلاَ تَضْطَرِبَ وَتَتَحرَكَ.

(أي: لئلا تميد بكم وتضطرب.

{وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ} ..... ثم رجع من الغيبة إلى الحضور.

(أي: يقول: وفرّق في الأرض من كل أنواع الدوابّ.

وقيل: الدوابّ اسم لكلّ ما أكل وشرب، وهو عندي لكلّ ما دبّ على الأرض).

{وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ} ... أي: نَشَرَ في الأرض الواسعة من جميعِ أصناف الدوابِّ التي هي مُسَخَّرَةٌ لِبَنِي آدمَ، ولمصالحهم ومَنَافِعهم.

(أي: وخلق ونشر فيها من صنوف الدواب وهي كل ما يدب في الأرض).

{وبَثَّ} .... ونشر.

{فيها } ...أي: فى الأرض.

{مِنْ كُلِّ دابَّةٍ} .... من كل الحيوانات التي تدب وتتحرك.

فقال: {وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ} .... والزوج في اللغة: النوع والصنف، وليس بالذي هو ضد الفرد،

{مِنْ كل زَوْجٍ كَرِيم } .... أي: من كل صنف من النباتات جميل نافع لا ضرر فيه.

{زَوْجٍ كَرِيمٍ} ... صِنْفٍ بَهِيجٍ نَافِعٍ حَسَنِ الْمَنْظَرِ.

وقوله: {كَرِيمٍ} أي: كثير المنفعة.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس):- قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {10} قَوْلُهُ تَعَالَى: {خَلَقَ} الله {السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا} بِلاَ عمد ويُقَال بعمد لاَ ترونها {وَأَلْقَى فِي الأَرْض} خلق للأَرْض {رَوَاسِيَ} الْجبَال الثوابت أوتاداً لَهَا {أَن تَمِيدَ بِكُمْ} لكَي لاَ تميد بكم {وَبَثَّ فِيهَا} خلق وَبسط فِي الأَرْض {مِن كُلِّ دَابَّةٍ} فِيهَا الرّوح {وَأَنْزَلْنَا مِنَ السمآءِ مَآءً} مطَرا {فَأَنْبَتْنَا فِيهَا} الأَرْض {مِن كُلِّ زَوْجٍ} لون {كَرِيمٍ} حسن.[1]

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن)- عن (قتادة): {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا} قال: قال: (الحسن) و(قتادة): إنها بغير عمد ترونها، ليس لها عمد.

وقال: (ابن عباس): {بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا} قال: لها عمد لا ترونها.[2]

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن)- عن (قتادة): {وَأَلْقَى فِي

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (10) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (132/20-133).

الْأَرْض رَوَاسِيَ} أي: جبالا {أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ} أثبتها بالجبال.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن)- عن (قتادة): {مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ} أي: حسن.(2)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {10} قَوْلُهُ تَعَالَى: { خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْض رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ} حسن.(3)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {10} قَوْلُهُ تَعَالَى: {خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْض رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ} .

يُبَيِّنُ سُبْحَانَهُ بِهَذَا قدرته العظيمة على خلق السموات وَالْأَرْض، وَمَا فِيهِمَا وَمَا بَيْنَهُمَا، فَقَالَ: {خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ} ، قَالَ: (الْحَسَنُ)، وَ(قَتَادَةُ): لَيْسَ لَهَا عَمَدٌ مَرْئِيَّةٌ وَلَا غَيْرُ مَرْئِيَّةٍ.

* * *

وَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ)، وَ(عِكْرِمَةُ)، وَ(مُجَاهِدٌ): لَهَا عُمُدٌ لَا تَرَوْنَهَا. وَقَدْ تَقَدَّمَ تَقْرِيرُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فِي أَوَّلِ سُورَةِ "الرَّعْدِ" بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ.

* * *

{وَأَلْقَى فِي الأرْض رَوَاسِيَ} يَعْنِي: الْجِبَالُ أَرْسَتِ الْأَرْضَ وَثَقَّلَتْهَا لِئَلَّا تَضْطَرِبَ بِأَهْلِهَا عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ"

ولهذا قال: {أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ} أي: لئلا تميد بكم.

وقوله: {وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ} أَيْ: وَذَرَأَ فِيهَا مِنْ أَصْنَافِ الْحَيَوَانَاتِ مِمَّا لَا يَعْلَمُ عدد أشكالها وألوانها إلا الَّذِي خَلَقَهَا.

وَلَمَّا قَرَّرَ أَنَّهُ الْخَالِقُ نَبَّهَ عَلَى أَنَّهُ الرَّازِقُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَأَنزلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ} أَيْ: مِنْ كُلِّ زَوْجٍ مِنَ النَّبَاتِ كَرِيمٍ، أَيْ: حَسَنِ الْمَنْظَرِ.

* * *

وَقَالَ: (الشَّعْبِيُّ): وَالنَّاسُ -أَيْضًا -مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ، فَمَنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ فَهُوَ كَرِيمٌ، وَمَنْ دَخَلَ النَّارَ فَهُوَ لَئِيمٌ.(4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {10} قَوْلُهُ تَعَالَى: {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الأرْض رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ} .

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (133/20).
(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (133/20).
(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (لُقمَان) الآية (10).
(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (10).

يتلو تعالى على عباده، آثارا من آثار قدرته، وبدائع من بدائع حكمته، ونعما من آثار رحمته، فقال: {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ} السبع على عظمها، وسعتها، وكثافتها، وارتفاعها الهائل.

{بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا} أي: ليس لها عمد، ولو كان لها عمد لرئيت، وإنما استقرت واستمسكت، بقدرة الله تعالى.

{وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ} أي: جبالا عظيمة، ركزها في أرجائها وأنحائها، لئلا {تَمِيدَ بِكُمْ} فلولا الجبال الراسيات لمادت الأرض، ولما استقرت بساكنيها.

{وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ} أي: نشر في الأرض الواسعة، من جميع أصناف الدواب، التي هي مسخرة لبني آدم، ولمصالحهم، ومنافعهم.

ولما بثها في الأرض، علم تعالى أنه لا بد لها من رزق تعيش به، فأنزل من السماء ماء مباركا،

{فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ} المنظر، نافع مبارك، فرتعت فيه الدواب المنبثة، وسكن إليه كل حيوان. (1)

* * *

[١١] ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

هذا المذكور خلق الله، فأروني - أيها المشركون - ماذا خلق الذين تعبدونهم من دون الله؟! بل الظالمون في ضلال واضح عن الحق، حيث يشركون مع ربهم من لا يخلق شيئًا وهم يُخْلقون. (2)

* * *

يَعْنِي:- وكل ما تشاهدونه هو خلق الله، فأروني -أيها المشركون-: ماذا خلقت آلهتكم التي تعبدونها من دون الله؟ بل المشركون في ذهاب بيِّن عن الحق والاستقامة. (3)

* * *

يَعْنِي:- هذا مخلوق الله أمامكم، فأروني ماذا خلق الذين تجعلونهم آلهة من دونه حتى يكونوا شركاء له؟ بل الظالمون - بإشراكهم - في ضلال واضح. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{هَذَا خَلْقُ اللَّهِ} .... يعني: الذي ذكرتُ مما تعاينون مخلوقُ الله.

(أي: المذكور مخلوقة لله تعالى إذ هو الخالق لكل شيء).

{فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ} .... من آلهتكم التي تعبدونها.

{الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ} .... آلهتهم.

{مِن دونِه} .... أي: من الآلهة المزعومة التي يعبدها الجاهلون.

{بل الظالمون} .... أي: المشركون.

{بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} .... أي: بل هذا الذي قريش فيه ضلال مبين، فذكرهم

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (10) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (411/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (411/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (612/1)، المؤلف: (لجنة من علماء -الأزهر).

بالصفة التي تعم معهم سواهم ممن فعل فعلهم من الأمم.

{بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ} ... يقول تعالى ذكره: ما عبد هؤلاء المشركون الأوثان والأصنام من أجل أنها تخلق شيئا، ولكنهم دعاهم إلى عبادتها ضلالهم، وذهابهم عن سبيل الحق، فهم في ضلال: يقول: فهم في جور عن الحقّ، وذهاب عن الاستقامة مبين: يقول: يبين لمن تأمله، ونظر فيه وفكَّر بعقل أنه ضلال لا هدى. (1)

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس):- قال: الإِمَام (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):- {سُورَةَ لُقمَان} الآية {11} قَوْلُهُ تَعَالَى: {هَذَا خلق الله} هَذَا مَخْلُوق أَنا خلقته {فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذين من دُونه} من دون الله يَعْنِي الْأَوْثَان {بَلِ الظَّالِمُونَ} الْمُشْركُونَ {فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} في خطأ بَين. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

(بسنده الحسن)– عن (قتادة): قوله: {هَذَا خَلْقُ الله} ما ذكر من خلق السماوات والأرض، وما بث من الدواب، وما أنبت من كل زوج كريم،

{فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ} الأصنام الذين تدعون من دونه. (3)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-{سُورَة لُقمَان} الآية {11} قَوْلُهُ تَعَالَى: {هَذَا} يَعْنِي الَّذِي ذَكَرْتُ مِمَّا تُعَايِنُونَ، {خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ} مِنْ آلِهَتِكُمُ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا، {بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}. (4)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {11} قَوْلُهُ تَعَالَى: {هَذَا خَلْقُ اللَّهِ} أَيْ: هذا الذي ذكره تعالى من خلق السموات، وَالْأَرْض وَمَا بَيْنَهُمَا، صَادِرٌ عَنْ فعل اللَّه وَخَلْقه وَتَقْدِيره، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي ذَلِكَ" وَلِهَذَا قَالَ: {فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ} أَيْ: مِمَّا تَعْبُدُونَ وَتَدْعُونَ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ،

{بَلِ الظَّالِمُونَ} يَعْنِي: الْمُشْرِكِينَ بِاللَّهِ الْعَابِدِينَ مَعَهُ غَيْرَهُ.

{فِي ضَلَالٍ} أَيْ: جَهْلٍ وَعَمًى،

{مُبِينٍ} أَيْ: وَاضِحٌ ظَاهِرٌ لَا خَفَاءَ بِهِ. (5)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-{سُورَةُ لُقمَان} الآية {11} قَوْلُهُ تَعَالَى: {هَذَا} أي: خلق العالم العلوي والسفلي، من جماد، وحيوان، وسوْق أرزاق الخلق إليهم.

{خَلْقُ اللَّهِ} وحده لا شريك له، كل مقر بذلك حتى أنتم يا معشر المشركين.

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (134/20).
(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (11) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما –.
(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (134/20).

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (لُقمَان) الآية (11).
(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (11).

{فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ} أي: الذين جعلتموهم له شركاء، تدعونهم وتعبدونهم، يلزم على هذا، أن يكون لهم خلق كخلقه، ورزق كرزقه، فإن كان لهم شيء من ذلك فأروني‍ه، ليصح ما ادعيتم فيهم من استحقاق العبادة.

ومن المعلوم أنهم لا يقدرون أن يروه شيئاً من الخلق لها، لأن جميع المذكورات، قد أقروا أنها خلق الله وحده، ولا ثمَّ شيء يعلم غيرها، فثبت عجزهم عن إثبات شيء لها تستحق به أن تعبد.

ولكن عبادتهم إياها، عن غير علم وبصيرة، بل عن جهل وضلال،

ولهذا قال: {بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} أي: جَلِيٍ واضح حيث عبدوا من لا يملك نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، وتركوا الإخلاص للخالق الرازق المالك لكل الأمور.(1)

* * *

﴿مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ﴾

- طاعة الله تقود إلى الفلاح في الدنيا والآخرة.
- تحريم كل ما يصد عن الصراط المستقيم من قول أو فعل.
- التكبر مانع من اتباع الحق.
- انفراد الله بالخلق، وتحدّي الكفار أن تخلق آلهتهم شيئاً.(2)

* * *

[١٢] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولقد أعطينا لقمان الفقه في الدين والإصابة في الأمور، وقلنا له: اشكر -يا لقمان- لربك ما أنعم به عليك من التوفيق لطاعته، ومن يشكر ربه فإنما نفع شكره عائد إلى نفسه، فالله غني عن شكره، ومن جَحَدَ نعمة الله عليه فكفر به سبحانه فإنما ضرر كفره عليه ولا يضر الله شيئًا فهو غني عن خلقه جميعًا، محمود على كل حال.(3)

* * *

يَعْنِي:- ولقد أعطينا عبدًا صالحًا من عبادنا (وهو لقمان) الحكمة، وهي الفقه في الدين وسلامة العقل والإصابة في القول، وقلنا له: اشكر لله نعَمَه عليك، ومَن يشكر لربه فإنما يعود نَفْع ذلك عليه، ومن جحد نِعَمَه فإن الله غني عن شكره، غير محتاج إليه، له الحمد والثناء على كل حال.(4)

* * *

يَعْنِي:- ولقد أعطينا لقمان الحكم والعلم والإصابة في القول، وقلنا له: اشكر الله على ما أعطاك من النعم. ومن يشكر فإنما

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (11) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (411/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (412/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (412/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

يبتغي الخير لنفسه، ومن كفر النعم ولم يشكرها فإن الله غير محتاج إلى شكره، وهو مستحق للحمد وإن لم يحمده أحد.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ} .... وهو ابن ناعور ابن أخت أيوب -عليه السلام، وقيل: غير ذلك.

{ولقد آتينا لقمان الحكمة} ..... أي: أعطينا لقمان (2) القاضي: أي الفقه في الدين والعقل والإصابة في الأمور.

{الْحِكْمَةَ} ... الفِقْهَ فِي الدِّينِ، وَالإِصَابَةَ فِي القَوْلِ.

{الْحِكْمَةَ} .... العقل والعلم، ولم يكن نبيًّا، وكان قاضيًا في بني إسرائيل في زمن داود -عليه السلام-، روي أنه خيره الله بين النبوة والحكمة، فاختار الحكمة.

{أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ} .... أي: اشكر لله ما أنعم عليك بطاعته وذكره.

(أي: وقلنا له: أن اشكر لله على ما أعطاك من الحكمة).

{وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ} .... لأن ثوابه له.

{وَمَنْ كَفَرَ} .... بالنعم. (أي: نعمة ربه).

{فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} .... عن خلقه.

{غَنِيٌّ} .... عن عبادة خلقه، أو غير محتاج الى الشكر.

{حَمِيدٌ} .... محمود على صنعه.

(أي: محمود عند الخلق، أو حقيق بأن يحمد وان لم يحمده أحد).

* * *

وروي عن (ابن عمر): أنه قال: سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: ((حقًّا أقوله، لم يكن لقمان نبيًّا، ولكن كان عبدًا كثيرَ التفكر، حسنَ اليقين، أحب الله تعالى، فأحبه، فمنَّ عليه بالحكمة)).(3)

انتهى، وكان يؤازر داود" لحكمته، وعاش ألف سنة، وقبرُ لقمان بقرية صرفند ظاهر مدينة رملة فلسطين، وعليه مشهد، وهو مقصود للزيارة،

وقال: (قتادة): قبره بالرملة ما بين مسجدها وسوقها، وهناك قبور سبعين نبيًّا ماتوا بعد لقمان جوعًا في يوم واحد، أخرجهم بنو إسرائيل من القدس، فألجؤوهم إلى الرملة، ثم أحاطوا بهم هناك، فتلك قبورهم.(4)

* * *

﴿الْقِرَاءَآت﴾

قرأ (نافع)، و(أبو جعفر)، و(ابن كثير)، و(ابن عامر)، و(الكسائي)، و(خلف): (أَنُ

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (613/1)، المؤلف: (لجنة من علماء -الأزهر).

(2) هو (لقمان بن باعوراء بن ناصور بن تارح وهو آزر أبو إبراهيم) كذا نسبه ابن إسحاق وقال السهيلي هو لقمان بن عتفاد بن سرون وكان نوبيا من أهل أيلة،

قال (وهب): كان ابن أخت أيوب أو ابن خالته عاش ألف سنة وأدركه داود عليه السلام وكان رجلاً حكيماً ولم يكن نبياً ومن حكمه قوله إن القلب واللسان إذا طابا فليس شيء أطيب منهما وإذا خبثا فليس شيء أخبث منهما وقوله وقد قيل له أي الناس شر؟ قال الذي لا يبالي أن رآه الناس مسيئاً وقوله الصمت حكمة وقليل فاعله.

انظُر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (12)، المؤلف: الشيخ (جابربن أبو بكر الجزائري).

(3) رواه (الديملي) في (مسند الفردوس) برقم (5384)، و(ابن عساكر) في (تاريخ دمشق) برقم (17/ 85).

(4) انظُر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (12) للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

اشْكُرْ) بضم النون في الوصل، والباقون: بالكسر.(1)

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمَام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {12} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا} أعطينا {لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ} الْعلم والفهم وإصابة القَوْل وَالْفِعْل {أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ} بِالتَّوْحِيد وَالطَّاعَة {وَمَن يَشْكُرْ} نعْمَته بِالتَّوْحِيد وَالطَّاعَة {فَإِنَّمَا يَشْكُرُ} بِالتَّوْحِيد وَالطَّاعَة {لِنَفْسِهِ} الثَّوَاب {وَمَن كَفَرَ} نعْمَته {فَإِنَّ الله غَنِيٌّ} عَن شكره {حَمِيدٌ} فِي أَفعاله.(2)

* * *

أخرج - الإمام (الطبري)، والإمام (آدم بن أبي إياس) - (رحمهما الله): - (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): قوله: {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ} قال: الفقه والعقل والإصابة في القول من غير نبوة.(3)(4)

* * *

قوله تعالى: {أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ}.

قال تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} {إبراهيم: 7}.

(1) انظر: "الغيث" للصفاقسي (ص: 322)، و "معجم القراءات القرآنية" (5/ 85).
وانظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (12) للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).
(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (12) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.
(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (20/ 134).
(4) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (4/ 93)، للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين).

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {12} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ} يَعْنِي: الْعَقْلَ وَالْعِلْمَ وَالْعَمَلَ بِهِ والإصابة في الأمور {أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ}.(5)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {12-19} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ * وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} إلى آخر القصة.

يخبر تعالى عن امتنانه على عبده الفاضل لقمان، بالحكمة، وهي العلم بالحق على وجهه وحكمته، فهي العلم بالأحكام، ومعرفة ما فيها من الأسرار والإحكام، فقد يكون الإنسان عالما، ولا يكون حكيما.

وأما الحكمة، فهي مستلزمة للعلم، بل وللعمل، ولهذا فسرت الحكمة بالعلم النافع، والعمل الصالح.

ولما أعطاه الله هذه المنة العظيمة، أمره أن يشكره على ما أعطاه، ليبارك له فيه، وليزيده من فضله، وأخبره أن شكر الشاكرين، يعود نفعه عليهم، وأن من كفر

(5) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (لُقمَان) الآية (12).

فلم يشكر الله، عاد وبال ذلك عليه. والله غني عنه حميد فيما يقدره ويقضيه، على من خالف أمره، فغناه تعالى، من لوازم ذاته، وكونه حميدا في صفات كماله، حميدا في جميل صنعه، من لوازم ذاته، وكل واحد من الوصفين، صفة كمال، واجتماع أحدهما إلى الآخر، زيادة كمال إلى كمال.

واختلف المفسرون، هل كان لقمان نبيا، أو عبدا صالحا؟ والله تعالى لم يذكر عنه إلا أنه آتاه الحكمة، وذكر بعض ما يدل على حكمته في وعظه لابنه، فذكر أصول الحكمة وقواعدها الكبار فقال: {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ} .أو قال له قولا به يعظه بالأمر، والنهي، المقرون بالترغيب والترهيب، فأمره بالإخلاص، ونهاه عن الشرك، وبيَّن له السبب في ذلك فقال: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} ووجه كونه عظيما، أنه لا أفظع وأبشع ممن سَوَّى المخلوق من تراب، بمالك الرقاب، وسوَّى الذي لا يملك من الأمر شيئا، بمن له الأمر كله، وسوَّى الناقص الفقير من جميع الوجوه، بالرب الكامل الغني من جميع الوجوه، وسوَّى من لم ينعم بمثقال ذرة من النعم بالذي ما بالخلق من نعمة في دينهم، ودنياهم وأخراهم، وقلوبهم، وأبدانهم، إلا منه، ولا يصرف السوء إلا هو، فهل أعظم من هذا الظلم شيء؟!!.

وهل أعظم ظلما ممن خلقه الله لعبادته وتوحيده، فذهب بنفسه الشريفة، فجعلها في أخس المراتب جعلها عابدة لمن لا يسوى شيئا، فظلم نفسه ظلما كبيرا.

ولما أمر بالقيام بحقه، بترك الشرك الذي من لوازمه القيام بالتوحيد، أمر بالقيام بحق الوالدين فقال: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ} أي: عهدنا إليه، وجعلناه وصية عنده، سنسأله عن القيام بها، وهل حفظها أم لا؟ فوصيناه {بِوَالِدَيْهِ} وقلنا له: {اشْكُرْ لِي} بالقيام بعبوديتي، وأداء حقوقي، وأن لا تستعين بنعمي على معصيتي.

{وَلِوَالِدَيْكَ} بالإحسان إليهما بالقول اللين، والكلام اللطيف، والفعل الجميل، والتواضع لهما، وإكرامهما وإجلالهما، والقيام بمئونتهما واجتناب الإساءة إليهما من كل وجه، بالقول والفعل.

فوصيناه بهذه الوصية، وأخبرناه أن {إِلَيَّ الْمَصِيرُ} أي: سترجع أيها الإنسان إلى من وصاك، وكلفك بهذه الحقوق، فيسألك: هل قمت بها، فيثيبك الثواب الجزيل؟ أم ضيعتها، فيعاقبك العقاب الوبيل؟.

ثم ذكر السبب الموجب لبر الوالدين في الأم، فقال: {حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ} أي: مشقة على مشقة، فلا تزال تلاقي المشاق، من حين يكون نطفة، من الوحم، والمرض، والضعف، والثقل، وتغير الحال، ثم وجع الولادة، ذلك الوجع الشديد.

ثم {فِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ} وهو ملازم لحضانة أمه وكفالتها ورضاعها، أفما يحسن بمن تحمل على ولده هذه الشدائد، مع شدة الحب، أن يؤكد على ولده، ويوصي إليه بتمام الإحسان إليه؟

{وَإِنْ جَاهَدَاكَ} أي: اجتهد والداك {عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا}

ولا تظن أن هذا داخل في الإحسان إليهما، لأن حق الله، مقدم على حق كل أحد، و "لا طاعة لمخلوق، في معصية الخالق"

ولم يقل: "وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فعقهما" بل قال: {فَلَا تُطِعْهُمَا} أي: بالشرك، وأما برهما، فاستمر عليه، ولهذا قال: {وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا} أي: صحبة إحسان إليهما بالمعروف، وأما اتباعهما وهما بحالة الكفر والمعاصي، فلا تتبعهما.

{وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ} وهم المؤمنون بالله، وملائكته وكتبه، ورسله، المستسلمون لربهم، المنيبون إليه.

واتباع سبيلهم، أن يسلك مسلكهم في الإنابة إلى الله، التي هي انجذاب دواعي القلب وإراداته إلى الله، ثم يتبعها سعي البدن، فيما يرضي الله، ويقرب منه.

{ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ} الطائع والعاصي، والمنيب، وغيره.

{فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} فلا يخفى على الله من أعمالهم خافية.

{يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ} التي هي أصغر الأشياء وأحقرها،

{فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ} أي: في وسطها.

{أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ} في أي جهة من جهاتها.

{يَأْتِ بِهَا اللَّهُ} لسعة علمه، وتمام خبرته وكمال قدرته، ولهذا قال: {إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ} أي: لطف في علمه وخبرته، حتى اطلع على البواطن والأسرار، وخفايا القفار والبحار.

والمقصود من هذا، الحث على مراقبة الله، والعمل بطاعته، مهما أمكن، والترهيب من عمل القبيح، قَلَّ أو كَثُرَ.

{يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ} حثه عليها، وخصها لأنها أكبر العبادات البدنية،

{وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ} وذلك يستلزم العلم بالمعروف ليأمر به، والعلم بالمنكر لينهى عنه.

والأمر بما لا يتم الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر إلا به، من الرفق، والصبر، وقد صرح به في قوله: {وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ} ومن كونه فاعلا لما يأمر به، كافًا لما ينهى عنه، فتضمن هذا، تكميل نفسه بفعل الخير وترك الشر، وتكميل غيره بذلك، بأمره ونهيه.

ولما علم أنه لا بد أن يبتلى إذا أمر ونهى وأن في الأمر والنهي مشقة على النفوس، أمره بالصبر على ذلك فقال: {وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ} الذي وعظ به لقمان ابنه {مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} أي: من الأمور التي يعزم عليها، ويهتم بها، ولا يوفق لها إلا أهل العزائم.

{وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ} أي: لا تُمِلْهُ وتعبس بوجهك الناس، تكبُّرًا عليهم، وتعاظما.

{وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا} أي: بطرا، فخرا بالنعم، ناسيا المنعم، معجبا بنفسك.

{إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ} في نفسه وهيئته وتعاظمه {فَخُورٍ} بقوله.

{وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ} أي: امش متواضعا مستكينا، لا مَشْيَ البطر والتكبر، ولا مشي التماوت.

{وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ} أدبا مع الناس ومع الله، {إِنَّ أَنْكَرَ الأصْوَاتِ} أي: أفظعها وأبشعها {لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} فلو كان في رفع الصوت البليغ فائدة ومصلحة، لما اختص بذلك الحمار، الذي قد علمت خسته وبلادته.

وهذه الوصايا، التي وصى بها لقمان لابنه، تجمع أمهات الحكم، وتستلزم ما لم يذكر منها، وكل وصية يقرن بها ما يدعو إلى فعلها، إن كانت أمرا، وإلى تركها إن كانت نهيا.

وهذا يدل على ما ذكرنا في تفسير الحكمة، أنها العلم بالأحكام، وحِكَمها ومناسباتها، فأمره بأصل الدين، وهو التوحيد، ونهاه عن الشرك، وبيَّن له الموجب لتركه، وأمره ببر الوالدين، وبين له السبب الموجب لبرهما، وأمره بشكره وشكرهما، ثم احترز بأن محل برهما وامتثال أوامرهما، ما لم يأمرا بمعصية، ومع ذلك فلا يعقهما، بل يحسن إليهما، وإن كان لا يطيعهما إذا جاهداه على الشرك. وأمره بمراقبة الله، وخوَّفه القدوم عليه، وأنه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من الخير والشر، إلا أتى بها.

ونهاه عن التكبر، وأمره بالتواضع، ونهاه عن البطر والأشر، والمرح، وأمره بالسكون في الحركات والأصوات، ونهاه عن ضد ذلك.

وأمره بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة الصلاة، وبالصبر اللذين يسهل بهما كل أمر، كما قال تعالى فحقيق بمن أوصى بهذه الوصايا، أن يكون مخصوصا بالحكمة، مشهورا بها. ولهذا من منة الله عليه وعلى سائر عباده، أن قص عليهم من حكمته، ما يكون لهم به أسوة حسنة.(1)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقْمَانَ} الآية {12} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ}.

اخْتَلَفَ السَّلَفُ فِي لُقْمَانَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ: هَلْ كَانَ نَبِيًّا، أَوْ عَبْدًا صَالِحًا مِنْ غَيْرِ نُبُوَّةٍ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ، الْأَكْثَرُونَ عَلَى الثَّانِي.

* * *

وَقَالَ: (سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ)، عَنِ (الْأَشْعَثِ)، عَنْ (عِكْرِمَةَ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) قَالَ: كَانَ لُقْمَانُ عَبْدًا حَبَشِيًّا نَجَّارًا.

* * *

وَقَالَ: (قَتَادَةُ)، عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ)، قُلْتُ لـ(جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ): مَا انْتَهَى إِلَيْكُمْ مِنْ شَأْنِ لُقْمَانَ؟ قَالَ: كَانَ قَصِيرًا أَفْطَسَ مِنَ النُّوبَةِ.

* * *

وَقَالَ: (يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيُّ)، عَنْ (سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ) قَالَ: كَانَ لُقْمَانُ مِنْ سُودَانِ مِصْرَ، ذَا مَشَافِرَ، أَعْطَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ وَمَنَعَهُ النُّبُوَّةَ.

* * *

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (20-21) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

وَقَالَ (الْأَوْزَاعِيُّ): - رَحِمَهُ اللَّهُ-، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَرْمَلَةَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ أَسْوَدُ إِلَى (سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ) يَسْأَلُهُ، فَقَالَ لَهُ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: لَا تَحْزَنْ مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ أَسْوَدَ، فَإِنَّهُ كَانَ مِنْ أَخْيَرِ النَّاسِ ثَلَاثَةٌ مِنَ السُّودَانِ: بِلَالٌ، وَمِهْجَعٌ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَلُقْمَانُ الْحَكِيمُ، كَانَ أَسْوَدَ نُوبِيًّا ذَا مَشَافِرَ (1).

* * *

وَقَالَ (ابْنُ جَرِيرٍ): حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ أَبِي الْأَشْهَبِ، عَنْ (خَالِدٍ الرَّبَعِيِّ) قَالَ: كَانَ لُقْمَانُ عَبْدًا حَبَشِيًّا نَجَّارًا، فَقَالَ لَهُ مَوْلَاهُ: اذْبَحْ لَنَا هَذِهِ الشَّاةَ. فَذَبَحَهَا، فَقَالَ: أَخْرِجْ أَطْيَبَ مُضْغَتَيْنِ فِيهَا. فَأَخْرَجَ اللِّسَانَ وَالْقَلْبَ، فَمَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ: اذْبَحْ لَنَا هَذِهِ الشَّاةَ. فَذَبَحَهَا، فَقَالَ: أَخْرِجْ أَخْبَثَ مُضْغَتَيْنِ فِيهَا. فَأَخْرَجَ اللِّسَانَ وَالْقَلْبَ، فَقَالَ لَهُ مَوْلَاهُ: أَمَرْتُكَ أَنْ تخرج أطيب مُضْغَتَيْنِ فِيهَا فَأَخْرَجْتَهُمَا، وَأَمَرْتُكَ أَنْ تُخْرِجَ أَخْبَثَ مُضْغَتَيْنِ فِيهَا فَأَخْرَجْتَهُمَا. فَقَالَ لُقْمَانُ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ أَطْيَبَ مِنْهُمَا إِذَا طَابَا، وَلَا أَخْبَثَ مِنْهُمَا إِذَا خَبُثَا (2).

* * *

وَقَالَ (شُعْبَةُ)، عَنِ (الْحَكَمِ)، عَنْ (مُجَاهِدٍ): كَانَ لُقْمَانُ عَبْدًا صَالِحًا، وَلَمْ يَكُنْ نَبِيًّا.

* * *

وَقَالَ (الْأَعْمَشُ): قَالَ: (مُجَاهِدٌ): كَانَ لُقْمَانُ عَبْدًا أَسْوَدَ عَظِيمَ الشَّفَتَيْنِ، مُشَقَّقَ الْقَدَمَيْنِ.

* * *

وَقَالَ: (حَكَّامِ بْنِ سَلْمٍ)، عَنْ (سَعِيدٍ الزُّبَيْدِيِّ)، عَنْ (مُجَاهِدٍ): كَانَ لُقْمَانُ الْحَكِيمُ عَبْدًا حَبَشِيًّا غَلِيظَ الشَّفَتَيْنِ، مُصَفَّحَ الْقَدَمَيْنِ، قَاضِيًا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ.

وَذَكَرَ غَيْرُهُ: أَنَّهُ كَانَ قَاضِيًا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي زَمَنِ دَاوُدَ- عَلَيْهِ السَّلَامُ.

* * *

وَقَالَ: (ابْنُ جَرِيرٍ): حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنَا الْحَكَمُ، حَدَّثَنَا (عَمْرُو بْنُ قَيْسٍ) قَالَ: كَانَ لُقْمَانُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَبْدًا أَسْوَدَ غَلِيظَ الشَّفَتَيْنِ، مُصَفَّحَ الْقَدَمَيْنِ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ وَهُوَ فِي مَجْلِسِ أُنَاسٍ يُحَدِّثُهُمْ، فَقَالَ لَهُ: أَلَسْتَ الَّذِي كُنْتَ تَرْعَى مَعِي الْغَنَمَ فِي مَكَانِ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ: فَمَا بَلَغَ بِكَ مَا أَرَى؟ قَالَ: صِدْقُ الْحَدِيثِ، وَالصَّمْتُ عَمَّا لَا يَعْنِينِي (3).

* * *

وَقَالَ: (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ): أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَيَّاشٍ الْقِتْبَانِيُّ، عَنْ عُمَرَ مَوْلَى غُفْرَةَ قَالَ: وَقَفَ رَجُلٌ عَلَى لُقْمَانَ الْحَكِيمِ فَقَالَ: أَنْتَ لُقْمَانُ، أَنْتَ عَبْدُ بَنِي الْحَسْحَاسِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: أَنْتَ رَاعِي الْغَنَمِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: أَنْتَ الْأَسْوَدُ؟ قَالَ: أَمَا سَوَادِي فَظَاهِرٌ، فَمَا الَّذِي يُعْجِبُكَ مِنْ أَمْرِي؟ قَالَ: وَطْءُ النَّاسِ بِسَاطَكَ، وَغَشْيُهُمْ بَابَكَ،

(1) انظر: تفسير الطبري (43/21).
(2) انظر: تفسير الطبري (43/21).
(3) انظر: تفسير الطبري (44/21).

وَرِضَاهُمْ بِقَوْلِكَ. قَالَ: يَا بْنَ أَخِي إِنْ صَغَيْتَ إِلَى مَا أَقُولُ لَكَ كُنْتَ كَذَلِكَ.

قَالَ لُقْمَانُ: غَضِّي بَصَرِي، وَكَفِّي لِسَانِي، وَعِفَّةُ طُعْمَتِي، وَحِفْظِي فَرْجِي، وَقَوْلِي بِصِدْقٍ، وَوَفَائِي بِعَهْدِي، وَتَكْرِمَتِي ضَيْفِي، وَحِفْظِي جَارِي، وَتَرْكِي مَا لَا يَعْنِينِي، فَذَاكَ الَّذِي صَيَّرَنِي إِلَى مَا تَرَى.

* * *

وَالَّذِي رَوَاهُ (سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ)، عَنْ (قَتَادَةَ): فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ} أَيِ: الْفِقْهُ فِي الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يَكُنْ نَبِيًّا، وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ.

* * *

وَقَوْلُهُ: {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ} أَيِ: الْفَهْمَ وَالْعِلْمَ وَالتَّعْبِيرَ،

{أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ} أَيْ: أَمَرْنَاهُ أَنْ يَشْكُرَ اللَّهَ، عَزَّ وَجَلَّ، عَلَى مَا أَتَاهُ اللَّهُ وَمَنَحَهُ وَوَهَبَهُ مِنَ الْفَضْلِ، الَّذِي خَصَّهُ بِهِ عَمَّنْ سِوَاهُ مِنْ أَبْنَاءِ جِنْسِهِ وَأَهْلِ زَمَانِهِ.

* * *

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ} أَيْ: إِنَّمَا يَعُودُ نَفْعُ ذَلِكَ وَثَوَابُهُ عَلَى الشَّاكِرِينَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ} [الرُّوم: 44].

* * *

وَقَوْلُهُ: {وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} أَيْ: غَنِيٌّ عَنِ الْعِبَادِ، لَا يَتَضَرَّرُ بِذَلِكَ، وَلَوْ كَفَرَ أَهْلُ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا، فَإِنَّهُ الْغَنِيُّ عَمَّنْ سِوَاهُ" فَلَا إِلَهَ إِلَّا الله، ولا نعبد إلا إياه. (1)

* * *

[١٣] ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

واذكر أيها الرسول- ﷺ - إذ قال لقمان لابنه وهو يرغِّبه في الخير، ويحذره من الشر: يا بني، لا تعبد مع الله غيره، إن عبادة معبود مع الله ظلم عظيم للنفس بارتكاب أعظم ذنب يؤدي إلى خلودها في النار. (2)

* * *

يَعنِي:- واذكر أيها الرسول- ﷺ - نصيحة لقمان لابنه حين قال له واعظًا: يا بنيَّ لا تشرك بالله فتظلم نفسك" إن الشرك لأعظم الكبائر وأبشعها. (3)

* * *

يَعنِي:- واذكر إذ قال لقمان لابنه وهو يعظه: يا بنى، لا تشرك بالله أحداً، إن الشرك بالله لظلم عظيم يسوى بين الله المستحق للعبادة وحده، وبين من لا يستحقونها من الأوثان وغيرها من المعبودات. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) لِلْإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (12).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (412/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (412/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (613/1)، المؤلف: (لجنة من علماء -الأزهر).

{ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ } .... أي واذْكُرْ : إذْ قَالَ لُقْمانُ لابْنِه وَهُوَ يَعِظُه.

{وَإِذْ} أي: واذكر إذ {قَالَ لُقْمَانُ لابْنِه} واسمه أنعم، وقيل: أشكم.

{لابنه وهو يعظه} .... أي: ابنه ثاران وهو يعظه أي يأمره وينهاه مرغباً له مرهباً.

{وَهُوَ يَعِظُهُ} .... يذكره بالآخرة.

الوَعْظُ: الأَمْرُ وَالنَّهْيُ المَقْرُونُ بالترغيب والتَّرْهِيب.

{يَابُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ} .... أحداً في العبادة،

{إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} .... عندَ الله " أي ليس من الذُّنوب شيءٌ أعظمُ من الشِّرك بالله " لأنَّ الله تعالى هو الحيُّ المميتُ الخالق الرازقُ ، فإذا أشركتَ به أحداً غيرَهُ فقد جعلتَ النعمةَ لغير ربها ، وذلك من أعظم الظُّلم.

{لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} .... لذنب عَظِيم عُقُوبَته عِنْد الله.

(أي: لأن التسوية بين من لا نعمة الا هو منه، وبين من لا نعمة منه البتة، لا يتصور أن تكن منه، ظلم لا يكتنه عظمته).

* * *

الْقِرَاءَآت

{يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}. قرأ (ابن كثير): (يَا بُنَيْ) بإسكان الياء مخففة في هذا الحرف،

وقرأ (حفص) عن (عاصم): (يَا بُنَيَّ) بفتح الياء مشددة في الأحرف الثلاثة على قولك: يَا بُنَيَّا، ووافقه (البزي) في: (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ)،

وقرأ (قنبل): (يَا بُنَيْ أَقِمِ الصَّلَاةَ) بإسكان الياء مخففة،

وقرأ الباقون: بكسر الياء مشددة في الثلاثة على إدغام إحدى الياءين في الأخرى.(1)

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس):- قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ لُقْمَان} الآيَة {13} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِه} سَلام {وَهُوَ يَعِظُهُ} ينهاه عَن الشَّرّ ويأمره بِالْخَيرِ {يَا بني لاَ تُشْرِكْ بِاللَّه إِنَّ الشّرك} بِاللَّه {لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} لذنب عَظِيم عُقُوبَته عِنْد الله.(2)

* * *

قال: الإمام (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن (عبد الله) – رضي الله عنه – قال: لما نزلت هذه الآية {الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم} شق ذلك على أصحاب رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وقالوا: أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟ قال رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: ((إنه ليس بذاك،

---

(1) انظر: "السبعة" لابن مجاهد (ص: 512)، و"التيسير" للداني (ص: 176)، و"تفسير البغوي" (3/ 509)، و"معجم القراءات القرآنية" (5/ 86).

انظُر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (13) للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظُر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (13) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

ألا تسمع إلى قول لقمان لابنه {إن الشرك لظلم عظيم})).(1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-{سُورَةُ لُقمَان} الآية {13} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِه} وَاسْمُهُ أَنْعَمُ وَيُقَالُ: مشْكَمٌ، {وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}.

قَرَأَ (ابْنُ كَثِيرٍ): {يَا بُنَيِّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ} بِإِسْكَانِ الْيَاءِ، وَفَتَحَهَا (حَفْصٌ)، وَالْبَاقُونَ: بالكسر،

{يَا بُنَيَّ إِنَّهَا} بِفَتْحِ الْيَاءِ حَفْصٌ، وَالْبَاقُونَ: بِالْكَسْرِ،

{يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ} بِفَتْحِ الْيَاءِ الْبَزِّيُّ عَنِ (ابْنِ كَثِيرٍ)، وَ(حَفْصٍ)، وَبِإِسْكَانِهَا الْقَوَّاسُ، وَالْبَاقُونَ: بِكَسْرِهَا.(2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {13} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}.

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ وَصِيَّةِ لُقْمَانَ لِوَلَدِهِ - وَهُوَ: (لُقْمَانُ بْنُ عَنْقَاءَ بْنِ سَدُونَ). وَاسْمُ ابْنِهِ: ثَارَانُ فِي قَوْلٍ حَكَاهُ السُّهَيْلِيُّ. وَقَدْ ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَحْسَنِ الذِّكْرِ، فَإِنَّهُ آتَاهُ الْحِكْمَةَ، وَهُوَ يُوصِي وَلَدَهُ الَّذِي هُوَ أَشْفَقُ النَّاسِ عَلَيْهِ وَأَحَبُّهُمْ إِلَيْهِ، فَهُوَ حَقِيقٌ أَنْ يَمْنَحَهُ أَفْضَلَ مَا يُعْرَفُ" وَلِهَذَا أَوْصَاهُ أَوَّلًا بِأَنْ يَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا يُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ مُحَذِّرًا لَهُ: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} أَيْ: هُوَ أَعْظَمُ الظُّلْمِ.

* * *

قَالَ: (الْبُخَارِيُّ): حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} {الْأَنْعَامِ: 82}، شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم-، وَقَالُوا: أَيُّنَا لَمْ يَلْبس إِيمَانَهُ بِظُلْمٍ؟ فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "أنه لَيْسَ بِذَاكَ، أَلَا تَسْمَعَ إِلَى قَوْلِ (لُقْمَانَ): {يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}.

وَرَوَاهُ (مُسْلِمٌ) -مِنْ حَدِيثِ- (الْأَعْمَشِ)، به.(3)

ثُمَّ قَرَنَ بِوَصِيَّتِهِ إِيَّاهُ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ الْبِرَّ بِالْوَالِدَيْنِ.

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} {الْإِسْرَاءِ: 23}. وَكَثِيرًا مَا يَقْرِنُ تَعَالَى بَيْنَ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ.(4)

* * *

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (372/8)، (ح4776).-(كتاب: تفسير القرآن - سورة لقمان)، / باب: (لا تشرك بالله ...)

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَام (البغوي) سُورَةُ (لُقمَان) الآية (12).

(3) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (4776)-(كتاب: تفسير القرآن).

وأخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (124)-(كتاب: الإيمان).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامُ (ابن كثير) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (13).

[١٤] ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ووصّينا الإنسان بطاعة أبويه وبرهما فيما لا معصية فيه لله، حملته أمه في بطنها ملاقية مشقة بعد مشقة، وفَطْمُه عن الرضاعة في عامين، وقلنا له: اشكر لله ما أنعم به عليك من نعَم، ثم اشكر لوالديك ما قاما به من تربيتك ورعايتك، إليّ وحدي المرجع فأجازي كلًا بما يستحقه. (1)

* * *

يَعنِي:- وأَمَرْنا الإنسان ببرّ والديه والإحسان إلهما، حَمَلَتْه أمه ضعفًا على ضعف، وحمله وفطامه عن الرضاعة في مدة عامين، وقلنا له: اشكر لله، ثم اشكر لوالديك، إليَّ المرجع فأُجازي كُلا بما يستحق. (2)

* * *

يَعنِي:- وأمرنا الإنسان أن يبرّ والديه ويجعل أمه أوفر نصيباً، حملته فيتزايد ضعفها ويعظم شيئاً فشيئاً، وفطامه في عامين، ووصيناه أن اشكر لله ولوالديك، إليه المرجع للحساب والجزاء. (3)

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (412/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (412/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (613/1)، المؤلف: (لجنة من علماء -الأزهر).

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{ووصينا الإنسان} .... أي: عهدنا إليه ببرهما وهو كف الأذى عنهما والإحسان إليهما وطاعتهما في المعروف.

{وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ} ... أي: توالى عليها ضعف على ضعف" لأن الحمل ضعف، والطلق ضعف، والوضع ضعف.

{حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ} ... أي: مَشَقَّةً عَلَى مَشَقَّة، فلا تزالُ تُلاقي المشاقّ، من حين يكونُ نطفةً من الوَحَم والمرض والضَّعْف والثِّقَل وتَغَيُّر الحَال، ثم وَجَع الوِلَادَة ذلك الوجعُ الشديدُ.

{وَهْنًا} ... ضَعْفًا.

{وهنا على وهن} .... أي: ضعفاً على ضعف وشدة على شدة وهي الحمل والولادة والإرضاع.

{وفصاله في عامين} .... أي: مدة رضاعه تنتهي في عامين، وبذلك يفصل عن الرضاع.

{وَفِصَالُهُ} ... فِطَامُهُ عَنِ الرَّضَاعَةِ.

(أي: مدة فطامه).

{فِي عَامَيْنِ} .... وفيه دليل على أن أقصى مدة الرضاع حولان.

{أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ} ..... أي: وصيناه بشكرنا، وشكر والديه.

{إِلَيَّ الْمَصِيرُ} .... المرجع،

* * *

﴿ الْقِرَاءَات ﴾

قرأ (أبو عمرو): (أنِ اشْكُر لِّي) بإدغام الراء في اللام، ورُوي عنه الإظهار، والوجهان صحيحان عنه.(1)

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {14} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَوَصينَا الْإِنْسَان} (سعد بن وَقاص) {بِوَالِدَيْهِ} برا بهما {حَمَلَتْهُ أُمُّهُ} فِي بَطنهَا {وَهْناً على وَهْنٍ} ضعفا على ضعف وَشدَّة على شدَّة ومشقة على مشقة كلما كبر الْوَلَد فِي بَطنهَا كَانَ أَشد عَلَيْهَا {وَفِصَالُهُ} فطامه {فِي عَامَيْنِ} فِي سنتَيْن {أَن اشكر لِي} بِالتَّوْحِيدِ وَالطَّاعَة {وَلِوَالِدَيْكَ} بالتربية {إِلَيَّ الْمصير} مصيرك ومصير والديك.(2)

* * *

أخرج – الإمام (الطبري)، والإمام (عبد الرزاق) – (رحمهما الله)- في (تفسيرهما):- (بسنده الصحيح)- عن (قتادة): قوله: {حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ} أي: جهداً على جهد.(3)(4)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {14} وَقَالَ هَاهُنَا {وَوَصَّيْنَا الإنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ}.

قَالَ: (مُجَاهِدٌ): مَشَقَّةُ وَهْنِ الْوَلَدِ.

* * *

وَقَالَ: (قَتَادَةُ): جُهْدًا عَلَى جُهْدٍ.

وَقَالَ: (عَطَاءٌ الْخُرَاسَانِيُّ): ضَعْفًا عَلَى ضَعْفٍ.

* * *

وَقَوْلُهُ: {وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ} أَيْ: تَرْبِيَتُهُ وَإِرْضَاعُهُ بَعْدَ وَضْعِهِ فِي عَامَيْنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ} {الْبَقَرَةِ: 233}.

وَمِنْ هَاهُنَا اسْتَنْبَطَ (ابْنُ عَبَّاسٍ) وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ أَنَّ أَقَلَّ مُدَّةِ الْحَمْلِ سِتَّةُ أَشْهُرٍ" لِأَنَّهُ قَالَ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: {وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا} {الْأَحْقَافِ: 15}.

وَإِنَّمَا يَذْكُرُ تَعَالَى تربيةَ الْوَالِدَةِ وَتَعَبَهَا وَمَشَقَّتَهَا فِي سَهَرِهَا لَيْلًا وَنَهَارًا، لِيُذَكِّرَ الْوَلَدَ بِإِحْسَانِهَا الْمُتَقَدِّمِ إِلَيْهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} {الْإِسْرَاءِ: 24}.

وَلِهَذَا قَالَ: {أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} أَيْ: فَإِنِّي سَأَجْزِيكَ عَلَى ذَلِكَ أَوْفَرَ الْجَزَاءِ.

* * *

قَالَ: (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ): حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَمَحْمُودُ بْنُ

---

(1) انظر: "الغيث" للصفاقسي (ص: 322)، و"معجم القراءات القرآنية" (5/ 86).

انظُر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية ( ) للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظُر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (14) يِنسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (137/20).

(4) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (93/4)، للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين).

غَيلان قَالا حَدَّثنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ (سَعِيدِ بْنِ وَهْبٍ) قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا (مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ)، وَكَانَ بَعَثَهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَقَامَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: إِنِّي رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَيْكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تُطِيعُونِي لاَ آلُوكُمْ خَيْرًا، وأن المصير إلى اللَّهِ، وَإِلَى الْجَنَّةِ أَوْ إِلَى النَّارِ، إِقَامَةٌ فَلاَ ظَعْنَ، وَخُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ. (1) (2)

* * *

قَالَ: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان} الآيةُ {14} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ}

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): شِدَّةً بَعْدَ شِدَّةٍ.

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ): ضَعْفًا عَلَى ضَعْفٍ.

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ): مَشَقَّةً عَلَى مَشَقَّةٍ.

وَقَالَ: (الزَّجَّاجُ): الْمَرْأَةُ إِذَا حَمَلَتْ تَوَالَى عَلَيْهَا الضَّعْفُ وَالْمَشَقَّةُ. وَيُقَالُ: الْحَمْلُ ضَعْفٌ وَالطَّلْقُ ضَعْفٌ والوضع ضعف،

{وَفِصَالُهُ} أَيْ: فِطَامُهُ،

{فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} الْمَرْجِعُ،

قَالَ: (سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ) فِي هَذِهِ الْآيَةِ: مَنْ صَلَّى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فَقَدْ شَكَرَ اللَّهَ، وَمَنْ دَعَا لِلْوَالِدَيْنِ فِي أَدْبَارِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ فَقَدْ شَكَرَ الْوَالِدَيْنِ. (3)

* * *

قَالَ: الإمَامُ (أبو داود) - (رحمه الله) - في (سننه):

حدثنا مسلم بن إبراهيم، ثنا الربيع بن مسلم، عن محمد بن زياد عن (أبي هريرة) - رضي الله عنه -، عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: ((لا يشكر الله من لا يشكر الناس)). (4)

* * *

[١٥] ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾:

تفسير المختصر والُميسر والمنتخب لهذه الآية:

---

(1) قال: الحافظ الإمام (ابن حجر) في (المطالب العالية) هذا (إسناد صحيح).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (14).

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (لُقمَان) الآية (14).

(4) أخرجه الإمام (أبو داود) في (السنن) برقم (255/4)، (ح4811) – (كتاب: الأدب)،/ باب: (في شكر المعروف).

وأخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (339/4)، (ح1954) – (كتاب: البر والصلة)،/ باب: (ما جاء في الشكر) - من طريق - (عبد الله بن المبارك).

وأخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (295/2) - من طريق- (يزيد).

وأخرجه الإمام (ابن حبان) في (صحيحه) - (الإحسان) برقم (198/8-199)، (ح3407) - من طريق -(عبد الرحمن بن بكر كلهم عن الربيع بن مسلم) به.

وقال: الإمام (الترمذي): حديث (حسن صحيح)

و(حسنه) الإمام الهيثمي) في (مجمع الزوائد) برقم (181/8)،

وقال: الإمام (الألباني): (صحيح) في (صحيح سنن الترمذي) برقم (ح1592) – (السلسلة الصحيحة) برقم (ح417).

وقال محقق الإحسان: (إسناده صحيح على شرط مسلم).، له شاهد من حدث (أبي سعيد)،

وأخرجه الإمام (الترمذي) في (الباب السابق) برقم (ح1955).

وقال: حديث (حسن صحيح).

و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح سنن الترمذي) برقم (ح1593).

وإن بذل الوالدان جهدًا ليَحْمِلاك على أن تشرك بالله غيره تحكُّمًا منهما، فلا تطعهما في ذلك" لأنه لا طاعة لمخلوف في معصية الخالق، وصاحبهما في الدنيا بالبر والصلة والاحسان، واتبع طريق من أناب إليّ بالتوحيد والطاعة، ثم إليّ وحدي يوم القيامة مرجعكم جميعًا، فأخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا من عمل، وأجازيكم عليه. (1)

* * *

يَعنْي:- وإن جاهدك -أيها الولد المؤمن- والداك على أن تشرك بي غيري في عبادتك إياي مما ليس لك به علم، أو أمراك بمعصية مِن معاصي الله فلا تطعهما" لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وصاحبهما في الدنيا بالمعروف فيما لا إثم فيه، واسلك - أيها الابن المؤمن- طريق مَن تاب من ذنبه، ورجع إليَّ وآمن برسولي محمد -صلى الله عليه وسلم-، ثم إليَّ مرجعكم، فأخبركم بما كنتم تعملونه في الدنيا، وأجازي كلَّ عامل بعمله. (2)

* * *

يَعنْي:- وإنْ حملك والداك - بجهد - على أن تشرك بالله ما لا تعلم أنه يستحق فلا تطعهما، وصاحبهما فى الدنيا بالبر والصلة والإحسان، واتبع طريق من رجع إلىَّ بالتوحيد والإخلاص، ثم إلىَّ مرجعكم جميعاً، فأخبركم بما كنتم تعملون من خير وشر لأجازيكم عليه. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} .... باستحقاقه الإشراك.

{فَلَا تُطِعْهُمَا} .... في الشرك.

{وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا} .... أي: صحابًا معروفًا، وهو البر والصلة.

{وَإِنْ جَاهَدَاكَ} ... أي: اجْتَهَدَ وَالِدَاكَ.

(أي: بذلا جهدهما في حملك على الشرك).

{وصاحبهما في الدنيا معروفا} .... أي: واصحبهما في حياتهما بالمعروف وهو البر والإحسان وكف الأذى والطاعة في غير معصية الله.

{وَاتَّبِعْ سَبِيلَ} .... أي: دِينَ.

{وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ} ... واسلك طريق من تاب من شركه، ورجع إلى الإسلام، واتبع محمدا -صلى الله عليه وسلم.

{سَبِيلَ} ... طَرِيق.

{مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ} .... رجع إليّ بتوحيدي وطاعتي وطاعة رسولي محمد- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

{مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ} .... أقبلَ على طاعتي، وهو النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه.

{أَنَابَ} ... رَجَعَ، وَتَابَ.

{ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} .... وجيء بهاتين الآيتين اعتراضًا

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (412/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (412/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (613/1)، المؤلف: (لجنة من علماء -الأزهر).

في قصة لقمان" لمناسبة بينهما" لأن فيهما نهيًا عن الشرك كما في القصة.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس):- قال: الإِمَام (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {15} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِن جَاهَدَاكَ} أمراك وأراداك.

{على أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} أَنه شَرِيكي وَلَك بِهِ علم أَنه لَيْسَ بشريكي.

{فَلَا تُطِعْهُمَا} فِي الشّرك.

{وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً} بِالْبرِّ وَالْإِحْسَان.

{وَاتبع سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ} دين من أقبل إِلَيّ وَإِلَى طَاعَتي وَهُوَ مُحَمَّد – صلى الله عَلَيْهِ وَسلم-.

{ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ} ومرجع أبويكم {فَأُنَبِّئُكُم} أخبركم.

{بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} من الْخَيْر وَالشَّر ثمَّ رَجَعَ إِلَى كَلَام لُقْمَان. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (قتادة): {وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ} أي: من أقبل إليّ. (2)

* * *

قال: الإمام (ابن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {15} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا} أَيْ: إِنْ حَرَصَا عَلَيْكَ كُلَّ الْحِرْصِ عَلَى أَنْ تُتَابِعَهُمَا عَلَى دِينِهِمَا، فَلَا تَقْبَلْ مِنْهُمَا ذَلِكَ، وَلَا يَمْنَعَنَّكَ ذَلِكَ مِنْ أَنْ تُصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا، أَيْ: مُحْسِنًا إِلَيْهِمَا،

{وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ} يَعْنِي: الْمُؤْمِنِينَ، {ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}.

* * *

قَالَ: (الطَّبَرَانِيُّ) فِي كِتَابِ الْعِشْرَةِ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ رَاشِدٍ، حَدَّثَنَا مَسْلَمَةُ بْنُ عَلْقَمَةَ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ: أَنَّ (سَعْدَ بْنَ مَالِكٍ) قَالَ: أُنْزِلَتْ فِيَّ هَذِهِ الْآيَةُ: {وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا} الْآيَةَ، وَقَالَ: كُنْتُ رَجُلًا بَرًّا بِأُمِّي، فَلَمَّا أَسْلَمْتُ قَالَتْ: يَا سَعْدُ، مَا هَذَا الَّذِي أَرَاكَ قَدْ أَحْدَثْتَ؟ لَتَدَعَنَّ دِينَكَ هَذَا أَوْ لَا آكُلُ وَلَا أَشْرَبُ حَتَّى أَمُوتَ، فَتُعَيَّرَ بِي، فَيُقَالُ: "يَا قَاتِلَ أُمِّهِ". فَقُلْتُ: لَا تَفْعَلِي يَا أُمَهْ، فَإِنِّي لَا أَدَعُ دِينِي هَذَا لِشَيْءٍ. فمكثتْ يَوْمًا وَلَيْلَةً لَمْ تَأْكُلْ فَأَصْبَحَتْ قَدْ جَهِدَتْ، فمكثتْ يَوْمًا آخَرَ وَلَيْلَةً أُخْرَى لَا تَأْكُلْ، فأصبحتْ قَدِ اشْتَدَّ جُهْدُهَا، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ قُلْتُ: يَا أُمَّهْ، تَعْلَمِينَ وَاللَّهِ لَوْ كَانَتْ لَكِ مِائَةُ نَفْسٍ فَخَرَجَتْ نَفْسًا نَفْسًا، مَا تَرَكْتُ دِينِي هَذَا لِشَيْءٍ، فَإِنْ شِئْتِ فَكُلِي، وَإِنْ شِئْتِ لَا تَأْكُلِي. فأكلتْ. (1)(3)

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (15) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما –.

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (139/20).

(3) وذكره (ابن الأثير) في (أسد الغابة) (216/2) عن (داود بن أبي هند).

وانظر: (الصحيح المسند من أسباب النزول) للشيخ (مقبل بن هادي الوادعي) (113).

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-{سُورَةُ لُقْمَان} الآية {15} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا} أَيْ: بِالْمَعْرُوفِ، وَهُوَ الْبِرُّ وَالصِّلَةُ وَالْعِشْرَةُ الْجَمِيلَةُ،

{وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ} أَيْ دِينَ مَنْ أَقْبَلَ إِلَى طَاعَتِي وَهُوَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَصْحَابُهُ،

قَالَ: (عَطَاءٌ) عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ): يُرِيدُ أَبَا بَكْرٍ وَذَلِكَ أَنَّهُ حِينَ أَسْلَمَ أَتَاهُ عُثْمَانُ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، فَقَالُوا لَهُ: قَدْ صَدَّقْتَ هَذَا الرَّجُلَ وَآمَنْتَ بِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ هُوَ صَادِقٌ فَآمِنُوا بِهِ ثُمَّ حَمَلَهُمْ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَتَّى أَسْلَمُوا فَهَؤُلَاءِ لَهُمْ سَابِقَةُ الْإِسْلَامِ أَسْلَمُوا بِإِرْشَادِ أَبِي بَكْرٍ،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ} يَعْنِي: أَبَا بَكْرٍ،

{ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} وَقِيلَ: نَزَلَتْ هَاتَانِ الْآيَتَانِ فِي (سَعْدِ بْنِ أَبِي)، وَ(قَّاصٍ وَأُمِّهِ)،

وَقِيلَ: الْآيَةُ عَامَّةٌ فِي حَقِّ كَافَّةِ النَّاسِ.(2)

* * *

كما قال: الإمام (مُسْلِم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب، قالا: حدثنا الحسن بن موسى، حدثنا زهير، حدثنا سماك بن حرب. حدثني (مصعب بن سعد- عن أبيه)، أنه نزلت فيه آيات من القرآن قال: حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب. قالت: زعمت أن الله وصّاك بوالديك، وأنا أمك، وأنا آمرك بهذا. قال: مكثت ثلاثاً حتى غشي عليها من الجهد. فقام ابن لها يقال له عُمارة، فسقاها، فجعلت تدعو على سعد. فأنزل الله عز وجل في القرآن هذه الآية: {ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير} {لقمان: 15}،

وفيها {وصاحبهما في الدنيا معروفاً} قال: وأصاب رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - غنيمة عظيمة، فإذا فيها سيف فأخذته، فأتيت به الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقلتُ: نفّلني هذا السيف، فأنا من قد علمت حاله. فقال: "ردّه من حيث أخذته" فانطلقت حتى إذا أردت أن ألقيه في القبض لامتني نفسي، فرجعت إليه فقلتُ: أعطنيه. قال: فشد لي صوته: "ردّه من حيث أخذته". قال: فأنزل الله عز وجل {يسألونك عن الأنفال} {الأنفال: 1}.

قال: ومرضت فأرسلت إلى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فأتاني، فقلتُ: دعني أقسم مالي حيث شئت. قال: فأبى. قلت: فالنصف. قال: فأبى. قلت: فالثلث. قال: فسكت. فكان بعد الثلث جائزاً. قال: وأتيت على نفر من الأنصار والمهاجرين فقالوا:

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (لُقْمَان) الآية (15).

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (لُقْمَان) الآية (15).

تعال نطعمك ونسقيك خمراً -وذلك قبل، أن تحرّم الخمر- قال: فأتيتهم في حش -والحش البستان- فإذا رأس جزور مشوي عندهم، وزق من خمر، قال: فأكلت وشربت معهم، قال: فذكرت الأنصار والمهاجرون عندهم، فقلت: المهاجرون خير من الأنصار، قال: فأخذ رجل أحد لحيي الرأس فضربني به فجرح بأنفي، فأتيت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فأخبرته، فأنزل الله عز وجل فيّ -يعني نفسه- شأن الخمر {إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان}. (1)

* * *

[١٦] ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يا بني، إن السيئة أو الحسنة مهما كانت صغيرة مثل وزن حبة من خَرْدَل وكانت في بطن صخرة لا يطّلع عليها أحد، أو كانت في أي مكان في السماوات أو في الأرض-" فإن الله يأتي بها يوم القيامة، فيجازي العبد عليها، إن الله لطيف لا تخفى عليه دقائق الأشياء، خبير بحقائقها وموضعها. (2)

* * *

يَعنْي:- يا بنيَّ اعلم أن السيئة أو الحسنة إن كانت قَدْر حبة خردل -وهي المتناهية في الصغر- في باطن جبل، أو في أي مكان في السموات أو في الأرض، فإن الله يأتي بها يوم القيامة، ويحاسب عليها. إن الله لطيف بعباده خبير بأعمالهم. (3)

* * *

يَعنْي:- يا بنى: إن الحسنة أو السيئة للإنسان إن تكن - مثلا - فى الصغر كحبة الخردل، فتكن فى أخفى مكان كقلب صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يظهرها الله ويحاسب عليها، إن الله لطيف لا تخفى عليه دقائق الأشياء، خبير يعلم حقائق الأشياء كلها. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

ثم قال لقمان مخاطبًا ابنه:

{يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ} أي: زِنَةَ حبة من حب الخردل.

{إنها إن تك مثقال حبة} .... أي: توجد زنة حبة من خردل.

{مِثْقَالَ} ... وَزْن، وَمِقْدَار.

{فتكن في صخرة} .... أي: في داخل صخرة من الصخور لا يعلمها أحد.

{أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ} .... للجزاء.

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإمام (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1877/14)، (ح 1748) –(كتاب: فضائل الصحابة)، / باب: (في فضل سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه –).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (412/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (412/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (614/1)، المؤلف: (لجنة من علماء -الأزهر).

{حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ} ... التي هي أصغرُ الأشياء وأَحقرُها.

وقيل: {حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ} ... حبَّةٍ صَغِيرَةٍ مُتَنَاهِيَةٍ فِي الصِّغَرِ.

{يَأْتِ بِهَا اللَّهُ} ... يَأتِ بِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ، وَيُحَاسِبْ عَلَيْهَا.

{إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ} ... إن الله لطيف باستخراج الحبة من موضعها حيث كانت خبير بموضعها.

{إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ} .... باستخراجها.

{لطيف خبير} .... أي: لطيف باستخراج الحبة خبير بموضعها حيث كانت.

{خَبِيرٌ} .... بمكانها، لا يفوته شيء، ويجازي به، روي أن آخر كلمة تكلمها هذه، ثم انشقت مرارته" لهيبتها، فمات.

* * *

﴿الْقِرَاءَآت﴾

قرأ (نافع)، و(أبو جعفر): (مِثْقَالُ) برفع اللام" أي: إن وقع زنة حبة،

وقرأ الباقون: بالنصب [1] على معنى: إن كان العملُ مثقالَ حبة، [2]

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {16} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا بني إِنَّهَآ} يَعْني: الحَسَنَةَ وَيُقَال الرزق {إِن تَكُ

مثقال حَبَّة} وزن حَبَّة {مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ} الَّتِي تَحت الْأَرْضين {أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ} أو فوق السَّموَات {أَوْ فِي الأَرْض} أو في بطن الأَرْض {يَأْتِ بِهَا الله} إلى صاحبها حَيْثُمَا يكون {إِنَّ الله لَطِيفٌ} باستخراجها {خَبِيرٌ} بمكانها. [3]

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن)- عن (قتادة): قوله: {يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ} من خير أو شرّ. [4]

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن)- عن (قتادة): في قوله: {فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ} أي: في جبل. [5]

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن)- عن (قتادة): {إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ} أي: لطيف باستخراجها خبير بمستقرّها. [6]

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {16} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ} الكناية في قوله: {إِنَّهَا} رَاجِعَةٌ إِلَى الْخَطِيئَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ ابْنَ لُقْمَانَ قَالَ لِأَبِيهِ: يَا أَبَتِ إِنْ عَمِلْتُ

---

(1) انظر: "التيسير" للداني (ص: 155)، و "النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (2/ 324)، و"معجم القراءات القرآنية" (5/ 87).
(2) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية () للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (16) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .
(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (141/20).
(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (141/20).
(6) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (141/20).

الْخَطِيئَةَ حَيْثُ لَا يَرَانِي أَحَدٌ كَيْفَ يَعْلَمُهَا اللَّهُ؟ فَقَالَ: {يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ}. قَالَ: (قَتَادَةُ): تَكُنْ فِي جَبَلٍ.

وَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): فِي صَخْرَةٍ تحت الأرضين السبع.

{أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ} باستخراجها،

{خَبِيرٌ} عَالِمٌ بِمَكَانِهَا،

قَالَ: (الْحَسَنُ): مَعْنَى الآيَةِ هِيَ الإحاطة بالأشياء صغيرها وكبيرها.(1)

* * *

قَالَ: الإِمَام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَانَ} الآية {16} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ}.

هَذِهِ وَصَايَا نَافِعَةٌ قَدْ حَكَاهَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْ لُقْمَانَ الْحَكِيمِ" لِيَمْتَثِلَهَا النَّاسُ وَيَقْتَدُوا بِهَا، فَقَالَ: {يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ} أَيْ: إِنَّ الْمَظْلَمَةَ أَوِ الْخَطِيئَةَ لَوْ كَانَتْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ. وَجَوَّزَ بَعْضُهُمْ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: {إِنَّهَا} ضَمِيرَ الشَّأْنِ وَالْقِصَّةِ. وَجَوَّزَ عَلَى هَذَا رَفْعَ {مِثْقَالَ} وَالْأَوَّلُ أَوْلَى.

وَقَوْلُهُ: {يَأْتِ بِهَا اللَّهُ} أَيْ: أَحْضَرَهَا اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ، وَجَازَى عَلَيْهَا إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ. كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} [الْأَنْبِيَاء: 47]،

وَقَالَ تَعَالَى: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} [الزَّلْزَلَة: 7، 8].

وَلَوْ كَانَتْ تِلْكَ الذَّرَّةُ مُحَصَّنَةً مُحَجَّبَةً فِي دَاخِلِ صَخْرَةٍ صَمَّاءَ، أَوْ غَائِبَةً ذَاهِبَةً فِي أَرْجَاءِ السموات أَوِ الْأَرْضِ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِهَا" لِأَنَّهُ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السموات وَلَا فِي الْأَرْضِ.

وَلِهَذَا قَالَ: {إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ} أَيْ: لَطِيفُ الْعِلْمِ، فَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ الْأَشْيَاءُ وَإِنْ دَقَّتْ وَلَطُفَتْ وَتَضَاءَلَتْ.

{خَبِيرٌ} بِدَبِيبِ النَّمْلِ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ.

وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: {فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ} أَنَّهَا صَخْرَةٌ تَحْتَ الْأَرْضِينَ السَّبْعِ، ذَكَرَهُ (السُّدِّيُّ) بِإِسْنَادِهِ ذَلِكَ (الْمَطْرُوقِ) عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ)، وَ(ابْنِ مَسْعُودٍ) وَجَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ إِنْ صَحَّ ذَلِكَ،(2)

* * *

[١٧] ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (لُقمَان) الآية (16).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (16).

يا بني، أقم الصلاة بأدائها على أكمل وجه، وأمُر بالمعروف، وانْه عن المنكر، واصبر على ما نالك من مكروه في ذلك، إن ما أمرت به من ذلك مما عزم الله به عليك أن تفعله، فلا خِيرة لك فيه. (1)

* * *

يعني:- يا بنيَّ أقم الصلاة تامة بأركانها وشروطها وواجباتها، وأمر بالمعروف، وانه عن المنكر بلطف ولين وحكمة بحسب جهدك، وتحمَّل ما يصيبك من الأذى مقابل أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر، واعلم أن هذه الوصايا مما أمر الله به من الأمور التي ينبغي الحرص عليها. (2)

* * *

يعني:- يا بنى: حافظ على الصلاة، وأمر بكل حسن، وانْه عن كل قبيح، واحتمل ما أصابك من الشدائد، إن ما أوصى الله به هو من الأمور التى ينبغى الحرص عليها والتمسك بها. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ} .... وابدأ بنفسك، وتقدم تفسير المعروف والمنكر والحكم فيه في سورة التوبة.

{وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ} .... من الأذى بسبب ذلك" فإنه يورث المحن.

{إِنَّ ذَلِكَ} .... المذكور.

{مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} ... مِنَ الأُمُورِ الَّتِي يَنْبَغِي الحرْصُ عَلَيْهَا.

(أي: مما عزمه الله" أي: قطعه قطع إيجاب).

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

انظر: سورة – (آل عمران) – آية (110).

– كما قال تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ}.

* * *

(تفسير ابن عباس):- قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ لُقْمَان} الآيةَ {17} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا بني أَقِم الصَّلَاة} أتم الصَّلَاة {وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوف} بِالتَّوْحِيدِ وَالْإِحْسَان {وانه عَن الْمُنكر} عَن الشّرك والقبيح من القَوْل وَالْعَمَل {واصبر على مَا أَصَابَك} فيهمَا {إِنَّ ذَلِك} يَعْنِي الْأَمر بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْي عَن الْمُنكر وَيُقَال الصَّبْر {من عزم الْأُمُور} من حزم الْأُمُور وَخير الْأُمُور. (4)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقْمَان} الآيةَ {17} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ} أَيْ: بِحُدُودِهَا وَفُرُوضِهَا وَأَوْقَاتِهَا،

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/412). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/412)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/614)، المؤلف: (لجنة من علماء -الأزهر).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (17) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

{وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ} أَيْ: بِحَسَب طَاقَتك وَجُهْدك،

{وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ}، عَلِمَ أَنَّ الْآمِر بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهِي عَنِ الْمُنْكَر، لَا بُدَّ أَنْ يَنَالهُ مِنَ النَّاس أَذًى، فَأَمَرَهُ بِالصَّبْرِ.

وَقَوْلُهُ: {إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} أَيْ: إِنَّ الصَّبْرَ عَلَى أَذَى النَّاسِ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُور. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَة لُقمَان} الآية {17} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ} يَعْنِي: مِنَ الْأَذَى، {إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} يُرِيدُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالصَّبْرَ عَلَى الْأَذَى فِيهِمَا مِنَ الْأُمُورِ الْوَاجِبَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا أَوْ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يُعْزَمُ عَلَيْهَا لِوُجُوبِهَا. (2)

* * *

[١٨] ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولا تُعْرِض بوجهك عن الناس تكبراً، ولا تمش فوق الأرض فرحًا معجبًا بنفسك، إن الله لا يحبّ كل مُختال في مشيته، فخور بما أوتي من نعم يتكبر بها على الناس ولا يشكر الله عليها. (3)

* * *

يَعنِي:- ولا تُمِلْ وجهك عن الناس إذا كلَّمتهم أو كلموك؛ احتقارًا منك لهم واستكبارًا عليهم، ولا تمش في الأرض بين الناس مختالا متبخترًا، إن الله لا يحب كل متكبر متباه في نفسه وهيئته وقوله. (4)

* * *

يَعنِي:- ولا تُمِلْ خدك للناس تكبراً، ولا تمش في الأرض مُعجباً بنفسك، إن الله لا يحب كل مختال يعدد مناقبه. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ} .... لا تُعرض بوجهك عن الناس تكبرًا واحتقارًا لهم.

(أي: ولا تعرض بوجهك عمن تكلمه تكبرا).

{وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ} ... لَا تُمِلْ وَجْهَكَ كِبْرًا وَتَعَاظُمًا.

{ولا تُصَعِّرْ} ... لا تُمِلْ وَجْهَكَ تَكَبُّرًا، وَالصَّعَرُ: المَيْلُ.

{مرحًا} ... أي: بَطَرًا، فَخْرًا بِالنِّعَمِ، نَاسِيًا الْمُنْعِمَ، مُعْجَبًا بِنَفْسِك.

{مرحا} ... أي: مختالا تمشي خيلاء.

{وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا} .... بطرًا.

{إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ} .... متبختر في مشيته.

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (17).

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (لُقمَان) الآية (17).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (412/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (412/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (614/1)، المؤلف: (لجنة من علماء -الأزهر).

{ مختال فخور } .... أي: متبختر فخور كثير الفخر مما أعطاه الله ولا يشكر.

{مُخْتَالٍ} ... مُتَكَبِّرٍ بِفِعْلِهِ. (مُخْتَالًا مُتَبَخْتِرًا).

{فَخُورٍ} ... مُتَكَبِّرٍ بِقَوْلِهِ.

(أي: على الناس صاحبُ خيلاء).

* * *

﴿ الْقِرَاءَاتِ ﴾

قرأ (ابن كثير)، و(ابن عامر)، و(عاصم)، و(أبو جعفر)، و(يعقوب): (تُصَعِّرْ) بتشديد العين من غير ألف،

والباقون: بتخفيفها وألف قبلها[(1)]،

ومعناهما واحد" من الصَّعَر: داء يأخذ الإبل، فتميل أعناقها منه[(2)].

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمَام (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَة لُقمَان} الآية {18} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ} لَا تعرض وَجهك من النَّاس تكبراً وتعظماً عَلَيْهِم وَيُقَال لَا تحقر فُقَرَاء الْمُسلمين.

{وَلَا تَمْشِ فِي الأَرْض مَرَحاً} بالتكبر وَالْخُيَلَاء.

{إِنَّ الله لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ} فِي مشيته {فَخُورٍ} بنعم الله[(3)].

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {18} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ} يَقُولُ: لَا تُعرضْ بِوَجْهِكَ عَنِ النَّاسِ إِذَا كَلَّمْتَهُمْ أَوْ كَلَّمُوكَ، احْتِقَارًا مِنْكَ لَهُمْ، وَاسْتِكْبَارًا عَلَيْهِمْ وَلَكِنْ أَلِنْ جَانِبَكَ، وَابْسُطْ وَجْهَكَ إِلَيْهِمْ،

كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: ((وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ وَوَجْهُكَ إِلَيْهِ مُنْبَسِطٌ، وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ فَإِنَّهَا مِنَ المخيلَةِ، وَالْمَخِيلَةُ لَا يُحِبُّهَا اللَّهُ))[(4)].

* * *

قَالَ: (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) فِي قَوْلِهِ: {وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ} يَقُولُ: لَا تَتَكَبَّرُ فَتحقر عِبَادَ اللَّهِ، وَتُعْرِضُ عَنْهُمْ بِوَجْهِكَ إِذَا كَلَّمُوكَ. وَكَذَا رَوَى (الْعَوْفِيُّ) وَ(عِكْرِمَةُ) عَنْهُ.

* * *

وَقَالَ: (مَالِكٌ)، عَنْ (زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ): {وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ}: لَا تَكَلَّمْ وَأَنْتَ مُعْرِضٌ. وَكَذَا رُوِيَ عَنْ (مُجَاهِدٍ)، و(عِكْرِمَةَ)، وَ(يَزِيدَ بْنِ الْأَصَمِّ)، وَ(أَبِي الْجَوْزَاءِ)، وَ(سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ)، وَ(الضَّحَّاكِ)، وَ(ابْنِ يَزِيدَ)، وَغَيْرِهِمْ.

وَقَالَ: (إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ): يَعْنِي بِذَلِكَ: التشديق في الكلام.

---

(1) (1) انظر: "السبعة" لابن مجاهد (ص: 513)، و"التيسير" للداني (ص: 176)، و"تفسير البغوي" (3/ 514)، و"النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (2/ 346)، و"معجم القراءات القرآنية" (5/ 88).

(2) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن) في سُورَة (لُقمَان) الآية (18) للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَة (لُقمَان) الآية (18) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما –.

(4) (صحيح): أخرجه الإمام (أبو داود) في (السنن) برقم (4084) – (كتاب: اللباس).

وأخرجه الإمام (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (1049- 1052).

و(صححه) الإمام (الألباني) في (المشكاة) برقم (1918).

وَالصَّوَابُ الْقَوْلُ الْأَوَّلُ.

* * *

قَالَ: (ابْنُ جَرِيرٍ): وَأَصْلُ الصَّعَرِ: دَاءٌ يَأْخُذُ الْإِبِلَ فِي أَعْنَاقِهَا أَوْ رُؤُوسِهَا، حَتَّى تُلفت أعناقها عَنْ رُؤُوسِهَا، فَشُبِّهَ بِهِ الرَّجُلُ الْمُتَكَبِّرُ، وَمِنْهُ قَوْلُ: (عَمْرِو بْنِ حُنَيٍّ التَّغْلِبِيِّ):

وَكُنَّا إِذا الجَبَّارُ صَعّر خَدّه ... أقَمْنَا لَه مِنْ مَيْلِه فَتَقَوّمَا (1)

وَقَالَ (أَبُو طَالِبٍ) فِي شِعْرِهِ:

وَكُنَّا قَدِيمًا لاَ نقرُّ ظُلامَةً ... إِذا مَا ثنوا صُعْرَ الرُّؤُوسِ نُقِيمها (2)

* * *

وَقَوْلُهُ: {وَلا تَمْشِ فِي الأرْضِ مَرَحًا} أَيْ: جَذِلًا مُتَكَبِّرًا جَبَّارًا عَنِيدًا، لاَ تَفْعَلْ ذَلِكَ يُبْغِضُكَ اللَّهُ.

وَلِهَذَا قَالَ: {إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} أَيْ: مُخْتَالٍ مُعْجَبٍ فِي نَفْسِهِ، فَخُورٍ: أَيْ عَلَى غَيْرِهِ،

وَقَالَ تَعَالَى: {وَلا تَمْشِ فِي الأرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولا} {الْإِسْرَاءِ: 37}. (3)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-{سُورَةُ لُقْمَانَ} الآية {18} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ} قَرَأَ (ابْنُ كَثِيرٍ)، وَ(ابْنُ عَامِرٍ)، وَ(عَاصِمٌ)، وَ(أَبُو جَعْفَرٍ)، وَ(يَعْقُوبُ): {وَلَا تُصَعِّرْ} بِتَشْدِيدِ الْعَيْنِ مِنْ غَيْرِ أَلِفٍ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: تُصَاعِرْ بِالْأَلِفِ يُقَالُ: صَعَّرَ وَجْهَهُ وَصَاعَرَ إِذَا مَالَ "أعرض تَكَبُّرًا وَرَجُلٌ أَصْعَرُ أَيْ مَائِلُ الْعُنُقِ.

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): يَقُولُ لَا تَتَكَبَّرْ فَتُحَقِّرَ النَّاسَ وَتُعْرِضَ عَنْهُمْ بِوَجْهِكَ إِذَا كَلَّمُوكَ.

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ): هُوَ الرَّجُلُ يَكُونُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ إِحْنَةٌ فَتَلْقَاهُ فَيُعْرِضُ عَنْكَ بِوَجْهِهِ.

وَقَالَ: (عِكْرِمَةُ): هُوَ الَّذِي إِذَا سُلِّمَ عَلَيْهِ لَوَى عُنُقَهُ تقصيرا.

وَقَالَ: (الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ)، وَ(قَتَادَةُ): ولا تحتقرن الفقراء ليكن الفقر وَالْغَنِيُّ عِنْدَكَ سَوَاءً،

{وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا} خيلاء تكبرا،

{إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ} في مشيه،

{فَخُورٍ} عَلَى النَّاسِ. (4)

* * *

قوله تعالى: {وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ}.

قال: الإمام (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا منجاب بن الحارث التميمي وسُويد بن سعيد، كلاهما عن علي بن مسهر، قال منجاب: أخبرنا ابن مسهر، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن (عبد الله) قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((لا يدخل النار أحد في قلبه

(1) البيت في (مجاز القرآن) لأبي عبيدة (127/2).

(2) البيت في (السيرة النبوية) لابن هشام (269/1).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (18).

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (لُقمَان) الآية (18).

مثقال حبة خردل من إيمان. ولا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء)).(1)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا إسماعيل، قال: حدثني مالك، عن نافع وعبد الله بن دينار وزيد بن أسلم يُخبرونه، عن (ابن عمر)- رضي الله عنهما-، أن رسول الله قال: ((لا ينظر الله إلى من جرَّ ثوبه خيلاء)).(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن)- عن (علي بن أبي طلحة)- عن (ابن عباس): {وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ} يقول: ولا تتكبر فتحقر عباد الله، وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك.(3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) -عن (مجاهد): {وَلا تُصَعِّرْ} قال: الصدود والإعراض بالوجه عن الناس.(4)

* * *

قال: الإمام (الحاكم) - (رحمه الله) - في (المستدرك): أخبرني أحمد بن محمد العنزي، ثنا عثمان بن سعيد الدارمي، ثنا مسلم بن إبراهيم، ثنا الأسود بن شيبان السدوسي، عن يزيد بن عبد الله بن الشخير أبي العلاء، عن (مطرف بن عبد الله) قال: كان يبلغني عن (أبي ذر) حديث فكنت أشتهي لقاءه فلقيته فقلت يا أبا ذر كان يبلغني عنك حديث فكنت أشتهي لقاءك قال: لله أبوك فقد لقيتني، قال: قلت حدثني بلغني أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حدثك قال: ((إن الله يحب ثلاثة ويبغض ثلاثة)). قال فلا إخالني أكذب على خليلي قال: قلت من هؤلاء الذين يحبهم الله قال: رجل غزا في سبيل الله صابراً محتسباً مجاهداً فلقي العدو فقاتل حتى قتل وأنتم تجدونه عندكم في كتاب الله المنزل ثم قرأ هذه الآية {إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص} قلت: ومن؟ قال: رجل له جار سوء يؤذيه فيصبر على إيذائه حتى يكفيه الله إياه إما بحياة أو موت، قلت: ومن؟ قال: رجل يسافر مع قوم فأدلجوا حتى إذا كانوا من أخر الليل وقع عليهم الكرى والنعاس فضربوا رؤوسهم ثم قام فتطهر رهبة لله ورغبة لما عنده قلت: فمن الثلاثة الذين يبغضهم الله؟ قال: المختال الفخور وأنتم تجدونه في كتاب الله المنزل {إن الله لا يحب كل مختال فخور} قلت: ومن؟ قال: البخيل المنان، قلت: ومن؟ قال: التاجر الحلاف أو البائع الحلاف.(5)

* * *

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (مُسْلم) في (صحيحه) برقم (93/1) – (كتاب : الإيمان)، / باب: (تحريم الكبر وبيانه).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (264/10) ح (5783) – (كتاب : اللباس)، / باب: (قول الله تعالى: (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده)) .
وأخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (ح 2085)، -(كتاب : اللباس)،/ باب: (تحريم جر الثوب)..

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (144/20).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (144/20).

(5) أخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (89-88/2) - (كتاب : الجهاد)، وقال: (صحيح على شرط مسلم) ولم يخرجاه،
ووافقه الإمام (الذهبي).
والحديث السابق شاهد لبعضه ولبعضه أيضاً شواهد في الصحيحين.

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن)- عن (قتادة): قوله: ﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ قال: نهاه عن التكبر،

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ متكبر ذي فخر. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الصحيح) -عن (مجاهد): قوله: ﴿كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ قال: متكبر.

وقوله: (فخور) قال: يعدّد ما أعطى الله، وهو لا يشكر الله. (2)

* * *

[١٩] ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وتوسّط في مشيك بين الإسراع والدّبيب مشيًا يظهر الوقار، واخفض من صوتك، لا ترفعه رفعًا يؤذي، إن أقبح الأصوات لصوت الحمير لارتفاع أصواتها. (3)

* * *

يَعنِي:- وتواضع في مشيك، واخفض من صوتك فلا ترفعه، إن أقبح الأصوات وأبغضها لصوت الحمير المعروفة ببلادتها وأصواتها المرتفعة. (4)

* * *

يَعنِي:- وتوسط فى مشيك بين السرعة والبطء، واخفض من صوتك، لأن أقبح ما يستنكر من الأصوات هو صوت الحمير، أوله زفير مما يكره، وآخره شهيق مما يستقبح. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

﴿وَاقْصِدْ﴾ ... تَوَاضَعْ، وَكُنْ بَيْنَ الْمُسْرِعِ، وَالْمُبْطِئِ.

﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ ..... اعدل، فلا تَدب، ولا تَثِب.

(أي: إتئد ولا تعجل في مشيتك ولا تستكبر).

(أي: امْشِ مُتَوَاضِعًا مُسْتَكِينًا، لا مَشْيَ البَطَرِ والتَّكَبُّرِ، ولا مشيَ التَّمَاوُت).

﴿وَاغْضُضْ﴾ ... اخْفِضْ. انقص.

﴿وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ ... أَدَبًا مع النَّاسِ ومع الله.

(أي: اخفض صوتك وهو الاقتصاد في الصوت).

﴿مِنْ صَوْتِكَ﴾ .... واخفضه في محل الخطاب دون الإرهاب للعدو.

﴿أَنْكَرَ﴾ .... أَقْبَحَ، وَأَبْغَضَ.

﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ﴾ ... أي: أَفْظَعَهَا وَأَبْشَعَهَا.

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (20/145).
(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (20/145).
(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/412). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/412)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/614)، المؤلف: (لجنة من علماء -الأزهر).

(أي: أقبح الأصوات وأشدها نكارة عند الناس لأن أوله زفير وآخره شهيق).

{الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} .... لأن أوله زفير، وآخره شهيق" كصوت أهل النار.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمَام (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَة لُقمَان} الآية {19} قَوْلُهُ تَعَالَى: {واقصد فِي مَشْيِكَ} تواضع فِيهَا {واغضض من صَوْتك} واخفض صَوْتك وَلاَ تكن سليطاً {إِنَّ أنكر الْأَصْوَات} يَقُول أقبح وأشر الْأَصْوَات {لَصوْتُ الْحمير}.(1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَة لُقمَان} الآية {19} قَوْلُهُ تَعَالَى: {واقصد فِي مَشْيِكَ} أَيْ لِيَكُنْ مَشْيُكَ قَصْدًا لَا تَخَيُّلًا وَلَا إِسْرَاعًا.

وَقَالَ (عَطَاءٌ): امْشِ بِالْوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ، كَقَوْلِهِ: {يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا} {الْفُرْقَان: 63}.

{وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ} وقال: (مقاتل): اخفض مِنْ صَوْتِكَ،

{إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ} أقبح الأصوات.

{لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} أَوَّلُهُ زَفِيرٌ وَآخِرُهُ شَهِيقٌ وَهُمَا صوتا أَهْلِ النَّارِ.

وَقَالَ: (مُوسَى بْنُ أَعْيَنَ): سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: {إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} {لقمان: 19}.

قَالَ: صِيَاحُ كُلِّ شَيْءٍ تَسْبِيحٌ لِلَّهِ إِلَّا الْحِمَارَ.

وَقَالَ: (جَعْفَرُ الصَّادِقُ) فِي قَوْلِهِ: {إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} قَالَ: هِيَ الْعَطْسَةُ الْقَبِيحَةُ الْمُنْكَرَةُ.(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن)- عن (قتادة): {وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ} قال: نهاه عن الخيلاء.(3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن)- عن (قتادة): {وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ} يقول: واخفض من صوتك فاجعله قصدا إذا تكلمت.(4)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن)- عن (قتادة): {إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} أي: أقبح الأصوات لصوت الحمير، أوّله زفير، وآخره شهيق، أمره بالاقتصاد في صوته.(5)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقْمَانَ} الآية {19} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ} أَيِ: امْشِ مَشْيًا

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَة (لُقمَان) الآية (19) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما –.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَام (البغوي) سُورَةُ (لُقمَان) الآية (19).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (146/20).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (20/).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (146/20).

مُقْتَصِدًا لَيْسَ بِالْبَطِيءِ الْمُتَثَبِّطِ، وَلَا بِالسَّرِيعِ الْمُفْرِط، بَلْ عَدْلًا وَسَطًا بَيْنَ بَيْنَ.

وَقَوْلُهُ: {وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ} أَيْ: لَا تُبَالِغْ فِي الْكَلَامِ، وَلَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ فِيمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ" وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} قَالَ: (مُجَاهِدٌ) وَغَيْرُ وَاحِدٍ: إِنَّ أَقْبَحَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ، أَيْ: غَايَةُ مَنْ رَفَعَ صَوْتَهُ أَنَّهُ يُشَبه بِالْحَمِيرِ فِي عُلُوِّهِ وَرَفْعِهِ، وَمَعَ هَذَا هُوَ بَغِيضٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. وَهَذَا التَّشْبِيهُ فِي هَذَا بِالْحَمِيرِ يَقْتَضِي تَحْرِيمَهُ وَذَمَّهُ غَايَةَ الذَّمِّ" لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((لَيْسَ لَنَا مَثَلُ السَّوْءِ، الْعَائِدُ فِي هِبَتِهِ كَالْكَلْبِ يَقِيءُ ثُمَّ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ)) (1).

* * *

وَقَالَ: (النَّسَائِيُّ) عِنْدَ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ رَبِيعَةَ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ)، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: ((إذا سمعتم صياح الديكة فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الْحَمِيرِ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهَا رَأَتْ شَيْطَانًا)). (2)

وَقَدْ أَخْرَجَهُ بَقِيَّةُ الْجَمَاعَةِ سِوَى (ابْنِ مَاجَهْ)، - مِنْ طُرُقٍ-، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ رَبِيعَةَ بِهِ، وَفِي بَعْضِ الْأَلْفَاظِ: "بِاللَّيْلِ"، (3) **فَاللَّهُ أَعْلَم.**

فَهَذِهِ وَصَايَا نَافِعَةٌ جِدًّا، وَهِيَ مِنْ قَصَصِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ عَنْ لُقْمَانَ الْحَكِيمِ.

وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ مِنَ الْحِكَمِ وَالْمَوَاعِظِ أَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ، فَلْنَذْكُرْ مِنْهَا أُنْمُوذَجًا وَدُسْتُورًا إِلَى ذَلِكَ. (4)

* * *

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (20) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ (21) وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (22) وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (23) نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ (24) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (25) لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (26) وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (27) مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ(28)

---

(1) (صحيح): أخرجه الإمامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (2622) – (كتاب: الهبة وفضلها والتحريض عليها).

(2) (متفق عليه): أخرجه الإمامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (3303) – (كتاب: بدء الخلق).
وأخرجه الإمامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (2729) – (كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار).

(3) (صحيح): أخرجه الإمامُ (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (11391).
وأخرجه الإمامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (3301).
وأخرجه الإمامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (2779).
وأخرجه الإمام (ابو داود) في (السنن) برقم (5102).
وأخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (3459).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (لقمان) الآية (19).

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾

• لما فصَّل سبحانه ما يصيب الأم من جهد الحمل والوضع دلّ على مزيد برّها.
• نفع الطاعة وضرر المعصية عائد على العبد.
• وجوب تعاهد الأبناء بالتربية والتعليم.
• شمول الآداب في الإسلام للسلوك الفردي والجماعي. (1)

* * *

[٢٠] ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ألم تروا وتشاهدوا -أيها الناس- أن الله يَسَّرَ لكم الانتفاع بما في السماوات" من شمس وقمر وكواكب، ويَسَّرَ لكم أيضًا ما في الأرض من دواب وشجر ونبات، وأكمل عليكم نعمه ظاهرة للعيان" كجمال الصورة وحسن الهيئة، وباطنة خفية كالعقل والعلم، في توحيد الله لغير علم مستند إلى وحي من الله، أو عقل مستنير، ولا كتاب واضح منزل من الله. (2)

* * *

يَعنِي:- ألم تروا -أيها الناس- أن الله ذلَّل لكم ما في السموات من الشمس والقمر والسحاب وغير ذلك، وما في الأرض من الدوابِّ والشجر والماء، وغير ذلك مما لا يحصى، وعمَّكم بنعمه الظاهرة على الأبدان والجوارح، والباطنة في العقول والقلوب، وما ادَّخره لكم مما لا تعلمونه؟ ومن الناس مَن يجادل في توحيد الله وإخلاص العبادة له بغير حجة ولا بيان، ولا كتاب مبين يبيِّن حقيقة دعواه. (3)

* * *

يَعنِي:- قد رأيتم أن الله ذلَّل لكم ما فى السموات من الشمس والقمر والنجوم وغيرها، وما فى الأرض من الأنهار والثمار والدواب، وأتم عليكم نعمه ظاهرة لكم ومستورة عنكم، ومن الناس من يُجادل فى ذات الله وصفاته بلا دليل ولا رشاد مأثور عن نبى ولا وحى يضئ طريق الحق. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{أَلَمْ تَرَوْا} ... أيها الناس. (أي: ألم تعلموا أيها الناس).

{أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ} .... بأن جعله سببًا لمنافعكم.

{أنَّ الله سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّموَاتِ} ... من شمس وقمر و نجم وسحاب.

{سخر لكم ما في السموات} .... أي: من شمس وقمر وكواكب ورياح وأمطار لمنافعكم.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (412/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (413/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (413/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (614/1)، المؤلف: (لجنة من علماء -الأزهر).

{سَخَّرَ لَكُم} ... ذَلَّلَ لَكُمْ.

{ومـــا في الأرض} .... أي: مـــن أشـــجار وأنهـــار وجبال و بحار وغيرها.

{ومـــا فـــي الأرْضِ} ... مـــن دابـــة وشـــجر ومـــاء وبحـــر وفلـــك، وغـــير ذلـــك مـــن المنـــافع، يجـــري ذلـــك كلـــه لمنـــافعكم ومصـــالحكم، لغـــذائكم وأقـــواتكم وأرزاقكـــم وملاذكـــم، تتمتعـــون بـــبعض ذلك كله، وتنتفعون بجميعه،

{وَمَـــا فِـــي الْـــأَرْضِ} .... بـــأن مكـــنكم مـــن الانتفاع به.

{وَأَسْبَغَ} ... عَمَّكُمْ بِنِعَمِه.

{وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ} .... أكملَ عليكم.

(أي: أَتَـــمَّ وَأَكْمَـــلَ علـــيكم الـــنِّعَمَ الظـــاهرة المدركَـــةَ بـــالحسِّ كالشـــمس والقمـــر والبحـــار والصحة، والنِّعَم الباطنة كالمعرفة والعقل).

{وأســـبغ علـــيكم نعمـــه ظـــاهرة} .... أي: أوســـع وأتم علـــيكم نعمـــه ظـــاهرة وهـــي الصـــحة وكمـــال الخلق تسوية الأعضاء.

{ظَـــاهِرَةً} .... هـــي حســـن الصـــورة وتســـوية الأعضاء.

{وَبَاطِنَـــةً} .... هـــي المعرفـــة، (أي: المعرفـــة والعقل).

{مـــن يجـــادل في الله} ..... أي: يخاصـــم في توحيد الله منكراً له مكذباً به.

{بغـــير علـــم} .... أي: بـــدون علـــم عنـــده مـــن وحي ولا هو مستفاد من دليل عقلي.

ولمـــا كـــان (النضـــر بـــن الحـــارث)، و(أبـــي بـــن خلـــف)، و(أميـــة بـــن خلـــف)، وأشـــباههم يجـــادلون الـــنبي - صـــلى الله عليـــه وســـلم - في الله وفي صفاته.

نـــزل قولـــه تعـــالى: {وَمِـــنَ النَّـــاسِ مَـــنْ يُجَـــادِلُ فِـــي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ} [1] مستفادٍ من دليل.

{ولا هـــدى ولا كتـــاب مـــنير} .... أي: ســـنة مـــن سنن الرسل، ولا كتاب إلهي منير واضح بيّن.

{وَلَا هُدًى} .... راجعٍ إلى الرسول.

{وَلَـــا كِتَـــابٍ مُـــنِيرٍ} .... أنزلـــه الله، بـــل بالتقليد.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

انظـــر ســـورة -(إبـــراهيم)- آيـــة (32 و33) لبيـــان بعـــض المســـخرات. - كمـــا قـــال تعـــالى: {اللَّـــهُ الَّـــذِي خَلَـــقَ السَّـــمَاوَاتِ وَالْـــأَرْضَ وَأَنْـــزَلَ مِـــنَ السَّـــمَاءِ مَـــاءً فَـــأَخْرَجَ بِـــهِ مِـــنَ الثَّمَـــرَاتِ رِزْقًـــا لَكُـــمْ وَسَـــخَّرَ لَكُـــمُ الْفُلْـــكَ لِتَجْـــرِيَ فِـــي الْبَحْـــرِ بِـــأَمْرِهِ وَسَـــخَّرَ لَكُـــمُ الْأَنْهَـــارَ (32) وَسَـــخَّرَ لَكُـــمُ الشَّـــمْسَ وَالْقَمَـــرَ دَائِبَـــيْنِ وَسَـــخَّرَ لَكُـــمُ اللَّيْـــلَ وَالنَّهَارَ (33)}.

* * *

(تفســـير ابـــن عبـــاس):- قـــال: الإِمَـــامُ (مجـــد الـــدين الفـــيروز آبـــادى) - (رحمـــه الله):- {سُـــورَةُ لُقمَـــان} الآيـــة {20} قَوْلُـــهُ تَعَـــالَى: {أَلَـــمْ تَـــرَوْا} ألم تخـــبروا فـــي الْقُـــرآن {أَنَّ الله سَـــخَّرَ لَكُـــمْ} ذلـــك لكـــم {مَّـــا فِـــي السَّـــمَاوَاتِ} مـــن الشَّـــمْس وَالْقَمَـــر والنجـــوم والســـحاب والمطـــر {وَمَـــا فِـــي الأَرْض} مـــن الشّـــجر وَالـــدَّوَاب {وَأَسْـــبَغَ عَلَـــيْكُمْ} وأتم عَلَـــيكُم {نِعَمَـــهُ

---

(1) انظر: "التيسير" للداني (ص: 177)، و"تفسير البغوي" (3/ 512)، و"النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (2/ 347)، و"معجم القراءات القرآنية" (5/ 89)، والقراءة جاءت بخلاف عن (أبي عمرو)، و(ابن كثير)، و(عاصم).

{ظَاهِرَةً} بالتَّوْحِيد {وَبَاطِنَةً} بالمعرفة ويُقَال ظَاهِرَة مَا يعلم النَّاس من حَسَنَاتك وباطنة مَا لاَ يعلم النَّاس من سيئاتك ويُقَال ظَاهِرَة من الطَّعَام وَالشَّرَاب وَالدَّرَاهِم وَالدَّنَانِير وَغير ذَلِك وباطنة من النَّبَات وَالثِّمَار والأمطار والمياه وَغير ذَلِك ويُقَال ظَاهِرَة مَا أكرمك بهَا وباطنة مَا حفظك عَنْهَا {وَمِنَ النَّاس} وَهُوَ نضر بن الْحَرْث {مَن يُجَادِلُ فِي الله} يُخَاصم فِي دين الله {بِغَيْرِ علم} بِلاَ علم {وَلاَ هُدىً} وَلاَ حجَّة {وَلاَ كِتَابٍ مُّنِيرٍ} مُبين بمَا يَقُول.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

(بأسانيد يقوي بعض بعضاً) –عن (مجاهد):

{الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً} قال: لا إله إلا الله.(2)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-{سُورَة لُقمَان} الآية {20} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ} أتم وأكمل،

{نِعَمَهُ} قَرَأَ (أَهْلُ الْمَدِينَةِ)، وَ(أَبُو عَمْرٍو)، وَ(حفص). {نِعَمَهُ} بفتح العين والهاء عَلَى الْجَمْعِ،

وَقَرَأَ: الْآخَرُونَ: مُنَوَّنَةً عَلَى الْوَاحِدِ وَمَعْنَاهَا الْجَمْعُ أَيْضًا كقوله: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا} {إبراهيم: 34}.

{ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً} قَالَ: (عِكْرِمَةُ)، عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ): النِّعْمَةُ الظَّاهِرَةُ الْإِسْلَامُ وَالْقُرْآنُ وَالْبَاطِنَةُ مَا سَتَرَ عَلَيْكَ مِنَ الذُّنُوبِ وَلَمْ يُعَجِّلْ عَلَيْكَ بِالنِّقْمَةِ.

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ): الظَّاهِرَةُ حُسْنُ الصُّورَةِ وَتَسْوِيَةُ الْأَعْضَاءِ وَالْبَاطِنَةُ الْمَعْرِفَةُ.

وَقَالَ: (مُقَاتِلٌ): الظَّاهِرَةُ تَسْوِيَةُ الْخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَالْإِسْلَامُ، والباطنة الإيمان.

وقال: (الربيع): الظاهرة الجوارح والباطنة القلب،

وَقِيلَ: الظَّاهِرَةُ الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ وَالْبَاطِنَةُ الِاعْتِقَادُ بِالْقَلْبِ.

وَقِيلَ: الظَّاهِرَةُ تَمَامُ الرِّزْقِ وَالْبَاطِنَةُ حُسْنُ الْخُلُقِ.

وَقَالَ: (عَطَاءٌ): الظَّاهِرَةُ تَخْفِيفُ الشَّرَائِعِ وَالْبَاطِنَةُ الشَّفَاعَةُ.

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ): الظَّاهِرَةُ ظُهُورُ الْإِسْلَامِ وَالنَّصْرُ عَلَى الْأَعْدَاءِ وَالْبَاطِنَةُ الْإِمْدَادُ بِالْمَلَائِكَةِ.

وَقِيلَ: الظَّاهِرَةُ الْإِمْدَادُ بِالْمَلَائِكَةِ وَالْبَاطِنَةُ إِلْقَاءُ الرُّعْبِ فِي قُلُوبِ الْكُفَّارِ.

وَقَالَ: (سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ): الظَّاهِرَةُ اتِّبَاعُ الرَّسُولِ وَالْبَاطِنَةُ مَحَبَّتُهُ،

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ} نَزَلَتْ فِي (النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ)، وَ(أُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ)، وَ(أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ)، وَأَشْبَاهِهِمْ كَانُوا يُجَادِلُونَ النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي اللَّهِ وَفِي صِفَاتِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، {وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ}.(3)

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَة (لُقمَان) الآية (20) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما –.

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (148/20).

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَة (لُقمَان) الآية (20).

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - رحمه الله - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان}

الآية {20} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ}.

يمتن تعالى على عباده بنعمه، ويدعوهم إلى شكرها ورؤيتها" وعدم الغفلة عنها فقال:

{أَلَمْ تَرَوْا} أي: تشاهدوا وتبصروا بأبصاركم وقلوبكم،

{أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ} من الشمس والقمر والنجوم، كلها مسخرات لنفع العباد.

{وَمَا فِي الأَرْضِ} من الحيوانات والأشجار والزروع، والأنهار والمعادن ونحوها كما قال تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا}.

{وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ} أي: عمّكم وغمركم نعمه الظاهرة والباطنة التي نعلم بها" والتي تخفى علينا، نعم الدنيا، ونعم الدين، حصول المنافع، ودفع المضار، فوظيفتكم أن تقوموا بشكر هذه النعم" بمحبة المنعم والخضوع له" وصرفها في الاستعانة على طاعته، وأن لا يستعان بشيء منها على معصيته.

{و} لكن مع توالي هذه النعم" {مِنَ النَّاسِ مَنْ} لم يشكرها" بل كفرها" وكفر بمن أنعم بها" وجحد الحق الذي أنزل به كتبه" وأرسل به رسله، فجعل.

{يُجَادِلُ فِي اللَّهِ} أي: يجادل عن الباطل" ليدحض به الحق" ويدفع به ما جاء به الرسول من الأمر بعبادة الله وحده، وهذا المجادل على غير بصيرة، فليس جداله عن علم، فيترك وشأنه، ويسمح له في الكلام.

{وَلا هُدًى} يقتدي به بالمهتدين.

{وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ} ﴿غير مبين للحق فلا معقول ولا منقول ولا اقتداء بالمهتدين﴾ وإنما جداله في الله مبني على تقليد آباء غير مهتدين، بل ضالين مضلين.(1)

* * *

انظر سورة - (الحج)- آية (3). وقول: (الشيخ الشنقيطي) لبيان الجدل بغير علم.

كما قال: الشيخ (محمد الأمين الشنقيطي) - رحمه الله - في (تفسيره):- قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ (3) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ (4)}.

ما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة من أن بعض الجهال كالكفار يجادل في الله بغير علم: أي يخاصم فيه بغير مستند من علم بينه في غير هذا الموضع كقوله في هذه السورة الكريمة: {ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله} الآية.

وقوله تعالى في (لقمان): {ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (20) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

بـل نتبـع مـا وجـدنا عليـه آباءنـا أولـو كـان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير} .

فقولـه في آيـة (لقمـان) هـذه: أولـو كـان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير،

كقولـه: في {الحـج}: {كتـب عليـه أنـه مـن تولاه فانه يضله ويهديه إلى عذاب السعير} .

ومـن الآيـات الدالـة علـى مجادلـة الكفـار في الله بغير علم،

قولـه تعـالى: {أولم يـر الإنسـان أنا خلقنـاه من نطفة فـإذا هـو خصيم مبين وضـرب لنـا مثلا ونسـى خلقـه قـال مـن يحيـي العظـام وهـي رميم} .

وقولـه: في أول {النحـل} {خلـق الإنسـان مـن نطفة فإذا هو خصيم مبين} ... (1)

* * *

قـال: الإمـام (إبـن كـثير) – (رحمـه الله) – في (تفسيره):- {سُـورَةُ لُقمَـان} الآيـة {20} قَوْلُـهُ تَعـالَى: {أَلَـمْ تَـرَوْا أَنَّ اللَّـهَ سَـخَّرَ لَكُـمْ مَـا فِـي السَّـمَوَاتِ وَمَـا فِـي الأرْضِ وَأَسْـبَغَ عَلَـيْكُمْ نِعَمَـهُ ظَـاهِرَةً وَبَاطِنَـةً وَمِـنَ النَّـاسِ مَـنْ يُجَـادِلُ فِـي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ} .

يَقُـولُ تَعَـالَى مُنَبِّهًـا خَلْقَـهُ عَلَـى نِعَمِـهِ عَلَـيْهِمْ فِـي الـدُّنْيَا وَالْـآخِرَةِ، بِأَنَّـهُ سَـخَّرَ لَهُـمْ مَـا فِـي السموات مِـنْ نُجُـومٍ يَسْتَضِـيئُونَ بِهَـا فِـي لَـيْلِهِمْ وَنَهَـارِهِمْ، وَمَـا يُخْلَـقُ فِيهَـا مِـنْ سَـحَابٍ وَأَمْطَـارٍ وَثَلْـجٍ وَبَـرَدٍ، وَجَعْلِـهِ إِيَّاهَـا لَهُـمْ سَـقْفًا مَحْفُوظًـا، وَمَـا خَلَـقَ لَهُـمْ فِـي الْـأَرْضِ مِـنْ قَـرَارٍ وَأَنْهَـارٍ وَأَشْـجَارٍ وَزُرُوعٍ وَثِمَـارٍ. وَأَسْـبَغَ عَلَـيْهِمْ نِعَمَـهُ الظَّـاهِرَةَ وَالْبَاطِنَـةَ مِـنْ إِرْسَـالِ الرُّسُـلِ وَإِنْـزَالِ الْكُتُـبِ، وَإِزَاحَـةِ الشُّبَهِ وَالْعِلَلِ، ثُـمَّ مَـعَ هَـذَا كُلِّـهِ مَـا آمَـنَ النَّـاسُ كُلُّهُـمْ، بَـلْ مِـنْهُمْ مَـنْ يُجَـادِلُ فِـي اللَّـهِ، أَيْ: فِـي تَوْحِيـدِهِ وَإِرْسَـالِ الرُّسُـلِ. وَمُجَادَلَتُـهُ فِـي ذَلِـكَ بِغَيْـرِ عِلْـمٍ، وَلاَ مُسْـتَنَدٍ مِـنْ حُجَّةٍ صَحِيحَةٍ، وَلاَ كِتَابٍ مَأْثُورٍ صَحِيحٍ".

وَلِهَـذَا قَـالَ تَعَـالَى: {وَمِـنَ النَّـاسِ مَـنْ يُجَـادِلُ فِـي اللَّـهِ بِغَيْـرِ عِلْـمٍ وَلا هُـدًى وَلا كِتَـابٍ مُنِيرٍ} أَيْ: مُبِينٍ مُضِيءٍ. (2)

* * *

[٢١] ﴿ وَإِذَا قِيـلَ لَهُـمُ اتَّبِعُـوا مَـا أَنْـزَلَ اللَّـهُ قَـالُوا بَـلْ نَتَّبِـعُ مَـا وَجَـدْنَا عَلَيْـهِ آبَاءَنَـا أَوَلَـوْ كَـانَ الشَّـيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وإذا قيـل لهـؤلاء المجـادلين في توحيـد الله: اتبعـوا مـا أنـزل الله علـى رسـوله مـن الـوحي، قـالوا: لا نتبعـه، بـل نتبـع مـا وجـدنا عليـه أسـلافنا مـن عبـادة آلهتنـا، أيتبعـون أسـلافهم ولـو كـان الشـيطان يـدعوهم - بمـا يضـلهم بـه مـن عبـادة الأوثـان - إلى عـذاب السـعير يـوم القيامة؟!. (3)

* * *

يَعنْـي:- وإذا قيـل لهـؤلاء المجـادلين في توحيـد الله وإفـراده بالعبـادة: اتبعـوا مـا أنـزل الله

---

(1) انظـر: (أضـواء البيـان في إيضـاح القـرآن بـالقرآن) للشـيخ (محمـد الأمـين الشنقيطي). من سورة (لقمان) الآية (20).

(2) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) للإمَـامْ (ابـن كـثير) في سُـورَةُ (لُقمَـان) الآية (20).

(3) انظـر: (المختصـر في تفسـير القـرآن الكـريم) (1/413). تصـنيف: (جماعة من علماء التفسير).

على نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- قالوا: بل نتبع ما كان عليه آباؤنا من الشرك وعبادة الأصنام، أيفعلون ذلك، ولو كان الشيطان يدعوهم" بتزيينه لهم سوء أعمالهم، وكفرهم بالله إلى عذاب النار المستعرة؟.(1)

* * *

يَعنِي:- وإذا قيل لهم: اتبعوا ما أنزل الله من الحق والهدى، قالوا: بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا، أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم إلى ضلال يدخلهم عذاب السعير؟.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

بل يجادل بمجرد التقليد، كما قال تعالى::

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ .... أي: لهؤلاء المجادلين، والجمع باعتبار معنى من.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ (3) أي: لأولئك المجادلين في الله بالجهل والباطل.

﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ .... تعالى على نبيه من القرآن الواضح، والنور البيّن، فآمنوا به.

(أي: على رسوله محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من هدى، قالوا لا، بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا من عقائد وثنية وتقاليد جاهلية).

﴿قَالُوا﴾ .... لا نتبعه.

﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ ...الأقدمين من عبادة الأصنام والأوثان والملائكة، فإنهم كانوا أهل حق ودين صحيح، فنعبد ما كانوا يعبدونه من الأصنام، ونمشي في الطريق الذي كانوا به في دينهم، فوبخهم سبحانه على تلك المقالة التي هي من حبائل الشيطان ووساوسه،

﴿أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ﴾ .... أي: يدعو آباءهم،

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ وجواب (أَوَ لَو) محذوف، تقديره: أتتبعون الشيطان، وإن كان يدعوهم إلى عذاب السعير؟ والتقليد لغة: وضع الشيء في العنق محيطًا به، ومنه القلادة، ثم استعمل في تفويض الأمر إلى الغير" كأنه ربطه في عنقه.

﴿أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ﴾ .... أي: أيتبعون آباءهم ولو كان الشيطان يدعو آباءهم.

واصطلاحًا: قبول قول الغير بلا حجة، فيخرج الأخذ بقوله عليه السلام" لأنه حجة في نفسه.

﴿إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ .... أي: النار المستعرة الملتهبة والجواب لا، ولكن اتبعوهم فسوف يردون معهم النار وبئس الورد المورود.

* * *

﴿الْقِرَاءَآت﴾

﴿نِعَمَهُ﴾ قرأ (نافع)، و(أبو جعفر)، و(أبو عمرو)، و(حفص) عن (عاصم): (نِعَمَهُ)

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/413)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/614)، المؤلف: (لجنة من علماء -الأزهر).

(3) هذا عام في اليهودي السائل وفي المشركين الذين طالما سألوا وجادلوا النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بجهلهم وتقليد آبائهم وهم من أجهل الناس.

بفتح العين وضم الهاء على الجمع والتذكير" لأن أنعمه كثيرة،

وقرأ الباقون: بإسكان العين وتاء منونة منصوبة على التأنيث والتوحيد" [1] إرادة الجنس. [2]

* * *

الدليل و البرهان و الحجّة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمَام (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {21} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذا قيل لَهُم} لكفار مَكَّة.

{اتبعُوا مَا أنزل الله} على نبيه من الْقُرْآن اقرءوه وَاعْمَلُوا بِمَا فِيهِ.

{قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَآءَنَا} من الدّين وَالسّنة.

{أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ} يدعوا آبَاءَهُم.

{إِلَى عَذَابِ السعير} إِلَى الْكفْر والشرك وَمَا يجب بِهِ عَذَاب السعير فهم يقتدون بهم. [3]

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {21} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ} أَيْ: لِهَؤُلَاءِ الْمُجَادِلِينَ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ: {اتَّبِعُوا مَا أَنزلَ اللَّهُ} أَيْ: عَلَى رَسُوله مِنَ الشَّرَائِعِ الْمُطَهَّرَةِ،

{قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا} أَيْ: لَمْ يَكُنْ لَهُمْ حُجَّةٌ إِلَا اتِّبَاعَ الْآبَاءِ الْأَقْدَمِينَ، قَالَ اللَّهُ: {أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ} {الْبَقَرَةِ: 170}.

أَيْ: فَمَا ظَنُّكُمْ أَيُّهَا الْمُحْتَجُّونَ بِصَنِيعِ آبَائِهِمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى ضَلَالَةٍ وَأَنْتُمْ خَلَفٌ لَهُمْ فِيمَا كَانُوا فِيهِ" وَلِهَذَا قَالَ: {أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ}. [4]

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {21} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا} قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ} وَجَوَابُ لَوْ مَحْذُوفٌ وَمَجَازُهُ يَدْعُوهُمْ فَيَتَّبِعُونَهُ، يَعْنِي يَتَّبِعُونَ الشَّيْطَانَ وَإِنْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ. [5]

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {21} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ} على أيدي رسله، فإنه الحق، وبينت لهم أدلته الظاهرة.

{قَالُوا} معارضين ذلك: {بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا} فلا نترك ما وجدنا عليه آباءنا لقول أحد كائنا من كان.

---

(1) انظر: "تفسير البغوي" (3/ 512).

(2) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (21) للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (21) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما –.

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (21).

(5) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (لُقمَان) الآية (21).

قال تعالى في الرد عليهم وعلى آبائهم: {أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ} فاستجاب له آباؤهم، ومشوا خلفه، وصاروا من تلاميذ الشيطان، واستولت عليهم الحيرة.

فهل هذا موجب لاتباعهم لهم ومشيهم على طريقتهم، أم ذلك يرهبهم من سلوك سبيلهم، وينادي على ضلالهم، وضلال من اتبعهم.

وليس دعوة الشيطان لآبائهم ولهم، محبة لهم ومودة، وإنما ذلك عداوة لهم ومكر بهم، وبالحقيقة أتباعه من أعدائه، الذين تمكن منهم وظفر بهم، وقرت عينه باستحقاقهم عذاب السعير، بقبول دعوته. (1)

* * *

[٢٢] ﴿ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ومن يُقْبِل على الله مخلصًا له عبادته ومحسنًا في عَمله، فقد أمسك بأوثق ما يتعلق به من يرجو النجاة حيث لا يخاف انقطاع ما أمسك به، إلى الله وحده مصير الأمور، ومرجعها، فيجازي كلا بما يستحق. (2)

* * *

يَعنِي:- ومن يُخْلص عبادته لله وقصده إلى ربه تعالى، وهو محسن في أقواله، متقن لأعماله، فقد أخذ بأوثق سبب موصل إلى رضوان الله وجنته. وإلى الله وحده تصير كل الأمور، فيجازي المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته. (3)

* * *

يَعنِي:- ومن يتجه إلى الله بقلبه ووجهه ويفوض إليه جميع أمره - وهو محسن فى عمله - فقد تعلق بأقوى الأسباب التى توصله إلى رضا الله، وإليه - سبحانه - مصير الأمور كلها. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ} .... أي: يخلص دينه لله.

(أي: أقبل على طاعته مخلصا له العبادة لا يلتفت إلى غيره من سائر خلقه).

{يُسْلِمْ وَجْهَهُ} ... يُخْلِص عِبَادَتَهُ وَقَصْدَهُ إِلَى الله.

{وهو محسن} .... في عمله. أي: والحال أنه محسن في طاعته إخلاصاً واتباعاً.

{فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى} .... أي: اعتصم بالعهد الأوثق، وهو: لا إله إلا الله.

(أي: تعلق بأوثق ما يتعلق به فلا يخاف انقطاعه بحال).

{اسْتَمْسَكَ} ... تَعَلَّقَ، وَاعْتَصَمَ.

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَة (لُقمَان) الآية (21) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (413/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (413/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (615/1)، المؤلف: (لجنة من علماء -الأزهر).

{بِـالْعُرْوَةِ الْـوُثْقَى} ... أَوْثَـق سَـبَبٍ مُوصِـلٍ إِلَـى رِضْوَانِ اللَّه.

{وَإِلَـى اللَّـهِ عَاقِبَـةُ الْـأُمُورِ} ..... فيعطـي كلًّـا جزاءه.

(أي: مرجـع كـل الأمـور إلى الله سـبحانه وتعالى).

{عَاقِبَةُ} ... مَآلُ، وَمَرْجِعٌ.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

انظـر: سـورة – (البقـرة) – آيـة (112) لبيـان ومـن يسـلم وجهـه إلى الله، أي: يخلـص لله تعـالى. - كمـا قـال تعـالى: {بَلَـى مَـنْ أَسْلَمَ وَجْهَـهُ لِلَّـهِ وَهُـوَ مُحْسِـنٌ فَلَـهُ أَجْـرُهُ عِنْـدَ رَبِّـهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}.

* * *

وانظـر: سـورة - (البقـرة)- آيـة (256) لبيـان العـروة الـوثقى: الإسـلام والإيمـان. - كمـا قـال تعـالى: {لَا إِكْـرَاهَ فِـي الـدِّينِ قَـدْ تَبَـيَّنَ الرُّشْـدُ مِـنَ الْغَـيِّ فَمَـنْ يَكْفُـرْ بِالطَّـاغُوتِ وَيُـؤْمِنْ بِاللَّـهِ فَقَـدِ اسْتَمْسَـكَ بِـالْعُرْوَةِ الْـوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}.

* * *

(تفسـير ابـن عبـاس):- قـال: الإِمَـام (مجـد الـدين الفـيروز آبـادى) - (رحمـه الله):- {سُـورَةُ لُقمَـان} الآيـة {22} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {وَمَـن يُسْـلِمْ وَجْهَـهُ إِلَـى الله} مـن يخلـص دينـه وَعَملـه لله {وَهُـوَ مُحْسِـنٌ} موحـد مخلـص {فَقَـد استمسـك} فقـد أَخـذ {بِـالعروة} بِـلاَ إِلَـه إِلاَ الله {الـوثقى} الْوَثِيقَـة الَّتِـي لَا انفصـام لَهَـا. {وَإِلَـى الله عَاقِبَـةُ الْـأُمُورِ} ترجـع عواقـب الْأُمُور فِي الْآخِرَة الَّتِي يموتون عَلَيْهَا.[1]

* * *

قـال: الإمـام (البغـوي) - (مُحيـي السُّـنَّة) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):-{سُـورَةُ لُقمَـان} الآيـة {22} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {وَمَـنْ يُسْـلِمْ وَجْهَـهُ إِلَـى اللَّـهِ} يَعْنِـي: لِلَّـهِ أَيْ يُخْلِـصْ دِينَـهُ لِلَّـهِ وَيُفَـوِّضْ أَمْـرَهُ إِلَـى اللَّـهِ، {وَهُـوَ مُحْسِـنٌ} فِـي عَمَلِـهِ، {فَقَـدِ اسْتَمْسَـكَ بِـالْعُرْوَةِ الْـوُثْقَى} أَيْ: اعْتَصَـمَ بِالْعَهْـدِ الْـأَوْثَقِ الَّـذِي لَـا يَخَـافُ انْقِطَـاعَـهُ، {وَإِلَـى اللَّـهِ عَاقِبَـةُ الْأُمُورِ}.[2]

* * *

قـال: الإمـام (عبـد الـرحمن بـن ناصـر السـعدي) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- {سُـورَةُ لُقمَـان} الآيـة {22} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {وَمَـنْ يُسْـلِمْ وَجْهَـهُ إِلَـى اللَّـهِ} أي: يخضـع لـه وينقـاد لـه بفعـل الشرائع مخلصا له دينه.

{وَهُـوَ مُحْسِـنٌ} في ذلـك الإسـلام بـأن كـان عملـه مشـروعا، قـد اتبـع فيـه الرسـول صـلى الله عليه وسلم.

أو: ومـن يسـلم وجهـه إلى الله، بفعـل جميـع العبـادات، وهـو محسـن فيهـا، بـأن يعبـد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه، فإنه يراه.

أو ومـن يسـلم وجهـه إلى الله، بالقيـام بحقوقـه، وهـو محسـن إلى عبـاد الله، قـائم بحقوقهم.

---

(1) انظـر: (تنـوير المقبـاس مـن تفسـير ابـن عبـاس) في سُـورَةُ (لُقمَـان) الآيـة (22) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظـر: (مختصـر تفسـير البغـوي = المسـمى بمعـالم التنزيـل) للإِمَـامْ (البغوي) سُورَةُ (لُقمَان) الآية (22).

والمعاني متلازمة، لا فرق بينها إلا من جهة اختلاف مورد اللفظتين، وإلا فكلها متفقة على القيام بجميع شرائع الدين، على وجه تقبل به وتكمل، فمن فعل ذلك فقد أسلم و {اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى} أي: بالعروة التي من تمسك بها، توثق ونجا، وسلم من الهلاك، وفاز بكل خير.

ومن لم يسلم وجهه لله، أو لم يحسن لم يستمسك بالعروة الوثقى، وإذا لم يستمسك بالعروة الوثقى لم يكن ثمَّ إلا الهلاك والبوار.

{وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ} أي: رجوعها وموئلها ومنتهاها، فيحكم في عباده، ويجازيهم بما آلت إليه أعمالهم، ووصلت إليه عواقبهم، فليستعدوا لذلك الأمر. (1)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقْمَانَ} الآية {22} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ} .

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ، أَيْ: أَخْلَصَ لَهُ الْعَمَلَ وَانْقَادَ لِأَمْرِهِ وَاتَّبَعَ شَرْعَهُ" وَلِهَذَا قَالَ: {وَهُوَ مُحْسِنٌ} أَيْ: فِي عَمَلِهِ، بِاتِّبَاعِ مَا بِهِ أُمِرَ، وَتَرْكِ مَا عَنْهُ زُجِرَ، {فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى} أَيْ: فَقَدْ أَخَذَ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ مَتِينًا أَنَّهُ لَا يُعَذِّبُهُ، {وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ} . (2)

* * *

[٢٣] ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ومن كفر بالله فلا يحزنك أيها الرسول- ﷺ - كفره، إلينا وحدنا مرجعهم يوم القيامة، فنخبرهم بما عملوا من سيئات في الدنيا، ونجازيهم عليها، إن الله عليم بما في الصدور، لا يخفى عليه شيء مما فيها. (3)

* * *

يَعنِي:- ومن كفر فلا تأسَ عليه أيها الرسول- ﷺ - ولا "تحزن" لأنك أديت ما عليك من الدعوة والبلاغ، إلينا مرجعهم ومصيرهم يوم القيامة، فنخبرهم بأعمالهم الخبيثة التي عملوها في الدنيا، ثم نجازيهم عليها، إن الله عليم بما تكنُّه صدورهم من الكفر بالله وإيثار طاعة الشيطان. (4)

* * *

يَعنِي:- ومن لم يجعل ذاته ونفسه خالصة لله فلا يحزنك جحوده وإعراضه، إلينا - وحدنا - مرجع هؤلاء يوم القيامة، فنعرض

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (22) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (22).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (413/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (413/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

عليهم أعمالهم. لأننا نحيط علماً بدخائل النفوس فكيف بظواهر الأعمال؟ .(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ}... فإنه لا يضرك.

{إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ}.... في الدارين.

{فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا}.... بالإهلاك والتعذيب.

{إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}.... فمُجازٍ عليه.

* * *

﴿ الْقِرَاءَاتُ ﴾

قرأ نافع: (يُحْزِنْكَ) بضم الياء وكسر الزاي، والباقون: بفتح الياء وضم الزاي. (2)

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

قال الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {23} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَنْ كَفَرَ فَلا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ} أَيْ: لَا تَحْزَنْ يَا مُحَمَّدُ عَلَيْهِمْ فِي كُفْرِهِمْ بِاللَّهِ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ" فَإِنَّ قَدَرَ اللَّهِ نَافِذٌ فِيهِمْ، وَإِلَى اللَّهِ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا، أَيْ: فَيَجْزِيهِمْ عَلَيْهِ،

{إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}، فَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ. (3)

* * *

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَة لُقمَان} الآية {23} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَن كَفَرَ} بِاللَّه من قُرَيْش أَو من غَيرهم {فَلَا يحزنك} يَا مُحَمَّد كفره وهلاكه في {كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ} بعد الْمَوْت {فَنُنَبِّئُهُم} فنخبرهم {بِمَا عملُوا} فِي الدُّنْيَا فِي كفرهم {إِنَّ الله عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} بِمَا فِي الْقُلُوب من الْخَيْر وَالشَّر. (4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَة لُقمَان} الآية {23} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ} لأنك أديت ما عليك، من الدعوة والبلاغ، فإذا لم يهتد، فقد وجب أجرك على الله، ولم يبق للحزن موضع على عدم اهتدائه، لأنه لو كان فيه خير، لهداه الله.

ولا تحزن أيضا، على كونهم تجرأوا عليك بالعداوة، ونابذوك المحاربة، واستمروا على غيهم وكفرهم، ولا تتحرق عليهم، بسبب أنهم ما بودروا بالعذاب.

فإن {إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا} من كفرهم وعداوتهم، وسعيهم في إطفاء نور الله وأذى رسله.

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (615/1)، المؤلف: (لجنة من علماء -الأزهر).

(2) انظر: "إتحاف فضلاء البشر" للدمياطي (ص: 350)، و"معجم القراءات القرآنية" (5/ 90).

انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن) في سُورَةُ (لقمَان) الآية (23) للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (23).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (23) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما - .

{إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} التي ما نطق بها الناطقون، فكيف بما ظهر، وكان شهادة؟. (1)

* * *

[٢٤] ﴿ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

نمتعهم بما نعطيهم من الملذات في الدنيا زمنًا قليلًا، ثم نلجئهم يوم القيامة إلى عذاب شديد هو عذاب النار. (2)

* * *

يَعني:- نمتعهم في هذه الدنيا الفانية مدة قليلة، ثم يوم القيامة نُلجئهم ونسوقهم إلى عذاب فظيع، وهو عذاب جهنم. (3)

* * *

يَعني:- نمتعهم زمناً قليلا فى دنياهم، ثم نلجئهم إلى عذاب شديد لا يحتمل. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا} ... نمهلهم مدة آجالهم.

(أي: متاعاً في هذه الدنيا قليلاً، أي: إلى نهاية آجالهم).

{ثُمَّ نضطرهم إلى عذاب غليظ} .... أي: ثم نلجئهم في الآخرة إلى عذاب النار والغليظ: الثقيل.

{ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ} .... نلجئهم.

{إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ} .... شديد.

{غَلِيظٍ} ... فَظيع ثقيل.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس):- قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {24} قَوْلُهُ تَعَالَى: {نُمَتِّعُهُمْ} نعيشهم {قَلِيلاً} يَسِيرا فِي الدُّنْيَا {ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ} نصيرهم وَيُقَال نلجئهم {إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ} شَدِيد لوناً بعد لون. (5)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {24} قَوْلُهُ تَعَالَى: {نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلا} أَيْ: فِي الدُّنْيَا،

{ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ} أَيْ: نُلْجِئُهُمْ.

{إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ} أَيْ: فَظِيعٍ صَعْبٍ مُشِقٍّ عَلَى النُّفُوسِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ. مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ} {يونس: 69، 70}. (6)

* * *

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (23) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (413/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (413/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (615/1)، المؤلف: (لجنة من علماء -الأزهر).

(5) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (24) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما -.

(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (24).

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {24} قَوْلُهُ تَعَالَى: {نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا} أَيْ نُمْهِلُهُمْ لِيَتَمَتَّعُوا بِنَعِيمِ الدُّنْيَا قَلِيلًا إِلَى انْقِضَاءِ آجَالِهِمْ، {ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ} ثُمَّ نُلْجِئُهُمْ وَنَرُدُّهُمْ فِي الْآخِرَةِ، {إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ} وَهُوَ عَذَابُ النَّارِ. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {24} قَوْلُهُ تَعَالَى: {نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلا} في الدنيا، ليزداد إثمهم، ويتوفر عذابهم، {ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ} أي: نلجئهم. {إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ} أي: انتهى في عظمه وكبره، وفظاعته، وألمه، وشدته. (2)

* * *

[٢٥] ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولئن سألت أيها الرسول- ﷺ - هؤلاء المشركين: مَنْ خلق السماوات، ومن خلق الأرض؟ ليقولن: خلقهنّ الله، قل لهم: الحمد لله الذي أظهر الحجة عليكم، بل معظمهم لا يعلمون من يستحقّ الحمد لجهلهم. (3)

* * *

يَعْنِي:- ولئن سألت أيها الرسول- ﷺ - هؤلاء المشركين بالله: مَن خلق السموات والأرض؟ ليقولُنَّ الله، فإذا قالوا ذلك فقل لهم: الحمد لله الذي أظهر الاستدلال عليكم من أنفسكم، بل أكثر هؤلاء المشركين لا ينظرون ولا يتدبرون مَن الذي له الحمد والشكر، فلذلك أشركوا معه غيره. (4)

* * *

يَعْنِي:- وأقسم لك - أيها النبي- ﷺ - إن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن: هو الله، قل: الحمد لله الذى أوجد من دلائل وحدانيته ما يهدم ما هم عليه من إشراك غيره معه فى العبادة. ولكن أكثرهم لا يعلمون أنهم بإقرارهم هذا قد أقاموا الحُجة على أنفسهم بفساد عقيدتهم. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} .... لوضوح الدليل المانع من إسناد الخلق إلى غيره بحيث اضطروا إلى إذعانه.

{قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ} .... أي: احمد الله على ظهور الحجة بأن تقول الحمد لله.

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (لُقمَان) الآية (24).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (24) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (413/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (413/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (615/1)، المؤلف: (لجنة من علماء -الأزهر).

(أي: على إلزامهم وإلجائهم إلى الاعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم).

{بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} .... فيه التوحيد ووجوبَه عليهم.

{لا يعلمون} .... أي: من يستحق الحمد والشكر ومن لا يستحق لجهلهم.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس):- قال: الإِمَام (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {25} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ} يَا مُحَمَّد – ﷺ – {مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ} كفار مَكَّة خلقهما {الله قُلِ الْحَمد لِلَّه} الشُّكْر لله فاشكروه {بَلْ أَكْثَرُهُمْ} كلهم {لَا يَعْلَمُونَ} تَوْحِيد الله وَلَا يشكرون نعمه.(1)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {25} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ }.

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِهِ: إِنَّهُمْ يعرفون أن الله خالقُ السموات وَالْأَرْضَ، وحدَه لا شريكَ لَهُ، وَمَعَ هَذَا يَعْبُدُونَ مَعَهُ شُرَكَاءَ يَعْتَرِفُونَ أَنَّهَا خَلْقٌ لَهُ وَمِلْكٌ لَهُ.

وَلِهَذَا قَالَ: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ} أَيْ: إِذْ قامت عليكُم الْحُجَّةُ بِاعْتِرَافِكُمْ، {بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ}.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {25} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ} أي: ولئن سألت هؤلاء المشركين المكذبين بالحق.

{مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ} لعلموا أن أصنامهم، ما خلقت شيئا من ذلك ولبادروا بقولهم الله الذي خلقهما وحده.

فـ {قُلِ} لهم ملزما لهم، ومحتجا عليهم بما أقروا به، على ما أنكروا: {الْحَمْدُ لِلَّهِ} الذي بيَّن النور، وأظهر الاستدلال عليكم من أنفسكم، فلو كانوا يعلمون، لجزموا أن المنفرد بالخلق والتدبير، هو الذي يفرد بالعبادة والتوحيد.

ولكن {أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ} فلذلك أشركوا به غيره، ورضوا بتناقض ما ذهبوا إليه، على وجه الحيرة والشك، لا على وجه البصيرة، ثم ذكر في هاتين الآيتين نموذجا من سعة أوصافه، ليدعو عباده إلى معرفته، ومحبته، وإخلاص الدين له.

فذكر عموم ملكه، وأن جميع ما في السماوات والأرض – وهذا شامل لجميع العالم العلوي والسفلي – أنه ملكه، يتصرف فيهم بأحكام الملك القدرية، وأحكامه الأمرية، وأحكامه الجزائية، فكلهم عبيد مماليك، مدبرون مسخرون، ليس لهم من الملك شيء، وأنه

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (25) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (25).

واسع الغنى، فلا يحتاج إلى ما يحتاج إليه أحد من الخلق.

{مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ} وأن أعمال النبيين والصديقين، والشهداء والصالحين، لا تنفع الله شيئا وإنما تنفع عامليها، والله غني عنهم، وعن أعمالهم، ومن غناه، أن أغناهم وأقناهم في دنياهم وأخراهم.(1)

* * *

[٢٦] ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

لله وحده ما في السماوات وما في الأرض خلقًا وملكًا وتدبيرًا، إن الله هو الغني عن جميع مخلوقاته، المحمود في الدنيا والآخرة.(2)

* * *

يعْنِي:- لله -سبحانه- كل ما في السموات والأرض ملكًا وعبيدًا وإيجادًا وتقديرًا، فلا يستحق العبادة أحد غيره. إن الله هو الغني عن خلقه، له الحمد والثناء على كل حال.(3)

* * *

يعْنِي:- لله ما فى السموات والأرض خلقاً واقتداراً وتدبيراً، فكيف يتركون عبادته؟ وإن الله - سبحانه - هو الغنى عن خلقه وعن عبادتهم له. المحمود بذاته. الجدير بالثناء عليه من عباده.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} .... لا يستحق العبادةَ فيهما غيرُه.

{إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ} .... الذي لا حاجة له في وجوده وكماله إلى شيء.

{الْحَمِيدُ} .... المحمود" أي: كذلك هو بصفته وذاته.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {26} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ} أَيْ: هُوَ خَلْقُهُ وَمُلْكُهُ،

{إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} أَيِ: الْغَنِيُّ عَمَّا سِوَاهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ فَقِيرٌ إِلَيْهِ، الْحَمِيدُ فِي جَمِيعِ مَا خلق، له الحمد في السموات وَالْأَرْضِ عَلَى مَا خَلَقَ وَشَرَعَ، وَهُوَ الْمَحْمُودُ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا.(5)

* * *

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {26} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ} من الْخلق {وَالْأَرْض إِنَّ الله هُوَ

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (25) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (413/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (413/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (615/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (26).

{الْغَنِيّ} عَن خلقه {الحميد} الْمَحْمُود فِي فعاله. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقْمَان}

الآية {26} قَوْلُهُ تَعَالَى: { لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}.

ثم أخبر تعالى عن سعة حمده، وأن حمده من لوازم ذاته، فلا يكون إلا حميدا من جميع الوجوه، فهو حميد في ذاته، وهو حميد في صفاته، فكل صفة من صفاته، يستحق عليها أكمل حمد وأتمه، لكونها صفات عظمة وكمال، وجميع ما فعله وخلقه يحمد عليه، وجميع ما أمر به ونهى عنه يحمد عليه، وجميع ما حكم به في العباد وبين العباد، في الدنيا والآخرة، يحمد عليه. (2)

* * *

[٢٧] ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولو أن ما في الأرض من شجر قُطِع وبُرِي أقلامًا، وجُعِل البحر حبرًا لها ولو مده سبعة أبحر، ما فنيت كلمات الله لعدم تناهيها، إن الله عزيز لا يغالبه أحد، حكيم في خلقه وتدبيره. (3)

* * *

يَعنْي:- ولو أن أشجار الأرض كلها بُريت أقلامًا والبحر مداد لها، ويُمَد بسبعة أبحر أخرى، وكُتب بتلك الأقلام وذلك المداد كلمات الله من علمه وحكمه، وما أوحاه إلى ملائكته ورسله" لتكسرت تلك الأقلام، ولنفد ذلك المداد، ولم تنفد كلمات الله التامة التي لا يحيط بها أحد. إن الله عزيز في انتقامه ممن أشرك به، حكيم في تدبير خلقه. وفي الآية إثبات صفة الكلام لله -تعالى- حقيقة كما يليق بجلاله وكماله سبحانه. (4)

* * *

يَعنْي:- ولو تحولت كل أشجار الأرض أقلاماً وصارت مياه البحر الكثيرة مداداً تكتب به كلمات الله لفنيت الأقلام ونفد المداد قبل أن تنفد كلمات الله. لأن الله عزيز لا يعجزه شئ. حكيم لا يخرج من علمه وحكمته شئ، فلا تنفد كلماته وحكمته. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{ولو أن ما في الأرض} .... أي: من شجرة.

{أقلامٌ} .... أي: يكتب بها.

{والبحر} .... أي: المحيط.

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (26) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (26) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (413/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (413/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (615/1)، المؤلف: (لجنة من علماء -الأزهر).

{وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ} ... مداداً يَسْتَمِدُّ بها، لَتَكَسَّرَتْ تلك الأقلامُ وَلَفَنِيَ ذلك المدادُ.

{يمده سبعة أبحر} .... أي: تمده

{مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ} .... أي: ما انتهت ولا نقصت.

{إن الله عزيز حكيم} .... أي: عزيز في انتقامه غالب ما أراده حكيم في تدبير خلقه.

* * *

ولما نزل بمكة: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} {الإسراء: 85}،

وهاجر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة، أتاه أحبار اليهود، وقالوا: يا محمد ما تريد بقولك: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} إيانا أم قومك؟ فقال "كُلًّا، فقالوا: أليست التوراة فينا؟ قال: هي في علم الله قليل.

فنزل: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ} [1] أي: شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر واحدة إلا قد بُريت أقلاماً.

{يَمُدُّهُ} يزيده، وينصبُّ فيه.

{مِنْ بَعْدِهِ} .... أي: من خلفه " [2] {سَبْعَةُ أَبْحُرٍ}.

{مَا نَفِدَتْ} .... المعنى: لو أن جميع أشجار الأرض أقلام، وتنصبُّ في البحر سبعة أبحر، ومياهها مداد، فكتب بتلك الأقلام وذلك المداد، لنفدت الأقلام والمداد، ولم تنفد {كَلِمَاتُ اللَّهِ} .... يعني: علمه. {إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}.

* * *

﴿الْقِرَاءَآت﴾

{وَالْبَحْرُ} قرأ أبو عمرو، ويعقوب: (وَالْبَحْرَ) بالنصب عطفًا على (ما) التي هي اسم (أن)، وقرأ الباقون: بالرفع على أنه ابتداء، وخبره في الجملة التي بعده [3] [4].

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

وانظر: سورة – (الكهف) - آية (109) -.

كما قال تعالى: {قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا}.

* * *

(تفسير ابن عباس):- قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {27} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ} تبرى أقلاماً {وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ} يُعْطِيه المدد {مِن بَعْدِهِ} من بعد مَا صيرت مداداً فَكتب بهَا {سَبْعَةُ أَبْحُرٍ} كَلَام الله وَعلم الله {مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ

---

(1) رواه الطبري في "تفسيره" (21/ 81). وانظر: "أسباب النزول" للواحدي (ص: 199).
انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (27) للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظر: "التيسير" للداني (ص: 177)، و"تفسير البغوي" (3/ 514)، و"النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (2/ 347)، و "معجم القراءات القرآنية" (5/ 90 - 91).

(3) انظر: "التيسير" للداني (ص: 177)، و"تفسير البغوي" (3/ 514)، و"النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (2/ 347)، و "معجم القراءات القرآنية" (5/ 90 - 91).

(4) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية ( ) للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

الله} كَلَامُ الله وَعِلْمُ الله يُقَالُ تَدْبِيرُ الله {إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ} فِي ملكه وسلطانه {حَكِيمٌ} فِي أمره وقضائه. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-{سُورَةُ لُقْمَانَ} الآية {27} قَوْلُهُ سبحانه وتعالى: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ} قَالَ: (قَتَادَةُ): إِنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا: إِنَّ الْقُرْآنَ وَمَا يَأْتِي بِهِ مُحَمَّدٌ يُوشِكُ أَنْ يَنْفَدَ فَيَنْقَطِعَ فَنَزَلَتْ.

{وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ} أَيْ: بُرِيَتْ أَقْلَامًا، {وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ} قَرَأَ (أَبُو عَمْرٍو)، وَ(يَعْقُوبُ): (وَالْبَحْرَ) بِالنَّصْبِ عَطْفًا عَلَى (مَا)، وَالْبَاقُونَ: بالرفع على الاستئناف {يَمُدُّهُ} أَيْ يَزِيدُهُ، وَيَنْصَبُّ فِيهِ.

{مِنْ بَعْدِهِ} من خَلْفه،

{سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ} وَفِي الْآيَةِ اخْتِصَارٌ تَقْدِيرُهُ: وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شجرة أقلام والبحر يمده مع بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ يُكْتَبُ بِهَا كَلَامُ اللَّهِ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ.

{إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-{سُورَةُ لُقْمَانَ} الآية {27} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}.

ثم أخبر عن سعة كلامه وعظمة قوله، بشرح يبلغ من القلوب كل مبلغ، وتنبهر له العقول، وتحير فيه الأفئدة، وتسيح في معرفته أولو الألباب والبصائر، فقال: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ} يكتب بها.

{وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ} مدادا يستمد بها، لتكسرت تلك الأقلام ولفني ذلك المداد، ولم تنفد {كَلِمَاتُ اللَّهِ} تعالى، وهذا ليس مبالغة لا حقيقة له، بل لما علم تبارك وتعالى، أن العقول تتقاصر عن الإحاطة ببعض صفاته، وعلم تعالى أن معرفته لعباده، أفضل نعمة، أنعم بها عليهم، وأجل منقبة حصلوها، وهي لا تمكن على وجهها، ولكن ما لا يدرك كله، لا يترك كله، فنبههم تعالى تنبيها تستنير به قلوبهم، وتنشرح له صدورهم، ويستدلون بما وصلوا إليه إلى ما لم يصلوا إليه، ويقولون كما قال أفضلهم وأعلمهم بربه: "لا نحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك" وإلا فالأمر أجل من ذلك وأعظم.

وهذا التمثيل من باب تقريب المعنى، الذي لا يطاق الوصول إليه إلى الأفهام والأذهان، وإلا فالأشجار، وإن تضاعفت على ما ذكر، أضعافا كثيرة، والبحور لو امتدت بأضعاف مضاعفة، فإنه يتصور نفادها وانقضاؤها، لكونها مخلوقة.

وأما كلام الله تعالى، فلا يتصور نفاده، بل دلنا الدليل الشرعي والعقلي، على أنه لا

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (لُقْمَان) الآية (27) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (لُقْمَان) الآية (27).

نفاد له ولا منتهى، وكل شيء ينتهي إلا الباري وصفاته {وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى}

وإذا تصور العقل حقيقة أوليته تعالى وآخريته، وأنه كل ما فرضه الذهن من الأزمان السابقة، مهما تسلسل الفرض والتقدير، فهو تعالى قبل ذلك إلى غير نهاية، وأنه مهما فرضه الذهن والعقل، من الأزمان المتأخرة، وتسلسل الفرض والتقدير، وساعد على ذلك من ساعد، بقلبه ولسانه، فالله تعالى بعد ذلك إلى غير غاية ولا نهاية.

والله في جميع الأوقات يحكم، ويتكلم، ويقول، ويفعل كيف أراد، وإذا أراد لا مانع له من شيء من أقواله وأفعاله، فإذا تصور العقل ذلك، عرف أن المثل الذي ضربه الله لكلامه، ليدرك العباد شيئا منه، وإلا فالأمر أعظم وأجل.

ثم ذكر جلالة عزته وكمال حكمته فقال: {إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} أي: له العزة جميعا، الذي ما في العالم العلوي والسفلي من القوة إلا منه، أعطاها للخلق، فلا حول ولا قوة إلا به، وبعزته قهر الخلق كلهم، وتصرف فيهم، ودبرهم، وبحكمته خلق الخلق، وابتداه بالحكمة، وجعل غايته والمقصود منه الحكمة، وكذلك الأمر والنهي وجد بالحكمة، وكانت غايته المقصودة الحكمة، فهو الحكيم في خلقه وأمره. (1)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {27} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}.

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ عَظَمَتِهِ وَكِبْرِيَائِهِ وَجَلَالِهِ، وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلَا وَكَلِمَاتِهِ التَّامَّةِ الَّتِي لَا يُحِيطُ بِهَا أَحَدٌ، وَلَا اطِّلَاعَ لِبَشَرٍ عَلَى كُنْهِهَا وَإِحْصَائِهَا، كَمَا قَالَ سَيِّدُ الْبَشَرِ وَخَاتَمُ الرُّسُلِ: ((لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ))،

فَقَالَ تَعَالَى: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ} أَيْ: وَلَوْ أَنَّ جَمِيعَ أَشْجَارِ الْأَرْضِ جُعِلَتْ أَقْلَامًا، وَجُعِلَ الْبَحْرُ مِدَادًا وَمَدَّهُ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَعَهُ، فَكُتِبَتْ بِهَا كَلِمَاتُ اللَّهِ الدَّالَّةُ عَلَى عَظَمَتِهِ وَصِفَاتِهِ وَجَلَالِهِ لَتَكَسَّرَتِ الْأَقْلَامُ، وَنَفِدَ مَاءُ الْبَحْرِ، وَلَوْ جَاءَ أَمْثَالُهَا مَدَدًا.

وَإِنَّمَا ذُكِرَتِ "السَّبْعَةُ" عَلَى وَجْهِ الْمُبَالَغَةِ، وَلَمْ يُرِدِ الْحَصْرَ وَلَا أَنَّ ثَمَّ سَبْعَةَ أَبْحُرٍ مَوْجُودَةً تُحِيطُ بِالْعَالَمِ، كَمَا يَقُولُهُ مَنْ تَلَقَّاهُ مِنْ كَلَامِ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ الَّتِي لَا تُصَدَّقُ وَلَا تُكَذَّبُ، بَلْ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: {قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا} {الْكَهْفِ: 109}،

فَلَيْسَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: {بِمِثْلِهِ} آخَرَ فَقَطْ، بَلْ بِمِثْلِهِ ثُمَّ بِمِثْلِهِ ثُمَّ بِمِثْلِهِ، ثُمَّ هَلُمَّ جَرًّا" لِأَنَّهُ لَا حَصْرَ لِآيَاتِ اللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ.

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية ( ) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

وقَالَ: (الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ): لَوْ جُعِلَ شَجَرُ الْأَرْضِ أَقْلَامًا، وجُعِلَ الْبَحْرُ مدادًا، وقَالَ اللَّهُ: "إنّ مِنْ أَمْرِي كَذَا، ومِنْ أَمْرِي كَذَا" لَنَفِدَ مَا فِي الْبُحُورِ، وتَكَسَّرت الْأَقْلَامُ.

وقَالَ: (قَتَادَةُ): قَالَ الْمُشْرِكُونَ: إِنَّمَا هَذَا كَلَامٌ يُوشِكُ أَنْ يَنْفَدَ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ} أَيْ: لَوْ كَانَ شَجَرُ الْأَرْضِ أَقْلَامًا، ومَعَ الْبَحْرِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ، مَا كَانَ لِتَنْفَدَ عجَائِبُ رَبِّي وحِكْمَتُهُ وَخَلْقُهُ وَعِلْمُهُ.

وقَالَ: (الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ): إِنَّ مَثَلَ عِلْمِ الْعِبَادِ كُلِّهِمْ فِي عِلْمِ اللَّهِ كَقَطْرَةٍ مِنْ مَاءِ الْبُحُورِ كُلِّهَا، وقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ ذَلِكَ: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ} الْآيَةَ.

يَقُولُ: لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مدادًا لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَالْأَشْجَارِ كُلُّهَا أَقْلَامًا، لَانْكَسَرَتِ الْأَقْلَامُ، وَفَنِيَ مَاءُ الْبَحْرِ، وبَقِيَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ قَائِمَةً لَا يُفْنِيهَا شَيْءٌ" لِأَنَّ أَحَدًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْدُرَ قَدْرَهُ، ولَا يُثْنِيَ عَلَيْهِ كَمَا يَنْبَغِي، حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يُثْنِي عَلَى نَفْسِهِ. إِنَّ رَبَّنَا كَمَا يَقُولُ، وفَوْقَ مَا نَقُولُ.

وقَدْ رُوِيَ أَنَّ هَذِه الْآيَةَ نَزَلَتْ جَوابًا لِلْيَهُودِ.

قَالَ: (ابْنُ إِسْحَاقَ): حَدَّثَنِي (ابْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ)، عَنْ (سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ) أَوْ (عِكْرِمَةَ)، عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ): أَنَّ أَحْبَارَ يَهُودٍ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالْمَدِينَةِ: يَا مُحَمَّدُ، أَرَأَيْتَ قَوْلَكَ: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلا قَلِيلا}؟ {الْإِسْرَاءِ: 85}، إِيَّانَا تُرِيدُ أَمْ قَوْمَكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ-: "كِلَا". فَقَالُوا: أَلَسْتَ تَتْلُو فِيمَا جَاءَكَ أَنَّا قَدْ أُوتِينَا التَّوْرَاةَ فِيهَا تِبْيَانٌ لِكُلِّ شَيْءٍ؟ فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ-: ((إِنَّهَا فِي عِلْمِ اللَّهِ قَلِيلٌ، وعِنْدَكُمْ مِنْ ذَلِكَ مَا يَكْفِيكُمْ)). وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيمَا سَأَلُوهُ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ} الْآيَةَ.

وَهَكَذَا رُوِيَ عَنْ (عِكْرِمَةَ)، وَ(عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ). وهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ هَذِه الْآيَةَ مَدَنِيَّةٌ لَا مَكِّيَّةٌ، وَالْمَشْهُورُ أَنَّهَا مَكِّيَّةٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَوْلُهُ: {إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} أَيْ: عَزِيزٌ قَدْ عَزَّ كُلَّ شَيْءٍ وقَهَرَهُ وَغَلَبَهُ، فَلا مَانِعَ لِمَا أَرَادَ ولَا مُخَالِفَ ولَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ،

{حَكِيمٌ} فِي خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ، وَأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَشَرْعِهِ وجَمِيعِ شُؤُونِهِ. (1)

* * *

[٢٨] ﴿ مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ما خَلْقكم -أيها الناس- ولا بَعْثكم يوم القيامة للحساب والجزاء، إلا كخلق نفس واحدة وبعثها في السهولة، إن الله سميع لا يشغله سماع صوت عن سماع صوت آخر، بصير لا يشغله إبصار شيء عن إبصار شيء

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (27).

آخر، وهكذا لا يشغله خلق نفس أو بعثها عن خلق أخرى وبعثها.(1)

* * *

يَعنْي:- ما خَلْقُكم -أيها الناس- ولا بَعْثكم يوم القيامة في السهولة واليسر إلا كخَلْق نفس واحدة وبَعْثها، إن الله سميع لأقوالكم، بصير بأعمالكم، وسيجازيكم عليها.(2)

* * *

يَعنْي:- ما خلقكم ابتداء ولا بعثكم بعد الموت أمام قدرة الله إلا كخلق نفس واحدة أو بعثها. إن الله سميع لقول المشركين: لا بعث. بصير بأعمالهم فيجازيهم عليها.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

ونزل ردًا على منكري البعث:

{مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ} ... مع كثرتكم.

(أي: ما خلقكم ابتداء ولا بعثكم من قبوركم إعادة لكم إلا كخلق وبعث نفس واحدة).

{إِلَّا كَنَفْسٍ} .... أي: إلا كخلق نفس.

{وَاحِدَةٍ} ... وبعثها.

{إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} .... فلا يفوته شيء.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَة لُقمَان} الآية {28} قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَا خَلْقُكُمْ} على الله إِذْ خلقكم {وَلاَ بَعْثُكُمْ} إِذْ يبعثكم {إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ} إِلَّا بِمَنْزِلَة نفس وَاحِدَة {إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ} لمقالتكم كَيفَ يبعثنا {بَصِيرٌ} ببعثكم.(4)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) – عن (مجاهد): قوله: {إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ} يقول: كن فيكون للقليل والكثير.(5)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-{سُورَة لُقمَان} الآية {28} قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ} أي: كَخَلْقِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَبَعْثِهَا لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ شَيْءٌ، {إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}.(6)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَة لُقمَان} الآية {28} ثم ذكر عظمة قدرته وكمالها وأنه لا يمكن أن يتصورها العقل فقال: {مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ} وهذا شيء يحير العقول، إن خلق جميع الخلق - على كثرتهم وبعثهم بعد موتهم، بعد تفرقهم في لمحة واحدة - كخلقه نفسا واحدة، فلا وجه لاستبعاد البعث والنشور، والجزاء على الأعمال، إلا الجهل بعظمة الله وقوة قدرته.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (413/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (413/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (615/1)، المؤلف: (لجنة من علماء -الأزهر).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَة (لُقمَان) الآية (28) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما - .

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (153/20).

(6) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَة (لُقمَان) الآية (28).

ثم ذكر عموم سمعه لجميع المسموعات، وبصره لجميع المبصرات فقال: {إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}. (1)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {28} قَوْلُهُ تَعالَى: {مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ} أَيْ: مَا خَلْقُ جَمِيعِ النَّاسِ وَبَعْثُهُمْ يَوْمَ الْمَعَادِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى قُدْرَتِهِ إِلا كَنِسْبَةِ خَلْقِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، الْجَمِيعُ هَيِّنٌ عَلَيْهِ وَ {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} {يس: 82}،

{وَمَا أَمْرُنَا إِلا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ} {الْقَمَرِ: 50} أَيْ: لَا يَأْمُرُ بِالشَّيْءِ إِلا مَرَّةً وَاحِدَةً، فَيَكُونُ ذَلِكَ الشَّيْءُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَكَرُّرِهِ وَتَوَكُّدِهِ .

{فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ} {النَّازِعَاتِ: 13، 14}.

وَقَوْلُهُ: {إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} أَيْ: كَمَا هُوَ سَمِيعٌ لِأَقْوَالِهِمْ بَصِيرٌ بِأَفْعَالِهِمْ كَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى نَفْسٍ وَاحِدَةٍ كَذَلِكَ قُدْرَتُهُ عَلَيْهِمْ كَقُدْرَتِهِ عَلَى نَفْسٍ وَاحِدَةٍ" وَلِهَذَا قَالَ: {مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ }. (2)

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾

- نعم الله وسيلة لشكره والإيمان به، لا وسيلة للكفر به .
- خطر التقليد الأعمى، وخاصة في أمور الاعتقاد.
- أهمية الاستسلام لله والانقياد له وإحسان العمل من أجل مرضاته.
- عدم تناهي كلمات الله. (3)

* * *

[٢٩] ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ألم تر أن الله ينقص من الليل ليزيد النهار، وينقص من النهار ليزيد الليل، وقدّر مسار الشمس والقمر" إذْ يجريان كل في مداره إلى أَمد مُحَدَّد، وأن الله بما تعملون خبير، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها . (4)

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَة (لُقمَان) الآية (28) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَام (ابن كثير) في سُورَة (لُقمَان) الآية (28).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/413). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/414). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

* * *

يَعْنِي:- ألم تر أن الله يأخذ من ساعات الليل، فيطول النهار، ويقصر الليل، ويأخذ من ساعات النهار، فيطول الليل، ويقصر النهار، وذلَّل لكم الشمس والقمر، يجري كل منهما في مداره إلى أجل معلوم محدد، وأن الله مُطَّلع على كل أعمال الخلق مِن خير أو شر، لا يخفى عليه منها شيء؟. (1)

* * *

يَعْنِي:- ألم تنظر - أيها المكلف - نظر اعتبار أن الله ينقص من زمن الليل بقدر ما يزيد من النهار، وينقص من زمن النهار بقدر ما يزيد فى زمن الليل، وذلَّل الشمس والقمر لمصالحكم، وأخضعهما لنظام بديع، فيجرى كل منهما فى فلك معين لا يحيد عنه، ويستمر كذلك إلى يوم القيامة، وأنه - سبحانه - خبير بكل ما تعملون ومجازيكم عليه. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ} .... يُدخل أحدهما في الآخر.

{أَلَمْ تَرَ} .... تَعْلَم يَا مُخَاطَب.

{أَنَّ اللَّه يُولِج} .... يُدْخِل.

{وَيُولِجُ} ... يُدْخِلُ" بِأَنْ يَأخُذَ مِنْ سَاعَاتِ اللَّيْل فَيطُولُ النَّهَار، وَالعَكْس.

{اللَّيْل فِي النَّهَار وَيُولِج النَّهَار} .... يُدْخِله.

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (414/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (616/1)، المؤلف: (لجنة من علماء -الأزهر).

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (29) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (30) أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (31) وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (32) يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (33) إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (34)

{فِي اللَّيْل} .... فَيَزِيد كُلّ مِنْهُمَا بِمَا نَقَصَ مِنْ الْآخَر.

{وَسَخَّرَ الشَّمْس وَالْقَمَر كُلّ} .... مِنْهُمَا.

{وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى} .... إلى منتهى معلوم: الشمس إلى آخر السنة، والقمر إلى آخر الشهر،

وقيل: الأجل المسمى: القيامة التي تنقضي فيها هذه البنية.

{يَجْرِي} .... في فَلَكه.

{إلَى أَجَل مُسَمًّى} .... هو يوم القيامة.

{وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} .... عالم بكنهه.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:-

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {29} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَلَمْ

{تَـرَ} ألم تخبر في الْقُرآن {أَنَّ الله يُولِجُ اللَّيْل فِي النَّهَار} يزيد اللَّيْل على النَّهَار فيكون اللَّيْل خمس عشرة سَاعَة وَالنَّهَار تسع سَاعَات {وَيُولِجُ النَّهَار فِي اللَّيْل} يزيد النَّهَار على اللَّيْل فيكون النَّهَار خمس عشرَة سَاعَة وَاللَّيْل تسع سَاعَات {وَسَخَّر الشَّمْس} ذلل الشَّمْس {وَالْقَمَر كُلٌّ يجْرِي إِلَى أجَلٍ مُسَمًّى} إِلَى وَقت مَعْلُوم فِي منَازِل مَعْرُوفَة لهما {وَأَنَّ الله بِمَا تَعْمَلُونَ} من الْخَيْر وَالشَّر {خَبِير}.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {29} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}.

وهذا فيه أيضا، انفراده بالتصرف والتدبير، وسعة تصرفه بإيلاج الليل في النهار، وإيلاج النهار في الليل، أي: إدخال أحدهما على الآخر، فإذا دخل أحدهما، ذهب الآخر.

وتسخيره للشمس والقمر، يجريان بتدبير ونظام، لم يختل منذ خلقهما، ليقيم بذلك من مصالح العباد ومنافعهم، في دينهم ودنياهم، ما به يعتبرون وينتفعون.

و{كُلٌّ} منهما {يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى} إذا جاء ذلك الأجل، انقطع جريانهما، وتعطل سلطانهما، وذلك في يوم القيامة، حين تكور الشمس، ويخسف القمر، وتنتهي دار الدنيا، وتبتدئ الدار الآخرة.

{وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ} من خير وشر. {خَبِيرٌ} لا يخفى عليه شيء من ذلك، وسيجازيكم على تلك الأعمال، بالثواب للمطيعين، والعقاب للعاصين.(2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {29} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}.

يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ {يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ} بِمَعْنَى: يَأْخُذُ مِنْهُ فِي النَّهَارِ، فيطول ذَلِكَ وَيَقْصُرُ هذا، وَهَذَا يَكُونُ زَمَنَ الصَّيْفِ يَطُولُ النَّهَارُ إِلَى الْغَايَةِ، ثُمَّ يُسْرِعُ فِي النَّقْصِ فَيَطُولُ اللَّيْلُ وَيَقْصُرُ النَّهَارُ، وَهَذَا يَكُونُ فِي زَمَنِ الشِّتَاءِ،

{وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى} قِيلَ: إِلَى غَايَةٍ مَحْدُودَةٍ.

وَقِيلَ: إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَكِلَا الْمَعْنَيَيْنِ صَحِيحٌ، وَيُسْتَشْهَدُ لِلْقَوْلِ الْأَوَّلِ بِحَدِيثِ (أَبِي ذَرٍّ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الَّذِي فِي الصَّحِيحَيْنِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((يَا أَبَا ذَرٍّ، أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ؟)). قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: ((فَإِنَّهَا تَذْهَبُ فَتَسْجُدُ تَحْتَ الْعَرْشِ، ثُمَّ

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (29) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (29) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

تَسْتَأْذِنُ ربها فَيُوشِكُ أَنْ يُقَالَ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ)). (1)

* * *

وَقَالَ: (ابْنُ أَبِي الْحَاتِمِ): حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، عَنْ (ابْنِ جُرَيْجٍ)، عَنْ (عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) أَنَّهُ قَالَ: الشَّمْسُ بِمَنْزِلَةِ السَّاقِيَةِ، تَجْرِي بِالنَّهَارِ فِي السَّمَاءِ فِي فَلَكِهَا، فَإِذَا غَرَبَتْ جَرَتْ بِاللَّيْلِ فِي فَلَكِهَا تَحْتَ الْأَرْضِ حَتَّى تَطْلُعَ مِنْ مَشْرِقِهَا، قَالَ: وَكَذَلِكَ الْقَمَرُ. (إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ).

* * *

وَقَوْلُهُ: {وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}، كَقَوْلِهِ: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} {الْحَجِّ: 70}.

وَمَعْنَى هَذَا: أَنَّهُ تَعَالَى الْخَالِقُ الْعَالِمُ بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ، كَقَوْلِهِ: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا} {الطَّلَاقِ: 12}. (2)

* * *

[٣٠] ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ذلك التدبير والتقدير يشهدان بأن الله وحده هو الحق، فهو حق في ذاته وصفاته وأفعاله، وأن ما يعبده المشركون من دونه الباطل الذي لا أساس له، وأن الله هو العلي بذاته وقَهْرِه وقَدْرِه على جميع مخلوقاته، الذي لا أعلى منه، الذي هو أكبر من كل شيء. (3)

* * *

يَعْنِي:- ذلك كله من عظيم قدرة الله " لتعلموا وتقروا أن الله هو الحق في ذاته وصفاته، وأفعاله، وأن ما يدعون من دونه الباطل، وأن الله هو العلي بذاته وقَدْرِه وقهره فوق جميع مخلوقاته، الكبير على كل شيء، وكل ما عداه خاضع له، فهو وحده المستحق أن يُعبد دون مَن سواه. (4)

* * *

يَعْنِي:- ذلك المذكور من عجائب صنع الله وقدرته بسبب أن صانعه هو الإله الثابت الألوهية، الجدير - وحده - بالعبادة، وإن الآلهة التي تعبدونها من دونه باطلة الألوهية، وإن الله - وحده - هو العلي الشأن، الكبير السلطان. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{ذَلِكَ} ... الذي ذكرت.

{بِأَنَّ اللَّهَ} .... أي: لتعلموا أن الله.

{هُوَ الْحَقُّ} .... أي: صفة الألوهية حق.

---

(1) (متفق عليه): أخرجه الإمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4803)-(كتاب: تفسير القرآن).
وأخرجه الإمَامُ (مُسلِمٌ) في (صحيحه) برقم (159)-(كتاب: الإيمان).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامُ (ابن كثير) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (29).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (414/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (414/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (616/1)، المؤلف: (لجنة من علماء -الأزهر).

{وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ} ..... من الأصنام
{الْبَاطِلُ} .....المعدوم.
{وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ} .... على كل شيء.
{الْكَبِيرُ} ... عن أن يكون له شريك.

* * *

القِرَاءَات

قرأ (أبو عمرو)، و(يعقوب)، و(حمزة)، و(الكسائي)، و(خلف)، و(حفص) عن (عاصم): (يَدْعُونَ) بالغيب، والباقون: بالخطاب.(1)

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {30} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ذَلِكَ} الْقُدرَة لتعْلَموا وتقروا {بِأَنَّ الله هُوَ الْحق} بِأَن عبادَته هُوَ الْحق {وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ} يعبدُونَ {مِن دُونِهِ} من دون الله {الْبَاطِل} هُوَ الْبَاطِل {وَأَنَّ الله هُوَ الْعلي} أعلَى كل شَيْء {الْكَبِير} أكبر كل شَيْء.(2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {30} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ} أَيْ: إِنَّمَا يُظْهِرُ لَكُمْ آيَاتِهِ لِتَسْتَدِلُّوا بِهَا عَلَى أَنَّهُ الْحَقُّ، أَيِ: الْمَوْجُودُ الْحَقُّ، الْإِلَهُ الْحَقُّ، وَأَنَّ كُلَّ مَا سِوَاهُ بَاطِلٌ فَإِنَّهُ الْغَنِيُّ عَمَّا سِوَاهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ فَقِيرٌ إِلَيْهِ" لأَنَّ كُلَّ مَا في السموات وَالْأَرْضِ الْجَمِيعُ خَلْقُهُ وَعَبِيدُهُ، لا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى تَحْرِيكِ ذَرَّةٍ إلاَ بِإِذْنِهِ، وَلَوِ اجْتَمَعَ كُلُّ أَهْلِ الْأَرْضِ عَلَى أَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا لَعَجَزُوا عَنْ ذَلِكَ" وَلِهَذَا قَالَ: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} أَيِ: الْعَلِيُّ: الَّذِي لا أَعْلَى مِنْهُ، الْكَبِيرُ: الَّذِي هُوَ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، فكل شيء خاضع حقير بالنسبة إليه.(3)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {30} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ} أَيْ: ذَلِكَ الَّذِي ذَكَرْتُ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ، {وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ}.(4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {30} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ذَلِكَ} الذي بين لكم من عظمته وصفاته، ما بيَّن {بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ} في ذاته وفي صفاته، ودينه حق، ورسله حق، ووعده حق، ووعيده حق، وعبادته هي الحق.

---

(1) انظر: "التيسير" للداني (ص: 158)، و"النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (2/ 327)، و"معجم القراءات القرآنية" (5/ 92).
انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (30) للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (30) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (30).

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سُورَةُ (لُقمَان) الآية (30).

{وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ} في ذاته وصفاته، فلولا إيجاد الله له لما وجد، ولولا إمداده لَمَا بَقِيَ، فإذا كان باطلا كانت عبادته أبطل وأبطل.

{وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ} بذاته، فوق جميع مخلوقاته، الذي علت صفاته، أن يقاس بها صفات أحد من الخلق، وعلا على الخلق فقهرهم.

{الْكَبِيرُ} الذي له الكبرياء في ذاته وصفاته، وله الكبرياء في قلوب أهل السماء والأرض. (1)

* * *

[٣١] ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ألم تر أن السفن تجري في البحر بلطفه وتسخيره" ليريكم -أيها الناس- من آياته الدالة على قدرته سبحانه ولطفه، إن في ذلك لدلالات على قدرته لكل صَبَّار على ما يصيبه من ضراء، شكور لما يناله من نعماء. (2)

* * *

يَعْنِي:- ألم تر -أيها المشاهد- أن السفن تجري في البحر بأمر الله نعمة منه على خلقه" ليريكم من عبره وحججه عليكم ما تعتبرون به؟ إن في جريِ السفن في البحر لَدلالات لكل صبَّار عن محارم الله، شكور لنعمه. (3)

* * *

يَعْنِي:- ألم تنظر - أيها الإنسان - إلى الفلك تجرى فى البحر برحمة الله حاملة على ظهرها ما ينفعكم، ليظهر لكم بذلك بعض عجائب صنعه، ودلائل قدرته. إن فى ذلك لآيات لكل صبَّار على بلائه. شكور لنعمائه. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ} .... السُّفُن.

{تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ} ....يَا مُخَاطَبِينَ بِذَلِكَ

{بِنِعْمَتِ اللَّه} ... بِأَمْرِ اللهِ وَرَحْمَتِه.

{لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِه} ... من عجائبه.

{من آياته إن فِي ذَٰلِكَ لَآيَات} ... عِبرًا.

{ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} .... أي: صبار عن المعاصي شكور للنعم.

{لِكُلِّ صَبَّار} ... عَنْ مَعَاصِي اللَّه .

(أي: صبور على أمر الله).

{شَكُور} .... لِنِعْمَتِه

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس):- قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (30) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (414/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (414/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (616/1)، المؤلف: (لجنة من علماء -الأزهر).

لُقمَان} الآيــة {31} قَوْلُــهُ تَعَــالَى: {أَلَــمْ تَــرَ} ألم تخبر {أَنَّ الفلك} السفن {تَجْرِي فِي الْبَحْــرِ بِنِعْمَــةِ اللهِ} بمنــة الله {لِيُــرِيكُمْ مِّــنْ آيَاتِــهِ} مــن عجائبــه {إِنَّ فِــي ذَلِــكَ} فيمَــا ذكــرت {لآيَــاتٍ} لعلامــات وعــبرات {لِّكُــلِّ صَــبَّارٍ} علــى الطَّاعَةِ {شَكُورٍ} بنعم الله.(1)

* * *

قــال: الإمــام (إبــن كــثير) – (رحمــه الله) – في (تفســيره):- {سُــورَةُ لُقمَــان} الآيــة {31} قَوْلُــهُ تَعَــالَى: {أَلَــمْ تَــرَ أَنَّ الْفُلْــكَ تَجْــرِي فِــي الْبَحْــرِ بِنِعْمَــةِ اللَّــهِ}. يُخْبِــرُ تَعَــالَى أَنَّــهُ هُــوَ الَّــذِي سَــخَّرَ الْبَحْــرَ لِتَجْــرِيَ فِيــهِ الْفُلْــكُ بِــأَمْرِه، أَيْ: بِلُطْفِــهِ وَتَسْــخِيرِه" فَإِنَّــهُ لَــوْلاَ مَــا جَعَــلَ فِــي الْمَــاءِ مِــنْ قُــوَّةٍ يَحْمِــلُ بِهَــا السُّــفُنَ لَمَــا جَــرَتْ" وَلِهَــذَا قَــالَ: {لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ} أَيْ: مِنْ قُدْرَتِهِ، {إِنَّ فِــي ذَلِــكَ لآيَــاتٍ لِّكُــلِّ صَــبَّارٍ شَــكُورٍ} أَيْ: صَبَّارٌ فِي الضَّرَّاءِ، شَكُورٌ فِي الرَّخَاءِ.(2)

* * *

قــال: الإمــام (البغــوي) – (مُحيــي السُّــنَّة) – (رحمــه الله) – في (تفســيره):-{سُــورَةُ لُقمَــان} الآيــة {31} قَوْلُــهُ تَعَــالَى: {أَلَــمْ تَــرَ أَنَّ الْفُلْــكَ تَجْــرِي فِــي الْبَحْــرِ بِنِعْمَــتِ اللَّــهِ} أَنَّ ذَلِــكَ مِــنْ نِعْمَــةِ اللَّــهِ عَلَــيكم، {لِيُــرِيَكُمْ مِّــنْ آيَاتِــهِ} عَجَائِبِــهِ، {إِنَّ فِــي ذَلِــكَ لَآيَــاتٍ لِّكُــلِّ صَبَّارٍ} على أمر الله {شَكُورٍ} لِنِعَمِهِ.(3)

* * *

(1) انظـر: (تنـوير المقبـاس مـن تفسـير ابـن عبـاس) في سُورَةُ (لُقمَـان) الآيـة (31) يُنسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(2) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) لِلإِمَـامُ (ابـن كـثير) في سُورَةُ (لُقمَـان) الآية (31).

(3) انظـر: (مختصـر تفسـير البغـوي = المسـمى بمعـالم التنزيـل) لِلإِمَـامُ (البغوي) سُورَةُ (لُقمَان) الآية (31).

قــال: الإمــام (عبــد الــرحمن بــن ناصــر السّــعدي) – (رحمــه الله) – في (تفســيره):- {سُــورَةُ لُقمَــان} الآيــة {31} قَوْلُــهُ تَعَــالَى: {أَلَــمْ تَــرَ أَنَّ الْفُلْــكَ تَجْرِي فِــي الْبَحْــرِ بِنِعْمَــةِ اللَّــهِ} أي: ألم تــر مــن آثــار قدرتــه ورحمتــه، وعنايتــه بعبــاده، أن ســخر البحــر، تجــري فيــه الفلــك، بــأمره القــدري ولطفــه وإحســانه، {لِيُــرِيَكُمْ مِــنْ آيَاتِهِ} ففيها الانتفاع والاعتبار.
{إِنَّ فِــي ذَلِــكَ لآيَــاتٍ لِكُــلِّ صَــبَّارٍ شَــكُورٍ} فهــم المنتفعــون بالآيــات، صــبار علــى الضــراء، شــكور علــى الســراء، صــبار علــى طاعــة الله وعــن معصيته، وعلــى أقــداره، شــكور لله، علــى نعمــه الدينية والدنيوية.(4)

* * *

[٣٢] ﴿ وَإِذَا غَشِــيَهُمْ مَــوْجٌ كَالظُّلَــلِ دَعَــوُا اللَّــهَ مُخْلِصِــينَ لَــهُ الــدِّينَ فَلَمَّــا نَجَّــاهُمْ إِلَــى الْبَــرِّ فَمِــنْهُمْ مُقْتَصِــدٌ وَمَــا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وإذا أحــاط بهــم مــن كــل جانــب مــوج مثــل الجبــال والغمــام، دعــوا الله وحــده مخلصــين لــه الــدعاء والعبــادة، فلمــا اســتجاب الله لهــم، وأنقــذهم إلى الــبر، وســلمهم مــن الغــرق، فمــنهم مقتصــد لم يقــم بمــا وجــب عليــه مــن الشــكر علــى وجــه الكمــال، ومــنهم جاحــد لنعمــة الله، ومــا يجحــد بآياتنــا إلا كــل غــدَّار –مثــل هــذا الــذي عاهــد الله لــئن أنجــاه ليكــونن مــن الشــاكرين لــه–

(4) انظـر: (تيسـير الكـريم الـرَّحمن في تفسـير كـلام المنـان) في سُـورَةُ (لُقمَـان) الآية (31) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

كفور بنعم الله لا يشكر ربه الذي أنعم بها عليه.(1)

* * *

يَعنِي:- وإذا ركب المشركون السفن وعَلَتْهم الأمواج مِن حولهم كالسحب والجبال، أصابهم الخوف والذعر من الغرق ففزعوا إلى الله، وأخلصوا دعاءهم له، فلما نجاهم إلى البر فمنهم متوسط لم يقم بشكر الله على وجه الكمال، ومنهم كافر بنعمة الله جاحد لها، وما يكفر بآياتنا وحججنا الدالة على كمال قدرتنا ووحدانيتنا إلا كل غدَّار ناقض للعهد، جحود لنعم الله عليه.(2)

* * *

يَعنِي:- هؤلاء الجاحدون بالله إذا ركبوا فى السفن واضطرب بهم البحر وارتفعت أمواجه حتى بدت كأنها تظللهم، وظنوا أنهم غارقون - لا محالة - لجأوا إلى الله يدعونه فى إخلاص خضوع أن ينجيهم، فلما نجَّاهم إلى البر كان منهم قليل تذكَّر عهده، واعتدل فى عمله، ومنهم كثير نسى فضل ربه، وظل على جحوده به، ولا ينكر فضل ربه عليه وإحسانه إليه إلا كل إنسان شديد الغدر، مسرف فى الكفر بربه.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات

{وإذا غشيهم موج} .... أي: علاهم وغطاهم من فوقهم.

{غَشِيَهُم} ... عَلاَهُمْ.

{كَالظُّلَلِ} ... كَالسَّحَابِ، أَوِ الجِبَالِ المُظِلَّةِ.

(أي: كالجبال التي تظلل من تحتها).

{فمنهم مقتصد} .... أي: بين الكفر والإيمان بمعنى معتدل في ذلك ما آمن ولا كفر.

{مُقْتَصِدٌ} ... مُتَوَسِّطٌ لَمْ يَقُمْ بِشُكْرِ اللهِ عَلَى وَجْهِ الكَمَالِ.

{وَإِذَا غَشِيَهُمْ} ... يعني: الكفار، وهم في البحر.

{مَوْجٌ كَالظُّلَلِ} ... لأن موج البحر يرتفع ويتراكب كالظلل، وهي السحب.

{دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} لا يذكرون معه سواه.

{فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ} عدل، موف في البر بما عاهد الله عليه في البحر من التوحيد له،

{وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا} .... الدالة على قدرتنا.

{إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ} ... غدَّار.

{كل ختار كفور} .... أي: غدار كفور لنعم الله تعالى.

{خَتَّار} ... غَدَّار، والخَتْر: أسوأُ الغَدْر.

(أي: غَدَّار نَاقض للعَهْد).

{كَفُور} ... جَحُود لنعَم الله.

(أي: للإحسان إليه).

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس):- قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {32} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذَا

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (414/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (414/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (616/1)، المؤلف: (لجنة من علماء -الأزهر).

{غَشِيَهُمْ} ركبهم {مَّوْجٌ} غمر {كَالظُّلَلِ} في الارْتفاع كالسحاب فوقهم {دَعَوُاْ اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} مفردين له بالدعوة {فَلَمَّا نَجَّاهُمْ} من الْبَحْر {إِلَى الْبَرِّ} إلى الْقرار {فَمِنْهُمْ} من الْكفَّار {مُّقْتَصِدٌ} بالْقوْل والْفعل فيكون ألين ممَّا كانَ قبل ذلك {وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا} بمُحمَّد- صلى الله عَلَيْه وَسلم - وَالْقُرآن {إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ} غدار {كَفُورٍ} كافر بِاللَّه وبنعمته.(1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {32} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ} قَالَ: (مُقَاتِلٌ): كَالْجِبَالِ.

وَقَالَ: (الْكَلْبِيُّ): كالسحاب. والظلل جَمْعُ الظُّلَّةِ شَبَّهَ بِهَا الْمَوْجَ فِي كَثْرَتِهَا وَارْتِفَاعِهَا وَجَعَلَ الْمَوْجَ وهو واحد كالظل وَهِيَ جَمْعٌ، لِأَنَّ الْمَوْجَ يَأْتِي مِنْهُ شَيْءٌ بَعْدَ شَيْءٍ، {دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ} أَيْ: عَدْلٌ مُوفٍ فِي الْبَرِّ بِمَا عَاهَدَ اللَّهَ عَلَيْهِ فِي الْبَحْرِ مِنَ التَّوْحِيدِ لَهُ يَعْنِي ثبت على إيمانه.

قِيلَ: نَزَلَتْ فِي (عِكْرِمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ) هَرَبَ عَامَ الْفَتْحِ إِلَى البر فجاءتهم ريحٌ عاصفٌ، فَقَالَ: (عِكْرِمَةُ): لَئِنْ أنجانا اللَّهُ مِنْ هَذَا لَأَرْجِعَنَّ إِلَى مُحَمَّدٍ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَلَأَضَعَنَّ يَدِي فِي يَدِهِ فَسَكَنَتِ الرِّيحُ، فَرَجَعَ (عِكْرِمَةُ) إِلَى مَكَّةَ فَأَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ.

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ): فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ فِي الْقَوْلِ مُضْمِرٌ لِلْكُفْرِ.

وَقَالَ: (الْكَلْبِيُّ): مُقْتَصِدٌ في القول أي مكان الْكُفَّارِ لِأَنَّ بَعْضَهُمْ كَانَ أَشَدَّ قَوْلًا وَأَغْلَى فِي الِافْتِرَاءِ مِنْ بَعْضٍ، {وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ} وَالْخَتْرُ أَسْوَأُ الْغَدْرِ.(2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {32} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ} أَيْ: كَالْجِبَالِ وَالْغَمَامِ، {دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلا إِيَّاهُ} {الْإِسْرَاءِ: 67}،

وَقَالَ تعالى: {فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} {الْعَنْكَبُوتِ: 65}.

* * *

ثُمَّ قَالَ: {فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ} قَالَ: (مُجَاهِدٌ): أَيْ كَافِرٌ. كَأَنَّهُ فَسَّرَ الْمُقْتَصِدَ هَاهُنَا بِالْجَاحِدِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ} {الْعَنْكَبُوتِ: 65}.

وَقَالَ: (ابْنُ زَيْدٍ): هُوَ الْمُتَوَسِّطُ فِي الْعَمَلِ.

وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ (ابْنُ زَيْدٍ) هُوَ الْمُرَادُ فِي قَوْلِهِ: {فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ} {فَاطِرٍ: 32}، فَالْمُقْتَصِدُ هَاهُنَا هُوَ: الْمُتَوَسِّطُ فِي الْعَمَلِ.

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (32) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (لُقمَان) الآية (32).

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مُرَادًا هُنَا أَيْضًا، وَيَكُونُ مِنْ بَابِ الْإِنْكَارِ عَلَى مَنْ شَاهَدَ تِلْكَ الْأَهْوَالَ وَالْأُمُورَ الْعِظَامَ وَالْآيَاتِ الْبَاهِرَاتِ فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ بَعْدَمَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ مِنَ الْخَلَاصِ، كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُقَابِلَ ذَلِكَ بِالْعَمَلِ التَّامِّ، وَالدُّؤُوبِ فِي الْعِبَادَةِ، وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى الْخَيْرَاتِ. فَمَنِ اقْتَصَدَ بَعْدَ ذَلِكَ كَانَ مُقَصِّرًا وَالْحَالَةُ هَذِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

* * *

وَقَوْلُهُ: {وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ} : فَالْخَتَّارُ: هُوَ الْغَدَّار. قَالَهُ (مُجَاهِدٌ)، وَ(الْحَسَنُ)، وَ(قَتَادَةُ)، وَ(مَالِكٌ) عَنْ (زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ)، وَهُوَ الَّذِي كُلَّمَا عَاهَدَ نَقَضَ عَهْدَهُ، والخَتْر: أتَم الغدر وأبلغه،

* * *

قال: (عمرو بن معد يكرب):

وَإِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ أَبَا عُمَيرٍ ... مَلأْتَ يَدَيْكَ مِنْ غَدْرٍ وَخَتْرِ (1)

* * *

وَقَوْلُهُ: {كَفُورٍ} أَيْ: جَحُودٌ لِلنِّعَمِ لَا يَشْكُرُهَا، بَلْ يَتَنَاسَاهَا وَلَا يَذْكُرُهَا. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقْمَان}

الآية {32} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ} .

وذكر تعالى حال الناس، عند ركوبهم البحر، وغشيان الأمواج كالظلل فوقهم، أنهم يخلصون الدعاء لله والعبادة: {فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ} انقسموا فريقين:

فرقة مقتصدة، أي: لم تقم بشكر الله على وجه الكمال، بل هم مذنبون ظالمون لأنفسهم.

وفرقة كافرة بنعمة الله، جاحدة لها، ولهذا قال: {وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلا كُلُّ خَتَّارٍ} أي غدار، ومن غدره، أنه عاهد ربه، لئن أنجيتنا من البحر وشدته، لنكونن من الشاكرين، فغدر ولم يف بذلك،

{كَفُورٍ} بنعم الله. فهل يليق بمن نجاهم الله من هذه الشدة، إلا القيام التام بشكر نعم الله؟. (3)

* * *

[٣٣] ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يا أيها الناس، اتقوا ربكم" بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وخافوا عذاب يوم لا يغني فيه والد عن ولده، ولا يغني مولود عن والده شيئًا، إن وعد الله بالجزاء يوم القيامة ثابت وواقع لا محالة، فلا

(1) البيت في تفسير الطبري (54/21).
(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (32).
(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (32) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

تخدعنكم الحياة الدنيا بما فيها من شهوات وملهيات، ولا يخدعنكم الشيطان بحلم الله عليكم وتأخيره العذاب عنكم. (1)

* * *

يَعنِي:- يا أيها الناس اتقوا ربكم، وأطيعوه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، واحذروا يوم القيامة الذي لا يغني فيه والد عن ولده ولا مولود عن أبيه شيئًا، إن وعد الله حق لا ريب فيه، فلا تنخدعوا بالحياة الدنيا وزخرفها فتنسيكم الأخرى، ولا يخدعنكم بالله خادع من شياطين الجن والإنس. (2)

* * *

يَعنِي:- يا أيها الناس: افعلوا ما أمركم ربكم به، واتركوا ما نهاكم عنه، واحذروا عذابه يوم القيامة، يوم لا يغني والد فيه عن ولده شيئاً، ولا مولود هو مغن عن والده شيئاً، إن هذا اليوم وعد الله به، ووعده حق لا يتخلف، فلا تلهينكم زخارف الدنيا وزينتها عن الاستعداد له، ولا تخدعنَّكم وساوس الشيطان، فتصرفكم عن الله وطاعته. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا} .... أي: عذاب يوم.

{إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ} .... بالثواب والعقاب.

{حَقٌّ} .... لا خُلفَ فيه.

{فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ} .... الشيطان، والغرور: التطميع بما لا يحصل، ومعنى الآية: أن تعمل بالمعصية، وتتمنى المغفرة.

{اتقوا ربكم} .... أي: خافوه فآمنوا به واعبدوه وحده تنجوا من عذابه.

{واخشوا يوما} .... أي: خافوا يوم الحساب وما يجري فيه.

{لا يجزي والد عن ولده} .... أي: لا يغني والد فيه عن ولده شيئا.

{لَا يَجْزِي وَالِدٌ} ... لَا يُغْنِي فِيهِ وَالِدٌ.

{إن وعد الله حق} .... أي: وعد الله بالحساب والجزاء حق ثابت لا محالة هو كائن.

{فَلَا تَغُرَّنَّكُمْ} ... فَلَا تَخْدَعَنَّكُمْ، وَتُلْهِيَنَّكُمْ.

{فلا تغرنكم الحياة الدنيا} .... أي: فلا تغتروا بالحياة الدنيا فإنها زائلة فأسلموا تسلموا.

{ولا يغرنكم بالله الغرور} .... أي: الشيطان يغتنم حلم الله عليكم وإمهاله لكم فيجسركم على المعاصي ويسوفكم في التوبة.

{الْغَرُورُ} ... مَا يَغُرُّ وَيَخْدَعُ مِنْ شَيْطَانٍ وَغَيْرِه.

* * *

﴿الْقِرَاءَآت﴾

{لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِه وَلَا} .... أي: لا يقضي عنه، و (يُجزي) - بالضم-: يغني، والتلاوة بالأول.

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (414/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (414/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (616/1)، المؤلف: (لجنة من علماء -الأزهر).

{مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا} .... ما روي عن (يعقوب)، و(قنبل): الوقف بالياء على (جازي). (1)

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

انظر: سورة – (البقرة) – آية (48). – كما قال تعالى: {وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ}.

* * *

وانظر: سورة – (النساء) – آية (120). – كما قال تعالى: {يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا}.

* * *

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةِ لُقْمَان} الآية {33} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ} يَا أهل مَكَّة {اتَّقُوا رَبَّكُمْ} أطيعوا ربكُم {واخشوا يَوْماً} عَذَاب يَوْم {لاَّ يَجْزِي} لَا يُغني {وَالِدٌ عَن وَلَدِه وَلاَ مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ} مغن {عَن وَالِدِه شَيْئاً} عَذَاب الله {إِنَّ وَعْدَ الله} الْبَعْث بعد الْمَوْت {حَقٌّ} كَائِن صدق {فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاة الدنيا} مَا فِي الدُّنْيَا من الزهرة وَالنَّعِيم {وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ} الشَّيْطَان وَيُقَال الأباطيل إِن قَرَأت بِضَم الْغَيْن. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) – عن (مجاهد): قوله: {الْغَرُورُ} قال: الشيطان. (3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن)– عن (قتادة): قوله: {وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ} ذاكم الشيطان. (4)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-{سُورَةُ لُقْمَان} الآية {33} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي} لا يقضي ولايغني، {وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ} مغن، {عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): كُلُّ امْرِئٍ تهمه نَفْسُهُ، {إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ} يَعْنِي: الشَّيْطَانَ.
قَالَ: (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ): هُوَ أَنْ يَعْمَلَ الْمَعْصِيَةَ ويتمنى المغفرة. (5)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقْمَان} الآية {33} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ}.

---

(1) انظر: (تفسير البغوي) برقم (3/ 221).
وانظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن) في سُورَةُ (لُقْمَان) الآية (33) للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).
(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (لُقْمَان) الآية (33) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما –.
(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (159/20).
(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (159/20).
(5) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (لُقْمَان) الآية (33).

يـأمر تعـالى النـاس بتقـواه، الـتي هـي امتثـال أوامـره، وتـرك زواجـره، ويسـتلفتهم لخشـية يـوم القيامـة، اليـوم الشـديد، الـذي فيـه كـل أحـد لا يهمـه إلا نفسـه فـ {لا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِه وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِه شَيْئًا} لا يزيـد في حسـناته ولا يـنقص مـن سـيئاته، قـد تم على كل عبد عمله، وتحقق عليه جزاؤه.

فلفت النظـر في هـذا لهـذا اليـوم المهيـل، ممـا يقـوي العبـد ويسـهِّل عليـه تقـوى الله، وهـذا مـن رحمـة الله بالعبـاد، يـأمرهم بتقـواه الـتي فيهـا سـعادتهم، ويعـدهم عليهـا الثـواب، ويحـذرهم مـن العقـاب، ويـزعجهم إليـه بـالمواعظ والمخوفات، فلك الحمد يا رب العالمين.

{إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} فـلا تمـتروا فيـه، ولا تعملوا عمـل غـير المصـدق، فلهـذا قـال: {فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} بزينتهـا وزخارفهـا وما فيها من الفتن والمحن.

{وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ} الـذي هـو الشـيطان، الـذي مـا زال يخـدع الإنسـان ولا يغفـل عنـه في جميـع الأوقـات، فـإن لله علـى عبـاده حقـا، وقـد وعـدهم موعـدا يجـازيهم فيـه بأعمـالهم، وهـل وفـوا حقـه أم قصـروا فيه.

وهـذا أمـر يجـب الاهتمـام بـه، وأن يجعلـه العبـد نصـب عينيـه، ورأس مـال تجارتـه، التي يسعى إليها.

ومـن أعظـم العوائـق عنـه والقواطـع دونـه، الـدنيا الفتانـة، والشـيطان الموسـوس الْمُسَـوِّل، فنهـى تعـالى عبـاده، أن تغـرهم الـدنيا، أو يغـرهم بـالله الغـرور {يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلا غُرُورًا}. (1)

* * *

قـال: الإمـام (إبـن كـثير) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- {سُـورَةُ لُقمَـان} الآيـة {33} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {يَـا أَيُّهَـا النَّـاسُ اتَّقُـوا رَبَّكُـمْ وَاخْشَـوْا يَوْمًـا لا يَجْـزِي وَالِـدٌ عَـنْ وَلَـدِه وَلا مَوْلُـودٌ هُـوَ جَـازٍ عَـنْ وَالِـدِه شَـيْئًا إِنَّ وَعْـدَ اللَّـهِ حَـقٌّ فَـلا تَغُـرَّنَّكُمُ الْحَيَـاةُ الـدُّنْيَا وَلا يَغُـرَّنَّكُمْ بِاللَّـهِ الْغَرُورُ}.

يَقُـولُ تَعَـالَى مُنْـذِرًا لِلنَّـاسِ يَـوْمَ الْمَعَـادِ، وَآمِـرًا لَهُـمْ بِتَقْـوَاهُ وَالْخَـوْفِ مِنْـهُ، وَالْخَشْـيَةِ مِـنْ يَـوْمِ الْقِيَامَةِ حَيْثُ.

{لا يَجْـزِي وَالِـدٌ عَـنْ وَلَـدِه} أَيْ: لَـوْ أَرَادَ أَنْ يَفْدِيَـهُ بِنَفْسِـهِ لَمَـا قُبِـلَ مِنْـهُ. وَكَـذَلِكَ الْوَلَـدُ لَـوْ أَرَادَ فِدَاءَ وَالِدِهِ بِنَفْسِهِ لَمْ يُتَقَبَّلْ مِنْهُ.

ثُـمَّ عَـادَ بِالْمَوْعِظَـةِ عَلَـيْهِمْ بِقَوْلِـهِ: {فَـلا تَغُـرَّنَّكُمُ الْحَيَـاةُ الـدُّنْيَا} أَيْ: لَا تُلْهِيَـنَّكُمْ بِالطُّمَأْنِينَةِ فِيهَا عَنِ الدَّارِ الْآخِرَةِ.

{وَلا يَغُـرَّنَّكُمْ بِاللَّـهِ الْغَـرُورُ} يَعْنِـي: الشَّـيْطَانُ. قَالَـهُ: (ابْـنُ عَبَّـاسٍ)، وَ(مُجَاهِـدٌ)، وَ(الضَّـحَّاكُ)، وَ(قَتَـادَةُ): فَإِنَّـهُ يَغُـرُّ ابْـنَ آدَمَ وَيَعِـدُهُ وَيُمَنِّيـهِ، وَلَـيْسَ مِـنْ ذَلِـكَ شَـيْءٌ بَـلْ كَمَـا قَـالَ تعـالى: {يَعِـدُهُمْ وَيُمَنِّـيهِمْ وَمَـا يَعِـدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلا غُرُورًا} {النِّسَاء:120}.

قَـالَ: (وَهْـبُ بْـنُ مُنَبِّـهٍ): قَـالَ عُزَيْـرٌ، عَلَيْـهِ السَّـلَامُ: لَمَّـا رَأَيْـتُ بَـلَاءَ قَـوْمِي اشْـتَدَّ حُزْنِـي وَكَثُـرَ هَمِّـي، وَأَرِقَ نَـوْمِي، فَضَـرَعْتُ إِلَـى رَبِّـي

(1) انظـر: (تيسـير الكـريم الـرَّحمن في تفسـير كـلام المنـان) في سُـورَةُ (لُقمَـان) الآية (33) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ فَأَنَا فِي ذَلِكَ أَتَضَرَّعُ أَبْكِي إِذْ أَتَانِي الْمَلَكُ فَقُلْتُ لَهُ: أَخْبِرْنِي هَلْ تَشْفَعُ أَرْوَاحُ الْمُصَدِّقِينَ لِلظَّلَمَةِ، أَوِ الْآبَاءِ لِأَبْنَائِهِمْ؟ قَالَ: إِنَّ الْقِيَامَةَ فِيهَا فَصْلُ الْقَضَاءِ وَمُلْكٌ ظَاهِرٌ، لَيْسَ فِيهِ رُخْصَةٌ، لَا يَتَكَلَّمُ فِيهِ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِ الرَّحْمَنِ، وَلَا يُؤْخَذُ فِيهِ وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ، وَلَا وَلَدٌ عَنْ وَالِدِهِ، وَلَا أَخٌ عَنْ أَخِيهِ، وَلَا عَبْدٌ عَنْ سَيِّدِهِ، وَلَا يَهْتَمُّ أَحَدٌ بِغَيْرِهِ وَلَا يَحْزَنُ لِحُزْنِهِ، وَلَا أَحَدٌ يَرْحَمُهُ، كُلٌّ مُشْفِقٌ عَلَى نَفْسِهِ، وَلَا يُؤْخَذُ إِنْسَانٌ عَنْ إِنْسَانٍ، كُلٌّ يَهُمُّهُ هَمُّهُ وَيَبْكِي عَوْلَهُ، وَيَحْمِلُ وِزْرَهُ، وَلَا يَحْمِلُ وِزْرَهُ مَعَهُ غَيْرُهُ. رَوَاهُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ).(1)

* * *

[٣٤] ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن الله عنده وحده علم الساعة "فيعلم متى تقع، وينزل المطر متى شاء، ويعلم ما في الأرحام أذكر هو أم أنثى؟! شقي أم سعيد؟! وما تعلم نفس ما تكسب غداً من خير أو شر، وما يعلم نفس بأي أرض تموت، بل الله هو الذي يعلم ذلك كله، إن الله عليم خبير بكل ذلك، لا يخفى عليه شيء من ذلك.(2)

* * *

يَعْنِي:- إن الله -وحده لا غيره- يعلم متى تقوم الساعة" وهو الذي ينزل المطر من السحاب، لا يقدر على ذلك أحد غيره، ويعلم ما في أرحام الإناث، ويعلم ما تكسبه كل نفس في غدها، وما تعلم نفس بأيِّ أرض تموت. بل الله تعالى هو المختص بعلم ذلك جميعه. إن الله عليم خبير محيط بالظواهر والبواطن، لا يخفى عليه شيء منها.(3)

* * *

يَعْنِي:- إن الله يثبت عنده علم الساعة فلا يعلمها أحد سواه، وينزل المطر فى موعده الذى ضربه له، ويعلم ما فى الأرحام، أى يعلم مصير هذا الخارج من الأرحام إلى الدنيا بين الشقاء والسعادة، وبين التوفيق والخذلان، وبين مقدار إقامته فى الدنيا وخروجه منها. وما تعلم نفس بارة أو فاجرة ما تكسبه فى غدها من خير أو شر، وما تعلم نفس ببقعة الأرض التى فيها ينقضى أجلها، لأن الله تام العلم والخبرة لكل شئ، ولا يظهر على غيبه أحداً.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

ولما سئل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الساعة، وعن نزول الغيث، وعن وضع

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) لِلْإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةْ (لُقمَان) الآية (33).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (414/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (414/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (617/1)، المؤلف: (لجنة من علماء -الأزهر).

الحمل، والكسب، والموت، نزل: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} .... وقتَ قيامها.[1]

{وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ} .... أي: المطر،

{وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ} .... أي: من ذكر أو أنثى ولا يعلم ذلك سواه.

(أي: من ذكر وأنثى، وأسود وأبيض، وغير ذلك).

{وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً} ... مِنْ كَسْبِ دينِها وَدُنْيَاهَا. (أي: من خير وشر).

{ماذا تكسب غداً} .... أي: من خير أو شر والله يعلمه.

{وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ} .... من بَر وبحر،

قال - صلى الله عليه وسلم -: ((مفاتحُ الغيبِ خمسة)) وتلا هذه الآية[2].

{إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ} .... بالأشياء كلها.

{خَبِيرٌ} .... يعلم بواطنَها وظواهرَها،

* * *

﴿الْقِرَاءَات﴾

قرأ (نافع)، و(أبو جعفر)، و(ابن عامر)، و(عاصم): (وَيُنَزِّلُ) بفتح النون وتشديد الزاي،

والباقون: بإسكان النون وتخفيف الزاي.[3]

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس):- قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَة لُقمَان} الآية {34} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ اللهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} علم قيام السَّاعَة وَهُوَ مخزون عَن الْعباد {وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ} الْمَطَر يعلم نزُول الْغَيْث وَهُوَ مخزون عَن الْعباد {وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ} من الْوَلَد ذكر أَو أُنْثَى تَامّ أَو غَيره شقي أَو سعيد وَهُوَ مخزون عَن الْعباد {وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً} من الْخَيْر وَالشَّر وَهُوَ مخزون عَن الْعباد {وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ} بِأَيّ قدم تؤْخذ وَهُوَ مخزون عَن الْعباد {إِنَّ اللهَ عَلَيمٌ} بخلقه {خَبِيرٌ} بأعمالهم وَبِمَا يصيبهم من النَّفْع والضر {إِن الله عليم} بخلقه {خَبِيرٌ} بأعمالهم وَبِمَا يصيبهم من النَّفْع والضر.[4]

* * *

قال: الشيخ (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قد قدمنا في سورة الأنعام أن هذه الخمسة المذكورة في خاتمة سورة لقمان: أنها هي مفاتح الغيب المذكورة في قوله تعالى: {وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو}.[5]

* * *

(1) انظر: (أسباب نزول) للواحدي (ص: 199 - 200).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4351)- (كتاب: التفسير)، / باب: {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ}، عن (ابن عمر) - رضي الله عنهما-.

(3) انظر: "التيسير" للداني (ص: 177)،
و"النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (2/ 218)،
و "إتحاف فضلاء البشر" للدمياطي (ص: 351)،
و"معجم القراءات القرآنية" (5/ 94).

وانظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (34) للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (34) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(5) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (لقمان) الآية (34).

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان}

الآية {34} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}.

قد تقرر أن الله تعالى أحاط علمه بالغيب والشهادة، والظواهر والبواطن، وقد يطلع الله عباده على كثير من الأمور الغيبية، وهذه الأمور الخمسة، من الأمور التي طوى علمها عن جميع المخلوقات، فلا يعلمها نبي مرسل، ولا ملك مقرب، فضلا عن غيرهما،

فقال: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} أي: يعلم متى مرساها،

كما قال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلا بَغْتَةً} الآية.

{وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ} أي: هو المنفرد بإنزاله، وعلم وقت نزوله.

{وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ} فهو الذي أنشأ ما فيها، وعلم ما هو، هل هو ذكر أم أنثى، ولهذا يسأل الملك الموكل بالأرحام ربه: هل هو ذكر أم أنثى؟ فيقضي الله ما يشاء.

{وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا} من كسب دينها ودنياها،

{وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ} بل الله تعالى، هو المختص بعلم ذلك جميعه.

ولما خصص هذه الأشياء، عمم علمه بجميع الأشياء فقال: {إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} محيط بالظواهر والبواطن، والخفايا والخبايا، والسرائر، ومن حكمته التامة، أن أخفى علم هذه الخمسة عن العباد، لأن في ذلك من المصالح ما لا يخفى على من تدبر ذلك.(1)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثني إسحاق، عن جرير، عن أبي حيان، عن أبي زرعة، عن (أبي هريرة) - رضي الله عنه - أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان يوماً بارزاً للناس، إذ أتاه رجل يمشي فقال: يا رسول الله، ما الإيمان؟

قال: ((الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، ورُسله، ولقائه، وتؤمن بالبعث الآخر)).

قال: ما الإسلام؟.

قال: ((الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان))،

قال: يا رسول الله، ما الإحسان؟.

قال: ((الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)).

قال: يا رسول الله، متى الساعة؟.

قال: ((ما المسئول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها: إذا ولدت المرأة ربتها فذاك من أشراطها، وإذا كان الحفاة العُراة رُءوس الناس فذاك من أشراطها، في خمس لا يعلمهن إلا الله {إن الله عنده علم الساعة ويُنزل الغَيث ويعلم ما في الأرحام})). ثم انصرف الرجلُ، فقال: رُدوا عَلَيَّ. فأخذوا ليُردوا فلم يروا شيئا،

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (34) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

فقــال: ((هــذا جبريــل جــاء لــيعلمَ النــاس دينهم)). (1)(2)

* * *

قــال: الإمــام (البغــوي) – (مُحيــي السُّــنَّة) – (رحمــه اللّه) – في (تفســــــــيره):-{سُــــــورَةُ لُقمَــان} الآيــة {34} قَوْلُــهُ تَعَــالَى: {إِنَّ اللَّــهَ عِنْــدَهُ عِلْــمُ السَّــاعَةِ} الآيــة نَزَلَــتْ فــي (الْحَــارِثِ بْــنِ عَمْــرٍو) مــنْ أَهْــلِ الْبَادِيَــةِ أَتَــى النَّبِــيَّ – صَلَّــى اللَّــهُ عَلَيْــهِ وَسَــلَّمَ– فَسَــأَلَهُ عَــنِ السَّــاعَةِ وَوَقْتِهَــا وَقَــالَ: إِنَّ أَرْضَــنَا أَجْــدَبَتْ فَمَتَــى يَنْــزِلُ الْغَيْــثُ وَتَرَكْــتُ امْرَأَتِــي حُبْلَــى، فَمَتَــى تَلِــدُ، وَقَــدْ علمــتُ أَيْــنَ ولــدتُ فَبِــأَيِّ أَرْضٍ أَمُــوتُ؟ فَــأَنْزَلَ اللَّــهُ هَــذه الْآيَــةَ: {إِنَّ اللَّــهَ عِنْــدَهُ عِلْــمُ السَّــاعَةِ وَيُنَــزِّلُ الْغَيْــثَ وَيَعْلَــمُ مَــا فــي الْأَرْحَــامِ وَمَــا تَــدْرِي نَفْــسٌ مَــاذَا تَكْسِــبُ غَــدًا وَمَــا تَــدْرِي نَفْــسٌ بِــأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ} {لقمان: 34}.

وَقَــرَأَ: (أُبَــيُّ بْــنُ كَعْــبٍ): (بِأَيَّــةِ أَرْضٍ) لِــأَنَّ الْــأَرْضَ لَــيْسَ فِيهَــا مِــنْ عَلَامَــاتِ التَّأْنِيــثِ شَــيْءٌ.

وَقِيــلَ: أراد بــالأرض المكــان، عَــنْ (سَــالِمِ بْــنِ عَبْــدِ اللَّــهِ) عَــنْ (أَبِيــهِ) أَنَّ رَسُــولَ اللَّــهِ – صَلَّــى اللَّــهُ عَلَيْــهِ وَسَــلَّمَ – قَــالَ: ((مَفَــاتِيحُ الْغَيْــبِ خَمْــسٌ: إِنَّ اللَّــهَ عِنْــدَهُ عِلْــمُ السَّــاعَةِ وَيُنَــزِّلُ الْغَيْــثَ وَيَعْلَــمُ مَــا فــي الْأَرْحَــامِ وَمَــا تَــدْرِي نَفْــسٌ مَــاذَا تَكْسِــبُ غَــدًا وَمَــا تَــدْرِي نَفْــسٌ بِــأَيِّ أَرْضٍ تَمُــوتُ)). (3) {إِنَّ اللَّــهَ عَلِــيمٌ خَــبِيرٌ} {لقمــان: 34}. (4)

* * *

قــال: الإمــام (البخــاري) – (رحمــه اللّه) – في (صــحيحه) – (بســنده):- حــدثنا خالــد بــن مخلــد، حــدثنا سـليمان بــن بــلال، حــدثني عبــد الله ابــن دينــار عــن (ابــن عمــر) –رضــي الله عنهمــا– عــن الــنبي – صَــلَّى اللَّــهُ عَلَيْــهِ وَسَــلَّمَ – قــال: ((مفــاتيح الغيــب خمــس لا يعلمهــا إلا الله: لا يعلــم مــا تغــيض الأرحــام إلا الله، ولا يعلــم مــا في غــد إلا الله، ولا يعلــم متــى يــأتي المطــر أحــد إلا الله، ولا تــدري نفــسٌ بــأي أرض تمــوت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله)). (5)

* * *

قولــه تعــالى: {وَمَــا تَــدْرِي نَفْــسٌ بِــأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ}.

قــال: الإمــام (ابــن ماجــة) – (رحمــه اللّه) – في (ســننه): حــدثنا أحمــد بــن ثابــت الجحــدري وعمــر بــن شــبّة بــن عبيــدة قــالا: ثنــا عمــر بــن علــي، أخبرنــي إسماعيــل بــن أبــي خالــد عــن قــيس بــن أبــي حــازم، عــن (عبــد الله بــن مســعود)، عــن الــنبي – صَــلَّى اللَّــهُ عَلَيْــهِ وَسَــلَّمَ – قــال: ((إذا كــان أجــل أحــدكم بــأرض، أوْثَبَتْــهُ إليهــا الحاجــة، فــإذا بلــغ أقصــى أثــره، قبضــه الله

---

(1) (صَــحِيح): أخرجــه الإِمَــامُ (البُخَــارِي) في (صــحيحه) بــرقم (373/8) – (كتاب: تفسير القرآن) – (سورة لقمان)،/ باب: (الآية)، (ح4777).

(2) (صَــحِيح): أخرجــه الإِمَــامُ (مســلم) في (صــحيحه) بــرقم (39/1-40)، (ح9، 10) – (كتــاب: الإيمــان)،/ بــاب: (بيــان الإيمــان والإســلام والإحسان).

(3) (صَــحِيح): أخرجــه الإِمَــامُ (البُخَــارِي) في (صــحيحه) بــرقم (2/ 524) – (كتاب: الاستسقاء).
والمصنف في (شرح السنة) برقم (4/ 422).

(4) انظــر: (مختصــر تفســير البغــوي = المســمى بمعــالم التنزيــل) للإِمَــامْ (البغوي) سُورَةُ (لُقمَان) الآية (34).

(5) (صَــحِيح): أخرجــه الإِمَــامُ (البُخَــارِي) في (صــحيحه) بــرقم (374/13) – (كتــاب: التوحيــد)،/ بــاب: قــول الله تعــالى (عــالم الغيــب ...)، (ح7379).

سبحانه. فتقول الأرض، يوم القيامة: ربِّ! هذا ما استودعتني)). (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن)- عن (قتادة): {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ...}. الآية، أشياء من الغيب، استأثر الله بهنّ، فلم يطلع عليهنّ ملَكا مقرّبا، ولا نبيا مرسلا،

{إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} فلا يدري أحد من الناس متى تقوم الساعة، في أيّ سنة، أو في أيّ شهر، أو ليل، أو نهار.

{وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ} فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث، ليلا أو نهارا ينزل؟.

{وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ} فلا يعلم أحد ما في الأرحام، أذكر أو أنثى، أحمر أو أسود، أو ما هو؟.

{وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا} خير أم شرّ، ولا تدري يا ابن آدم متى تموت؟ لعلك الميت غدا، لعلك المصاب غدا؟.

{وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ} ليس أحد من الناس يدري أين مضجعه من الأرض في بحر أو برّ أو سهل أو جبل، تعالى وتبارك. (2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ لُقمَان} الآية {34} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}.

هَذِهِ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ الَّتِي اسْتَأْثَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِعِلْمِهَا، فَلَا يَعْلَمُهَا أَحَدٌ إِلَّا بَعْدَ إِعْلَامِهِ تَعَالَى بِهَا" فَعِلْمُ وَقْتِ السَّاعَةِ لَا يَعْلَمُهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ،

{لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلا هُوَ} {الْأَعْرَافِ: 187}،

وَكَذَلِكَ إِنْزَالُ الْغَيْثِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ، وَلَكِنْ إِذَا أَمَرَ بِهِ عَلِمَتْهُ الْمَلَائِكَةُ الْمُوَكَّلُونَ بِذَلِكَ وَمَنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ. وَكَذَلِكَ لَا يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ مِمَّا يُرِيدُ أَنْ يَخْلُقَهُ اللَّهُ تَعَالَى سِوَاهُ، وَلَكِنْ إِذَا أَمَرَ بِكَوْنِهِ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى، أَوْ شَقِيًّا أَوْ سَعِيدًا عَلِمَ الْمَلَائِكَةُ الْمُوَكَّلُونَ بِذَلِكَ، وَمَنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ. وَكَذَلِكَ لَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا فِي دُنْيَاهَا وَأُخْرَاهَا،

{وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ} فِي بَلَدِهَا أَوْ غَيْرِهِ مِنْ أَيِّ بِلَادِ اللَّهِ كَانَ، لَا عِلْمَ لِأَحَدٍ بِذَلِكَ. وَهَذِهِ شَبِيهَةٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلا هُوَ} الْآيَةَ {الْأَنْعَامِ: 59}.

وَقَدْ وَرَدَتِ السُّنَّةُ بِتَسْمِيَةِ هَذِهِ الْخَمْسِ: مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ.

* * *

قَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ): حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ، حَدَّثَنِي حُسَيْنُ بْنُ وَاقِدٍ، حَدَّثَنِي (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ)، سَمِعْتُ أَبِي -بُرَيْدَةَ -

---

(1) اخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (1424/2) – (الزهد)، / باب: (ذكر الموت والاستعداد له) ح(4263)،
قال: الإمام (البوصيري): (هذا إسناد صحيح رجاله ثقات)، رواه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (1/41-42) - من طريق -: (عمر بن علي المقدمي ومحمد ابن خالد الوهبي وهشيم عن إسماعيل بن أبي خالد) به.
وقال: أسند هذا الحديث ثلاثة من الثقات. (مصباح الزجاجة 549/2).
وقال: الإمام (الألباني): (صحيح) في (صحيح ابن ماجة) رقم (420/2).
ذكره الإمام (ابن كثير) برقم (359/6).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (160/20).

يقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: ((خَمْسٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إلاَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ})).(1)

هَذَا حَدِيثٌ (صَحِيحُ الْإِسْنَادِ)، وَلَمْ يُخَرِّجُوهُ.(2)

* * *

حَدِيثُ (ابْنِ عُمَرَ):

قَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ): حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ (ابْنِ عُمَرَ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إلاَ اللَّهُ: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}.(3)

انْفَرَدَ بِإِخْرَاجِهِ الإمام (الْبُخَارِيُّ)، فَرَوَاهُ فِي "كِتَابِ الاسْتِسْقَاءِ" مِنْ (صَحِيحِهِ)، عَنْ (مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ الْفِرْيَابِيِّ)، عَنْ (سُفْيَانَ بْنِ سَعِيدٍ الثَّوْرِيِّ)، بِهِ.(4)(5)

* * *

وَرَوَاهُ فِي التَّفْسِيرِ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ فَقَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا (ابْنُ وَهْبٍ)، حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ: أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ أَنَّ (عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ". ثُمَّ قَرَأَ: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ} انْفَرَدَ بِهِ أَيْضًا.(6)(7)

* * *

حَدِيثُ (ابْنِ مَسْعُودٍ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

قَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ): حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ شُعْبَةَ، حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ، عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَمَةَ) قَالَ: قَالَ (عَبْدُ اللَّهِ)(8): أُوتِيَ نَبِيُّكُمْ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَفَاتِيحَ كُلِّ شَيْءٍ غَيْرَ خَمْسٍ: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}﴿.(9)

---

(1) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (353/5).

وقال: الإمام (الهيثمي) في (المجمع) برقم (90/7) "رجال أحمد رجال الصحيح".

و(صححه) الإمام (الألباني) في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) برقم (2914).

(2) انظُر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (34).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (1039)– (كتاب: الجُمعة).

انظُر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (34).

(4) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (24/2) .

(5) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (1035) .

(6) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم(4697)– (كتاب: تفسير القرآن) .

(7) انظُر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (34).

(8) في ت: "وروى الإمام (أحمد) عن (ابن مسعود) قال".

(9) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (386/1) .

و قال: الشيخ (أحمد شاكر): في تحقبق (المسند) (إسناده صحيح).

وكذا رواه عن مُحمَّد بن جعفر، عن شُعبة، عن عمرو بن مُرَّة، به. وزاد في آخره: قال: قُلتُ له: أنتَ سمعتَهُ من (عبد الله)؟ قال: نعم. أكثرَ من خمسين مرةً. (1)

ورواه أيضًا عن (وكيع)، عن (مسعر)، عن (عمرو بن مُرَّة) به. (2)

وهذا (إسنادٌ حسنٌ) على شرط (أصحاب السُّنَن) ولم يُخرِّجوه. (3)

* * *

حديث (أبي هُرَيْرَةَ):

قال: (البُخاريُّ) عند تفسير هذه الآية:
حدثنا إسحاق، عن جرير، عن أبي حيَّان، عن أبي زُرْعة، عن (أبي هُرَيْرَة)، رضي اللهُ عنهُ " أنَّ رسول الله - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم - كان يومًا بارزًا للناس، إذ أتاه رجلٌ يمشي،
فقال: يا رسول الله، ما الإيمانُ؟.
قال: "الإيمانُ: أن تُؤمن بالله وملائكته وكُتُبه ورُسُله ولقائه، وتُؤمن بالبعث الآخر".
قال: يا رسول الله، ما الإسلامُ؟.
قال: "الإسلامُ: أن تعبُد اللهَ ولا تُشرك به شيئا، وتُقيم الصلاة، وتُؤتي الزكاة المفروضة، وتصومَ رمضانَ".
فقال: يا رسول الله، ما الإحسانُ؟.
قال: "الإحسانُ: أنْ تعبُدَ اللهَ كأنَّك تراه، فإنْ لم تكُنْ تراهُ فإنَّهُ يراك".
قال: يا رسول الله، متى الساعةُ؟.
قال: "ما المسؤولُ عنها بأعلمَ من السائل، ولكن سأُحدِّثك عن أشراطها: إذا ولدت الأمةُ ربَّتها، فذاك من أشراطها. وإذا كان الحُفاةُ العُراةُ رؤوسَ الناس، فذاك من أشراطها، في خمس لا يعلمهن إلاَّ الله.
{إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ}، ثم انصرف الرجلُ فقال: "ردُّوه عليَّ". فأخذوا ليردُّوه، فلم يروا شيئًا، فقال: "هذا جبريلُ، جاء ليُعلِّمَ الناسَ دينَهُم". (4)

ورواه (البُخاريُّ) أيضًا في "كتاب الإيمان"، و(مُسلمٌ) - من طُرُقٍ-، عن (أبي حيَّان)، به. (5) (6)

وقد تكلَّمنا عليه في أول شرح البُخاريِّ. وذكرنا ثَمَّ حديث أمير المؤمنين عُمر بن الخطاب في ذلك بطوله، وهو من أفراد (مُسلم). (7)

* * *

حديث (ابن عبَّاس):

قال الإمامُ (أحمدُ): حدثنا أبو النضر، حدثنا عبد الحميد، حدثنا شهر، حدثنا (عبدُ الله بن عبَّاس)، رضي الله عنهما، قال: جلس رسولُ الله -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- مجلسًا له، فأتاه جبريلُ فجلس بين

---

(1) أخرجه الإمامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (1/438).
و(صححه) (الشيخ (أحمد شاكر): في تحقيق (المسند).
(2) أخرجه الإمامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (1/445).
و(1/386) و(صححه) (الشيخ (أحمد شاكر): في تحقيق (المسند).
(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (لُقمان) الآية (34).
(4) (صحيح): أخرجه الإمامُ (البُخاري) في (صحيحه) برقم (4777).
(5) (متفق عليه): أخرجه الإمامُ (البُخاري) في (صحيحه) برقم (50) – (كتاب: الإيمان)،
وأخرجه الإمامُ (مسلم) في (صحيحه) برقم (9) – (كتاب: الإيمان).
(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (لُقمان) الآية (34).
(7) (صحيح): أخرجه الإمامُ (مسلم) في (صحيحه) برقم (8) – (كتاب: الإيمان).

يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى رُكْبَتَيِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَدِّثْنِي مَا الْإِسْلَامُ؟.

قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: الْإِسْلَامُ أَنْ تُسْلِمَ وَجْهَكَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ".

قَالَ: فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ فَقَدْ أَسْلَمْتُ؟.

قَالَ: "إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ أَسْلَمْتَ".

قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فحدِّثني مَا الْإِيمَانُ؟.

قَالَ: "الْإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْمَلَائِكَةِ، وَالْكِتَابِ، وَالنَّبِيِّينَ، وَتُؤْمِنَ بِالْمَوْتِ، وَبِالْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَتُؤْمِنَ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَالْحِسَابِ وَالْمِيزَانِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ".

قَالَ: فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ فَقَدْ آمَنْتُ؟.

قَالَ: "إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ آمَنْتَ".

قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَدِّثْنِي مَا الْإِحْسَانُ؟

قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْمَلَ لِلَّهِ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ كُنْتَ لَا تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ".

قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَحَدِّثْنِي مَتَى السَّاعَةُ؟

قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "سُبْحَانَ اللَّهِ. فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا هُوَ: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}، وَلَكِنْ إِنْ شِئْتَ حَدَّثْتُكَ بِمَعَالِمَ لَهَا دُونَ ذَلِكَ؟ ".

قَالَ: أَجَلْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَحَدِّثْنِي.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "إِذَا رَأَيْتَ الْأَمَةَ وَلَدَتْ رَبَّتَهَا -أَوْ: رَبَّهَا -وَرَأَيْتَ أَصْحَابَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ، وَرَأَيْتَ الْحُفَاةَ الْجِيَاعَ الْعَالَةَ ﴿كَانُوا رُؤُوسَ النَّاسِ، فَذَلِكَ مِنْ مَعَالِمِ السَّاعَةِ وَأَشْرَاطِهَا".

قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ أَصْحَابُ الشَّاءِ وَالْحُفَاةُ الْجِيَاعُ الْعَالَةُ؟ قَالَ: "الْعَرَبُ"﴾ (1). حَدِيثٌ غَرِيبٌ، وَلَمْ يُخَرِّجُوهُ. (2)

* * *

حَدِيثُ رَجُلٍ مِنْ بَنِي (عَامِرٍ):

رَوَى الْإِمَامُ (أَحْمَدُ): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعبة، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي (عَامِرٍ)" أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: أَأَلِجُ؟ فَقَالَ: النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِخَادِمِهِ: "اخْرُجِي إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَا يُحْسِنُ الِاسْتِئْذَانَ فَقُولِي لَهُ: فَلْيَقُلْ: "السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَأَدْخُلُ؟ " قَالَ: فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ ذَلِكَ، فَقُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَأَدْخُلُ؟ فَأَذِنَ، فَدَخَلْتُ، فَقُلْتُ: بِمَ أَتَيْتَنَا بِهِ؟ قَالَ: "لَمْ آتِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، أَتَيْتُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وأن تَدَعُوا اللَّاتَ وَالْعُزَّى، وَأَنْ تُصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ خَمْسَ صَلَوَاتٍ" وَأَنْ تَصُومُوا مِنَ السَّنَةِ شَهْرًا، وَأَنْ تَحُجُّوا الْبَيْتَ، وَأَنْ تَأْخُذُوا الزَّكَاةَ مِنْ مَالِ أَغْنِيَائِكُمْ فَتَرُدُّوهَا عَلَى فُقَرَائِكُمْ". قَالَ: فَقَالَ: فَهَلْ بَقِيَ مِنَ الْعِلْمِ شَيْءٌ لَا تَعْلَمُهُ؟ قَالَ: "قَدْ عَلِمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

---

(1) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (1/318- 319).

و(صححه) الإمام (الألباني) في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) برقم (1345).

و(صححه) الشيخ (أحمد شاكر).

(2) انظُر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (34).

خَيْرًا، وَإِنَّ مِنَ الْعِلْمِ مَا لا يَعْلَمُهُ إلا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: الْخَمْسُ: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}. (1) وَهَذَا إِسْنَادٌ (صَحِيحٌ).

* * *

وَقَالَ: (ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ)، عَنْ (مُجَاهِدٍ): جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَقَالَ: إِنِ امْرَأَتِي حُبْلَى، فَأَخْبِرْنِي مَا تَلِدُ؟ وَبِلادُنَا جدبة، فَأَخْبِرْنِي مَتَّى يَنْزِلُ الْغَيْثُ؟ وَقَدْ عَلِمتُ مَتَى وُلِدتُ فَأَخْبِرْنِي مَتَى أَمُوتُ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ}، إِلَى قَوْلِهِ: {إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}.

* * *

قَالَ: (مُجَاهِدٌ): وَهِيَ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ الَّتِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلا هُوَ} {الْأَنْعَام: 59}. رَوَاهُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ)، وَ(ابْنُ جَرِيرٍ).

* * *

وَقَالَ: (الشَّعْبِيُّ)، عَنْ (مَسْرُوقٍ)، عَنْ (عَائِشَةَ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: {وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا}. (2)

* * *

(1) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (368/5).
وأخرجه الإمام (ابو داود) في (السنن) برقم (5177).
وأخرجه الإمام (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (10148).
وقال: الحافظ في (الفتح الباري) برقم (3/11)، (إسناده جيد).
و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح الجامع) برقم (234).

(2) أخرجه (الطبري) في (تفسيره) برقم (56/21).

وَقَوْلُهُ: {وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ}:
قَالَ: (قَتَادَةُ): أَشْيَاءُ اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِهِنَّ، فَلَمْ يُطْلِعْ عَلَيْهِنَّ مَلَكًا مُقَرَّبًا، وَلا نَبِيًّا مُرْسَلًا، {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ}، فَلاَ يَدْرِي أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ، فِي أَيِّ سَنَةٍ أَوْ فِي أَيِّ شَهْرٍ، أَوْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ،
{وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ}، فَلاَ يَعْلَمُ أَحَدٌ مَتَّى يَنْزِلُ الْغَيْثُ، لَيْلًا أَوْ نَهَارًا،
{وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ}، فَلاَ يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا فِي الْأَرْحَامِ، أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى، أَحْمَرُ أَوْ أَسْوَدُ، وَمَا هُوَ،
{وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا}، أَخَيْرٌ أَمْ شَرٌّ، وَلاَ تَدْرِي يَا ابْنَ آدَمَ مَتَى تَمُوتُ؟ لَعَلَّكَ الْمَيِّتُ غَدًا، لَعَلَّكَ الْمُصَابُ غَدًا،
{وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ} لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يَدْرِي أَيْنَ مَضْجَعُهُ مِنَ الْأَرْضِ، أَفِي بَحْرٍ أَمْ بَرٍّ، أَوْ سَهْلٍ أَوْ جَبَلٍ؟

* * *

وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: ((إِذَا أَرَادَ اللَّهُ قَبضَ عبدٍ بأرضٍ، جعل له إليها حاجة))،
فَقَالَ: الْحَافِظُ (أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبَرَانِيُّ) فِي مُعْجَمِهِ الْكَبِيرِ، فِي (مُسْنَدِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ): حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ، عَنْ (أُسَامَةَ (3) بْنِ زَيْدٍ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَا جَعَلَ اللَّهُ مِيتَةَ عَبْدٍ بِأَرْضٍ إِلاَ جَعَلَ لَهُ فِيهَا حَاجَةً". (4) (1)

(3) في ت: "فروى (أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبَرَانِيُّ) فِي مُعْجَمِهِ الْكَبِيرِ فِي- مسند أسامة".
(4) (صَحِيحٌ): رواه الإمام (الطبراني) (المعجم الكبير) برقم (178/1).

* * *

وَقَالَ الْإِمَامُ (أَحْمَدُ): حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ بْنِ أُسَامَةَ عَنْ (أَبِي عَزَّةَ)[2] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم-: ((إذا أراد اللَّهُ قَبْضَ رُوح عَبْدٍ بِأَرْضٍ جَعَلَ لَهُ فِيهَا -أَوْ قَالَ: بِهَا -حَاجَةً)).[3]

و(أَبُو عَزَّةَ) هَذَا هُوَ: (يَسَارُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ)، وَيُقَالُ: (ابْنُ عَبْدِ الْهُذَلِي).

وَأَخْرَجَهُ (التِّرْمِذِيُّ) - مِنْ حَدِيثِ- (إِسْمَاعِيل بْنِ إِبْرَاهِيم) -وَهُوَ (ابْنُ عُلَيَّةَ)، وَقَالَ: (صَحِيحٌ).

* * *

وَقَالَ: (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ): حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عِصَامٍ الْأَصْفَهَانِيُّ، حَدَّثَنَا الْمُؤَمَّلُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي حُمَيْد، عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ، عَنْ (أَبِي عَزَّةَ الْهُذَلِي) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم-: ((إذا أراد الله قبض عبد بأرض، جَعَلَ لَهُ إِلَيْهَا حَاجَةً، فَلَمْ يَنْتَهِ حَتَّى يَقْدُمَهَا)). ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}.[4]

* * *

حديثٌ آخر:

قَالَ الْحَافِظُ (أَبُو بَكْرٍ الْبَزَّارُ): حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ الْجَحْدَرِي وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْقُطَعِي قَالَا حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، عَنْ قَيْسٍ، عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم-: ((إذا أراد الله قبض عبد بِأَرْضٍ جَعَلَ لَهُ إِلَيْهَا حَاجَةً)).

ثُمَّ قَالَ الْبَزَّارُ: وَهَذَا الْحَدِيثُ لَا نَعْلَمُ أَحَدًا يَرْفَعُهُ إِلَّا (عُمَرَ بْنَ عَلِيٍّ الْمُقَدمي).[5]

* * *

وَقَدْ رَوَاهُ (ابْنُ مَاجَهْ) عَنْ أَحْمَدَ بْنِ ثَابِتٍ وعُمَرِ بْنِ شَبَّةَ، كِلَاهُمَا عَنْ (عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ) مَرْفُوعًا: ((إِذَا كَانَ أَجَلُ أَحَدِكُمْ بِأَرْضٍ أوثَبَتْهُ إِلَيْهَا حَاجَةٌ، فَإِذَا بَلَغَ أَقْصَى أَثَرِهِ، قَبَضَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَتَقُولُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَبِّ، هَذَا مَا أَوْدَعْتَنِي)).[6]

* * *

قَالَ: (الطَّبَرَانِيُّ): حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ (أَبِي الْمَلِيحِ)، عَنْ (أُسَامَةَ) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ:

وقال: الإمام (الهيثمي) في (المجمع) برقم (196/7) "ورجاله رجال الصحيح" وفيها: "منية" بدل "ميتة".

و(صححه) الإمام (الألباني) في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) برقم (1221).

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامُ (ابن كثير) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (34).

(2) في ت: "وروى الإمام أحمد".

(3) في أ: "عن أبي عزة الهذلي".

(4) ورواه الإمام (الطبراني) في الأوسط برقم (3248) "مجمع البحرين" - من طريق - (عباد بن صهيب)، عن (عبيد الله بن أبي حميد) به، و(عباد ابن صهيب) متروك.

(5) (ورواه الإمام (الحاكم) في المستدرك (367/1) - من طريق - (محمد بن خالد الوهبي)، عن (إسماعيل بن أبي خالد) بنحوه.

(6) سنن ابن ماجه برقم (4263) وقال: (البوصيري) في (الزوائد) (264/2): "هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات". والكلام هنا متعلق برواية البزار ولم أستسغ تقديمها" لورودها هكذا في النسخ.

((مَا جَعَلَ اللَّهُ مَنِيَّةَ عَبْدٍ بِأَرْضٍ، إِلَّا جَعَلَ لَهُ إِلَيْهَا حَاجَةً)).(1)(2)

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ﴾

• نقص الليل والنهار وزيادتهما وتسخير الشمس والقمر: آيات دالة على قدرة الله سبحانه، ونعمٌ تستحق الشكر.

• الصبر والشكر وسيلتان للاعتبار بآيات الله.

• الخوف من القيامة يقي من الاغترار بالدنيا، ومن الخضوع لوساوس الشياطين.

• إحاطة علم الله بالغيب كله.(3)

* * *

والله سبحانه و تعالى أعلم بالصواب

آخَرُ تَفْسِيرِ سُورَةُ﴿ لُقْمَانَ﴾

تم بفضل الله وإعانته وتيسيره.

وَلِلَّهِ الحَمْدُ والثَّناء والفَضْل وَالْمِنَّة وَالمَجد دائماً أبداً وإستمراراً

كما ينبغي لجلاله، وعظمته، وكماله وسعة إحسانه.

((الحمْدُ للّه الذي بِنِعْمَتِه تتمُ الصالحات))

والحمدلله رب العالمين، أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً،

حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه. مِلءَ السَّمَوَاتِ، وَمِلءَ الأَرض،

وَمِلءَ ما بينهُما. وَمِلءَ ما فهيما.

سُبحانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمدِكَ أشهَدُ أن لاَ إله إلاَّ أنت أستَغْفِرُكَ وأَتُوبُ إِليك.

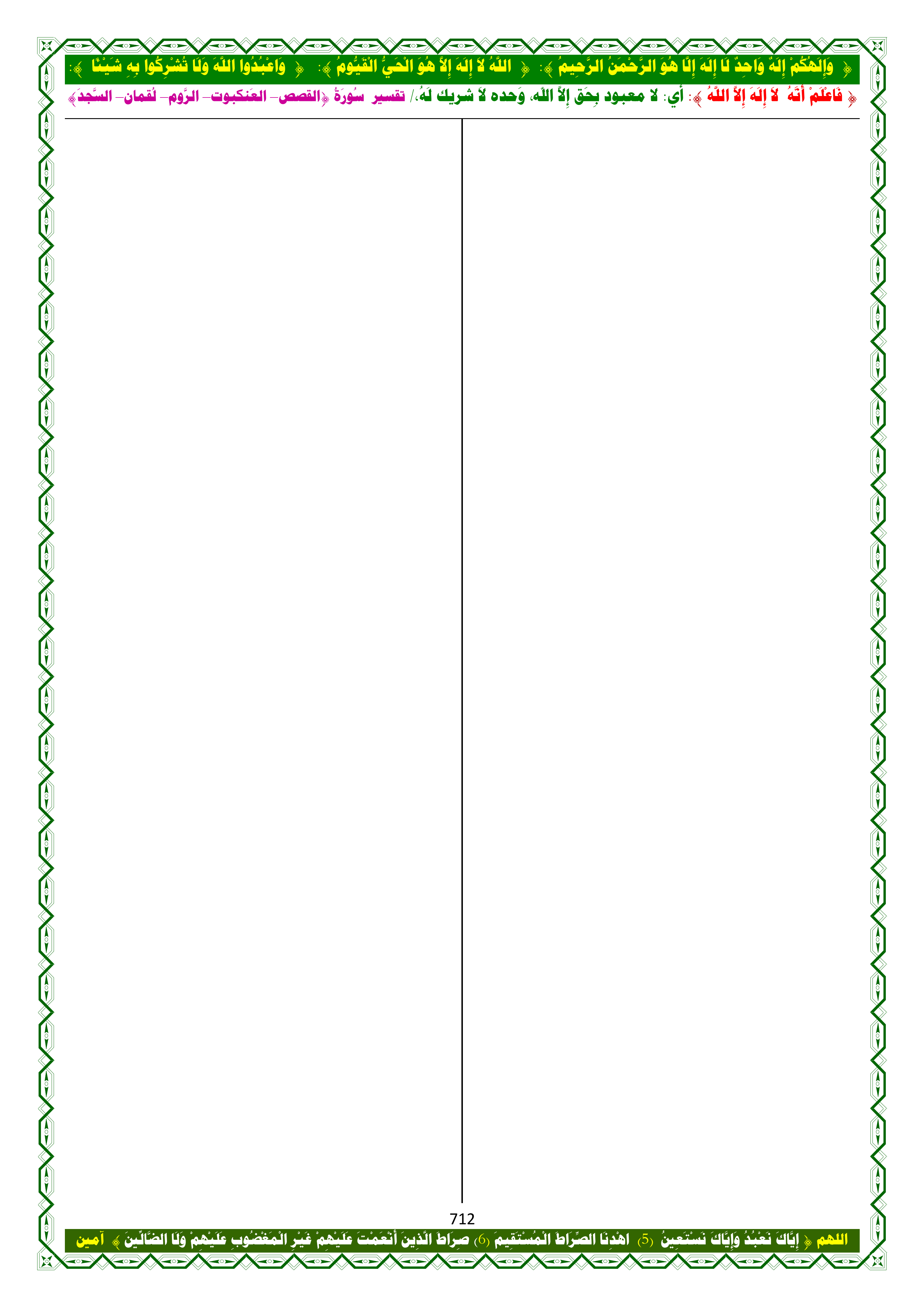
وَصلَّى اللَّهُ وَسلَّمَ علَى نبينا مُحَمَّدٍ وعلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجمعين تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

---

(1) (المعجم الكبير (178/1) وقد مر ذكره.

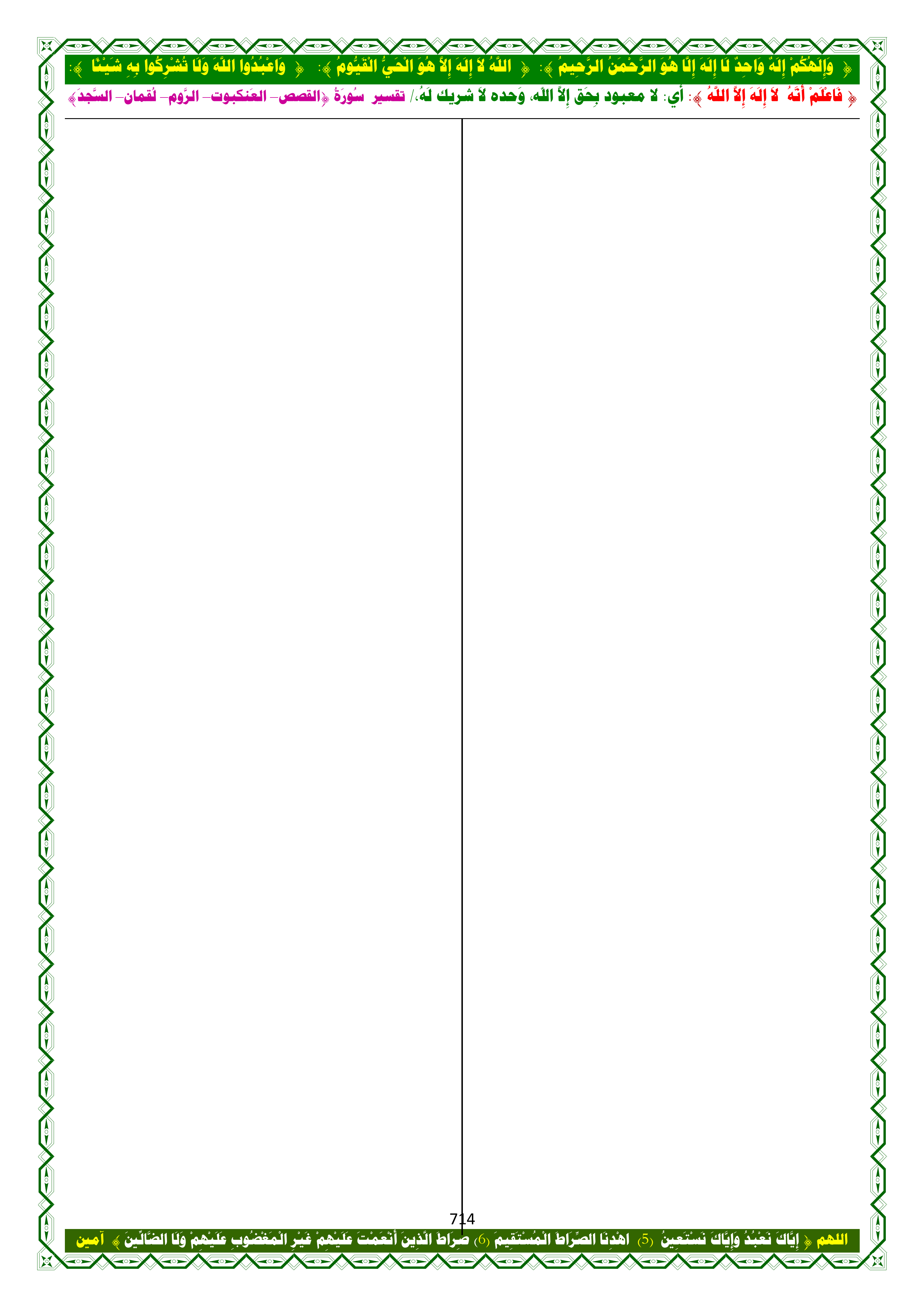
(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (لُقمَان) الآية (34).

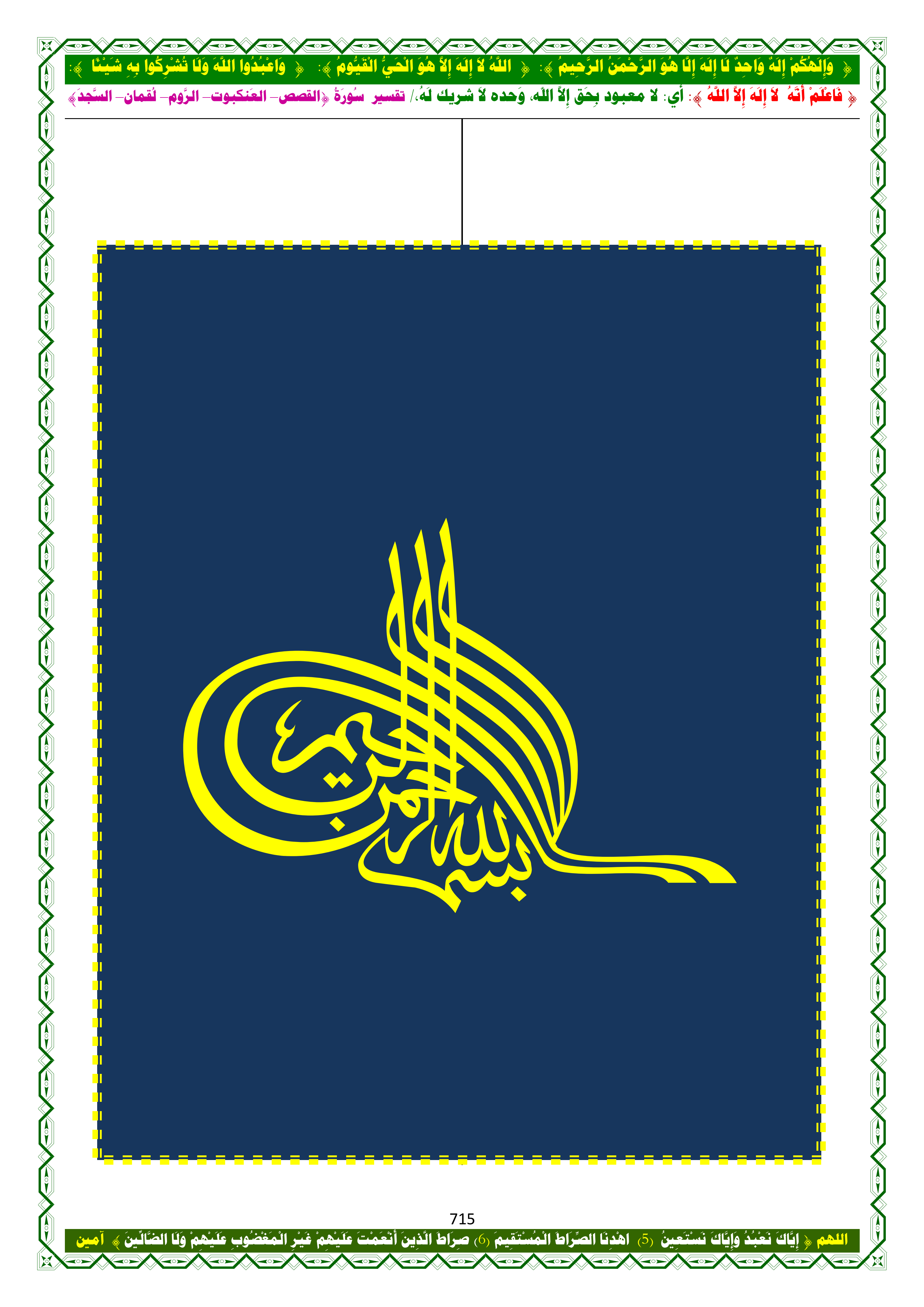
(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (414/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

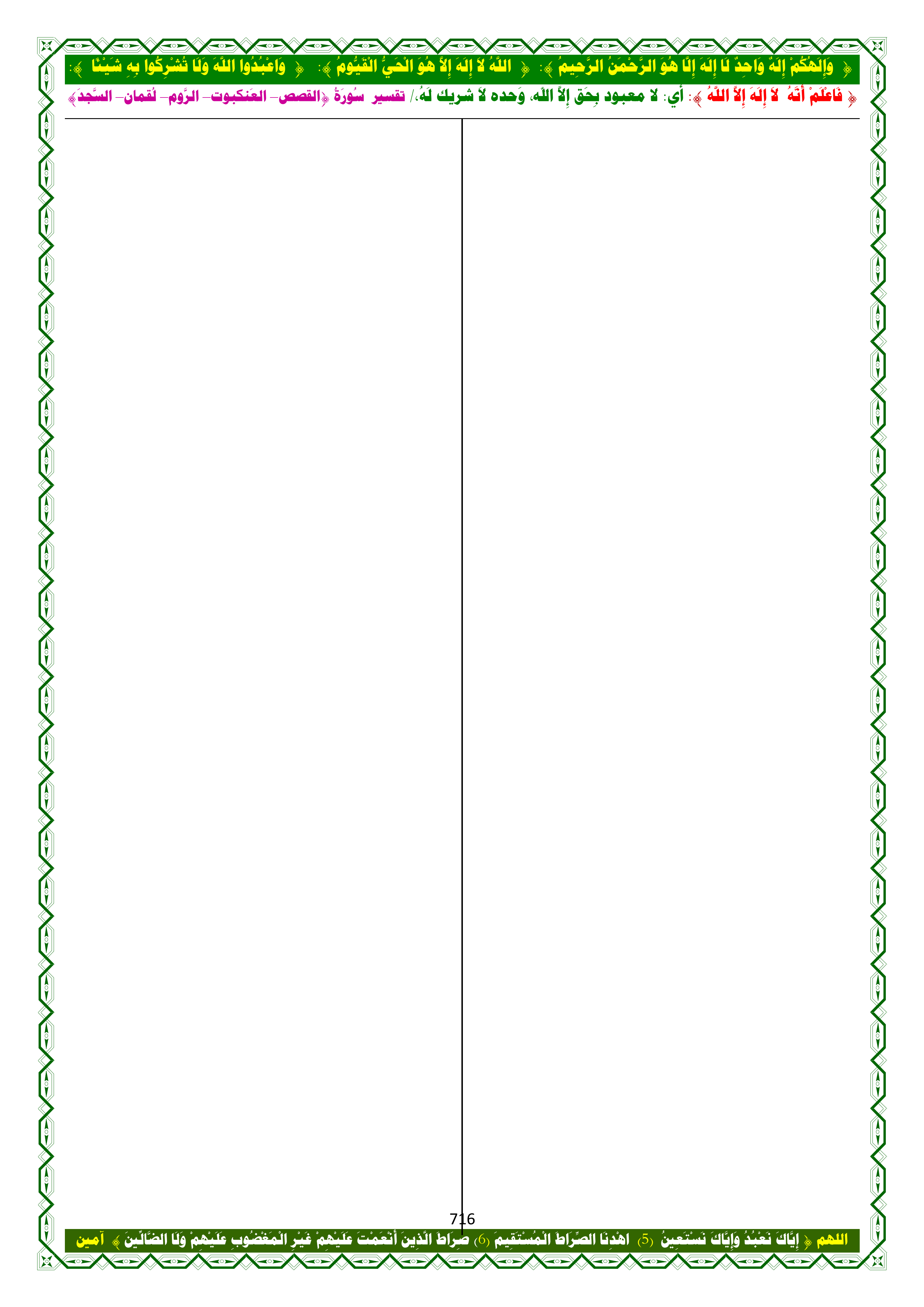


تَفْسِيرُ

سُورَةُ ﴿ السَّجْدَةُ ﴾




بسم الله الرحمن الرحيم





سُورَةُ ﴿ السَّجْدَةِ ﴾.

وَهِيَ (مَكِّيَّةٌ).

ترتيبها (32) ... آياتها (30).

وتسمى: سورة المضاجع، مكية غير ثلاث آيات نزلت بالمدينة، وهي: {أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا} إلى تمام ثلاث آيات،

وحروفها: ألف وخمس مئة وثمانية عشرة حرفًا،

وكلماتها: ثلاث مئة وثمانون كلمة. (1)

* * *

﴿ مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ ﴾

بيان دلائل الحق ومشاهده التي نزل بها القرآن، ومنها حقيقة الخلق وأحوال الإنسان. (2)

* * *

قَالَ: الإمام (الْبُخَارِيُّ) في "كتاب الْجُمُعَة": حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ،

سورة السجدة

بسم الله الرحمن الرحيم

الم (1) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (3) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (4) يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (5) ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (6) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (7) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (8) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (9) وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ (10) قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (11)

عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هُرْمُزَ الْأَعْرَجِ، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقْرَأُ فِي الْفَجْرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ: {الم * تَنْزِيلُ}(السَّجْدَةَ)، وَ {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ}.

وَرَوَاهُ الإمام (مُسْلِمٌ) أَيْضًا - مِنْ حَدِيثِ - (سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ)، بِهِ. (3)

* * *

وَقَالَ الْإِمَامُ (أَحْمَدُ): حَدَّثَنَا أَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ، أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ (جَابِرٍ) قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ {الم *

---

(1) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن) (319/5).للإمام (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (415/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) (متفق عليه): أخرجه الإمام (البُخاري) في (صحيحه) برقم (891)- (كتاب: الجُمعة).

وأخرجه الإمام (مُسلم) في (صحيحه) برقم (880)- (كتاب: الجُمعة).

تَنْزِيلُ} (السَّجْدَة)، وَ{تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ}. تَفرَّدَ بِهِ (أَحْمَدُ).(1)

* * *

بِسْمِ اللّهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الم﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

اللَّه أَعْلَم بِمُرَاده بِه.(2)

* * *

يَعنِي:- (الم) سبق الكلام على الحروف المقطَّعة في أول سورة البقرة.(3)

* * *

يَعنِي:- {ا. ل. م}: حروف صيغ منها القرآن، كما صيغ منها كلامكم، فإذا عجزتم عن الإتيان بمثله كان عجزكم دليلا على أنه من عند الله، ولم يقله بشر.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{الم}... هذا أحد الحروف المقطعة يكتب (آلم)، ويقرأ (ألف، لام، ميم).

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس):- قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ السَّجْدَة} الآية {1} عَن (ابْن عَبَّاس) فِي قَوْله تَعَالَى: {الم} يَقُول أَنا الله أعلم وَيُقَال قسم أقسم بِهِ.(5)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورةُ السَّجْدَة} الآية {1} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الم} هذه الحروف المقطعة في فواتح عدة سور الأسلم أن لا تؤول ويكتفى فيها بقول الله أعلم بمراده بها. وقد اخترنا من أقاويل المفسرين أنها أفادت فائدتين: الأولى أنه لما كان المشركون من قريش في مكة يمنعون من سماع القرآن مخافة أن يتأثر به السامع به فيؤمن ويوحد فكانت هذه الحروف تستهويهم بنغمها الخاص فيستمعون فينجذبون ويؤمن من شاء الله إيمانه وهدايته والثانية بقرينة ذكر الكتاب بعدها غالبا: أن هذا القرآن الكريم قد تألف من مثل هذه الحرف {الم، طس، حم، ق}، فألفوا أيها المكذبون سورة من مثله وإلا فاعلموا أنه تنزيل من الله رب العالمين فلما عجزوا قامت عليهم الحجة ولم يبق شك في أنه تنزيل الله وكتابه أنزله على نبيه محمد – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،(6)

* * *

قال: الشيخ (محمد بن صالح العثيمين) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (340/3).
و(صححه) الإمام (الألباني) في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) برقم (585).
(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (415/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (415/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (618/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).
(5) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (1) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما –.
(6) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (1) للشيخ: (جابر بن أبو بكر الجزائري).

السَّجْدَة} الآيـة {1} قـال الله عـزَّ وَجـلَّ: {الم}. قـال رَحِمَـهُ الله: {الم} الله أعلَمُ بمُراده به.

وسـبَقَ لنـا أن العُلَماء رَحِمَهُـم اللهُ انقَسَـموا في ذلك ثلاثةَ أقْسام:

قِسْـم ادَّعَـى أن لهـذه الحُـروف مَعـانيَ، وأنها رُمـوز لتِلـكَ المَعـاني، وهـذا قَـولٌ لا دليـلَ عليـه، وهو ضَعيف، بل باطِل.

والقـول الثـاني: أن لهـا مَعـانيَ، لكـن الله تعـالى أعلَمُ بهـا فتكـون مـن المُتَشـابِه الـذي لا يَعلَمه إلَّا الله تعالى.

والقِسْـم الثـالـث: يَقولـون: إنـه لـيس لهـا مَعـانٍ أصـلًا" لأن القـرآن نـزل باللِّسـانِ العَرَبـيِّ، واللِّسـانُ العربـيُّ لا يكـون لهـذه الحـروف معـانٍ أبـدًا، وهـذا قـولُ (مُجاهـدٍ)[1]، وهـو الصَّحيحُ" أنَّه لا معانيَ له.

فـإنْ قـالَ قـائـلٌ: كيـف تَجْزمـونَ بأنَّـه لا معـانيَ لهـا، والنَّفْـيُ يحتـاجُ إلى حُجَّـة؟ قُلْنَـا: نجـزم بـذلك" لأنَّ القـرآنَ نـزل بلسـانٍ عربـيٍّ مُـبينٍ، واللِّسان العربيُّ ليس فيه هـذه الحـروفُ الهجائيَّـة، وهـذه الحـروفُ في اللِّسـان العربـيِّ معناهـا أنَّهـا حـروفٌ يكـون منهـا الكـلامُ فقـط، ولكـنْ ذكـروا أنَّ هـذه الحـروفَ الهجائيَّـةَ لهـا مَغـزًى" وهـو إظهـارُ عَجْـزِ هـؤلاء المُكـذِّبينَ بـأنَّ هـذا القُـرآنَ مـن هـذه الحـروف الـتي تكوِّنـونَ منهـا كلامَكـم، ومـع ذلـك فقـد أعجـزكم، فهـو لم يـأتِ بشـيءٍ بـديل، إنَّمـا أتـى بـالحروف الـتي تُركِّبـونَ كلامَكـم منهـا" قـالوا:

ويـدلُّ لـذلك أنَّـكَ لا تكـاد تـرى سـورةً ابتُـدِئَتْ بهذه إلا ويليها ذكْرُ القرآنِ.[2]

* * *

[٢] ﴿ تَنْزِيـلُ الْكِتَـابِ لاَ رَيْـبَ فِيـهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

هـذا القـرآن الـذي جـاء بـه محمـد - صلـى الله عليـه وسلـم - منـزل عليـه مـن رب العـالمين لا شـك في ذلـك. أي: لا شـك في الكتـاب أنـه تنزيل.[3]

* * *

يَعنِـي:- هـذا القـرآن الـذي جـاء بـه محمـد - صـلى الله عليـه وسـلم - لا شـك أنـه منـزل مـن عند الله، رب الخلائق أجمعين.[4]

* * *

يَعنِـي:- تنزيـل القـرآن مـن الله رب العـالمين ومـدبر أمـورهم، لا شـك فـي كونـه منـزلاً منه.[5]

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{تَنْزِيـلُ الْكِتَـابِ لَـا رَيْـبَ فِيـهِ}.... أي: لا شـك في الكتاب أنه تنزيل.

{تَنْزِيـلُ الْكِتَـابِ}... إن هَـذَا الْكِتَـاب تكليـم من الله.

(1) أخرجه الإمام (الطبري) في (تفسيره) برقم (1/ 209)، وانظر: تفسير (ابن كثير) برقم (1/ 70).

(2) انظـر: (تفسـير القـرآن الكـريم) للشـيخ (محمـد بـن صـالح العثـيمين) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (1).

(3) انظـر: (المختصـر في تفسـير القـرآن الكـريم) (1/ 415). تصـنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظـر: (التفسـير الميسـر) بـرقم (1/ 415)، المؤلـف: (نخبـة مـن أسـاتذة التفسير).

(5) انظـر: (المنتخـب في تفسـير القـرآن الكـريم) بـرقم (1/ 618)، المؤلـف: (لجنة من علماء الأزهر).

{لاَ رَيْبَ فِيه} ... لاَ شكَّ فِيه.

(أي: لا شك في أنه نزل من رب العالمين).

{مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} .... وأنه ليس بكذب وبشعر ولا بسجع ولا سحر ولا كهانة ولا أساطير الأولين.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

قال: (أبو جعفر): قد مضى البيان عن تأويل قوله: {الم} بما فيه الكفاية.

وقوله: {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ} يقول تعالى ذكره: تنزيل الكتاب الذي نزل على محمد -صلى الله عليه وسلم-، لا شكّ فيه.

{مِنْ ربّ العالمين}: يقول: من ربّ الثقلين: الجنّ والإنس.

* * *

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن (قَتادة) قوله: {الم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ} لا شكّ فيه. وإنما معنى الكلام: أن هذا القرآن الذي أُنزل على محمد لا شكّ فيه أنه من عند الله، وليس بشعر ولا سجع كاهن، ولا هو مما تخرّصه محمد -صلى الله عليه وسلم-، وإنما كذّب جلّ ثناؤه بذلك قول الذين: {وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلا}. وقول الذين قالوا: {إِنْ هَذَا إِلا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ}. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن)- عن (قتادة):- قوله:

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (2).

{الم (1) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ} لا شك فيه. (2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَة} الآية {2} قَوْلُهُ تَعَالَى: {تَنزيلُ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ} أَيْ: لاَ شَكَّ فِيهِ وَلاَ مِرْيَةَ أَنَّهُ نَزَلَ، {مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ}. (3)

* * *

(تفسير ابن عباس):- قال: الإِمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ السَّجْدَة} الآية {2} قَوْلُهُ تَعَالَى: {تَنْزِيل الْكتاب} إن هَذَا الْكتاب تكليم من الله {لَا رَيْبَ فِيهِ} لَا شكّ فِيهِ أَنه {من رَّبِّ الْعَالمين}. (4)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُنَّة) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-{سُورَةُ السَّجْدَة} الآية {1-2} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الم - تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} قَالَ: (مُقَاتِلٌ): لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّهُ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. (5)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَة} الآية {1-3} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الم

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (2).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (2).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (2) يُنسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما -.

(5) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (1-2).

* ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

يخبر تعالى أن هذا الكتاب الكريم، أنه تنزيل من رب العالمين، الذي رباهم بنعمته.

ومن أعظم ما رباهم به، هذا الكتاب، الذي فيه كل ما يصلح أحوالهم، ويتمم أخلاقهم، وأنه لا ريب فيه، ولا شك، ولا امتراء، ومع ذلك قال المكذبون للرسول الظالمون في ذلك: افتراه محمد، واختلقه من عند نفسه، وهذا من أكبر الجراءة على إنكار كلام الله، ورمي محمد - صلى الله عليه وسلم-، بأعظم الكذب، وقدرة الخلق على كلام مثل كلام الخالق.

وكل واحد من هذه من الأمور العظائم، قال الله - رادًا على من قال: افتراه:-

﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ﴾ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ أنزله رحمة للعباد.

﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أي: في حالة ضرورة وفاقة لإرسال الرسول، وإنزال الكتاب، لعدم النذير، بل هم في جهلهم يعمهون، وفي ظلمة ضلالهم يترددون، فأنزلنا الكتاب عليك.

﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ من ضلالهم، فيعرفون الحق فيؤثرونه.

وهذه الأشياء التي ذكرها الله كلها، مناقضة لتكذيبهم له: وإنها تقتضي منهم الإيمان والتصديق التام به، وهو كونه ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وأنه ﴿الْحَقُّ﴾ والحق مقبول على كل حال، وأنه ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ بوجه من الوجوه، فليس فيه، ما يوجب الريبة، لا بخبر لا يطابق للواقع ولا بخفاء واشتباه معانيه، وأنهم في ضرورة وحاجة إلى الرسالة، وأن فيه الهداية لكل خير وإحسان.(1)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره): - {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {2} قَوْلُهُ تَعَالَى: {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ} (2) أي: القرآن الكريم. {لَا رَيْبَ فِيهِ} أي: لا شك (3) في أنه {مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} من رب العالمين على محمد -صلى لله عليه وسلم- وليس بشعر ولا بسجع كهان، ولا أساطير الأولين.(4)

* * *

قال: الشيخ (محمد بن صالح العثيمين) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {2} قال تعالى: {الم (1) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ} أي: القرآن، المرادُ بالكتاب القرآنُ، وهو فعالٌ بمعنى مفعول" أي: مَكْتوب" وسُمِّيَ كتابًا" لأنَّه كُتِبَ في اللَّوْحِ المَحْفوظ، وفي الصُّحُف التي بأيدي الملائكة، وفي الصُّحُفِ التي بِأَيْدينا" ولهذا سُمِّي كتابًا.

---

(1) انظُر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (1-3) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) - تنزيل مرفوع بالابتداء والخبر لا ريب فيه، أو خبر على تقدير مبتدأ أي هذا تنزيل أو المتلو عليك تنزيل الكتاب، ويكون لا ريب فيه محل نصب على الحال.

(3) - لا ريب فيه لما اشتمل من الإعجاز العلمي حيث عجز الإنس والجن على أن يأتوا بمثله وعجز فصحاء العرب على الإتيان بسورة مثل سوره. ولما عرف به صاحبه الذي نزل عليه وجاء به وهو محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الصدق الكامل حيث لم يكذب قط وقد أخبر أنه تنزيل الله رب العالمين.

(4) انظُر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (2) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: ﴿مبتدأ﴾ أي: {تَنْزِيلُ} "لأنَّ الكتابَ مضافٌ إليه.

وقوله رَحِمَهُ اللهُ: ﴿{لَا رَيْبَ} شكَّ {فِيهِ} خبرٌ أوّلٌ﴾ {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ} يعني: أنَّ تنزيلَ الكتابِ مؤكَّدٌ ليس فيه رَيْبٌ، وهل النَّفيُ هنا على بابِه، أو هو نَفْيٌ بمعنى النَّهْيِ" أي: لا تَرْتابوا فيه؟

الجوابُ: فيه قولانِ: فمِنَ العُلماءِ مَن يقولُ: إنَّ النَّفيَ هنا بِمَعْنى النَّهْيِ" فمعنى {لَا رَيْبَ فِيهِ} أي: لا تَرْتابوا فيه، وبعضُ أَهْلِ العِلْم يقولُ: إنَّ المرادَ بالنَّفْيِ حقيقَتُه، والمعنى: أنَّ هذا الكتابَ ليس فيه رَيْبٌ، وإذا لم يكنْ فيه رَيْبٌ لَزِمَ من ذلك النَّهْيُ عَنِ الرَّيْبِ" لأنَّه إذا انتفى الرَّيْبُ في القرآنِ فلا يَحِلُّ لنا أنْ نَرْتابَ فيه.

وهذا القولُ أَبْلَغُ: أن يكونَ بالنَّفْيِ ليس فيه رَيْبٌ، سواءٌ ارْتابَ فيه مَن ارْتابَ أمْ لم يَرْتَبْ، فهو حقيقةٌ لا رَيْبَ فيه. والرَّيْبُ يقول المُفَسِّر رَحِمَهُ اللهُ: إنَّه الشَّكُّ" ولكنْ ذهب بعضُ أَهْلِ العِلْمِ إلى أنَّه لا يوجدُ كلمتانِ مترادفتانِ في المعاني، بل لا بدَّ أن يكون هناك فارقٌ، وقالوا: إنَّ الرَّيْبَ شكٌّ مع قَلَقٍ وريبةٍ" وليس مُطْلَقَ شكٍّ، بل هو شكٌّ خاصٌّ، وهو الذي يكون فيه القَلَقُ والإرتيابُ، وكونُ النَّفْسِ يكون معها انشغالٌ بخلاف الشكِّ المجرَّد.

وقوله رَحِمَهُ اللهُ: ﴿{مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} خبرٌ ثانٍ﴾ والمعنى: تنزيلُ الكتابِ مؤكَّدٌ لا رَيْبَ فيه، تنزيلُ الكتابِ من ربِّ العالمينَ.

وعلى هذا فيكون الخبرُ الأوّلُ جملةً" فالخبرُ الأوّلُ {لَا رَيْبَ فِيهِ} جملةٌ" لأنَّ {لَا} نافيةٌ للجِنْسِ و {رَيْبَ} اسْمُها و {فِيهِ} خبرٌ، وهو جملةٌ، والخبرُ الثاني {مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} شِبْهُ جملةٍ من جارٍّ ومجرورٍ.

وقوله تعالى: {مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} ربُّ العالمينَ الذي خَلَقَه ومَلَكَه ومَلَكَ التَّصَرُّفَ فيه" والرُّبوبيَّةُ تشملُ ثلاثةَ أشياءَ: الخَلْق، والمِلْك، والتَّدبير.

وقوله عزَّ وجلَّ: {الْعَالَمِينَ} المرادُ به ما سوَى الله عزَّ وجلَّ، وسُمِّيَ ما سِوَى الله عالَمٌ" لأنهم عَلَمٌ على خالِقِهم، وما من شيءٍ إلا فيه آيةٌ من آياتِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَشْهَدُ له بالوحدانيَّة والقُدْرة والعزَّة وغير ذلك.

وقوله تعالى: {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} يعني أنَّ تنزيلَ الكتاب من الله لا إشكالَ فيه، فليس قولَ محمدٍ ولا قولَ جبريلَ ولا قولَ أحدٍ من الخَلْقِ، بل هو من ربِّ العالمين وَحْدَه.

ويجوز في الإعراب أن نجعل {لَا رَيْبَ فِيهِ} في مَوْضِعِ نصبٍ على الحال: ذلك الكتابُ خاليًا من الرَّيْبِ" من أين هو؟ الجوابُ: {مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ}.

ويجوز أن نَجْعَلَ {لَا رَيْبَ فِيهِ} خبرًا واحدًا" و {مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} حالٌ من قوله تعالى: {لَا رَيْبَ فِيهِ}" فتجْعَلُ الجُمْلَتَيْنِ خبرينِ، أو إحداهما خبرًا والأخرى حالًا.

وعلى كلِّ حالٍ: فمعنى الآية الكريمة أنَّ تنزيلَ الكتاب أمرٌ لا شكَّ فيه، وأنَّه {مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} أيضًا لا شكَّ فيه، وعندي أنَّ أَحْسَنَ ما يُقالُ في الإعراب: أنْ يُجْعَلَ {لَا رَيْبَ فِيهِ} هو الحالَ" تنزيلُ الكتابِ من ربِّ العالمينَ لا من غَيْره، و {لَا رَيْبَ فِيهِ} يكونُ حالًا.

* * *

من فوائد الآيتين الكريمتين:

الْفَائِدَةُ الأُولَى: أنَّ القرآنَ الكريمَ لم يأت بجديد" أتى بالحروف التي يتكلّم بها النَّاس، ومع ذلك أعجزَهُم" يؤخذُ من قوله تعالى: {الم} لأن الصَّحيحَ أنه ليس له معنًى.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: أن القرآنَ كلامُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" لقوله تعالى: {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} وجه ذلك: أنَّ القرآنَ كلامٌ وأضافه الله إلى نَفْسِه، فيقتضي أن يكونَ كلامَهُ.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: إثباتُ عُلُوِّ الله" لقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} والنُّزُولُ لا يكون إلا منْ أعلى.

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: إثباتُ أن القرآنَ الكريمَ مكتوبٌ" لقوله تعالى: {الْكِتَاب} ولقد سبق لنا أنه مكتوبٌ في لَوحٍ مَحفُوظ، وفي الصُّحُف التي بِيَدِ الملائكة، وفي الصُّحُف التي بأيدينا.

الْفَائِدَةُ الخَامِسَةُ: تأكيدُ أنَّ هذا القرآنَ مُنَزَّلٌ منْ عند الله" لقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {لَا رَيْبَ فِيهِ}.

الْفَائِدَةُ السَّادِسَةُ: إثباتُ ربوبيَّة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لجميع الخَلْق" لقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ}.

الْفَائِدَةُ السَّابِعَةُ: الإشَارَةُ إلى أنَّ هذا القرآنَ مُلزَمٌ به جميعُ النَّاس" تُؤْخَذُ من قوله تعالى: {تَنْزِيلُ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} فإذا كان ربُّهُم الذي أنزله فمعناه أنه يَلْزَمُهُم جميعًا العَمَلُ بهذا القرآن.(1)

* * *

[٣] ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن هؤلاء الكافرين يقولون: إن محمدًا -ﷺ- اختلقه على ربه، ليس الأمر كما قالوا، بل هو الحق الذي لا مرية فيه، المنزل من ربك أيها الرسول -ﷺ- عليك لتخوّف قومًا ما جاءهم رسول من قبلك يخوفهم من عذاب الله، لعلهم يهتدون إلى الحق فيتبعوه ويعملوا به.(2)

* * *

يَعنْي:- بل أيقول المشركون: اختلق محمد -ﷺ- القرآن؟ كذَبوا، بل هو الحق الثابت المنزل عليك أيها الرسول -ﷺ- من ربك" لتنذر به أناسًا لم يأتهم نذير من قبلك، لعلهم يهتدون، فيعرفوا الحق ويؤمنوا به ويؤثروه، ويؤمنوا بك.(3)

* * *

يَعنْي:- بل يقولون: اختلقه محمد -ﷺ-، ونسبه لله. ما كان لهم أن يقولوا هذا، بل هو الحق المنزل عليك من ربك لتخوف به قوماً

---

(1) انظر: (تفسير القرآن الكريم) للشيخ (محمد بن صالح العثيمين) في سُورَة (السَّجْدَة) الآية (2).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (415/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (415/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

لم يأتهم من رسول من قبلك، ترجو بذلك الإنذار هدايتهم وإذعانهم للحق.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{أَمْ يَقُولُونَ} ... بل يَقُولُونَ كفار مَكَّة.

(أي: بل أيقولون).

{أم يقولون افتراه} ..... أي: بل أيقولون، أي: المشركون اختلقه وكذبه.

{افْتَرَاهُ} ... اخْتَلَقَهُ منْ عنْد نَفْسه.

(أي: اختلق مُحمَّد الْقُرآن من تلْقَاء نَفْسه).

{بَلْ هُوَ الْحَقُّ} ... الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

{بَلْ هُوَ} .... أي: القرآنُ.

{بَلْ هُوَ الحق} .... يَعْنِي: الْقُرْآن.

{من رَّبِّك} ... نزل به جبْرِيل عَلَيْك.

(أي: أنزله رحمة للعباد).

{لِتُنذِرَ} ... به لكَي تخوف بِالْقُرْآنِ.

{قَوْماً} ... يَعْنِي قُرَيْشًا.

{قوماً ما أتاهم من نذير} .... أي: من زمن بعيد وهم قريش والعرب.

{الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا} .... هم العرب.

{مَّآ أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ} .... لم يَأْتهمْ رَسُول مخوف قبلك يَا مُحَمَّد - ﷺ -.

(أي: لأن العرب لم يُبعث إليهم أحد قبل النبي - صلى الله عليه وسلم -" لأنهم كانوا في الفترة بين - عيسى ومحمد - عليهما السلام).

{لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ} ... من الضَّلَالَة، (أي: بإنذارك إياهم).

(أي: بعد ضلالهم إلى الحق الذي هو دين الإسلام).

(أي: من ضلالهم، فيعرفون الحق فيؤثرونه).

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية :

انظر: سورة - (يونس)- آية (38) . كما قال تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}..

* * *

(تفسير ابن عباس):- قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {3} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَمْ يَقُولُونَ} بل يَقُولُونَ كفار مَكَّة {افتراه} اختلق مُحَمَّد الْقُرآن من تلْقَاء نَفسه {بَلْ هُوَ الْحق} يَعْنِي: الْقُرآن {مِن رَّبِّكَ} نزل به جبْرِيل عَلَيْك {لِتُنذِرَ} بِهِ لكَي تخوف بِالْقُرْآنِ {قَوْماً} يَعْنِي: قُرَيْشًا {مَّآ أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ} لم يَأْتهمْ رَسُول مخوف قبلك يَا مُحَمَّد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. {لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ} من الضَّلَالَة.(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {3} قوله تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ} يقول تعالى ذكره: يقول المشركون بالله: اختلق هذا الكتاب محمد من

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/618)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورةُ (السَّجْدَةِ) الآية (3) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

قبل نفسه، وتكذّبه، و{أم} هذه تقرير، وقد بيّنا في غير موضع من كتابنا، أن العرب إذا اعترضت بالاستفهام في أضعاف كلام قد تقدّم بعضه أنه يستفهم بأم. وقد زعم بعضهم أن معنى ذلك: ويقولون. وقال: أم بمعنى الواو، بمعنى بل في مثل هذا الموضع، ثم أكذبهم تعالى ذكره فقال: ما هو كما تزعمون وتقولون من أن محمدا افتراه، بل هو الحقّ والصدق من عند ربك يا محمد، أنزله إليك" لتنذر قوما بأس الله وسطوته، أن يحلّ بهم على كفرهم به،

{ما أتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ} يقول: لم يأت هؤلاء القوم الذين أرسلك ربك يا محمد إليهم، وهم قومه من قريش، نذير ينذرهم بأس الله على كفرهم قبلك.

وقوله: {لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ} يقول: ليتبيّنوا سبيل الحقّ فيعرفوه ويؤمنوا به.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن)- حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن (قتادة): {لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ} قال: كانوا أمّة أمّيّة، لم يأتهم نذير قبل محمد -صلى الله عليه وسلم.(2)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-{سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآيَة {3} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَمْ يَقُولُونَ} بل يقولون {افْتَرَاهُ} وَقِيلَ: الْمِيمُ صِلَةٌ، أَيْ: أَيَقُولُونَ افْتَرَاهُ، اسْتِفْهَامُ تَوْبِيخٍ،

وَقِيلَ: أَمْ بِمَعْنَى الْوَاوِ أَيْ وَيَقُولُونَ افْتَرَاهُ،

وقيل: فيه إضمار مجاز فهم يُؤْمِنُونَ، أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ،

ثمَّ قال: {بَلْ هُوَ} يَعْنِي: الْقُرْآنَ،

{الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ} يعني لَمْ يَأْتِهِمْ،

{مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ} قَالَ: (قَتَادَةُ): كَانُوا أُمَّةً أُمِّيَّةً لَمْ يَأْتِهِمْ نَذِيرٌ قَبْلَ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وَقَالَ: (ابن عباس)، و(مقاتل): ذاك فِي الْفَتْرَةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ عيسى -عليه السلام- وبين مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، {لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ}.(3)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {3} ثُمَّ قَالَ مُخْبِرًا عَنِ الْمُشْرِكِينَ: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ}، بَلْ يَقُولُونَ: {افْتَرَاهُ} أَيِ: اخْتَلَقَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ.

{بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ} أَيْ: يتبعون الحق.(4)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآيَة {3} قَوْلُهُ

---

(1) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (3) لِلإِمَامْ (الطبري).

(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (3) لِلإِمَامْ (الطبري).

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (3).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (3).

تَعَالَى: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ}[1] أي بل يقولون افتراه محمد واختلقه وأتى به من تلقاء نفسه اللهم لا إنه لم يفتره.

{بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ} أي جاءك من ربك وحياً أوحاه إليك،

{لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أَتَاهُمْ[2] مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ} وهم مشركوا العرب لتنذرهم بأس الله وعذابه إن بقوا على شركهم وكفرهم،

وقوله: {لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ} أي: رجاء أن يؤمنوا ويوحدوا فيهتدوا إلى الحق بعد ضلالهم فينجوا ويكملوا ويسعدوا.[3]

* * *

قال: الشيخ (محمد بن صالح العثيمين) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآيَة {3} ثم قال: {أَمْ} بل {يَقُولُونَ افْتَرَاهُ} محمد؟ لا. {أَمْ} يقول المُفسِّر إنَّها بمعنى (بل) إذَنْ فهي للإضراب الإنتقاليِّ، وليست للإضراب الإبطاليِّ؛ لأنَّها لم تُبْطِل ما سَبَقَها، ولكنَّها مع ذلك مُضَمَّنة معنى بل والهمزة، وأَصْلها: بل أيَقُولون افْتَراه؟ والإسْتِفْهامُ في هذه الآية للإنْكار بدليل قوله رَحِمَهُ اللهُ: ﴿لا﴾، يعني أنه ليس مُفْتَرَى، والإفْتراءُ معناه الكَذِب، فمعنى {افْتَرَاهُ} أي: كَذَب بادِّعائه أنَّه من عند الله.

وقوله تعالى: {بَلْ هُوَ} أي: القرآنُ أو الكِتابُ؛ كما عبَّر الله به.

وقوله تعالى: {الْحَقُّ} أي: الثَّابتُ الذي لا يَتَزَلْزَل، وهو الحقُّ المشتَمِلُ على كلِّ خيرٍ.

وقوله تعالى: {مِنْ رَبِّكَ} حالٌ من قوله: {هُوَ} يعني: حالَ كَوْنه من ربِّك، وتأمَّل في الآية الأولى قال: {مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} وهنا قال: {مِنْ رَبِّكَ} لأنَّ الذي اتُّهِمَ بالإفتراء هو الرَّسولُ - صلى الله عليه وسلم -، فأراد الله تعالى أن يُبَيِّنَ أنَّ الرَّسولَ - صلى الله عليه وسلم - لا يُمْكِن أن يَفْتَريَ الكَذِبَ؛ لأنَّ له من الله ربوبيَّةً خاصَّةً وهي قوله: {مِنْ رَبِّكَ} فالرُّبوبيَّةُ هنا ربوبيَّة خاصَّة؛ ثم بيَّنَ الله الحكمةَ من ذلك قوله: {لِتُنْذِرَ قَوْمًا ...} إلخ.

والحكمة من اختلاف التَّعبيرِ بين قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {مِنْ رَبِّكَ} وهو أنَّه لما أراد أن يتبع أمْر القرآن من حيثُ هو قرآنٌ بيَّن أنَّه نازلٌ من ربِّ العالمين الذي يَعْتَمِدُ عليه هؤلاء العالَمونَ، فنُزِّلَ عليهم الكتابُ؛ لأنه لما كان ربَّ العالمين وجب على جميع العالَمِينَ أن يَقْبَلوا هذا وأنَّه من ربِّنا؛ أمَّا في قوله تعالى: {مِنْ رَبِّكَ} فلأنَّه لما نُسب الرَّسولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إلى الكَذِبِ في هذا القرآن ذَكَرَ الله تعالى ربوبيَّتَه الخاصَّة: {مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ} إشارةً إلى أنَّه رسولُ الله، وأمَّا المُنْذِر في القرآن فهو ربُّه الذي يعتني به ويَرُبُّه ربوبيَّةً خاصَّةً.

ففي الأوَّل من حيث وَصْفُ القرآن بأنَّه قرآنٌ قال: {تَنْزِيلُ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} وفي الثاني

---

(1) أم هذه هي المنقطعة ولذا قدرت ببل والاستفهام في التفسير، وصيغة المضارع (يقولون) لاستحضار الحالة الماضية إثارة للتعجب في نفس السامع.

(2) النذير المعلم المخوف بعواقب الشرك والمعاصي والفساد والشر، والقوم الجماعة العظيمة الذين يجمعهم أمر يكون كالقوام لهم من نسب أو وطن أو غرض تجمعوا من أجله والمراد بهم عامة العرب في كل ديارهم شمالا وجنوباً وشرقاً وغرباً إذ فقدوا العلم الإلهي منذ قرون عدة.

(3) انظُر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (3) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

قال: {بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ} الذي يَربُّكَ ربوبيَّةً خاصَّة، وأنت مربوبٌ له.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {لِتُنْذِرَ قَوْمًا} المفعول الثَّاني محذوفٌ تقديره (بِهِ)، ولكنْ في المسألَة نَظَرٌ، إن كان مفعولًا به ففيه نظرٌ، ولكن لا شكَّ أنَّ التَّقْدِيرَ (بِهِ)، وأنه هو آلة الإنذار التي يُنْذَر به أي بِسَبَبِه، ولكن المفعول الثَّاني محذوفٌ عُرِف في غير ما ذكره المُفَسِّر رحمَهُ اللهُ: {لِتُنْذِرَ} به {قَوْمًا} العذاب،

وإنما اخترت ذلك لما في قوله عَزَّ وَجَلَّ: {فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ} {فُصِّلَت: 13}".

وقد بيَّن الله عَزَّ وَجَلَّ في آيةٍ أخرى ما هو المنذَرُ به.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: ﴿ {مَا} نافية {أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ} بإنذارك ﴾

قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ} يقول المُفَسِّر رحمَهُ اللهُ: إنَّ﴿ {مَا} نافية ﴾ وفي سورة يس: {لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ} {يس: 6}.

وهذا الذي قرَّره المُفَسِّر رحمَهُ اللهُ - أنَّ (ما) نافية - هو الصَّوابُ في إعرابها، وإن كان بعضهُم ذكر أنها اسمٌ موصولٌ" أي: لتُنْذِرَ قومًا الذي أتاهُم من النُّذُر قبلك" يعني: تُنذِرُهم العذابَ، وعلى هذا الرَّأي تكون (ما) اسمًا موصولًا، وهو المفعولُ الثاني في الجملة، لكنَّ الذي مشى عليه المُفَسِّر أَصْوَبُ: أنَّ ما نافية.

والخلاصةُ في إعراب (ما) قولان:

أحدهما: أنَّها نافيَة، فيكون معنى الآيَة الكريمة: لِتُنْذِرَ قومًا لم يَأْتِهِمْ نذيرٌ قبلك.

القولُ الثَّاني: أنَّ ما اسمٌ موصولٌ" أي: لِتُنْذِرَ قومًا الذي أتاهم من النُّذُر قبلك.

والصَّواب الأوَّل.

والعرب لم يُرْسَلْ إليهم رسولٌ بعد إسماعيلَ إلا محمدٌ - صلى الله عليه وسلم -" ولهذا قال النبيُّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ" (1) في قوله تعالى: {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ ... } إلخ.

وقوله تعالى: {مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ}، إذا قَالَ قَائِلٌ: ما هي الفائدَةُ في وَصْف هؤلاء القوم لكَوْنهمْ لم يأتِهمْ نذيرٌ من قبلُ؟، الجوابُ: الفائدَة في ذلك أمران:

الأمرُ الأوَّل: بيانُ شدَّة حاجَتهم إلى الرَّسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وأنَّهم في غايَة ما يكون من ضرورة إلى بَعْثَته.

الأمرُ الثَّاني: بيانُ نعْمَة الله عليهم بهذا الرَّسول- عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- حيث إنَّه هو الرَّسولُ الذي أتاهم ولم يَأْتِهِمْ نذيرٌ من قبله.

قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ} يكثرُ في القرآن الكريم مثلُ هذا التَّعبير: {لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ}، {لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} {الأنعام: 152}،

(1) أخرجه الإمام (أحمد) برقم (4/ 127)، وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (2/ 418)،- من حديث- (العرباض بن سارية) - رضي الله عنه -.

{لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} {الأعراف: 69} فهل هو للرَّجاء أم للتوقُّع؟

الجوابُ: قال بعضهم: إنَّها للرَّجاء، ولكن باعتبار حالِ المخاطَب لا باعتبار حال المتكلِّم" لأن الرَّجاءَ هو الطَّمَعُ في نَيْلِ ما يَعْسُر إدراكُه، قد لا يتعذَّر، لكنه يؤمَّلُ إلا أنه فيه نوعُ شدَّة، والربُّ عزَّ وجلَّ لا يُمكِنُ وَصْفُه بهذا الوَصْف، فيكون مُتَرَجِّيًا باعتبار حالِ المخاطَب.

وجملة (لعلَّ) للتَّعليل، وكونُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يجعل الشَّيءَ علَّةً للشَّيء" ليس فيه نَقْصٌ، بل هو من كماله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يبني من الأسباب أسبابًا.

يَرِدُ على هذا القَوْل: أن العلَّة ملازِمَة للمعلول،

فإذا قال: {لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ} لَزِمَ أن يهتدوا فما دامَتْ علَّة، فالعلَّةُ ملازِمَةٌ للمَعْلول: فلما جاءهم هذا النَّذيرُ يلزم اتِّباعُه.

والجوابُ على ذلك أن يُقالَ: إنَّ العلَّةَ علَّتان: علَّةٌ باعثةٌ، وعلَّةٌ غائيَّةٌ، والعلَّةُ الباعثة مُوجِبَةٌ وغيرُ مُوجِبَة، وهذه كقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} {الذاريات: 56}

مع أنَّهم ما يعبدون الله كلُّهُم، وكقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ} {النساء: 64}.

ومعلومٌ أنَّ كثيرًا من الرُّسُل ما أُطيعوا، فيكون هنا العلَّة الباعثة غيرَ الموجِبَة" يعني أنَّ الحكمةَ من هذا هو هذا، ثم قد تَحصُل وقد لا تَحصُل، ومثَّلوا لذلك بقولهم: شَرَيْتُ القَلَمَ لأكْتُبَ به، أو لهذه الغايَةِ، ولكن: هل يلزَمُ أن تَكْتُبَ؟

الجوابُ: قد تكتب، وقد لا تَكْتُب.

قوله تعالى: {لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ} الإهتداءُ هنا يَشْمَلُ الهدايَةَ: هدايةَ الدَّلالَة، وهدايةَ التَّوفيق" فإنَّ الرَّسولَ- عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- جاء بهدايةِ الدَّلالة، والتوفيقُ بيَدِ الله عزَّ وجلَّ، ولا توفيقَ إلا بعد علْم" قال رَحِمَهُ اللهُ: ﴿{لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ} بإنْذَارِك﴾.

* * *

من فوائد الآية الكريمة:

الفَائِدَةُ الأولَى: بيانُ جُرأَة هؤلاء المُكَذِّبين" لقولهم: {افْتَرَاهُ} أي: اخْتَلَقَه وكَذَبَ.

الفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: أنَّ القرآنَ حقٌّ غيرُ مُفْتَرًى" لقوله تعالى: {بَلْ هُوَ الْحَقُّ}.

الفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: إثباتُ رسالَةِ الرَّسول- عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-" لقوله تعالى: {بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ}.

الفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: عنايةُ الله برسوله - صلى الله عليه وسلم -" حيث أضافَ إليه الرُّبوبيَّةَ الخاصَّة في قوله تعالى: {مِنْ رَبِّكَ}.

الفَائِدَةُ الخَامِسَةُ: إثباتُ الحِكْمَة في إنزال هذا القرآن" لقوله تعالى: {لِتُنْذِرَ} لأنَّ اللَّام للتَّعليل.

الفَائِدَةُ السَّادِسَةُ: بيانُ منَّة الله على هؤلاء الذين أُرسِلَ إليهمُ الرَّسولُ - صلى الله عليه وسلم -، تُؤْخَذُ من قوله تعالى: {مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ}.

الْفَائِدَةُ السَّابِعَةُ: شِدَّةُ الضَّرورة إلى إرسال الرَّسول - صلى الله عليه وسلم -" تُؤْخَذُ مِنْ كَوْنِه لم يَأْتِهم نذيرٌ مِن قَبْلِك، فهم في ضرورَة إلى رسالَته، هذا على القَوْلِ بأنَّ (ما) نافِيَة، أمَّا على القَوْلِ بأنَّها اسمٌ موصول، فيُسْتَفادُ منها: أنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - أَنْذَرَ ما أَنْذَرَتْ به الأنبياءُ مِن قَبْلِه، فيكون إذن: مُصَدِّقًا لما سَبَقَه من الرِّسالات.

الْفَائِدَةُ الثَّامِنَةُ: أنَّ الإنذار سببٌ للهدايَة" لقوله تعالى: {لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ} وهذا يشْهَدُ به الواقِعُ" فكم من إنسانٍ اهتدى بما أُنذر!

الْفَائِدَةُ التَّاسِعَةُ: إثباتُ رَحْمَةِ الله تعالى بالخَلْقِ" حيث أرسل إليهم النُّذُرَ من أجل هدايَتِهم.(1)

* * *

[٤] ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

الله هو الذي خلق السماوات، وخلق الأرض، وخلق ما بينهما في ستة أيام، وهو قادر على خلقها في أقل من طرفة عين، ثم علا وارتفع على العرش علوا يليق بجلاله، ما لكم -أيها الناس- من دونه من ولي يتولى أمركم، أو شفيع يشفع لكم عند ربكم، أفلا تتفكرون، وتعبدون الله الذي خلقكم ولا تعبدون معه غيره؟!.(2)

* * *

يَعْنِي:- الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام لحكمة يعلمها، وهو قادر أن يخلقها بكلمة ‹كن› فتكون، ثم استوى سبحانه وتعالى -أي علا وارتفع- على عرشه استواء يليق بجلاله، لا يكيَّف، ولا يشبَّه باستواء المخلوقين. ليس لكم -أيها الناس- من وليّ يلي أموركم، أو شفيع يشفع لكم عند الله" لتنجوا من عذابه، أفلا تتعظون وتتفكرون -أيها الناس-، فتفردوا الله بالألوهية وتخلصوا له العبادة؟.(3)

* * *

يَعْنِي:- الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام، ثم استوى على العرش استواء يليق به، ما لكم من دون الله ناصر ينصركم، ولا شفيع لكم، أتتمادون فى الكفر والعناد فلا تتعظون بمواعظ الله؟ .(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{في ستة أيام} .... هي الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة.

{ثم استوى على العرش} .... استوى على عرشه يدير أمر خلقه.

{اسْتَوَى} ... عَلاَ وَارْتَفَعَ" اسْتِوَاءً يَلِيقُ بِجَلَالِه وَعَظَمَتِه.

---

(1) انظر: (تفسير القرآن الكريم) للشيخ (محمد بن صالح العثيمين) في سُورَة (السَّجْدَة) الآية (3).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/415). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/415)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/618)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ} .... من دون عذابه.

{مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ} .... المعنى: إذا خالفتموه، فلا ناصر يذب عنكم، ولا شافع يشفع لكم.

{من ولي ولا شفيع} ..... أي: ليس لكم أيها المشركون من دون الله وليّ يتولاكم ولا شفيع يشفع لكم.

{أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ} .... بمواعظ الله؟!.(أي: أفلا تتعظون بما تسمعون فتؤمنوا وتوحدوا).

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سُورَةُ السَّجْدَة} الآية {4} قوله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي} يقول تعالى ذكره: المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له أيها الناس. {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا } من خلق {فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} ثم استوى على عرشه في اليوم السابع بعد خلقه السموات والأرض وما بينهما.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن)- كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن (قتادة): {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} في اليوم السابع. يقول: ما لكم أيها الناس إله إلا من فعل هذا الفعل، وخلقَ هذا الخَلْق العجيب في ستة أيام.(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سُورَةُ السَّجْدَة} الآية {4} قوله تعالى: {مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ} يقول: ما لكم أيها الناس دونه وليّ يلي أمركم وينصركم منه إن أراد بكم ضرًا، ولا شفيع يشفع لكم عنده إن هو عاقبكم على معصيتكم إياه، يقول: فإياه فاتخذوا وليا، وبه وبطاعته فاستعينوا على أموركم" فإنه يمنعكم إذا أراد منعكم ممن أرادكم بسوء، ولا يقدر أحد على دفعه عما أراد بكم هو" لأنه لا يقهره قاهر، ولا يغلبه غالب (أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ) يقول تعالى ذكره: أفلا تعتبرون وتتفكَّرون أيها الناس، فتعلموا أنه ليس لكم دونه وليّ ولا شفيع، فتفردوا له الألوهة، وتخلصوا له العبادة، وتخلعوا ما دونه من الأنداد والآلهة.(3)

* * *

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ السَّجْدَة} الآية {4} قَوْلُهُ تَعَالَى: {اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْض وَمَا بَيْنَهُمَا} من الْخلق والعجائب {فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} من أَيَّام أول الدُّنْيَا طول كل يَوْم ألف سنة مِمَّا تعدونَ من سنين الدُّنْيَا أول يَوْم مِنْهَا يَوْم الْأَحَد وَآخر يَوْم مِنْهَا يَوْم الْجُمُعَة {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (4) للإمَامْ (الطبري).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (4) للإمَامْ (الطبري).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (4) للإمَامْ (الطبري).

{الْعَرْشِ} وَكَانَ الله على الْعَرْش قبل أَن خلقهما {مَا لَكُمْ} يَا أهل مَكَّة {مِّن دُونِهِ} من دون الله {مِن وَلِيّ} من قريب ينفعكم {وَلاَ شَفِيعٍ} يشفع لكم من عَذَاب الله {أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ} تتعظون بِالْقُرْآنِ فتؤمنوا.(1)

* * *

قَالَ: الإمام (ابن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {4} قَوْلُهُ تَعَالَى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}. يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ الْخَالِقُ لِلأَشْيَاءِ، فخلق السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلاَمُ عَلَى ذَلِكَ.

{مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ} أَيْ: بَلْ هُوَ الْمَالِكُ لأَزِمَّةِ الأُمُورِ، الْخَالِقُ لِكُلِّ شَيْءٍ، الْمُدَبِّرُ لِكُلِّ شَيْءٍ، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَلاَ وَلِيَّ لِخَلْقِهِ سِوَاهُ، وَلاَ شَفِيعَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ.

{أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ} يَعْنِي: أَيُّهَا الْعَابِدُونَ غَيْرَهُ، الْمُتَوَكِّلُونَ عَلَى مَنْ عَدَاهُ -تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَتَنَزَّهَ أَنْ يَكُونَ لَهُ نَظِيرٌ أَوْ شَرِيكٌ أَوْ نَدِيدٌ، أَوْ وَزِيرٌ أَوْ عَدِيلٌ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَلاَ رَبَّ سِوَاهُ.

وَقَدْ أَوْرَدَ (النَّسَائِيُّ) هَاهُنَا حَدِيثًا فَقَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَعْقُوبَ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ، حَدَّثَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ الْحَدَّادُ، حَدَّثَنَا الأَخْضَرُ بْنُ عَجْلاَنَ، عَنْ أَبِي جُرَيْجٍ الْمَكِّيِّ، عَنْ (عَطَاءٍ)، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ)(2): أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَخَذَ بِيَدِي فَقَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ فِي الْيَوْمِ(3) السَّابِعِ، فَخَلَقَ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَالْجِبَالَ يَوْمَ الأَحَدِ، وَالشَّجَرَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ، وَالْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثُّلاَثَاءِ، وَالنُّورَ يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ، وَالدَّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَآدَمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنَ النَّهَارِ بَعْدَ الْعَصْرِ، وَخَلَقَهُ مِنْ أَدِيمِ الأَرْضِ، بِأَحْمَرِهَا وَأَسْوَدِهَا، وَطَيِّبِهَا وَخَبِيثِهَا، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَنِي آدَمَ الطَّيِّبَ وَالْخَبِيثَ))(4).

هَكَذَا أَوْرَدَ هَذَا الْحَدِيثَ إِسْنَادًا وَمَتْنًا، وَقَدْ أَخْرَجَ (مُسْلِمٌ)، وَ(النَّسَائِيُّ) أَيْضًا- مِنْ حَدِيثِ- (الْحَجَّاجِ بْنِ مُحَمَّدٍ الأَعْوَرِ)، عَنِ (ابْنِ جُرَيْجٍ)، عَنْ (إِسْمَاعِيلَ بْنِ أُمَيَّةَ)، عَنْ (أَيُّوبَ بْنِ خَالِدٍ)، عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَافِعٍ)، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ)، عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِنَحْوٍ مِنْ هَذَا السِّيَاقِ.(5)

* * *

وَقَدْ علَّله (الْبُخَارِيُّ) فِي كِتَابِ (التَّارِيخِ الْكَبِيرِ): فَقَالَ: "وَقَالَ بَعْضُهُمْ: (أَبُو هُرَيْرَةَ) عَنْ (كَعْبِ الأَحْبَارِ) وَهُوَ أَصَحُّ"(6).

---

(1) انظُر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (4) يِنسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) في ت: "وروى الإمام (مسلم)، و(النسائي) حديثا".

(3) في ت: "على العرش يوم".

(4) رواه الإمام (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (11392).

(5) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2789)، ورواه النسائي في (السنن الكبرى) برقم (11010).

(6) التاريخ الكبير للبخاري (1/413، 414) وممن أعله من الحفاظ ابن المديني كما نقل ذلك البيهقي في الأسماء والصفات ص (275).
وقد رد ذلك الشيخ: (ناصر الألباني) في (صحيحته) برقم (1833) والحديث يحتاج إلى بحث، والله اعلم.

وَكَذَا عَلَّلَه غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْحُفَّاظِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {4} قَوْلُهُ تَعَالَى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ} يخبر تعالى عن كمال قدرته بخلق {السَّمَاوَاتِ وَالأرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} أولها، يوم الأحد، وآخرها الجمعة، مع قدرته على خلقها بلحظة، ولكنه تعالى رفيق حكيم.

{ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} الذي هو سقف المخلوقات، استواء يليق بجلاله.

{مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ} يتولاكم، في أموركم، فينفعكم.

{وَلا شَفِيعٍ} يشفع لكم، إن توجه عليكم العقاب.

{أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ} فتعلمون أن خالق الأرض والسماوات، المستوي على العرش العظيم، الذي انفرد بتدبيركم، وتوليكم، وله الشفاعة كلها، هو المستحق لجميع أنواع العبادة.(2)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {4} قَوْلُهُ تَعَالَى: {اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا} أي: من مخلوقات.

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةِ (السَّجْدَةِ) الآية (4).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةِ (السَّجْدَةِ) الآية (4) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

{فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} من مثل أيام الدنيا أولها الأحد وآخرها الجمعة ولذا كانت الجمعة من أفضل الأيام.

{ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} عرشه(3) سبحانه وتعالى استوى استواء يليق به يدبر أمر مخلوقاته. الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما وهو الذي أنزل الكتاب وأرسل الرسل وهو الإله الحق الذي لا إله غيره ولا رب سواه ما للعرب ولا للبشرية كلها من إله غيره، وليس لها من غيره من ولي يتولاها بالنصر والإنجاء إن أراد الله خذلانها وإهلاكها، وليس لها شفيع(4) يشفع لها عنده إذا أراد الانتقام منها لشركها وشرها وفسادها،

وقوله: {أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ} فتعلموا أيها العرب المشركون أنه لا إله لكم إلا الله فتعبدوه وتوحدوه فتنجوا من عذابه وتكملوا وتسعدوا في دنياكم وآخرتكم.(5)

* * *

قال: الشيخ (محمد بن صالح العثيمين) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {4} ثم قال: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ}.

(3) – سئل (مالك)- رحمه الله تعالى- عن الاستواء فقال: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة.

(4) - في نفي الشفيع رد على قول بعضهم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله على تقدير أنهم يبعثون يوم القيامة إذ قالوا: هؤلاء شفعاؤنا عند الله أو في قضاء حوائجهم في الدنيا.

(5) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةِ (السَّجْدَةِ) الآية (4) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

{اللَّـهُ} مبتـدأٌ و {الَّـذِي} اسـمٌ موصـولٌ خبَـر، و {خَلَـقَ} بمعنـى أَوْجَـبَ بتقـدير ونظـام، وأنَّ الخَلْـقَ في الأصـل في اللُّغَـة: التَّقْـدير" كمـا في قول الشَّاعر:

وَلَأَنْتَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ ... وَبَعْضُ النَّاسِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي (1)

ويُطْلَقُ الخلْـقُ علـى: الإيجـادِ في تقـديرٍ، وهـو المرادُ به هنا.

وقولـه تعـالى: {السَّـمَاوَاتِ} هـي الأَجْـرامُ المحسوسةُ، وهي سَبْعَةٌ،

وقولـه تعـالى: {وَالْـأَرْضَ} المـرادُ بهـا الجِـنْسُ، ويشمل جميعَ الأَرَضينَ.

وقولـه تعـالى: {وَمَـا بَيْنَهُمَـا} يعـني: والـذي بينهمـا، وهـو السَّـحابُ، وكـذلك النُّجُـومُ والقمـر ومـا أشـبهها، وهـذا يـدلُّ علـى أنَّ هنـاك أشـياءَ كـثيرةً قـد لا نَعْلَمُهـا إلى الآن، فـإلى الآن نكتشـفُ أشـياءَ كـثيرةً ممـا بـين السَّـماء والأَرْض، ويـدلُّ علـى أنَّ مـا بـين السَّـماء والأرض أنـه لـيس مُجَـرَّد سـحاب فقـط بـل وراءَ ذلـك" أن الله تعـالى جَعَلَـه قسـيمًا لخلـق السَّـموات والأرض، ولا بُـدَّ أن يكـون شـيئًا عظيمًـا يقابِـلُ هذه المخلوقات.

وقولـه تعـالى: {فِـي سِـتَّةِ أَيَّـامٍ} قـال رَحِمَـهُ الله: ﴿أَوَّلُهـا الأَحَـدُ، وآخرُهـا الجُمُعَـةُ﴾ وقـد فصَّل الله تعالى هذه الأَرْبَعَة في سورة فُصِّلَتْ،

وقـال تعـالى: {قُـلْ أَئِـنَّكُمْ لَتَكْفُـرُونَ بِالَّـذِي خَلَـقَ الْـأَرْضَ فِـي يَـوْمَيْنِ وَتَجْعَلُـونَ لَـهُ أَنْـدَادًا ذَلِـكَ رَبُّ الْعَـالَمِينَ (9) وَجَعَـلَ فِيهَـا رَوَاسِـيَ مِـنْ فَوْقِهَـا وَبَـارَكَ فِيهَـا وَقَـدَّرَ فِيهَـا أَقْوَاتَهَـا فِـي أَرْبَعَـةِ أَيَّـامٍ سَـوَاءً لِلسَّـائِلِينَ} {فصـلت: 9 – 10}. فالآن خَلْقُ الأَرْض في أَرْبَعَةِ أيَّام،

ثـمَّ قـال سُـبْحَانَهُ وَتَعَـالى: {ثُـمَّ اسْـتَوَى إِلَـى السَّـمَاءِ وَهِـيَ دُخَـانٌ فَقَـالَ لَهَـا وَلِلْـأَرْضِ ائْتِيَـا طَوْعًـا أَوْ كَرْهًـا قَالَتَـا أَتَيْنَـا طَـائِعِينَ (11) فَقَضَـاهُنَّ سَـبْعَ سَـمَاوَاتٍ فِـي يَـوْمَيْنِ} {فصـلت: 11 – 12}

فتكـون الأيـامُ سـتَّة: أوَّلُهـا الأحَـدُ وآخرهـا الجمعة.

وهـل هـذه الأيـام كأيَّامنـا؟ أو كُـلُّ يـومٍ مقـدارُهُ ألـفُ سَـنَةٍ؟ أو هـي أيـام بمعنـى سـاعات أو لحظـات؟ أقـوالٌ" فمـنهم مـن قـال: إنَّهـا أيَّـامٌ" يعـني: لحظـات" لأن الله إذا أرادَ شـيئًا قـال له: {كُن فَيَكُونُ} {البقرة: 117}.

وعبَّـر بالأيَّـامِ عـن مطلَـقِ الـزَّمَن، ومـنهم مـن قـال: إنَّهـا أيَّـام كـلُّ يـومٍ منهـا مقـدارُهُ ألـفُ سنة، فتكـون سـتَّةَ آلاف سَـنَة، ومـنهم مـن قـال: إنَّهـا أيَّـام كأيامنـا، وإنَّ الأيـام أُطْلِقَـت والمـرادُ بهـا هـذه الأيَّـامُ المعروفـةُ، لاسـيَّما وأنَّـه في سـورة (فُصِّـلَتْ): {فِـي أَرْبَعَـةِ أَيَّـامٍ}، {فِـي يَـوْمَيْنِ} ولا يمكـن أن نَخْـرُجَ مـن قـراءة القـرآن عن معهودِ المَعْروف في اللُّغَة العربيَّة. (2)

فَـإِنْ قَـالَ قَائِـلٌ: هـذا القَـوْلُ وإن كـان ظـاهرَ القرآن يَرِدُ عليه أمران:

الأمـر الأوَّل: أنَّـه لَّمـا خَلَـقَ السَّـموات والأرضَ لـيس هنـاك شمـسٌ حتـى تُحـدَّدَ بالأيَّـام" فمـاذا نقولُ؟

---

(1) البيت- (لزهير بن أبي سلمى)، انظر: ديوانه (ص: 32).

(2) انظـر: (تفسـير القـرآن الكـريم) للشـيخ (محمـد بـن صـالح العثـيمين) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (4).

الأمـر الثَّـاني: أن يُقـال: لمـاذا سـتَّةُ أيـام؟ ولمـاذا لم تكـن في لحظَـة، أو تكـون في أيـام طويلـة جـدًا في لحظـة باعتبـار قُـدْرَة الله سُـبْحَانَهُ وَتَعالَى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ مهما عظُمَ الشَّيءُ، في نسـبة طويلـة باعتبـار هـذه المخلوقـات" يعـني لا يكفيهـا ألـفُ سـنة ولا ألْفَـا سـنة ولا مائـةُ ألـف سَـنَة، لأنَّ المخلوقـات عظيمـةٌ لا يكفيهـا هـذه المـدَّةُ القصـيرةُ" فإمَّـا أن تُقـاس بقُـدْرَة الله أو تقـاس بحَسَـب واقعهـا، فـإنْ قَسْـتُمُوها بحَسَـب قـدرة الله أنهـا في لحظَـة فالأيَّـام السِّـتة لـيس لهـا معنًـى" وإن قسْـتُمُوها بحسـب واقعهـا لا بحسَـب قُـدرة الله فـإنَّ المخلوقـات عظيمـةٌ جـدًا منظَّمَـةٌ في غايَـة النِّظام.(1)

فالجوابُ على هذينِ الإيرادَيْن:

الأوَّل: أن هـذا بِحَسَـب عِلْـمِ الله، والله يعلـم متى يكون.

والثَّـاني: والجـوابُ عنـه أن يُقـالَ: هكـذا قـال الله عَـزَّ وَجَـلَّ، ولـيس لنـا أن نتعـدَّى مـا أخبَرَنـا الله بـه" لأنَّ هـذا أمـرٌ لا يَسَـعُنا الإحاطَـةُ بـه، وقـد قـال الله سُـبْحَانَهُ وَتَعَـالى: ﴿مَـا أَشْـهَدتُّهُمْ خَلْـقَ السَّـمَاوَاتِ وَالْـأَرْضِ وَلَـا خَلْـقَ أَنْفُسِهِمْ﴾ {الكهف: 51}.

ونحـن لا شـكَّ نقـيسُ هـذه الأشـياء بحَسَـب قـدرة الله لا بِحَسَـب واقعهـا، فواقعُهـا لا يعلَمُـه إلا الله عَـزَّ وَجَـلَّ فـإذن يجـب أن تُقـاسَ بِقُـدْرَة الله، ويُقـال: إنَّ تقـديرَها في سـتَّة أيـام حسَـبَ مـا تقْتَضـيه حكمـةُ الله عَـزَّ وَجَـلَّ، ولـيس لنـا أن نتكلَّمَ في شيء من ذلك.

ولهـذا، اليهـود – لعنـةُ الله علـيهم – قـالوا: إن الله تعـالى خلـقَ السَّـموات والأَرْضَ في سـتَّة أيـام، ولمـا كـان يـومُ السَّـبْتِ اسـتراح! نعـوذ بـالله! وإنَّ يَـوْمَ راحَـة الله هـو يـومُ عيـده، وجعلـوا عيـدَهُم السَّـبْتَ وكَـذَبُوا فـي هَـذا فـالله عَزَّ وَجَلَّ لا يَتْعَبُ حتى يحتاجَ إلى راحة.

وقولـه سُـبْحَانَهُ وَتَعَـالَى: ﴿ثُـمَّ اسْـتَوَى عَلَـى الْعَـرْشِ﴾: ﴿اسْـتَوَى﴾ بمعنـى عـلا، اسـتوى علـى الشـيء، وقـد ذكَرْنـا فيمـا سـبق أنَّ ﴿اسْـتَوَى﴾ وردت في القـرآن علـى أَرْبَعَـة أوْجُـه: مُطْلَقَـة، ومُقيَّـدَة بـ (إلى)، ومُقيَّـدَة بـ (علـى)، ومُقيَّدة بواو المعيَّة:

1 – فـإذا جـاءت مُطْلَقَـة، فهـي بمعنـى كَمُـلَ" كمـا في قولـه تعـالى: ﴿وَلَمَّـا بَلَـغَ أَشُـدَّهُ وَاسْتَوَى﴾ أي: كَمُلَ.

2 – وإذا قُيِّـدَت بـ (إلى) فهـي بمعنـى القَصْـد التَّـامِّ" كمـا في قولـه تعـالى: ﴿ثُـمَّ اسْـتَوَى إِلَـى السَّـمَاءِ وَهِـيَ دُخَـانٌ﴾ وفي هـذه الآيـة قـولٌ ثـان: أنَّ اسـتوى بمعنـى عـلا: (ثـم عـلا إليهـا) لكـنْ هذا كغيره من الصِّفات التي لا تُعْلَمُ كيفيَّتُها.

3 – مُقيَّـدة بـ (علـى) وتكـون بمعنـى العُلُـوِّ والإسْـتقْرار" كمـا في قولـه سُـبْحَانَهُ وَتَعَـالى: ﴿فَـإِذَا اسْـتَوَيْتَ أَنْـتَ وَمَـنْ مَعَـكَ عَلَـى الْفُلْـكِ﴾ وفي قولـه سُـبْحَانَهُ وَتَعَـالى: ﴿لِتَسْـتَوُوا عَلَـى ظُهُـورِهِ﴾ أي: لتَعْلُـوا علـى ظُهُـوره وتَسْـتَقرُّوا، ولم تـأت بغـير هـذا المعنـى أبـدًا في اللُّغَـة العربيَّـة، فـإذا قُيِّـدَتْ بـ (علـى) لا تـأتي إلا بهذا المعنى، ولا تكون بغيره أبدًا.

4 – مُقيَّـدَة بـواوِ المعيَّـة فتكـون بمعنـى تسـاوَى، فاسـتوى بمعنـى تسـاوَى" كقـولهم: "اسـتوى

---

(1) انظـر: (تفسـير القـرآن الكـريم) للشـيخ (محمـد بـن صـالح العثـيمين) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (4).

المـاءُ والخَشَـبَةَ" يعـني: اسـتوى المـاءُ مـع الخَشَبَةِ" صارا سيَّان.

المُهِمُّ هنا: هـو {اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} لا تـأتي بصورة غير هذا المعنى إطلاقًا، وقد جاءت في القرآن الكريم في سَبْعَةِ مواضع، ما فيها موضعٌ واحدٌ اختَلَفَ فيه التَّعْبيرُ عن هذا" إلا: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} {طه: 5}.

وما أشبه ذلك فهو عند أهل السُّنَّة والجماعة بمعنى: (علا على العَرْش واسْتَقرَّ عليه)، ورُوِيَ عنهم (ارْتَفَع) ورُوِيَ عنهم (صَعِدَ وارْتَفَع) و (صَعِدَ) و (علا) معناهما متقاربٌ" ولهذا اخْتَرْنا أن نقول بمعنى (علا واسْتَقرَّ)، أما (ارتفع) و (صَعِدَ) فهو مقابلٌ لـ (علا).

وهذا الإستواءُ استواءٌ بمعنى العُلُوِّ والإسْتقرار، وقد يَرِدُ عليكم سؤالٌ، ويُقال: أَلَسْتُم تقولون إنَّ عُلُوَّ الله عَزَّ وَجَلَّ بذاته صفةٌ ذاتيةٌ أزليةٌ أَبَديَّةٌ؟

نَقُول: بلى، عُلُوُّ الله بذاته صفةٌ أزليَّةٌ أبديَّةٌ لا تنفَكُّ عن الله، خَلَقَ ثم اسْتَوَى، فمعنى ذلك أنه حين الخَلْقِ ليس مُسْتَوِيًا على العَرْش، وهذا حقٌّ" لأن الإستواءَ على العَرْش أخَصُّ من مُطْلَقِ العُلُوِّ" فالإستواءُ على العَرْش والعُلُوُّ على العَرْش خاصَّةً هذا معنًى خاصٌّ غيرُ معنى (مُطْلَق العُلُوِّ) فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى عالٍ دائمًا لكنْ كَوْنُه على العرش بنفسه هذا حادثٌ قطعًا" لأنَّ العَرْشَ مخلوقٌ. وقد بيَّنَ الله أنَّه استوى على العَرْش بعد خلْق السَّموات والأرض، ولا نعلم عمَّا قبل ذلك، والله أعلم.

ولكنَّ السؤالَ الآن: إذا قُلْتُمْ إنَّ معنى (استوى على العرش) أي: علا واسْتَقرَّ عليه، فإنه يَرِدُ علينا إشكالٌ: بأنَّ عُلُوَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَصْفٌ ذاتيٌّ أزليٌّ أبديٌّ، فكيف تقولون إنَّ معنى صَعِدَ علا عليه، وأنتم تقولون إنَّ العُلُوَّ صفةٌ ذاتيَّةٌ أزَليَّةٌ أبديَّةٌ، وفي العُلُوِّ عُلُوَّان: مُطْلَقُ عُلُوٍ، وعُلُوٌّ خاصٌّ بالعكس" فالأوَّلُ الذي هو مُطْلَق العُلُوِّ صفةٌ ذاتيَّةٌ أزليَّةٌ أبديَّةٌ، فالله لم يَزَلْ ولا يزالُ عاليًا بذاته على جميع الخلق، أما الإستواءُ على العَرْشِ فهو صفةٌ فعليَّةٌ خاصَّةٌ في العرش.

وأضْربُ مثلًا يُقَرِّبُ المعنى: فالإنسانُ إذا كان على السَّطح فهو عالٍ على مَنْ تحت السطح، فإذا وُضِعَ له كرسيٌّ في السَّطح وجلس عليه صار عُلُوُّه على هذا الكرسيِّ علوًّا خاصًّا مع ثبوت العُلُوِّ الأوَّلِ الذي هو مُطْلَق العُلُوِّ، لكنَّ هذا عُلُوٌّ خاصٌّ: على هذا الكرسيِّ.

فتبيَّنَ أنَّ هناك فرقًا بين العُلُوِّ بالمعنى العامِّ" فإنه وَصْفٌ ذاتيٌّ أزليٌّ أبديٌّ، وبين استوائه على العَرْش الذي هو علوٌّ خاصٌّ على ذلك العَرْش" ولهذا بعضُ السَّلَف ورد عنه تَفْسيرُه: (بأنَّه جلس عليه) وهذا قريبٌ من تفسيره بالإستقرار، فهذا علوٌّ خاصٌّ، ففرَّقَ بين العُلُوِّ الخاصِّ، وبين العُلُوِّ بالمعنى العامِّ.

وننتقل من هذا المعنى إلى أن نقولَ: هل الإستواءُ على العرش من الصِّفات الفِعْلِيَّة أم من الصِّفات الذَّاتيَّة؟.

الجواب: الإستواءُ من الصِّفات الفعْليَّة، وأنَّ كل شيء يتعلَّقُ بالمشيئة إن شاء الله فَعَلَ وإنْ شاء لم يَفْعل، فهو من الصِّفات الفعْليَّة فضلًا عن الإسْتواء على العَرْش، فإنَّه من الصِّفات الفعليَّة.

وأهل السُّنَّة يقولون: {اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} أي: علا عليه واستقرَّ، وكيف كان ذلك العُلوُّ والإستقرار؟ لا ندري".

ولهذا قال الإمامُ (مالكٌ)- رحمهُ اللهُ. لما سُئلَ" قيل له: يا أبا عبد الله {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} {طه: 5}.

كيف استوى؟ فأطرقَ رحمهُ الله برأسه حتى علاه الرُّحضاءُ - العرقُ - من شدَّة وقع هذا السُّؤال على قلبه، ثم رفعَ رأسه،

وقال: ((الإسْتِواءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، والكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، والإيمانُ بِهِ واجِبٌ، والسُّؤَالُ عنه بِدْعَةٌ)) (1).

ويُنقَلُ عن (مالك) على غير هذا اللَّفظ أنه قال: "الإستواءُ مَعْلومٌ، والكَيْفُ مَجْهولٌ، والإيمانُ عنه واجِبٌ، والسُّؤالُ عنه بدعة". (2)

لكن الذي صحَّ عنه بالسَّند هو اللَّفظُ الأوَّلُ، وهو: "الإستواءُ غيرُ مجهولٍ، والكَيْفُ غير مَعْقولٍ، والإيمانُ به واجبٌ، والسُّؤالُ عنه بِدْعَة"

ثم قال: "ما أُراكَ إلا مُبْتَدِعًا!" مع أنه يُحتَمَلُ أنه سألَ سُؤالَ اسْتِفْسار ولم يسألهُ إفحامًا، ولهذا قال: وما أُراك أو ما أظُنُّك إلَّا مُبْتَدِعًا، ثم أمر به فأُخرجَ من الحَلْقة لئلَّا يُشَوِّشَ على النَّاس.

الحاصل: أننا نقولُ: الإستواءُ غير مجهولٌ، أو أنه مَعْلومٌ معنًى في اللُّغَة العربيَّة والقرآنُ نزل باللُّغة العربيَّة" فمعناه لغةً: علا واستقرَّ.

وقوله: "الكيفُ غير معقول" يعني: ما نَعْقلُه نحن، وهذا أبْلَغُ من كَلِمة مجهول، يعني لا يُمكن أن يُدْرِكه العَقلُ أو يُحيطَ به، فالله أعظمُ من أن تُدرِكَ العقولُ كُنْهَ ذاته وصفاته.

ثم إذا انتفى عنه الدليل العقليُّ أثبت الدليلُ السَّمْعي، ولم يَرِد السَّمْعُ بذكْر الكيفيَّة، فإذا انتفى عنه الدَّليلان: العقليُّ والسَّمْعيُّ، فإنَّه يجب التَّوَقُّفُ" ولهذا الصَّحابةُ رَضِيَ اللهُ عَنهُم التَزَموا جانبَ التَّوقُّف، مع أنَّهم أحْرصُ منَّا على القَوْل وعلى العِلْم" فهل سألوا الرَّسولَ - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: كيف استوى أو لا؟

لا" ولهذا قال رَحمَهُ الله: "والسُّؤالُ عنه بِدْعَة": "السؤال عنه" يعني عن الكيفيَّة بدعة، فما كان الصَّحابة رَضيَ اللهُ عَنْهُم يسألون عن هذا، ولا يُمكنُ الوصولُ إليه، فإذن السُّؤالُ عنه تكلُّفٌ من حيث لا يُمكنُ الوصولُ إليه، وبدعةٌ من حيث لم يَسْأَلْ عنه الصَّحابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم.

وقوله: "والإيمانُ به واجبٌ": "الإيمان به" بالإستواء على العَرْش، "واجبٌ" لأنَّ الله أخبر به عن نَفْسه، وما أخبَرَ الله به عن نَفْسه وَجَبَ علينا قَبُولُه، وألَّا نقيسَ ذلك بعقولنا.

فإذن - الحمد لله - الإستواءُ واضحٌ، فالإسْتِواءُ معناه: العُلُوُّ والإسْتِقْرار وهو معلومُ

---

(1) أخرجه (اللالكائي) في (اعتقاد أهل السنة) رقم (664)، و(البيهقي) في (الأسماء والصفات) رقم (867)، و(أبو نعيم) في (الحلية) رقم (6/ 325)، و(الدارمي) في (الرد على الجهمية) رقم (104).

(2) انظر: (الإقتصاد في الإعتقاد) للغزالي (ص: 38)، والملل والنحل (1/ 93)، و(العرش) للذهبي (1/ 117 - 118).

المعنى، لكنَّ الكيفيَّةَ مجهولةٌ غَيْر مَعْقولة، يعني لا يُدرِكُها العَقْلُ، ولا يستدلُّ عليها، والسَّمْعُ لم يَدُلَّ عليها" فوجب الوقوفُ"

ولهذا قال: الإمامُ (مالك)- رَحِمَهُ اللهُ: "الكيفُ مجهولٌ، والإيمانُ بهِ واجبٌ، والسُّؤالُ عنه بِدْعَةٌ".

وأهل البِدَعِ يَنْفون هذا الشَّيءَ، ويقولون: مُحالٌ أن يكون استوى على العَرْشِ" أي: علا عليه واستقرَّ، ولكنَّ معناه: استولى على العَرْشِ وقَهَرَ ومَلَكَ، وإنَّ الإستواءَ فيه معنى ذلك" وقالوا: وَجَدْناه في قول القائلِ:

قَدِ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى العِرَاقِ ... مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ أَوْ دَمٍ مُهْرَاقِ.

(استوى على العراق) يعني: استولى عليها، فنَرُدُّ كلامَ الله إلى هذا البَيْتِ الذي أُنْشِدَ في عَهْدِ بِشْرِ بْنِ مَروان حين استولى على العراق!

وهذا البيتُ يُقال: إنَّ قائلَه مجهولٌ لا يُعْلَم، وسبحانَ الله أن نَحْمِلَ القرآنَ الكريم على بيتٍ من الشِّعْر قائلُه مجهولٌ! والرِّوايةُ إذا كان فيها راوٍ مجهولٌ، فهي مَرْدودة حتى يَتَبَيَّن.

ثم نَقُول: على فَرْضِ أنَّ القائلَ معلومٌ، وأنه من أَفْحاح العَرَبِ الذين لم تَتَلَوَّثْ ألسنتهم بِعُجْمَة" فإنَّ استوى على العراقِ يَصِحُّ أن نقول بمعنى علا على العراقِ" أي عُلُوًّا معنويًّا وليس حسِّيًّا، ويَمْنَعُ أن يكون المرادُ به العُلُوَّ الحسِّيَّ أنَّ العراقَ لا يمكن أن يَجْلِسَ عليه بِشْرٌ" فيكون معناها هنا أمرًا عقليًّا، ويكون الإستواءُ هنا استواءً معنويًّا" بمعنى أنه علا عليه عُلُوًّا مَعْنَوِيًّا" وإذا فَسَّرْناها بمعنى علا عُلُوًّا معنويًّا كان أبلغَ من تفسيره بالإستواء" لأن مجرَّدَ الإستيلاء قد لا يَحْصُل به العُلُوُّ" قد يكون مُسْتَوِيًا لكنه كالعصا، فإذ قلنا استوى بمعنى علا علوًّا معنويًّا صار أبلغَ في التملُّك والقَهْر، فتبيَّن أنَّه لا حُجَّة في هذا البيت على كلِّ تقدير.

ثم إنَّه مخالفٌ لظاهر القرآن، ومخالفٌ لما أَجْمَعَ عليه السَّلَفُ والأئمَّةُ من أنَّ الإستواءَ بمعنى العُلُوِّ والإسْتِقْرار، ويكون هذا باطلًا.

إذن: الذي نؤمنُ به أنَّ الله تعالى استوى على عَرْشِه استواءً يليقُ به" بمعنى علا واستقرَّ، وعلى التَّرتيب فمن بعد خَلْق السَّموات استوى، لكن قبل أن يَخْلُق السَّموات مسكوتٌ عنه، فهو حين الخلق غير مستوٍ، وبعد الخلق مُسْتَوٍ. وأمَّا قبله فالله أعلم.

وقوله تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} يقول المُفَسِّر رَحِمَهُ اللهُ: ﴿هو في اللُّغَة سَرِيرُ المَلِك﴾ استوى على العَرْش" إذن هو سريرٌ خاصٌّ يليق بالمَلِك وبِمُلْكه" قال الله تعالى عن مَلَكَة سبأ كما أخبر عنها الهُدْهُدُ: {وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ} {النمل: 23}.

وقال تعالى في قصَّة يوسُفَ {وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا} {يوسف: 100}.

يعني: السرير الخاص بالمَلِك، ولا بُدَّ أن يكون سريرًا مُفخَّمًا حَسَبَ مُلْكه، هذا هو السَّرير، فيكون عَرْشُ الرحمن عَزَّ وَجَلَّ أعظَمَ شيء" لأنه عَرْشٌ لأعظمِ الأشياء وهو الله عَزَّ وَجَلَّ"

ولهذا جاء في الحديث: ((أنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الكُرْسِيِّ كَحَلْقَةٍ

أُلْقِيَتْ فِي فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ))[1]. أي: حلقة الدِّرْع، نسبة صغيرة" أُلْقِيَتْ في فَلاة من الأرض، فلو أُلْقِيَتْ حلْقَةٌ في فلاة الأرض هل يَصِحُّ أن تُنْسَبَ إلى الفَلاة كم مُدَّتُها؟ ولا واحد من المليون، ليست بشيء، ويمكن ألَّا تَقْدر أن تشاهدَها ((وإنَّ فَضْلَ العَرْش على الكُرْسيِّ كفَضْل الفَلَاة على هذه الحَلْقَة)).

إذن: الكرسيُّ بالنِّسْبة للعرش كحَلْقَة أُلْقِيَت في فلاة من الأرض، ومن هذا تَعْرف مقدارَ عظَمة الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كيف خلق هذه الأشياءَ العظيمة.

يقول المُفَسِّر رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿استواءً يليقُ به﴾ نريد أن نناقشَ المُفسِّر عن هذه الكلمة، هل هذا الكلام يدلُّ على أنه على مَذْهَب السَّلَف في صِفَة الإستواء، أو على مذهب الخَلَف؟ لأن الخَلَف يقولون: الإستواءُ الذي يليقُ به: الإستيلاء، هذا الذي يليقُ عندهم! والسَّلَفُ يقولون: الإستواءُ الذي يليق به: العُلُوُّ على الوَجْه الذي يليق بالله.[2]

قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾: ﴿مَا لَكُمْ﴾: ﴿مَا﴾ نافيَة، والخطابُ في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ﴾ قال المُفسِّر رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿يا كُفَّارَ مكَّة﴾ والصوابُ العُمُوم" يعني: ما لكم أيُّها المخاطَبُون، ويَشْمَلُ كفَّارَ مكَّة وغيرَهم.

وقوله تعالى: ﴿مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ الدُّونُ بمعنى سِوَى" يعني: ما لكم مِنْ سِوَاه" ولهذا قال المُفَسِّر ﴿مِنْ غَيْرِه﴾.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾ اسْمُ (مَا) بِزِيادَة مِنْ﴾ وزيادَتُها هنا مِن أجْل التَّوْكِيد والتَّنْصِيص على العموم، ولكن قوله (اسْمُ ما) خطأ"

قَالَ: (ابْنُ مالِك) - رَحِمَهُ الله:

.... مَعَ بَقَا النَّفْيِ وَتَرْتِيبٍ زُكِنْ.[3]

فلا بدَّ في (ما) أن تكون مُرَتَّبَة" يعني: الإسْمُ قبل الخبر، فإن لم تكن كذلك فإنَّها لا تَعْمَلُ" لأنها ما تعملُ إلا على لُغَة الحِجازِيِّينَ بالشُّروط التي ذكَر (ابنُ مالِك) رَحِمَهُ الله، فيكون قولُ المُفَسِّر رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿اسمُ (ما)﴾ قد يكون سَقْطَةَ قَلَمٍ أو سهوًا، فإنَّ (ما) هنا غيرُ عاملَة، وهنا (ما) نافية فقط، وسبب بُطلان عمَلِها عَدَمُ التَّرْتيب.

وخبر المبتدأ إذن: قَوْلُه: (لكم): ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يقول: ﴿أي: ناصرٌ﴾ ولا شفيعٌ، فَسَّر الوليَّ هنا بالنَّاصر، وقد اعترضوا عليه" لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول في آية أخرى: ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى: 31].

والعَطْفُ يقتضي المُغايَرَة، وأنَّ النَّصِيرَ غيرُ الوليِّ" ولهذا الأَوْلى أن يُفسِّر الوَليَّ لمن يتولَّى أَمْرَ الإنسان" يتولى أَمْرَه بِجَلْب الخَيْر

---

(1) أخرجه (ابن حبان) في (صحيحه) رقم (361)، وابن بطة في الإبانة (7/ 181)، وأبو نعيم في (الحلية) (1/ 166)، - من حديث- (أبي ذر الغفاري) - رضي الله عنه -.

(2) انظر: (تفسير القرآن الكريم) للشيخ (محمد بن صالح العثيمين) في سُورَة (السَّجْدَة) الآية (4).

(3) الألفية (ص: 20).

لــه ودفْــعِ الضَّــرر عنــه، ثــم إن قُرِنَــتْ بالنَّصــيرِ صــارت خاصَّــة بجلــب الخــيرِ، والنَّصــير بــدَفْعِ الشَّــرِّ" فــالمراد: مِــنْ وَلِــيٍ" أي: مَــن مُتَــوَلٍّ لأَمْــره بِجَلْب الخير له، ودَفْعِ الشَّرِّ عنه. (1)

وقولــه تعــالى: {وَلَــا شَــفِيعٍ} أي: شــافع يَشْــفَعُ لكــم، ولهــذا قــال:﴿{وَلَــا شَــفِيعٍ} يَــدْفَعُ عذابــه عــنكم﴾ هــذا أيضًــا فيــه نظــر" لأنَّ الشَّــفيع لــيس يَشْــفَع، ولكنــه يُشْــفَع ويُطْلــب، الــدَّافِعُ هــو النَّاصــر والــوليُّ، أمــا الشَّــفيع فإنَّــه لــيس يَــدْفَعُ ولكنَّــه يتوسَّــط" ولهــذا قــالوا في تعريــف الشَّــفاعَة: هــي التَّوسُّــط للغــير بجَلْــب مَنْفَعَــة أو دَفْــعِ مَضَــرَّة، فيثبُــتُ للغَيْــر" لأنَّ الشَّــفيع يــأتي شــافعًا للمَشْــفوع لــه، فبعــد أن كــان فــردًا صــارا اثنين.

فالصَّــوابُ أنَّ المــراد بالشَّــفيعِ" أيْ: شــفيع يشــفَعُ لكــم عنــد الله، فــنحن لــيس لنــا أحــدٌ يتولَّانــا مــن دون الله، ولــيس لنــا أحــدٌ يَشْــفَعُ لنــا عنــد الله عــزَّ وجــلَّ {مَــا لَكُــمْ مِــنْ دُونِــه مِــنْ وَلِــيٍ وَلَــا شَــفِيعٍ}" ولهــذا لا تكــون الشَّــفاعة إلا بــإذن الله، قــال سُــبْحَانَهُ وَتَعَــالَى: {مَــنْ ذَا الَّــذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِه} {البقرة: 255}.

قــال رَحِمَــهُ الله:﴿ {أَفَلَــا تَتَــذَكَّرُونَ} هــذا، فتؤمنون﴾.

{أَفَلَــا تَتَــذَكَّرُونَ} تقــدَّمَ لنــا مــرارًا وتكــرارًا أنَّ مثــل هــذه الجُمْلَــة يــرى النحويُّــون في إعرابهــا وَجْهَين:

الوَجْــه الأوَّل: أن تكــون الهَمْــزَةُ داخلَــةً علــى شــيء محــذوف مناســبٍ للمَقــام، والفــاء عاطفــة على ذلك المَحْذوف.

الوَجْــه الثــاني: أن تكــون الهَمْــزَة داخلَــةً علــى الجملــة الــتي بعــد العــاطف، والعــاطفُ عاطِفٌ على ما سبق.

وَقُلْنَــا: إن هــذا الوَجْــه أَسْــهَلُ" لأن الأوَّل يحتــاجُ إلى تقــدير، وقــد يكــون المقــدَّرُ صَــعْبًا" إذ قــد يُشْــكلُ علــى الإنســان ملاءَمَتُــه للسِّــياق، فــإذا قلــتَ: الهَمْــزَةَ للإســتفهام وَهــيَ مقدَّمــة علــى حــرف العطــف، والفــاءُ حــرف عطــف، والمعطــوف عليــه مــا ســبق، والتَّقــدير بــدُون تَقْــديم وتأْخير: فَأَلَا تَتَذَكَّرون.

قــال المُفَسِّــر رَحِمَــهُ الله:﴿هــذا، فتؤمنــون﴾﴿هــذا﴾ أفادنــا المُفَسِّــر رَحِمَــهُ اللهُ بقولــه﴿هــذا﴾ أنَّ المــرادَ بالتــذكُّر البَصَــرُ بــه والعِلْــمُ بــه" ويُحْتَمَــلُ أن يكــون المــرادُ بالتَّــذَكُّر الإتِّعــاظَ، وعلــى هــذا فيكــون لازمًــا لا مُتَعَــدِيًا" يعــني: أفــلا تَتَّعظــونَ بعــد أن عَــرَفْتُم مخلوقاتــه العظيمــةَ واســتواءَه علــى عَرْشــه، وأنــه لــيس لكــم مــن دونــه مــن ولــيٍ ولا شَــفِيعٍ" أفلا تَتَّعِظون فتؤْمنون؟ !. (2)

* * *

من فوائد الآية الكريمة:

الفَائِــدَةُ الأُولَــى: أنَّ الــذي خلــق السَّــموات هــو الله لا شــريك لــه" تُؤْخَــذُ مــن قولــه تعــالى: {اللَّــهُ الَّــذِي خَلَــقَ} مــن كــون المبتــدأ والخَبَــر مَعْــرِفَتين، وإذا كــان المبتــدأُ والخــبرُ مَعْــرِفَتَين

---

(1) انظــر: (تفســير القــرآن الكــريم) للشــيخ (محمــد بــن صــالح العثــيمين) في سُورَة (السَّجْدَةِ) الآية (4).

(2) انظــر: (تفســير القــرآن الكــريم) للشــيخ (محمــد بــن صــالح العثــيمين) في سُورَة (السَّجْدَةِ) الآية (4).

فإنَّهما يُفيدانِ الحَصْرَ: الله الذي خلق لا غيْره.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: إثباتُ ما تضمَّنَتْه هذه الجُمْلَةُ من العِلْمِ والقُدْرَة" لقوله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} أي لا خَلْقَ بدون علم، ولا خَلْقَ بدون قُدْرَة.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: بيانُ عَظَمَةِ قُدْرَة الله" لأنَّ خَلْقَ هذه السَّموات والأرْضِ العظيمة يدُلُّ على عظمة الخالق" فكما أنَّنا لو رأينا قَصْرًا مَشِيدًا وبِناءً مُحْكَمًا استَدْلَلْنا به على عَظَمَة الباني.

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: أنَّ بين السَّموات والأرْضِ من الآيات شيئًا كبيرًا، حيثُ جعَلَه قسيمًا لخلق السَّموات والأرض ومقابلًا له.

الْفَائِدَةُ الخَامِسَةُ: أنَّ خَلْقَ السَّموات والأرض تَمَّ في ستَّة أيام، مفصَّلَة في سورة فُصِّلَتْ: أربعة للأرْض، ويومان في السَّماء.

الْفَائِدَةُ السَّادِسَةُ: إثبات عُلُوِّ الله" لقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} والعَرْشُ أعلى المخلوقات.

الْفَائِدَةُ السَّابِعَةُ: إثباتُ استواء الله على عَرْشِه، وهو عُلُوُّه واسْتِقْراره عليه، بدون تكْييف.

الْفَائِدَةُ الثَّامِنَةُ: إثباتُ قيام الأفعال الإخْتِياريَّة بالله عَزَّ وَجَلَّ" لقوله تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} لأنَّه من الأفعال التي يَفعَلُها بمَشيئَته، وهي التي يُعَبَّرُ عنها أحيانًا بالصِّفات الفعْلِيَّة.

الْفَائِدَةُ التَّاسِعَةُ: إثباتُ عظمة الله وسُلْطانه" تُؤْخَذُ من قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {عَلَى الْعَرْشِ} لأن العرش سرير المَلِك، وقُلْنا إنَّ العَرْشَ يَعْظُمُ بعظم مَلكه.

الْفَائِدَةُ العَاشِرَةُ: إثبات العَرْش والعرش سرير المَلك، وهل هو الكرسي أو غيره؟

نَقُول: هو عند أهل السُّنَّة غيرُ الكرسي.

الْفَائِدَةُ الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أنه ليس للخَلْق وليٌّ من دون الله" لقوله تعالى: {مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ}.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: أنه لا شفيع لهم من دون الله.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: إبطال تعلُّق المُشْركِينَ بآلهَتِهم" وَجْهُه: أنَّهم إن أرادوا أن تكونَ وليًّا لهم مُغيثًا مُنْقذًا من الشِّدَّة، فلن يكون ذلك، وإن أرادوا أن يكونوا شفعاءَ، فلن يكون ذلك" يقولون: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} [الزمر: 3].

وأحيانًا يطلبون منهم جَلْبَ الخير ودَفْعَ الضَّرَر، وكلُّ هذا لا متعلَّقَ لهم به فهو باطلٌ" إذ لا يكون ذلك إلا بإذن الله،

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ} ففي الآية - كما قلتُ -: تعَلُّقَ المشركون بآلهَتِهم سواء جعَلوها أولياءَ أو جعلوها شُفَعاءَ.

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: تَوْبيخُ من لا يتذَكَّرُ بعد هذا البيان" لقوله تعالى: {أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ}.

وهذه الفائدَة تترتَّبُ عليها فائدَةٌ أخرى، وهي وجوبُ التَّذكُّر بآيات الله عَزَّ وَجَلَّ، وأنَّ

الإنسانَ يتذكَّرُ بآياتِ الله، ولا يكون كأنَّه يَمُرُّ عليها كأنَّها ألفاظٌ عابِرَة. (1)

* * *

[٥] ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يدبر الله سبحانه وتعالى جميع المخلوقات في السماوات وفي الأرض، ثم يصعد إليه ذلك الأمر في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدّون أنتم -أيها الناس- في الدنيا. (2)

* * *

يَعنْي:- يدبر الله تعالى أَمْر المخلوقات من السماء إلى الأرض، ثم يصعد ذلك الأمر والتدبير إلى الله في يوم مقداره ألف سنة من أيام الدنيا التي تعدُّونها. (3)

* * *

يَعنْي:- يُدبِّر شئون الخلق من السماء إلى الأرض، ثم يصعد إليه أمرها في يوم مُقدر بألف سنة من سنى الدنيا التى تعدونها. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{يُدَبِّرُ الْأَمْرَ} .... يقضي القضاء وينزله.

{يدبر الأمر من السماء إلى الأرض} .... أي: أمر المخلوقات طوال الحياة.

{ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره} .... أي: يوم القيامة حيث تنتهي هذه الحياة وسائر شؤونها.

{يَعرُج} .... يصعد.

{يَعْرُجُ إِلَيْه} ... يَصْعَدُ إِلَيْه.

{إِلَيْه} ... المعنى: ينزل الملك بالوحي من السماء إلى الأرض، ثم يرجع إلى مقره منها.

{ألف سنة مما تعدون} ....أي: من أيام الدنيا.

{فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ} من أيامكم" لأن ما بين السماء والأرض مسيرة خمس مئة سنة ، فيكون هبوط الملك وصعوده في قدر يوم واحد،

وأما قوله: {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ } {المعارج: 4}.

فهو مدة المسافة بين سدرة المنتهى والأرض، ثم عوده إلى السدرة، فالملك يسيره في قدر يوم واحد من أيام الدنيا. (5)

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس):- قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):- {سُورَة السَّجْدَة} الآية {5} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يُدَبِّرُ الْأَمر مِنَ السمآء إِلَى الأَرْض} يبْعَث الْمَلَائِكَة بِالْوَحْي والتنزيل والمصيبة.

(1) انظر: (تفسير القرآن الكريم) للشيخ (محمد بن صالح العثيمين) في سُورَة (السَّجْدَة) الآية (4).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (415/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (415/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (619/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن) في سُورَة (السَّجْدَة) الآية (5) للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

{ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ} يصعد إِلَيْه يَعْنِي الْمَلَائِكَة {فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ} مقْدَار صُعُوده على غير الْمَلَائِكَة {أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ} من سِنِين الدُّنْيَا.(1)

* * *

انظر: سورة – (فصلت) – من آية (9-12).

-كما قال تعالى: {قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (9) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ (10) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (11) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (12)}.

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {5} قوله تعالى: {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ}.

يقول تعالى ذكره: الله هو الذي يدبر الأمر من أمر خلقه من السماء إلى الأرض، ثم يعرج إليه.

واختلف أهل التأويل في المعني بقوله: {ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ} فقال بعضهم: معناه: أن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض، ويصعد من الأرض إلى السماء في يوم واحد، وقدر ذلك ألف سنة مما تعدون من أيام الدنيا" لأن ما بين الأرض إلى السماء خمسمائة عام، وما بين السماء إلى الأرض مثل ذلك، فذلك ألف سنة.(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو بن معروف، عن ليث، عن (مجاهد): {فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ} يعني: بذلك نزول الأمر من السماء إلى الأرض، ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد وذلك مقداره ألف سنة" لأن ما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام.(3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن)- حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن (قتادة): {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ} من أيامكم. {كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ} يقول: مقدار مسيره في ذلك اليوم ألف سنة مما تعدّون من أيامكم من أيام الدنيا خمسمائة سنة نزوله، وخمسمائة صعوده فذلك ألف سنة.(4)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو معاوية، عن

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (5) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (5) للإمَامْ (الطبري).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (5) للإمَامْ (الطبري).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (5) للإمَامْ (الطبري).

جُويبر، عن (الضحاك): {ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ} قال: تعرج الملائكة إلى السماء، ثم تنزل في يوم من أيامكم هذه، وهو مسيرة ألف سنة.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن سماك، عن (عكرمة): (أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) قال: من أيام الدنيا.(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

حدثنا هناد بن السريّ، قال: ثنا أبو الأحوص، عن أبي الحارث، عن (عكرمة)، عن (ابن عباس) في قوله: {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ} من أيامكم هذه، مسيرة ما بين السماء إلى الأرض خمسمائة عام.(3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

وذكر عن (عبد الرزاق)، قال: أخبرنا معمر، عن (قَتَادة) قال: تنحدر الأمور وتصعد من السماء إلى الأرض في يوم واحد، مقداره ألف سنة، خمسمائة حتى ينزل، وخمسمائة حتى يعرُج.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، ثم يعرج إليه في يوم من الأيام الستة التي خلق الله فيهنّ الخلق، كان مقدار ذلك اليوم ألف سنة مما تعدّون من أيامكم.(4)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن سماك، عن (عكرمة)، عن (ابن عباس): {أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ} قال: ذلك مقدار المسير،

قوله: {كألف سنة مما تعدّون} قال: خلق السموات والأرض في ستة أيام، وكلّ يوم من هذه كألف سنة مما تعدّون انتم.(5)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن إسرائيل، عن سماك، عن (عكرمة)، عن (ابن عباس): {فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ} قال: الستة الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض.(6)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا (عبيد)، قال: سمعت (الضحاك) يقول في قوله: (فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) يعني: هذا اليوم من الأيام الستة التي خلق الله فيهنّ السموات والأرض وما بينهما.

---

(1) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورةُ (السَّجْدَةِ) الآية (5) للإمام (الطبري).
(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورةُ (السَّجْدَةِ) الآية (5) للإمام (الطبري).
(3) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورةُ (السَّجْدَةِ) الآية (5) للإمام (الطبري).
(4) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورةُ (السَّجْدَةِ) الآية (5) للإمام (الطبري).
(5) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورةُ (السَّجْدَةِ) الآية (5) للإمام (الطبري).
(6) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورةُ (السَّجْدَةِ) الآية (5) للإمام (الطبري).

وقال آخرون: بل معنى ذلك: يدبر الأمر من السماء إلى الأرض بالملائكة، ثم تعرج إليه الملائكة، في يَوْمٍ كان مقداره ألف سنة من أيام الدنيا.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني (معاوية)، عن (عليّ)، عن (ابن عباس)، في قوله: (ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ) قال: هذا في الدنيا تعرج الملائكة إليه في يوم كان مقداره ألف سنة.(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا غندر، عن شعبة، عن سماك، عن (عكرمة): {فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ} قال: ما بين السماء والأرض مسيرة ألف سنة مما تعدّون من أيام الآخرة.(3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن سماك، عن (عكرمة) أنه قال في هذه الآية: {يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ} قال: ما بين السماء والأرض مسيرة ألف سنة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: يدبر الأمر من السماء إلى الأرض في يوم كان مقدار ذلك التدبير ألف سنة مما تعدّون من أيام الدنيا، ثم يعرج إليه ذلك التدبير الذي دبره.(4)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

ذُكر عن حجاج، عن (ابن جُرَيج)، عن (مجاهد)، أنه قال: يقضي أمر كل شيء ألف سنة إلى الملائكة ثم كذلك حتى تمضي ألف سنة، ثم يقضي أمر كل شيء ألفا، ثم كذلك أبدا، قال: {يوم كان مقداره} قال: اليوم أن يقال لما يقضي إلى الملائكة ألف سنة: كن فيكون، ولكن سماه يومًا، سَمَّاهُ كما بيّنا كل ذلك عن (مجاهد)، قال: وقوله: (وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) قال: هو هو سواء.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، ثم يعرج إلى الله في يوم كان مقداره ألف سنة، مقدار العروج ألف سنة مما تعدّون.(5)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

حدثني يونس، قال: أخبرنا (ابن وهب)، قال: قال (ابن زيد) في قوله: {ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (5) للإمام (الطبري).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (5) للإمام (الطبري).

(3) الذي في (الدر المنثور): "من أيام الدنيا" وهو واضح. اهـ

انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (5) للإمام (الطبري). برقم (169،20).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (5) للإمام (الطبري).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (5) للإمام (الطبري).

تَعُدُّونَ} قال بعض أهل العلم: مقدار ما بين الأرض حين يعرج إليه إلى أن يبلغ عروجه ألف سنة، هذا مقدار ذلك المعراج في ذلك اليوم حين يعرج فيه.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معناه: يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقدار ذلك اليوم في عروج ذلك الأمر إليه، ونزوله إلى الأرض ألف سنة مما تعدون من أيامكم، خمسمائة في النزول، وخمسمائة في الصعود" لأن ذلك أظهر معانيه، وأشبهها بظاهر التنزيل.(1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-{سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {5} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ} أَيْ: يُحْكِمُ الْأَمْرَ وَيُنْزِلُ الْقَضَاءَ وَالْقَدَرَ، {مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ} وَقِيلَ: يُنْزِلُ الْوَحْيَ مَعَ جِبْرِيلَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، {ثُمَّ يَعْرُجُ} يصعد {إِلَيْهِ} جبريل بِالْأَمْرِ، {فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ} أَيْ: فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مِنْ أيام الدنيا وقدره مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ خَمْسُمِائَةٍ نُزُولُهُ وَخَمْسُمِائَةٍ صُعُودُهُ لِأَنَّ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، يَقُولُ: لَوْ سَارَ فِيهِ أَحَدٌ مِنْ بَنِي آدَمَ لَمْ يَقْطَعْهُ إِلَّا فِي أَلْفِ سَنَةٍ، وَالْمَلَائِكَةُ يَقْطَعُونَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، هَذَا فِي وَصْف عُرُوجِ الْمَلَك مِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ،

وَأَمَّا قَوْلُهُ: {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ} {المعارج: 4}.

أراد مدة المسافة مِنَ الْأَرْضِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى الَّتِي هِيَ مَقَامُ جِبْرِيلَ يَسِيرُ جِبْرِيلُ وَالْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ مَقَامِهِ مَسِيرَةَ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا،

هَذَا كُلُّهُ مَعْنَى قَوْلِ: (مُجَاهِدٍ)، وَ(الضَّحَّاكِ).

وَقَوْلُهُ: إِلَيْهِ أَيْ إِلَى اللَّهِ.

وَقِيلَ: عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ إِلَى مَكَانِ الْمَلَكِ الَّذِي أَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَعْرُجَ إِلَيْهِ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَلْفُ سَنَةٍ وَخَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ كُلُّهَا فِي الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَى بَعْضِهِمْ أَطْوَلَ وَعَلَى بَعْضِهِمْ أَقْصَرَ، مَعْنَاهُ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ مُدَّةَ أَيَّامِ الدُّنْيَا،

{ثُمَّ يَعْرُجُ} أَيْ: يَرْجِعُ الْأَمْرُ وَالتَّدْبِيرُ إِلَيْهِ بَعْدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا، وَانْقِطَاعِ أَمْرِ الْأُمَرَاءِ وَحُكْمِ الْحُكَّامِ فِي يَوْمٍ مقداره خمسين أَلْفَ سَنَةٍ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ،

وَأَمَّا قَوْلُهُ: {خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ} فَإِنَّهُ أَرَادَ عَلَى الْكَافِرِ يَجْعَلُ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ عَلَيْهِ مِقْدَارَ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ وَعَلَى الْمُؤْمِنِ دُونَ ذَلِكَ حَتَّى جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: ((أَنَّهُ يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِ كَقَدْرِ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ صَلَّاهَا فِي الدُّنْيَا))(2)

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِ

---

(1) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (5) للإِمَامْ (الطبري).

(2) أخرج نحوه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (3/ 75)،
و(المصنف) في (شرح السنة) برقم (15/ 129).
قال: الشيخ (الأرناؤوط): وفيه (ابن لهيعة) سيئ الحفظ،
و(حسنه) (الهيثمي) في (المجمع) برقم (10/ 337).

إِلَّا كَمَا بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُون هذا إخبار عن شدته وهوله ومشقته.[1]

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةَ السَّجْدَةِ} الآية {5} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يُدَبِّرُ الأَمْرَ} القدري والأمر الشرعي، الجميع هو المتفرد بتدبيره، نازلة تلك التدابير من عند المليك القدير.

{مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ} فَيُسْعِدُ بها ويُشْقِي، ويُغْنِي ويُفْقِر، ويُعِزُّ، ويُذِلُّ، ويُكرِمُ، ويُهِينُ، ويرفع أقوامًا، ويضع آخرين، ويُنزل الأرزاق.

{ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ} أي: الأمر ينزل من عنده، ويعرج إليه.

{فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ} وهو يعرج إليه، ويصله في لحظة.[2]

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {5} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ} ما زال السياق في تقرير التوحيد والنبوة والبعث والجزاء بذكر مظاهر القدرة والعلم والرحمة والحكمة الإلهية، فقوله تعالى: {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ} أي: أمر المخلوقات {مِنَ السَّمَاءِ} حيث العرش وكتاب المقادير {إِلَى الْأَرْضِ} حيث تتم الحياة والموت والصحة والمرض والعطاء والمنع، والغنى والفقر والحرب والسلم، والعز والذل فالله تعالى من فوق عرشه يدبر أمر الخلائق كلها في عوالمها المختلفة، وقوله: {ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ}....

{ثم يعرج} أي الأمر إليه في يوم كان مقداره ألف سنة[3] مما يعد الناس اليوم من أيام هذه الدنيا. ومعنى {يَعْرُجُ إِلَيْهِ} في يوم القيامة أي يرد إليه حيث عم الكون الفناء ولم يبق ما يدبر في هذه الأرض لفنائها وفناء كل ما كان عليها.[4]

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {5} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ} أَيْ: يَتَنَزَّلُ أَمْرُهُ مِنْ أَعْلَى السموات إِلَى أَقْصَى تُخُومِ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا} {الطَّلاَقِ: 12}.

---

(1) انظُر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (5).

(2) انظُر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (5) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) – ورد في سورة (الحج) قوله تعالى: {وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون}.
وفي هذه الآية {ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون}.
وفي سورة (المعارج): {تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة}،
وقد كثرت أقوال أهل التفسير في تحديد هذه الأيام حتى قال (ابن عباس): أيام سماها الله سبحانه وما أدري ما هي؟ فأكره أن أقول فيها ما لا أعلم وأحسن ما يقال فيها أن اليوم الذي ذكر في سورة (الحج) هو عبارة عن الزمان وتقديره عند الله وأن يوم سورة المعارج هو يوم القيامة يوم الحساب وأن هذا اليوم هو آخر أيام الدنيا حيث ينتهي التدبير والتصرف لانقضاء الحياة وهو كما ذكر تعالى.

(4) انظُر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (5) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

وتُرفَعُ الْأَعْمَالُ إِلَى دِيوانِهَا فَوْقَ سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَمَسَافَةُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَرْضِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَسُمْكُ السَّمَاءِ خَمْسُمِائَةِ سَنَةٍ.

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ)، وَ(قَتَادَةُ)، وَ(الضَّحَّاكُ): النُّزُولُ مِنَ الْمَلَكِ فِي مَسِيرَةِ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَصُعُودُهُ فِي مَسِيرَةِ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَلَكِنَّهُ يَقْطَعُهَا فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ" وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ}. (1)

* * *

قال: الشيخ (محمد بن صالح العثيمين) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {5} قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿{يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ} مُدَّةَ الدُّنيا {ثُمَّ يَعْرُجُ} يرجعُ الأمرُ والتَّدبيرُ.

{إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ} في الدُّنيا،

وفي سورة (سأل): {خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ} {المعارج: 4} وهو يومُ القيامَة لشدَّة أهْوالِه بالنِّسْبَة إلى الكُفَّار﴾.

قوله تعالى: {مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ} المرادُ بالسَّماءِ هنا: تلك الأجرامُ المعهودةُ المعروفة، يدبِّرُها من السَّماء إلى الأرض ثم يَعْرُجُ إليه" يعني: من السَّماء الدُّنيا إلى الأرض، ثم يَعْرُجُ إليه" أي: إلى الله تعالى، ولا يَلْزَمُ أن يكون الله في السَّماء الدُّنيا.

وقوله تعالى: {ثُمَّ يَعْرُجُ} يعني: يَرجِعُ إليه" فقوله تعالى: {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ} الذي يَعْرجِ إليه هو: ما يَترتَّبُ على ذلك الأمْر" أمَّا الأمْرُ فهو نازلٌ" مثل لو أمَر عزَّ وجلَّ بأن يقومَ هذا الرَّجُل بعبادَة الله، تكون عبادة، ثم يَرجِعُ إليه ثوابُ العمل أو العقاب عليه حَسَب ما يَفعَلُه هذا العبدُ، كذلك أيضًا ينزل الأمْرُ من السَّماء بنُزُول المَطَر، ثم يَرْجِعُ إليه: حصل هذا الشَّيءُ بأنَّه نزل فأحيا به الأرْضَ بعد موتها وما أشبه ذلك، فالأمْرُ نازلٌ وصاعدٌ" من السَّماء إلى الأرْض.

وقوله تعالى: {ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ} أي: إلى الله، يَعْرُج بمعنى يَصْعَد" لكنَّ المُفَسِّر رَحِمَهُ اللهُ فسَّر الآية بأنَّه يدبِّره من السَّماء إلى الأرض في الدُّنيا، ثم يَعْرُجُ إليه في الآخرَة، وجعل العُرُوج بمعنى الرُّجوع، ولا شَكَّ أن هذا تحريفٌ" لأنَّ العُروجَ غيرُ الرُّجُوع، فمعنى العُرُوج الصُّعودُ: يَصْعَد إليه، وليس بمعنى أنه يَرجِعُ إليه في يوم القيامة حتى يُثِيبَ عليه أو يُعاقبَ.

فالمُفَسِّر رَحِمَهُ اللهُ جعل: {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ} في كل مُدَّة الدُّنيا، تدبيرٌ: أَمْرٌ ينزل من السَّماء إلى الأرض.

أمَّا العُرُوج فيكون يومَ القيامَة، وفسَّره بالرُّجُوع، على رأي المُفَسِّر يكون في يوم كان مقدارُه ألفَ سَنَة ممَّا تَعُدُّون" يخالف ما ذكره الله تعالى في سورة (سأل)" لأنَّه في سورة سأل قال: {خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ} {المعارج: 4}.

أجاب المُفَسِّر بما يقتضي أنه يختلف باختلاف التَّقدير، فيكون على قوم بمقدار خمسينَ ألفَ سَنَةٍ، وعلى قوم بمقدار ألف

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (5).

سَنَةٍ، وعلى آخرينَ بمقدارِ أداءِ الفريضَةِ كما قال: ((وَأَمَّا الْمُؤْمِن فَيَكُونُ أَخَفَّ عَلَيْهِ مِنْ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ يُصَلِّيهَا فِي الدُّنْيَا)) كما جاءَ في الحديثِ (1).

إذن: خلاصةُ رأي المُفَسِّرِ رَحِمَهُ الله: أنَّ تدبيرَ الأَمْرِ من السَّماءِ إلى الأرضِ بالدُّنيا من أوَّلها إلى آخرِها، وأنَّ العُرُوجَ إلى الله عَزَّ وَجَلَّ بهذا الأَمْرِ في الآخرةِ، وفسَّرَ العُرُوجَ بالرُّجُوعِ، فرارًا من إثباتِ العُلُوِّ الذاتيِّ.

ويبقى على المُفَسِّرِ رَحِمَهُ الله إشْكالٌ: وهو أنَّنا إذا جعلنا الرُّجوعَ في يومِ القيامةِ، ففي الآيةِ هنا مقدارُهُ ألفُ سَنَةٍ، وفي سورة المعارجِ مقدارُهُ خمسونَ ألفَ سَنَةٍ.

والجوابُ عند المُفَسِّرِ أن يُقالَ: إنَّ اختلافَ التَّقديرِ هنا باعتبارِ أحوالِ النَّاسِ" فمنهم من يُخَفَّفُ عنه حتى يكونَ كألفِ سَنَةٍ، بل قد يكونُ كأداءِ صلاةٍ مكتوبةٍ، ومنهم من يُثقَّلُ حتى يكونَ بمقدارِ خَمسينَ ألفَ سنةٍ.

أما على القولِ الصَّحيحِ الذي مشى عليه ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ الله (2) وأكَّدَهُ في التَّفْسيرِ" فيقولون: إنَّ هذا كلَّه في الدُّنيا: التَّدْبيرُ والعُرُوجُ، وأنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يدبرُ الأَمْرَ من السَّماءِ إلى الأرضِ، ثم يَعْرُجُ إليه آثارُ هذا التَّدْبيرِ" يعني في الدُّنْيا، ويقولون معنى ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾: بأنَّ مسافةَ ما بينَ السَّماءِ إلى الأرضِ خَمْسُ مئةِ سَنَةٍ، هذا نزولٌ، ومسافتها عُروجًا خَمْسُ مئةِ سَنَةٍ، فيكونُ الجميعُ ألفًا، فيكونُ معنى قولِهِ تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ باعتبارِ النُّزُولِ وباعتبارِ العُرُوجِ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: لماذا خَصَّ السَّماءَ الدُّنيا؟

فالجوابُ: لأنه عَزَّ وَجَلَّ قال: ﴿مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ " لأنَّه لو كانَ الأَمْرُ في السَّماءِ السَّابِعَةِ مثلًا" فليستْ هذه المدَّةُ إذا جعلنا بينَ كلِّ سماءٍ إلى سماءٍ خَمْسَ مئةِ عامٍ، وكِثَفَ كُلِّ سماءٍ خَمْسَ مئةِ عامٍ، كلُّ عامٍ يكونُ أكْثَرَ من هذا" فإن مَسافةَ ما بَيْنَ السَّمواتِ، كما جاءَ في الحديثِ: أنَّ كِثَفَ كُلِّ سماءٍ خَمْسُ مئةِ عامٍ، وما بينَ السَّماءِ والأرْضِ: خمسُ مئةِ عامٍ (3).

وقولُه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ﴾: ﴿فِي يَوْمٍ﴾ هل لا بدَّ أن يكونَ في يومٍ كاملٍ أو في للظَّرْفيَّةِ ولا تقتضي الإستيعابَ؟.

الجوابُ: أنَّ (في) للظَّرْفيَّةِ ولا تَسْتَلْزِمُ الإستيعابَ" يعني: ليس بلازمٍ أنَّ الأَمْرَ يَنْزِلُ مثلًا عند صلاةِ الفجرِ ولا يَعْرُجُ إلا في الغروبِ" فقد يَنْزِلُ ويَعْرُجُ في لحظَةٍ حسبَ ما أراد الله عَزَّ وَجَلَّ" لأنَّ (في) لا تقتضي الإستيعابَ، فإذا قُلْتَ: (زُرْتُكَ في يَوْمِ الأَحَدِ) فلا يقتضي أن تكونَ الزِّيارةُ مُسْتَوْعِبَةً لجميعِ اليومِ، ولكن في وَقْتٍ من هذا اليومِ، فإذن ﴿فِي يَوْمٍ﴾ أي: في وقتٍ من هذا اليَوْمِ، وهذا اليَوْمُ كان مِقْدارُهُ ألفَ سنةٍ ممَّا تعدُّونَ.

* * *

---

(1) أخرجه الإمام (أحمد) برقم (3/ 75)، - من حديث- (أبي سعيد الخدري) - رضي الله عنه -.

(2) تفسير (ابن كثير) برقم (6/ 321).

(3) أخرجه الإمام (الترمذي): (كتاب: تفسير القرآن)،/ (باب: ومن سورة (الحديد)، رقم (3298)، - من حديث - (أبي هريرة) - رضي الله عنه -.

من فوائد الآية الكريمة:

الْفَائِدَةُ الأُولَى: في هذه الآية دليلٌ على كمالِ سُلطان الله عَزَّ وَجَلَّ" حيث جعل تدبيرَ الأمورِ إليه، {يُدَبِّرُ} هو" ففيه كمال السُّلْطان، وأنَّ الكمال له وحْدَه.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: رَدٌّ على القَدَرِيَّة، الذين يدَّعُون أنَّ أَمْرَ الإنسان مستقلٌّ به" لأننا نقول: إنَّ فعلَ الإنسان من الأمور، والذي يُدَبِّرُه هو الله عَزَّ وَجَلَّ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وفيه دليلٌ لقَوْلِ الجَبْرِيَّة!

فالجوابُ أن نقول: لكنْ هناك آياتٌ تدلُّ على أنَّ الإنسانَ فاعلٌ بالإختيار" لقوله: {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (28) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} {التكوير: 28 - 29}.

وفي قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ} {آل عمران: 152}.

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا} {المائدة: 2}.

وما أشبه ذلك" فكلُّها تدلُّ على أن للإنسان إرادةً واختيارًا.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: إثباتُ عُلُوِّ الله عَزَّ وَجَلَّ" من قوله تعالى: {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ} فقوله تعالى: {مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ} هذا النُّزُول، وقوله عَزَّ وَجَلَّ: {ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ} هذا الصُّعودُ، ولا نُزُولَ إلا من عالٍ، ولا صعود إلا إلى عالٍ، فيُستفادُ عُلُوُّ الله تعالى من الجملتين جميعًا" يعني كل واحدة على انفراد.

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: أنَّ أَمْرَ الله عَزَّ وَجَلَّ شاملٌ للسَّماء والأرض" لأنَّه إذا كان يُدَبِّرُ الأَمْرَ من السَّماء إلى الأرض، فالسَّماءُ من باب أولى" فالسَّماء أَقْرَبُ إليه.

الْفَائِدَةُ الخَامِسَةُ: أنَّ هذا التَّدْبِير الذي يكون بلحظة: في يوم مقداره ألْفُ سَنَة: نزولٌ وعروجٌ يكون هذا بلحْظَة" لأنَّ اللهَ يقول: {كُنْ فَيَكُونُ} وهذا يدلُّ على كمال نفوذ إرادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وأنَّه لا يَمْنَعُها بُعْدٌ. (1)

* * *

[٦] ﴿ ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ذلك الذي يدبر ذلك كله هو عالم ما غاب وما حضر، يخفى عليه منهما شيء، العزيز الذي لا يغالبه أحد الذي ينتقم من أعدائه، الرحيم بعباده المؤمنين. (2)

* * *

يَعْنِي:- ذلك الخالق المدبِّر لشؤون العالمين، عالم بكل ما يغيب عن الأبصار، مما تُكِنُّه الصدور وتخفيه النفوس، وعالم بما شاهدته الأصار، وهو القويُّ الظاهر الذي لا يغالَب، الرحيم بعباده المؤمنين. (3)

* * *

(1) انظر: (تفسير القرآن الكريم) للشيخ (محمد بن صالح العثيمين) في سُورَة (السَّجْدَة) الآية (5).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/415). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/415)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

يَعْنِي:- ذلك الموصوف بالخلق والاستواء والتدبير عالِمٌ ما غاب عن الخلق وما شاهدوه، الغالب أمره، الواسع الرحمة. (1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{ذلك} .... المدبِّر.

{عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} .... أي: يعلم الظاهر والباطن. (أي: ما غاب عن الناس ولم يروه وما شاهدوه ورأوه).

{الْعَزِيزُ} .... الغالبُ.

{الرَّحِيمُ} .... بعباده.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {6} قوله تعالى:

{ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ}.

يقول تعالى ذكره: هذا الذي يفعل ما وصفت لكم في هذه الآيات، هو {عالم الغيب}، يعني: عالم ما يغيب عن أبصاركم أيها الناس، فلا تبصرونه مما تكنه الصدور وتخفيه النفوس، وما لم يكن بعد مما هو كائن،

{والشهادة} يعني: ما شاهدته الأبصار فأبصرته وعاينته وما هو موجود.

{العَزِيزُ} يقول: الشديد في انتقامه ممن كفر به، وأشرك معه غيره، وكذّب رسله.

{الرَّحِيمُ} بمن تاب من ضلالته، ورجع إلى الإيمان به وبرسوله، والعمل بطاعته، أن يعذّبه بعد التوبة. (2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {6} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} أَيْ: الْمُدَبِّرُ لِهَذِهِ الْأُمُورِ الَّذِي هُوَ شَهِيدٌ عَلَى أَعْمَالِ عِبَادِهِ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ جَلِيلُهَا وَحَقِيرُهَا، وَصَغِيرُهَا وَكَبِيرُهَا -هُوَ {الْعَزِيزُ} الَّذِي قَدْ عَزَّ كُلَّ شَيْءٍ فَقَهَرَهُ وَغَلَبَهُ، وَدَانَتْ لَهُ الْعِبَادُ وَالرِّقَابُ،

{الرَّحِيمُ} بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ. فَهُوَ عَزِيزٌ فِي رَحْمَتِهِ، رَحِيمٌ فِي عِزَّتِهِ وَهَذَا هُوَ الْكَمَالُ: الْعِزَّةُ مَعَ الرَّحْمَةِ، وَالرَّحْمَةُ مَعَ الْعِزَّةِ، فَهُوَ رَحِيمٌ بِلَا ذُلّ. (3)

* * *

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {6} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ذَلِك} الْمُدبر {عَالم الْغَيْب} مَا غَابَ عَن الْعباد وَمَا يكون {وَالشَّهَادَة} مَا علمه الْعباد وَمَا كَانَ {الْعَزِيز} بالنقمة من الْكفَّار {الرَّحِيم} بِالْمُؤْمِنِينَ. (4)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {6} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} معنى ذَلِكَ الَّذِي صَنَعَ

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/619)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (6) للإمَامْ (الطبري).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (6).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (6) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

مَا ذَكَرَهُ مِن خلق السماوات والأرض عالم ما غاب عن عيان الْخَلْقِ وَمَا حَضَرَ، {الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ}. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {6} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{ذَلِكَ} الذي خلق تلك المخلوقات العظيمة، الذي استوى على العرش العظيم، وانفرد بالتدابير في المملكة،

{عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} فبسعة علمه، وكمال عزته، وعموم رحمته، أوجدها، وأودع فيها، من المنافع ما أودع، ولم يعسر عليه تدبيرها. (2)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {6} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ذَلِكَ (3) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} أي ما غاب عن الناس وما حضر فشاهدوه أي العالم بكل شيء.

وقوله: {الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} أي: الغالب على مراده من خلقه الرحيم بالمؤمنين من عباده، (4)

* * *

قال: الشيخ (محمد بن صالح العثيمين) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {6} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ} قال رَحِمَهُ الله: ﴿{ذَلِكَ} الخالقُ المدبِّر﴾ وأتى باسْمِ الإشارَةِ الدالَّة على البُعْد؛ لِعظَم شأنه وعُلُوِّه تَبارَكَ وتَعالَى،

وقوله: ﴿الخالقُ المدبِّرُ﴾ الذي تقدم من الصِّفات: الخالق، المستوي على عَرْشِه، المدبِّر لخَلْقه.

والإستواءُ على عرشه من أَهَمِّ ما يكونُ في هذا المقامِ؛ لأنَّه مع عُلُوِّه لا يخفى عليه ما غاب ولا ما شُوهِدَ، فكان ينبغي أن يَذكُرَه المُفَسِّر مع هذا.

فهو الخالقُ، وهو المدبِّر، وهو المُسْتَوِي على عَرْشِه، ومع عُلُوِّه واسْتِوائه على عَرْشِه لا يخفى عليه شيءٌ، ومع خَلْقه أيضًا وتَدْبيره لا يخفى عليه شيءٌ، ولهذا الرَّبُّ سُبْحانَهُ وَتَعالَى أعلَمُ منك بنفسك؛ لأنَّه هو الخالقُ، فهو الذي خلق جِسْمَك، وهو الذي يُنمِّيه، وإذا نَما الجِسْمُ بمقدار ذرَّة، فإنَّ اللهَ تعالى قد خلق هذا النُّموَّ، وأنتَ لا تَشْعُرُ بما ينمو في جِسْمك بمقدار ذرَّة.

إذَن: فالله أعْلَمُ منك بنَفْسِك؛ لأنَّه الخالقُ وهو المدبِّرُ، وهو المستوي على عَرْشِه.

قوله رَحِمَهُ الله: ﴿{عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} أي: ما غاب عن الخَلْق وما حضَرَ﴾

الغَيْبُ: ما غاب عن الخَلْق، وهو نوعان: غَيْبٌ مُطْلَقٌ لا يَعلَمُه إلا الله، وغَيْبٌ نِسْبِيٌّ؛ بحيث يكون غائبًا عن شخْص غيرَ غائبٍ عن آخَر،

---

(1) انظُر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (6).

(2) انظُر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (6) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) – {ذلك} ...اسم إشارة عائد إلى اسم الجلالة أي: ذلك الرب العظيم والإله الحكيم الذي خلق السموات وما بينهما المدبر للملكوت المتصرف في الموجودات هو عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم المستحق للعبادة والمحبة والخوف دون غيره من سائر المخلوقات.

(4) انظُر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (6) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

والمراد كلاهما" فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَعْلَمُ ما غاب عن الخَلْقِ غَيْبًا مُطْلقًا بحيث لا يَعْلَمُه أحدٌ، وما غاب عنهما غيبًا نسبيًا" فمثلًا الآن الذي في الشَّارع غائبٌ عنَّا لا نعلمه، لكنَّ الذين هناك يَعْلَمُونه، وما هنا نحن نَعْلَمُه، وهم لا يَعْلَمُونه" فهذا الغَيْبُ النِّسْبيُّ" أما علمُ المستقبَل، وما يكون ممَّا لم يُخْبِرْنا الله به، فإنه غَيْبٌ مُطْلَقٌ.

وقوله عزَّ وَجلَّ: {وَالشَّهَادَةِ} الشَّهادة يقول رَحِمَهُ الله إنَّها الحُضُور" لأنَّ (شَهِدَ) بمعنى حضر وبمعنى أخبر" فلها معان، فهنا المرادُ بالشَّهادة الحاضر، فهو يَعْلَمُ الغائِبَ والحاضرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وقوله رَحِمَهُ الله: {الْعَزِيزُ} المَنيعُ في مُلْكِه {الرَّحِيمُ} بأَهْل طاعَته.

{الْعَزِيزُ} فسَّره المُفَسِّر بأنه المنيعُ في مُلْكه ودائمًا يمر علينا في تفسيرِ المُفَسِّر نفسه فيقول: العزيزُ بمعنى الغالب، وقد سبق لنا: أنَّ العزيزَ هو مَن اتَّصفَ بالعِزَّة، وأنَّ العِزَّةَ ثلاثةُ معانٍ: عِزَّةُ القَدْر، وعِزَّةُ القَهْر، وعِزَّةُ الإمتناع.

فإذا قُلْتَ: هذا الشَّيءُ عزيزٌ" بمعنى أنه ذو قَدْر، كما يقول قائلٌ لأخيه: أنت عزيزٌ عندي" يعني: لك قَدْرٌ عندي ومَنْزِلَةٌ، وعزيزُ القَهْر، كما يُقال: {وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا} [الفتح: 3].

يعني: تَقْهَرُ به الأعداءَ. والثَّالث: عِزَّةُ الإمْتناع، وهذا كما يُقال في الأشياء النَّادرة: هذا عزيزٌ،

وكما في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ} [إبراهيم: 20] أي: بمُمْتَنِع.

فمعنى الإمتناع باعتبار كونه صفةً لله: أنه يَمْتَنِعُ أن يناله نَقْصٌ في ذاته أو صفاته" ولهذا يقول المُفَسِّر هنا﴿المنيعُ في مُلْكه﴾ فلا يَلْحَقُه نقصٌ لا في ذاته ولا في صفاته.

وأمَّا قوله: ﴿{الرَّحِيمُ} بأهْل طاعَته﴾ فكأنه أخذ هذا التَّخصيصَ من قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا} [الأحزاب: 43].

والصَّوابُ: أنَّ الرَّحيمَ هو مَن رَحِمَ غيرَه، ويَشْمَل المؤمنينَ وغيرَ المُؤمنينَ، ولكنَّه إذا قيل: {وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا} فالمراد بالرَّحيم هنا الرَّحمةُ الخاصَّةُ، أمَّا إذا أُطْلِقَ فهو رحيمٌ بالخَلْق كُلِّهِمْ،

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ} [النحل: 53] فهؤلاء الكُفَّارُ هل الله عزَّ وَجلَّ رحمهُم؟

الجوابُ: نعم، بالمعنى العامِّ رَحِمَهُم" فهو تعالى يُنْزِلُ عليهم المَطَرَ ويُنْبِتُ لهم النَّبات ويُعْطيهم الرِّزْقَ والصِّحَّة، وغير ذلك، لكن هذه رَحْمَةٌ عامَّةٌ.

أما رَحْمَتُه بالمؤمنينَ فهي رحمةٌ عامَّةٌ وخاصَّةٌ.

* * *

من فوائد الآية الكريمة:

الفَائِدَةُ الأُولَى: إثباتُ عموم عِلْمِ الله" لقوله تعالى: {عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ}.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: إثباتُ هذين الإسمين من أسمائه: العزيز الرَّحيم، وما تضَمَّناه من الصِّفة وهي العِزَّة والرَّحمة، وكمالُ عزَّته ورَحْمَته باجتماعهما: أنه مع كونه عزيزًا قاهرًا غالبًا فهو أيضًا رحيم" لأنَّ بعض الأعزَّاء إذا عَزَّ لا يَرحَم، وبعض الرُّحماء تَصِلُ به الرَّحْمةُ إلى أن يكون في مقام الذُّلّ" فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جامعٌ بين العزِّ والرَّحْمَة، وهذا من كماله" يعني: الجمعُ بين العِزَّة والرَّحمة فيه كمالٌ أكثرُ من إثبات العِزَّة والرَّحْمة، وهو: أنَّ رَحْمَتَه مقرونةٌ بعِزِّ ليست رحمةَ ذل، وأنَّ عِزَّته أيضًا مقرونة برَحْمَة ليست عِزَّةَ جَبَروت لا رحْمَةَ فيها.(1)

* * *

[٧] ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

الذي أتقن كل شيء خلقه، وبدأ خلق آدم من طين على غير مثال سابق.(2)

* * *

يَعنْي:- الله الذي أحكم خلق كل شيء، وبدأ خَلْقَ الإنسان، وهو آدم -عليه السلام- من طين.(3)

* * *

يَعنْي:- الذى أتقن كل شئ خلقه بحسب ما تقتضيه حكمته، وبدأ خلق الإنسان الأول من طين.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{أَحْسَنَ} .... أتقن وأحكم.

{وَبَدأَ خَلْقَ الإنْسَانِ} ... أي: بدأ خلق آدم – عليه السلام- {مِنْ طِينٍ}.

* * *

﴿ الْقِرَاءآت ﴾

{الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ} .... قرأ (نافع)، و(الكوفيون): (خَلَقَهُ) بفتح اللام" أي: كل شيء خلقه حسن،

وقرأ الباقون: بإسكانها(5)، أي: أحسنَ كمل خلقَ كلِّ شيء" أي: أتقنه وأحكمه.(6)

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَة السَّجْدَة} الآية {7} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ} أحكم كل شيء خلقه {وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ} يَعْنِي: آدم {مِن طِينٍ} أخذ من أديم الأرض.(7)

* * *

(1) انظر: (تفسير القرآن الكريم) للشيخ (محمد بن صالح العثيمين) في سُورَة (السَّجْدَة) الآية (6).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/415). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/415)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/619)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) انظر: "السبعة" لابن مجاهد (ص: 156)، و"التيسير" للداني (ص: 177)، و"تفسير البغوي" (3/ 519)، و"معجم القراءات القرآنية" (5/ 98).

(6) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن) في سُورَة (السَّجْدَة) الآية (7) للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(7) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَة (السَّجْدَة) الآية (7) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما –.

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-{سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {7} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ} قَرَأَ: (نَافِعٌ)، وَ(أَهْلُ الْكُوفَةِ) {خَلَقَهُ} بِفَتْحِ اللَّامِ عَلَى الْفِعْلِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: بِسُكُونِهَا، أَيْ: أَحْسَنَ خَلْقَ كُلِّ شَيْءٍ،

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): أتقنه وأحكمه.

وقال: (قتادة): حسن.

وَقَالَ: (مُقَاتِلٌ): عَلِمَ كَيْفَ يَخْلُقُ كُلَّ شَيْءٍ، مِنْ قَوْلِكَ: فُلَانٌ يُحْسِنُ كَذَا إِذَا كَانَ يَعْلَمُهُ.

وَقِيلَ: خَلَقَ كُلَّ حَيَوَانٍ عَلَى صُورَتِهِ لَمْ يَخْلُقِ الْبَعْضَ عَلَى صُورَةِ الْبَعْضِ، فَكُلُّ حَيَوَانٍ كَامِلٌ فِي خَلْقِهِ حَسَنٌ، وَكُلُّ عُضْوٍ مِنْ أَعْضَائِهِ مُقَدَّرٌ بِمَا يَصْلُحُ بِهِ مَعَاشُهُ،

{وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ} يَعْنِي: آدَمَ.[1]

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-{سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {7} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ} أي: كل مخلوق خلقه الله، فإن الله أحسن خلقه، وخلقه خلقًا يليق به، ويوافقه، فهذا عام.

ثم خص الآدمي لشرفه وفضله فقال: {وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ} وذلك بخلق آدم عليه السلام، أبي البشر.[2]

* * *

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (7).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (7) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره): -{سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {7} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ}[3] أي: أحسن خلق كل مخلوق خلقه أي: جوّد خلقه وأتقنه وحسنه.

وقوله: {وَبَدَأَ خَلْقَ الْأِنْسَانِ مِنْ طِينٍ} أي وبدأ خلق آدم من طين وهو الإنسان الأول،[4]

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-{سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {7} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ} يقول تعالى ذكره: وبدأ خلق آدم من طين.[5]

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-(بسنده الصحيح) – عن (مجاهد): {أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ} قال: أتقن كل شيء خلقه.[6]

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-(بسنده الحسن)– عن (قتادة): {الَّذِي

---

(3)- قرأ: (نافع)، و(حفص): خلقه بصيغة الماضي، وقرأ بعضٌ: خلقه بإسكان اللام على أنه مصدر خلق يخلق خلقاً وهو بدل اشتمال من كل شيء ومعنى أحسن أتقن وأحكم، قال (عكرمة): ليست أست القرد بحسنة ولكنها متقنة محكمة.

(4) انظُر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (7) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(5) انظُر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (7) لِلإِمَامْ (الطبري).

(6) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (171/20).

أحْسَنَ كُلَّ شَيءٍ خَلَقَهُ} حسن على نحو ما خلق.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

(بسنده الحسن)– عن (قتادة): {وَبَدأ خَلْقَ الإِنْسانِ مِنْ طِينٍ} وهو خلق آدم ثم جعل نسله: أي ذريته من سلالة من ماء مهين والسلالة هي الماء المهين الضعيف.(2)

* * *

انظر: سورة – (الرعد)- آية (8-9) وتفسيرها. كما قال تعالى: {اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ (8) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (9)}.

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {7} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ}.

يَقُولُ تَعَالَى: إِنَّهُ الَّذِي أَحْسَنَ خَلْقَ الْأَشْيَاءِ وَأَتْقَنَهَا وَأَحْكَمَهَا.

وَقَالَ: (مَالِكٌ)، عَنْ (زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ): {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ} قَالَ: أَحْسَنَ خَلْقَ كُلِّ شَيْءٍ. كَأَنَّهُ جَعَلَهُ مِنَ الْمُقَدَّمِ وَالْمُؤَخَّرِ.

ثُمَّ لَمَّا ذَكَرَ خلق السموات وَالْأَرْضِ، شَرَعَ فِي ذِكْرِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ فَقَالَ: {وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (171/20).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (173/20).

مِنْ طِينٍ} يعني: خَلَقَ أَبَا الْبَشَرِ آدَمَ مِنْ طِينٍ.(3)

* * *

قال: الشيخ (محمد بن صالح العثيمين) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {7} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ} بفتح اللام فعلًا ماضيًا" صفةً، وبِسُكُونها بدلُ اشتمال﴾ "الذى أحْسَنَ كُلَّ شَيءٍ خَلْقَهُ" القراءَةُ الثَّانية سَبْعِيَّة" فعلى القراءَة الأُولى: {أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ} الجُمْلَة فعليَّة صفةٌ لشَيْء" وعلى القراءَة الثَّانية: "الذى أحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ" يقول:﴿بَدَلُ اشتمال﴾ ويكون المعنى: الَّذي أَحْسَنَ خَلْقَ كُلِّ شَيْءٍ" لأنَّه سَبَقَ لنا أن القاعدَةَ في بدل الإشتمال: أنه يَصِحُّ إضافَتُهُ إلى المُبْدَلِ منه" تقول: نَفَعَنِي زَيْدٌ عِلْمُهُ" فتقول: نفعني عِلْمُ زَيْدٍ، وتقول: أعْجَبَنِي زَيْدٌ فَهْمُهُ" أي: فَهْمُ زَيْدٍ، وتقول: اشْتَرَيْتُ زَيْدًا ثَوْبَهُ" أي: ثَوْبَ زَيْدٍ، هذا بدلُ الإشتمال، فإنَّه يصحُّ أن يُضافَ إلى المُبْدَلِ منه" على أنَّه يُحْتَمَلُ أنْ تكون (ثَوْبَه) بَدَلَ غَلَطٍ، كأنَّه أراد أن يقول: اشْتَريتُ ثَوْبَ زَيْدٍ، فقال: اشتريتُ زيدًا ثوبَه.

فهنا نقول قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {الذى أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ} يعني: الذي أَحْسَنَ خَلْقَ كُلِّ شيء، والمعنى أنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو الخالِقُ، وأنَّ كلَّ شيء خَلَقَه فقد أحسَنَه، ولكنَّ هذا الإحسان يتفاوَتُ" ففي الآدَمِيِّ

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (7).

يقول عز وجل: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} {التين: 4}.

وقال: {الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ} {الإنفطار: 7} أحسن خلقة من الحيوانات هو الآدمي، ولكنْ مع ذلك كلُّ شيءٍ له خلقَة تناسبه وهي بالنِّسْبة إليه حسَنَة،

{وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا} {الأنعام: 142} الحمُولَةُ: ما يُحمَلُ عليه، والفَرْشُ ما لا يُحمَلُ عليه، كلُّ شيءٍ من هذا وهذا فإنَّه قد خُلِقَ على أحْسَنِ ما يكون وأنْسَبِ ما يكون لما خُلِقَ له.

قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {وَبَدَأَ} يعني: ابتداءه،

وقوله تعالى: {خَلْقَ الْإِنْسَانِ} هل المرادُ الجنْسُ أو المراد العَيْنُ" بدأ خلق الإنسان؟ المُفَسِّر مشى على المراد العَيْن، وهو الإنسان المُعيَّنُ وهو آدم، ويُحْتَمَل أن يكون المرادُ به الجِنْسُ، وبدأ خلْق الإنسان" لأنَّ آدمَ من الإنسان فإن الله بيَّن أنَّ ابتداء خلق هذا الإنسان أصْلُه من الطِّين، وفرقٌ بين قوله تعالى: {وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ} وبين: {خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ} فإنَّ الأخيرة أبْيَنُ في كون المراد به شيئًا فشخصًا مُعيَّنًا بخلاف (بدأ).

على كلِّ حال: فالآيةُ مُحْتَمِلَةٌ أن يكون آدَمَ أو أن يكون المرادُ به الجِنْسَ، على القول: أنه آدم نمشي.(1)

* * *

[٨] ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ثم جعل ذريته من بعده من الماء الذي انسل فخرج منه (المني).(2)

* * *

يَعنِي:- ثم جعل ذرية آدم متناسلة من نطفة ضعيفة رقيقة مهينة.(3)

* * *

يَعنِي:- ثم جعل ذريته - بعد ذلك - متخلقة من ماء قليل ضعيف لا يُؤْبَه له في العادة.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ} ... ذريته، أي: ذرية آدم ناشئة.

{نَسْلَهُ} ... ذُرِّيَّتَهُ.

{مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ} .... أي: ذرية آدم من علقة من ماء النطفة.

{مِنْ سُلَالَةٍ} .... من نطفة" لأنها تُسل من الإنسان.

(يقول: من الماء الذي انسل فخرج منه. وإنما يعني من إراقة من مائه).

{سُلَالَةٍ} ... وَهِيَ النُّطْفَةُ" لِأَنَّهَا مُسْتَلَّةٌ مِنْ جَمِيعِ البَدَنِ.

---

(1) انظر: (تفسير القرآن الكريم) للشيخ (محمد بن صالح العثيمين) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (7).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (415/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (415/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (619/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ} ... من نطفة ضعيفة رقيقة.

(أي: وهو النطفة المستقذرة الضعيفة).

{مَّهِين} ... ضَعِيف، رَقِيق.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

انظـر: سـورة – (المؤمنون)- آيـة (13-14).

- كما قـال تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14)}.

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سُورَةُ السَّجْدَةَ} الآية {8} قوله تعالى: {ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ} يعني: ذريته {مِنْ سُلَالَةٍ} يقول: من الماء الذي انسل فخرج منه. وإنما يعني من إراقة من مائه، كما قال الشاعر: فجاءتْ بِهِ عَضْبَ الأديمِ غَضَنْفَرًا ... سُلالَةَ فَرْجٍ كانَ غيرَ حَصِين (1)

وقوله: {مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ} يقول: من نطفة ضعيفة رقيقة. (2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةَ} الآية {8} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ} أَيْ: يَتَنَاسَلُونَ كَذَلِكَ مِنْ نُطْفَةٍ تَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ صُلْبِ الرَّجُلِ وَتَرَائِبِ الْمَرْأَةِ. (3)

* * *

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):- {سُورَةُ السَّجْدَةَ} الآية {8} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ} ذريته {مِنْ سُلَالَةٍ} نُطْفَة {مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ} من نُطْفَة ضَعِيفَة من مَاء الرجل وَالْمَرْأَة. (4)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةَ} الآية {8} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ} يعني: ذريته، {مِنْ سُلَالَةٍ} نُطْفَةٍ سُمِّيَتْ سُلَالَةً لِأَنَّهَا تُسَلُّ مِنَ الْإِنْسَانِ {مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ} أي ضعف وَهُوَ نُطْفَةُ الرَّجُلِ. (5)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةَ} الآية {8} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ} أي: ذرية آدم ناشئة {مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ} وهو النطفة المستقذرة الضعيفة. (6)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةَ} الآية {8} قَوْلُهُ

---

(1) البيت: (مجاز القرآن لأبي عبيدة الورقة (162 - ب) عند قوله تعالى: (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) في سورة المؤمنين. (الجزء 18: 8) فراجعه ثمة.

(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سُورَةُ (السَّجْدَةَ) الآية (8) لِلْإِمَامْ (الطبري).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) لِلْإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (السَّجْدَةَ) الآية (8).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (السَّجْدَةَ) الآية (8) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(5) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلْإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (السَّجْدَةَ) الآية (8).

(6) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (السَّجْدَةَ) الآية (8) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

تَعَالَى: {ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ} أي: نسل الإنسان {مِنْ سُلَالَةٍ} وهي العلقة {مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ}(1) وهو النطفة، (2)

* * *

قال: الشيخ (محمد بن صالح العثيمين) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {8} ويُستَفاد مِن قَوْلِه تعالى: {ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ}:

الْفَائِدَةُ الأُولَى: أنَّ هذا الإنسانَ الذي خُلِقَ مِن الطِّينِ له نَسْلٌ، وجعَلَ له نسلًا من أجل أن يبقى هذا النَّوعُ من المخلوقات" لقوله تعالى: {ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ}.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: أنَّ الإنسانَ يُخْلَقُ من المَنِيِّ" لقوله تعالى: {نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ} والسُّلالةُ هي الخُلاصَةُ، والماءُ المَهِينُ هو المنيُّ، وعلى هذا فهو مَخْلوقٌ من مَنِيِّ الرَّجُلِ لا مَنِيِّ الأُنثَى" لأنه ماءٌ من المَنِيِّ.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: حكمة الله عَزَّ وَجَلَّ لهذا الماء" حيث جَعَلَه على هذا الضَّعف وعلى هذا النَّوْع من أجل حفظ الحيوانِ المنويِّ" إذ لو كان سائلًا سُيُولَةَ الماء ما احتفظ بهذه الحيوانات، ولو كان غليظًا أثْخَنَ من هذا لكان منه ضَرَرٌ على هذه الحيوانات، فربما تموتُ، ولكنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ جعله على هذا الوَضْعِ المُناسِب. (3)

* * *

[٩] ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ثم أتم خلق الإنسان سويًا، ونفخ فيه من روحه بأمر المَلَك الموكل بنفخ الروح، وجعل لكم -أيها الناس- الأسماع لتسمعوا بها، والأبصار لتبصروا بها، والأفئدة لتعقلوا بها، قليلًا ما تشكرون هذه النعم لله التي أنعم بها عليكم. (4)

* * *

يَعنْي:- ثم أتم خلق الإنسان وأبدعه، وأحسن خلقته، ونفخ فيه من روحه بإرسال الملك له" لينفخ فيه الروح، وجعل لكم -أيها الناس- نعمة السمع والأبصار يُميَّز بها بين الأصوات والألوان والذوات والأشخاص، ونعمة العقل يُميَّز بها بين الخير والشر والنافع والضار. قليلا ما تشكرون ربكم على ما أنعم به عليكم. (5)

* * *

يَعنْي:- ثم قوَّمه ووضع فيه من سره الذى اختص به، وجعل لكم السمع والأبصار والعقول لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا، ما تشكرون إلا شكراً قليلا. (6)

* * *

---

(1) (المهين): المتهن الذي لا يعبأ به.

(2) انظُر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (8) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(3) انظُر: (تفسير القرآن الكريم) للشيخ (محمد بن صالح العثيمين) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (8).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (415/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (415/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(6) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (619/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

شرح و بيان الكلمات :

{ثُمَّ سَوَّاهُ} .... قوَّمه وسَوَّى خلقَه.

{ثم سواه ونفخ فيه من روحه} .... أي: سوى الجنين في بطن أمه ونفخ فيه الروح فكان حياً كما سوى آدم أيضاً ونفخ فيه من روحه فكان حيا.

{وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ} ....أي: جعل فيه الشيء الذي اختص تعالى به، ولذلك أضافه إليه، فصار بذلك حيًّا حساسًا بعد أن كان جمادًا، لا أن ثمَّ حقيقة نفخ، ثم عاد إلى ذريته.

{وجعل لكُمُ} بعد أن كنتم نُطفًا.

{السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ} .... يعني: لا تشكرون إلا شكرًا قليلًا.

{والأفئدة} .... أي: القلوب.

{قليلا ما تشكرون} .... أي: ما تشكرون الله على نعمة الإيجاد والإمداد إلا شكراً قليلا لا يوازي قدر النعمة.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية :

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {9} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ثُمَّ سَوَّاهُ} يَعْنِي: آدَمَ، لَمَّا خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ خَلَقَهُ سَوِيًّا مُسْتَقِيمًا،

{وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ} ، يَعْنِي: الْعُقُولَ،

{قَلِيلا مَا تَشْكُرُونَ} أَيْ: بِهَذِهِ الْقُوَى الَّتِي رَزَقَكُمُوهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. فَالسَّعِيدُ مَنِ اسْتَعْمَلَهَا فِي طَاعَةِ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ.(1)

* * *

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {9} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ثُمَّ سَوَّاهُ} جمع خلقه فِي بطن أمه {وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ} جعل الرّوح فِيهِ {وَجَعَلَ لَكُمُ السّمع} خلق لكم السّمع لكَي تسمعوا بِهِ الْحق وَالْهدى {والأبصار} لكَي تبصروا بهَا الْحق وَالْهدى {والأفئدة} يَعْنِي: الْقُلُوب لكَي تفقهوا بهَا الْحق وَالْهدى. {قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ} شكركم بِمَا صنع إِلَيْكُم قَلِيل.(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {9} قوله تعالى: {ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأبْصَارَ وَالأفْئِدَةَ قَلِيلا مَا تَشْكُرُونَ} .

يقول تعالى ذكره: ثم سوّى الإنسان الذي بدأ خلقه من طين خلقا سويا معتدلا،

{وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ} فصار حيا ناطقا،

{وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأبْصَارَ وَالأفْئِدَةَ قَلِيلا مَا تَشْكُرُونَ} يقول: وأنعم عليكم أيها الناس ربكم بأن أعطاكم السمع تسمعون به الأصوات، والأبصار تبصرون بها الأشخاص والأفئدة، تعقلون بها الخير من السوء، لتشكروه على ما وهب لكم من ذلك.

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورةُ (السَّجْدَة) الآية (9).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورةُ (السَّجْدَة) الآية (9) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

وقوله: {قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ} يقول: وأنتم تشكرون قليلا من الشكر ربكم على ما أنعم عليكم.(1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-{سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {9} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ثُمَّ سَوَّاهُ} ثُمَّ سَوَّى خَلْقَهُ، {وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ} ثُمَّ عَادَ إِلَى ذُرِّيَّتِهِ، فَقَالَ: {وَجَعَلَ لَكُمُ} بَعْدَ أَنْ كُنْتُمْ نُطَفًا، {السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ} يَعْنِي: لَا تَشْكُرُونَ رَبَّ هَذِهِ النعم فتوحدونه.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-{سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {9} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ثُمَّ سَوَّاهُ} بلحمه، وأعضائه، وأعصابه، وعروقه، وأحسن خلقته، ووضع كل عضو منه، بالمحل الذي لا يليق به غيره، {وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ} بأن أرسل إليه الملك، فينفخ فيه الروح، فيعود بإذن الله، حيوانا، بعد أن كان جماداً.

{وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ} أي: ما زال يعطيكم من المنافع شيئاً فشيئا، حتى أعطاكم السمع والأبصار {وَالأفْئِدَةَ قَلِيلا مَا تَشْكُرُونَ} الذي خلقكم وصوركم.(3)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {9} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ} أي سوّى آدم ونفخ فيه من روحه، كما سوّى الإنسان في رحم أمه أي: سوى خلقه ثم نفخ فيه من روحه فكان إنساناً حيا،

وقوله: {وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ} أي القلوب أي لتسمعوا وتبصروا وتفقهوا لحاجتكم إلى ذلك لأن حياتكم تتطلب منكم مثل ذلك ومع هذه النعم الجليلة {قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ}(4) أي: لا تشكرون إلا قليلاً.(5)

* * *

قال: الشيخ (محمد بن صالح العثيمين) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {9} ويُستَفاد من قَوْلِهِ تعالى: { ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ }.

الفَائِدَةُ الأُولَى: أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَكْمَلَ خَلْقَ الإنسانِ" لقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {ثُمَّ سَوَّاهُ} ويؤيِّدُ ذلك قوله عَزَّ وَجَلَّ: {لَقَدْ

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمامْ (الطبري). في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (9).

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (9).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (9) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) جائز أن يكون المراد عدم شكرهم مطلقا فهو كناية عن العدم توبيخا لهم وتأنيباً.

(5) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (9) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} {التين: 4}.

وقوله تعالى: {وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ} {غافر: 64}.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: أنَّ الإنسانَ جِسْمٌ، ولا يكون إنسانًا إلا بالرُّوح" لقوله تعالى: {وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ}.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: ومنها - وليس بذاك القويّ -: أنَّ الرُّوحَ جِسْمٌ" لأنَّها تُنْفَخُ في هذا الجِسْمِ البائد، وهو كذلك، فإنَّ الرُّوح جِسْمٌ لكنَّها جِسْمٌ لطيف لا يُرَى، مع أنَّ الملائكة تَقْبِضُه وتَجْعَلُه في الحَنُوط وتَصْعَدُ به إلى السَّماء، لكن نحن لا نراه عندما تَخْرُجُ رُوحُ الميِّت ونحن عنده.

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: بيان نعْمَة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على الإنسان بجَعْلِ السَّمْعِ والأَبْصارِ والأَفْئِدَةِ التي بها إدراكُ المعقولِ وعقلُه" فإدراكُ المَعْقولِ بالسَّمْعِ والبَصَرِ، وعقلُه بالقَلْبِ ووعْيِه.

الْفَائِدَةُ الخَامِسَةُ: أنَّ الإنسانَ قليلُ الشُّكْر" لقوله تعالى: {قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ} كما أنَّ الشَّاكِرَ قليلٌ أيضًا، فالشَّاكِرُ قليلٌ والقائمُ بالشُّكْرِ على الوَجْهِ المطلوب قليل"،

قال الله تعالى: {وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} {سبأ: 13}.

والشَّاكِرُ قليلٌ" لأنه من حيث الأفرادُ والأشْخاصُ واحدٌ في العَشَرة، وهذا قليلٌ، ونَفْسُ الواحد هذا أيضًا شُكْرُه قليلٌ، فالشَّاكِرُ قليلٌ، وشُكْرُ الشَّاكِرِ أيضًا قليلٌ.

فقوله تعالى: {قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ} هذا باعتبارِ شُكْرِ الشَّاكِرِ،

وقوله تعالى: {وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} باعتبارِ الأَفْرادِ الشَّاكرينَ.

الْفَائِدَةُ السَّادِسَةُ: ذمُّ من لا يَشْكُرُ" لقوله تعالى: {قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ}.

الْفَائِدَةُ السَّابِعَةُ: أنَّه ينبغي للإنسان أن يكون شُكْرُه على حَسَب النِّعْمَة" ففي السَّمْعِ يَسْتَعْمِل السَّمْعَ فيما يُقَرِّبُ إلى الله وَيمْنَعُه عما حَرَّم الله، وكذلك في البَصَر"

أما القَلْبُ فيجب عليه أن يُعْرِضَ بِقَلْبِه عن كلِّ ما حَرَّم الله، وأن يُقْبِلَ بقَلْبِه على كلِّ ما أَمَر الله به. (1)

* * *

[١٠] ﴿ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وقال: المشركون المكذبون بالبعث: إذا متنا ومتنا في الأرض، وصارت أجسامنا ترابًا، فهل نُبْعَث أحياء من جديد؟! لا يعقل ذلك، بل هم في واقع أمرهم كافرون بالبعث لا يؤمنون به. (2)

* * *

يَعْنِي:- وقال المشركون بالله المكذبون بالبعث: أإذا صارت لحومنا وعظامنا ترابًا في الأرض أنُبعَث خلقًا جديدًا؟ يستبعدون ذلك غير طالبين الوصول إلى الحق، وإنما

(1) انظر: (تفسير القرآن الكريم) للشيخ (محمد بن صالح العثيمين) في سُورَة (السَّجْدَة) الآية (9).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (415/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

هو منهم ظلم وعناد" لأنهم بلقاء ربهم -يوم القيامة- كافرون.(1)

* * *

يَعنِي:- وقال المنكرون للبعث: أئذا صرنا ترابا مختلطا بتراب الأرض لا يتميز عنه، أئنا لنعود فى خلق جديد؟! ، إنهم لا ينكرون البعث - وحده - بل هم بجميع ما يكون فى الآخرة مكذبون.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَقَالُوا} .... منكرو البعث:

{أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ} .... ذهبنا وصرنا ترابًا، و(صَلَلْنَا) بالصاد المهملة: تغيرنا، والتلاوة بالأول.

{أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ} .... المعنى: أنبعث بعد موتنا وانعدامنا؟.

{أئذا ضللنا في الأرض} .... أي: غبنا فيها حيث فنينا وصرنا ترابا.

{ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ} ... تَحَوَّلْنَا تُرَابًا بَعْدَ الْمَوْتِ.

(أي: أُخْفِينَا فيها، وَصِرْنَا تُرَابًا مَخْلُوطًا بِتُرَابِهَا).

{أئنا لفي خلق جديد} .... أي: أنعود خلقا جديدا بعد فنائنا واختلاطنا بالتراب.

{بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ} .... أي: بالبعث بعد الموت.

(أي: لم يقف الأمر عند استبعادهم للبعث بل تعداه إلى كفرهم بلقاء ربهم، وهو الذي جعلهم ينكرون البعث.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية :

(تفسير ابن عباس):- قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {10} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالُوا} يعْني: أَبَا جهل وَأَصْحَابه {أئذا ضللنا} هلكنا {فِي الأَرْض} بعد المَوْت {أئنا لَفِي خَلْق جَدِيد} تجدّد بعد المَوْت هَذَا مَا لايكون {بَلْ هُم بِلقَآءِ رَبِّهِمْ} بِالْبَعْث بعد الْمَوْت {كافرون} جاحدون.(3)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {10} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالُوا} يعني: منكري البعث، {أَإِذَا ضَلَلْنَا} هلكنا {فِي الْأَرْضِ} وَصِرْنَا تُرَابًا وَأَصْلُهُ مِنْ قَوْلِهِمْ: ضَلَّ الْمَاءُ فِي اللَّبَنِ إِذَا ذَهَبَ، {أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ} اسْتِفْهَامُ إِنْكَارٍ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ} أَيْ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ.(4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {10} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالُوا

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (415/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (619/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (10) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (10).

{أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ}.

أي: قال المكذبون بالبعث على وجه الاستبعاد: {أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ} أي: بلينَا وتمزقنا، وتفرقنا في المواضع التي لا تُعْلَمُ.

{أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ} أي: لمبعوثون بعثًا جديدًا بزعمهم أن هذا من أبعد الأشياء، وذلك لقياسهم قدرة الخالق، بقدرهم.

وكلامهم هذا، ليس لطلب الحقيقة، وإنما هو ظلم، وعناد، وكفر بلقاء ربهم وجحد،

ولهذا قال: {بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ} فكلامهم علم مصدره وغايته، وإلا فلو كان قصدهم بيان الحق، لَبَيَّنَ لهم من الأدلة القاطعة على ذلك، ما يجعله مشاهداً للبصيرة، بمنزلة الشمس للبصر.

ويكفيهم، أنهم معهم علم أنهم قد ابتدئوا من العدم، فالإعادة أسهل من الابتداء، وكذلك الأرض الميتة، ينزل الله عليها المطر، فتحيا بعد موتها، وينبت به متفرق بذورها.(1)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {10} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ}.

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْمُشْرِكِينَ فِي اسْتِبْعَادِهِمُ الْمَعَادَ حَيْثُ قَالُوا: {أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ} أَيْ: تَمَزَّقَتْ أَجْسَامُنَا وَتَفَرَّقَتْ فِي أَجْزَاءِ الْأَرْضِ وَذَهَبَتْ،

{أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ}؟ أَيْ: أَئِنَّا لَنَعُودُ بَعْدَ تِلْكَ الْحَالِ؟! يَسْتَبْعِدُونَ ذَلِكَ، وَهَذَا إِنَّمَا هُوَ بَعِيدٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى قُدْرَتِهِم الْعَاجِزَةِ، لَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى قُدْرَةِ الَّذِي بَدَأَهُمْ وَخَلَقَهُمْ مِنَ الْعَدَمِ، الَّذِي إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" وَلِهَذَا قَالَ: {بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ}.(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {10} قوله تعالى: {وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ}.

يقول تعالى ذكره: وقال المشركون بالله، المُكذّبون بالبعث: {أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ} أي: صارت لحومنا وعظامنا ترابا في الأرض وفيها لغتان: ضَلَلْنَا، وَضَلِلنا. بفتح اللام وكسرها، والقراءة على فتحها وهي الجوداء، وبها نقرأ.

وذكر عن (الحسن) أنه كان يقرأ: {أَئِذَا صَلَلْنَا} بالصاد، بمعنى: أنتنا، من قولنا: صلّ اللحم وأصلّ إذا أنتن. وإنما عنى هؤلاء المشركون بقولهم: (أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ) أي: إذا هلكت أجسادنا في الأرض" لأن كل شيء غلب عليه غيره حتى خفي فيما غلب، فإنه قد ضلّ فيه، تقول العرب: قد ضلّ الماء في اللبن: إذا غلب عليه حتى لا يتبين فيه، ومنه قول الأخطل لجرير:

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (10) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (10).

كُنْتَ القَذَى في مَوجِ أكْدَرَ مُزْبِدٍ ... قَذَفَ الأَتِيُّ بِهِ فَضَلَّ ضَلالا.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن ليث، عن (مجاهد): (أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأرْضِ) يقول: أئذا هلكنا.(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن (ابن أبي نجيح)، عن (مجاهد): {أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأرْضِ} هلكنا.(3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد: قال: سمعت (الضحاك) يقول في قوله: {أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأرْضِ} يقول: أئذا كنا عظاما ورفاتا أنبعث خلقا جديدا؟ يكفرون بالبعث.(4)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن (قَتَادة): {وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ} قال: {قالوا أئذا كنا عِظامًا ورُفاتًا أئنا لَمبْعوثون خَلْقًا جَديدًا} .

وقوله: {بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ} يقول تعالى ذكره: ما بهؤلاء المشركين جحود قدرة الله على ما يشاء، بل هم بلقاء ربهم كافرون" حذرا لعقابه، وخوف مجازاته إياهم على معصيتهم إياه، فهم من أجل ذلك يجحدون لقاء ربهم في المعاد.(5)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {10} ما زال السياق في تقرير أصول العقيدة فأخبر تعالى عن منكري البعث فقال {وَقَالُوا}(6) أي: منكروا البعث الآخر {أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ}(7) أي غبنا فيها بحيث صرنا ترابا فيها {أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ} أي لعائدون في خلق جديد. وهذا منهم إنكار للبعث واستبعاد له، فقال تعالى مخبراً عن علة إنكارهم للبعث وهي أنهم بلقاء(8) ربهم كافرون إذ لو كانوا يؤمنون بلقاء الله

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (10).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (10).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (10).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (10).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (10).

(6) - الجملة استئناف لحكاية عقيدتهم في إنكار البعث والجزاء ليعلل لها بالعلة المناسبة ثم يقرر عقيدة البعث التي أنكروها وتعجبوا من حقيقتها بما هو لازم لها.

(7)- الاستفهام للتعجب والاستبعاد، والضلال الدخول في الأرض والغياب فيها إذ كل ما غاب في شيء ولم يظهر له وجود يقال ضل فيه كما يضل الماء في اللبن والميت في القبر قال الحارث الغساني شعرا:

(فآب مضلوه بعين جلية .... وغودر وبالجولان حزم ونائل)

(مضلوه أي مغيبوه).

(8)- بل هم بلقاء ربهم كافرون، بل للإضراب عن كلامهم أي ليس إنكارهم البعث لاستبعاده واستحالته لوجود الأدلة الواضحة على إمكانه بل وجوبه وإنما الباعث لهم على التكذيب به هو كفرهم التقليدي.

الذي وعدهم به لما أنكروا البعث والحياة لذلك.(1)

* * *

قال: الشيخ (محمد بن صالح العثيمين) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَة السَّجْدَة} الآية {10} قالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: {وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ}.

{وَقَالُوا} قال المُفَسِّر أي: مُنْكِرو البَعْث قالوا: يريدون هذه الشُّبْهَة: {أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ} قال المُفَسِّر رَحِمَهُ اللَّهُ: {أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ} غِبْنا فيها بأنْ صرنا ترابًا مُخْتلطًا بترابها هذا معنى {أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا} يعني: غِبْنا فيها وصرْنا ترابًا كسائر التُّراب، فإذا حصل ذلك: {أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ} اسْتفهامُ إنكار" يعني: أَنَكُونُ في خَلْقٍ جديد بعد أن أَكَلَتْنَا الأرضُ وضَلَلْنا فيها؟ ! والإسْتفهامُ هنا إنكاريٌّ" يعني: لن نكون ذلك، هذه الشُّبْهَة.

وهل هي حُجَّة أم غير حُجَّة؟

الجواب: ليست بحُجَّة" لأنَّنا نقول: أنتم خُلقْتُم من تراب، والذي خلقكم أوَّلًا من تراب قادرٌ على أن يُعيدكُم ثانيًا من هذا التُّراب" ولهذا جاءت هذه الآيةُ بعد ذكر خلق الإنسان من طين.

وقوله تعالى: {أَإِذَا ضَلَلْنَا} : (إذا) هذه شرطيَّة، جوابها مفهومٌ من الجُمْلَة بعدها" يعني: أإذا ضَلَلنا في الأرض نُنْشَأُ خَلْقًا جديدًا؟!.

وقولهم: {أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ} يعني: أيَتَأكَّدُ أنَّنا في خلق جديد.

ولهذا لو قال قائلٌ: إذا كانَت الجُمْلَةُ الإسْتفْهاميَّة هنا للإنكار، فكيفَ تأتي اللَّامُ الدَّالَّةُ على التَّوكيد {أَإِنَّا لَفِي}؟

نَقُول: المراد يُنْكِرون أن يتأكَّدَ ذلك، يعني: أيتأكَّدُ أنَّنا في خلقٍ جديدٍ بعد أن تأكُلَنا الأَرْض، وهو كقول إخْوة يُوسُفَ: {أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ} {يوسف: 90}.

فالمُهمُّ: أنَّ هذا التَّأْكيدَ كأنَّهم يُنْكِرون ما أُكِّدَ من كَوْنهم يُرْجَعون {أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ}.

وقوله تعالى: {لَفِي خَلْقٍ} هل الخَلْقُ هنا بمعنى المَخْلوق" يعني: أإنَّا لَنكونُ في أمَّة جديدة، أو أنه مَصْدَرٌ بمعنى التَّقريب" يعني {أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ} أي: لأن يَخْلُقَنا الله؟، يحتمل المعنيين، وكلاهما صحيحٌ ولا يَتَعارضان، يعني أَنَكُونُ في خلق جديد وأمَّة جديدة، أو أَنُخْلَقُ خَلقًا جديدًا بعد أن ضَلَلْنا في الأَرْض وكنَّا ترابًا؟!.

والجواب: وما ذلك على الله بِعَزِيز، فالذي أنشأكُم من التُّراب قادرٌ على أن يُعيدكُم منه سُبْحانَهُ وتَعالَى" حتى لو فَنِيَ الإنسانُ كلُّه، مع أنه ورد في الحديث أنه "يَفْنَى كُلُّهُ إِلَّا عَجَبَ الذَّنَب" (2) فإنَّه منه يُخْلَقُ الإنسانُ كالنَّواة بالشَّجرة، فيُستَثْنى من ذلك الأنبياءُ عليهم الصَّلاة والسَّلام" فإنَّ الله حرَّم على الأرض أن تأكُلَ أجسادَ الأنبياء، وهذا دليلٌ

(1) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَة (السَّجْدَة) الآية (10) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4935) – (كتاب: تفسير القرآن)،

وأخرجه الإِمَامُ (مسلم) في (صحيحه) برقم (2955)- (كتاب: الفتن)، / (باب: ما بين النفختين)، - من حديث – (أبي هريرة) - رضي الله عنه -.

على قُدْرَة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإلَّا فالأنبياءُ بَشَرٌ" لأنَّهم خُلقوا أصلًا من تراب، لكن الآن من لَحْم وعَظْم وجِلْد كسائر بني آدَم، ومع ذلك الأرْضُ لا تأكُلُ منهم شيئًا أبدًا، أمَّا غير الأنبياء فإنَّها تأكُلُهم، لكن قد يَحْمي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بدَنَ بَعْض النَّاس لا تأكله الأَرْض" على نوعٍ من الكرامَة.

وقوله تعالى: {وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ} فيها قراءَة: بتحقيق الهَمْزَتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوَجْهَين في الموضعَيْن، وحصار عجيب، وفي تحقيق الهمزتين في الموضعين فيُقرأ: {أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ} هذا التَّحْقيق، وإدخالُ ألف بين هَمْزَتين محقَّقَتَيْن: {أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ} هذا إدخالُ الألف، فعندنا ثلاثةُ ألفات" وتسهيل الثانية (أيذا) لا تجعلها مُحَقَّقةً بل بين الهمزة والياء: {أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ} بدون ألف، وبألف {أَإِذَا} لا تُبيِّنْ هذا، واجعلها بين الهمزة والياء، إذن فالقراءاتُ أَرْبَعٌ.

قال المُفَسِّر رحمهُ اللَّهُ: {بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ} بالبعث {كَافِرُونَ} يعني: {بَلْ} هنا للإضراب الإبطالي" يعني: بل الأمْرُ ليس كما شَبَّهوا ولبَّسُوا، فهم يعلمون قُدْرَة الله لكنَّهم جاحدون: {بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ}.

وقوله تعالى: {بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ} متعلِّقٌ بـ {كَافِرُونَ} و {كَافِرُونَ} خبرُ المبتدأ {هُمْ} أي: بل هم كافرون بلقاء ربِّهم أو بملاقاته. ومتى تكون الملاقاةُ؟

الجواب: تكون بالبَعْث، ومن كذَّبَ بلقاء الله فقد كفر بالله" ولهذا قال المُفَسِّر مفسِّرًا لها بالمراد لا بالمعنى" قال: ﴿بالبعث﴾ وإلَّا فهي أخص من البَعْث" فاللِّقاءُ بمعنى الملاقاة {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ} {الإنشقاق: 6}.

الإنسانُ أيُّ إنسان {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ} {الإنشقاق: 7} إلى آخره.

فهؤلاء الكافرونَ بلقاء الله" لأنَّهم لا يؤمنون بالبَعْث، ومن لم يُؤْمِنْ بالبَعْث لم يؤمِنْ بلقاء الله.

* * *

من فوائد الآية الكريمة:

الْفَائِدَةُ الأُولَى: توبيخُ هؤلاء المُنْكرينَ.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: أنَّ هؤلاء المكذِّبينَ كانوا شاكِّينَ في قُدْرَة الله" لقولهم: {أَإِذَا ضَلَلْنَا ... أَإِنَّا} ويُحْتَمَل أن يكون ذلك منهم مكابَرَةً وأنَّهم عالمون بقُدْرَة الله، لكن يُكابرون، ويُؤَيِّد هذا قوله تعالى: {بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ} يعني أنَّ الأمْرَ واضحٌ لكنْ هؤلاء كُفَّارٌ.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: تمامُ قُدْرَة الله عَزَّ وَجَلَّ بإعادَة الأَمْوات بعد أن غابوا في الأَرْض واضمحلُّوا فيها، فيُنْشِئُهُم الله تعالى خلقًا جديدًا.

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: إبطالُ قَوْلِ من يقول: إنَّ البَعْثَ إيجادٌ من عدَم" فإن هناك من يقول: إنَّ هذا الخَلْقَ يُعْدَم بالكُلِّيَّة ثم يُنْشَأُ من جديد، وهذا قولٌ باطلٌ" لأنه لو كان الأمْرُ كذلك لكان الثوابُ لمَن لا يَعْمَلُ، والعقوبة

على من لم يَعمَلْ، ولو قلنا إنَّه يُعدَمُ بالكلِّيَّة ثم يُنْشَأُ خَلْقًا جديدًا ويُحاسَبُ، فهذا الجديدُ ليس موجودًا بالأوَّل فيكون معاقبًا على ما لم يَفعَلْ ومُثابًا بما لا يَفعَلُ" والله تعالى قد بيَّنَ أنَّ الإنسانَ نَفْسَه هو الذي يُعادُ وليس يُعْدَمُ ثم يُخلَقُ من جديد، ولكنَّه يُعادُ، {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ} فلم يقلْ نَخْلُقُ غيْرَه.

والشَّاهدُ قَوْلُه: {أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ}: {أَإِذَا ضَلَلْنَا} يقولون: كيفَ بعدما نَغيبُ في الأَرْض ونكون ترابًا كيف نُبْعَثُ؟! فدلَّ هذا على أنَّ البَعْثَ هو إعادةُ ما سَبَقَ وليس باستدعاء خَلْق جديد.

الْفَائِدَةُ الخَامِسَةُ: أنَّ هؤلاء المُنْكِرينَ للبَعْث ليس عندهم حُجَّةٌ إلا مجرَّد الكُفْر"

لقوله تعالى: {بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ}.

الْفَائِدَةُ السَّادِسَةُ: إثباتُ ملاقاة الله عَزَّ وَجَلَّ يومَ القيامَة" لقوله تعالى: {بِلِقَاءِ} ومثْلُه قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ} {الإنشقاق: 6}. (1)

* * *

[١١] ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

قل: أيها الرسول - ﷺ - لهؤلاء المشركين المكذبين بالبعث: يتوفاكم ملك الموت الذي فوَّضه الله بقبض أرواحكم، ثم إلينا وحدنا يوم القيامة ترجعون للحساب والجزاء. (2)

* * *

يَعْنِي:- قل: أيها الرسول - ﷺ - لهؤلاء المشركين: يتوفاكم ملك الموت الذي وُكِّل بكم، فيقبض أرواحكم إذا انتهت آجالكم، ولن تتأخروا لحظة واحدة، ثم تُردُّون إلى ربكم، فيجازيكم على جميع أعمالكم: إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر. (3)

* * *

يَعْنِي:- قل: يتوفاكم ملك الموت الموكل بقبض أرواحكم عند انتهاء آجالكم، ثم إلى الله - وحده - تعودون. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{قل يتوفاكم ملك الموت} .... أي: يقبض أرواحكم ملك الموت المكلف بقبض الأرواح.

{قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ} .... يقبض أرواحكم.

{مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ} .... أي: وكل بقبض أرواحكم، وهو عزرائيل -عليه السلام-، والتوفي: هو استيفاء العدد، معناه: أنه يقبض أرواحهم حتى لا يبقى أحد من العدد الذي كتب عليهم الموت.

روي أن الدنيا لملك الموت كراحة اليد، يأخذ منها صاحبها ما أحب بلا تعب، فهو يقبض أنفس الخلق في مشارق الأرض ومغاربها، وله

(1) انظر: (تفسير القرآن الكريم) للشيخ (محمد بن صالح العثيمين) في سُورَة (السَّجْدَة) الآية (10).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (415/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (415/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (619/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

أعوان من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، روي أن أعوانه ينزعون الروح، فإذا بلغت ثغرة النحر، نزعها هو (1).

{ثم إلى ربكم ترجعون} .... أي: بعد الموت، وما دمتم لا تمنعون أنفسكم من الموت سوف لا تمنعونها من الحياة فرجوعكم حتمي لا محالة.

{ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} بعد الموت أحياءً، فيجزيكم بأعمالكم (2).

* * *

﴿الْقِرَاءَآت﴾

قرأ (يعقوب): (تَرْجِعُون) بفتح التاء وكسر الجيم، والباقون: بضم التاء وفتح الجيم (3).

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ السَّجْدَةَ} الآية {11} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{قُلْ} لَهُم يَا مُحَمَّد - ﷺ - {يَتَوَفَّاكُم} يقبض أرواحكم {مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ} بِقبض أرواحكم {ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} فِي الْآخِرَة (4).

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةَ} الآية {11} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ} يَقْبِضُ أَرْوَاحَكُمْ، {مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ} أَيْ: وُكِّلَ بِقَبْضِ أَرْوَاحِكُمْ وَهُوَ عزرائيل، والتوفي استيفاء المضروب للخلق في الأزل، مَعْنَاهُ أَنَّهُ يَقْبِضُ أَرْوَاحَهُمْ حَتَّى لَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنَ الْعَدَدِ الذي كتب عليه الموت.

{ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} أَيْ تَصِيرُونَ إِلَيْهِ أَحْيَاءً فَيَجْزِيكُمْ بأعمالكم (5).

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةَ} الآية {11} قوله تعالى: {قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ}.

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله: {يتوفاكم ملك الموت}، يقول: يستوفي عددكم بقبض أرواحكم ملك الموت الذي وكل بقبض أرواحكم، ومنه قول الراجز:

إنَّ بَني الأدْرَمِ لَيْسُوا مِنْ أحَدْ ... ولا تَوَفَّاهُمْ قُرَيْشٌ فِي العَدَدْ (6).

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا (سعيد)، عن (قتادة): {قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ

---

(1) انظر: "تفسير الطبري" (21/ 541).

(2) انظر: "تفسير البغوي" (3/ 520)، و"إتحاف فضلاء البشر" للدمياطي (ص: 351)، و"معجم القراءات القرآنية" (5/ 100).

(3) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن) للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي) في سُورَةُ (السَّجْدَةَ) الآية ().

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (السَّجْدَةَ) الآية (11) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(5) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (السَّجْدَةَ) الآية (11).

(6) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمام (الطبري) في سُورَةُ (السَّجْدَةَ) الآية (11).

الْمَـوْتِ الَّـذِي وُكِّـلَ بِكُـمْ} قــال: ملـك المـوت يتوفاكم، ومعه أعوان من الملائكة.(1)

* * *

قـال: الإمـام (الطـبري) – (رحمـه الله) – في (تفسـيره):-

حـدثني محمـد بـن عمـرو، قـال: ثنـا أبـو عاصم، قـال: ثنـا عيسـى، وحـدثني الحـارث، قـال: ثنـا الحسـن، قـال: ثنـا ورقـاء، جميعـا عـن (ابـن أبـي نجـيح)، عـن (مجاهـد) قولـه: {يَتَوَفَّـاكُمْ مَلَـكُ الْمَـوْتِ} قـال: حويت لـه الأرض فجُعلـت لـه مثـل الطسـت يتنـاول منهـا حيث يشاء.(2)

* * *

قـال: الإمـام (إبـن كـثير) – (رحمـه الله) – في (تفسـيره):- {سُـورَةُ السَّـجْدَةِ} الآيـة {11} ثـم قَـالَ: {قُـلْ يَتَوَفَّـاكُمْ مَلَـكُ الْمَـوْتِ الَّـذِي وُكِّـلَ بِكُـمْ} ، الظَّـاهِرُ مِـنْ هَـذِهِ الْآيَـةِ أَنَّ مَلَـكَ المـوت شخص مُعَيَّنٌ مِنَ الْمَلَا ئِكَةِ،

وَقَـدْ سُـمِّيَ فِـي بَعْـضِ الْآثَـارِ بِعِزْرَائِيـلَ، وَهُـوَ الْمَشْـهُورُ، قَالَـهُ (قَتَـادَةُ) وَغَيْـرُ وَاحِـدٍ، وَلَـهُ أَعْوَانٌ.

وَهَكَـذَا وَرَدَ فِـي الْحَـدِيثِ أَنَّ أَعْوَانَـهُ يَنْتَزِعُـونَ الْـأَرْوَاحَ مِـنْ سَـائِرِ الْجَسَـدِ، حَتَّـى إِذَا بَلَغَـتِ الْحُلْقُومَ تَنَاوَلَهَا مَلَكُ الْمَوْتِ.

* * *

قَـالَ: (مُجَاهِـدٌ): حُوِيَـتْ لَـهُ الْـأَرْضُ فَجُعِلَـتْ لَـهُ مِثْـلَ الطَّسْـتِ، يَتَنَـاوَلُ مِنْهَـا حَيْـثُ يَشَـاءُ. وَرَوَاهُ زُهَيْـرُ بْـنُ مُحَمَّـدٍ عَـنِ النَّبِـيِّ- صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ-، بِنَحْـوِهِ مُرْسَـلًا. وَقَالَـهُ (ابْـنُ عَبَّـاسٍ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

* * *

وَقَـالَ: (عَبْـدُ الـرَّزَّاقِ): حَـدَّثَنَا مُحَمَّـدُ بْـنُ مُسْـلِمٍ، عَـنْ إِبْـرَاهِيمَ بْـنِ مَيْسَـرَةَ قَـالَ: سَـمِعْتُ (مُجَاهِـدًا) يَقُـولُ مَـا عَلَـى ظَهْـرِ الْـأَرْضِ مِـنْ بَيْـتِ شَـعْرٍ أَوْ مَـدَرٍ إِلَا وَمَلَـكُ الْمَـوْتِ يُطِيـفُ بِـهِ كُـلَّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ.

* * *

وَقَـالَ: (كَعْـبُ الْأَحْبَـارِ): وَاللَّـهِ مَـا مِـنْ بَيْـتٍ فِيـهِ أَحَـدٌ مِـنْ أَهْـلِ الـدُّنْيَا إِلَا وَمَلَـكُ الْمَـوْتِ يَقُـومُ عَلَـى بَابِـهِ كُـلَّ يَـوْمٍ سَـبْعَ مَـرَّاتٍ. يَنْظُـرُ هَـلْ فِيـهِ أَحَدٌ أُمِرَ أَنْ يَتَوَفَّاهُ. رَوَاهُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ).

* * *

وَقَوْلُـهُ: {ثُـمَّ إِلَـى رَبِّكُـمْ تُرْجَعُـونَ} أَيْ: يَـوْمَ معادكم وقيامكم من قبوركم لجزائكم.(3)

* * *

قـال: الإمـام (عبـد الـرحمن بـن ناصـر السـعدي) – (رحمـه الله) – في (تفسـيره):- {سُـورَةُ السَّـجْدَةِ} الآيـة {11} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {قُـلْ يَتَوَفَّـاكُمْ مَلَـكُ الْمَـوْتِ الَّـذِي وُكِّـلَ بِكُـمْ} أي: جعلـه الله وكـيلا علـى قـبض الأرواح، ولـه أعوان.

{ثُـمَّ إِلَـى رَبِّكُـمْ تُرْجَعُـونَ} فيجـازيكم بأعمـالكم، وقـد أنكـرتم البعـث، فـانظروا ماذا يفعل الله بكم.(4)

* * *

(1) انظـر: (جـامع البيـان في تأويـل القـرآن) للإمـام (الطـبري) في سُـورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (11).

(2) انظـر: (جـامع البيـان في تأويـل القـرآن) للإمـام (الطـبري) في سُـورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (11).

(3) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) للإمـام (ابـن كـثير) في سُـورَةُ (السَّـجْدَةِ) الآية (11).

(4) انظـر: (تيسـير الكـريم الـرحمن في تفسـير كـلام المنـان) في سُـورَةُ (السَّـجْدَةِ) الآية (11) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره): - {سُورَةُ السَّجْدَةَ} الآية {11} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ} أي: قل يا رسولنا لهؤلاء المنكرين للبعث ولقاء الرب تعالى: يتوفاكم عند نهاية آجالكم.

{مَلَكُ الْمَوْتِ [1]} الذي وكله ربّه بقبض أرواحكم،

{الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ} بعد ذلك وما دمتم لا تدفعون الموت عن أنفسكم فكيف تدفعون الحياة عندما يريدها الله منكم؟ وهل دفعتموها عندما كنتم عدماً فأوجدكم الله وأحياكم. [2]

* * *

قال: الإمام (محمد الإمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره): - {سُورَةُ السَّجْدَةَ} الآية {11} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ}.

ظاهر هذه الآية الكريمة أن الذي يقبض أرواح الناس ملك واحد معين، وقد بين تعالى في آيات أخر أن الناس تتوفاهم ملائكة لا ملك واحد كقوله تعالى: {إن الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم} الآية،

وقوله تعالى: {فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم}. [3]

* * *

قال: الشيخ (محمد بن صالح العثيمين) - (رحمه الله) - في (تفسيره): - {سُورَةُ السَّجْدَةَ} الآية {11} قالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: {قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ}.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿{قُلْ} لهم {يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ} أي: بِقَبْضِ أرواحِكُم﴾.

{يَتَوَفَّاكُمْ} يَقْبِضُكُم، كما تقول: توفَّيتُ حقِّي من فلانٍ" أي: طَلَبْتُه وكذلك استوفيْتُه" أي: قَبَضْتُه على سبيل الوفاء وهو الكمالُ، فمعنى يتوفَّاكُم أي يَقْبِضُكم، والمراد قَبْضُ الأَرْواح.

وقوله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: {مَلَكُ الْمَوْتِ} مَلَكٌ: مُفْرَد ملائكَة، أو مُفْرَدُ أَمْلاك، وهو مُشْتَقٌّ من الأَلُوكَةِ بمعنى الرِّسالَة، وعلى هذا فأصْلُه مَأْلَكٌ، ثم حوِّل فقدِّمَت اللام وأُخِّرَت الهمزة، فكانت (مَلْأَك) ثم خُفِّف فحُذفَت الهمزة فصار: مَلَكًا" ولهذا إذا جُمِع جاءت الهمْزة فقيل: ملائكة، ولا يقال: مَأْلَكَة" لأنَّ فيه إعلالًا بالتَّحويل" يعني: تقديم وتأخير وهو من الأَلُوكَة" أي: الرِّسالة" فمَلَكُ الموت معناه الذي أَرسَلَه الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى لقَبْض الأرواح" كما قال سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: {تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ} [الأنعام: 61].

وقوله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: {مَلَكُ الْمَوْتِ} أُضيفَ إلى الموت" لأنه يُميتُ النَّاسَ بإذن الله، فسُمِّيَ مَلَكَ الموت، وقد سُمِّيَ في بعض الآثار بعزْرَائِيلَ، ولكنَّه لم يَصِحَّ عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -" وقد صَحَّ من أسمائهم: جِبْرائِيلُ وميكائيلُ وإِسْرافيلُ

---

(1) لم يرد اسم ملك الموت في القرآن غير أن أهل السنة على أسمه عزرائيل بمعنى عبد الله.

(2) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (11) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(3) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للإمام (محمد الأمين الشنقيطي). في سورة (العنكبوت) الآية (11).

ومالكٌ خازنُ النَّارِ ورِضْوانُ خازنُ الجنَّة[1] [2].

وعلى كلِّ حالٍ: عزرائيلُ لم يَثْبُت عن الرَّسُول- عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- على الرَّغم أنَّ هذا الإسم أشْهَرُ أسماءِ الملائكة عند العامَّة.

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ} وكَّلَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وهذا التَّوْكيلُ ليس توكيلًا لحاجَة، ولكنَّه توكيلُ سُلطان وعظمَة" لأنَّ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ لا يحتاج إلى أحد يُعينُه، وكُلُّ من وُكِّلَ منَ الملائكة بشيء فَلَيْسَ ذلك على سبيل الحاجَة، أمَّا أنا إذا وَكَّلْتُ أحدًا فقد أكون محتاجًا إلى هذا" لأنَّني لا أستطيع مُباشَرَةَ العمل، لكنْ ربُّنا عَزَّ وَجَلَّ لا يحتاج، وإذا أراد شيئًا قال له كُنْ فيكونُ، لكنَّه يُوَكِّلُ ذلك توكيلَ سُلطان وعَظَمَة" لبيان سُلطانه وعظَمَته، وأنَّ كلَّ شيء في خِدْمَته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وفي عبادته.

وقوله تعالى: {الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ} أي: وَكَّلَه الله" إذن الله وَكيلٌ ومُوكِّلٌ" قال تعالى: {وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [الأحزاب: 3].

ومُوَكِّلٌ كما في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا} [الأنعام: 89].

وهنا قال: {الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ} ولكنْ ليس كونُه وكيلًا بمعنى أنه مُتَوَكِّلٌ لغيره، والمُوَكَّلُ أعلى منه كما هو مَعْهودٌ، ولكنَّه وكيلٌ بمعنى رَقيب على عباده مُهَيْمِن عليهم.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: {يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ} هنا مُفْردٌ {يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ} وفي آية أخرى في سورة {الأنعام}: {حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا} فقال: {رُسُلُنَا} فجمَعَ،

وفي آية أخرى قال تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا} في {الزُّمَر}، فكيف نَجْمَعُ بين هذه الآيات الثَّلاث؟

الجوابُ: جمع أهل العلم بينهُنَّ: بأنَّ قولَه تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ} هذا هو الأصْلُ، أما المتوفِّي هو الله لأنَّه المُدَبِّرُ، المدبِّرُ للشيء، والمدبِّرُ للشيء فاعلٌ له" كما تقول: بنى المَلِكُ قصرًا للحُكْم" فهل يعني ذهب وجاء بالزنبيل وجاء بالفاروع، وجاء بالمِسْحَاة، وجاء بالماء وجَهَّز الطِّينَ وحمل على مَتْنه ليبني؟.

الجوابُ: ليس المعنى كذلك" إذن معنى بناه" أي: أَمَرَ ببنائه، لكنْ لما كان هذا البناءُ لا يتمُّ إلا بأَمْره أَسْنَدَ إليه" فالله تعالى يتوفَّى الأنْفُسَ فلا يكون تَوَفِّيها إلا بأمره، فأَسْنَدَتَ الوفاةُ إليه.

أما قوله تعالى: {تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا} وقوله تعالى: {يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ} فإمَّا أن يقال: إنَّ مَلَكَ الموت هنا مفردٌ مضاف، وهذا له وَجْهٌ في اللُّغَة العربيَّة، لكن ليس بصحيح من ناحية الواقع، ولكنَّ الواقعَ أن مَلَكَ الموت له أعوانٌ، له أعوانٌ قَبْلَ قَبْضِ الرُّوح، وأعوانٌ بَعْد قَبْضِ الرُّوح" فالأعوانُ قبل القَبْض يسوقون الرُّوحَ من البَدَن حتى تَصلَ إلى الحُلْقُوم ثم يَقْبِضُها، وأعوانٌ بعد ذلك إذا

---

(1) (صَحيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (770)- (كتاب: صلاة المسافرين)، / باب: (الدعاء في صلاة الليل وقيامه)،- من حديث- (عائشة)- رضي الله عنها -.

(2) أخرجه الإمام (الدارقطني) في جزء رؤية الله رقم (64)، - من حديث- (أنس)- رضي الله عنه -.

قبضها فهناك ملائكةُ الرَّحمة تنتظرُ هذه الرُّوحَ بالكَفَنِ الذي من الجَنَّة فلا يَدعُونها في يده طَرْفَةَ عينٍ حتى يَقْبِضوها ويَجْعَلوها في ذلك الكفن، وإن كان الإنسانُ بالعكس - والعياذ بالله - فيكون عنده ملائكةُ العذاب، معهم كفنٌ من نار لا يَدعُونها في يده طَرْفَةَ عينٍ.

فيكون هنا المرادُ: الجمع بينهما: أنَّ إسنادَ الوفاة إلى الرُّسُل إلى الملائكة وهم جَمْعٌ" لأنَّهُم أعوانُ مَلَكِ الموت، فكان لهم نَوْعُ مُشارَكَة في هذا الفعل، ومَلَكُ الموت هو الذي يقبضها إذا بلغت الحُلْقُومَ، وبهذا الجَمْعِ يزول الإشكالُ.

ونحن قد بيَّنَّا كثيرًا أنَّ القرآنَ والسُّنَّة ليس فيهما تعارضٌ، قال تعالى: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا} [النساء: 82].

لأنه إذا رَأَيتَ في شيء منهما تعارضًا فاعلم أن ذلك من سُوءِ فَهْمِك أو قِلَّة عِلْمِك، فتَدَبَّرْ وتَعَلَّمْ حتى يتبيَّنَ لك الأمرُ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وما الجوابُ عن قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ}؟

فالجوابُ: لكنَّ الذي يتولى إخراجَها مباشرةً من عند الحُلْقُوم هو مَلَكُ الموت، ثم هؤلاء الملائكةُ الباسطونَ أيديهم، إن كان أنَّهُم الذين يَنْتَظِرون قَبْلَها فهم يَنْتَظِرون قبل أن يأْخُذَها منه، وإن كان الآخَرونَ الذين يُخْرِجونها حتى تَصِلَ إلى الحُلْقُوم فكذلك، وليس هناك مُشْكِلَة.

قال المُفَسِّر رَحِمَهُ اللَّهُ: {الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ} أي بقَبْضِ أرواحكم يعني: لم يُوَكَّلْ بنا في كُلِّ شيء، ولكنَّه وُكِّلَ بنا بِقَبْضِ الأرواح فقط، لكنْ هناك ملائكَةٌ مُوَكَّلونَ بنا في حفظ أعمالنا وفي حِفْظِنا أيضًا، وكذلك ملائكة موكَّلون في أعمالنا يجوبون الأرضَ وينظرون مجالسَ الذِّكْرِ فَيَجْلِسون فيها.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: {ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} أحياءً فيُجازيكم بأَعْمالكم يعني بعد الموتِ يَرْجِعُ الإنسانُ إلى ربِّه فيُجازَى بِعَمَله إنْ خَيرًا فخَيْرٌ، وإنْ شرًا فشَرٌّ.

* * *

من فوائد الآية الكريمة:

الفَائِدَةُ الأُولَى: أنَّ الذي يتولَّى قَبْضَ الأَرْواحِ مَلَكُ الموت" لقوله تعالى: {قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ}.

الفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: إثباتُ الملائكَة" لقوله تعالى: {مَلَكُ الْمَوْتِ} والملائكَةُ عالَمٌ غَيْبِيٌّ خَلَقَهم الله تعالى من نور، وجعلهم من السَّامعين المطيعينَ له، وأَقْدَرَهُم على فعل المأمور" لقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ} [الأنبياء: 19].

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ} [الأنبياء: 19].

وقال سُبحانَهُ وتَعالَى: {عَلَيْهَا مَلاَ ئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} {التحريم: 6}. لكمالِ الإمتثال وكمالِ القُدْرَة.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: تمام تنظيم الله عزَّ وجَلَّ للأُمُورِ وإحكامه لها" لقوله تعالى: {الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ} فإنَّ كلَّ مَلَك مُوكَّلٌ بِشَيءٍ من الأشياء لتمامِ النِّظَامِ وإحْكَامه وإحْسانه.

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: عَظَمَةُ سُلطانِ الله" تُؤخَذُ من قوله تعالى: {الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ} وقد سبق لنا: أنَّ هذا التَّوْكيلَ ليس عَجْزًا من الله عَزَّ وجَلَّ ولكنَّه نظامُ سُلْطَانِه وعظَمَته.

الْفَائِدَةُ الخَامِسَةُ: إثباتُ الرُّجُوعِ إلى الله" لقوله سُبحَانَهُ وتَعَالَى: {ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ}، ويُؤْخَذُ منه إثباتُ الجَزاء" لأنَّه هذا هو المقصودُ من قوله تعالى: {ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ}. (1)

* * *

﴿مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ﴾

- الحكمة من بعثة الرسل أن يهدوا أقوامهم إلى الصراط المستقيم.
- ثبوت صفة الاستواء لله من غير تشبيه ولا تمثيل.

وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (12) وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (13) فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (14) إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (15) تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (16) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (17) أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ (18) أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (19) وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (20)

- استبعاد المشركين للبعث مع وضوح الأدلة عليه. (2)

* * *

[١٢] ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

سوف يظهر المجرمون يوم القيامة وهم أذلاء يخفضون رؤوسهم بسبب كفرهم بالبعث، يشعرون بالخزي ويقولون: ربنا أبصرنا ما كنا نكذب به من البعث، وسمعنا مصداق ما

(1) انظر: (تفسير القرآن الكريم) في سُورَة (السَّجْدَة) الآية (11) للشيخ (محمد بن صالح العثيمين).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (415/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

جاءت به الرسل من عندك، فارجعنا إلى الحياة الدنيا نعمل عملًا صالحًا يرضيك عنا، إنا موقنون الآن بالبعث وبصدق ما جاءت به الرسل، لو رأيت المجرمين على تلك الحال رأيت أمرًا عظيمًا. (1)

* * *

يَعنِي:- ولو ترى -أيها المخاطب- إذ المجرمون الذين أنكروا البعث قد خفضوا رؤوسهم عند ربهم من الخزي والعار قائلين: ربنا أبصرنا قبائحنا، وسمعنا منك تصديق ما كانت رسلك تأمرنا به في الدنيا، وقد ثبنا إليك، فارجعنا إلى الدنيا لنعمل فيها بطاعتك، إنا قد أيقنَّا الآن ما كنا به في الدنيا مكذبين من وحدانيتك، وأنك تبعث من في القبور. ولو رأيت -أيها الخاطب- ذلك كله، لرأيت أمرًا عظيمًا، وخطبًا جسيمًا. (2)

* * *

يَعنِي:- ولو أتيح لك أن ترى المجرمين فى موقف الحساب، لرأيت عجباً، إذ المجرمون المستكبرون منكسو الرءوس خزياً من ربهم، يقولون فى ذلة: ربنا أبصرنا ما كنا نتعامى عنه، وسمعنا ما كنا نتصامم عنه، فارجعنا إلى الدنيا نعمل صالحاً غير الذى كنا نعمله، إنا موقنون - الآن بالحق الذى جاء به رسلك. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَلَوْ تَرَى} ... أي: وليتك يا محمد ترى

{إِذِ الْمُجْرِمُونَ} .... المشركون. (أي: المشركون المكذبون بلقاء ربهم).

{نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ} .... قَدْ خَفَضُوهَا، وَأَطْرَقُوا خِزْيًا وَنَدَمًا.

(أي: مطأطئوها من الحياء والذل والخزي).

{نَاكِسُو} .... مطأطئو.

{رُءُوسِهِمْ} .... خجلًا وندمًا.

{عِنْدَ رَبِّهِمْ} .... يوم القيامة، فتمنى تعالى أن يراهم نبيُّه -عليه السلام- على الحالة الرديئة" لأنهم آذوه.

{رَبَّنَا} ... أي: ويقولون: ربَّنا.

{ربنا أبصرنا} .... أي: ما كنا ننكر من البعث.

{أَبْصَرْنَا} ... صدقَ وعدك.

{وَسَمِعْنَا} .... منك تصديقَ رسلك، تقديره: لو رأيت حالهم، لرأيت العجب.

(أي: تصديق ما كانت رسلك تأمرنا به في الدنيا).

{فَارْجِعْنَا} .... أي: إلى دار الدنيا.

{نَعْمَلْ صَالِحًا} .... فيها.

{إِنَّا مُوقِنُونَ} .... هنا بما أنكرنا ثمَّ.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية :

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {12} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ}.

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ حَالِ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَحَالِهِمْ حِينَ عَايَنُوا الْبَعْثَ، وَقَامُوا بَيْنَ يَدَيِ

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (416/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (416/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (619/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

اللَّهِ حَقِيرِينَ ذَلِيلِينَ، نَاكِسِي رُؤُوسِهِمْ، أَيْ: مِنَ الْحَيَاءِ وَالْخَجَلِ، يَقُولُونَ: {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا} أَيْ: نَحْنُ الْآنَ نَسْمَعُ قَوْلَكَ وَنُطِيعُ أَمْرَكَ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا} {مَرْيَم: 38}.

وَكَذَلِكَ يَعُودُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْمَلَامَةِ إِذَا دَخَلُوا النَّارَ بِقَوْلِهِمْ:

{لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} {الْمُلْك:10}.

وَهَكَذَا هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا} أَيْ: إِلَى الدَّارِ الدُّنْيَا،

{نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ} أَيْ: قَدْ أَيْقَنَّا وَتَحَقَّقْنَا أَنَّ وَعْدَكَ حَقٌّ وَلِقَاءَكَ حَقٌّ، وَقَدْ عَلِمَ الرَّبُّ تَعَالَى مِنْهُمْ أَنَّهُ لَوْ أَعَادَهُمْ إِلَى الدَّارِ الدُّنْيَا لَكَانُوا كَمَا كَانُوا فِيهَا كُفَّارًا يُكَذِّبُونَ آيَاتِ اللَّهِ وَيُخَالِفُونَ رُسُلَهُ،

كَمَا قَالَ: {وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ} {الْأَنْعَام: 27-29}. (1)

* * *

لقد بيّن الله عز وجل أنهم لو أرجعهم الله تعالى إلى ما طلبوا لكذبوا كما في قوله تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (27) بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} {الأنعام: 27-28}.

* * *

(تفسير ابن عباس):- قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {سُورَةُ السَّجْدَة} الآية {12} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَو تَرى إِذْ المجرمون} الْمُشْرِكُونَ {ناكسو رؤوسهم} مطأطئو رُءُوسهم {عِنْدَ رَبِّهِمْ} يَوْمَ الْقِيَامَة {رَبَّنَآ} يَقُولُونَ يَا رَبنَا {أبصرنا} علمنَا مَا لم نعلم {وَسَمِعْنَا} أيقنا بِمَا لم نَكُنْ بِهِ موقنين {فارجعنا} حَتَّى نؤمن بك {نَعْمَلْ صَالِحاً} خَالِصا {إِنَّا مُوقِنُونَ} مقرون بك وبكتابك وَرَسُولك وبالبعث بعد الْمَوْت. (2)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَة} الآية {12} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ} المشركون، {نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ} مطأطئو رءوسهم، {عِنْدَ رَبِّهِمْ} حياء منه وندما. {رَبَّنَا} أي يقولون: ربنا {أَبْصَرْنَا} مَا كُنَّا بِهِ مُكَذِّبِينَ، {وَسَمِعْنَا} مِنْكَ تَصْدِيقَ مَا أَتَتْنَا بِهِ رُسُلُكَ. وَقِيلَ: أَبْصَرْنَا مَعَاصِيَنَا وَسَمِعْنَا مَا قِيلَ فِينَا، {فَارْجِعْنَا} فَأَرْدُدْنَا إِلَى الدُّنْيَا،

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (12).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (12) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

{نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ} وجَوابُ لَوْ مُضْمَرٌ مَجازُهُ لَرَأَيْتَ الْعَجَبَ.[1]

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةَ السَّجْدَةِ} الآية {12} لما ذكر تعالى رجوعهم إليه يوم القيامة، ذكر حالهم في مقامهم بين يديه فقال: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ} الذين أصروا على الذنوب العظيمة، {نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ} خاشعين خاضعين أذلاء، مقرين بجرمهم، سائلين الرجعة قائلين: {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا} أي: بان لنا الأمر، ورأيناه عيانًا، فصار عين يقين. {فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ} أي: صار عندنا الآن، يقين بما كنا نكذب به، أي: لرأيت أمرا فظيعًا، وحالا مزعجة، وأقوامًا خاسرين، وسؤلا غير مجاب، لأنه قد مضى وقت الإمهال. وكل هذا بقضاء الله وقدره، حيث خلى بينهم وبين الكفر والمعاصي،[2]

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {12} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَوْ تَرَى}[3] يا رسولنا {إِذِ الْمُجْرِمُونَ} وهم الذين أجرموا على أنفسهم فدنسوها بالشرك والمعاصي الحامل عليها التكذيب بلقاء الله، {نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ} أي: مطأطئوها خافضوها عند ربهم من الحياء والخزي الذي أصابهم عند البعث. لرأيت أمراً فظيعا لا نظير له.

وقوله تعالى: {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا[4] وَسَمِعْنَا} هذا قول المجرمين وهم عند ربهم، أي: يا ربنا لقد أبصرنا ما كنا نكذب به من البعث والجزاء وسمعنا منك أي تصديق ما كانت رسلك تأمرنا به في الدنيا.

{فَارْجِعْنَا} أي إلى دار الدنيا.

{نَعْمَلْ صَالِحاً}[5] أي: عملا صالحا.

{إِنَّا مُوقِنُونَ} أي: الآن ولم يبق في نفوسنا شك بأنك الإله الحق، وبأن لقاءك حق،[6]

* * *

قال: الشيخ (محمد بن صالح العثيمين) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةَ السَّجْدَةِ} الآية {12} قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ} الكافرونَ {نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا} مُطَأْطِئُوها حياءً، يقولون: {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا} ما أَنْكَرْنا مِنَ البَعْثِ {وَسَمِعْنَا} منكَ تَصْديقَ الرُّسُلِ فيما كَذَّبْناه فيك، {فَارْجِعْنَا} إلى الدُّنْيا {نَعْمَلْ صَالِحًا} فيها {إِنَّا مُوقِنُونَ} الآنَ.

قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ} الخطابُ في قوله تعالى: {وَلَوْ تَرَى} إمَّا للرَّسول - صلى الله عليه وسلم -،

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (12).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (12) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3)- الخطاب للرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لشرفه وأمته تابعة له والمعنى ولو ترى يا محمد منكري البعث يوم القيامة لرأيت العجب العجاب من ذلتهم وخزيهم وندامتهم.

(4) هذا مقول قول محذوف بعد ناكسو رؤوسهم يقولون أو قائلين ربنا الخ

(5)- هذا كقولهم في آية: {أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل}.

(6) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (12) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

وإمَّا إلى كُلِّ من يتوجَّهُ إليه الخطاب، وهذا المعنى أعَمُّ والأخْذُ به أَوْلى؛ لعمومه؛ ولهذا الخطاباتُ التي تأتي للمفْرَدِ في جميع القرآن الأوْلَى أن تُحْمَل على العموم وأن يُراد بها كُلُّ من يتوجَّه إليه الرَّأيُ، إلا إذا منع من ذلك مانعٌ، فتكون خاصَّةً بالرَّسُولِ - صلى الله عليه وسلم -.

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {وَلَوْ تَرَى}: (لو) هذه شرطِيَّة، و (لو) الشَّرطِيَّة تحتاجُ إلى شَرْطٍ وإلى جواب الشَّرْطِ؛ فالشَّرْطُ قوله تعالى: {تَرَى} والجوابُ محذوفٌ تقديرُهُ: لَرَأَيْتَ أمْرًا فظيعًا.

وقوله تعالى: {إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ}: {إِذِ} هذه ظَرْفٌ؛ يعني: لو ترى ذلك الوقْتَ الذي فيه المُجْرِمون على هذا الوَصْف لرَأَيْت أمرًا مُوجِعًا فظيعًا، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {إِذِ الْمُجْرِمُونَ} مبتدأ، و {نَاكِسُو} خبرٌ، والنُّونُ التي في (نَاكِسُونَ) حُذِفَتْ لأجْلِ الإضافَةِ.

وقوله تعالى: {نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ} أي: مُطَأْطِئُوها؛ يعني: خافضُوها، والعياذُ بالله.

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {عِنْدَ رَبِّهِمْ} يعني: عند الله عَزَّ وَجَلَّ وَهُم بين يديه يوم القيامَة، ولكن ناكِسُوها، يقول المُفَسِّر حياءً وفي النَّفْسِ من هذا التَّفْسِيرِ شيءٌ، ولَكِنَّ الظَّاهِرَ أنَّهُم ناكِسُوها ذُلًّا وخُضُوعًا لسلطان الله؛ بدليل قوله تعالى: {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا} أمَّا حياءً فالحياءُ محمودٌ، لكنْ كَونُهم يَنْكِسونها ذُلًّا هذا هو الواقِعُ: {نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ} ذُلًّا؛ كما قال تعالى: {وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ} [الشورى: 45].

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا} جملة: {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا} مقولٌ لقولٍ محذوف؛ تقديره: يقولون ربنا أَبْصَرْنا، يعني يا رَبَّنا، ونادَوُا الله تعالى باسم الرُّبُوبِيَّة؛ لأنَّ الغالبَ أنَّ الجُمَل الدُّعائِيَّة تأتي مُصَدَّرَة بـ(رَبِّ)؛ لأنَّ (رب) هو المالِكُ المتصرِّفُ.

قال المُفَسِّر رَحِمَهُ اللَّهُ: {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا} ما أنْكَرْنا من البَعْث هذا ما قاله المُفَسِّر؛ وعليه فيكون مفعولُ أَبْصَرْنا محذوفًا، والتَّقْدِيرُ: ما أنْكَرْنا من البعْث.

ويُحْتَمَلُ أنَّ {أَبْصَرْنَا} هنا أي: حَضَرَت أبْصارُنا وبصائِرُنا، فيكون أعَمَّ مما قَدَّرَه المُفَسِّر؛ يعني: صِرْنا ذوي بَصَرٍ وبصيرةٍ الآن، فيكون أعَمَّ؛ يعني كأنَّهُم يقولون: الآن صِرْنا ذوي بَصَرٍ وبصيرة، وهذا المعنى أعَمُّ وأبْلَغ.

وكذلك (سَمِعْنا) يقول المُفَسِّر رَحِمَهُ اللَّهُ: {سَمِعْنَا} منك تَصْديقَ الرُّسُلِ فيما كذَّبْناهُم فيه؛ لأنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: {هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ} [يس: 52].

ولكن أيضًا هذا الذي قال المُفَسِّر لنا فيه وجْهٌ أحْسَنُ مما قال؛ فيكون معنى {سَمِعْنَا} أي كنا ذوي سَمْعٍ الآن؛ ولهذا يقولون: {لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ} يعني فيما مضى. {أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [الملك: 10].

أمَّا في يوم القيامة فيقولون: الآنَ صِرْنا ذوي بصر، وصِرنا ذوي سَمْع.

وقوله تعالى: {فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ} ارْجِعْنا إلى الدُّنيا، وهو فعْلُ طَلَبٍ أو دعاء، وليس فعْلَ أمرٍ" لأنَّ المخلوقَ لا يوجِّه أمرًا إلى الخالِق، وقوله تعالى: {نَعْمَلْ} هذا جوابُ الطَّلَبِ مجزومٌ" يعني: إن تَرْجِعْنا نَعْمَلْ صالحًا.

وقوله تعالى: {نَعْمَلْ صَالِحًا} يعني عملًا صالحًا، والعَمَلُ الصَّالح تقدَّم كثيرًا أنَّه ما جمع شرطينِ" هما: الإخلاص لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والمُتابَعَة للرَّسول - صلى الله عليه وسلم -.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: {إِنَّا مُوقِنُونَ} الآن، فما يَنفَعُهُم ذلك ولا يَرجعون معلومٌ أنه لا يَنفَعُهم، إذا شاهدوا العذابَ فإنَّ الإيمانَ لا يَنفَعُهم" فكُلُّ من شاهَدَ العذابَ فإنَّه لا ينفعه الإيمانُ.

قال تعالى: {فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ} {غافر: 84}.

قال الله تعالى: {فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ} {غافر: 85}.

ولا أَحَدَ ينفَعُه إيمانُه بعد العذاب إلا قَرْيَة واحِدَة وهم قومُ يونُسَ" لَمَّا آمنوا كَشَفَ الله عنهم العذابَ،

ولهذا قال الله تعالى: {وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ}.

فالآن شاهَدَ العذابَ فلا يَنْفَعُ" ولهذا يَجِبُ على الإنسانِ أن يبادرَ عُمُره قبل أن يَحِلَّ به أَجَلُه فلا يستطيعُ الخلاصَ.

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ} جاء بالجُمْلَة الإسميَّة الدَّالَّة على الثُّبُوت والإسْتِمْرار {إِنَّا مُوقِنُونَ} الآن" لكن لا يَنْفَعُ، ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه"

قال تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (27) بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ}.

وهذا خبرُ الله عَزَّ وَجَلَّ والذي لا يَكْذِبُ {وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} {الأنعام: 27 – 28}.

والمراد الكُفَّار، أمَّا الفُسَّاقُ فليسوا دائمين في النَّار" فعذابُهُم بقَدْرِ أعْمالهم، ثم إنَّهم يَدْخُلون الجنَّة، والفُسَّاقُ يَعْبُرون الصِّراطَ ولا يُذْهَبُ بهم إلى النَّار مباشرة، بل يَعْبُرون الصِّراطَ ثم يَتَساقَطُون في النَّار بِحَسَبِ أَعْمالهم.

قال المُفَسِّر: وجوابُ (لو): لَرَأَيْتَ أَمْرًا فظيعًا يعني: الجوابُ محذوفٌ.

فإذا قال قائلٌ: ما هي الحكْمَةُ في حَذْفِ الجواب؟ ولماذا لا يُذْكَرُ من أجل ألَّا يكونَ هناك اختلاف؟ وما هي الحكْمَةُ في الإبهامِ في قوله تعالى: {فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ} {طه: 78}؟ ولماذا لا يُذْكَرُ لأنَّه أَبْيَنُ؟.

الجوابُ: أنَّه في مقام التَّهويل ينبغي الإبهامُ" لأجل أن يَذْهَبَ الذِّهْنُ كلَّ مَذْهَبٍ في تعظيم الأَمْرِ وهَوْله" لأنَّه إذا ذُكِرَ الشَّيْءُ قد يهونُ" فلو قيل لك: والله هناك سَبُعٌ عظيم يأكل

النَّاسَ ويفعل ويفعل ويفعل! وهوِّل لديك وأنت لم تَرَهُ فسيكونُ عندك رُعْبٌ، لكنْ ربَّما إذا رأيته يَهُون عليك الأَمْر" كذلك مثْلُ هذه الأمور العظيمة" إذا أبْهَمَها الله فإنَّها أعظم وأوْقَع في النَّفْس وأشَدُّ وأعْظَم" ولهذا حُذفَ الجوابُ هنا، وأُبْهِمَ الغاشي في قوله تعالى: {فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ} وأُبْهِمَت الحاقَّة والقارعة في مثل: {الْحَاقَّةُ (1) مَا الْحَاقَّةُ (2) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ} [الحاقة: 1 - 3}، {الْقَارِعَةُ (1) مَا الْقَارِعَةُ} [القارعة: 1 – 2} وما أشبه ذلك، وكلُّ هذا من باب التَّعظيم والتَّهويل.

* * *

من فوائد الآية الكريمة:

الْفَائِدَةُ الأُولَى: في هذا بيانُ فَظَاعَة ما يَحلُّ بالكافرينَ يَومَ القيامَة" يؤخَذُ من قوله تعالى: {وَلَوْ تَرَى} والمُقَدَّرُ جوابُها: لَرَأَيْتَ أَمْرًا فظيعًا.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: أنَّ هؤلاء المُجْرمين المُسْتَكْبِرينَ في الدُّنْيا الرَّافِعي رُؤُوسهم ستكونُ حالُهُم في يوم القيامَة على العكس من ذلك" لقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ}" وقد قال المُفَسِّر رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿حياءً﴾ والصَّواب: أنه ذلًّا وعارًا وخِزْيًا، والعياذُ بالله.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: أنَّ المجرمينَ يومَ القيامة يُقِرُّونَ بالحقِّ" تُؤخَذُ من قوله تعالى: {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا} ولكن لا ينفعُ هذا بعد أن شاهد الإنسانُ الجَزاءَ، فلا يَنْفَعُه أن يتوبَ.

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: أنَّ هؤلاء يَطْلبونَ الرَّجْعَة إلى الدُّنْيا" لقوله تعالى: {فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا}.

ويتفَرَّعُ عليها: أنَّ الآخرَة قد يكون فيها شيءٌ لا من العبادات" لأنَّ الدُّعاءَ من العبادَة وهم يَدْعُونَ اللهَ، وعليه فمن نفى أنَّ الآخرَةَ دارُ عَمَل فإنَّ نَفْيَه على سبيل العُمُوم فيه نَظَرٌ ظاهرٌ، فإنَّ الآخرَة قد يكون فيها تكليفٌ" قال تعالى: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ} [القلم: 42}.

مسألة: التَّكليفُ في الآخرَةِ هل يكونُ عليه ثوابٌ؟

الجوابُ: نعم، ولهذا أَهْلُ الفترة يُكَلَّفُون في الآخرَة، فمن أطاع منهم دخلَ الجَنَّة ومن عصى دخل النَّار.

الْفَائِدَةُ الخَامِسَةُ: أنَّ هؤلاء المكَذِّبينَ يُوقنونَ بالعَمَل في الآخرَة" لقولهم: {إِنَّا مُوقِنُونَ}.

الْفَائِدَةُ السَّادِسَةُ: إقرارُهُم على أَنْفُسهم بأنَّ عَمَلَهم السَّابِقَ ليس بصالح، تُؤْخَذُ من قوله تعالى: {نَعْمَلْ صَالِحًا}" لأنَّهم كأنَّهم بالأَوَّل لا يَعْمَلون صالحًا.(1)

* * *

(1) انظر: (تفسير القرآن الكريم) للشيخ (محمد بن صالح العثيمين) في سُورَة (السَّجْدَة) الآية (12).

[١٣] ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولو شئنا إعطاء كل نفس رشدها وتوفيقها لحملناها على هذا، ولكن وجب القول مني حكمة وعدلًا: لأملأنّ جهنم يوم القيامة من أهل الكفر من الثقلين: الجن والإنس" لاختيارهم طريق الكفر والضلال على طريق الإيمان والاستقامة. (1)

* * *

يَعنِي:- ولو شئنا لآتينا هؤلاء المشركين بالله رشدهم وتوفيقهم للإيمان، ولكن حق القول مني ووجب لأملأنَّ جهنم من أهل الكفر والمعاصي، من صنفي الجِنّ والإنس أجمعين" وذلك لاختيارهم الضلالة على الهدى. (2)

* * *

يَعنِي:- ولو شئنا لأعطينا كل نفس هُداها، ولكن سبق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين، لعلمنا أن أكثرهم سيختارون الضلالة دون الهدى. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا} ...رشدَها إلى الإيمان، وأجبرناها عليه.

{لآتينا كل نفس هداها} .... أي: لو أردنا هداية الناس قسراً بدون اختيار منهم لفعلنا.

{ولكن حقّ القَوْلُ مني} .... أي: وجب وهو لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين.

{وَلَكِنْ حَقَّ} .... أي: ثبت.

{حَقَّ الْقَوْلُ} ... ثَبَتَ وَتَحَقَّقَ وَوَجَبَ.

{الْقَوْلُ مِنِّي} .... بالوعيد،

{لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ} ... أي: الشياطين.

{الْجِنَّةِ} ... الجنّ.

{وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} وهو قوله لإبليس: {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ} {ص: 85}.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن)- عن (قتادة): {وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا} قال: لو شاء الله لهدى الناس جميعاً، لو شاء الله لأنزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين {وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي} حقّ القول عليهم. (4)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {13} وَقَالَ هَاهُنَا {وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا}،

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (416/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (416/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (620/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) برقم (176-177/20).

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا} {يُونُس: 99}.

{وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} أَيْ: مِنَ الصِّنْفَيْنِ، فَدَارُهُمُ النَّارُ لَا مَحِيدَ لَهُمْ عَنْهَا وَلَا مَحِيصَ لَهُمْ مِنْهَا، نَعُوذُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ التَّامَّةِ مِنْ ذَلِكَ. (1)

* * *

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {13} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا} لأعطينا {كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا} تقواها {وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ} وجب القول {مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ} من كفار الْجِنّ وَالْإِنْس {أَجْمَعِينَ} لَوْلَا ذَلِك لأكرمت كل نفس بالمعرفة والتوحيد. (2)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {13} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا} رُشْدَهَا وَتَوْفِيقَهَا لِلْإِيمَانِ، {وَلَكِنْ حَقَّ} وَجَبَ، {الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} وَهُوَ قَوْلُهُ لِإِبْلِيسَ: {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ} {ص: 85}.

ثُمَّ يُقَالُ لِأَهْلِ النَّارِ، وَقَالَ: (مُقَاتِلٌ): إِذَا دَخَلُوا النَّارَ قَالَتْ لَهُمُ الْخَزَنَةُ. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {13} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا} أي: لهدينا الناس كلهم، وجمعناهم على الهدى، فمشيئتنا صالحة لذلك، ولكن الحكمة، تأبى أن يكونوا كلهم على الهدى،

ولهذا قال: {وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي} أي: وجب، وثبت ثبوتًا لا تغير فيه.

{لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} فهذا الوعد، لا بد منه، ولا محيد عنه، فلا بد من تقرير أسبابه من الكفر والمعاصي. (4)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {13} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَوْ شِئْنَا (4) لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا} وذلك لما طالب المجرمون بالعودة إلى الدنيا ليعملوا صالحاً فأخبر تعالى أنه ما هناك حاجة إلى ردهم إلى الدنيا ليؤمنوا ويعملوا الصالحات، إذ لو شاء هدايتهم لهداهم قسراً منهم بدون اختيارهم، ولكن سبق أن قضى بدخولهم جهنم فلابد هم داخلوها وهو معنى قوله: {وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي} أي: وجب العذاب لهم وهو معنى قوله

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (13).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (13) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (13).

(4) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (13) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

{لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ} أي: الجن {وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} أي: من كفار ومجرمي الجن والإنس معا. (1)

* * *

قال: الشيخ (محمد بن صالح العثيمين) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {13} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا} اللهمَّ اهْدنْا فيمن هَديْتَ! قال رَحمَهُ اللَّهُ: {وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا} فتهتدي بالإيمان والطَّاعة باختيارٍ منها.

قوله تعالى: {وَلَوْ شِئْنَا} الضَّميرُ يعودُ على الله عَزَّ وَجَلَّ، وأتى بضمير الجَمْع تعظيمًا.

فإذا قال النَّصْرانيُّ: الآلَهةُ ثلاثةٌ" ولهذا قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {وَلَوْ شِئْنَا} وهنا لِلجمْع" هاتوا لنا دليلًا يُخرج هذا اللَّفظَ عن معناه، وإلا فالصَّوَابُ مَعَنا، وأنتم أيُّها الموحِّدون على ضلالٍ، وإلا لقال الله: ولو شئْتُ؟

فالجوابُ: أنَّ هذا من باب التَّشْبيه والتَّلبيس، وإلَّا فارْجِعْ إلى قوله عَزَّ وَجَلَّ: {وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} {البقرة: 163} فيكون قوله تعالى: {وَلَوْ شِئْنَا} من باب التَّعْظيم، والله تعالى عظيمٌ بصفاته، فكلُّ صفةٍ منه من صفاته تقتضي عظمةً غيرَ ما تقتضيه الصِّفَةُ الأخرى، وباجتماع هذه الصِّفات يكون هناك عِظَمٌ أعظَمُ وأجَلُّ.

وقوله تعالى: {لَآتَيْنَا} هذا الجوابُ الأوَّل، و {لَآتَيْنَا} أعْطَيْنا" ولهذا نَصَبَتْ مفعولين: المفعولُ الأوَّل: {كُلَّ نَفْسٍ}" والثَّاني: {هُدَاهَا} والهُدى بمعنى الدَّلالة والتَّوْفيق" ولهذا قال رَحمَهُ اللَّهُ: فتَهْتَدي بالإيمان والطَّاعة ولو شاء الله تعالى لفَعَلَ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في آيات أخرى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ} {هود: 118 – 119}" فالله عَزَّ وَجَلَّ لو شاء لجَعَلَ النَّاسَ أمَّةً واحدةً على الإيمان والتَّوْحيد والإستقامة، ولكن حكْمَةُ الله تأبى ذلك لأسباب كثيرة" منها: أنه جَلَّ وَعَلَا قال للنَّار: {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ}" فقال: {لَأَمْلَأَنَّ} وهذا قَسَمٌ وتَعَهُّدٌ من الله عَزَّ وَجَلَّ للنَّار أن يَمْلَأَها: {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ}، ولو كان النَّاس أمَّة واحدةً على التوحيد ما صَدَقَ هذا.

فإذن: لا بدَّ أن يَصْدُق، واعلم أنه لو كان النَّاسُ أمَّةً واحدةً على التَّوْحيد هل يتَمَيَّز المؤمنُ من الكافر؟ لا" فكلُّهم واحدٌ، فلا امتحان ولا اختبار، ولو كان النَّاسُ أمَّةً واحدةً على التَّوحيد لانْسَدَّ بابُ الأمْر بالمعروف والنَّهْي عن المُنْكَر، والسَّبَبُ أنه ليس هناك مُنْكَرٌ قد يحتاج إلى نَهْيٍ عن المُنْكَر، ولو كان النَّاسُ على أمَّة على التَّوْحيد لبَطَلَ الجهادُ، أو فمَنْ نُجاهِدُ؟ لا أحد.

المُهِمُّ: أنَّ هناك حِكَمًا كثيرةً في كون الله عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ النَّاسَ على قِسْمين" ولهذا قال

(1) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (13) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

هنا: {وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي}: {حَقَّ} بمعنى وَجَبَ وثَبَتَ، و {الْقَوْلُ} فاعلٌ و {مِنِّي} متعلِّقٌ بمحذوف حالٌ من القَوْلِ، {وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ} حالَ كَوْنه صادرًا {مِنِّي} وهذا القولُ هو: {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ} الجنِّ {وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} وهنا الفعلُ {لَأَمْلَأَنَّ} مؤكَّدٌ بالنُّون وباللَّام وبالقَسَم المقَدَّر، والتَّأْكيد هنا واجبٌ من النَّاحيَة النَّحْوِيَّة" واجبٌ لأنه في قَسَمٍ مُثْبَتٍ مُسْتَقْبَلٍ لم يُفْصَلْ بينه وبين لامه بفاصلٍ.

وقوله تعالى: {جَهَنَّمَ} هذا اسْمٌ من أسماءِ النَّار،

قيل: إنَّها عَرَبِيَّة، والنُّون فيها زائدة وأنَّها من الجَهْمِ أو من التَّجَهُّم وهو الظُّلْمَة،

وقيل: إنَّها اسمٌ مُعَرَّب وليس بعَرَبِيّ، ولكنَّه مُعَرَّب، وعلى كل الأحوالِ فالمرادُ بها النَّار، نسألُ الله العافِيَةَ!

وقوله تعالى: {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ}: {الْجِنَّةِ} هي الجِنُّ، و {وَالنَّاسِ} بنو آدمَ {أَجْمَعِينَ} فتمْلَأُ من هؤلاء وهؤلاء، وأيُّهما أكثر؟ الله أعلم، لكن ظاهرُ القِسْمَة أنَّهم سواءٌ: {مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ}.

مسألة: بإجماع المُسْلمينَ أنَّ كافرَ الجِنِّ يَدْخل النَّار، أما مُؤْمنُ الجنِّ" فهل يدخُلُ الجنَّةَ؟

الجوابُ: اختلف فيه العلماءُ، والصَّوابُ: أنَّهم يَدْخُلونَ الجنَّةَ،

قال تعالى: {يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ} {الأنعام: 130}،

وقال تعالى: {يَابَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ} {الأعراف: 35} أي: من الجنِّ والإِنْس.

{فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (35) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} {الأعراف: 35 – 36}،

وقال تعالى: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ} {الرحمن: 46}.

ثم قال: {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} {الرحمن: 47}.

يُخاطبُ الجِنَّ والإِنْس، فهذا بَيِّنٌ أيضًا على أنَّهم يدخلون الجنَّة، وكذلك قولُه تعالى: {لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ} {الرحمن: 56}.

يدلُّ على أنَّهم يدخلونَ الجنَّة، وهذا هو الذي عليه جُمْهُورُ أهْلِ العلْم.

وقال بَعْضُهم: إنَّهم لا يدخلون الجنَّة" لأنَّ الذين: {وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (29) قَالُوا يَاقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (30) يَاقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} {الأحقاف: 29 – 31}.

ولم يقولوا: (يُدْخِلكم الجنَّة)، فهذا دليل على أنَّ المؤْمنَ منهم يُجارُ من العذابِ الأليم فقط!.

فيقال: إنَّ هذا استدلالٌ بنصٍّ وتَرْكُ نُصوص، وما هكذا حالُ الإنسانِ الذي يُوَفِّقُ بين الأدلَّة، ثم إنَّ مقامَ هؤلاء القَوْمِ مقامُ إنذارٍ

وتخويف: {وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ} دون مُبَشِّرِينَ، فهو مقامُ إنذارٍ وتخويف، وهم إذا استقاموا وخافوا فإنَّه لا شكَّ أنَّهُم يدخلونَ الجنَّة؛ لأنَّ من أُجيرَ من العذاب الأليم من المُكَلَّفينَ فلا بدَّ أن يدخلَ الجنَّة؛ إذ إنَّ مآل الورَى إلى الجنَّة أو النَّار.

وهذا القول هو الحَقُّ: أنَّ مُؤمنَهم يدخلُ الجنَّة وكافرَهُم يدخلُ النَّار؛ والثاني: أن كافرَهُم يدخل النَّارَ بالإجماع، وليس فيه خلافٌ؛ لأنه نَصٌّ بالقُرآن.

* * *

من فوائد الآية الكريمة:

الْفَائِدَةُ الأُولَى: إثباتُ مشيئة الله؛ لقوله تعالى: {وَلَوْ شِئْنَا} .

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: تمامُ سلطانه؛ لقوله تعالى: {وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا} .

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: إثباتُ حِكْمَته؛ حيث لم يُؤتِ كُلَّ نَفْسٍ هداها؛ وقد سبق لنا شيءٌ من الحكَم في اختلاف النَّاس إلى مُؤْمن وكافر.

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: الرَّدُّ على القَدَرِيَّة، والقَدَرِيَّةُ هم الذين يقولون: إنَّ الإنسانَ مُسْتقلٌّ بعَمَله، ليس لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيه تقديرٌ ولا خَلْقٌ، يشاء لنَفْسه ويفعَلُ بنفسه، وليس لله تَعَلُّقٌ بفعله، هؤلاء هم القَدَرِيَّة، فَقَوْلُ الله: {وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا} يردُّ عليه.

ولكن هل في الآية دليلٌ لَمذْهَب الجَبْرِيَّة؟

الجوابُ: ظاهرُها؛ إلَّا أنَّ الآيات الأخرى تدلُّ على أنه لا حُجَّة فيها لهم؛ لأنَّ الله تعالى أعطى الإنسانَ قُدْرَةً واختيارًا، ونحن - مَعْشَرَ أَهْلِ السُّنَّة - لا نَأْخُذُ ببعض الكتاب ونَدَعُ بعضًا، بل نأخُذُ بالكتاب كلِّه، فنؤمنُ بأنَّ مَشيئَةَ الله فَوْقَ كُلِّ شيء ونؤمنُ بأنَّ للإنسان مَشيئةً وإرادةً وقُدْرَةً على العمل، وأنَّ الإنسانَ هو الفاعل وليس الله تعالى هو الفاعلَ.

الْفَائِدَةُ الخَامِسَةُ: إثباتُ كلام الله؛ أنَّ الله يتكلَّم؛ لقوله تعالى: {حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ} .

الْفَائِدَةُ السَّادِسَةُ: أن كلامه تعالى بِحَرْفٍ؛ لأن قوله تعالى: {لَأَمْلَأَنَّ} حروفٌ.

الْفَائِدَةُ السَّابِعَةُ: الرَّدُّ على من زعم أن كلامَ الله هو المعنى القائمُ بالنَّفْس؛ إذ لو كان كذلك لقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ولكن أَرَدْتُ أن أَمْلَأ؛ ولم يقُل: {وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ} .

الْفَائِدَةُ الثَّامِنَةُ: إثبات النَّار؛ لقوله تعالى: {جَهَنَّمَ} .

الْفَائِدَةُ التَّاسِعَةُ: أنَّ الله جَلَّ وَعَلَا أوفى المعاهِدينَ؛ أنه وعَدَ أنَّ النَّارَ يَمْلَؤُها وفاءً لها بما وعدها؛ ولهذا قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ} ، وقال تعالى: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ} .

الْفَائِدَةُ الْعَاشِرَةُ: أنَّ الجِنَّ يدخلون النَّارَ، تُؤخَذُ من قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} وهل يدخلون الجنَّة؟

الجوابُ: تقدَّم أنَّ في ذلك خلافًا، وأنَّ الصَّواب أنَّهُم يَدْخُلونها وبَيَّنَّا الأدلَّة على ذلك من القرآن.(1)

* * *

(1) انظر: (تفسير القرآن الكريم) للشيخ (محمد بن صالح العثيمين) في سُورَة (السَّجْدَة) الآية (13).

[١٤] ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ويقال: لهم يوم القيامة تَبْكِيتًا لهم وتوبيخًا: فذوقوا العذاب بسبب غفلتكم في الحياة الدنيا عن لقاء الله يوم القيامة لحسابكم، إنا تركناكم في العذاب غير مبالين بما تقاسونه منه، وذوقوا عذاب النار الدائم الذي لا ينقطع بسبب ما كنتم تعملون في الدنيا من المعاصي. (1)

* * *

يَعنِي:- يقال لهؤلاء المشركين -عند دخولهم النار على سبيل التوبيخ-: "فذوقوا العذاب بسبب غفلتكم عن الآخرة وانغماسكم في لذائذ الدنيا، إنا تركناكم اليوم في العذاب، وذوقوا عذاب جهنم الذي لا ينقطع" بما كنتم تعملون في الدنيا من الكفر بالله ومعاصيه. (2)

* * *

يَعنِي:- فذوقوا العذاب بما غفلتم عن لقاء يومكم هذا، إنا تركناكم فى العذاب كالمنسيين، وذوقوا العذاب الدائم الذى لا انقطاع له بسبب كفركم ومعاصيكم. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فَذُوقُوا} .... هذا الذي أنتم فيه" من التنكيس والخزي.

{بِمَا نَسِيتُمْ} .... بسبب نسيانكم.

{لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا} .... وهو يوم القيامة، واشتغالكم بملذاتكم عن الاعتداد له.

{إِنَّا نَسِينَاكُمْ} .... تركناكم. أي: تركناكم في العذاب.

{وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ} .... الدائم في جهنم.

{عذاب الخلد} .... أي: العذاب الخالد الدائم.

{بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} .... من سيئات الكفر والمعاصي والتكذيب والشر والشرك.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس):- قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {14} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ} تركتم الْإِقْرَار وَالْعَمَل {لِقَاءَ يَوْمِكُمْ} بلقاء يومكم {هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ} تركناكم فِي النَّار {وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ} الدَّائِم {بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} فِي الْكفْر. (4)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {14} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا} أَيْ: تَرَكْتُمُ الْإِيمَانَ بِهِ فِي الدنيا، {إِنَّا نَسِينَاكُمْ} تَرَكْنَاكُمْ.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (416/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (416/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (620/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَة (السَّجْدَة) الآية (14) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما - .

{وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} من الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {14} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا} أي: يقال للمجرمين، الذين ملكهم الذل، وسألوا الرجعة إلى الدنيا، ليستدركوا ما فاتهم، قد فات وقت الرجوع ولم يبق إلا العذاب، فذوقوا العذاب الأليم، بما نسيتم لقاء يومكم هذا، وهذا النسيان نسيان ترك، أي: بما أعرضتم عنه، وتركتم العمل له، وكأنكم غير قادمين عليه، ولا ملاقيه.

{إِنَّا نَسِينَاكُمْ} أي: تركناكم بالعذاب، جزاء من جنس عملكم، فكما نَسِيتُمْ نُسِيتُمْ،

{وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ} أي: العذاب غير المنقطع، فإن العذاب إذا كان له أجل وغاية، كان فيه بعض التنفيس والتخفيف، وأما عذاب جهنم - أعاذنا الله منه - فليس فيه روح راحة، ولا انقطاع لعذابهم فيها.

{بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} من الكفر والفسوق والمعاصي.(2)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {14} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَذُوقُوا} أي العذاب الخزي {بِمَا نَسِيتُمْ} (3) أي: بسبب نسيانكم.

{لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا} فلم تؤمنوا ولم تعملوا صالحاً إنا نسيناكم وتركناكم في العذاب.

{وَذُوقُوا (6) عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} من الشرك والمعاصي هذا يقال لهم وهم في جهنم تبكيتاً لهم وتقريعاً زيادة في عذابهم، والعياذ بالله من عذاب النار.(4)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن)- عن (قتادة): {فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ} قال: نسوا من كلّ خير، وأما الشرّ فلم ينسوا منه.(5)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): في قوله: {إنا نسيناكم} يقول: تركناكم.(6)

* * *

وانظر: سورة- (الجاثية) - آية (34). - كما قال تعالى: {وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (14).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (14) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3)- النسيان يكون بمعناه الأصلي وهو عدم ورود الشيء بالخاطر النفسي ويكون بترك الشيء وعدم الالتفات إليه مع ذكره في النفس والآخر أولى بالآية.

6 - قد يعبر بالذوق عما يطرأ على النفس وإن لم يكن مطعوماً لإحساسها به كإحساسها بذوق المطعوم قال الشاعر:

فذق هجرها إن كنت تزعم أنها .... فساد ألا يا ربّما كذب الزعم

فأطلق الذوق على الهجر وهو غير مطعوم ولكنه محسوس بالنفس.

(4) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (14) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (177/20).

(6) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (177/20).

نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ}.

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-
(بسنده الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة عن (ابن عباس)، قوله: {وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ} نترككم.
وقوله: {وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ} يقول: ومأواكم التي تأوون إليها نار جهنم،
{وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} يقول: وما لكم من مستنقذ ينقذكم اليوم من عذاب الله، ولا منتصر ينتصر لكم ممن يعذّبكم، فيستنقذ لكم منه .(1)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {14} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا} أَيْ: يُقَالُ لِأَهْلِ النَّارِ عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ: ذُوقُوا هَذَا الْعَذَابَ بِسَبَبِ تَكْذِيبِكُمْ بِهِ، وَاسْتِبْعَادِكُمْ وُقُوعَهُ، وَتَنَاسِيكُمْ لَهُ" إِذْ عَامَلْتُمُوهُ مُعَامَلَةَ مَنْ هُوَ نَاسٍ لَهُ،
{إِنَّا نَسِينَاكُمْ} أَيْ: إِنَّا سَنُعَامِلُكُمْ مُعَامَلَةَ النَّاسِي" لِأَنَّهُ تَعَالَى لَا يَنْسَى شَيْئًا وَلَا يَضِلُّ عَنْهُ شَيْءٌ، بَلْ مِنْ بَابِ الْمُقَابَلَةِ،
كَمَا قَالَ تَعَالَى: {الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا} {الْجَاثِيَةِ: 34}.

وَقَوْلُهُ: {وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} أَيْ: بِسَبَبِ كُفْرِكُمْ وَتَكْذِيبِكُمْ،
كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا* إِلا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا* جَزَاءً وِفَاقًا* إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا* وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا* وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا* فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلا عَذَابًا} {النَّبَأ: 24-30}. (2)

* * *

[١٥] ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:
إنما يؤمن بآياتنا المنزلة على رسولنا الذين إذا وعظوا بها سجدوا لله مسبحين بحمده، وهم لا يستكبرون عن عبادة الله ولا عن السجود له بأي حال. (3)

* * *

يَعْنِي:- إنما يصدق بآيات القرآن ويعمل بها الذين إذا وُعظوا بها أو تُليت عليهم سجدوا لربهم خاشعين مطيعين، وسبَّحوا الله في سجودهم بحمده، وهم لا يستكبرون عن السجود والتسبيح له، وعبادته وحده لا شريك له. (4)

* * *

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (22/ 87).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (14).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/ 416). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/ 416)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

يَعنِي:- إنما يُصَدِّق بآياتنا الذين إذا وعظوا بها خروا لله ساجدين، ونزَّهوا ربهم عن كل نقص، مثنين عليه بكل كمال، وهم لا يستكبرون عن الانقياد لهذه الآيات. (1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا} ...وعظوا.

{إذا ذكروا بها} .... أي: وعظوا بما فيها من أمر ونهي ووعد ووعيد.

{بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا} .... سقطوا على وجوههم ساجدين خوفًا منه.

{خَرُّوا سُجَّدًا} ..... وقعوا على الأرض ساجدين بوضع جباههم وأنوفهم على الأرض.

{وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ} .... نزهوا الله عما لا يليق به، حامدين له على ما وفقهم.

(أي: نزهوه وقدسوه وهم ساجدون يقولون سبحان ربي الأعلى).

{وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ} .... على الإيمان به، والسجود له،

(أي: عن عبادة ربهم في كل أحايينهم بل يأتونها خاشعين متذللين).

* * *

وهذا محل سجود بالاتفاق، وتقدم ذكر اختلاف الأئمة في حكم سجود التلاوة وسجود الشكر ملخصًا عند سجدة (مريم)، ويُسن عند (الشافعي)، و(أحمد) أن يقرأ في فجر الجمعة في الركعة الأولى: {الم} (السجدة)، وفي الثانية {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ} {الإنسان:1}، وكره (أحمد) المداومة عليهما؛ لئلا يُظن أنها مفضلة بسجدة،

وعند (أبي حنيفة)، و(مالك): لا يسن، بل كره (أبو حنيفة) تعيين سورة غير (الفاتحة) بشيء من الصلوات؛ لما فيه من هجران الباقي،

وكره (مالك) قراءة السجدة في صلاة الفرض جهرًا أو سرًا، فإن قرأ، هل يسجد؟ فيه قولان. (2)

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

انظر: سورة – (الفرقان) - آية (73). -

كما قال تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا}.

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {15} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا} أَيْ: إِنَّمَا يُصَدِّقُ بِهَا.

{الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا} أَيِ: اسْتَمَعُوا لَهَا وَأَطَاعُوهَا قَوْلًا وَفِعْلًا.

{وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ} أَيْ: عَنِ اتِّبَاعِهَا وَالِانْقِيَادِ لَهَا، كَمَا يَفْعَلُهُ الْجَهَلَةُ مِنَ الْكَفَرَةِ الْفَجَرَةِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} {غافر:60}. (3)

* * *

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (620/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن) للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (15).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (15).

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَة السَّجْدَة} الآية {15} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّمَا يُؤمن} يصدق {بِآيَاتِنَا} بِمُحَمد- صلى الله عَلَيْهِ وَسلم - وَالْقُرْآن {الَّذين إِذا ذُكِّرُواْ} دعوا {بِهَا} إِلَى الصَّلَوَات الْخمس بِالْأَذَان وَالْإِقَامَة {خَرُّواْ سُجَّداً} أَتَوا تواضعاً {وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ} صلوا بِأَمْر رَبهم {وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ} لَا يتعظمون عَن الْإِيمَان بِمُحَمد- صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- وَالْقُرْآن والصلوات الْخمس فِي الْجَمَاعَة، نزلت هَذِه الْآيَة فِي شَأْن الْمُنَافِقين وَكَانُوا لَا يأتونَ الصَّلَاة إِلَّا كسَالَى متثاقلين.(1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَة السَّجْدَة} الآية {15} قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا} وعظوا بها، {خَرُّوا سُجَّدًا} سَقَطُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ سَاجِدِينَ، {وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ} قِيلَ: صَلُّوا بِأَمْرِ رَبِّهِمْ، وَقِيلَ: قَالُوا: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، {وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ} عَنِ الْإِيمَانِ وَالسُّجُودِ لَهُ.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَة السَّجْدَة} الآية {15} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ} .

لما ذكر تعالى الكافرين بآياته، وما أعد لهم من العذاب، ذكر المؤمنين بها، ووصفهم، وما أعد لهم من الثواب، فقال: {إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا} أي: إيمانًا حقيقيًا، من يوجد منه شواهد الإيمان، وهم: {الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا} بآيات ربهم فتليت عليهم آيات القرآن، وأتتهم النصائح على أيدي رسل الله، ودُعُوا إلى التذكر، سمعوها فقبلوها، وانقادوا، و {خَرُّوا سُجَّدًا} أي: خاضعين لها، خضوع ذكر لله، وفرح بمعرفته.

{وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ} لا بقلوبهم، ولا بأبدانهم، فيمتنعون من الانقياد لها، بل متواضعون لها، قد تلقوها بالقبول، والتسليم، وقابلوها بالانشراح والتسليم، وتوصلوا بها إلى مرضاة الرب الرحيم، واهتدوا بها إلى الصراط المستقيم.(3)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَة} الآية {15} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ} .

لما ذكر تعالى جزاء المجرمين وهم المكذبون بآيات الله ولقائه ذكر جزاء المؤمنين وهم الذين آمنوا بآيات الله ولقائه ذكرهم بأجمل

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (15) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (15).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (15) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

صفاتهم فقال: {إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا}[1] حق الإيمان {الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا} أي: قرئت عليهم وكانت من الآيات التي فيها السجدات {خَرُّوا سُجَّدًا}[2] أي: وقعوا على الأرض ساجدين بوضع جباهم وأنوفهم على التراب، {وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ} أي نزهوه وقدسوه أثناء سجودهم بقولهم سبحان ربي الأعلى، والحال أنهم لا يستكبرون عن عبادة الله مطلقاً بل يأتونها متذللين خاشعين.[3]

* * *

[١٦] ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

تتباعد جنوبهم عن فُرُشهم التي كانوا عليها في نومهم يتركونها ويتوجهون إلى الله، يدعونه في صلاتهم وغيرها خوفًا من عذابه، وطمعًا في رحمته، ويبذلون الأموال التي أعطيناهم إياها في سبيل الله.[4]

* * *

يَعنِي:- ترتفع جنوب هؤلاء الذين يؤمنون بآيات الله عن فراش النوم، يتهجدون لربهم في صلاة الليل، يدعون ربهم خوفًا من العذاب وطمعًا في الثواب، ومما رزقناهم ينفقون في طاعة الله وفي سبيله.[5]

* * *

يَعنِي:- تتنحى جنوبهم عن مضاجعها. يدعون ربهم خوفاً من سخطه، وطمعاً فى رحمته، ومن المال الذى رزقناهم به ينفقون فى وجوه الخير.[6]

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{تتجافى جنوبهم} .... ترتفع أي: تتباعد عن الفرش من أجل قيامهم للصلاة في جوف الليل.

{تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ} ... قال: يصلون ما بين هاتين الصلاتين.

{تَتَجَافَى} ... تَرْتَفِعُ، وَتَتَنَحَّى لِلعِبَادَةِ. أو: (تَتَبَاعَدُ عن الفُرُش).

{الْمَضَاجِع} ... فُرُش النَّوْم.

{جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ} .... جمع مضجع، وهو الفراش، وهم المتهجدون بالليل الذين يقومون للصلاة.

{يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا} ... من النار.

{خوفاً وطمعا} ..... أي: يسألونه النجاة من النار، ودخول الجنة.

{وَطَمَعًا} .... في الجنة.

{وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} ... يتصدقون تطوعًا.

* * *

---

(1) في الآيات تسلية للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عما يجده من إعراض المشركين المكذبين بالبعث والجزاء في الدار الآخرة والقائلين: أم يقولون افتراه فأعلمه إنما يؤمن مَن ذكرهم بصفاتهم، والقصر إضافي والمراد من الآيات آيات القرآن الكريم.

(2) الخرور الهوي من علو إلى أسفل والسجود وضع الجبهة على الأرض إرادة التعظيم والخضوع.

(3) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (15) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (416/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (416/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(6) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (620/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

وقال: (ابن رواحة) يمدح النبي - صلى الله عليه وسلم -:-

وَفينا رسولُ الله يَتْلو كتابَهُ ... إذا انشقَّ معروفٌ من الفجرِ ساطعُ.

أرانا الهدى بعدَ العمى فقلوبُنا ... به موقِناتٌ أنَّ ما قالَ واقعُ.

يبيتُ يُجافي جَنْبَهُ عن فِراشِهِ ... إذا استثقلَتْ بالكافرينَ المضاجعُ. (1)

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس):- قال: الإِمَام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {16} قَوْلُهُ تَعَالَى: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ} تتقلب جنوبهم {عَنِ الْمَضَاجِعِ} عَن الْفراش بعد النّوم بِاللَّيْل لصَلَاة التَّطَوُّع {يَدْعُونَ رَبَّهُمْ} يعْبدُونَ رَبهم بالصلوات الْخمس وَيُقَال ترفع جنوبهم من الْفراش حَتَّى يصلوا صَلَاة الْعشَاء الْأَخِيرَة وَيُقَال ترفع جنوبهم عَن الْفراش بعد النّوم بِاللَّيْل لصَلَاة التَّطَوُّع {خَوْفاً} مِنْهُ وَمن عَذَابه {وَطَمَعاً} إِلَيْهِ وَإِلَى رَحمته {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ} أعطيناهم من المَال {يُنْفِقُونَ} يتصدقون بِهِ. (2)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {16} قَوْلُهُ تَعَالَى: {تَتَجَافَى} ترتفع وتنبو، {جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ} جَمْعُ مَضْجَعٍ وَهُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي يُضْطَجَعُ عَلَيْهِ يَعْنِي الْفُرُشَ وَهُمُ المتهجدون بالليل، الذين يَقُومُونَ لِلصَّلَاةِ، وَاخْتَلَفُوا فِي الْمُرَادِ بِهَذِهِ الْآيَةِ،

* * *

قَالَ: (أَنَسٌ): نَزَلَتْ فِينَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ كُنَّا نُصَلِّي الْمَغْرِبَ فَلَا نَرْجِعُ إِلَى رِحَالِنَا حَتَّى نُصَلِّيَ الْعِشَاءَ مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

* * *

وَعَنْ (أَنَسٍ) أَيْضًا قَالَ: نَزَلَتْ فِي أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانُوا يُصَلُّونَ مِنْ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ إِلَى صَلَاةِ الْعِشَاءِ، وَهُوَ قَوْلُ أَبِي حَازِمٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، وَقَالَا: هِيَ صَلَاةُ الْأَوَّابِينَ.

* * *

وروي عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ)- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَحُفُّ بِالَّذِينَ يُصَلُّونَ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، وَهِيَ صَلَاةُ الْأَوَّابِينَ.

* * *

وَقَالَ: (عَطَاءٌ): هُمُ الَّذِينَ لَا يَقُومُونَ حَتَّى يُصَلُّوا الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ. (3)

* * *

وَعَنْ (أَبِي الدَّرْدَاءِ)، وَ(أَبِي ذَرٍّ)، وَ(عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ)- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: هُمُ الَّذِينَ يُصَلُّونَ الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ والفجر في جماعة، وَأَشْهَرُ الْأَقَاوِيلِ أَنَّ الْمُرَادَ مِنْهُ صَلَاةُ اللَّيْلِ،

---

(1) رواه الإمام (البخاري) في (صحيحه) برقم (5799)، (كتاب: الأدب)، / (باب: هجاء المشركين)، - عن (أبي هريرة) - رضي الله عنه-.

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (16) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (16).

وَهُوَ قَوْلُ: (الْحَسَنِ)، و(مجاهد)، و(مالك)، و(الأوزاعي) وجماعة، (1)

* * *

عَنْ (مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ) قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي سَفَرِنَا فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَهُوَ يَسِيرُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، قَالَ: ((لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ أَمْرٍ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصُومُ رَمَضَانَ وَتَحُجُّ الْبَيْتَ))، ثُمَّ قَالَ: ((أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تطفئ الْخَطِيئَةَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيلِ)) ثُمَّ تَلَا {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ} [السجدة: 16] حَتَّى بَلَغَ {جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [السجدة: 17]، ثُمَّ قَالَ: ألا أدلك بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: ((رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصلاة، وذروة سنامه الجهاد)). (2)

قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): خَوْفًا مِنَ النَّارِ وَطَمَعًا فِي الْجَنَّةِ، {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} قِيلَ: أَرَادَ بِهِ الصَّدَقَةَ الْمَفْرُوضَةَ. وَقِيلَ: فِي الْوَاجِبِ وَالتَّطَوُّعِ. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - رحمه الله - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {16} قَوْلُهُ تَعَالَى: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ} أي: ترتفع جنوبهم، وتنزعج عن مضاجعها اللذيذة، إلى ما هو ألذ عندهم منه وأحب إليهم، وهو الصلاة في الليل، ومناجاة الله تعالى.

ولهذا قال: {يَدْعُونَ رَبَّهُمْ} أي: في جلب مصالحهم الدينية والدنيوية، ودفع مضارهما.

{خَوْفًا وَطَمَعًا} أي: جامعين بين الوصفين، خوفًا أن ترد أعمالهم، وطمعًا في قبولها، خوفًا من عذاب الله، وطمعًا في ثوابه.

{وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ} من الرزق، قليلا كان أو كثيرًا.

{يُنْفِقُونَ} ولم يذكر قيد النفقة، ولا المنفق عليه، ليدل على العموم، فإنه يدخل فيه، النفقة الواجبة، كالزكوات، والكفارات، ونفقة الزوجات والأقارب، والنفقة المستحبة في وجوه الخير، والنفقة والإحسان المالي، خير مطلقًا، سواء وافق غنيًا أو فقيرًا، قريبًا

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (16).

(2) أخرجه الإمام (الترمذي) في (الإيمان) برقم (7 / 362)، وقال: هذا حديث (حسن صحيح).

وأخرجه الإمام (النسائي) في (التفسير) برقم (2 / 156)،

وأخرجه الإمام (ابن ماجه) في (الفتن) برقم (3973).

وأخرجه الإمام (عبد الرزاق) في (المصنف) برقم (11 / 194).

و(عبد بن حميد) في (المنتخب من المسند) برقم (112) (ص 68).

وأخرجه الإمام (الحاكم) مطولا (2 / 412)،

و(صححه) على شرط (الشيخين) ووافقه (الذهبي).

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (16).

أو بعيداً، ولكن الأجر يتفاوت، بتفاوت النفع، فهذا عملهم.(1)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره): - {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {16} قَوْلُهُ تَعَالَى: {تَتَجَافَى (2) جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ} هذه بعض صفاتهم أيضا وهي أنهم يباعدون جنوبهم عن فرشهم في الليل لصلاة التهجد.

وقوله: {يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً} أي: في حال صلاتهم وفي غيرها وهو دعاء تميّز بخوفهم من عذاب ربهم وطمعهم في رحمته فهم يسألون ربهم النجاة من النار ودخول الجنة.

وقوله: {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} هذا وصف آخر لهم وهو أنهم يتصدقون بفضول أموالهم زيادة على أداء الزكاة كتهجدهم بالليل زيادة على الصلوات الخمس.(3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بأسانيد يقوي) - (بعضها بعضاً)- عن (قتادة): قال (أنس): في قوله: {كانوا قليلا من الليل ما يهجعون} قال: كانوا يتنفلون فيما بين المغرب والعشاء.(4)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره) حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن (قَتادة)، عن (الحسن): {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ} قال: قيام الليل.(5)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح)- عن (مجاهد): قوله: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ} يقومون يصلون من الليل.(6)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن)- عن (قتادة): {يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} قال: خوفا من عذاب الله، وطمعا في رحمة الله، ومما رزقناهم ينفقون في طاعة الله، وفي سبيله.(7)

* * *

قال: الإمام (الترمذي) - (رحمه الله) - في (سننه): حدثنا عبد الله بن أبي زياد، حدثنا عبد العزيز بن عبد الله الأويسي عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد عن (أنس بن مالك) أن هذه الآية {تتجافى جنوبهم عن

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (16) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) الجملة حال من الموصول والتجافي التباعد والمتاركة، والمضاجع جمع مضجع الفراش والجنب جمع جَنب، والمراد تباعدهم عن فرشهم لقيام الليل، ومن صلى العشاء في جماعة والصبح في جماعة تناوله الوصف، وشاهد التجافي قول: (عبد بن رواحة)- رضي الله عنه- بمدح النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فيقول:

وفينا رسول الله يتلو كتابه ،،،،، إذا انشق معروف من الصبح ساطع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه ،،،،، إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

(3) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (16) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (20/180).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (20/180).

(6) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (20/180).

(7) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (20/182).

المضاجع} نزلت في انتظار هذه الصلاة التي تُدعى العَتمة.(1)

* * *

قال: الإمام (ابن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَة} الآية {16} ثمَّ قَالَ تَعَالَى: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ} يَعْنِي بِذَلِكَ: قِيَامَ اللَّيْلِ، وَتَرْكَ النَّوْمِ وَالِاضْطِجَاعِ عَلَى الْفُرُشِ الْوَطِيئَةِ.

* * *

قَالَ: (مُجَاهِدٌ)، وَ(الْحَسَنُ): فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ} يَعْنِي بِذَلِكَ: قِيَامَ اللَّيْلِ.

وَعَنْ (أَنَسٍ)، وَ(عِكْرِمَةَ)، وَ(مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ)، وَ(أَبِي حَازِمٍ)، وَ(قَتَادَةَ): هُوَ الصَّلَاةُ بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ.

* * *

وَعَنْ (أَنَسٍ) أَيْضًا: هُوَ انْتِظَارُ صَلَاةِ الْعَتَمَةِ. رَوَاهُ (ابْنُ جَرِيرٍ) (بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ).(2)

* * *

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ): هُوَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ فِي جَمَاعَةٍ، وَصَلَاةُ الْغَدَاةِ فِي جَمَاعَةٍ.(3)

* * *

{يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا} أَيْ: خَوْفًا مِنْ وَبَالِ عِقَابِهِ، وَطَمَعًا فِي جَزِيلِ ثَوَابِهِ، {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}، فَيَجْمَعُونَ بَيْنَ فِعْلِ الْقُرُبَاتِ اللَّازِمَةِ وَالْمُتَعَدِّيَةِ، وَمُقَدَّمُ هَؤُلَاءِ وَسَيِّدُهُمْ وَفَخْرُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –.(4)

* * *

وَقَالَ الْإِمَامُ (أَحْمَدُ): حَدَّثَنَا رَوْحٌ وَعَفَّانُ قَالَا حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، أَخْبَرَنَا عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ، عَنْ مُرَّةَ الْهَمْدَانِيِّ، عَنْ (ابْنِ مَسْعُودٍ)(5)، عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: ((عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ رَجُلَيْنِ: رَجُلٌ ثَارَ مِنْ وِطَائِهِ وَلِحَافِهِ، وَمِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ وَحَيِّهِ إِلَى صَلَاتِهِ، فَيَقُولُ رَبُّنَا: أَيَا مَلَائِكَتِي، انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي، ثَارَ مِنْ فِرَاشِهِ وَوِطَائِهِ، وَمِنْ بَيْنِ حَيِّهِ وَأَهْلِهِ إِلَى صَلَاتِهِ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي. وَرَجُلٌ غَزَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، فَانْهَزَمُوا، فَعَلِمَ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْفِرَارِ، وَمَا لَهُ فِي الرُّجُوعِ، فَرَجَعَ حَتَّى أُهْرِيقَ دَمُهُ، رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي. فَيَقُولُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ لِلْمَلَائِكَةِ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي رَجَعَ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، وَرَهْبَةً مِمَّا عِنْدِي، حَتَّى أُهْرِيقَ دَمُهُ)).(6)

---

(1) قال (أبو عيسى): هذا حديث – (حسن صحيح غريب) – لا نعرفه إلا من هذا الوجه. (السنن 346/5)، (ح3196) – (كتاب: التفسير) – (باب: سورة السجدة)، و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح سنن الترمذي).

(2) انظر: (تفسير الطبري) (63/21).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَة (السَّجْدَة) الآية (17).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَة (السَّجْدَة) الآية (17).

(5) في ت: "وروى الإمام (أحمد) – بإسناده – عن (ابن مسعود)".

(6) (حسن): أخرجه الإمام (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (416/1).

و(حسنه) (الإمام (الألباني) في (صحيح التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب) رقم (630)، وقال: (حسن لغيره)،

و قال: الشيخ (أحمد شاكر): في تحقيق (المسند): (إسناده صحيح).

وهكـذا رواهُ (أَبُـو داوُد) فـي "الْجِهَـاد"، عَـنْ (مُوسَى بْنِ إِسْمَاعِيلَ)، عَنْ (حَمَّاد بْنِ سَلَمَةَ)، به بِنَحْوِهِ.[1]

* * *

وَقَـالَ الْإِمَـامُ (أَحْمَـدُ): حَـدَّثَنَا (عَبْـدُ الـرَّزَّاقِ)، أَخْبَرَنَا مَعْمَر، عَنْ عَاصِمِ بْنِ أَبِي النَّجُود، عَنْ أَبِي وَائِل، عَنْ (مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ)[2] قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ، وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ. قَالَ: ((لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ الله ولا تشرك به شيئا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ)).

ثُمَّ قَالَ: ((أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ)). ثُمَّ قَرَأَ: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ}، حَتَّى بَلَغَ {يَعْمَلُونَ}.

ثُمَّ قَالَ: ((أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟)).

فَقُلْتُ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ.

فَقَالَ: ((رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)).

ثُمَّ قَالَ: ((أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟)) فَقُلْتُ: بَلَى، يَا نَبِيَّ اللَّهِ. فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ ثُمَّ قَالَ: ((كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا)).

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ.

فَقَالَ: ((ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ -أَوْ قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ -إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ)).[3]

رَوَاهُ الإمام (التِّرْمِذِيُّ)، وَ(النَّسَائِيُّ)، وَ(ابْنُ مَاجَهْ) فِي سُنَنِهِمْ، - مِنْ طُرُقٍ- عَنْ (مَعْمَرٍ)، بِهِ.[4] وَقَالَ: (التِّرْمِذِيُّ): (حَسَنٌ صَحِيحٌ). صَحِيحٌ).

* * *

وَرَوَاهُ (ابْنُ جَرِيرٍ) مِنْ حَدِيثِ شُعْبَةَ، عَنِ الْحَكَمِ قَالَ: سَمِعْتُ عُرْوَةَ بْنَ النَّزَّالِ يُحَدِّثُ عَنْ (مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ)" أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم- قَالَ لَهُ: ((أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ، وَقِيَامُ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ))، وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}.[5]

* * *

وَرَوَاهُ أَيْضًا - مِنْ حَدِيثِ- (الثَّوْرِيِّ)، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ الْمُعْتَمِرِ، عَنِ الْحَكَمِ، عَنْ مَيْمُونِ بْنِ أَبِي شَبِيبٍ، عَنْ (مُعَاذٍ)، عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِنَحْوِهِ، وَمِنْ حَدِيثِ الْأَعْمَشِ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، وَالْحَكَمِ عَنْ مَيْمُونِ بْنِ أَبِي شَبِيبٍ، عَنْ مُعَاذٍ مَرْفُوعًا

---

(1) (حسن): أخرجه الإمام (أبو داود) في (السنن) برقم (5236) - (كتاب: الجهاد).

(2) في ت: "وروى الإمام (أحمد) بإسناده".

(3) (صحيح): أخرجه الإمام (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (231/5).

(4) (صحيح): أخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (2616).
وأخرجه الإمام (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (11394).
وأخرجه الإمام (ابن ماجة) في (السنن) برقم (3973).

(5) انظر: (تفسير الطبري) برقم (64/21).

بِنَحْوِهِ. وَمِنْ حَدِيثِ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ أَبِي النَّجُودِ، عَنْ شَهْرٍ، عَنْ (مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ)، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ}. قَالَ: ((قِيَامُ الْعَبْدِ مِنَ اللَّيْلِ)).(1)

* * *

وَقَالَ: (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ): حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سِنَانَ الْوَاسِطِيُّ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، حَدَّثَنَا فطر بْنُ خَلِيفَةَ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، وَالْحَكَمِ، وَحَكِيمِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ مَيْمُونِ بْنِ أَبِي شَبِيبٍ، عَنْ (مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ) قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي (غَزْوَةِ تَبُوكَ) فَقَالَ: ((إِنْ شِئْتَ أَنْبَأْتُكَ بِأَبْوَابِ الْخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ، وَقِيَامُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ))، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}.(2)

* * *

[١٧] ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فلا تعلم أي نفس ما أعدّه الله لهم مما تقر به أعينهم، جزاءً منه لهم على ما كانوا يعملونه في الدنيا من الأعمال الصالحات، فهو جزاء لا يحيط به إلا اللهُ لعظَمه.(3)

* * *

يَعْنِي:- فلا تعلم نفس ما ادَّخر الله لهؤلاء المؤمنين مما تَقَرُّ به العين، وينشرح له الصدر" جزاء لهم على أعمالهم الصالحة.(4)

* * *

يَعْنِي:- فلا تعلم نفس مقدار ما أعده الله وأخفاه لهؤلاء من النعيم العظيم، الذى تقر به عيونهم، جزاء بما كانوا يكسبون من الطاعة والأعمال.(5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ} .... لا مَلَكٌ مقرَّب، ولا نبي مرسَل.

{مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ} .... هو ما تقر به أعينهم.

{جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} .... من الخير.

عن (أبي هريرة) -رضي الله عنه-، عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((يقول الله تبارك وتعالى: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على

---

(1) انظر: (تفسير الطبري) برقم (21/64، 65).
(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (16).
(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/416). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/416)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/620)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

قلب بشر، بَلْهَ ما اطلعتم عليه)) [1]،

و(بَلْهَ)" أي: غيرَ.

{ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ } ..... أي: لا تعلم نفس ما أخفى الله تعالى لهم وادخر لهم عنده من النعيم الذي تقر به أعينهم أي تسر به وتفرح.

{مَا أُخْفِيَ لَهُمْ} ... مَا ادُّخِرَ لَهُمْ مِنَ الْجَزَاءِ.

{مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ} ... مَا يُفْرِحُ، وَيَسُرُّ.

* * *

﴿الْقِرَاءَاتُ﴾

قرأ (حمزة)، و(يعقوب): (أُخْفِي) بسكون الياء معلومًا مستقبلًا" أي: أخفي أنا،

وقرأ الباقون: بفتحها مجهولًا على بناء الفعل للمفعول. [2]

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {17} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ} فَلَيْسَ تعلم أنفسهم {مَّآ أُخْفِيَ لَهُم} مَا أعد لَهُم وَمَا رفع لَهُم وَمَا ذخر لَهُم {مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ} من طيبَة النَّفس وَالثَّوَاب

والكرامة في الْجنَّة {جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} في الدُّنْيَا من الْخيرَات. [3]

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-{سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {17} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ} قَرَأَ (حَمْزَةُ)، وَ(يَعْقُوبُ): (أُخْفِي لَهُمْ) سَاكِنَةَ الْيَاءِ أَيْ: أَنَا أُخْفِي لَهُمْ، وَمِنْ حُجَّتِه،

قِرَاءَةُ (ابْنِ مَسْعُودٍ) (نُخْفِي) بِالنُّونِ،

وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: بِفَتْحِهَا،

{مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ} مِمَّا تَقَرُّ بِهِ أَعْيُنُهُمْ،

{جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ): عَنِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خطر على قلب بشر)) [4].

قَالَ: (ابن عباس): هَذَا مِمَّا لَا تَفْسِيرَ لَهُ.

وَعَنْ بَعْضِهِمْ قَالَ: أَخْفَوْا أَعْمَالَهُمْ فأخفى الله ثوابهم. [5]

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-{سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {17} وأما جزاؤهم، فقال:

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4502)،- (كتاب: التفسير)، / (باب: قوله: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُم مِن قُرَّةِ أَعْيُنٍ}،

وأخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برق (2824)، في أول كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(2) انظر: "السبعة" لابن مجاهد (ص: 516)،

و"التيسير" للداني (ص: 177)،

و"تفسير البغوي" (3/ 524)،

و"النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (2/ 347)،

و"معجم القراءات القرآنية" (5/ 101).

انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن) للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (17).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (17) يِنسب: لـ(عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(4) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (6/ 318)- (كتاب: بدء الخلق).

وأخرجه الإمَامُ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2824) (4/ 2174).

(5) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامُ (البغوي) سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (17).

{فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ} يدخل فيه جميع نفوس الخلق، لكونها نكرة في سياق النفي. أي: فلا يعلم أحد.

{مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ} من الخير الكثير، والنعيم الغزير، والفرح والسرور، واللذة والحبور،

كما قال تعالى على لسان رسوله: ((أعددت لعبادي الصالحين، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر)).

فكما صلوا في الليل، ودعوا، وأخفوا العمل، جازاهم من جنس عملهم، فأخفى أجرهم، ولهذا قال: {جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.(1)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {17} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلا تَعْلَمُ(2) نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ(3) لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ} يخبر تعالى عن جزائهم عنده فيقول: فلا تعلم نفس ما خبأ الله تعالى لهم من النعيم المقيم الذي تقر به أعينهم أي: تُسر وتفرح.

وقوله: {جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} أي: جزاهم بذلك النعيم بعملهم الخيري الإسلامي الذي كانوا في الدنيا يعملونه وقد ذكر بعضه في الآيات قبل كالصلاة والصدقات.(4)

* * *

قال: الإمام (ابن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {17} ثم قَالَ تَعَالَى: {فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.

أَيْ: فَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ عَظَمَةَ مَا أَخْفَى اللَّهُ لَهُمْ فِي الْجَنَّاتِ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ، وَاللَّذَّاتِ الَّتِي لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى مِثْلِهَا أَحَدٌ، لَمَّا أَخْفَوْا أَعْمَالَهُمْ أَخْفَى اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الثَّوَابِ، جَزَاءً وِفَاقًا" فَإِنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ.

* * *

قَالَ: (الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ): أَخْفَى قَوْمٌ عَمَلَهُمْ فَأَخْفَى اللَّهُ لَهُمْ مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ. رَوَاهُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ).(5)

* * *

قَالَ: الإمام (الْبُخَارِيُّ): قَوْلُهُ: {فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ} الآيَةَ: حدثنا علي بن عبد اللَّه، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ)- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ)). قَالَ: (أبو هريرة): فَاقرؤوا إِنْ شِئْتُمْ: {فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ}.(6)

* * *

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (17) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).
(2) هذا كقول الرجل: هذا لا يعلمه إلا الله، وقرة الأعين كناية عن السرور وعظيم الفرح.
(3) قرأ الجمهور ما أخفي بصيغة الماضي المجهول، وقرأ غيرهم أخفي بالمضارع المعلوم.
(4) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (17) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (17).
(6) (متفق عليه): أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (4779) – (كتاب: تفسير القرآن).
وأخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2824) – (كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها).

قَالَ: وَحَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) قَالَ: قَالَ اللَّهُ مِثْلَهُ. قِيلَ لِسُفْيَانَ: رِوَايَةً؟ قَالَ: فَأَيُّ شَيْءٍ؟.

وَرَوَاهُ (مُسْلِمٌ)[1]، وَ(التِّرْمِذِيُّ)[2] - مِنْ حَدِيثِ- (سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ)، بِهِ.

وَقَالَ (التِّرْمِذِيُّ): (حَسَنٌ صَحِيحٌ).

* * *

ثُمَّ قَالَ الإمام (الْبُخَارِيُّ): حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ نَصْرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ)، عَنِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خطر عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، ذُخْرًا مِنْ بَلْهَ مَا أطلعتم عَلَيْهِ))، ثُمَّ قَرَأَ: {فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.

قَالَ: (أَبُو مُعَاوِيَةَ)، عَنِ (الْأَعْمَشِ)، عَنْ (أَبِي صَالِحٍ)، قَرَأَ (أَبُو هُرَيْرَةَ): ((قُرَّاتِ أَعْيُنٍ))[3].

انْفَرَدَ بِهِ (الْبُخَارِيُّ) مِنْ هَذَا الْوَجْهِ[4].

* * *

وَقَالَ الْإِمَامُ (أَحْمَدُ): حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا (أَبُو هُرَيْرَةَ) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((إن الله تَعَالَى قَالَ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خطر عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ))[5].

أَخْرَجَاهُ فِي (الصَّحِيحَيْنِ) مِنْ رِوَايَةِ (عَبْدِ الرَّزَّاقِ)[6]. وَرَوَاهُ (التِّرْمِذِيُّ) فِي (التَّفْسِيرِ)[7]،

* * *

وَ(ابْنُ جَرِيرٍ)، مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ (أَبِي سَلَمَةَ)، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ)- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِمِثْلِهِ[8].

ثُمَّ قَالَ (التِّرْمِذِيُّ): هَذَا حَدِيثٌ (حَسَنٌ صَحِيحٌ)[9].

* * *

وَقَالَ: (حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ)، عَنْ (ثَابِتٍ)، عَنْ (أَبِي رَافِعٍ)، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ)[10]، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ (حَمَّادٌ): أَحْسَبُهُ عَنِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((مَنْ يَدْخُلِ

---

(1) (صحيح): أخرجه الإمام (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (2824)- (كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها).

(2) أخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (3197).

(3) (صحيح): أخرجه الإمام (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (4780)- (كتاب: تفسير القرآن)،- وفي (البخاري) "رواية (أبي معاوية)" بعد الحديث المتقدم.

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورة (السَّجْدَة) الآية (17).

(5) (صحيح): أخرجه الإمام (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (313/2).

(6) (صحيح): أخرجه الإمام (البُخاري) في (صحيحه) برقم (8498)، - من طريق- (عبد الله)- عن (معمر) به، ولم أجده في (الصحيحين) من رواية (عبد الرزاق).

(7) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورة (السَّجْدَة) الآية (17).

(8) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورة (السَّجْدَة) الآية (17).

(9) أخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (3292).

وتفسير (الطبري) برقم (66/21).

(10) في ت: "وروى (مسلم) عن (أبي هريرة)".

الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لاَ يَبْأَسُ، لاَ تَبْلَى ثِيَابُهُ، وَلاَ يَفْنَى شَبَابُهُ، فِي الْجَنَّةِ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خطر على قلب بشر)).

رَوَاهُ (مُسْلِمٌ) - مِنْ حَدِيثِ- (حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ)، بِهِ. (1)

* * *

وَرَوَى الْإِمَامُ (أَحْمَدُ): حَدَّثَنَا هَارُونُ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، حَدَّثَنِي أَبُو صَخْرٍ، أَنَّ أَبَا حَازِمٍ حدَّثَهُ قَالَ: سَمِعْتُ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ السَّاعِدِيَّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: شَهِدْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مجلسا وَصَفَ فِيهِ الْجَنَّةَ، حَتَّى انْتَهَى، ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِ حَدِيثِهِ: ((فِيهَا مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ))، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا}، إِلَى قَوْلِهِ: {يَعْمَلُونَ}. (2)

وَأَخْرَجَهُ الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) (3) فِي (صَحِيحِهِ): (صَحِيحِهِ): عَنْ (هَارُونَ بْنِ مَعْرُوفٍ)، وَ(هَارُونَ بْنِ سَعِيدٍ)، كِلاَ هُمَا عَنِ (ابْنِ وَهْبٍ)، بِهِ.

* * *

وَقَالَ: (ابْنُ جَرِيرٍ): حَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، حَدَّثَنَا مُعَلَّى بْنُ أَسَدٍ، حَدَّثَنَا سَلاَمُ بْنُ أَبِي مُطِيعٍ، عَنْ (قَتَادَةَ)، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَبْدِ الْغَافِرِ، عَنْ (أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ)، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: ((أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ)). لَمْ يُخَرِّجُوهُ. (4)

* * *

وَقَالَ: (مُسْلِمٌ) أَيْضًا فِي (صَحِيحِهِ): حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ وَغَيْرُهُ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا مُطَرِّفُ بْنُ طَرِيفٍ وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ سَعِيدٍ، سَمِعَا الشَّعْبِيَّ يُخْبِرُ عَنِ (الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ) قَالَ: سَمِعْتُهُ عَلَى الْمِنْبَرِ -يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -قَالَ: ((سَأَلَ مُوسَى، -عَلَيْهِ السَّلاَمُ- رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَمَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ؟ فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ. فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ، وَمِثْلُهُ، وَمِثْلُهُ، وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ. فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ. فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ. قَالَ: رَبِّ، فَأَعْلاَهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ، غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ))، قَالَ: وَمِصْدَاقُهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ: {فَلا

---

(1) (صَحِيحٌ): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (2836)- (كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها).

(2) (صَحِيحٌ): أخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (334/5).

(3) (صَحِيحٌ): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (2825) (كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها).

(4) أخرجه الإمام (الطبري) في (تفسيره) برقم (67/21).

تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (1).

وروَاهُ (التِّرْمِذِيُّ) عَنِ (ابْنِ أَبِي عُمَرَ)، وَقَالَ: (حَسَنٌ صَحِيحٌ)،

قَالَ: وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ عَنِ (الشَّعْبِيِّ)، عَنِ (الْمُغِيرَةِ) وَلَمْ يَرْفَعْهُ، والمرفوع أصح. (2)(3)

* * *

قَالَ: (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ): حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُنِيرٍ الْمَدَائِنِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو بَدْرٍ شُجَاعُ بْنُ الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ خَيْثَمَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُحَادَةَ، عَنْ (عَامِرِ (4) بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ) قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَمْكُثُ فِي مَكَانِهِ سَبْعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يَلْتَفِتُ فَإِذَا هُوَ بِامْرَأَةٍ أَحْسَنَ مِمَّا كَانَ فِيهِ، فَتَقُولُ لَهُ: قَدْ أَنَى لَكَ أَنْ يَكُونَ لَنَا مِنْكَ نَصِيبٌ؟ فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتِ؟ فَتَقُولُ: أَنَا مِنَ الْمَزِيدِ. فَيَمْكُثُ مَعَهَا سَبْعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يَلْتَفِتُ فَإِذَا هُوَ بِامْرَأَةٍ أَحْسَنَ مِمَّا كَانَ فِيهِ، فَتَقُولُ لَهُ: قَدْ أَنَى لَكَ أَنْ يَكُونَ لَنَا مِنْكَ نَصِيبٌ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتِ؟ فَتَقُولُ: أَنَا الَّتِي قَالَ اللَّهُ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ (5).

* * *

وَقَالَ: (ابْنُ لَهِيعَةَ): حَدَّثَنِي (عَطَاءُ بْنُ دِينَارٍ)، عَنْ (سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ) قَالَ: تَدْخُلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ فِي مِقْدَارِ كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، مَعَهُمُ التُّحَفُ مِنَ اللَّهِ مِنْ جَنَّاتِ عَدْنٍ مَا لَيْسَ فِي جَنَّاتِهِمْ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ (6)، وَيُخْبَرُونَ أَنَّ اللَّهَ عَنْهُمْ رَاضٍ. (6)

* * *

وَقَالَ: (ابْنُ جَرِيرٍ): حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ مُوسَى الرَّازِيُّ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي الْيَمَانِ الْهَوْزَنِيِّ -أَوْ غَيْرِهِ- قَالَ: الْجَنَّةُ مِائَةُ دَرَجَةٍ، أَوَّلُهَا دَرَجَةُ فِضَّةٍ وَأَرْضُهَا فِضَّةٌ، وَمَسَاكِنُهَا فِضَّةٌ، وَآنِيَتُهَا فِضَّةٌ وَتُرَابُهَا الْمِسْكُ. وَالثَّانِيَةُ ذَهَبٌ، وَأَرْضُهَا ذَهَبٌ، وَمَسَاكِنُهَا ذَهَبٌ، وَآنِيَتُهَا ذَهَبٌ، وَتُرَابُهَا الْمِسْكُ. وَالثَّالِثَةُ لُؤْلُؤٌ، وَأَرْضُهَا لُؤْلُؤٌ، وَمَسَاكِنُهَا اللُّؤْلُؤُ، وَآنِيَتُهَا اللُّؤْلُؤُ، وَتُرَابُهَا الْمِسْكُ. وَسَبْعٌ وَتِسْعُونَ بَعْدَ ذَلِكَ، مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ. ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. (7) (8)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان عن أبي الزناد، عن الأعرج عن (أبي

---

(1) (صَحِيحٌ): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (189) – (كتاب: الإيمان).

(2) (صَحِيحٌ): أخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (3198).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (17).

(4) في ت: وروى (ابن أبي حاتم) عن (عباس).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (17).

(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (17).

(7) تفسير الطبري (66/21).

(8) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (17).

هريرة) - رضي الله عنه - عن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((قال الله تبارك وتعالى: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)). قال: (أبو هريرة): اقرءوا إن شئتم {فلا تعلم نفس ما أُخفي لهم من قرة أعيُن}. وحدثنا علي حدثنا سفيان، حدثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن (أبي هريرة) قال: قال الله.. -مثله- قيل لسفيان رواية؟ قال: فأي شيء؟، وقال: أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح قرأ (أبو هريرة): ((قرّات أعين)).(1)(2)

* * *

قال: الإمام (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا سعيد بن عمرو الأشعثي، حدثنا سفيان بن عيينة عن مطرف وابن أبجر، عن الشعبي، قال: سمعت المغيرة بن شعبة، رواية إن شاء الله. وحدثنا ابن أبي عمر. حدثنا سفيان. حدثنا مطرف بن طريف وعبد الملك بن سعيد. سمعا الشعبي يُخبر عن (المغيرة بن شعبة)" قال: سمعته على المنبر، يرفعه إلى رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: وحدثني بشر بن الحكم. واللفظ له. حدثنا سفيان بن عيينة، حدثنا مطر وابن أبجر. سمعا الشعبي يقول: سمعت المغيرة بن شعبة يُخبر به الناس على المنبر. قال سفيان: رفعه أحدهما (أراه ابن أبجر) قال: "سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلةً؟ قال: هو رجلٌ يجيءُ بعد ما أُدخل أهل الجنة الجنة، فيُقال له: ادْخل الجنة. يقول: أي ربِ! كيف؟ وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيُقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلك مَلِك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيتُ، ربِّ! فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله. فقال في الخامسة: رضيتُ، ربِّ! فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله. ولك ما اشتهتْ نفسك ولذّتْ عينُك. فيقول: رضيتُ، ربِّ! قال: ربِّ! فأعلاهم منزلةً؟ قال: أولئك الذين أردتُ غرستُ كرامتهم بيدي. وختمتُ عليها. فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر. قال: ومصداقه في كتاب الله عز وجل: {فلا تعلم نفس ما أُخفي لهم من قرة أعين} الآية.(3)

* * *

قال: الإمام (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثني زهير بن حرب، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أبي رافع، عن (أبي هريرة)، عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((من يدخل الجنة ينعم لا ييأس. لا تبلى ثيابه ولا يفني شبابه)).(4)

* * *

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (375/8) - (كتاب: تفسير القرآن) - (سورة السجدة)،/ باب (الآية) (ح4779).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (مسلم) في (صحيحه) برقم (2178/4)، (ح2824) - (كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (مسلم) في (صحيحه) برقم (176/1) - (كتاب: الإيمان)، / باب: (أدنى أهل الجنة) (ح189).

(4) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (مسلم) في (صحيحه) برقم (2181/4)، (ح2836) - (كتاب: الجنة وصفة نعيمها ...)، / باب: (في دوام نعيم أهل الجنة ...).

[١٨] ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

من كان مؤمنًا بالله عاملًا بأوامره مجتنبًا لنواهيه، ليس كمن كان خارجًا عن طاعته، لا يستوي الفريقان عند الله في الجزاء. (1)

* * *

يَعنِي:- أفمن كان مطيعًا لله ورسوله مصدقًا بوعده ووعيده، مثل من كفر بالله ورسله وكذب باليوم الآخر؟ لا يستوون عند الله. (2)

* * *

يَعنِي:- أيستوى الناس فى جزائهم وقد اختلفوا فى أعمالهم؟ أفمن كان مؤمناً بالله كمن كان كافراً به عاصياً له؟ لا يستوون!. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{أفمن كان مؤمناً} .... أي: مصدقا بالله ورسوله ولقاء ربه.

{كمن كان فاسقا} .... أي: كافراً لا يستوون.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

قال: الشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سُورَةُ السَّجْدَة} الآية {18} قوله تعالى: {أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ}. ولما وقع تنازع بين (علي بن أبي طالب) -رضي الله عنه- وبين (الوليد بن عقبة بن أبي معيط) أخي عثمان لأمه،

فقال الوليد لعلي: "اسكت، فإنك صبي"،

فقال له علي: "اسكت، فإنك فاسق"،

نزل قوله تعالى: {أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ} (4) عند الله، أفرد مؤمنًا وفاسقًا حملًا على لفظ (مَنْ) وجمع {لا يَسْتَوُونَ} حملًا على معناها؛

لأنها للعموم؛ لأنه لم يرد مؤمنًا واحدًا وفاسقًا واحدًا، بل أراد جميع المؤمنين وجميع الفاسقين. (5)

* * *

(تفسير ابن عباس):- قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ السَّجْدَة} الآية {18} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً} مُصدقا فِي إيمَانه وَهُوَ (عَلّي بن أبي طَالب) {كَمَن كَانَ فَاسِقاً} منافقاً فِي إيمَانه وَهُوَ (الْوَلِيد بن عقبَة بن أبي معيط) {لاَّ يَسْتَوُونَ} فِي الدُّنْيَا بِالطَّاعَة وَفِي الْآخِرَة بِالصَّوَاب والكرامة عِنْد الله وَكَانَ بَينهمَا كَلَام وتنازع حَتَّى قَالَ: (عَلِي بن أبي طَالب)- رضي الله عَنهُ- يَا فَاسق. (6)

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (416/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (416/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (620/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) رواه الإمام (الطبري) في "تفسيره" (21/ 107)، عن (عطاء)، ورواه (الواحدي) في "أسباب النزول" (ص: 201 - 202)، - عن (ابن عباس)- رضي الله عنهما.

(5) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي) في سُورَة (السَّجْدَة) الآية (18).

(6) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَة (السَّجْدَة) الآية (18) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-{سُورَةُ السَّجْدَة} الآية {18} قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ} وَلَمْ يَقُلْ لَا يَسْتَوِيَانِ لِأَنَّهُ لَمْ يُرِدْ مُؤْمِنًا وَاحِدًا وَفَاسِقًا وَاحِدًا بَلْ أَرَادَ جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ وجميع الفاسقين.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-{سُورَةُ السَّجْدَة} الآية {18} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لا يَسْتَوُونَ }.

ينبه تعالى، العقول على ما تقرر فيها، من عدم تساوي المتفاوتين المتباينين، وأن حكمته تقتضي عدم تساويهما،

فقال: {أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا} قد عمر قلبه بالإيمان، وانقادت جوارحه لشرائعه، واقتضى إيمانه آثاره وموجباته، من ترك مساخط الله، التي يضر وجودها بالإيمان.

{كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا} قد خرب قلبه، وتعطل من الإيمان، فلم يكن فيه وازع ديني، فأسرعت جوارحه بموجبات الجهل والظلم، من كل إثم ومعصية، وخرج بفسقه عن طاعة الله.

أفيستوي هذان الشخصان؟.

{لا يَسْتَوُونَ} عقلا وشرعًا، كما لا يستوي الليل والنهار، والضياء والظلمة، وكذلك لا يستوي ثوابهما في الآخرة.(2)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَة} الآية {18} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَفَمَنْ(3) كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً} أي كافرا ينفي تعالى استواء الكافر مع المؤمن فلذا بعد الاستفهام الإنكاري أجاب بقوله تعالى: {لا يَسْتَوُونَ} ثم بين تعالى جزاء الفريقين وبذلك تأكد بُعد ما بينهما.(4)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن)- عن (قتادة): قوله: {أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لا يَسْتَوُونَ} قال: لا والله ما استووا في الدنيا، ولا عند الموت ولا في الآخرة.(5)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَة} الآية {18} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ} . يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ عَدْلِهِ وَكَرَمِهِ أَنَّهُ لَا يُسَاوِي فِي حُكْمِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا بِآيَاتِهِ مُتَّبِعًا لِرُسُلِهِ، بِمَنْ كَانَ فَاسِقًا،

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (18).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (18) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) الاستفهام إنكاري: وفيه معنى التعجب والمراد بالفاسق هنا الكافر لمقابلة المؤمن وفسقه بترك عبادة ربه وعبادة الأوثان والأصنام.

(4) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (18) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (188/20).

أي: خارجًا عنْ طاعَةِ ربِّه مكذِّبًا لرُسُله إليْه، كَما قالَ تعالَى: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} {الْجَاثِيَة: 21}،

وقَالَ تعَالَى: {أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ} {ص: 28}،

وقَالَ تعَالَى: {لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ} {الْحَشْر: 20}.

ولِهَذَا قَالَ تعَالَى هَاهُنَا: {أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ} أَيْ: عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وقَدْ ذَكَرَ (عَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ)، و(السُّدِّيّ) وَغَيْرُهُمَا: أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي (عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ)، وَ(عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيطٍ) "وَلِهَذَا فَصَّلَ حُكْمَهُمْ. (1)

* * *

قال: الشيخ (محمد بن صالح العثيمين) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآيةِ {18} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا} المراد بالفسْق هنا الفسق الأكبر المُخْرِجُ عن الإسلام، وليس الفسْق الأصْغَر الذي يبقى فيه الإنسانُ مؤمنًا ناقص الإيمان، {كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا}؟

الجوابُ: {لَا يَسْتَوُونَ} وانْتَبِهْ أيها القارئُ وَقِفْ على قوله تعالى: {فَاسِقًا} فإنَّ كثيرًا من القُرَّاء يَقْرأُ ويستمرّ. {أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ} ولا يَصِحُّ هذا، فإذا قرأتَ: {أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا} فقِفْ، ثم قُلْ: {لَا يَسْتَوُونَ} فهذا هو الجوابُ" وهو جوابُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فإنَّ الله تعالى اسْتَفْهَمَ وأجاب نَفْسَه: {أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا}؟ ثم أجابَ: {لَا يَسْتَوُونَ} أي المؤمنونَ والفاسقون" بماذا؟ {أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا} هو ما يُعَدُّ للضَّيْفِ {بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.

* * *

من فوائد الآية الكريمة:

الْفَائِدَةُ الأُولَى: في هذه الآيَةِ تقريرُ أنَّه لا مساواة بين المؤْمن والكافر، وأنَّ هذا أمْرٌ لا يُمكنُ" لقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا} وقد قال الله تعالى في آياتٍ أخرى: {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ} بل من السَّفه ومن الخطأ في الحُكْمِ أن يُجْعَلَ المسلمُ كالمجرم أو الفاسقُ كالمؤمن.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: أنَّ المؤمنَ خيْرٌ من الفاسق، ولو كان الفاسقُ أعظَمَ جاهًا في الدُّنْيا عند الخَلْق" تُؤخَذ من عموم قوله عَزَّ وَجَلَّ: {أَفَمَنْ}: (مَن) هذه اسْمُ اسْتفهام، وأسماءُ الإسْتِفهام من صِيَغِ العُمومِ، فلا يمكنُ لأيِّ فاسقٍ أن يكون كالمؤْمن، ولو عظُمَتْ به الدُّنْيا، ولو نال من الدُّنْيا ما ينالُ، فإنَّه

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورةُ (السَّجْدَة) الآية (18).

ليس كالمؤمن تمامًا، قال تعالى: {لَا يَسْتَوُونَ}. (1)

* * *

[١٩] ﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

أما الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات، فجزاؤهم المعدّ لهم جنات يستقرون فيها كرامة من الله لهم، جزاءً على ما كانوا يعملونه في الدنيا من الأعمال الصالحات. (2)

* * *

يَعنِي:- أما الذين آمنوا بالله وعملوا بما أُمِروا به فجزاؤهم جنات يأوون إليها، ويقيمون في نعيمها ضيافة لهم" جزاءً لهم بما كانوا يعملون في الدنيا بطاعته. (3)

* * *

يَعنِي:- أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى التى فيها مساكنهم، كرامة لهم بما كانوا يعملون. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

ثم بين التفاوتَ بينهما فقال:

{أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ} استحقاقًا تكرمًا منه تعالى:

{جنات المأوى نزلاً} .... النزل ما يعد للضيف من قرى.

{جَنَّاتُ الْمَأْوَى} .... التي يأوي إليها المؤمنون.

{الْمَأْوَى} ... الَّتِي يَأْوُونَ إِلَيْهَا، وَيُقِيمُونَ بِهَا.

{نُزُلًا} ... ضِيَافَةً لَهُمْ. أي: جزاءً وثوابًا.

{بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} .... بسبب أعمالهم.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

انظر: سورة - (النجم) - آية (14-15)، - كما قال تعالى: {عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (14) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (15)}.

لبيان أن جنة المأوى عند (سدرة المنتهى) وهي التي ورد وصفها في بداية سورة (الإسراء).

* * *

(تفسير ابن عباس):- قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {19} ثمَّ بيَّن مستقرهما بعد الْمَوْت فَقَالَ: {أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا} بِمُحَمَّد - صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- وَالْقُرْآن {وَعَمِلُوا الصَّالِحَات} الْخيرَات فِيمَا بَينهم وَبَين رَبهم {فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلاً} منزلا ثَوابًا لَهُم فِي الْآخِرَة.

{بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} فِي الدُّنْيَا من الْخيرَات. (5)

---

(1) انظر: (تفسير القرآن الكريم) للشيخ (محمد بن صالح العثيمين) في سُورَة (السَّجْدَة) الآية (18).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (416/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (416/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (620/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَة (السَّجْدَة) الآية (19) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {19} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى} الَّتِي يَأْوِي إِلَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ، {نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {19} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} من فروض ونوافل {فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى} أي: الجنات التي هي مأوى اللذات، ومعدن الخيرات، ومحل الأفراح، ونعيم القلوب، والنفوس، والأرواح، ومحل الخلود، وجوار الملك المعبود، والتمتع بقربه، والنظر إلى وجهه، وسماع خطابه.

{نزلا} لهم أي: ضيافة، وقرى {بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} فأعمالهم التي تفضل الله بها عليهم، هي التي أوصلتهم لتلك المنازل الغالية العالية، التي لا يمكن التوصل إليها ببذل الأموال، ولا بالجنود والخدم، ولا بالأولاد، بل ولا بالنفوس والأرواح، ولا يتقرب إليها بشيء أصلا سوى الإيمان والعمل الصالح.(2)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره): - {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {19} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا} بالله ربّاً وإلهاً وبمحمد نبياً ورسولا وبالإسلام شرعا وديناً {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} بأداء الفرائض والنوافل في الغالب بعد اجتناب الشرك والمحارم. {فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلاً}(3) أي: ضيافة لهم {بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} وأما الذين فسقوا عن أمر الله فلم يوحدوا ولم يطيعوا فعاشوا على الشرك والمعاصي حتى ماتوا.(4)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {19} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} أَيْ: صَدَّقَتْ قُلُوبُهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَعَمِلُوا بِمُقْتَضَاهَا، وَهِيَ الصَّالِحَاتُ.

{فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى} أَيْ: الَّتِي فِيهَا الْمَسَاكِنُ وَالدُّورُ وَالْغُرَفُ الْعَالِيَةُ.

{نُزُلًا} أَيْ: ضِيَافَةً وَكَرَامَةً. {بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.(5)

* * *

[٢٠] ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (19).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (19) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) النزل بضمتين مشتق من النزول وهو ما يعد للضيف النازل بك من قرى وهو الطعام والشراب والفراش.

(4) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (19) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (19).

أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وأما الذين خرجوا عن طاعة الله بالكفر وارتكاب المعاصي، فمستقرهم الذي أُعدَّ لهم يوم القيامة النار، ماكثين فيها أبدًا، كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها، وقيل لهم تَبْكِيتا لهم: ذوقوا عذاب النار الذي كنتم تكذبون به في الدنيا عندما كانت رسلكم تخوّفكم منه. (1)

* * *

يَعني:- وأما الذين خرجوا عن طاعة الله وعملوا بمعاصيه فمستقرهم جهنم، كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها، وقيل لهم -توبيخاً وتقريعاً-: ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون في الدنيا. (2)

* * *

يَعني:- وأما الذين خرجوا عن طاعة الله بكفرهم فمقامهم الذى أُعدَّ لهم النار، كلما حاولوا الخروج منها أعيدوا فيها، وقيل لهم: ذوقوا عذاب النار الذى كنتم فى الدنيا تصرون على التكذيب به. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا} .... عبارة عن خلودهم فيها.

{ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ} .... أي وأما الذين خرَجُوا من طاعةِ الله بكُفرِهم ، فمأواهُم النارُ ،

{ كُلَّمَا } .... رفعَهم لَهبُ النارِ إلى أعلاها ، فظَنُّوا أنَّهم يخرُجون منها ،

{ أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا } .... ردَّتْهم ملائكةُ العذاب إلى أسفلِها بمقامعَ من حديد ،

{وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ} .... في الدُّنيا. (أي: إهانة لهم، وزيادة في غيظهم)،

قال هنا: (الَّذِي) أراد: العذاب، وفي سبأ (الَّتِي) أراد: النار.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية :

(تفسير ابن عباس):- قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {سُورَةُ السَّجْدَة} الآية {20} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا} نافقوا فِي إِيمَانهم {فَمَأْوَاهُمُ} فمصيرهم {النَّارُ كُلَّمَا أَرَادوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا} من النَّار {أُعِيدُوا} ردوا {فِيهَا} فِي النَّار بمقامع الْحَدِيد {وَقِيلَ لَهُمْ} قَالَت لَهُم الزَّبَانِيَة {ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُم بِهِ} فِي الدُّنْيَا {تكذبون} أَنه لَا يكون. (4)

* * *

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (416/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (416/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (620/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورة (السَّجْدَة) الآية (20) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (21) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ (22) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (23) وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (24) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (25) أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ (26) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ (27) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (28) قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (29) فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ (30)

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {20} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ} أي: مقرهم ومحل خلودهم، النار التي جمعت كل عذاب وشقاء، ولا يُفَتَّرُ عنهم العقاب ساعة.

{كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا} فكلما حدثتهم إرادتهم بالخروج، لبلوغ العذاب منهم كل مبلغ، ردوا إليها، فذهب عنهم روح ذلك الفرج، واشتد عليهم الكرب.

{وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ} فهذا عذاب النار، الذي يكون فيه مقرهم ومأواهم، وأما العذاب الذي قبل ذلك، ومقدمة له وهو عذاب البرزخ.(1)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {20} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا} عن أمر الله فلم يوحدوا ولم يطيعوا فعاشوا على الشرك والمعاصي حتى ماتوا {فَمَأْوَاهُمُ}(2) {النَّارُ} أي مقرهم ومحل مثواهم وإقامتهم لا يخرجون {كُلَّمَا أَرَادُوا} أي هموا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها من قبل الزبانية تدفعهم عن أبوابها، {وَقِيلَ لَهُمْ} إذلالا لهم وإهانة {ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ} إذ كانوا مكذبين بالبعث والجزاء.(3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن)- عن (قتادة): {وأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا} أشركوا. {وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ} والقوم مكذبون كما ترون.(4)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {20} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا} أَيْ: خَرَجُوا عَنِ الطَّاعَةِ،

{فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا}،

كَقَوْلِهِ: {كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا} الْآيَةَ {الْحَجِّ: 22}.

* * *

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (20) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).
(2) المأوى: مكان الإيواء، أي: الرجوع إليه والاستقرار فيه.
(3) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (20) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).
(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (188/20).

قَالَ: (الفُضَيل بْنُ عِيَاض): وَاللَّهِ إِنَّ الْأَيْدِي لَمُوثَقَةٌ، وَإِنَّ الْأَرْجُلَ لَمُقَيَّدَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَبَ لَيَرْفَعُهُمْ وَالْمَلَائِكَةَ تَقْمَعُهُمْ.

* * *

{وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ} أَيْ: يُقَالُ لَهُمْ ذَلِكَ تَقْرِيعًا وَتَوْبِيخًا.(1)

* * *

﴿مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ﴾

- إيمان الكفار يوم القيامة لا ينفعهم؛ لأنها دار جزاء لا دار عمل.
- خطر الغفلة عن لقاء الله يوم القيامة.
- من هدي المؤمنين قيام الليل.(2)

* * *

[٢١] ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولنذيقنّ هؤلاء المكذبين الخارجين عن طاعة ربهم من المحن والبلاء في الدنيا، قبل العذاب الأكبر المعدّ لهم في الآخرة إن لم يتوبوا؛ لعلهم يعودون إلى طاعة ربهم.(3)

* * *

يَعْنِي:- ولنذيقن هؤلاء الفاسقين المكذبين من العذاب الأدنى من البلاء والمحن والمصائب في الدنيا قبل العذاب الأكبر يوم القيامة، حيث يُعذَّبون في نار جهنم؛ لعلهم يرجعون ويتوبون من ذنوبهم.(4)

* * *

يَعْنِي:- ونُقسم: لنذيقنهم فى الدنيا عذاب الخذلان قبل أن يصلوا إلى العذاب الأكبر، وهو الخلود فى النار، لعل المعذبين بالعذاب الأدنى يتوبون عن الكفر.(5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى} .... أي: الأقرب عذاب الدنيا من القتل والأسر والمحن.

{الْعَذَابِ الْأَدْنَى} ... البَلَايَا وَالْمَصَائِبِ فِي الدُّنْيَا.

{دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ} .... عذاب الآخرة، (أي: نذيقهم العذاب هنا قبل العذاب).

أي: عذاب الدنيا من مصاب القحط والجدب والقتل والأسر.

(أي: مَصَائِبُ الدُّنْيَا، أو: الجوع، أو: القتل، أو: الحدود، أو: مَا أَصَابَهُمْ بِبَدْرٍ، وقيل: عذابُ القبرِ، وَيَحْتَمِلُ جميعُ ذلك).

{العذاب الأكبر} .... هو عذاب الآخرة في نار جهنم.

{لعلهم يرجعون} .... أي: يصيبهم بالمصائب في الدنيا رجاء أن يؤمنوا ويوحدوا.

{لَعَلَّهُمْ} .... أي: من بقي منهم.

{يَرْجِعُونَ} يتوبون.

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (20).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (416/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (417/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (417/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (620/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ السَّجْدَةَ} الآية {21} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَلَنُذِيقَنَّهُمْ} لنصيبنهم يَعْنِي كفار مَكَّة {مِّنَ الْعَذَاب الْأَدْنَى} من عَذَاب الدُّنْيَا بِالْقَحْط والجدوبة والجوع وَالْقَتْل وَغير ذَلِك وَيُقَال عَذَاب الْقَبْر. {دُونَ الْعَذَاب الْأَكْبَر} قبل عَذَاب النَّار يخوفهم بذلك. {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} عَن كفرهم فيتوبوا. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةَ} الآية {21} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ} أَيْ: سِوَى الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ،

{لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} قَالَ: (أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ)، وَ(الضَّحَّاكُ)، وَ(الْحَسَنُ)، وَ(إِبْرَاهِيمُ): الْعَذَابُ الْأَدْنَى مَصَائِبُ الدُّنْيَا وَأَسْقَامُهَا وَهُوَ رِوَايَةُ (الْوَالِبِيِّ) عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ).

وَقَالَ: (عِكْرِمَةُ) عنه: الْحُدُودُ.

وَقَالَ: (مُقَاتِلٌ): الْجُوعُ سَبْعَ سِنِينَ بِمَكَّةَ حَتَّى أَكَلُوا الْجِيَفَ وَالْعِظَامَ وَالْكِلَابَ.

وَقَالَ: (ابْنُ مَسْعُودٍ): هُوَ الْقَتْلُ بِالسَّيْفِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَهُوَ قَوْلُ: (قَتَادَةَ)، وَ(السُّدِّيِّ)،

{دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ} يَعْنِي: عَذَابَ الْآخِرَةِ، {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} إِلَى الْإِيمَانِ، يَعْنِي: مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ بَعْدَ بَدْرٍ وَبَعْدَ الْقَحْطِ. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةَ} الآية {21} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}. أي: ولنذيقن الفاسقين المكذبين، نموذجًا من العذاب الأدنى، وهو عذاب البرزخ، فنذيقهم طرفًا منه، قبل أن يموتوا، إما بعذاب بالقتل ونحوه، كما جرى لأهل بدر من المشركين، وإما عند الموت،

كما في قوله تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ} ثم يكمل لهم العذاب الأدنى في برزخهم.

وهذه الآية من الأدلة على إثبات عذاب القبر، ودلالتها ظاهرة، فإنه قال: {وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأدْنَى} أي: بعض وجزء منه، فدل على أن ثمَّ عذابًا أدنى قبل العذاب الأكبر، وهو عذاب النار.

ولما كانت الإذاقة من العذاب الأدنى في الدنيا، قد لا يتصل بها الموت، فأخبر تعالى أنه يذيقهم ذلك لعلهم يرجعون إليه ويتوبون من ذنوبهم،

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (السَّجْدَةَ) الآية (21) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سُورَةُ (السَّجْدَةَ) الآية (21).

كما قال تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}.(1)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره): - {سُورَةُ السَّجْدَة} الآية {21} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى} وهو عذاب الدنيا بالقحط والغلاء والقتل والأسر {دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ} وهو عذاب يوم القيامة {لَعَلَّهُمْ(2) يَرْجِعُونَ} يخبر تعالى أنه فاعل ذلك بكفار قريش لعلهم يتوبون إلى الإيمان والتوحيد فينجوا من العذاب وينعموا في الجنة وفعلاً قد تاب منهم كثيرون.(3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): {وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأدنى} يقول: مصائب الدنيا وأسقامها وبلاؤها مما يبتلي الله به العباد حتى يتوبوا.(4)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح)- عن (مجاهد): {دون العَذَابِ الأكْبَرِ} يوم القيامة في الآخرة.(5)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن)- عن (قتادة): {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعونَ} أي: يتوبون.(6)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَة} الآية {21} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}.

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاس): يَعْنِي بِالْعَذَابِ الْأَدْنَى مَصَائِبَ الدُّنْيَا وَأَسْقَامَهَا وَآفَاتِهَا، وَمَا يَحِلُّ بِأَهْلِهَا مِمَّا يَبْتَلِي اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ لِيَتُوبُوا إِلَيْهِ.

وَرُوِيَ مِثْلُهُ عَنْ (أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ)، وَ(أَبِي الْعَالِيَةِ)، وَ(الْحَسَنِ)، وَ(إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِي)، وَ(الضَّحَّاك)، وَ(عَلْقَمَةَ)، وَ(عَطِيَّةَ)، وَ(مُجَاهِدٍ)، وَ(قَتَادَةَ)، وَ(عَبْدِ الْكَرِيمِ الْجَزَرِي)، وَ(خُصِيف).

* * *

وَقَالَ (ابْنُ عَبَّاس) -فِي رِوَايَةٍ عَنْهُ -: يَعْنِي بِهِ إِقَامَةَ الْحُدُودِ عَلَيْهِمْ.

* * *

وَقَالَ: (الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ)، وَ(مُجَاهِدٌ)، وَ(أَبُو عُبَيْدَةَ): يَعْنِي بِهِ عَذَابَ الْقَبْرِ.

* * *

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (21) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) الجملة استئنافها بياني جواباً لمن قال لم يذيقهم العذاب الأدنى وهو عذاب الدنيا! (دون العذاب الأكبر)؟ فكان الجواب: (لعلهم يرجعون) وهو تعليل للحكم السابق.

(3) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (21) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (189/20).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (192/20).

(6) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (192/20).

وَقَالَ: (النَّسَائِيُّ): أَخْبَرَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ وَأَبِي عُبَيْدَةَ (1)، عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ): {وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ} قَالَ: سُنُونَ أَصَابَتْهُمْ. (2)

* * *

وَقَالَ: (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ): حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ (قَتَادَةَ)، عَنْ عَزْرَةَ، عَنِ الْحَسَنِ الْعُرَنِيِّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ الْجَزَّارِ، عَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى عَنْ (أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ) فِي هَذِهِ الْآيَةِ: {وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ} قَالَ: الْمُصِيبَاتُ وَالدُّخَانُ قَدْ مَضَيَا، وَالْبَطْشَةُ وَاللِّزَامُ. (3)

وَرَوَاهُ (مُسْلِمٌ) - مِنْ حَدِيثِ- (شُعْبَةَ)، بِهِ مَوْقُوفًا نَحْوَهُ. (4)

وَعِنْدَ (الْبُخَارِيِّ) عَنِ (ابْنِ مَسْعُودٍ)، نَحْوَهُ. (5)

* * *

وَقَالَ: (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ): أَيْضًا، فِي رِوَايَةٍ عَنْهُ: الْعَذَابُ الْأَدْنَى: مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْقَتْلِ وَالسَّبْيِ يَوْمَ بَدْرٍ. وَكَذَا قَالَ: (مَالِكٌ)، عَنْ (زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ). (6)

* * *

قَالَ: (السُّدِّيُّ) وَغَيْرُهُ: لَمْ يَبْقَ بَيْتٌ بِمَكَّةَ إِلَّا دَخَلَهُ الْحُزْنُ عَلَى قَتِيلٍ لَهُمْ أَوْ أَسِيرٍ، فَأُصِيبُوا أَوْ غَرِموا، وَمِنْهُمْ مَنْ جُمِعَ له الأمران. (7)

* * *

[٢٢] ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولا أحد أظلم ممن وُعِظ بآيات الله فلم يتعظ بها، وأعرض عنها غير مُبالٍ بها، إنا من المجرمين -بارتكاب الكفر والمعاصي الذين يعرضون عن آيات الله- منتقمون لا محالة. (8)

* * *

يَعْنِي:- ولا أحد أشد ظلمًا لنفسه ممن وعظ بدلائل الله، ثم أعرض عن ذلك كله، فلم يتعظ بمواعظه، ولكنه استكبر عنها، إنا من المجرمين الذين أعرضوا عن آيات الله وحججه، ولم ينتفعوا بها، منتقمون. (9)

* * *

(1) في ت: "وروى النسائي بإسناده".

(2) أخرجه الإمام (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (11395)..

(3) (زوائد المسند) برقم (128/5).

(4) (صَحِيح): أخرجه (الإِمَامُ) (مسلم) في (صحيحه) برقم (2799).

(5) (صَحِيح): أخرجه (الإِمَامُ) (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4820) ولفظه: "مضي خمس: الدخان والروم والقمر والبطشة واللزام".

(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَة (السَّجْدَة) الآية (21).

(7) انظر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَة (السَّجْدَة) الآية (21).

(8) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (417/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(9) انظر: (التفسير الميسر) برقم (417/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

يَعنِي:- ولا أحد أشد ظلماً للحق ولنفسه من إنسان ذُكِّرَ بآيات الله وحججه البينات ثم انصرف عن الإيمان بها مع وضوحها، إننا من كل مجرم سننتقم.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا} ... لا أحد أظلم منه أبدا.

(أي: فلم يتفكروا فيها، و(ثُمَّ) لاستبعاد الإعراض عنها مع فرط وضوحها.

{إنا من المجرمين منتقمون} .... أي: من المشركين، أي: بتعذيبهم أشد أنواع العذاب.

{إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ} ... أجمعين.

{مُنْتَقِمُونَ} .... وظاهر الإجرام هنا: أنه الكفر،

* * *

وروى (معاذ بن جبل) -رضي الله عنه-، عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: أنه قال: ((ثلاث من فعلهن فقد أجرم: من عقدَ لواءً في غير حق، ومن عَقَّ والديه، ومن نصر ظالمًا)).(2)

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية :

انظر: سورة - (الكهف) - آية (57). - كما قال تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا}.

* * *

(تفسير ابن عباس):- قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {22} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَنْ أَظْلَمُ} لَيسَ أحد أعْتى وأظلم {مِمَّن ذُكِّرَ} وعظ {بِآيَاتِ رَبِّهِ} نزلت فِي الْمُنَافِقين الْمُسْتَهْزِئِينَ بِالْقُرْآنِ {ثُمَّ أعرض عَنْهَا} جاحدابها {إِنَّا من الْمُجْرمين} منالمشركين {منتقمون} بِالْعَذَابِ.(3)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {22} قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ} يعني: المشركين، {مُنْتَقِمُونَ}.(4)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {22} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا} أَيْ: لَا أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَّرَهُ اللَّهُ بِآيَاتِهِ وَبَيَّنَهَا لَهُ وَوَضَّحَهَا، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تَرَكَهَا وَجَحَدَهَا وَأَعْرَضَ عَنْهَا وَتَنَاسَاهَا، كَأَنَّهُ لَا يَعْرِفُهَا.

* * *

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (621/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) رواه الإمَامُ (الطبراني) في "المعجم الكبير" (20/ 61).
وانظر: "الدر المنثور" للإمام (السيوطي) برقم (6/ 555).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (22) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (22).

قَالَ: (قَتَادَةُ)- رَحِمَهُ اللَّهُ: إِيَّاكُمْ وَالْإِعْرَاضَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، فَإِنَّ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِهِ فَقَدِ اغْتَرَّ أَكْبَرَ الغرة، وَأَعْوَزَ أَشَدَّ العَوَزِ[1]، وَعَظَّمَ مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ.

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى مُتَهَدِّدًا لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ: {إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ} أَيْ: سَأَنْتَقِمُ مِمَّنْ فَعَلَ ذَلِكَ أَشَدَّ الِانْتِقَامِ.[2]

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {22} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ}. أي: لا أحد أظلم، وأزيد تعديًا، ممن ذكر بآيات ربه، التي أوصلها إليه ربه، الذي يريد تربيته، وتكميل نعمته على أيدي رسله، تأمره، وتذكره مصالحه الدينية والدنيوية، وتنهاه عن مضاره الدينية والدنيوية، التي تقتضي أن يقابلها بالإيمان والتسليم، والانقياد والشكر، فقابلها هذا الظالم بضد ما ينبغي، فلم يؤمن بها، ولا اتبعها، بل أعرض عنها وتركها وراء ظهره، فهذا من أكبر المجرمين، الذين يستحقون شديد النقمة، ولهذا قال: {إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ}.[3]

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {22} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ (2) عَنْهَا} أي: وعظ بها وخوف كما كان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ عليهم القرآن وكان بعضهم يعرض عنها فلا يسمعها ويرجع وهو مستكبر والعياذ بالله فمثل هؤلاء لا أحد أشد منهم ظلما.

وقوله تعالى: {إِنَّا مِنَ (3) الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ} يخبر تعالى أنه لا محالة منتقم من أهل الإجرام وهم أهل الشرك والمعاصي،

وورد عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذكر ثلاثة أصناف من أهل الإجرام الخاص وهم:

(1) من اعتقد "عقد" لواء في غير حق، أي حمل راية الحرب على المسلمين وهو مبطل غير محق.

(2) من عق والديه: أي: آذاهما بالضرب ونحوه ومنعهما برهما ولم يطعهما في معروف.

(3) من مشى مع ظالم ينصره: رواه (ابن جرير)، عن (معاذ بن جبل)- رضي الله عنه.[4]

* * *

[٢٣] ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

---

(1) في ت، أ: (وأعور أشد العورة).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن كثير) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (22).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (22) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (22) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

ولقد أعطينا موسى التوراة، فلا تكن أيها الرسول- ﷺ - في شك من لقائك موسى ليلة الإسراء والمعراج، وجعلنا الكتاب المنزل على موسى هاديًا لبني إسرائيل من الضلال.(1)

* * *

يَعنِي:- ولقد آتينا موسى التوراة كما آتيناك أيها الرسول- ﷺ - القرآن، فلا تكن في شك من لقاء موسى ليلة الإسراء والمعراج، وجعلنا التوراة هداية لبني إسرائيل، تدعوهم إلى الحق وإلى طريق مستقيم.(2)

* * *

يَعنِي:- ولقد آتينا موسى التوراة فلا تكن في شك من لقاء موسى للكتاب، وجعلنا الكتاب المنزل على موسى هادياً لبني إسرائيل.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ} .... أي: شك.

{ولقد آتينا موسى الكتاب} .... أي: أنزلنا عليه التوراة.

{فلا تكن في مرية من لقائه} .... أي: فلا تشك في لقائك بموسى عليه السلام ليلة الإسراء والمعراج.

{مِّن لِّقَائِهِ} ... لِقَاءِ مُوسَى - عليه السلام - لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ.

(أي: من لقاء موسى ليلة الإسراء، قاله ابن عباس وغيره).

{مرْيَةٍ} ... شَكّ.

{وجعلناه هدى لبني إسرائيل} .... أي: جعلنا الكتاب "التوراة" هدى أي هادياً لبني إسرائيل.

{وَجَعَلْنَاهُ} .... أي: المنزَل على موسى، وهو التوراة.

{هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ} .... روي أن التوراة إنما جعلت هدى لبني إسرائيل خاصة دون بني إسماعيل.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية :

(تفسير ابن عباس):- قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {23} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا} أعطينا {مُوسَى الْكِتَابَ} التَّوْرَاة جملَة وَاحِدَة {فَلَا تكن} يا محمد - ﷺ - {فِي مرية} فِي شكّ {مِّن لِّقَآئِهِ} من لقَاء مُوسَى لَيْلَة أسري بك إِلَى بَيت الْمُقَدّس {وَجَعَلْنَاهُ} يَعْنِي: كتاب مُوسَى {هُدىً لبني إِسْرَائِيلَ} من الضَّلَالَة.(4)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {23} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (417/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (417/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (621/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورة (السَّجدَة) الآية (23) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

لِقَائِهِ} يَعْنِي: فَلَا تَكُنْ فِي شَكٍّ مِنْ لِقَاءِ مُوسَى لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ، قاله: (ابن عباس) وغيره،

عَنْ (ابْنِ عَبَّاس) عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: ((رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسَرِيَ بِي مُوسَى رَجُلًا آدَمَ طُوَالًا جَعْدًا كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شنوءة)) [1].

قَالَ: (السُّدِّيّ): فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ أَيْ: مِنْ تَلَقِّي مُوسَى كِتَابَ اللَّهِ بِالرِّضَا والقبول،

{وَجَعَلْنَاهُ} يَعْنِي: الْكِتَابَ وَهُوَ التَّوْرَاةُ، وَقَالَ (قَتَادَةُ): مُوسَى، {هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ - وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ} {السجدة: 23 – 24} [2].

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {23} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ}.

لما ذكر تعالى، آياته التي ذكر بها عباده، وهو: القرآن، الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم، ذكر أنه ليس ببدع من الكتب، ولا من جاء به، بغريب من الرسل، فقد آتى الله موسى الكتاب الذي هو التوراة المصدقة للقرآن، التي قد صدقها القرآن، فتطابق حقهما، وثبت برهانهما،

{فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ} لأنه قد تواردت أدلة الحق وبيناته، فلم يبق للشك والمرية، محل.

{وَجَعَلْنَاهُ} أي: الكتاب الذي آتيناه موسى {هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ} يهتدون به في أصول دينهم، وفروعه وشرائعه موافقة لذلك الزمان، في بني إسرائيل.

وأما هذا القرآن الكريم، فجعله الله هداية للناس كلهم، لأنه هداية للخلق، في أمر دينهم ودنياهم، إلى يوم القيامة، وذلك لكماله وعلوه، {وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ} [3].

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {23} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى [4] الْكِتَابَ} أي أعطينا موسى بن عمران أحد أنبياء بني إسرائيل الكتاب الكبير وهو التوراة. إذاً فلم ينكر عليك المشركون أن يؤتيك ربك القرآن كما آتى موسى التوراة، وفي هذا تقرير لأصل من أصول العقيدة وهي الوحي والنبوة المحمدية.

وقوله: {فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ} [5] أي فلا تكن يا محمد في شك [6] من لقائك

---

(1) (صحيح): أخرجه الإمام (البُخَاري) في (صحيحه) - (كتاب: بدء الخلق) برقم (6/ 314)،
وأخرجه الإمام (مُسْلِم) في (صحيحه) – (كتاب: الإيمان) برقم (165)(1/ 151).

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (23).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (23) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) هذا الإخبار استطراد المراد به تسلية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والفاء في قوله فلا تكن للتفريع.

(5) وجائز أن يكون المعنى فلا تكن في شك من أنك لقيته ليلة الإسراء والمعراج وقيل فلا تكن في شك من لقاء موسى الكتاب بالقبول وقيل فلا تكن في شك من أنه سيلقاك من الأذى والتكذيب ما لقيه موسى، وما في التفسير هو الحق.

(6) المرية: الشك والتردد والمقصود من النهي التثبيت كقوله: {فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء} وليس النهي لطلب ترك الشك إذ لم يكن شك قط.

موسى ليلة الإسراء والمعراج فقد لقيه وطلب إليه أن يراجع ربّه في شأن الصلاة فراجع حتى أصبح خمساً بعد أن كانت خمسين.

وقوله: {وجعلناه هدى لبني إسرائيل} أي: الكتاب أو موسى كلاهما كان هادياً لبني إسرائيل إلى سبيل السلام والصراط المستقيم.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن)- عن (قتادة): {وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ} قال: جعل الله موسى هدى لبني إسرائيل.(2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {23} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ}.

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّهُ آتَاهُ الْكِتَابَ وَهُوَ التَّوْرَاةُ.

وَقَوْلُهُ: {فَلا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ} قَالَ: (قَتَادَةُ): يَعْنِي بِهِ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ. ثُمَّ رُوِيَ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ الرِّيَاحِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ عَمِّ نَبِيِّكُمْ -يَعْنِي (ابْنَ عَبَّاسٍ) -قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى الله عليه وسلم-: ((أُرِيتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ، رَجُلًا آدَمَ طُوَالًا جَعْدًا، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ. وَرَأَيْتُ عِيسَى رَجُلًا مَرْبُوعَ الْخَلْقِ، إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، مُبَسَّطَ الرَّأْسِ، وَرَأَيْتُ مَالِكًا خَازِنَ النَّارِ وَالدَّجَّالَ، فِي آيَاتٍ أَرَاهُنَّ اللَّهُ إِيَّاهُ))، {فَلا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ}، أَنَّهُ قَدْ رَأَى مُوسَى، وَلَقِيَ مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ.(3)(4)

وَقَوْلُهُ: {وَجَعَلْنَاهُ} أَيِ: الْكِتَابُ الَّذِي آتَيْنَاهُ {هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ}، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ (الْإِسْرَاءِ): {وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلا} {الْإِسْرَاءِ: 2}.(5)

* * *

قال: الإمام (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) – (بسنده):- حدثنا عبد بن حميد، أخبرنا يونس بن محمد، حدثنا شيبان بن عبد الرحمن عن (قتادة) عن (أبي العالية)، حدثنا ابن عم نبيكم - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – (ابن عباس) قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((مررت ليلة أسري بي على موسى بن عمران عليه السلام رجل آدم طوال جعد كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى بن مريم مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس، وأري مالك خازن النار والدجال في آيات أراهن الله إياه {فَلا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ})) قال: كان (قتادة) يفسرها أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

---

(1) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (23) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمام (الطبري) برقم (194/20).

(3) (صَحِيحٌ): وقد تقدم عند تفسير أول سورة (الإسرى).

(4) انظر: الأثر عند تفسير الآية الأولى من سورة الإسراء وتخريجه هناك.

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامُ (ابن كثير) في سُورةُ (السَّجْدَةِ) الآية (23).

وَسَلَّمَ - قد لقي موسى - عليه السلام. (1)(2)

* * *

[٢٤] ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وجعلنا من بني إسرائيل أئمة يقتدي بهم الناس في الحق، يرشدون إلى الحق، لما صبروا على امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، وعلى الأذى في سبيل الدعوة، وكانوا بآيات الله المنزلة على رسولهم يصدقون بها تصديقًا جازمًا. (3)

* * *

يَعنْي:- وجعلنا من بني إسرائيل هداة ودعاة إلى الخير، يأتمُّ بهم الناس، ويدعونهم إلى التوحيد وعبادة الله وحده وطاعته، وإنما نالوا هذه الدرجة العالية حين صبروا على أوامر الله، وترك زواجره، والدعوة إليه، وتحمُّل الأذى في سبيله، وكانوا بآيات الله وحججه مصدقين على وجه اليقين. (4)

* * *

يَعنْي:- وجعلنا من بني إسرائيل أئمة في الدين يقومون بهداية الناس، استجابة لأمرنا حين صبروا على العمل بما في التوراة، وكانوا بآياتنا يصدقون أقوى التصديق. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا} .... أي: وجعلنا من بني إسرائيل أئمة أي قادة هداة يهدون الناس بأمرنا لهم بذلك وإذننا به.

{وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ} .... من بني إسرائيل.

{أَئِمَّةً} .... قادة في الخير يُقتدى بهم" يعني: الأنبياء الذين كانوا فيهم.

{وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} .... أي: وكان أولئك الهداة يوقنون بآيات ربهم وحججه على عباده وما تحمله الآيات من وعد ووعيد.

* * *

﴿ الْقِرَاءَات ﴾

واختلاف القراء في (أَئِمَّةً) كاختلافهم فيه في الحرف المتقدم في سورة {الأنبياء الآية: 73} {يَهْدُونَ} يدعون إلى الطاعة {بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا} قرأ (حمزة)، و(الكسائي)، و(رويس) عن (يعقوب): (لِمَا) بكسر اللام وتخفيف الميم" أي: بصبرهم،

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مسلم) في (صحيحه) برقم (1/151-152)، (ح165)، -(كتاب: الإيمان)، / باب: (الإسراء برسول الله - صلى الله عليه وسلم -).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مسلم) في (صحيحه) برقم (6/314)، (ح3239)-(كتاب بدء الخلق)، / باب: (إذا قال أحدكم آمين) وليس في روايته قال: كان (قتادة) يفسرها..الخ)،
وأخرجه الإمام (الطبري) أيضاً في (تفسيره) برقم (21/112).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/417). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/417)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/621)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

وقرأ الباقون: بفتح اللام وتشديد الميم أي: حين صبروا على دينهم، وعلى البلاء من عدوهم.(2) (1)

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):- {سُورَةُ السَّجْدَةَ} الآية {24} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ} من بني إِسْرَائيل {أَئِمَّةً} قادة بالخير {يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا} يدعون الْخلق إِلَى أمرنَا {لَمَّا صَبَرُوا} حِين صَبَرُوا على الْإِيمَان وَالطَّاعَة {وَكَانُوا بِآيَاتِنَا} بِمُحَمد - صلى الله عَلَيْهِ وَسلم –وَالْقُرْآن. {يُوقِنُونَ} يصدقون فِي كتابهمْ.(3)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةَ} الآية {24} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ} يَعْنِي مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، {أَئِمَّةً} قَادَةً فِي الْخَيْرِ يُقْتَدَى بِهِمْ، يَعْنِي: الْأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ كَانُوا فِيهِمْ.

وَقَالَ: (قَتَادَةُ): أَتْبَاعُ الْأَنْبِيَاءِ، {يَهْدُونَ} يدعون، {بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا} قَرَأَ (حَمْزَةُ)، وَ(الْكِسَائِيُّ): بِكَسْرِ اللَّامِ وَتَخْفِيفِ الْمِيمِ، أَيْ: لِصَبْرِهِمْ،

وَقَرَأَ: الْبَاقُونَ: بِفَتْحِ اللَّامِ وَتَشْدِيدِ الْمِيمِ، أَيْ: حِينَ صَبَرُوا عَلَى دِينِهِمْ وَعَلَى الْبَلَاءِ مِنْ عَدُوِّهِمْ بِمِصْرَ، {وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}.(4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةَ} الآية {24} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ} أي: من بني إسرائيل {أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا} أي: علماء بالشرع، وطرق الهداية، مهتدين في أنفسهم، يهدون غيرهم بذلك الهدى، فالكتاب الذي أنزل إليهم، هدى، والمؤمنون به منهم، على قسمين: أئمة يهدون بأمر الله، وأتباع مهتدون بهم.

والقسم الأول أرفع الدرجات بعد درجة النبوة والرسالة، وهي درجة الصديقين، وإنما نالوا هذه الدرجة العالية بالصبر على التعلم والتعليم، والدعوة إلى الله، والأذى في سبيله، وكفوا أنفسهم عن جماحها في المعاصي، واسترسالها في الشهوات.

{وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} أي: وصلوا في الإيمان بآيات الله، إلى درجة اليقين، وهو العلم التام، الموجب للعمل، وإنما وصلوا إلى درجة اليقين، لأنهم تعلموا تعلمًا صحيحًا، وأخذوا المسائل عن أدلتها المفيدة لليقين.

فما زالوا يتعلمون المسائل، ويستدلون عليها بكثرة الدلائل، حتى وصلوا لذاك، فبالصبر واليقين، تُنَالُ الإمامة في الدين.(5)

---

(1) انظر: "التيسير" للداني (ص: 77)، و"تفسير البغوي" (3/ 526)، و"النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (2/ 347)، و"معجم القراءات القرآنية" (5/ 104).

(2) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن) للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي) في سُورَةُ (السَّجْدَةَ) الآية (24).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (السَّجْدَةَ) الآية (24) ينسب: لـ: (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما - .

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (السَّجْدَةَ) الآية (24).

(5) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (السَّجْدَةَ) الآية (24) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن)- عن (قتادة): {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا} قال: رؤساء في الخير.[1]

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {24} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}، أَيْ: لَمَّا كَانُوا صَابِرِينَ عَلَى أَوَامِرِ اللَّهِ وَتَرْكِ نَوَاهِيهِ وَزَوَاجِرِهِ وَتَصْدِيقِ رُسُلِهِ وَاتِّبَاعِهِمْ فِيمَا جَاؤُوهُمْ بِهِ، كَانَ مِنْهُمْ أَئِمَّةٌ يَهْدُونَ إِلَى الْحَقِّ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَيَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ. ثُمَّ لَمَّا بَدَّلُوا وحرَّفوا وأوَّلوا، سُلِبُوا ذَلِكَ الْمَقَامَ، وَصَارَتْ قُلُوبُهُمْ قَاسِيَةً، يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، فَلَا عَمَلَ صَالِحًا، وَلَا اعْتِقَادَ صَحِيحًا"[2] وَلِهَذَا قَالَ: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا}[3].

* * *

قَالَ: (قَتَادَةُ)، وَ(سُفْيَانُ): لَمَّا صَبَرُوا عَنِ الدُّنْيَا: وَكَذَلِكَ قَالَ: (الْحَسَنُ بْنُ صَالِحٍ).

* * *

قَالَ: (سُفْيَانُ): هَكَذَا كَانَ هَؤُلَاءِ، وَلَا يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ إِمَامًا يُقْتَدَى بِهِ حَتَّى يَتَحَامَى عَنِ الدُّنْيَا.

* * *

قَالَ: (وَكِيعٌ): قَالَ (سُفْيَانُ): لَا بُدَّ لِلدِّينِ مِنَ الْعِلْمِ، كَمَا لَا بُدَّ لِلْجَسَدِ مِنَ الْخُبْزِ.

* * *

وَقَالَ: (ابْنُ بِنْتِ الشَّافِعِيِّ): قَرَأَ أَبِي عَلَى عَمِّي -أَوْ: عَمِّي عَلَى أَبِي - سُئِلَ سُفْيَانُ عَنْ قَوْلِ (عَلِيٍّ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: الصَّبْرُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَهُ: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا}، قَالَ: لَمَّا أَخَذُوا بِرَأْسِ الْأَمْرِ صَارُوا رُؤُوسًا.

* * *

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: بِالصَّبْرِ وَالْيَقِينِ تُنَالُ الْإِمَامَةُ فِي الدِّينِ.

* * *

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ. وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ} {الْجَاثِيَةِ: 16، 17}.[4]

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {24} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً} أي: قادة هداة يهدون الناس إلى ربهم فيؤمنون به ويعبدونه وحده فيكملون على ذلك ويسعدون وذلك بأمره تعالى لهم بذلك.

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (194/20).
(2) في ت: "فلا عملا صالحا ولا اعتقادا صحيحا".
(3) في ف، أ: "ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب".
(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (24).

وقوله: {لَمَّا صَبَرُوا} أي: عن أذى أقوامهم [(1)]،

{وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} الحاملة لأمرنا ونهينا، ووعدنا ووعيدنا.

{يُوقِنُونَ} أي: تأهلوا لحمل رسالة الدعوة بشيئين: الصبر على الأذى واليقين التام بصحة ما يدعون إليه ونفعه ونجاعته. [(2)]

* * *

[٢٥] ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن ربك أيها الرسول - ﷺ - هو الذي يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا يختلفون فيه في الدنيا، فيبيّن المحق والمبطل، ويجازي كلا بما يستحقه. [(3)]

* * *

يَعنِي:- إن ربك أيها الرسول- ﷺ - يقضي بين المؤمنين والكافرين من بني إسرائيل وغيرهم يوم القيامة بالعدل فيما اختلفوا فيه من أمور الدين، ويجازي كل إنسان بعمله بإدخال أهلِ الجنةِ الجنةَ وأهلِ النارِ النارَ. [(4)]

* * *

يَعنِي:- إن ربك - هو - وحده - يقضي بين الأنبياء وأممهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون. [(5)]

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة}....

أي: بين الأنبياء وأممهم وبين المؤمنين والكافرين والمشركين والموحدين.

{فيما كانوا فيه يختلفون}.... من أمور الدين.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس):- قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {25} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ رَبك} يَا محمد- ﷺ - {هُوَ يَفْصِلُ} يقْضِي {بَيْنَهُمْ} بَين الْكَافِر وَالْمُؤمن وَيُقَال بَين بني إِسْرَائِيل {يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ} فِي الدّين {يَخْتَلِفُونَ} يخالفون. [(6)]

* * *

قَالَ الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {25} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ} يَقْضِي، {بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ}. [(7)]

* * *

---

(1) لما صبروا لما بمعنى حين صبروا عن أذى أقوامهم، وقرأ خلاف الجمهور لما صبروا أي لأجل صبرهم جعلناهم أئمة، فما مصدرية واللام قبلها لام التعليل.

(2) انظُر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (24) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (417/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (417/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (621/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(6) انظُر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (25) يِنسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(7) انظُر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (25).

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {25} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} . وثَمَّ مسائل اختلف فيها بنو إسرائيل، منهم من أصاب فيها الحق، ومنهم من أخطأه خطأ، أو عمداً، والله تعالى: {يفصل بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} وهذا القرآن يقص على بني إسرائيل، بعض الذي يختلفون فيه، فكل خلاف وقع بينهم، ووجد في القرآن تصديق لأحد القولين، فهو الحق، وما عداه مما خالفه، باطل. (1)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {25} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ (2) يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} يخبر تعالى رسوله محمداً -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بأنه سبحانه وتعالى الذي يفصل بين المختلفين من الأنبياء وأممهم، وبين الموحدين والمشركين والسنيين والبدعيين فيحكم بإسعاد أهل الحق وإشقاء أهل الباطل وفي الآية تسلية للرسول و تخفيف عليه مما يجد في نفسه من خلاف قومه له. (3)

* * *

انظر: سورة – (البقرة) - آية (113) ، - كما قال تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} .

* * *

وسورة – (الجاثية) - آية (17) . - كما قال تعالى: {وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} .

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {25} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} أَيْ: مِنَ الِاعْتِقَادَاتِ وَالْأَعْمَالِ. (4)

* * *

[٢٦] ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

أَعَمِي هؤلاء فلم يتبين لهم كم أهلكنا قبلهم من الأمم السالفة؟! فها هم يمشون في

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (25) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) هو ضمير فصل ومعنى يفصل يقضي ويحكم.

(3) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (25) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (25).

مساكنهم التي كانوا يسكنونها قبل إهلاكهم، فلم يَتَّعظُوا بحالهم، إن فيما حدث لتلك الأمم من الإهلاك بسبب كفرهم ومعاصيهم لعِبَرًا يُسْتَدَلّ بها على صدق الذين جاؤوهم من عند الله، أفلا يسمع هؤلاء المكذبون بآيات الله سماع قبول واتعاظ؟!.(1)

* * *

يَعنْي:- أو لم يتبين لهؤلاء المكذبين للرسول: كم أهلكنا من قبلهم من الأمم السابقة يمشون في مساكنهم، فيشاهدونها عياناً كقوم هود وصالح ولوط؟ إن في ذلك لآيات وعظات يُستدَلُّ بها على صدق الرسل التي جاءتهم، وبطلان ما هم عليه من الشرك، أفلا يسمع هؤلاء المكذبون بالرسل مواعظ الله وحججه، فينتفعون بها؟.(2)

* * *

يَعنْي:- أترك اللهَ المكذبين لرسلهم ولم يبين لهم أنه أهلك كثيراً من الأمم التى سبقتهم، وهم يمرون بديارهم، ويمشون فى مساكنهم؟ إن فى ذلك لعظات تبصرهم بالحق، أصمُّوا فلا يسمعون هذه العظات؟.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ} ... أَوَلَمْ يَتَبَيَّنْ لِهَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ؟، (أي: أغفلوا ولم يتبيّن).

{أَوَلَمْ يَهْدِ} .... يُبيِّنْ.

{لَهُمْ} .... أي: لأهل مكة.

{كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ} .... أي: الأمم" كعاد وثمود.

{كم أهلكنا من قبلهم من القرون} .... أي: إهلاكنا لكثير من أهل القرون من قبلهم بكفرهم وشركهم وتكذيبهم لرسلهم.

{كَمْ أَهْلَكْنَا} ... مَا أَكْثَرَ إِهْلَاكَنَا!

{مِّنَ الْقُرُونِ} ... مِنَ الأُمَمِ السَّابِقَةِ.

{ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ } .... أي: يمرون ماشين بديارهم وهي في طريقهم إلى الشام كمدائن صالح وبحيرة لوط ونحوهما.

{يَمْشُونَ} .... أهل مكة.

{فِي مَسَاكِنِهِمْ} .... يمرون على ديارهم في متاجرهم.

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ} .... المواعظَ فيتعظون؟!.

{ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ } .... أي: دلائل وعلامات على قدرة الله تعالى وأليم عقابه.

{ أَفَلَا يَسْمَعُونَ } .... أي: أصمّوا فلا يسمعوا هذه المواعظ والحجج.

* * *

﴿الْقِرَاءَآت﴾

قرأ: (زيد عن يعقوب): (نَهْدِ) بالنون، والباقون: بالياء(4)، فالفاعل على القراءتين مضمر" أي: الله.(5)

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية :

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (417/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (417/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (621/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: "القراءات الشاذة" لابن خالويه (ص: 118)، و"معجم القراءات القرآنية" (5/ 105).

(5) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن) للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (26).

(تفسير ابن عباس):- قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {26} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَوَلَمْ يَهْدِ} لَمْ يَتَبَيَّنْ، {لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ} آيَاتِ اللَّهِ وَعِظَاتِهِ فَيَتَّعِظُونَ بِهَا.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن)- عن (قتادة): {أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ} عاد وثمود وأنهم إليهم لا يُرجعون.(2)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {26} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَوَلَمْ يَهْدِ} لَمْ يَتَبَيَّنْ، {لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ} آيَاتِ اللَّهِ وَعِظَاتِهِ فَيَتَّعِظُونَ بِهَا.(3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {26} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ} يعني: أولم يتبين لهؤلاء المكذبين للرسول، ويهدهم إلى الصواب.

{كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ} الذين سلكوا مسلكهم،

{يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ} فيشاهدونها عيانًا، كقوم هود، وصالح، وقوم لوط.

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ} يستدل بها، على صدق الرسل، التي جاءتهم، وبطلان ما هم عليه، من الشرك والشر، وعلى أن من فعل مثل فعلهم، فُعِلَ بهم، كما فُعِلَ بأشياعه من قبل.

وعلى أن الله تعالى مجازي العباد، وباعثهم للحشر والتناد.

{أَفَلا يَسْمَعُونَ} آيات الله، فيعونها، فينتفعون بها، فلو كان لهم سمع صحيح، وعقل رجيح، لم يقيموا على حالة يجزم بها، بالهلاك.(4)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {26} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ} أي: أعموا (5) فلم يبيّن لهم إهلاكنا لأمم كثيرة.

{يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ} (6) مارّين بهم في أسفارهم إلى الشام كمدائن صالح، وبلاد مدين، وبحيرة لوط إنا قادرون على إهلاكهم إن أصروا على الشرك والتكذيب كما أهلكنا القرون من قبلهم.

---

(1) انظُر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (26) يِنسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (196/20).

(3) انظُر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (26).

(4) انظُر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (26) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(5) هذا بناء على أن همزة الاستفهام داخلة على محذوف والاستفهام للإنكار عليهم عدم رؤيتهم مصارع الهالكين من قبلهم وهي واضحة بينة فضمن يهد معنى يبين فلذا عدي باللام ومثله {أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها} آية (الأعراف).

(6) جملة يمشون في محل نصب على الحال.

وقوله: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ} أي في إهلاكنا أهل القرون الأولى لما أشركوا وكذبوا دلالات وحججا وبراهين على قدرة الله وشدة انتقامه ممن كفر به وكذب رسوله.

وقوله: {أَفَلَا يَسْمَعُونَ} (1) أي أصموا فلا يسمعون هذه المواعظ التي تتلى عليهم فيتوبوا من الشرك والتكذيب فينجوا ويسعدوا. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): {أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ} يقول: أولم يبين لهم. (3)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {26} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ}.

يَقُولُ تَعَالَى: أَوَلَمْ يَهْدِ لِهَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ بِالرُّسُلِ مَا أَهْلَكَ اللَّهُ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ، بِتَكْذِيبِهِمُ الرُّسُلَ وَمُخَالَفَتِهِمْ إِيَّاهُمْ فِيمَا جاؤوهم بِهِ مِنْ قَوِيمِ السُّبُلِ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ بَاقِيَةٌ وَلَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرٌ؟ {هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا} {مَرْيَمَ: 98}.

وَلِهَذَا قَالَ: {يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ} أَيْ: وَهَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِ أُولَئِكَ الْمُكَذِّبِينَ فَلَا يَرَوْنَ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ كَانَ يَسْكُنُهَا وَيَعْمُرُهَا، ذَهَبُوا مِنْهَا، {كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا} {الْأَعْرَافِ: 92}، كَمَا قَالَ: {فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا} {النَّمْلِ: 52}،

وَقَالَ: {فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ. أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} {الْحَجِّ: 45، 46}.

وَلِهَذَا قَالَ هَاهُنَا: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ} أَيْ: إِنَّ فِي ذَهَابِ أُولَئِكَ الْقَوْمِ وَدَمَارِهِمْ وَمَا حَلَّ بِهِمْ بِسَبَبِ تَكْذِيبِهِمُ الرُّسُلَ، وَنَجَاةِ مَنْ آمَنَ بِهِمْ، لَآيَاتٍ وَعِبَرًا وَمَوَاعِظَ وَدَلَائِلَ مُتَظَاهِرَةً.

{أَفَلَا يَسْمَعُونَ} أَيْ: أَخْبَارَ مَنْ تَقَدَّمَ، كَيْفَ كَانَ أَمْرُهُمْ؟.

وَقَوْلُهُ: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ} يُبَيِّنُ تَعَالَى لُطْفَهُ بِخَلْقِهِ، وَإِحْسَانَهُ إِلَيْهِمْ فِي إِرْسَالِهِ الْمَاءَ إِمَّا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ مِنَ السَّيْحِ، وَهُوَ: مَا تَحْمِلُهُ الْأَنْهَارُ وَيَنْحَدِرُ مِنَ الْجِبَالِ إِلَى الْأَرَاضِي الْمُحْتَاجَةِ إِلَيْهِ فِي أَوْقَاتِهِ"

وَلِهَذَا قَالَ: {إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ}، وَهِيَ الْأَرْضُ الَّتِي لَا نَبَاتَ فِيهَا،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا} {الْكَهْفِ: 8}،

أَيْ: يَبَسًا لا تنبت شيئًا وَلَيْسَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: {إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ} أَرْضَ مِصْرَ فَقَطْ،

---

(1) الاستفهام تقريري مشوب بالتوبيخ واختير لفظ يسمعون لأن أخبار الأمم الهالكة كانت شائعة مستفيضة بينهم فلم لا يسمعون سماع اتعاظ واعتبار.

(2) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (26) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (195/20).

بَلْ هِيَ بَعْضُ الْمَقْصُودِ، وَإِنْ مَثَّلَ بِهَا كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ فَلَيْسَتْ هِيَ الْمَقْصُودَةُ وَحْدَهَا، وَلَكِنَّهَا مُرَادَةٌ قَطْعًا مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ، فَإِنَّهَا فِي نَفْسِهَا أَرْضٌ رِخْوَةٌ غَلِيظَةٌ تَحْتَاجُ مِنَ الْمَاءِ مَا لَوْ نَزَلَ عَلَيْهَا مَطَرًا لَتَهَدَّمَتْ أَبْنِيَتُهَا، فَيَسُوقُ اللَّهُ إِلَيْهَا النِّيلَ بِمَا يَتَحَمَّلُهُ مِنَ الزِّيَادَةِ الْحَاصِلَةِ مِنْ أَمْطَارِ بِلَادِ الْحَبَشَةِ، وَفِيهِ طِينٌ أَحْمَرُ، فَيَغْشَى أَرْضَ مِصْرَ، وَهِيَ أَرْضٌ سَبِخَةٌ مُرْمِلَةٌ مُحْتَاجَةٌ إِلَى ذَلِكَ الْمَاءِ، وَذَلِكَ الطِّينِ أَيْضًا لِيَنْبُتَ الزَّرْعُ فِيهِ، فَيَسْتَغِلُّونَ كُلَّ سَنَةٍ عَلَى مَاءٍ جَدِيدٍ مَمْطُورٍ فِي غَيْرِ بِلَادِهِمْ، وَطِينٍ جَدِيدٍ مِنْ غَيْرِ أَرْضِهِمْ، فَسُبْحَانَ الْحَكِيمِ الْكَرِيمِ الْمَنَّانِ الْمَحْمُودِ ابْتِدَاءً. (1)

* * *

[٢٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

أَوَلم يــر هؤلاء المكذبون بالبعث أنا نرسل ماء المطر إلى الأرض القاحلة التي لا نبات فيها، فنخرج بذلك الماء زرعًا تأكل منه إبلهم وبقرهم وغنمهم، ويأكلون هم منه؟! أفلا يبصرون ذلك، ويدركون أن من أنبت الأرض القاحلة قادر على إحياء الموتى؟!. (2)

* * *

يَعْنِي:- أو لم يـر المكذبون بالبعث بعد الموت أننا نسوق الماء إلى الأرض اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها، فنخرج به زرعًا مختلفًا ألوانه تأكل منه أنعامهم، وتتغذى به أبدانهم فيعيشون به؟ أفلا يرون هذه النعم بأعينهم، فيعلموا أن الله الذي فعل ذلك قادر على إحياء الأموات ونَشْرهم من قبورهم؟. (3)

* * *

يَعْنِي:- أعَموا ولم يروا أنا نجرى المطر والأنهار إلى الأرض التى قطع نباتها فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم، ويأكلون حبه وثمره؟ أعموا فلا يبصرون دلائل قدرة الله على إحياء الموتى؟ . (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ} .... أي: اليابسة المعدومة النبات.

المعنى: ألم يستدلوا على قدرتنا بسوقنا المطر إلى الأرض التي لا نبات فيها؟!.

قال: (ابن عباس): "هي أرض باليمن" (5).

{أو لم يروا أنا نسوق الماء} .... أي: أغفلوا ولم يروا سوقنا للماء للإنبات والإخصاب فيدلهم ذلك على قدرتنا.

---

(1) انظُر: (تفسير القرآن العظيم) لِلإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (26).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (417/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (417/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (621/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) انظر: "تفسير البغوي" (3/ 527).

{نَسُوقُ الْمَاءَ} ... من السماءِ والأنهارِ والعيون في أوقاته المناسبة.

{إلى الأرض الجرز} .... أي: اليابسة التي لا نبات فيها.

{الْأَرْضِ الْجُرُزِ} ... الأرضُ اليابسةُ التي جفَّ نَبَاتُهَا.

{الْجُرُزِ} ... اليَابِسَةِ، الغَلِيظَةِ الَّتِي لاَ نَبَاتَ فِيهَا.

{فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ} .... كالتبن.

{تأكل منه أنعامهم} .... أي: مواشيهم من إبل وبقر وغنم.

{وَأَنْفُسُهُمْ} .... كالحبوب والفواكه.

{أَفَلَا يُبْصِرُونَ} .... ذلك فيؤمنون؟!.

(أي: أعموا فلا يبصرون أن القادر على إحياء الأرض بعد موتها قادر على البعث).

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس):- قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ السَّجْدَةَ} الآية {27} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَوَلَمْ يَرَوْا} يعلموا كفار مكَّة {أَنَّا نَسُوقُ المَآءَ إِلَى الأَرْضِ الجرز} الملساء الَّتِي لَا نَبَات فِيهَا {فَنُخْرِجُ بِهِ} بالمطر {زَرْعاً} نباتاً {تَأْكُلُ مِنْهُ} من العشب {أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ} من الْحُبُوب وَالثِّمَار والبقول {أَفَلاَ يُبْصِرُونَ} أفلا يعلمُونَ أَنه من الله. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةَ} الآية {27} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ} أَيِ: الْيَابِسَةِ الْغَلِيظَةِ الَّتِي لَا نَبَاتَ فِيهَا {فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ} مِنَ الْعُشْبِ وَالتِّبْنِ، {وَأَنْفُسُهُمْ} مِنَ الْحُبُوبِ وَالْأَقْوَاتِ، {أَفَلَا يُبْصِرُونَ}. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةَ} الآية {27} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَوَلَمْ يَرَوْا} بأبصارهم نعمتنا، وكمال حكمتنا. {أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأرْضِ الْجُرُزِ} التي لا نبات فيها، فيسوق الله المطر، الذي لم يكن قبل موجودًا فيها، فيفرغه فيها، من السحاب، أو من الأنهار.

{فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا} أي: نباتًا، مختلف الأنواع.

{تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ} وهو نبات البهائم {وَأَنْفُسُهم} وهو طعام الآدميين.

{أَفَلا يُبْصِرُونَ} تلك المنة، التي أحيا الله بها البلاد والعباد، فيستبصرون فيهتدون بذلك البصر، وتلك البصيرة، إلى الصراط المستقيم، ولكن غلب عليهم العمى، واستولت عليهم الغفلة، فلم يبصروا في ذلك، بصر الرجال، وإنما نظروا إلى ذلك، نظر

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (السَّجْدَةَ) الآية (27) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (السَّجْدَةَ) الآية (27).

الغفلة، ومجرد العادة، فلم يوفقوا للخير.(1)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره): - {سُورَةُ السَّجْدَةَ} الآية {27} ما زال السياق في تقرير عقيدة البعث والجزاء التي عليها مدار الإصلاح الاجتماعي فيقول تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا} أي أغفل أولئك المكذبون بالبعث والحياة الثانية ولم يروا.

{أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ} (2) ماء الأمطار أو الأنهار.

{إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ (3)} اليابسة التي ما بها من نبات فنخرج بذلك الماء الذي سقناه إليها بتدابيرنا الخاصة.

{فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ} وهي إبلهم وأبقارهم وأغنامهم.

{وَأَنْفُسُهُمْ} فالأنعام تأكل الشعير والذرة وهم يأكلون البر والفول و نحوه.

{أَفَلا يُبْصِرُونَ} أي: أعموا فلا يبصرون آثار قدرة الله على إحياء الموتى بعد الفناء والبلى كإحياء الأرض الجرز فيؤمنوا بالبعث الآخر وعليه يستقيموا في عقائدهم وكل سلوكهم.(4)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده (الحسن) عن- (ابن أبي نجيح)، عن رجل، عن (ابن عباس) في قوله: {إلى الأرض الجُرُز} قال: الجرز: التي لا تمطر إلا مطرا لا يغني عنها شيئا، إلا ما يأتيها من السيول.(5)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةَ} الآية {27} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلا يُبْصِرُونَ}،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {فَلْيَنْظُرِ الإنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ. أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا. ثُمَّ شَقَقْنَا الأرْضَ شَقًّا. فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا. وَعِنَبًا وَقَضْبًا. وَزَيْتُونًا وَنَخْلا. وَحَدَائِقَ غُلْبًا. وَفَاكِهَةً وَأَبًّا* مَتَاعًا لَكُمْ وَلأنْعَامِكُمْ} {عَبَس: 24-32}.

وَلِهَذَا قَالَ هَاهُنَا: {أَفَلا يُبْصِرُونَ}.

وَقَالَ: (ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ)، عَنْ رَجُلٍ، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) فِي قَوْلِهِ: {إِلَى الأرْضِ الْجُرُزِ} قَالَ: هِيَ الَّتِي لَا تُمطر إِلَّا مَطَرًا لَا يُغْنِي عَنْهَا شَيْئًا، إِلَّا مَا يَأْتِيهَا مِنَ السُّيُولِ.

---

(1) انظُر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (27) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2)- الرؤية هنا بصرية واختير المضارع نسوق لاستحضار الصورة العجيبة الدالة على قدرة الله تعالى ولطفه بعباده ورحمته بهم، وسوق الماء هو بسوق السحاب، والسوق هو إزجاء الماشي من ورائه.

(3) الجرز وصف للأرض التي انقطع نبتها، وهو مشتق من الجرز وهو انقطاع النبت والحشيش إما بسبب يبس الأرض أو بالرعي، والجرز القطع ولذا سمي السيف القاطع جُرازاً. قال: الشاعر (يصف أسنان ناقته):

تنحّى على الشوك جُرازاً مقضبا...... والهرم تدريه إذراءً عجباً

(4) انظُر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (27) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (197/20).

وَعَـن (ابْـن عَبَّـاس)، وَ(مُجَاهِـد): هِـيَ أَرْضٌ بِالْيَمَن.

وَقَال: (الْحَسَنُ)- رَحِمَهُ اللَّه: هِـيَ قُـرَى فِيمَا بَيْنَ الْيَمَنِ وَالشَّام.

وَقَال: (عِكْرِمَة)، وَ(الضَّحَّاك)، وَ(قَتَادَة)، و(السُّدِّيّ)، وَ(ابْـن زَيْـد): الْـأَرْضُ الْجُـرُزُ: الَّتِـي لَا نَبَاتَ فِيهَا وَهِيَ مُغْبَرَّة.

قُلْتُ: وَهَذَا كَقَوْلِه: {وَآيَةٌ لَهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ. وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ. لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلا يَشْكُرُونَ} {يس: 33-35}. (1)

* * *

[٢٨] ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ويقول المكذبون بالبعث مستعجلين العذاب: متى هذا الحكم الذي تزعمون أنه سيفصل بيننا وبينكم يوم القيامة، فيكون مصيرنا النار ومصيركم الجنة؟!. (2)

* * *

يَعْنِي:- يستعجل هؤلاء المشركون بالله العذاب، فيقولون: متى هذا الحكم الذي يقضي بيننا وبينكم بتعذيبنا على زعمكم إن كنتم صادقين في دعواكم؟. (3)

* * *

يَعْنِي:- ويقول المشركون لك وللمؤمنين: في أى وقت يفتح الله عليكم بالنصر، أخبرونا بموعده إن كنتم صادقين. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

ولما قال الكافرون للمؤمنين استهزاء: متى الساعة فيقضي بيننا وبينكم؟! نزل:

{وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ} .... (5) أي: القضاء والحكم.

{متى هذا الفتح} .... أي: الفصل والحكم بيننا وبينكم يستعجلون العذاب.

{الْفَتْحُ} ... يَوْمُ العَذَابِ الَّذِي تَعِدُونَنَا.

وقيل: (أي: الفَصْلُ والحُكْمُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم، وهو يومُ القيامة).

{إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} .... في الوعد.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس):- قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):- {سُورَةُ السَّجْدَة} الآية {28} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَيَقُولُونَ} يَعْنِي: بني خُزَيْمَة وبني كنَانَة {مَتى هَذَا الْفَتْح} فتح مَكَّة.

{إِن كُنْتُم صَادِقين} أَن يفتح لكم يسخرون بذلك على الْمُؤمنِينَ. (6)

* * *

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (27).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (417/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (417/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (621/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) انظر: "تفسير الطبري" (21/ 116)، و"الدر المنثور" للسيوطي (6/ 557).

(6) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (28) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-{سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {28} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} قِيلَ: أَرَادَ بِيَوْمِ الْفَتْحِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِي فِيهِ الْحُكْمُ بَيْنَ الْعِبَادِ، قَالَ: (قَتَادَةُ): قَالَ أَصْحَابُ النبي لِلْكُفَّارِ: إِنَّ لَنَا يَوْمًا نَتَنَعَّمُ فِيهِ وَنَسْتَرِيحُ وَيُحْكَمُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، فَقَالُوا اسْتِهْزَاءً: مَتَى هَذَا الْفَتْحُ؟ أَيِ الْقَضَاءُ وَالْحُكْمُ،

وَقَالَ: (الْكَلْبِيُّ): يَعْنِي فَتْحَ مَكَّةَ.

وَقَالَ: (السُّدِّيُّ): يَوْمَ بَدْرٍ لِأَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانُوا يَقُولُونَ لَهُمْ: إِنَّ اللَّهَ نَاصِرُنَا وَمُظْهِرُنَا عَلَيْكُمْ، فَيَقُولُونَ: مَتَى هَذَا الفتح. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-{سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {28} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}. أي: يستعجل المجرمون بالعذاب، الذي وعدوا به على التكذيب، جهلا منهم ومعاندة.

{وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ} الذي يفتح بيننا وبينكم، بتعذيبنا على زعمكم.

{إِنْ كُنْتُمْ} أيها الرسل. {صَادِقِينَ} في دعواكم. (2)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره): - {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {28} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ (3) إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} حكى تعالى عنهم ما يقولونه للمؤمنين لما يخوفونهم بعذاب الله يقولون لهم متى هذا الفتح أي الحكم والفصل يستعجلون لخفة أحلامهم وعدم إيمانهم. (4)

إيمانهم. (4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرزاق) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) – عن (قتادة):- في قوله: {يوم الفتح} قال: الفتح: القضاء. (5) (6)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) – عن (مجاهد): {يوم الفتح} يوم القيامة. (7)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {28} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}. يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ اسْتِعْجَالِ

---

(1) انظُر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (28).

(2) انظُر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (28) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) الفتح: النصر والقضاء كانوا إذا قال لهم المؤمنون سيحكم الله بيننا وبينكم يوم القيامة فيثيب المؤمن ويعاقب الكافر يقولون لهم مستهزئين ساخرين متى هذا الفتح أو الحكم.

(4) انظُر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (28) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(5) انظر: (تفسير عبد الرزاق) في سورة (السجدة) - الآية (28)،

(6) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (109/4)، للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين)،

(7) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (199/20).

الْكُفَّار وقوعَ بَأْسِ اللَّهِ بِهِمْ، وَحُلُولِ غَضَبِهِ ونقمته عَلَيْهِمْ، اسْتِبْعَادًا وَتَكْذِيبًا وَعِنَادًا: {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ}؟ أَيْ: مَتَى تُنْصَرُ عَلَيْنَا يَا مُحَمَّدُ؟ كَمَا تَزْعُمُ أَنَّ لَكَ وَقْتًا تُدَالُ عَلَيْنَا، وَيُنْتَقَمُ لَكَ مِنَّا، فَمَتَى يَكُونُ هَذَا؟ مَا نَرَاكَ أَنْتَ وَأَصْحَابَكَ إِلَّا مُخْتَفِينَ خَائِفِينَ ذَلِيلِينَ!.(1)

* * *

قال: الشيخ (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- أظهر أقوال أهل العلم عندي هو أن الفتح في هذه الآية الكريمة هو الحكم والقضاء، وقد جاءت آيات تدل على أن الفتح الحكم،

كقوله تعالى: عن نبيه (شعيب): {على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين} أي: احكم بيننا بالحق، وأنت خير الحاكمين.(2)

* * *

[٢٩] ﴿ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

قل: لهم أيها الرسول- ﷺ -: هذا الوعد هو يوم القيامة، إنه يوم الفصل بين العباد حين لا ينفع الذين كفروا بالله في الدنيا تصديقهم بعد معاينة يوم القيامة، ولا هم يُؤخرون حتى يتوبوا إلى ربهم وينيبوا إليه.(3)

* * *

يَعْنِي:- قل لهم أيها الرسول- ﷺ -: يوم القضاء الذي يقع فيه عقابكم، وتعاينون فيه الموت لا ينفع الكفار إيمانهم، ولا هم يؤخرون للتوبة والمراجعة.(4)

* * *

يَعْنِي:- قل لهم: يوم القضاء والفصل إذا حل بكم لا ينفع الذين كفروا إيمانهم، ولا هم يمهلون لحظة عن العذاب الذى يستحقونه.(5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ} .... وهو يوم القيامة.

{لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ} .... أي: يُمْهَلون، فإنه يوم نصر للمسلمين على الكفرة، والفصل بينهم.

{وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ} ... أي: ولا هم يمهلون للتوبة أو الاعتذار.

(أي: ولا هم يؤخرون للتوبة والمراجعة).

{يُنظَرُونَ} ... يُمْهَلُونَ.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس):- قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {29} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قُلْ} يَا

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (السَّجْدَة) الآية (28).

(2) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (السجدة) الآية (28).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (417/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (417/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (621/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

مُحَمَّد لبني خُزَيْمَة وكنانة {يَوْمَ الْفَتْحِ} فتح مَكَّة {لاَ يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا} بني خُزَيْمَة {إِيمَانُهُمْ} من الْقَتْل {وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ} يؤجلون من الْقَتْل.(1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-{سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {29} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ} يَوْمَ الْقِيَامَةِ،

{لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ} وَمَنْ حَمَلَ الْفَتْحَ عَلَى فَتْحِ مكة والقتل يَوْمَ بَدْرٍ قَالَ: مَعْنَاهُ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ إِذَا جَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَقُتِلُوا،

{وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ} لَا يُمْهَلُونَ لِيَتُوبُوا وَيَعْتَذِرُوا.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-{سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {29} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ} الذي يحصل به عقابكم، لا تستفيدون به شيئًا، فلو كان إذا حصل، حصل إمهالكم، لتستدركوا ما فاتكم، حين صار الأمر عندكم يقينًا، لكان لذلك وجه، ولكن إذا جاء يوم الفتح، انقضى الأمر، ولم يبق للمحنة محل فـ {لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ} لأنه صار إيمان ضرورة،

{وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ} أي: يمهلون، فيؤخر عنهم العذاب، فيستدركون أمرهم.(3)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {29} قَوْلُهُ تَعَالَى: وهنا أمر تعالى رسوله أن يقول لهم. فقال {قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ(4) لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ} أي إذا جاء يوم الفتح بيننا وبينكم لا ينفع نفساً كافرة إيمانها عند رؤية العذاب.

{وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ} أي يؤخرون ويمهلون ليؤمنوا ويستغفروا فيتاب عليهم ويغفر لهم إذ سنة الله أن من عاين العذاب لا تقبل توبته.(5)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {29} قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ} أَيْ: إِذَا حَلَّ بِكُمْ بَأْسُ اللَّهِ وسَخطه وَغَضَبُهُ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْأُخْرَى،

{لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ} ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ. فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ. فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (29) ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (29).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (29) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) – هذا إجابة لهم ورد عليهم والفتح جائز أن يكون فتح مكة أو يوم بدر أو يوم القيامة إذ هو اليوم الذي يحكم الله تعالى فيه بين عباده.

(5) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (29) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ} {غَافِر: 83-85}،

ومَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ هَذَا الْفَتْحِ فَتْحُ مَكَّةَ فَقَدْ أَبْعَدَ النَّجْعَةَ، وَأَخْطَأَ فَأَفْحَشَ، فَإِنَّ يَوْمَ الْفَتْحِ قَدْ قَبِلَ رسولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِسْلَامَ الطُّلَقَاءِ، وَقَدْ كَانُوا قَرِيبًا مِنْ أَلْفَيْنِ، وَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ فَتْحَ مَكَّةَ لَمَا قَبِلَ إِسْلَامَهُمْ" لِقَوْلِهِ: {قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ}، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ الْفَتْحُ الَّذِي هُوَ الْقَضَاءُ وَالْفَصْلُ،

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} {الشُّعَرَاءِ: 118}،

وَكَقَوْلِهِ: {قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ} {سَبَأٍ: 26}،

وَقَالَ تَعَالَى: {وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ} {إِبْرَاهِيمَ: 15}،

وَقَالَ تعالى: {وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا} {الْبَقَرَةِ: 89}،

وَقَالَ: {إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ} {الْأَنْفَالِ: 19}.(1)

* * *

[٣٠] ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فأعرِضْ أيها الرسول - ﷺ -: عن هؤلاء بعد تماديهم في ضلالهم، وانتظر ما يحل بهم، إنهم ينتظرون ما تعدهم من العذاب.(2)

* * *

يَعنِي:- فأعرض أيها الرسول- ﷺ -: عن هؤلاء المشركين، ولا تبال بتكذيبهم، وانتظر ما الله صانع بهم، إنهم منتظرون ومتربصون بكم دوائر السوء، فسيخزيهم الله ويذلهم، وينصرك عليهم. وقد فعل فله الحمد والمنة.(3)

* * *

يَعنِي:- وإذا كان هذا الاستهزاء دأبهم فأعرض عنهم، وانتظر صدق ما وعدك ربك فيهم إنهم ينتظرون الغلبة عليكم.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فأعْرِض عَنهُمْ} ... يقول: لنبيه محمد- صلى الله عليه وسلم-: فأعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين بالله،

(وهو منسوخ بآية السيف).

{وانتظر إنهم منتظرون} .... أي: وانتظر يا رسولنا ما سيحل بهم من عذاب إن لم يتوبوا فإنهم منتظرون بك موتاً أو قتلاً ليستريحوا منك.

{وَانْتَظِرْ} .... وعدي بنصرك.

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامُ (ابن كثير) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (29).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (417/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (417/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (621/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ} .... هلاكك فأهلكهم الله يَوْم فتح مكَّة.

* * *

الدليل و البرهان و الحجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس):- قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {30} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ} عَن بني خُزَيْمَة وَلَا تشتغل بهم. {وانتظر} هلاكهم يَوْم فتح مكَّة {إِنَّهُم مُنتَظِرُونَ} هلاكك فأهلكهم الله يَوْم فتح مكَّة. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {30} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): نَسَخَتْهَا آيَةُ السيف، {وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ} قِيلَ: انْتَظِرْ مَوْعِدِي لَكَ بِالنَّصْرِ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ بِكَ حَوَادِثَ الزَّمَانِ. وَقِيلَ: انْتَظِرْ عَذَابَنَا فِيهِمْ فَإِنَّهُمْ منتظرون ذلك. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {30} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ} لما وصل خطابهم إلى حالة الجهل، واستعجال العذاب.

{وَانْتَظِرْ} الأمر الذي يحل بهم، فإنه لا بد منه، ولكن له أجل، إذا جاء لا يتقدم ولا يتأخر.

{إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ} بك ريب المنون، ومتربصون بكم دوائر السوء، والعاقبة للتقوى. (3)

* * *

قال: الشيخ (أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {30} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ} أي: فأعرض يا رسولنا عن هؤلاء المكذبين.

{وَانْتَظِرْ} (4) ما سينزل بهم من عذاب.

{إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ} (5) ما قد يصيبك من مرض أو موت أو قتل ليستريحوا منك في نظرهم. كما هم منتظرون أيضا عذاب الله عاجلا أو آجلا. (6)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن)- عن (قتادة): {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ} يعني: يوم القيامة. (7)

* * *

قال: الشيخ (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: {وَانْتَظِرْ

---

(1) انظُر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (30) يِنسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظُر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (30).

(3) انظُر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (30) للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) الانتظار الترقب مشتق من النظر كأنه مضارع أنظره فانتظر وحذف مفعول "انتظر" للتهويل أي انتظر أياماً يكون لك النصر فيها، ويكون الخسران لأعدائك فيها، وفي الأمر بالانتظار إيماء بالبشرى للمؤمنين والوعيد للكافرين.

(5) جملة إنهم منتظرون تعليل للأمر بالانتظار.

(6) انظُر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (30) للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(7) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) (99/20).

{إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ} جاء معناه موضحاً في آيات أخر، كقوله تعالى: {أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فإني معكم من المتربصين} ومعلوم أن التربص هو الانتظار.(1)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سُورَةُ السَّجْدَةِ} الآية {30} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ} أَيْ: أَعْرِضْ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ وَبَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ، كَقَوْلِهِ: {اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} {الْأَنْعَامِ: 106}،

وَانْتَظِرْ فَإِنَّ اللَّهَ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، وَسَيَنْصُرُكَ عَلَى مَنْ خَالَفَكَ، إِنَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ.

وَقَوْلُهُ: {إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ} أَيْ: أَنْتَ مُنْتَظِرٌ، وَهُمْ مُنْتَظِرُونَ، وَيَتَرَبَّصُونَ بِكُمُ الدَّوَائِرَ، {أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ} {الطُّورِ: 30}،

وَسَتَرَى أَنْتَ عَاقِبَةَ صَبْرِكَ عَلَيْهِمْ وَعَلَى أَدَاءِ رِسَالَةِ اللَّهِ، فِي نُصْرَتِكَ وَتَأْيِيدِكَ، وَسَيَجِدُونَ غِبَّ مَا يَنْتَظِرُونَهُ فِيكَ وَفِي أَصْحَابِكَ، مِنْ وَبِيلِ عِقَابِ اللَّهِ لَهُمْ، وَحُلُولِ عَذَابِهِ بِهِمْ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، (وَاللَّهُ أَعْلَمُ).(2)

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾

- عذاب الكافر في الدنيا وسيلة لتوبته.
- ثبوت اللقاء بين نبينا – صلى الله عليه وسلم – وموسى عليه السلام ليلة الإسراء والمعراج.
- الصبر واليقين صفتا أهل الإمامة في الدين.(3)

* * *

والله سبحانه و تعالى أعلم بالصواب

آخَرُ تَفْسِيرِ سُورَةُ ﴿ السَّجْدَةِ ﴾:

تم بفضل الله وإعانته وتيسيره.

وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالثَّناء وَالفَضْل وَالْمِنَّة وَالمجد دائماً أبداً وإستمراراً

كما ينبغي لجلاله، وعظمته، وكماله وسعة إحسانه.

((الحمْدُ للّه الذي بِنِعْمَتِهِ تتمُ الصالحاتُ))

والحمدلله رب العالمين، أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه. ملءَ السَّمواتِ، وَملءَ الأرضِ، وَملءَ ما بَينَهُما. وَملءَ ما فِهيما.

سُبحانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمدِكَ أشهَدُ أن لا إله إلاّ أنتَ أستغفِرُكَ وأتُوبُ إليك.

وَصلَّى اللهُ وَسلَّمَ عَلى نبينا مُحمَّدٍ وَعلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجمعين تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

۞ ۞ ۞

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (السجدة) الآية (30).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمَامْ (ابن كثير) في سُورَةُ (السَّجْدَةِ) الآية (30).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (417/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

